

تفسير
بيان السعادة
في
مقامات العبادة

تأليف
العارف الشهير
الحاج سلطان محمد الجنابذي
الملقب بسلطان علي شاه
طاب ثراه

منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان
ص.ب ٧١٢٠

بيان السعادة

في

مقامات العبادة

٤

بيان السعادة

في

مقامات العبادة

تأليف

العارف الشهير

الحاج سلطان محمد الجنابذي

الملقب بسلطان علي شاه

طاب ثراه

المجلد الرابع

منشورات

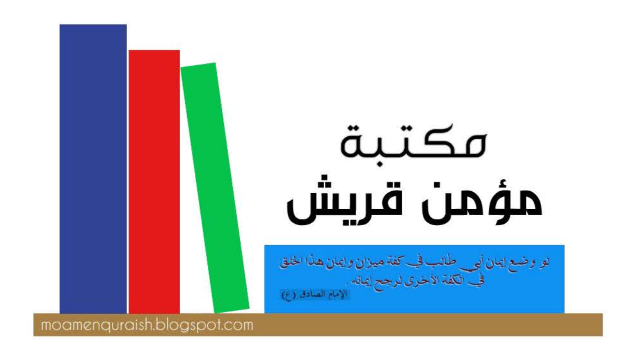
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - لبنان

ص.ب ٧١٢٠

الطبعة الثانية

١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م



مؤسسة الأعلمي للمطبوعات:
بيروت ـ شارع المطار ـ قرب كلية الهندسة ـ ملك الاعلمي ـ ص.ب: ٧١٢٠
الهاتف: ٨٣٣٤٤٧ ـ ٨٣٣٤٥٣

سُورَةُ الزُّمَر

مكّيّة كلّها، وقيل: سوى ثلاث آيات نزلت بالمدينة فى وحشى قاتل حمزة وهى قوله: قل ياعبادى (الى آخرهنّ) وهى خمس وسبعون آية.

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

[تَنْزِيلُ الْكِتابِ مِنَ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ] تنزيل الكتاب مبتدء خبره من الله، اوخبره محذوف، اوخبرٌ مبتدءه محذوف اى هذا تنزيل الكتاب و وصف الله بالعزيز الحكيم تفخيماً لشأن الكتاب وتحذيراً عن مخالفته وترغيباً فى اتّباعه والمراد بالكتاب القرآن اوالرّسالة والنّبوّة واحكامهما، اوالولاية وآثارها، اوكتاب ولاية علىّ (ع) وخلافته، وقد سبق فى اوّل البقرة بيان للكتاب [إِنّا أَنْزَلْنا] جوابُ سؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: من انزل الكتاب؟ وعلى من انزل؟ فقال: انّا انزلنا [إِلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ] الّذى هو المشيّة وهو ولاية علىّ (ع) وعلويّته اى بسبب الحقّ اومتلبّساً بالحقّ او مع الحقّ [فَاعْبُدِ اللّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ] اى الطّريق، اواعمال الملّة واخلاص الطّريق الى الله بان لايكون مبدء السّلوك عليه ولا غايته مشوباً بشيءٍ من اغراض النّفس واشراك الشّيطان وهو امرصعبٌ لايتأتّى الّا من كاملٍ حكيمٍ مراقبٍ لاحواله فى كلّ افعاله [أَلا لِلّهِ الدِّينُ الْخالِصُ] تقديم لله لشرافته وقصد الحصر، ويفيد نفى رجوع غير الخالص اليه بمفهوم مخالفة القيد وذلك لانّه اغنى الشّركاء كلّما كان له فيه شريك يتركه للشّريك [وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِياءَ ما نَعْبُدُهُمْ] حالٌ اوخبرٌ اومستأنف معترض بين المبتدأ والخبر والكلّ بتقدير القول [إِلّا لِيُقَرِّبُونا إِلَى اللّهِ زُلْفى إِنَّ اللّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ] جملة مستأنفة جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ عن حالهم اوالجملة خبرٌ عن الّذين اتّخذوا اوخبرٌ بعد خبرعنه [فِيما هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ] من امر الدّين او من الرّسالة اومن ولاية علىّ (ع) روى عن النّبىّ (ص) فى خبرٍ انّه أقبل على مشركى العرب وقال: وانتم فلم عبدتم الاصنام من دون الله؟ـ فقالوا: نتقرّب بذلك الى الله تعالى فقال: اوهى سامعة مطيعة لربّها عابدة له حتّى تتقرّبوا بتعظيمها الى الله؟ـ قالوا: لا، قال: فانتم الّذين نحتّموها بايديكم؟ـ قالوا: نعم، قال: فلأن تعبدكم هى لوكان يجوز منها العبادة احرى من ان تعبدوها اذا لم يكن امرّكم بتعظيمها من هو العارف بمصالحكم وعواقبكم والحكيم فيما يكلّفكم [إِنَّ اللّهَ لا يَهْدِي] فى مقام التّعليل اوخبرٌ بعد خبرٍ والرّابط تكرار المبتدء بالمعنى [مَنْ هُوَ كاذِبٌ كَفّارٌ] لعدم استعداده وعدم استحقاقه [لَوْ أَرادَ اللّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً]

كما نسبوا اليه الملائكة و المسيح وعزيراً [لَاصْطَفٰى مِمّٰا يَخْلُقُ] من اصناف الملائكة و انواع البشر و الجنّ [مٰا يَشٰاءُ] من البنين لا ما نسبوا اليه من البنات [سُبْحٰانَهُ] عن الشريك والولد والصّاحبة [هُوَ اللّٰهُ الْوٰاحِدُ] الّذى لامثل له حتّى يكون له ولدٌ [الْقَهّٰارُ] الّذى لايجوز فى قهّاريّته ان يكون له شريكٌ ومثلٌ، والولد يكون مثلاً له، والشّريك يكون مثلاً له ومقابلاً لامقهوراً [خَلَقَ السَّمٰوٰاتِ وَالْاَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهٰارِ] بمعنى يولج اللّيل فى النّهار، اوهو من تكرير العمامة ولفّ طاقاته كلّ على الاخرى ، او بمعنى يغشى اللّيل النّهار، او بمعنى يكرّر تتابع اللّيل للنّهار والنّهار للّيل [وَيُكَوِّرُ النَّهٰارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ] وللاشارة الى تتابع اللّيل والنّهار و تكرار تكويرهما اتى بالمضارع فى جانبهما و بالماضى ههنا [كُلٌّ يَجْرِى] على الاستمرار [لِاَجَلٍ مُسَمًّى اَلٰا هُوَ الْعَزِيزُ] الّذى لا يمنع من مراده حيث لايمنعه مانعٌ من هذا التّكوير و ذلك التّسخير [الْغَفّٰارُ] الّذى لايؤاخذ عباده على ماهم فيه من الاشراك ونسبة الولد اليه و سائر المعاصى لعلّهم يتوبون فيغفر لهم [خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وٰاحِدَةٍ] قد سبق فى سورة النّساء بيان الآية [ثُمَّ جَعَلَ مِنْهٰا زَوْجَهٰا] اتى بثمّ للاشارة الى التّعقيب فى الاخبار فانّ خلق الجماعة الكثيرة من نفس واحدة لاغرابة فيه ، وخلق الزّوج الّتى تكون شريكة لها فى خلق الجماعة الكثيرة منها امرٌ غريبٌ بالنّسبة اليه [وَاَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْاَنْعٰامِ ثَمٰانِيَةَ اَزْوٰاجٍ] قد سبق بيان الثّمانية الازواج فى سورة الانعام و انزل بمعنى خلق كما نسب الى امير المؤمنين (ع)، واستعمال انزل للاشعار بانّ شيئيّة الشّيء بفعليّته الاخيرة والفعليّة الاخيرة لكلّ ذى نفسٍ هى نفسه والتّحقيق انّ النّفوس وان كانت جسمانيّة الحدوث لكنّها منزلة من سماء الارواح و ارباب الانواع الى افراد الانواع فاستعمال انزل فى معنى خلق لم يكن على سبيل المجاز [يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ اُمَّهٰاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ] حيواناً سويّاً بعد خلق اللّحم والعظام بعد المضغة والعلقة والنّطفة [فِى ظُلُمٰاتٍ ثَلٰاثٍ] ظلمة البطن و الرّحم والمشيمة كما فى الخبر [ذٰلِكُمُ اللّٰهُ] الّذى هذه المذكورات اوصافه و افعاله [رَبُّكُمْ] فلا تطلبوا ربّاً سواه [لَهُ الْمُلْكُ] جملة ما يملك ممّا سواه اوّله عالم الملك مقابل الملكوت [لٰا اِلٰهَ اِلّٰا هُوَ فَاَنّٰى تُصْرَفُونَ اِنْ تَكْفُرُوا فَاِنَّ اللّٰهَ غَنِىٌّ عَنْكُمْ] لمّا بالغ فى وعظهم وصرفهم عن المعبودات الباطلة توهّم انّ الله تعالى للاحتياج اليهم يستصرفهم عن المعبودات، فرفع ذلك التّوهّم بانّ اهتمامه لصرفكم اليه ليس الّا محض الرّحمة والتّفضل عليكم لا لاحتياجه اليكم [وَلٰا يَرْضٰى لِعِبٰادِهِ الْكُفْرَ] .

تحقيق كون الكفر بارادة الله وعدم رضاه به ورضاه بالايمان

قد سبق فى مطاوى ماسلف انّ الرّحمة الرّحمانيّة الّتى بها وجود الاشياء و بقاؤها بمنزلة المادّة للرّحمة الرّحيميّة والغضب، وللرّضا والسّخط ، وللهداية والاضلال ، وانّ المكوّنات كلّها كمالاتها الاولّيّة الذّاتيّة تحصل بالرّحمة الرّحمانيّة، والكمالات الثّانية الّتى تصل اليها تكويناً ان لم يعقها عائقٌ تحصل بالرّحمة الرّحيميّة و يقال لها: الولاية التّكوينيّة و الرّضا التّكوينى. وانّ ذوى العقول وصولها الى كمالاتها الثّانية التّكليفيّة بالرّحمة الرّحيميّة، و يقال لها : الولاية التّكليفيّة والرّضا والهداية والتّوفيق وغير ذلك، وانّ انحراف المكوّنات تكويناً عن طريقها المستقيمة الّتى تكون بالفطرة سالكة عليها الى كمالاتها الثّانية و انحراف المكلّفين عن طريقهم المستقيمة التّكليفيّة لا تكون الّا بارادة الله ومشيّته لكن ذلك الانحراف لايكون الّا من نقص مادّته وحدود وجوده فيكون نسبته الى نفسه اولى من نسبته الى خالقه و يكون غير مرضيّ لله و ان كان مراداً له فانّ الارادة بحسب الرّحمة الرّحمانيّة، والرّضا بحسب الرّحمة

الرّحيميّة و يكون مبغوضاً ومسخوطاً وصاحبه مخذولاً وضالاً وغير قابل للولاية التّكوينيّة اوالتّكليفيّة [وَاِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ] لانّ الشّكر من الكمالات الثّانية التّكليفيّة وقد فسّر الكفر بالخلاف اى خلاف الولاية و خلاف الامام والشّكر بالولاية والمعرفة [وَلٰا تَزِرُ وٰازِرَةٌ وِزْرَ اُخْرٰى] ردّ لمن قال للّذين آمنوا بلسان القال كماحكى الله تعالى او بلسان الحال كما هو شأن المنافقين من الامّة وكما هو شأن المترأّسين فى الدّين من غير اذن واجازة : اتّبعوا سبيلنا ولنحمل خطايا كم [ثُمَّ اِلٰى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ] تعريض بمجازاتهم على عملهم فانّ الاخبار بالعمل فى الآخرة ليس الّا للمجازاة عليه [اِنَّهُ عَلِيمٌ بِذٰاتِ الصُّدُورِ] قد تكرّر سابقاً انّ ما فى الصّدور امّا من قبيل الارادات والعزمات والنّيّات والخيالات والخطرات و يصدق عليها انّها ذات الصّدور، وامّا من قبيل القوى والاستعدادات المكمونة فى النّفوس الّتى لاشعور لصاحبى الصّدور بها وهى اولى بكونها ذات الصّدور لزوال المذكورات السّابقة عنها بسرعة بخلافها فهى اولى بصدق المصاحبة و الجملة تعليل لقوله تعالى : ينبّئكم و تهديد لمن يخفى اعماله [وَاِذٰا مَسَّ الْاِنْسٰانَ ضُرٌّ] عطف على قوله ان تكفروا يعنى كيف تكفرون واذامسّكم ضرّ تلتجؤن اليه لا الى غيره يعنى انّكم مفطورون على الاقرار به و الالتجاء اليه فليس كفركم ولاكفرانكم لنعمه الّا لستر ما انتم مفطورون عليه [دَعٰا رَبَّهُ مُنِيباً اِلَيْهِ] لما سبق انّ الخيال بتصرّف المتخيّلة يمنع العاقلة عن التّدبير والتّصرّف و يستر نصحه وردعه وحين مسيس الضّرّ يسكن الخيال عن التّصرّف فيظهر الفطرة وحكم العقل [ثُمَّ اِذٰا خَوَّلَهُ] اعطاه تفضّلاً فانّه لا يستعمل الّا فى هذا المعنى [نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مٰا كٰانَ يَدْعُوا اِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ] يعنى نسى الضّرّ الّذى يدعوالله الى دفعه ، او نسى اللّطيفة الغيبيّة الّتى كان يدعو قواه واهل مملكته حين الضّرّ اليها فانّ التجاءه اليه دعوة لجميع اهل مملكته اليه ، وان كان نزوله فى ابى الفضيل كماورد ، فانّه روى عن الصّادق (ع) انّها نزلت فى ابى الفضيل انّه كان رسول الله (ص) عنده ساحراً فكان اذا مسّه الضّرّ يعنى السّقم دعا ربّه منيباً اليه يعنى تائباً اليه من قوله فى رسول الله (ص) ما يقول ثمّ اذا خوّله نعمة منه يعنى العافية نسى ما كان يدعو اليه من قبل يعنى نسى التّوبة الى الله تعالى ممّا كان يقول فى رسول الله (ص) : انّه ساحر ، ولذلك قال الله عزّوجلّ : قل تمتّع بكفرك قليلاً انّك من اصحاب النّار يعنى امرتك على النّاس بغير حقّ من الله عزّوجلّ ومن رسوله (ص) قال ثمّ عطف من الله عزّوجلّ فى علىّ (ع) يخبر بحاله وفضله عندالله تبارك و تعالى فقال : امّن هو قانت (الآية) [وَجَعَلَ لِلّٰهِ اَنْدٰاداً] امثالاً وشركاء مثل الاصنام و الكواكب او جعل لله انداداً فى وجوده من اهوية نفسه ومشتهياتها [لِيُضِلَّ] النّاس او اهل مملكته [عَنْ سَبِيلِهِ] و قرئ ليضلّ بفتح الياء [قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً] يا ابا الفضيل او يا ابافلان او يا ايّها المنصرف من باب القلب الى باب النّفس ومشتهياتها [اِنَّكَ مِنْ اَصْحٰابِ النّٰارِ] فانّ الانصراف من الله ومن الولاية ومن علىّ (ع) ، اومن باب القلب ليس الّا للمبتلى بدواعى النّفس ، ودواعى النّفس ليست الّا الشّواظ من النّار [اَمَّنْ هُوَ قٰانِتٌ آنٰاءَ اللَّيْلِ سٰاجِداً وَقٰائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ] كمن ليس كذلك؟! حذف الخبر لدلالة الحال ودلالة قوله قل هل يستوى الّذين يعلمون (الآية) عليه ، او المعنى امّن كفر خيرٌ امّن هو قانت ، فحذف المعادل الاوّل لدلالة القرينتين عليه ، وقرئ امن هو قانتٌ بتخفيف الميم ، وعليه يكون الخبر محذوفاً اى امن هو قانتٌ كمن ليس كذلك؟! او الخبر والمعادل جميعاً والتّقدير امّن هو قانت خيرٌ ام من كفر ، وقد فسّر القانت بعلىّ (ع) ومن ليس كذلك ليس الّا اعداءه ، والتّخصيص فى الذّكر بعلىّ (ع) لكونه اصلاً فى الخصال الحميدة والاعمال الرّضيّة لا ينا فى تعميمها كما

تكرّر سابقاً [قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ] الّذين يقومون آناء اللّيل ساجداً وقائماً فانّ العلم يلزمه ذلك لتلازم العلم والعمل كما سبق فى فصول اوّل الكتاب [وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ] فيكفرون بالله، او بنعمه، او بالرّسول (ص)، او بعلىّ (ع) [إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ] عدم التّسوية بينهما [أُولُوا الْأَلْبَابِ] لاغيرهم كأنّه قال: لكن لافائدة فى تذكرتك ذلك لخلوّهم من اللّبّ ومن كان خالياً عن اللّبّ لايتذكّر ولو ذكرله كلّ آية واتى له بكلّ آية، وقد تكرّر انّ الانسان بدون تأبير الولاية و بدون الاتّصال بولىّ الامر كالجوز الخالى من اللّبّ الّلائق للنّار، و بعد الاتّصال والدّخول فى امر الائمّة (ع) ودخول الايمان فى القلب الّذى هو بمنزلة لبّ القلب يصير ذالبّ ولذلك فسّروا عليهم السّلام اولى الالباب فى الآيات بشيعتهم بطريق الحصر، عن الباقر (ع): انّما نحن الّذين يعلمون، وعدوّنا الّذين لا يعلمون، وشيعتنا اولوا الالباب، وعن الصّادق (ع): لقد ذكرنا الله وشيعتنا و عدوّنا فى آية واحدة من كتابه فقال: هل يستوى (الآية)، و بتلك المضامين اخبار كثيرة [قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا] امره (ص) ان يخاطب عبيده بنسبة عبديّتهم الى نفسه اشعاراً بانّه (ص) خليفة له فى ارضه بل فى ارضه وسمائه ومظهرٌ لجميع اوصافه و نسبه فكلّ من كان عبداً له تعالى يكون عبداً لخليفته (ص) عبد طاعة لاعبد عبادة [اتَّقُوا رَبَّكُمْ] اى سخطه [لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا] متعلّق باحسنوا اوحال عن قوله تعالى حسنة فانّ المحسن كما يكون له الحسنى فى الآخرة يكون له الحسنة الّتى هى سهولة الطّريق والسّلوك عليه والالتذاذ به فى الدّنيا، ونعم ماقال المولوىّ فى تفسير الحسنة فى الدّنيا والآخرة بقوله:

آتنا فى دار دنيانا حسن ... آتنا فى دار عقبانا حسن
راه را بر ما چو بستان كن لطيف ... مقصد ما باش هم تو اى شريف

والجملة فى موضع تعليل بملفوظها ومحذوفها لمنطوق قوله تعالى اتّقوا ربّكم و مفهومه كأنّه قال: اتّقوا سخطه فانّ العاصى معذّب و المطيع مثاب، لانّه للّذين احسنوا [حَسَنَةٌ] وللّذين أساؤا عقوبة [وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ] فان لم تتمكّنوا من الاحسان فى ارض فهاجروا الى ارض يمكنكم الاحسان فيها [إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ] جواب سؤال مقدّر كأنّه قيل: ان لم يمكن الهجرة فما لمن صبر على مشاقّ الاحسان فى محلّ يشقّ عليه الاحسان؟ اوكأنّه قيل: فما لمن هاجر وصبر على مشاقّ الهجرة؟ اوكأنّه قيل: مالمن صبر على الاحسان فى الاوطان؟ اوعلى الهجرة؟ فقال: انّما يوفّى الصّابرون على ذلك [أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ] كناية عن عظمة الاجر وكثرته، وفى الاخبار اشارة الى انّ المراد اعطاء الاجر بدون محاسبة الاعمال [قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ] اى طريق السّلوك اواعمال الملّة عن اشراك الشّيطان واشراك النّفس ومداخلة الهوى فاعبدوا ماشئتم واشركوا فى الدّين والاعمال ما شئتم فهو تعريض بهم و بانّ اشراكهم غير مرضىّ لله وغير مأمور به منه تعالى [وَأُمِرْتُ] بذلك [لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ] فمن شاء ان يكون اقدم المسلمين فليعبد مخلصاً له الدّين، اوالمعنى: امرت بان اكون اوّل المسلمين، فيكون الّلام زائدة للتّقوية [قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي] فى ترك ما امرنى به من اخلاص الدّين [عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ] فافعلوا ما شئتم من الاشراك والاخلاص [قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ] تقديم الله للحصر يعنى قل امتثل امره واعبده [مُخْلِصًا لَهُ دِينِي فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ] واشركوا فى دينه ما شئتم [قُلْ] انتم خاسرون لاضراركم بانفسكم وقواها وجنودها، وهذا الخسران هو الخسران العظيم [إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ]

الدّاخلة والخارجة [يَوْمَ الْقِيٰمَةِ اَلَا ذٰلِكَ هُوَ الْخُسْرٰانُ الْمُبِينُ] لاخسران المال الّذى هو مغاير معكم ولا نسبة بينه و بينكم الّا بمحض الاعتبار الّذى اعتبره الشّرع اوالعرف [لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النّٰارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ] استعمال الظّلل الّتى هى ماتظلّك فيما كان تحت الاقدام امّا من باب المشاكلة اومن جهة انّها ظلل لمن تحتها [ذٰلِكَ] المذكور من الخسران اومن التّظليل بالظّلل من النّار [يُخَوِّفُ اللّٰهُ بِهِ عِبٰادَهُ يٰا عِبٰادِ فَاتَّقُونِ] قوله تعالى الا ذلك هوالخسران ممّا امر الرّسول (ص) ان يقوله ، او ابتداء كلام من الله ، اوقوله لهم من فوقهم ابتداء كلام منه اوقوله ذلك يخوّف الله ابتداء كلام منه ، اوقوله ياعبادفاتّقون ابتداء كلام منه [وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطّٰاغُوتَ] مقابل قوله الّذين خسروا و فى موقع انّ الرّابحين كذا لكنّه عدل الى هذا لبيان ما فيه الرّابح [اَنْ يَعْبُدُوهٰا] بدل من الطّاغوت [وَاَنٰابُوا اِلَى اللّٰهِ لَهُمُ الْبُشْرٰى] و لمّا كان الطّاغوت مفسّرة ببعض اعداء علىٍّ (ع) فليكن المراد بالانابة الى الله التّوبة على يدعلىّ (ع) والبيعة معه وهو كذلك لانّ الرّجوع الى الله ليس الّا بالسّير الى طريق القلب، ولايعلم طريق القلب ولايفتح الّا بالولاية الّتى هى البيعة على يد ولىّ الامر، والاصل فى ذلك هو علىّ (ع) [فَبَشِّرْ عِبٰادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ اَحْسَنَهُ] وضع الظّاهر موضع المضمر تشريفاً لهم باضافتهم اليه و ترغيباً وتوصيفاً لهم بوصف مدح تشويقاً لهم الى ذلك الوصف والاهتمام بالعبوديّة.

بيان اتّباع احسن القول و تحقيقه

و اعلم ، انّ القول يطلق على الاقوال اللّفظيّة والاقوال النّفسيّة والكلمات الوجوديّة الّتى هى بالنّسبة الى الله تعالى كالاقوال النّفسيّة بالنّسبة الينا والّلام فى القول امّا للجنس ولمّا لم يكن استماع الجنس الّا فى ضمن الافراد فالمراد به امّا استغراق الافراد بنحو العموم الجمعىّ او بنحو العموم البدلىّ لكن مع التّقييد بما يخرجه عن المحاليّة و يكون المعنى والتّقدير : الّذين يستمعون جميع الاقوال الّتى يتّفق سماعها لهم ، اوالّذين يستمعون كلّ قولٍ يتّفق سماعه لهم بقرينة الحال و تقدّم الاستماع ، اوالمراد به فرد منكّرٌ من القول و يكون المعنى والتّقدير : الّذين يستمعون قولاً منكّراً لايمكن تعريفه وهو قول الولاية وهذا الوجه بحسب اللّفظ بعيد ، اوالّلام فيه للعهد والمنظور من القول المعهود هو علىّ (ع) وولايته، ولمّا كان الاقوال دوالّ المعانى لم يكن المنظور منها ومن حسنها الّا حسنها بحسب المدلولات لانّ الدّالّ على الشّيء لايحكم عليه ولا به من حيث انّه دالّ كما انّ الاسم من حيث انّه اسم لايحكم عليه ولا به فعلى هذا لم يكن المقصود من حسن الاقوال حسنها بحسب الفاظها بل حسنها بحسب مدلولاتها، والمقصود من اتّباع الاحسن ان كان المراد من القول الاستغراق اتّباع اوامره و نواهيه بالامتثال والانتهاء ، والاتّعاظ بمواعظه ونصائحه، والاعتبار بحكاياته وامثاله، ولمّا لم يمكن لكلّ احدٍ اتّباع الاحسن المطلق فالمراد بالاحسن الاحسن بالاضافة فانّه وردفى الكتاب والسّنّة الامر بالاقتصاص من المسيء والامر بكظم الغيظ والصّفح اى عدم الحقد على المسيء والاحسان اليه وهذه اوامر اربعة مترتّبة فى الفضيلة و يأمر النّفس بالاقتصاص والزّيادة على اساءته ، ومن النّاس من لايمكنه كظم الغيظ فان امر بكظم الغيظ كان امراً بالمحال فالاحسن فى حقّه الاقتصاص وعدم التّجاوز منه الى الزّيادة، فلو استمع سامع تلك الاقوال الخمسة وميّز بين حقّها و باطلها وحسنها واحسنها بالاضافة اليه واتّبع ماهو احسن بالنّسبة اليه كان ممّن استمع القول واتّبع احسنها سواء كان ممّن كان الاحسن بالنّسبة اليه القصاص اوكظم الغيظ اوالصّفح والاحسان الى المسيء، اوالمراد اتّباع احسنه بحسب حكايته فانّ الحكاية بلفظه احسن من الحكاية بمعناه ، و الحكاية بالمعنى بالاتيان بتمام المعانى احسن من الحكاية ببعض معانيه كما عن الصّادق (ع) هو الّذى يسمع الحديث فيحدّث به كما سمعه، لايزيد فيه ولاينقص منه ، وهذا احد وجوه الآية، اوالمقصود

من اتّباع احسن الاقوال اتّباع احسن جهاتها فانّ لكلّ قولٍ يسمعه السّامع جهة لتقوية نفسه وجهة لتقوية عقله ، و بعبارةٍ اخرى كلّ قولٍ يسمعه السّامع امّا يسمعه بسمع نفسه او بسمع عقله، فان سمعه بسمع عقله واتّبع حكم العقل فيه كان ممّن اتّبع احسن جهاته. وان كان المراد به الولاية وصاحبها فالمقصود من اتّباع احسنها احسن جهاتها فانّ للولاية جهةً الى الكثرات واحكام الرّسالات وجهة الى الوحدة وآثارها، واذا دار الامر بين اتّباع جهة الوحدة وجهة الكثرة فليرجّح جهة الوحدة وهي احسن جهاتها ، وهكذا الامر اذا دار الامر بين اتّباع خليفة الرّسالة وخليفة الولاية وهما الشّيخان في الرّواية والطّريقة فليرجّح شيخ الطّريق اذا كان الانسان فارغاً من احكام قالبه ، واذا لم يكن عالماً باحكام قالبه فليرجّح شيخ الرّواية ، واذا كان محتاجاً اليهما في احكامهما فليرجّح كلّ من كان حاجته اليه اشدّ ، فانّه احسن الاقوال بالنّسبة اليه ، وهكذا في اتّباع جهات الولاية والرّسالة [أُولٰئِكَ الَّذِينَ هَدٰيهُمُ اللهُ] الى الولاية فتمسّكوا بها فانّ الهداية ليست الّا بالتّوسّل بالولاية بالبيعة الخاصّة الولويّة [وَ أُولٰئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبٰابِ] بتلقيح الولاية كما مرّ مراراً [أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذٰابِ] كهؤلاء المبشّرين او التّقدير خير ام هؤلاء المبشّرون؟ او التّقدير يتخلّص منه او الخبر فانت تنقذ من في النّار بتقدير القول [أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النّٰارِ] يعني انّ من حقّ عليه كلمة العذاب واقع في النّار ليس لوقوعه في النّار انتظار القيامة وليست بقادرٍ ان تنقذه منها فهذه الجملة كناية عن وقوعهم في النّار ولذلك اتى في جانب مقابليهم باداة الاستدراك كأنّه قال: ليس من حقّ عليه كلمة العذاب حالهم مثل من كان مبشّراً من الله فانّهم واقعون في النّار في هذه الحيوة الدّانية فكيف بالحيوة الآخرة [لٰكِنِ] المبشّرون [الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ] و اتى بالاسم الظّاهر للاشعار بوصف آخر لهم، و بانّ التّقوى محصورة فيهم وانّهم محشورون بذلك [لَهُمْ غُرَفٌ] جمع الغرفة بمعنى القصر الرّفيع [مِنْ فَوْقِهٰا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ] في الجنّة بناها الله بأيدي عمّاله لهم وهذا تشريف لهم ببناء القصر لهم [تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰارُ] قد مضى في آخر سورة النّساء بيان جريان الانهار من تحت الجنّات [وَعْدَ اللهِ] وعد الله وعداً [لٰا يُخْلِفُ اللهُ الْمِيعٰادَ] عن الباقر (ع) انّه قال: سأل عليّ (ع) رسول الله (ص) عن تفسير هذه الآية بما ذا بنيت هذه الغرف يا رسول الله (ص) ؟- فقال: يا عليّ (ع) تلك غرفٌ بناها الله لاوليائه بالدّرّ والياقوت والزّبرجد، سقوفها الذّهب محبوكة بالفضّة لكلّ غرفة منها الف بابٍ من ذهبٍ على كلّ بابٍ منها ملك موكّل به، وفيها فرش مرفوعةٌ بعضها فوق بعضٍ من الحرير والدّيباج بالوانٍ مختلفةٍ وحشوها المسك والعنبر والكافور وذلك قول الله و فرش مرفوعة [أَلَمْ تَرَ] الخطاب عامّ والاستفهام للتّقريع اوخاصّ بمحمّدٍ (ص) والاستفهام للتّقرير لانّه (ص) يرى ذلك وان كان غيره لا يراه [أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمٰاءِ مٰاءً فَسَلَكَهُ يَنٰابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوٰانُهُ] اصنافه وانواعه، او المقصود اختلاف الالوان حقيقةً [ثُمَّ يَهِيجُ] يثور عن منبته بالجفاف [فَتَرٰيهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطٰامًا] متفتتاً [إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَذِكْرٰى] تذكيراً بالصّانع وكمال حكمته و قدرته وعنايته بخلقه لاسيّما ببني آدم لانتفاعهم بما سواهم وكون ما سواهم لانتفاعهم دون ما سواهم و تذكيراً بانّ الاحياء بالحيوة الدّنيا مثل انبات النّبات واخضراره وانحطاطه و يبسه و اصفراره و تفتّته فلا يغترّ بها ويعلم انّها ايضاً ليست مقصودة بالذّات بل هي كسائر الموجودات مقدّمة لغيرها و ليطلب ذلك وليعمل له [لِأُولِي الْأَلْبٰابِ] الّذين قبلوا ولاية عليٍّ (ع) بالبيعة الخاصّة الولويّة كما تكرّر انّه لايحصل اللّبّ للانسان الّا بتأبير الولاية [أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلٰامِ] يعني اولى الالباب هم الّذين شرح الله صدورهم للاسلام افمن شرح الله صدره للاسلام خيرٌ ام

من شرح الله صدره للكفر؟ اومثل من جعل الله صدره ضيّقاً حرجاً وقد مضى بيان شرح الصّدر فى سورة الانعام عند قوله تعالى: يشرح صدره للاسلام [فَهُوَ عَلىٰ نُورٍ مِنْ رَبِّهِ] والنّور هو الولاية الّتى هى الحافظة له عن اتّباع الشّيطان و الاصل فى ذلك النّور علىّ (ع) و بعد شيعته الّذين قبلوا ولايته بالبيعة الخاصّة، ثمّ شيعته الّذين قد تنعّش فيهم الولاية التّكوينيّة وتنعّش تلك الولاية هو النّور الّذى يقذف فى قلب العبد فيعبّر عنه بالعلم كماورد، انّ العلم نور يقذفه الله فى قلب من يشاء [فَوَيْلٌ لِلْقٰاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ] فى مقام كمن قسى قلبه لكنّه ادّاه هكذا لافادة هذا المعنى مع شيءٍ آخر [مِنْ ذِكْرِ اللّٰهِ] لاجل ذكر الله اومعرضين من ذكر الله [أُولٰئِكَ فِى ضَلاٰلٍ مُبِينٍ اَللّٰهُ نَزَّلَ اَحْسَنَ الْحَدِيثِ] اى ولاية علىّ (ع) فانّها النّبأ العظيم واحسن من كلّ حديثٍ والقرآن صورتها فانّ اصل الولاية هى المشيّة وقد نزّلها الله عن مقامها العالى ومقام جمع الجمع على مراتب العقول والنّفوس وعالم المثال وعالم الطّبع، و بعد نزولها على مراتب الانسان صارت حروفاً واصواتاً وكلماتٍ واقوالاً فصارت كتباً سماويّة واصل الكلّ هو القرآن وهو صورة الولاية فصحّ تفسيره بالقرآن [كِتٰاباً] بدل من احسن الحديث اوحال اوتميز [مُتَشٰابِهاً] فانّ مراتب العالم كلّ مرتبة منها مشابه لعاليتها وسافلتها فانّ السّافلة صورة مفصّلة نازلة من العالية والعالية صورة مجملة بسيطة من السّافلة، وصورة القرآن ايضاً متشابهة من حيث دلالة كلّ اجزائه على مبدءٍ قديرٍ وصانعٍ حكيمٍ عليمٍ ذى عناية بخلقه ومن حيث دلالته على صدق الآتى به ومن حيث ظهور تنزيله و بطون تأويله ومن حيث اشتماله على البطون ومن حيث اشتماله على الوجوه العديده الصّحيحة بحسب مراتب الخلق، ومن حيث فصاحته و بلاغته بحسب قدفاق كلّ خطابٍ وكلامٍ، اوالمراد المتشابه فى مقابل المحكم فانّ القرآن وكتاب الولاية بعد نزوله الى عالم الطّبع مخفىّ المقصود غيرظاهر المراد [مَثٰانِيَ] قد مضى بيان كون القرآن وكون فاتحة الكتاب مثانى فى اوّل الفاتحة وفى سورة الحجر [تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ] وهم الّذين قبلوا ولاية علىّ (ع) بالبيعة الخاصّة اوظهر فيهم ولايته التّكوينيّة الّتى هى ظهور العلم التّكوينىّ فيهم فانّ العلم التّكليفىّ محصور فيمن قبل الولاية التّكليفيّة، والتّكوينىّ محصور فيمن ظهر فيه الولاية التّكوينيّة وخرج من حجب الاهوية واليهما اشار النّبىّ (ص) حين سئل عنه: ما العلم؟- فقال: الانصات، ثمّ سئل عنه، فقال: الاستماع فانّ الانصات اشارة الى ظهور العلم التّكوينىّ المعبّر عنه بالولاية التّكوينيّة، والاستماع اشارة الى الولاية التّكليفيّة فانّ الاستماع ليس الّا بعد الانقياد والانقياد لايحصل الّا بالبيعة الخاصّة الّتى هى الولاية بوجهٍ وهى سبب حصول الولاية بوجهٍ، والخشية لاتكون الّا بعد العلم والخشية محصورة فيمن له العلم بنصّ الآية الشّريفة فلاتكون الخشية الّا لشيعة علىّ (ع) تكويناً او تكليفاً، ومن قبل الولاية ودخل فى الطّريقة يدرك اقشعرار الجلد من تذكّر الولاية و مشاهدة ولىّ امره وقراءة القرآن [ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ] عطف على جلودهم [إِلىٰ ذِكْرِ اللّٰهِ] متعلّق بتلين بتضمين تسكن او قلوبهم مبتدء وخبره الى ذكر الله والجملة حال يعنى تسكن جلودهم عن الاقشعرار والحال انّ قلوبهم مائلة اوساكنة الى ذكر الله، وذكر الله هو الولاية او ولىّ الامر او الّذكر المأخوذ من ولىّ الامر او ملكوت ولىّ الامر او القرآن او المراد تذكّرهم لله اوذكر الله لهم الجنّة والنّار والثّواب والعقاب [ذٰلِكَ] الكتاب المفسّر بالولاية و ولىّ الامر والقرآن او ذلك الاقشعرار و لين الجلود او ذلك التّنزيل [هُدَى اللّٰهِ] حمل الهدى من قبيل حمل المصدر على الّذات على بعض الوجوه [يَهْدِى بِهِ مَنْ يَشٰاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللّٰهُ] اى من يخذله اومن لم يجده الله، من اضلّ الدّابّة بمعنى لم يجدها كما قيل [فَمٰا لَهُ مِنْ هٰادٍ اَفَمَنْ يَتَّقِى بِوَجْهِهِ] الّذى هو اشرف اعضائه و يجعل سائر اعضائه جنّة له فى كلّ حالٍ [سُوءَ الْعَذٰابِ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ] لشدّة العذاب بحيث لايقدر على تحريك اعضائه، اولكون اعضائه مغلولةً، اولدهشته

وحيرته بحيث لا يميّز بين الاشرف وغيرالاشرف ، والخبرمحذوف او الخبر والمعادل كلاهما محذوفان [وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ] وضع الظّاهرموضع المضمر اشارةالى ظلمهم وذمّهم بذلك وتلويحاً الى علّةالحكم وهوعطف على يتّقى والاختلاف بالمضىّ والمضارعةللاشارةالى استمرار العذاب والاتّقاء بخلاف هذاالقول كأنّه قال: افمن يتّقى بوجهه سوء العذاب ويتهكم به بهذاالقول خير ام من هوآمن؟ [ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ] اى نفس ماكنتم تعملون او جزاءه على ما مضى من تجسّم الاعمال وجزائها ايضاً بالجزاء المناسب لها [كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ] جوابٌ لسؤال مقدّرٍ كأنّه قيل: هل لهم نظير فى تكذيبهم؟ـفقال تعالى: كذب الّذين من قبلهم [فَأَتَيهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ فَأَذَاقَهُمُ اللهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيوٰةِ الدُّنْيَا] تفصيل لعذابهم الآتى يعنى اتاهم العذاب فاذاقهم الله ذلك العذاب بالمسخ اوالخسف اوالقتل اوالاجلاء اوالسّبى اوالنّهب اوالبلاياالواردةالا لٓهيّة فانّها ان كانت نعمة بالنّسبة الى المؤمنين كانت نقمةً بالنّسبة الى المنافقين والكافرين [وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ] فانّ عذاب الدّنيا وان كان اشدّ مايكون يكون جزءاً من سبعين جزءاً من عذاب الآخرة [لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ] لاجتنبوا او لفظة لو للتّمنّى [وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ] اى بعضاً من كلّ مثل يحتاج اليه النّاس فى معاشهم ومعادهم [لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ] احوالهم واحوال دنياهم وآخرتهم [قُرْآناً] حال موطّئة [عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ] غير ذى انحرافٍ عن الطّريق المستقيم الانسانىّ [لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ] الانحراف عن طريق الانسان [ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً] للكافر والمؤمن والمنافق والموافق حتّى يتذكّر المؤمن المخلص حاله ويشكر ربّه والكافر والمنافق فينزجرعنها ويتوب [رَجُلاً] بدل من مثلاً بتقدير مثل رجل [فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ] اى مختلفون متعاسرون [وَرَجُلاً سَلَماً لِرَجُلٍ] فانّ المتّبع للاهواء الّذى يتّبع غير ولىّ الامر ينبغى ان يرى فى نفسه تجاذب اهويته له الى ارادات عديدةٍ ومشتهياتٍ كثيرةٍ بحيث قد يتحيّر ويقف عن الكلّ ويبغض نفسه فى ذلك ، وما لم يتّبع هواه لم يتّبع رئيساً باطلاً والمتّبع لولىّ الامر الغير المتّبع لهواه يرى فى نفسه انّه مستريح الى ربّه لايجذبه ارادة وهوى الى غير ربّه ، وهذاالنّاظر اذا نظر الى حال المتّبع للاهواء يشكر ربّه لامحالة والمتّبع للاهواء ان تنبّه بحاله انزجر لامحالة وتاب منه لكن قلّ من يتنبّه لانغمارهم فى اهويتهم وسكرهم وغفلتهم وقد فسّر السّلم فى اخبارٍ عديدةٍ بعلىّ (ع) وشيعته والرّجل الّذى فيه شركاء بأعداء علىٍّ (ع) [هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً] حالاً او حكايةً [اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ] اظهار للشّكر على نعمة عدم الاستواء تعليماً للعباد [بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ] ليس لهم مقام علم، اولا يعلمون عدم الاستواء لطموح نظرهم على المتاع الفانى، اولا يعلمون احوالهم حتّى ينزّلوا هذا المثل على احوالهم فيتنبّهوا و ينزجروا [إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ] بشارة وتسلية له ولموافقى امّته وتهديدٌ لمخالفيه ومنافقى امّته [ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ] تسلية تامّة لعلىّ (ع) وشيعته ، و تهديد تامّ لمخالفيهم وقد فسّر المتخاصمون بعلىّ (ع) واعدائه .

[الجزء الرّابع والعشرون]

[فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللهِ] يعنى فلم يكن حينئذٍ اظلم منهم وهذا تهديدٌ آخر لهم وتسلية اخرى لعلىّ (ع)

وموافقيه، ووضع الظّاهر موضع المضمر للاشعار بوصف ذمّ لهم والاشارة الى الحكم وعلّته فانّ كلّ من ترأّس فى الدّين باىّ نحو من التّرأّس من القضاء والفتيا وامامة الجماعة والجمعة والوعظ والتّصرّف فى الاوقاف واموال الايتام والغيّاب واخذ البيعة من العباد وتلقين الذّكر وتعليم الاوراد من دون اذن واجازة من الله بتوسّط خلفائه فهو ممّن كذب على الله، وهكذا من اتّبع هذا المترأّس فانّه بحاله كذب على الله حيث اعتقد انّ هذا المترأّس رئيس من الله فى الدّين واتّبعه ولم يكن رئيساً من الله [وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ] الّذى هو ولايته التّكوينيّة حيث انّها تزجره عن هذا التّرأّس و ذلك الاتّباع و ولايته التّكليفيّة ان كان قد حصّل الولاية التّكليفيّة ووليّ امره ، فانّ هذا المتّبع مكذّب بالكلّ والكلّ صدق و صادق [إِذْ جٰاءَهُ] تكويناً او تكليفاً فى الباطن او فى الظّاهر بنفسه اوعلى لسان نبيّه اوعلى لسان قرينه [أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْكٰافِرِينَ] جوابُ سؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: ما حالهم فى الآخرة ؟ فقال : انّهم فى جهنّم [وَالَّذِي جٰاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ] وهو كلّ من قبل الولاية التّكليفيّة فانّه جاء بالولاية التّكوينيّة والولاية التّكليفيّة وصدّق بها فانّه ان لم يتّبع هواه يصدّق الولايتين فى احكامهما و يصدّق وليّ امره فى كلّ امرٍ ونهيٍ وقولٍ وفعلٍ وخلقٍ صدر منه [أُولٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ] يعنى من الظّلم وهو فى مقابل من اظلم ممّن كذب كما انّ قوله والّذى جاء بالصّدق فى مقابل كذب على الله (الى آخره) [لَهُمْ مٰا يَشٰاؤُنَ عِنْدَ رَبِّهِمْ] مقابل اليس فى جهنّم مثوى للكافرين [ذٰلِكَ جَزٰاءُ الْمُحْسِنِينَ] بسط ذكر الجزاء بالنّسبة الى المصدّقين دون المكذّبين تشريف لهم وتحقير لمقابليهم [لِيُكَفِّرَ اللّٰهُ عَنْهُمْ] علّة لحصر التّقوى فيهم وكون مايشاؤن لهم عند ربّهم يعنى لمّا كفّر الله و جزاهم باحسن اعمالهم صار لهم ذلك، اوغاية لماذكر يعنى انّ التّقوى و اعطاء ماشاؤا صار سبباً لتكفير سيّئاتهم [أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا] فكيف بغيره [وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كٰانُوا يَعْمَلُونَ] قد سبق انّ المقصود جزاءهم لجميع اعمالهم بجزاء احسن الاعمال وقد سبق وجهه وانّ كلّ عملٍ سيّئة كانت اوحسنة يحصل منه فعليّة ما للنّفس فان كانت الاعمال حسناتٍ يحصل منها فعليّة فى جهتها العقلانيّة و ان كانت سيّئاتٍ يحصل منها فعليّاتٌ فى جهتها الشّيطانيّة وكلّ فعليّةٍ تحصل فى جهتها الشّيطانيّة اذا تسلّط العقل واخذ الملك من الشّيطان صارت من سنخ الحسنات لصيرورة الفعليّات حينئذٍ كلّها سيّئاتها وحسناتها من جنود العقول فصارت السّيّئات حسناتٍ اذ لا معنى للحسنة الّا كون الفعليّة الحاصلة منها من جنود العقل وهذا معنى تبديل السّيّئات حسناتٍ و بهذا الاعتبار يجزى تمام السّيّئات جزاء احسن الاعمال فضلاً عن الحسنات [أَلَيْسَ اللّٰهُ بِكٰافٍ عَبْدَهُ] تسلية للرّسول (ص) عن تخويف قومه ايّاه او تخويفهم عليّاً (ع) اوعن تخويفهم ايّاه بان لايدعوا الامر فى علىّ (ع) والمراد بالعبد محمّد (ص) اوعلىّ (ع) [وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ] قيل: قالت قريش: انّا نخاف ان تخبلك آلهتنا لعيبك ايّاها، وقيل: يقولون لك: يامحمّد (ص) اعفنا من علىّ (ع) ويخوّفونك بانّهم يلحقون بالكفّار [وَمَنْ يُضْلِلِ اللّٰهُ] جملة حاليّة [فَمٰا لَهُ مِنْ هٰادٍ] يعنى انّهم اضلّهم الله ولست انت تهديهم اولا يهتدون الى مايتخيّلون من اللّحوق بالكفّار، اومن منع علىّ (ع) من الخلافة [وَمَنْ يَهْدِ اللّٰهُ فَمٰا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ] فلا تخف من آلهتهم ولا ممّا قالوا فى علىّ (ع) فانّ الله هداك وعليّاً (ع) [أَلَيْسَ اللّٰهُ بِعَزِيزٍ] غالبٍ لايغلب فى مراده حتّى تخاف منهم وممّا قالوا فى علىّ (ع) [ذِي انْتِقٰامٍ] فلا تحزن على تقلّبهم فى البلاد وتمتّعهم فى الايّام فانّا ننتقم منهم بل تقلّبهم وتمتّعهم باسر النّفس والخيال انتقامنا منهم [وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ] عطف على من يضلل الله و هو حالٌ فى مقام التّعليل [مَنْ خَلَقَ السَّمٰاوٰاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللّٰهُ] فكيف

يخوفّونك بالّذين من دونه [قُلْ] ردّاً عليهم فى تخويفهم [اَفَرَأَيْتُمْ ما تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ اِنْ اَرادَنِيَ اللهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كاشِفاتُ ضُرِّهِ اَوْ اَرادَنى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكاتُ رَحْمَتِهِ] والحال ان لاضرّ الا منه ولا رحمة الّا باذنه فكيف تخوفّوننى بها والخوف لايكون الّا بالاضرار اومنع النّفع و فى ايرادالضّمائر مؤنّثات توهين لآلهتهم سواءارىد بهاالاصنام والكواكب وامثالها اوالمترأسّين فى الدّين مقابل الرّؤساء الحقّة [قُلْ] لهم بنحو التّجرى ولا تخف [حَسْبِيَ اللهُ] ولا حاجة لى الى غيره فلتفعل آلهتكم بى ماقدروا [عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ] يعنى ينبغى ان يتوكّل عليه المتوكّلون لانّه لافاعل فى الوجود باقرار الكلّ الّا هو [قُلْ] لهم تهديداً لهم مقابل تهديدهم لك [يا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلى مَكانَتِكُمْ] اى على منزلتكم اوعلى مقدرتكم سواء جعل من كان اومن مكن [اِنّى عامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتيهِ عَذابٌ يُخْزيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذابٌ مُقيمٌ] قد مضى الآية بعينها فى اوائل سورة هود [اِنّا اَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ] جملة مستأنفة فى مقام التّعليل للامر بالقول يعنى انّا انزلنا عليك الكتاب [لِلنّاسِ بِالْحَقِّ] لاجل تهديدهم وترغيبهم فمالك لاتقول لهم فقل لهم ماانزلنا اليك ولاتبال سمعوا اولم يسمعوا [فَمَنِ اهْتَدى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَاِنَّما يَضِلُّ عَلَيْها وَما اَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكيلٍ] حتّى تراقب عدم ضلالهم و تحزن لضلالهم [اَللهُ يَتَوَفَّى الْاَنْفُسَ] كلام منقطع عن سابقه وقد مضى فى سورة النّساء وجه الجمع بين توفّى الله و توفّى ملائكته و رسله و توفّى ملك الموت [حينَ مَوْتِها وَالَّتى لَمْ تَمُتْ] عطف على الانفس من قبيل عطف العامّ على الخاصّ وقوله [فى مَنامِها] متعلّق بلم تمت يعنى انّ للانسان نفساً حيوانيّةً و نفساً عقلانيّةً والله يتوفّى جميع الانفس حين الموت و يتوفّى ايضاً حين الموت الانفس الحيوانيّة الّتى لم تكن تخرج من الابدان حين النّوم فانّ الّتى تخرج حين النّوم هى الانفس العقلانيّة و يشبه ان لايكون الله يقبضها حين الموت لتسفّلها وعدم الاعتناء بها بل تكون تفنى او تقبضها الملائكة ، او فى منامها متعلّق بيتوفّى الانفس و المعنى انّ الله يتوفّى الانفس ، و يتوفّى بان يقبضها حين نومها ومعنى قوله تعالى [فَيُمْسِكُ الَّتى قَضى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْاُخْرى] على الوجه الاوّل انّه يمسك الانفس الّتى قضى عليها الموت من الانفس المتوفّاة و يرسل الاخرى الّتى لم يتوفّها بالموت يعنى يبقيها فى ابدانها الى اجلها ، او يمسك الانفس العقلانيّه الّتى يتوفّيها بالنّوم و يرسل الانفس الحيوانيّة الّتى لم يتوفّها يعنى يبقيها فى ابدانها والمعنى على المعنى الثّانى انّه يمسك الانفس الّتى يتوفّيها بالموت و يرسل الاخرى الّتى توفّيها بالنّوم بان يرسلها بعد توفّيها الى ابدانها [اِلى اَجَلٍ مُسَمًّى] موقّت معلوم [اِنَّ فى ذلِكَ] التّوفّى والارسال حين الموت والنّوم [لَآياتٍ] عديدةً على مبدئيّته وعلمه و قدرته و كمال حكمته ، و بقاء عالم آخر غير هذا العالم وعود الانفس الى ذلك العالم ، و كون الانسان ذامراتب وانّ بعض مراتبه حكمها حكم الطّبع ، و بعض مراتبه حكمها حكم العقل المجرّد وانّه يمكن ان يشاهد ما فى العالم الباقى كما انّه يشاهد ما فى هذا العالم وغير ذلك [لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ] باستعمال المفكّرة باستخدام العقل فى استنباط المعانى الدّقيقة والنّتائج الخفيّة من المقدّمات الجليّة وغيرهم و ان كانوا ذوى شعور وعلم وذوى عقول والباب وذوى تذكّر و تنبّه لاينتقلون الى آياته من مشهوداته [اَمِ اتَّخَذُوا] ام منقطعة متضمّنة للاستفهام اومجرّدة عنه ، اومتّصلة محذوف معادلها والتّقدير اتّخذوا من دون الله آلهة يعبدونها ام اتّخذوا [مِنْ دُونِ اللهِ شُفَعاءَ قُلْ] لهم اتتّخذونهم آلهةً اوشفعاء [اَوَلَوْ كانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئاً] ممّا يملك

[وَلَا يَعْقِلُونَ] بمنزلة بل لا يعقلون [قُلْ لِلّٰهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا] فمالكم تجعلون غيره شفيعاً عنده، او المعنى بل اتّخذوا من دون علىّ (ع) الّذى هو مظهر تامّ للّه و بهذه المظهريّة يطلق اسم اللّه عليه شفعاء قل لهم اتّخذونهم شفعاء وائمّة لكم ولو كانوا لا يملكون شيئاً ممّا يملك حتّى نفوسهم و قوى نفوسهم الّتى تكون مملوكة لكلّ ذى نفسٍ ولا يعقلون خير انفسهم وشرّها الانسانيّين فكيف بغيرهم قل لهم ايّتها العصابة الّذين تطلبون شفعاء عند اللّه لعلىّ (ع) الشّفاعة جميعاً يعنى بجميع مراتب الشّفاعة وجزئيّاتها ليس لاحدٍ شيءٌ منها فمالكم تنصرفون عن علىٍّ (ع) الى غيره [لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ] فى مقام التّعليل [ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ] يعنى انّ الشّفاعة فى الدّنيا مختصّة به لانّ له ملك السّماوات والارض، والشّفاعة فى الآخرة مختصّة به لانّ الكلّ يرجعون اليه لا الى غيره [وَإِذَا ذُكِرَ اللّٰهُ وَحْدَهُ] بمنزلة الاستدراك كأنّ متوهّماً توهّم انّه لا ينبغى ان يتوجّه احد مع ذلك الى غير اللّه فقال ولكن اذا ذكر اللّه وحده [اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ] لانّهم ادبروا عن اللّه واقبلوا على اهويتهم والمدبر عن الشّيء مشمئزّ عنه وعن ذكره، والمقبل على الشّيء مستبشرٌ به و بذكره [وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ] كالاصنام والطّواغيت ومعاندى علىٍّ (ع)، وعن الصّادق (ع) انّه سئل عنها فقال: اذا ذكر اللّه وحده بطاعة من امر اللّه بطاعته من آل محمّد (ص) اشمأزّت قلوب الّذين لا يؤمنون بالآخرة، واذا ذكر الّذين لم يأمر اللّه بطاعتهم [إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ قُلِ] معرضاً عنهم مقبلاً على ربّك [اللّٰهُمَّ فَاطِرَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ] يعنى توجّه الى ربّك واذكره بما فيه تسليتك عن عدم اجابة قومك وعن خلافهم من كونه خالق كلّ ما سواه وعالم كلّ المعلومات ومنها عناد قومك معك و خلافهم لك وحصر الحكم بين العباد فيه [وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا] عطف على اللّهمّ ومن جملة ما أمره اللّه تعالى ان يقول تسليةً لنفسه، اوعطف على جملة اذا ذكر اللّه، اوحال من احد اجزائها، اوحال من اجزاء قل اللّهمّ (الى آخر الآية) ولفظة لو للشّرط فى الاستقبال اوللشّرط فى الماضى لانتفاء الثّانى لانتفاء الاوّل بادّعاء مضىّ يوم القيامة لتحقّق وقوعه، والمراد بالظّلم ظلم آل محمّدٍ (ص) لعدم ارادة مطلق الظّلم لانّ اكثر اصنافه مغفور فليخصّص بما هو المعهود من ظلم آل محمّد (ص) [مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ] وهذا تهديدٌ بليغ لهم [وَبَدَا لَهُمْ] عطف على افتدوا اوحال [مِنَ اللّٰهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ] اى العمل الّذى كانوا به يستهزؤن، او العذاب الّذى كانوا به يستهزؤن [فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ] اى اذا مسّهم و وضع الظّاهر موضع المضمر اشعاراً بانّ هذا فى فطرة الانسان، و الفاء لسببيّة ما بعدها لما قبلها، اوعاطفة على جملة اذا ذكر اللّه (الى آخرها)، اوعلى جملة لو انّ للّذين ظلموا (الى آخرها) ودالّة على التّرتيب فى الاخبار [ضُرٌّ دَعَانَا] لظهور فطرته حينئذٍ وعدم احتجابها بحجب الوهم والخيال واقتضائها التّعلّق باللّه والتّضرّع اليه [ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا] وظهر الخيال بانانيّته ونسى حال تضرّعه ودعائه [قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ] منّى بطرق كسبه اوعلى علمٍ باتيانه لانّى علمت انّ اللّه يعطينى ذلك لمكانى عنده [بَلْ] ليس اتيانه بكسبه ولا بشعورٍ منه باتيانه انّما [هِيَ فِتْنَةٌ] من اللّه وفسادٌ له او امتحان له لئلّا يبقى عليه شوبٌ من العلّيّين حتّى يدخل النّار من غير شوبٍ من العلّيّين [وَلٰكِنَّ

اَكْثَرَهُمْ لاٰ يَعْلَمُونَ] ليس لهم مقام علم حتّى يعلموا انّ ذلك بنا فى مقام علمهم اولا يعلمون انّ ذلك فتنة لهم واستدراج [قَدْ قٰالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ] كقارون حيث قال: انّما اوتيته على علم [فَمٰا اَغْنىٰ] عذاب الله [عَنْهُمْ مٰا كٰانُوا يَكْسِبُونَ] من الاموال والقوى والاولاد و الخدم والحشم [فَأَصٰابَهُمْ] عطف عطف التّفصيل على الاجمال [سَيِّئٰاتُ مٰا كَسَبُوا] بأنفسها على تجسّم الاعمال اوجزاء تلك السّيّئات [وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هٰؤُلاٰءِ] اى ظلموا آل محمّد(ص) اوظلموا ولايتهم التّكوينيّة الّتى هى ولاية آل محمّد(ص) بعدم ضمّها الى الولاية التّكليفيّة فانّ الظّلم ليس مراداً مطلقاً فيكون المراد هو الفرد المعهود منه [سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئٰاتُ مٰا كَسَبُوا وَمٰا هُمْ بِمُعْجِزِينَ اَوَلَمْ يَعْلَمُوا] استفهام توبيخىّ يعنى لولا يعلمون ذلك مع وضوح برهانه وظهور آثاره [اَنَّ اللّٰهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشٰاءُ وَيَقْدِرُ اِنَّ فِى ذٰلِكَ] اى فى بسط الرّزق لبعض من دون مداخلة كسبه و تدبيره فى ذلك وقدره لبعض مع كمال سعيه وتدبيره [لَآيٰاتٍ] عديدة دالّة على علمه تعالى و قدرته وحكمته و مراقبته لعباده [لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ] يذعنون بالله وصفاته، او يسلمون بالبيعة العامّة، او يؤمنون بالبيعة الخاصّة الولويّة [قُلْ يٰا عِبٰادِىَ] قد مضى انّ الخطاب للعباد من محمّد(ص) بياعبادى فى محلّه فانّ عباد الله كما انّهم عباد لله عبد عبوديّة عباد لمظاهره عبد طاعة، على انّ حكم الظّاهر قد ينسب الى المظهر اذا انسلخ المظهر من انانيّته وظهر فيه انانيّة الظّاهر كما انّ حكم المظهر قد ينسب الى الظّاهر ويشهد لذلك **قوله تعالى**: فلم تقتلوهم ولكنّ الله قتلهم، وما رميت اذرميت ولكنّ الله رمى **وقوله** قاتلوهم يعذّبهم الله بأيديكم **و قوله** انّ الله اشترى من المؤمنين **و قوله** انّ الّذين يبايعونك انّما يبايعون الله **و قوله** الم يعلموا انّ الله هو يقبل التّوبة عن عباده و يأخذ الصّدقات فانّ الاشتراء والبيعة وقبول التّوبة واخذ الصّدقات ليست الّا بتوسّط المظاهر والخلفاء [اَلَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلىٰ اَنْفُسِهِمْ] بالافراط فى حقوقها الدّنيويّة والتّفريط فى حقوقها الاخرويّة [لاٰ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللّٰهِ اِنَّ اللّٰهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا] وهذا لمن كان له سمة العبوديّة بالنّسبة الى مظاهره وخلفائه ولايكون سمة العبوديّة الّا لمن باع معهم البيعة العامّة اوالبيعة الخاصّة، بل نقول: لايكون سمة العبوديّة الّا لمن باع البيعة الخاصّة فانّ الايمان الّذى هو سمة العبوديّة لا يدخل فى القلب الّا بالبيعة الخاصّة، وامّا المسلمون فدخولهم فى الاسلام ليس الّا كدخول من دخل تحت حكم السّلاطين الصّوريّة ولذلك لايكون الاجر والثّواب الّا على الايمان دون الاسلام، اونقول هو عامّ لكلّ من لم ينسلخ من عبودية الله تكويناً سواء صار عبداً له تكليفاً اولم يصر، وانسلاخه من عبوديّته التّكوينيّة لايكون الّا بالتّمكّن فى اتّباع الهوى والشّيطان فانّ المتمكّن فى اتّباعهما لايغفر له لانّه الشّرك الّذى قال الله انّ الله لا يغفر ان يشرك به و يغفر ما دون ذلك فالمراد بالذّنوب ههنا غير الشّرك الّذى لايغفره الله، وغير المتمكّن فى اتّباع الشّيطان هو الباقى على ولاية آل محمّد(ص) تكويناً وان لم يبايع بالولاية معهم تكليفاً فلا منافاة بين هذا التّعميم، وماورد فى الاخبار من اختصاص الآية بشيعة آل محمّد(ص) فانّه قال القمّىّ: نزلت فى شيعة علىّ بن ابى طالب(ع) خاصّةً، وعن الصّادق(ع) لقد ذكركم الله فى كتابه اذيقول: ياعبادى (الآية) قال(ع): والله ما اراد بهذا غيركم، وعن الباقر(ع): وفى شيعة ولد فاطمة(ع) انزل الله عزّوجلّ هذه الآية خاصّةً، وعن الصّادق(ع): ماعلى ملّة ابراهيم(ع) غيركم، وما يقبل الّا منكم، ولايغفر الذّنوب الّا لكم، وعن اميرالمؤمنين(ع): مافى القرآن آيةٌ اوسع من ياعبادى الّذين اسرفوا (الآية)، وعن النّبىّ(ص): مااحبّ انّ لى الدّنيا وما فيها بهذه الآية، واذا جمع ما ورد فى شيعة علىّ(ع) مع هذه الآية علم ان ليس المراد بعبادى الّا شيعته، مثل:

حبّ علیّ (ع) حسنة لا یضرّ معها سیّئة ومثل: دینکم دینکم فانّ السّیّئة فیه مغفورة، والحسنة فی غیره غیرمقبولة، ومثل: اذا عرفت فاعمل ما شئت من قلیل الخیر وکثیره، ومثل: ولیّ علیّ (ع) لا یأکل الّا الحلال، ومثل: انّ الله عزّ وجلّ فرض علی خلقه خمساً فرخّص فی اربع ولم یرخّص فی واحدة، وغیرذلک ممّا یدلّ علی انّ الرّجل ان وصل الی الاحتضار بالولایة غفرالله له جمیع ذنوبه [اِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِیمُ وَأَنِیبُوا اِلٰی رَبِّکُمْ] المضاف الّذی هو علیّ بن ابی طالب (ع) وولیّ امرکم، والانابة الیه بعد البیعة لیست الّا بالحضور لدیه بمعرفته بالنّورانیّة الّذی هو الحضور عندالله والمعرفة بالله [وَأَسْلِمُوا لَهُ] ای انقادوا له بالخروج من جمیع نیّاتکم وقصودکم ولیس الّا بالحضور عنده [مِنْ قَبْلِ اَنْ یَأْتِیَکُمُ الْعَذٰابُ] ای عذاب الاحتضار اوعذاب القیامة [ثُمَّ لاٰتُنْصَرُونَ] اذا لم تکونوا تسلمون له [وَاتَّبِعُوا اَحْسَنَ مٰا اُنْزِلَ اِلَیْکُمْ] قد سبق بیان اتّباع احسن القول فی اوائل هذه السّورة، وقد مضی انّ احسن القول هوالولایة [مِنْ رَبِّکُمْ] ولاشکّ انّ احسن ماانزل الی العباد من ربّ العباد من جملة ارکان الاسلام واحکامه الولایة فانّها اسناها وازکاها وانماها واشرفها والدّلیل علیها، واحسن ماانزل الیهم من جملة قواهم وفعلیّاتهم هوالولایة التّکوینیّة الّتی هی حبل الله، والولایة التّکلیفیّة الّتی هی حبل النّاس، وهی الایمان الدّاخل فی القلب، وهی الفعلیّة الاخیرة الّتی بها شیئیّته وهی ما یصحّح نسبة البنوّة والابوّة بینه و بین ولیّ امره، و نسبة الاخوّة بینه و بین سائر المؤمنین [مِنْ قَبْلِ اَنْ یَأْتِیَکُمُ الْعَذٰابُ] عذاب حال الاحتضار اوالقیامة [بَغْتَةً وَاَنْتُمْ لاٰتَشْعُرُونَ] بمجیئه حتّی تتهیّؤا لدفعه او لوروده لیکون ایسر ایلاماً [اَنْ تَقُولَ] امرنااوقلناذلک کراهة ان تقول، اولئلّا تقول، اوهو بدل من ان یأتیکم العذاب نحوبدل الاشتمال ای اتّبعوا احسن ما انزل الیکم من قبل ان تقول [نَفْسٌ] ارادة العموم البدلیّ اوالاجتماعی من النّفس ههنا بعیدة لفظاً ومعنیً، وارادة فرد ما لا علی التّعیین مفید معنیً و قریب لفظاً لکن ملاحظة التّحقیر من التّنکیر وهی المنظور منه [یٰاحَسْرَتٰی عَلٰی مٰافَرَّطْتُ فِی جَنْبِ اللهِ] ای فی علیّ (ع) اوفی ولایته کما ورد اخبار کثیرة فی انّ المراد بجنب الله علیّ (ع)، او هووالائمّة من بعده، اوولایته، فعن الباقر (ع) اشدّ النّاس حسرة یوم القیامة الّذین وصفوا عدلاً ثمّ خالفوه وهوقوله عزّوجلّ: ان تقول نفس (الآیة)، وعن الکاظم (ع) جنب الله امیر المؤمنین (ع)، وعن الباقر (ع): نحن جنب الله، وعنه (ع) وعن السّجّاد (ع) والصّادق (ع)، جنب الله علیّ (ع) وهوحجّة الله علی الخلق یوم القیامة، وعن الرّضا (ع) فی هذه الآیة انّه قال: فی ولایة علیّ (ع)، وعن علیّ (ع): اناجنب الله، والاخبار فی هذاالمعنی کثیرة [وَاِنْ کُنْتُ لَمِنَ السّٰاخِرِینَ] لجنب الله [اَوْتَقُولَ لَوْاَنَّ اللهَ هَدٰانِی لَکُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِینَ اَوْ تَقُولَ حِینَ تَرَی الْعَذٰابَ لَوْ اَنَّ لِی کَرَّةً فَأَکُونَ مِنَ الْمُحْسِنِینَ] ولفظة او للدّلالة علی انّها قد تقول هذا وقد تقول ذلک لغایة تحیّره ووحشته [بَلٰی] جواب للنّفی المستفاد من قولها: لو انّ الله هدانی واثبات لمانفت وردّ علیها کأنّه قیل: مایقال لها حین تقول ذلک؟ فقال تعالی: یقول الله بلی ردّاً علی قولها ما هدانی الله [قَدْجٰاءَتْکَ] قرئ بتذکیر ضمیر الخطاب اعتباراً للمعنی وقرئ بتأنیثه [اٰیٰاتِی] نقل انّ المراد بالآیات الائمّة وعلی ماذکرنامن اشارات الاخبار جاز ان تفسّر الآیات بعلیّ (ع) والائمّة (ع) من بعده [فَکَذَّبْتَ بِهٰا وَاسْتَکْبَرْتَ] عن الانقیاد لها [وَکُنْتَ مِنَ الْکٰافِرِینَ] بالله بکفرک بالآیات من حیث انّها آیات لانّها مظاهر لله و بکفرک بالولایة فانّ الایمان بالله لایحصل الّا بالایمان بالولایة، و بکفرک بنعم الله فانّ الولایة من اعظم نعم الله علی خلقه، والکافر بها کافر باعظم النّعم بل بجمیع النّعم لانّ النّعمة لیست نعمة الّا بالولایة [وَیَوْمَ الْقِیٰمَةِ تَرَی الَّذِینَ کَذَبُوا عَلَی اللهِ]

بادّعاء منصب دينيّ ليس باذن من الله وخلفائه كادّعاء الامامة والخلافة من الرّسول، وادّعاء القضاء والفتيا، وادّعاء الامر بالمعروف والنّهى عن المنكر، وادّعاء الوعظ والامامة للجمعة والجماعة، والتّصرّف فى الاوقاف واموال الايتام والغيّاب، واجراء الحدود والتّعزيرات، واخذ الفيء والانفال والصّدقات؛ وغير ذلك من المناصب الدّينيّة المحتاجة الى الاذن والاجازة من الله عموماً اوخصوصاً، و روى بطرق عديدة انّ المراد: من ادّعى انّه امام وليس بامام، قيل: وان كان علويّاً فاطميّاً؟- قال: وان كان علويّاً فاطميّاً [وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ اَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْمُتَكَبِّرِينَ] جوابُ سؤال مقدّر كأنّه قيل: ما حالهم ومقامهم؟ فقال: حالهم انّهم فى جهنّم لكنّه اداه بصورة الاستفهام تأكيداً لهذا المعنى [وَيُنَجِّي اللهُ] عطف على قوله تعالى اليس فى جهنّم فانّه فى معنى يكون فى جهنّم مثوىً للكافرين و ينجّى الله [الَّذِينَ اتَّقَوْا] قد مضى فى اوّل البقرة بيان التّقوى وتفاصيلها [بِمَفَازَتِهِمْ] بنجاتهم يعنى باستعدادهم للنّجاة او فى محلّ نجاتهم والمفازة المنجاة والمهلكة ضدّ و الفلاة الّتى لاماء بها [لاَ يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ اَللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ] جوابُ سؤال مقدّر فى مقام التّعليل اومنقطع عن سابقه لفظاً ومعنىً [وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ] بالحفظ و الابقاء على ما هو خير له [لَهُ مَقَالِيدُ السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضِ] يعنى مفاتيحها و مقاليدها عبارة عن الوجود الّذى به قوامها و بقاؤها، واذا كان ذلك الوجود مملوكاً له لم يكن لها شيء لايكون مملوكاً له فهو مالكٌ لها بتمام اجزائها لا انانيّة لها فى انفسها، والجملة فى مقام التّعليل [وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ] اى بعليّ (ع) و ولايته [اُولٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ] لاخسران سوى الكفر به لانّ من كفر بالله اذا لم يبطل استعداده الفطريّ يمكن له التّوبة والرّجوع وكذا حال من كفر بالرّسول واليوم الآخر، وامّا من كفر بالولاية بان قطع الولاية التّكليفيّة والولاية التّكوينيّة لايبق له استعداد التّوبة وهو المرتدّ الفطريّ الّذى لاتوبة له وليس له الّا القتل بخلاف غيره من الكفّار ولذلك ادّعى حصر الخسران فيه [قُلْ اَفَغَيْرَ اللهِ تَأْمُرُونِّي اَعْبُدُ اَيُّهَا الْجَاهِلُونَ] غير الله مفعول اعبد و تأمرونّى معترض بينهما، و مفعوله محذوف اى تأمرونّى بعبادته، او غير الله مفعول تأمرونّى واعبد بدل منه بتقدير ان بدل الاشتمال، وقرىء تأمرونّى بالاوجه الثّلاثة (الحذف والادغام والفكّ) الجائزة فى نون الوقاية مع نون الجمع [وَلَقَدْ اُوحِيَ اِلَيْكَ] ابتداء كلام من الله ردّاً عليهم فى قولهم لمحمّد (ص) استسلم بعض آلهتنا نؤمن بالهتك كما انّ قوله: قل اغير الله تأمرونّى كان ردّاً عليهم فى قولهم ذلك [وَاِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ] يعنى هذا الوحى كان مستمرّاً من اوّل زمن النّبوّة ولم يكن له اختصاص بنبيّ دون نبيّ و وقت دون وقت لانّ البعثة لم تكن الّا لنفى الشّرك خصوصاً اذا كان المراد بالشّرك الشّرك فى الولاية لانّها كانت مبدء للبعثة وغايةً لها [لَئِنْ اَشْرَكْتَ] بالله فى العبادة او لئن اشركت بعليّ (ع) والولاية [لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ] تعريض بالامّة و باشراكهم بالولاية لكنّه خاطب النّبيّ (ص) بهذا الخطاب مبالغةً فى تهديد الامّة ودلالةً على انّه (ص) مع كمال عظمته ومقام نبوّته لو اشرك حبط عمله فكيف بغيره ممّن لامقام له [بَلِ اللهَ فَاعْبُدْ] تقديم الله للاشارة الى الحصر [وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ] لنعمة العبادة وحصرها فيه: عن القمّيّ فى تفسير الآية: هذه مخاطبة للنّبيّ (ص) والمعنى لامّته والدّليل على ذلك قوله تعالى: بل الله فاعبد و كن من الشّاكرين وقد علم انّ نبيّه (ص) يعبده و يشكره لكن استعبد نبيّه بالدّعاء اليه تأديباً لامّته، وسئل الباقر (ع) عن هذه الآية فقال: تفسيرها لئن امرت بولاية احد مع ولاية عليّ (ع) من بعدك ليحبطنّ عملك ولتكوننّ من الخاسرين، وعن الصّادق (ع): ان اشركت فى الولاية غيره قال

بل الله فاعبد بالطّاعة وكن من الشّاكرين ان عضّدتك بأخيك و ابن عمك ، والغرض من نقل امثال هذه الاخبار ان تعلم انّه كلّما ذكر اشراكٌ وتوحيدٌ كان المراد الاشراك بالولاية والتّوحيد لها سواء اريد من ظاهره غيره او اريد بظاهره ايضاً ذلك فقوله تعالى بل الله فاعبد كان معناه بل علياً (ع) فتول ، لانّه مظهر الله و لانّ عبادة الله لاتتيسّر الّا بالولاية وكن من الشّاكرين على نعمة الولاية وكان معنى قوله تعالى [وَمٰا قَدَرُوا اللّٰهَ حَقَّ قَدْرِهِ] ما قدروا علياً (ع) اوما قدروا الولاية حقّ قدره ، ولمّا كان المقصود التّعريض بالامّة عطف بيان حالهم على اشراكه كأنّه قال: لكن ما قدروا الله حقّ قدره لانّه كما لا يمكن قدر الذّات الاحديّة لاحدٍ من مخلوقه لايمكن قدر الولاية حقّ قدرها لاحدٍ سوى صاحب الولاية المطلقة ، وقال القمىّ: نزلت فى الخوارج ، والسّرّ فى انّهم لايقدرون الله قدره انّهم محدودون بحدودٍ لا فرق فى ذلك بين الانبياء (ص) والاوصياء (ع) الجزئيّين و بين سائر الخلق غاية الامر انّ الانبياء (ع) قد خرجوا من بعض الحدود البشريّة والانسانيّة وغيرهم ماخرجوا والذّات الاحديّة وكذلك المشيّة الّتى يعبّر عنها بالولاية الّتى هى علويّة علىّ (ع) مطلقة من الحدود ، والمحدود لا يقدر على ادراك المطلق فلا يقدر قدره لانّ قدر القدر مسبوق بادراكه ، و امّا النّبىّ الخاتم (ص) والولىّ الخاتم (ع) فيقدران قدر الولاية ولا يقدران قدر الله ، والله تعالى شأنه هو الّذى يقدر قدر الكلّ [وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ] القبضة المرّة من القبض وفيه تفخيم لعظمته من حيث انّ الارض بعظمتها كانت قبضة واحدة له والمراد بالارض كما مرّ مراراً اعمّ من عالم المثال السّفلىّ وعالم المثال العلوىّ وعالم الطّبع بجميع سماواته وارضيه [يَوْمَ الْقِيٰمَةِ وَالسَّمٰوٰاتُ مَطْوِيّٰاتٌ بِيَمِينِهِ] اطلاق القبضة فى الارض عن اليمين وعن الطّىّ و استعمال الطّىّ فى السّماوات و تقييده باليمين للاشارة الى حقارة الارض بالنّسبة الى السّماوات و رفعة السّماوات و عظمتها وشرافتها بالنّسبة الى الارض يعنى انّ له تعالى تلك العظمة ومع ذلك يشركون به جماداً منحوتاً لهم اومخلوقاً ضعيفاً له [سُبْحٰانَهُ وَتَعٰالىٰ عَمّٰا يُشْرِكُونَ] من الاصنام و الكواكب و انواع المخلوقات من العناصر و مواليدها وعمّا يشركون به فى الولاية وعمّا يشركون به فى العبادة من الاغراض والاهوية [وَنُفِخَ فِي الصُّورِ] الاتيان بالماضى للاشارة الى تحقّقه ، اولانّ القضيّة قد مضت بالنّسبة الى النّبىّ المخاطب له اوصارت القضيّة واقعةً حين الخطاب بالنّسبة اليه [فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمٰوٰاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ] تقديم من فى السّماوات لشرافتهم و الّا فمن فى الارض يصعق اوّلاً فانّ المراد النّفخة الاولى و بها يصعق من فى الارض اوّلاً ثمّ من فى السّماء [إِلّٰا مَنْ شٰاءَ اللّٰهُ] فى خبرٍ من شاء الله ان لايصعق جبرئيل و ميكائيل واسرافيل وملك الموت ، وفى خبرٍ: هم الشّهداء متقلّدون اسيافهم حول العرش [ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ] نفخة [أُخْرىٰ] وهى نفخة الاحياء [فَإِذٰا هُمْ قِيٰامٌ يَنْظُرُونَ] قد مضى فى سورة النّمل بيان الآمنين يوم القيامة وحين النّفخة الاولى اوالثّانية ، و بيّنا فى سورة النّور معانى الصّور و وجوه قراءتها وكيفيّة النّفخ فيها وكيفيّة الاماتة والاحياء بها [وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهٰا] .

تحقيق تبديل الارض واشراقها بنور ربّها

اعلم ، انّ نسبة الامام الى الارض والارضيّين مثل نسبة الرّوح الى البدن وقواه ، وكما انّ نور الرّوح لا يظهر الّا فى القوى المدركة دون سائر آلات البدن لكونها منغمرة فى ظلمة المادّة كذلك نور الامام فى الدّنيا لايظهر الّا فى الكمّل من شيعتهم ، وامّا غيرهم من العناصر ومواليدها انساناً كانت او حيواناً او نباتاً وجماداً فلايظهر نور الامام فيها لانغمارها فى ظلمات المادّة و عوارضها فاذا انقضى الدّنيا و انقضى البرازخ الّتى هى معدودة من الدّنيا بوجهٍ وانتهى الانسان الى الاعراف اوالى عالم المثال النّورىّ العلوىّ صارت الارض مبدّلةً والمادّة ولوازمها مطروحةً وصارت تلك الارض مستشرقةً بنور الامام (ع)

كما انّ هذه الارض مستشرقة بنور الشّمس، واذا تبدّل ارض العالم الصّغير وصارت ارض الملكوت غالبة على ارض الملك استشرقت ارض البدن بنور ملكوت الامام بل ارض العالم الكبير تصير مشرقةً بنور ملكوته ويصير الانسان مستغنياً بنور الامام عن نور الشّمس كما قال المولوىّ قدّس سرّه عن الشّيخ المغربىّ :

گفت عبدالله شيخ مغربى	شصت سال از شب نديدم من شبى
من نديدم ظلمتى در شصت سال	نى بروز و نى بشب از اعتدال

و لمّا كان الانسان انموذجاً من العالم كان اذا تولّد بالولادة الثّانية وظهر عليه ملكوت امامه ظهر عليه كيفيّة اشراق الارض بنور ربّها، قال الصّادق(ع) : ربّ الارض امام الارض ، قيل: فاذا خرج يكون ماذا ؟ـ قال: اذاً يستغنى النّاس عن ضوء الشّمس ونور القمر ويجتزؤن بنور الامام، وعنه(ع) : اذا قام قائمنا اشرقت الارض بنور ربّها واستغنى العباد عن ضوء الشّمس وذهبت الظّلمة، وكلّ ذلك فى العالم الصّغير اشارة الى التّولّد الثّانى وظهور ملكوت الامام [وَوُضِعَ الْكِتابُ] قد مضى فى سورة الكهف بيان وضع الكتاب [وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ] الّذين هم رسل الله الى الخلق ليسئلوا عن اجابة الخلق لهم وطاعتهم وانقيادهم لله [وَالشُّهَداءِ] اى خلفاء الرّسل(ع) فى دعوة الخلق الّذين يشهدون بافعالهم واحوالهم واخلاقهم واقوالهم على النّاس بعد الانبياء (ع) [وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ] بين العباد او بين النّبيّين و الشّهداء وبين الخلق [بِالْحَقِّ] بحيث لا يشوب القضاء باطل اصلاً [وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ] قد سبق معنى توفية كلّ نفس ما عملت فى سورة آل عمران [وَهُوَ أَعْلَمُ بِما يَفْعَلُونَ] حال يعنى انّ الاتيان بالنّبيّين والشّهداء ليس لجهل الله بهم و بافعالهم [وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا] بالولاية بقطعها تكليفاً وتكويناً حتّى يموتوا وهم كافرون [إِلى جَهَنَّمَ زُمَراً] جمع الزّمرة الفوج والجماعة فى تفرقة ، ولمّا كان اهل الجحيم بحسب اختلاف احوالهم متفرّقين بالسّبق وعدمه وشدّة العذاب وخفّته استعمل الزّمر فيهم [حَتَّى إِذا جاؤُها فُتِحَتْ أَبْوابُها] جعل فتحت ههنا جواباً لاذا اشارةً الى انّ ابواب الجحيم مغلقة قبل الوصول اليها فاذا وصلوا اليها تفتح لهم بخلاف ابواب الجنان فانّها مفتوحة على الخلق قبل اتيانهم اليها، ووجهه انّ الانسان بعد خلق آدم من التّراب المجموع من السّماوات والارضين والسّجّين والعلّيّين فى ارض بدنه يؤوى آدمه فى الجنّة الدّنيا فيكون آدمه فى الجنّة من اوّل خلقته فأبواب الجنّة من اوّل خلقته مفتوحة عليه وهو داخل فيها وليس يخرج منها الّا بعصيانه ، وامّا ابواب الجحيم فهى مغلقة لانّ الجحيم و ابوابها ضدّ لفطرة آدم فهى مغلقة عليه الّا اذا خرج من الجنان وسيق الى النّيران فاذا سيق الى النّيران تفتح ابوابها عليه ولذلك لم ينسب الله تعالى فى شيء من الآيات الدّخول الى ابواب الجنان ونسب الدّخول فى كثير من الآيات الى ابواب الجحيم [وَقالَ لَهُمْ خَزَنَتُها أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آياتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هذا قالُوا بَلى وَلكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذابِ عَلَى الْكافِرِينَ] كأنّهم قالوا: لكنّا كنّا كافرين وحقّت كلمة العذاب علينا لكفرنا فلم نتنبّه بتنبيههم [قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوابَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها] فى جهنّم [فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ] قد مضى بيان التّقوى ومعانيها ومراتبها فى اوّل البقرة وفى اواسطها وفى غيرها [إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً] جماعات مختلفين بحسب الحال والمراكب والمراتب والمنازل [حَتَّى إِذا جاؤُها وَفُتِحَتْ أَبْوابُها] جواب اذا محذوف اى دخلوها، اوكان لهم من الكرامة ما لا يمكن وصفها وقد ذكرنا فى قرينه وجه اسقاط الواو هناك والاتيان بها ههنا ، وقيل : الاتيان بالواو ههنا لكون ابواب الجنان ثمانيةً

وابواب الجحيم سبعةٌ، والعرب يأتي بالواو في الثّمانية و تسمّيها واوالثّمانية [وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ] تهنئة لهم مقابل التّهكّم بالكفّار [فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ] عن الصّادق (ع) عن ابيه (ع) عن جدّه (ع) عن عليّ (ع) قال: انّ للجنّة ثمانية ابواب، بابٌ يدخل منه النّبيّون (ع) والصّدّيقون، و بابٌ يدخل منه الشّهداء والصّالحون، وخمسة ابواب يدخل منها شيعتنا ومحبّونا ، فلاازال واقفاً على الصّراط ادعوواقول: ربّ سلّم شيعتي ومحبّي وانصاري واوليائي ومن تولّاني في دارالدّنيا، فاذاالنّداء من بُطنان العرش؛ قداجبت دعوتك وشفّعت في شيعتك، و يشفع كلّ رجلٍ من شيعتي ومن تولّاني ونصرني وحارب من حاربني بفعلٍ اوقولٍ في سبعين الفاً من جيرانه واقربائه ، و بابٌ يدخل منه سائرالمسلمين ممّن يشهد ان لا آله الّا الله ولم يكن في قلبه مثقال ذرّة من بغضنا اهل البيت [وَقَالُوا] بعد مشاهدة الجنّة و نعيمها وسعتها و منازلهم فيها وانعام الله عليهم بانواع نعمه [الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ] اى ارض الجنّة او ارض الدّنيا او ارض الآخرة لانّ الكامل في الجنّة يكون له التّصرّف في جميع اجزاء الدّنيا [نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ] الخطاب لمحمّدٍ (ص) او عامّ والمعنى يقال حينئذٍ لكلّ راءٍ : ترى الملائكة، وان كان الخطاب لمحمّدٍ (ص) فالعدول الى المضارع للاشعار بانّ حاله في الحال انّه يرى الملائكة [حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ] قد مضى في اوّل سورة الفاتحة وجه تقييد التّسبيح بالحمد وانّ تسبيحه تعالى ليس الّا بحمده كما انّ حمده ليس الّا بتسبيحه وقد مضى في سورة البقرة في اوّلها وجه الفرق بين التّسبيح والتّقديس و بيان معنى التّسبيح والتّقديس عند قوله تعالى: و نحن نسبّح بحمدك و نقدّس لك [وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ] بين الملائكة بان جعل كلّ في مقامه اللّائق به وحكم على كلّ بالعبادة اللّائقة به، او بين الخلائق ويكون تأكيداً لسابقه، واشعاراً برؤية محمّدٍ (ص) ذلك [بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ] اتى بالفعل مبنيّاً للمفعول تلويحاً الى انّ هذا القول يجرى على كلّ لسانٍ من غير اختصاصٍ بقائلٍ خاصٍّ [رَبِّ الْعَالَمِينَ] فانّه يظهر حينئذٍ لكلّ احدانّه تعالى ربّ جميع اجزاء كلّ العوالم، عن الصّادق (ع): من قرأ سورة الزّمر استخفّاها من لسانه اعطاه الله من شرف الدّنيا و الآخرة واعزّه بلامالٍ ولاعشيرةٍ حتّى يها به من يراه وحرم جسده على النّار و بنى له في الجنّة الف مدينة في كلّ مدينة الف قصرٍ وفي كلّ قصرٍ مائة حوراء ، وله معهذا عينان تجريان، وعينان نضّاختان، وجنّتان مدهامّتان، وحور مقصورات في الخيام ، وذواتا افنان ، ومن كلّ فاكهةٍ زوجان .

سورة المؤمن

مكّيّة كلّها، وقيل: سوى آيتين منها نزلتا بالمدينة وهما : انّ الّذين يجادلون في آيات الله (الى قوله) لايعلمون، وقيل: سوى قوله : وسبّح بحمد ربّك بالعشيّ والابكار يعني بذلك صلوة الفجر وصلوة المغرب وقدثبت انّ فرض الصّلوة نزل بالمدينة؛ خمس وثمانون آيةً .

بسم الله الرّحمن الرّحيم

[حم] قد مضى فى اوّل البقرة وفى غيرها بيانٌ وافٍ للفواتح [تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ] جمع تعالى فى اوصافه بين الجلال والجمال، والقهر واللّطف [لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ] لمّا كان الجمع بين الاوصاف الجلاليّة والجماليّة والقهريّة واللّطفية والحقيقيّة والاضافيّة يوهم تعدّداً وكثرةً فى الموجودات نفى الكثرة واثبت التّوحيد بعدها [إِلَيْهِ الْمَصِيرُ] اشارة الى توحيد المبدء والمنتهى [مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللهِ] فى اخفائها وابطالها والاستهزاء بها [إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا] بالولاية التّكوينيّة والولاية التّكليفيّة فانّ الكفر بالله وبملائكته وكتبه ورسله ونعمه واليوم الآخر لا يكون الّا بعد الكفر بالولايتين فانّ الانسان ما لم يستر وجهة القلب الّتى هى الولاية التّكوينيّة وليست الولاية التّكليفيّة الّا معينةً لكشف الحجاب عن تلك الوجهة لايكفر بالله ولا بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ونعمه [فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ] بالتّجارات الرّابحة والاعتبارات الّتى هى راجعة الى الدّنيا لانّهم مأخوذون عن قريب كما اخذ الّذين من قبلهم [كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ] اى الفرق المختلفة والامم المتفرّقة كذّبوا كلّهم رسلهم [مِنْ بَعْدِهِمْ] من بعد قوم نوحٍ [وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ] من تلك الامم المذكورة اوكلّ امّة من الامم الماضية الّذين ارسل اليهم رسولٌ [بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ] فيمنعوه من رسالته او يعذّبوه او يقتلوه كما همّ قومك بك ليأخذوك فيحبسوك او يقتلوك [وَجَادَلُوا] اى رسولهم [بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا] اى يزيلوا [بِهِ الْحَقَّ] كما يجادل قومك لان يزلقوك ويزيلوا الحقّ [فَأَخَذْتُهُمْ] بسبب الهمّ والجدال فلاتحزن فانّا نأخذ قومك ونعاقبهم [فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ] يعنى انّكم ان لم تشاهدوا عقوبتى لهم فقد سمعتم اخبارها وتشاهدون فى مروركم بديارهم آثارها فلم لاتعتبرون بهم؟! ومم تغتمّ يا محمّد (ص) بهمّة قومك وجدالهم؟ [وَكَذَٰلِكَ] اى مثل ذلك العقاب المسموع للكلّ [حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ] بالعذاب [عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا] بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر ولاسيّما الكافرين الّذين كفروا برسالتك والمنظور الكافرون بولاية علىٍّ (ع) [أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ] عن الباقر (ع) يعنى بنى اميّة [الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ] جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ ومقابلٌ لقوله : مايجادل فى آيات الله كأنّه قيل : هذا حال الكافرين والمجادلين فى آيات الله فما حال المؤمنين؟ - فقال : حالهم انّ الّذين يحملون العرش [وَمَنْ حَوْلَهُ] عطف على الّذين يحملون العرش او عطفٌ على العرش [يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ] قد مضى فى اوّل الفاتحة وفى غيرها وجه تقييد التّسبيح بالحمد [وَيُؤْمِنُونَ بِهِ] ذكرهم بوصف الايمان تفخيماً لشأن الايمان وتعظيماً لاهله وبشارةً لهم [وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا] واستغفارهم مستجاب لخلوّهم عن الهوى واغراض النّفس، والمراد بالّذين آمنوا الّذين يستغفر لهم الملائكة من آمن بالايمان الخاصّ والبيعة الخاصّة الولويّة دون من اسلم بالبيعة العامّة النّبويّة فقط، فانّهم وان كانوا مغفورين اذا لم يتنبّهوا بالبيعة الاخرى ولم يتذكّروا بالولاية، وانّ الايمان ليس الّا

بالبيعة الخاصّة الولويّة وكانوا فى متابعتهم للرّسل (ص) ثابتين غيرمتلوّنين لكن ما بهاستغفارالملائكةليس الّا انفحة الولاية كما ورد فى اخبارناتفسيرهم بشيعتهم، فعن الرّضا (ع) للّذين آمنوا بولايتنا ، وعن الصّادق (ع) انّ لله ملائكةً يسقطون الذّنوب عن ظهورشيعتنا كماتسقط الرّيح الورق فى اوان سقوطه وذلك قوله تعالى : الّذين يحملون العرش (الآية) قال استغفارهم والله لكم دون هذا الخلق [رَبَّنٰا] استيناف جوابٌ لسؤال مقدّر بتقديرالقول ، او حالٌ بتقدير القول [وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تٰابُوا] يعنى بالتّوبة الخاصّة الولويّة الجارية على يد ولىّ الامرفى ضمن البيعة الخاصّة [وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ] فى مقام عملوا الصّالحات المذكورفى سائرالآيات مع الايمان [وَقِهِمْ عَذٰابَ الْجَحِيمِ رَبَّنٰا وَأَدْخِلْهُمْ جَنّٰاتِ عَدْنٍ] هى جنّات الاقامة الّتى لايخرج منها الى غيرهالكونها آخرة الجنّات [الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبٰائِهِمْ] عطف على مفعول وعدتهم اوعلى مفعول أدخلهم والمراد بالصّلاح استعداد الصّلاح فانّه نحوصلاح لاالصّلاح بالفعل الحاصل بالولاية والبيعة الخاصّة فانّه لو اريد ذلك الصّلاح لم يكن دخولهم بتبعيّة الغير ولم يثبت بذلك للمتبوع شرافةٌ فانّ شرافة المؤمن بان يكون يدخل الجنّة بواسطته آباءه و اتباعه الّذين لم يستحقّوا دخولها بانفسهم، فانّ من لم يبطل استعداده من آباء المؤمنين و اولادهم وازواجهم يدخل الجنّة ان شاءالله بواسطتهم، و يجوز ان يراد بالصّلاح الصّلاح بالفعل فيكون للآباء والاتباع استحقاق الدّخول بسبب الايمان و بسبب نسبتهم الى المؤمن فانّهم ينتفعون بتلك النّسبة ايضاً [وَأَزْوٰاجِهِمْ وَذُرِّيّٰاتِهِمْ] تقديم الازواج لمراعاة التّرتيب فى الوجود لا فى الشّرف ولا فى النّسبة [إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ] اى الغالب الّذى لايمنع من مراده [الْحَكِيمُ] الّذى يعلم دقائق الاستعدادوالاستحقاق وتفعل على حسبها بحيث لايمكن ابطال فعلك والسّؤال عنك فيه [وَقِهِمُ السَّيِّئٰاتِ] اى الشّرور الّتى تصيب النّاس يوم القيامة و يوم دخول اهل الجنان فى الجنان واهل النّيران فى النّيران لانّ سيّئات الدّنيا ان كانت شروراً بالنّسبة الى المراتب الحيوانيّة ومداركها تكون رحمات من الله بالنّسبة الى المراتب الانسانيّة ومداركها بخلاف سيّئات الآخرة فانّهاشرورٌ بالنّسبة الى المقامات الاخرويّة، وليس للانسان مرتبةٌ حينئذٍ سوى المراتب الاخرويّة حتّى تكون هى خيرات بالنّسبة اليها [وَمَنْ تَقِ السَّيِّئٰاتِ يَوْمَئِذٍ] يوم دخول اهل الجنان فى الجنان [فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ] لانّ الرّحم الدّنيوىّ فوزٌ مشوبٌ بالآلام بخلاف الرّحم الاخروىّ فانّه فوزٌ غيرمشوب فكأنّ الرّحم الدّنيوىّ ليس برحمٍ ، ولكون المراد الرّحم الاخروىّ حصر الفوز العظيم فيه ،وفسّر القمّىّ الآية هكذا : الّذين يحملون العرش يعنى رسول الله (ص) والاوصياء (ع) من بعده يحملون علم الله و من حوله يعنى الملائكة الّذين آمنوا يعنى شيعة آل محمّدٍ (ص) الّذين تابوا من ولاية بنى اميّة واتّبعوا سبيلك اى ولاية ولىّ الله و من صلح يعنى من تولّى عليّاً وذلك صلاحهم فقد رحمته يعنى يوم القيامة وذلك هو الفوز العظيم لمن نجّاه الله من هؤلاء [إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا] جوابُ سؤال مقدّرٍ كأنّه سئل : هذا حال المؤمنين فما حال هؤلاء الكافرين الّذين يجادلون بالباطل و يهمّون برسولهم؟ او ما حال هؤلاء الّذين كفروا بولاية علىٍّ (ع)؟ وهذا هو المراد ولتأكيدعقوبتهم والتّغليظ عليهم أتى بانّ ههنا [يُنٰادَوْنَ] يعنى يناديهم الملائكة تهكّماً بهم [لَمَقْتُ اللّٰهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ] الامّارة او ذواتكم ، اوالمراد بأنفسهم ائمّتهم الحقّة فانّهم انفسهم حقيقةً لانفسيّة لهم الّا بائمّتهم (ع) ويؤيّده قوله تعالى [إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمٰانِ] بالله او بالرّسول (ص)

او بولاية عليّ (ع) وهوالمراد [فَتَكْفُرُونَ] فانّه بظاهره متعلّق بالمقت الثّاني ومقتهم في الدّنيا ليس الّا مقت من كانوا يدعون اليه يعني مقت الله في الدّنيا لكم اكبر من مقتكم في الدّنيا امامكم ، او مقت الله في القيامة لكم اكبر من مقتكم في الدّنيا امامكم ، ويجوز ان يكون المراد انّ مقت الله في القيامة اكبر من مقتكم انفسكم الامّارة اوذواتكم في القيامة ، ويكون اذ تدعون متعلّقاً بمحذوف او تعليلاً لمقت الله، وعن القمّيّ الّذين كفروا بنو اميّة والى الايمان يعني الى ولاية عليّ (ع) [قَالُوا رَبَّنَا اَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَاَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ] قد سبق في سورة البقرة عند قوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتاً فأحياكم ثمّ يميتكم بيان الاماتتين والاحيائين ، والغرض من مثل هذا النّداء والتّضرّع والمناجاة استرحامه تعالى ولذلك قالوا بعده [فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ اِلٰى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ] سؤال للخروج بصورة الاستفهام ويأتون بالخروج منكّراً اشعاراً بفرط قنوطهم كأنّهم يسألون شيئاً يسيراً من الخروج [ذٰلِكُمْ] العذاب وعدم الاجابة الى الخروج [بِاَنَّهُ اِذَا دُعِيَ اللهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ] ضمير بأنّه للشّأن وكان مع اسمه مقدّر بعده حتّى يصحّ الاتيان باذا يعني ذلكم بانّه كنتم اذا دعي الله وحده والمقصود من دعوة الله وحده دعوة وليّ الامر لانّه بدعوته يُدعى الله وحده يعني يحصل التّوحيد للسّالك الى الله بسبب الولاية والسّلوك على طريقها ، و بالاقبال على وليّ الامر يقبل على الله ، و بمعرفته يعرف الله بل معرفته بالنّورانيّة هي معرفة الله فالمعنى اذا دعي مظهر الله الّذي هو خليفته كفرتم به [وَاِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا] تذعنوا وتسلّموا ، عن الصّادق (ع) انّه قال : اذا ذكر الله وحده بولاية من امر الله بولايته كفرتم ، وان يشرك به من ليست له ولاية تؤمنوا بانّ له ولايةً ، وعنه (ع) ايضاً: اذا دعي الله وحده واهل الولاية كفرتم [فَالْحُكْمُ لِلّٰهِ] تعليلٌ للمعنى المستفاد من المقام كأنّه قال: فذوقوا فانّ الحكم لله [الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ] لا حكم لغيره [هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ اٰيَاتِهِ] ابتداء كلام منقطع عن سابقه ، اوجوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل : ان كان الحكم له وحده فما له لايحكم على العباد بالايمان؟! واراءة الآيات امّا باراءة معجزات الانبياء (ع) او باراءة آيات صدقهم ، او باراءة آيات قدرته وحكمته وعلمه ، او باراءة آيات تدبيره على وفق حكمته ، او باراءة الآيات الانفسيّة الّتي لايخلو احدٌ منها [وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا] اى رزقاً عظيماً هو الرّزق الانسانيّ من العلم والحكمة [وَ] لكن [مَا يَتَذَكَّرُ] بالآيات ولا بنزول رزق الانسان من السّماء [اِلَّا مَنْ يُنِيبُ] الى الله بالتّوبة على يد وليّ أمره [فَادْعُوا اللهَ] يعني اذا كان الامر كذلك فادعوا الله [مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ] دعاءكم لله او اخلاصكم له الدّين [رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ] خبرٌ بعد خبرٍ لقوله هو في هو الّذي يريكم ، او صفة لله مقطوعة عن الوصفيّة بناءً على اكتسابه التّعريف من المضاف اليه على قراءة الرّفع ، او باقية على الوصفيّة على قراءة النّصب، او حالٌ عنه بناءً على عدم اكتسابه التّعريف عن المضاف اليه ، والرّفع بمعنى المرفوع بمعنى انّ درجات وجوده مرفوعة بحيث لاينالها ادراك مدركٍ سواه، او بمعنى الرّافع بمعنى انّه رافع درجات عباده، اودرجات خلقه، اودرجات فعله وصفاته [ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ] قد فسّر الرّوح ههنا بالقرآن و بالوحي و بالنّبوّة و بجبرئيل وورد في اخبارٍ عديدةٍ انّ الرّوح ملك اعظم من جبرائيل ولم يكن مع احدٍ من الانبياء (ع) وكان مع محمّدٍ (ص) وهو كان مع الائمّة (ع)، و فسّر الرّوح في الاخبار بمعانٍ أخر مثل روح الايمان و روح القوّة و روح الشّهوة وغير ذلك، و يجوز ان يفسّر بالولاية الّتي هي مصدر النّبوّة والرّسالة و روحهما فانّها حقيقة المشيّة الّتي هي متّحدة مع ربّ النّوع الانسانيّ الّذي هو ربّ جميع الارباب وعنه يعبّر بروح القدس الّذي لم يكن مع احدٍ من الانبياء (ع) وكان مع محمّدٍ (ص) [مِنْ اَمْرِهِ]

اى من عالم امره ، اومن امره الّذى هو كلمة كن الوجوديّة،وهى المشيّة الّتى هى فعله وكلمته وأمره [عَلٰى مَنْ يَشٰاءُ مِنْ عِبٰادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلاٰقِ] اى يوم تلاقى اهل الارض واهل السّماء ، اوتلاقى المحسن و المسيء ، اوتلاقى الاحبّاء ، اوتلاقى المظلوم والظّالم ، او تلاقى المسرع والبطيء و تلاحق الكلّ ، اوتلاقى الاتباع والمتبوعين وهو يوم القيامة [يَوْمَ هُمْ بٰارِزُونَ] عندالله من قبورهم اومن استارهم الّتى هى عبارة عن حدودهم و تعيّناتهم لانّهم يخرجون يومئذ من جميع التّعيّنات والحدود ولذلك قال: [لاٰ يَخْفىٰ عَلَى اللّٰهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ] من اعمالهم واقوالهم واحوالهم و مراتب وجودهم و دقائقها يعنى يظهر على الخلق انّهم كانوا على الدّوام بارزين عندالله وكانوا لا يخفى على الله منهم شيء [لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ] بتقدير القول وحكاية لما يقوله تعالى فى ذلك اليوم لهم، اوابتداء كلام منه واخبار بانّه لم يكن فى ذلك اليوم احد مالكاً لشيء [لِلّٰهِ الْوٰاحِدِ الْقَهّٰارِ] جواب منه لسؤاله [الْيَوْمَ تُجْزىٰ] تكرار اليوم لتمكين ذلك اليوم فى القلوب تهديداً منه وترغيباً اليه [كُلُّ نَفْسٍ بِمٰا كَسَبَتْ لاٰ ظُلْمَ الْيَوْمَ] بنقص ثواب اوزيادة عقاب [إِنَّ اللّٰهَ سَرِيعُ الْحِسٰابِ] جواب سؤال مقدّر كأنّه قيل: النّفوس البشريّة غيرمتناهية فكيف يمكن محاسبة الكلّ فى يوم واحد؟ - فقال : انّ الله سريع الحساب يحاسب الكلّ فى وقت واحد لانّه لا يشغله شأن عن شأن ولا حساب عن حساب،عن امير المؤمنين (ع) : الميم ملك الله يوم لا مالك غيره و يقول الله لمن الملك اليوم؟ - ثمّ تنطق ارواح انبيائه و رسله و حججه فيقولون : لله الواحد القهّار ، فيقول الله جلّ جلاله : اليوم تجزى (الآية) وعنه (ع) : انّه سبحانه يعود بعد فناء الدّنيا وحده لا شيء معه كما كان قبل ابتدائها كذلك يكون بعد فنائها بلا وقت ولا مكان ولا حين ولا زمان عدمت عند ذلك الآجال و الاوقات ، وزالت السّنون والسّاعات ، فلا شيء الّا الواحد القهّار الّذى اليه مصير جميع الامور بلا قدرة منها كان ابتداء خلقها، و بغير امتناع كان فناؤها، ولوقدرت على الامتناع لدام بقاؤها [وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ] الآزفة اسم يوم القيامة لقربها فيكون اضافة اليوم اليه مثل اضافة العامّ الى الخاصّ [إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنٰاجِرِ] من شدّة الخوف والوحشة فانّه وقت الخوف والاضطراب يتحرّك القلوب من مواضعها كأنّها تبلغ الحناجر [كٰاظِمِينَ] حال من القلوب او المستتر فى الظّرف، ونسبة الكظم الى القلوب امّا مجاز عقلىّ اولتشبيه القلوب بالعقلاء [مٰا لِلظّٰالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ] قريب ينفعهم و يدفع عنهم [وَلاٰ شَفِيعٍ يُطٰاعُ] توصيف الشّفيع للاشعار بانّ الشّفيع اذا لم يكن مطاعاً لا ينفع شفاعته فكأنّه لم يكن شفيعاً، وليس المقصود انّه قد يكون لهم شفيع غير مطاع [يَعْلَمُ خٰائِنَةَ الْأَعْيُنِ] الخائنة مصدر مثل الكاذبة او وصف والمعنى يعلم العين الخائنة من الاعين، وخيانة العين عبارة عن النّظر الى ما لا يحلّ لها النّظر اليه ، اوكناية عن نظرها الى شيء بحيث لا يظهر نظرها على احد اوكناية عن الاشارة بالعين، وقيل: كناية عن قول الرّجل: ما رأيت وقد رأى ، او رأيت وما رأى ، اوعبارة عن النّظرة الثّانية الّتى هى عليك كما فى الخبر : النّظرة الاولى لك و الثّانية عليك [وَمٰا تُخْفِي الصُّدُورُ] من العزمات و النّيّات و الخطرات الّتى لم تظهرها لاحد ، اومن القوى والاستعدادات الّتى لم يطّلع صاحبوا القلوب عليها فكيف بغيرهم [وَاللّٰهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ] عطف بمنزلة النّتيجة كأنّه قال: اذا كان الله ذا العرش يعنى كان مالك جملة الخلق وكان واحداً قهّاراً ليس يعجز عن شيء ولا يخفى منهم عليه شيء ولم يكن منه ظلم على احد وكان عالماً بجميع الخلائق بتمام اوصافهم واحوالهم وقواهم واستعداداتهم فهو يقضى بالحقّ بينهم لا غيره وعلى التّفاسير السّابقة للآيات السّابقة فالمعنى انّ عليّاً (ع) الّذى هو مظهر الهة الله يقضى بالحقّ [وَالَّذِينَ يَدْعُونَ] اى يدعونهم [مِنْ دُونِهِ] وهم

بنو اميّة ومن وافقهم ، ويجوزان يكون عائدالموصول ضميرالفاعل [لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ] فضلاً عن القضاء بالحقّ [إِنَّ اللهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ] فى موضع تعليل لحصر القضاء بالحقّ فيه [أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ] فيشاهدوا آثارالماضين وآثار قضائه تعالى بالحقّ [فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ وَاقٍ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ] كما أتيتهم بها [فَكَفَرُوا] كماكفرهؤلاء [فَأَخَذَهُمُ اللهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ] فليحذرهؤلاء ممّانزل بهم [وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا] اشارة الى حال بعض الّذين من قبلهم [وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ] اى استبقوابناتهم، اوامنعوانساءهم من مضاجعة ازواجهم، او تجسّسوا حياء نساءهم لتجسّس العيب او الحمل [وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ] وضياع [وَقَالَ فِرْعَوْنُ] مثل من يخاف من خصمه ومعذلك يهدّده [ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ] فانّه لم يكن له مانع من قتله لكنّه كان يخاف منه ومن ثعبانه ويخوفّه بالقتل، وقيل: كانوا يكفّونه عن قتله ويقولون : انّه ليس الّذى تخافه بل هوساحرٌ ولوقتلته ظنّ انّك عجزت عن معارضته بالحجّة [إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ] بان يفرّق النّاس عن الاجتماع اوخرج عن الطّاعة وادّعى السّلطنة [وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ] من اقاربه، فى خبرٍ: انّه كان ابن خاله، وخبرٍ آخر: كان ابن عمّه [يَكْتُمُ إِيمَانَهُ] قال القمّىّ كان يكتم ايمانه ستّمائة سنة [أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا] عظيماً اوذكراً من الاناسىّ اورجلاً حاله [أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ] صفة لرجلاً كما ذكر او بتقدير اللّام علّة لتقتلون [وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ] على صدق دعواه [مِنْ رَبِّكُمْ] فاحذروا من مخالفته ومؤاخذة ربّكم [وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا] لا يضرّكم كذبه شيئاً [فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ] ان لم يصبكم كلّه [إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ] متجاوزعن حدّه فى امره [كَذَّابٌ] ظاهره انّه تعليل لقوله ان يك كاذباً يعنى انّه ان يك كاذباً لم ينل ما ارادمنكم من كذبه لانّ الله لايهدى الى مراده من هو مسرف كذّاب ولكنّه فى الحقيقة تعريض بفرعون وقومه بحيث لايصير سبباً لشغبهم لانّه اثبت صدق موسى (ع) بقوله: و قدجاء كم بالبيّنات [يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ] غالبين [فِي الْأَرْضِ] ارض مصر وشكرهذه النّعمة ان تجيبوا رسول الله الّذى آتاكم هذاالملك لاانكار رسوله [فَمَنْ يَنْصُرُنَا] ادخل نفسه فيهم ليظنّوا انّه منهم [مِنْ بَأْسِ اللهِ إِنْ جَاءَنَا] فلا تتعرّضوا لبأس الله بانكار رسوله و ايذائه وقد اجاد فى الجدال حيث انكرقتله عليهم و اسند انكاره بما لايمكن ردّه والشّغب معه فانّه قال اوّلاً: انّه يقول: ربى الله فان لم تعترفوا ولم تذعنوا بالله فليكن ذلك محتملاً لكم ودفع الضّرر المحتمل واجبٌ عقلاً فترك التّعرّض واجبٌ عقلاً، وقال ثانياً: انّه جاء بالبيّنات على صدق دعواه فكيف تجترؤن عليه و تقتلونه؟ ! وثالثاً انّه غيرخارج من الكذب اوالصّدق وكذبه لايضرّكم وصدقه يضرّكم لامحالة ، والضّرر

المحتمل واجب التّحرّز، وقال رابعاً: انّه ان كان كاذباً لايهتدى الى مراده وان كنتم انتم كاذبين لم تهتدوا الى قتله فلا تتعرّضوا لقتله لكنّه لمّا اثبت صدقه كان كأنّه قال: انتم كاذبون ولا تهتدون الى قتله [قالَ فِرْعَوْنُ] تلبيناً لقومه [ما أُرِيكُمْ إِلّا ما أَرى] وأعتقد [وَما أَهْدِيكُمْ إِلّا سَبِيلَ الرَّشادِ وَقالَ الَّذِي آمَنَ يا قَوْمِ إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزابِ] الّذين تحزّبوا على رسلهم ولم يقل مثل ايّام الاحزاب لارادة الجنس من اليوم وتفسيره بايّام نوح (ع) وعادٍ وثمود [مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعادٍ وَثَمُودَ] مثل سنّة الله وعادته فيهم [وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ] كقوم ابراهيم (ع) ولوطٍ وشعيب (ع) [وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبادِ] فلا يعاقبكم ان كنتم صالحين [وَيا قَوْمِ إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنادِ] اى شدائده، ويوم التّناد يوم القيامة لتنادى النّاس فيه واستغاثة كلٍّ بالآخر لغاية وحشتهم مثل الغرقى يتشبّثون بكلّ حشيشٍ، اولتنادى اهل الجنّة واهل النّار بقولهم: أفيضوا علينا من الماء او ممّا رزقكم الله وقولهم: انّ الله حرّمهما على الكافرين، فعن الصّادق (ع): يوم التّناد يوم ينادى أهل النّار أهل الجنّة: افيضوا علينا من الماء او ممّا رزقكم الله، وقيل: لانّ بعض الظّالمين ينادى بعضاً بالويل والثّبور، وقيل: لانّه ينادى فيه كلّ أناسٍ بامامهم [يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ] حالٌ مؤكّدة اى تدبرون عن الموقف اوعن الله ليأسكم من رحمته، اوعن النّار فارّين منها [ما لَكُمْ مِنَ اللَّهِ] من بأس الله اومن قبل الله [مِنْ عاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ] عطف فيه معنى التّعليل لسابقه، اومعنى الاستدراك كأنّه قال: لكن لاينفعكم نصحى لانّ الله اضلّكم ومن يضلل الله فما له من هادٍ [وَلَقَدْ جاءَكُمْ] عطف اوحال فيه معنى التّعليل [يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّناتِ فَما زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمّا جاءَكُمْ بِهِ حَتّى إِذا هَلَكَ] اقررتم به لارتضائكم بالغائب عن انظاركم دون الحاضر عندكم وجعلتموه خاتم الرّسالة و [قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولاً] اوالمعنى حتّى اذاهلك بقيتم على كفركم وقلتم: لن يبعث الله من بعده رسولاً [كَذلِكَ] الضّلال الّذى كنتم انتم واسلافكم عليه [يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ] متجاوزٌ عن حدّه [مُرْتابٌ] اى شأنه الارتياب وليس له حالة يقين بما ينبغى ان يتيقّن [الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِي آياتِ اللَّهِ] بالابطال والاخفاء والازدراء والتّنقيص [بِغَيْرِ سُلْطانٍ أَتاهُمْ] بغير حجّةٍ بل محض التّقليد والشّكّ وهوى النّفس او بغير ذى سلطنةٍ اتاهم واجبرهم على ذلك [كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا] اعراب الآية انّ من من قوله من هو مسرفٌ موصولة مفعولٌ ليضلّ والّذين يجادلون بدلٌ منه اوصفةٌ له، اوخبرٌ لمحذوفٍ اومفعولٌ لفعلٍ محذوفٍ، اومبتدءٌ خبره قوله تعالى: بغير سلطانٍ، او كبر مقتاً بتقدير جدال الّذين يجادلون كبر مقتاً، اوقوله تعالى [كَذلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ] بتقدير العائد اومن من هو مسرفٌ موصولة مبتدءٌ والّذين يجادلون خبره، او بغير سلطانٍ او كبر مقتاً، او كذلك يطبع الله، اومن استفهاميّة، والّذين يجادلون بتقدير مبتدءٍ، او بتقدير خبرٍ جوابٌ للاستفهام من الله، اوالّذين يجادلون مبتدءٌ، وبغير سلطانٍ خبره، او كبر مقتاً، او كذلك يطبع الله وكذلك يطبع الله استيناف كلام اوخبر كماذكر، او كذلك فاعل كبر بجعل الكاف اسماً ويطبع الله استيناف كلامٍ، اوخبرٌ للّذين يجادلون اولمن [عَلى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبّارٍ] قرئ باضافة القلب وحينئذٍ يكون اشارةً الى تفرّق قلب

المتكبّر وتوزيعه على مهامّ عديدة كرجل فيه شركاء متشاكسون، وقرئ بتنوين القلب، وحينئذ يكون نسبة التكبّر الى القلب مجازاً، وقد مضى فى اوّل البقرة بيان ختم القلوب وطبعها [وَقالَ فِرْعَوْنُ] تمويهاً على العوامّ [يا هامانُ ابْنِ لِي صَرْحًا] قصراً مرتفعاً ظاهراً على الانظار من صرح الشّيء اذا ظهر [لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبابَ أَسْبابَ السَّمٰوٰاتِ] كلّما يتوصّل به الى شيء آخر يسمّى سبباً، والاضافة الى السّماوات بيانيّة، لانّ السّماوات اسباب ايجاد المواليد وابقائها، او بتقدير اللّام والمراد بها الطّرق الّتى بها يوصل الى السّماوات [فَاطَّلِعَ] قرئ بالرّفع عطفاً على ابلغ، وبالنّصب جواباً للتّرجّى [إِلىٰ إِلٰهِ مُوسىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كاذِبًا] كان تأمّله فى قتل موسى (ع) وتصريحه بظنّه كذب موسى لرشدته (اى ولد الحلال) كما فى الخبر [وَكَذٰلِكَ] التّزيين الّذى زيّن له فى بناء الصّرح والصّعود الى السّماء [زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ] فى سائر اعماله [وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ] قرئ مبنيّاً للفاعل ومبنيّاً للمفعول [وَما كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلّا فِي تَبابٍ] فى نقصان او خسار [وَقالَ الَّذِي آمَنَ يا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشادِ يا قَوْمِ إِنَّما هٰذِهِ الْحَيٰوةُ الدُّنْيا مَتاعٌ] تمتّع يسير بحسب المدارك النّازلة الحيوانيّة فانّه اذا نسب الى المدارك الانسانيّة لم يكن يعدّ تمتّعاً على انّ تمتّعها مشوب بالآلام والاسقام والبلايا والمخاوف ومع ذلك لم يكن مدّة بقائه الّا قليلاً من الايّام واذا لوحظ مع الايّام الآخرة الغير المتناهية لم يكن يعدّ فى شيء [وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دارُ الْقَرارِ] فلا امد لمداه ولانقص ولاشوب لتمتّعه [مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلا يُجْزىٰ إِلّا مِثْلَها وَمَنْ عَمِلَ صالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثىٰ] وهذا جواب لسؤال مقدّر من حزقيل او من الله [وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيها بِغَيْرِ حِسابٍ] بسط فى جانب الثّواب واقتصر فى جانب العقاب على ذكر الجزاء المقيّد بكونه مثل السّيّئة ترجيحاً لجانب الوعد [وَيا قَوْمِ ما لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجاةِ] لم يقل مالكم نصفاً من نفسه فى مقام النّصح [وَتَدْعُونَنِي إِلَى النّارِ تَدْعُونَنِي] بدل من الاوّل [لِأَكْفُرَ بِاللهِ وَأُشْرِكَ بِهِ ما لَيْسَ لِي بِهِ] اى بربوبيّته واستحقاق آلهته [عِلْمٌ] تعريض بهم وانّ عبادة ما ليس على جواز عبادته برهان ليست الّا سفاهة وانتم تعبدون ما ليس لكم بالهته علم [وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ] المنيع الّذى لا يمنعه عن مراده مانع وعزّته دليل آلهته [الْغَفّارِ] الّذى ينبغى ان يطلب بعبادته غفرانه [لا جَرَمَ] يقال: لاجرم، ولاذاجرم، ولاان ذاجرم، بزيادة ذا، اوان المفتوحة مع ذا، ولاعن ذاجرم، كلّ ذلك مثل ضرب ولاجرم ككرم ولاجر باسقاط الميم ولاجُرم بضمّ الجيم وسكون الرّاء كأنّه كان فعلاً ماضياً ثمّ كثر استعماله فدخل عليه ذا، اوان وذا، اوعن وذا، ولم يغيّر عن صورته وهو من مادّة الجرم بمعنى الذّنب بقرينة استعماله لاجُرم بضمّ الجيم وسكون الرّاء فى مقام الباقى، اومن الجرم بمعنى القطع بقرينة استعماله فى مقام لابدّ ولامحالة، وفى مقام حقّاً، وهذا كان اصله ثمّ كثر استعماله فى مقام تأكيد الكلام حتّى تحوّل الى معنى القسم فانّه يقال: لاجرم لآتينّك باتيان الجواب له مثل جواب القسم وقد سبق فى سورة النّحل بيان اجمالىّ للاجرم [أَنَّما تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ] من الاصنام اوفرعون [لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ] اى دعوة مقبولة حقّة [فِي الدُّنْيا وَلا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنا] اى مردّى ومردّكم جميعاً [إِلَى اللهِ] فينبغى الاعراض عن آلهتكم والاقبال الى الله الّذى ينتهى امرنا اليه والى محاكمته [وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ] المتجاوزين عن حدّهم الانسانىّ بالادبار عن الله والاقبال على ما ليس له

دعوة في الدّارين [هُمْ اَصْحابُ النّارِ فَسَتَذْكُرُونَ] عند معاينة الموت و تهيّؤ اسباب العذاب لكم [ما اَقُولُ لَكُمْ وَاُفَوِّضُ اَمْرِي اِلَى اللهِ] لانّه العزيز العليم القدير ذو العناية بأمر العباد ولا أخاف ما تخوّفونني به لعدم قدرته على شيءٍ [اِنَّ اللهَ بَصِيرٌ بِالْعِبادِ] فيحفظ من توسّل به [فَوَقيهُ اللهُ سَيِّئاتِ ما مَكَرُوا وَحاقَ بِالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذابِ] قد ورد في الاخبار انّهم قطعوه ارباً اربا ولكن وقاه الله ان يفتنوه في دينه ، وعن الصّادق (ع) في حديثٍ: كان حزقيل يدعوهم الى توحيد الله و نبوّة موسى (ع) وتفضيل محمّدٍ (ص) على جميع رسل الله وخلقه وتفضيل على بن- ابي طالبٍ (ع) والخيار من الائمّة على سائر اوصياء النّبيّين والى البراءة من ربوبيّة فرعون، فوشى به الواشون الى فرعون وقالوا : انّ حزقيل يدعوهم الى مخالفتك و يعين اعداءك الى مضادّتك فقال لهم فرعون : ابن عمّي و خليفتي على ملكي وولّي عهدي ان فعل ما قلتم فقد استحقّ العذاب على كفره بنعمتي، وان كنتم عليه كاذبين فقد استحققتم اشدّ العذاب ، لايثاركم الدّخول في مساءته فجاء بحزقيل وجاء بهم فكاشفوه ، وقالوا : ءانت تجحد ربوبيّة فرعون الملك و تكفر بنعمائه ؟ ـ فقال حزقيل: ايّها الملك هل جرّبت عليّ كذباً قطّ ؟ ـ قال : لا ، قال فسلهم من ربّهم؟ ـ قالوا : فرعون هذا ، قال: ومن خالقكم؟ ـ قالوا : فرعون هذا ، قال: ومن رازقكم الكافل لمعايشكم والدّافع عنكم مكارهكم؟ ـ قالوا: فرعون هذا ، قال حزقيل: ايّها الملك فأشهدك وكلّ من حضرك انّ ربّهم هو ربّي ، وخالقهم هو خالقي، و رازقهم هو رازقي، ومصلح معايشهم هو مصلح معايشي، لا ربّ لي ولا خالق ولا رازق غير ربّهم وخالقهم و رازقهم، واشهدك ومن حضرك انّ كلّ ربٍّ ورازقٍ وخالقٍ سوى ربّهم وخالقهم ورازقهم فانا بريءٌ منه ومن ربوبيّته وكافرٌ بالهيّته ، يقول حزقيل: هذا وهو يعني انّ ربّهم وهو الله ربّي، ولم يقل: انّ الّذي قالوا: انّه ربّهم هو ربّي، وخفي هذا المعنى على فرعون ومن حضره وتوهّم انّه يقول: فرعون ربّي وخالقي ورازقي، فقال لهم فرعون: يا رجال السّوء و يا طلّاب الفساد في ملكي و مريدي الفتنة بيني و بين ابن عمّي وهو عضدي انتم المستحقّون لعذابي لارادتكم فساد امري واهلاك ابن عمّي والفتّ في عضدي، ثمّ أمر باوتادٍ فجعل في ساق كلّ واحدٍ منهم وتداً وفي صدره وتداً ، وامر اصحاب أمشاط- الحديد فشقّوا بها لحومهم من ابدانهم فذلك ما قال الله تعالى : فوقيه الله سيّئات ما مكروا به لمّا وشوا به الى فرعون ليهلكوه ، وحاق بآل فرعون سوء العذاب و هم الّذين وشوا بحزقيل اليه لما اوتد فيهم الاوتاد ومشط عن ابدانهم لحومها بالامشاط [النّارُ] ان كان المراد بسوء العذاب عذاب البرزخ والآخرة جاز ان يكون النّار بدلاً منه بدل - الاشتمال ، وجاز ان يكون مبتدءً وقوله تعالى [يُعْرَضُونَ] خبره و الجملة تفسيراً لسوء العذاب ، و ان كان المراد به عذاب فرعون في الدّنيا فالنّار مبتدء و يعرضون خبره و الجملة مستأنفة منقطعة او حاليّة حالاً مقدّرة اى حال كونهم بعد سوء العذاب النّار يعرضون [عَلَيْها غُدُوًّا وَعَشِيًّا] في اخبارٍ كثيرةٍ انّ هذا في نار الدّنيا يعني نار البرزخ لانّ في نار القيامة لا يكون غدوٌّ و عشيٌّ و امّا نار الخلد فهو قوله تعالى [وَيَوْمَ تَقُومُ السّاعَةُ اَدْخِلُوا الَ فِرْعَوْنَ اَشَدَّ الْعَذابِ] بتقدير القول، وقرئ ادخلوا من الثّلاثيّ المجرّد [وَاِذْ يَتَحاجُّونَ فِي النّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفاءُ] الاتباع [لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا] المتبوعين [اِنّا كُنّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ اَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنّا نَصِيباً مِنَ النّارِ قالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا اِنّا كُلٌّ فِيها اِنَّ اللهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبادِ] قدمضى الآية في سورة ابراهيم (ع) وقدمضى مكرّراً انّ امثال هذه تعريضٌ بمنافقي الامّة [وَقالَ الَّذِينَ فِي النّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنّا

يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ قَالُوا اَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ] المعجزات او براهين صدقهم او احكام الرّسالة [قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا] تهكّموا بهم وسخروا منهم ولذلك قالوا [وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ اِلَّا فِى ضَلَالٍ] اى فى ضياعٍ ، ويحتمل ان يكون هذا من الله [اِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِى الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْاَشْهَادُ] المراد بالحيوة الدّنيا ان كان الحيوة المصاحبة للحيوة الحيوانيّة الطّبيعيّة فالمراد بالنّصرة نصرتهم فى دينهم لا فى دنياهم لانّ اكثر الانبياء لم ينصروا بحسب دنياهم ، و ان كان المراد الحيوة البرزخيّة فلا اشكال ، و المراد بالاشهاد الانبياء (ع) واوصيائهم (ع) [يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ] يعنى جهنّم [وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى] اى اعطيناه وصف الهداية للخلق بان جعلناه رسولاً اليهم ، اوكونه مهدياً بان هديناه الى ما ينبغى ان يهتدى اليه ، او آتيناه ما يهتدى به من الآيات او من الاحكام او من التّوراة [وَاَوْرَثْنَا بَنِى اِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ] كتاب النّبوّة واحكامها ، اوكتاب التّوراة [هُدًى وَذِكْرَى] اى ذا هدىً ، او هادياً ، او ما يهتدى به [لِاُولِى الْاَلْبَابِ] قد تكرّر انّ الانسان بدون الاتّصال بالولاية كالجوز الخالى من اللّبّ و يكون اعماله خاليةً من اللّبّ و ان كانت مطابقةً لما ورد فى الشّريعة كما أفتى به الفقهاء موافقاً لما ورد فى الاخبار وكان هو و اعماله لائقةً للنّار ، واذا اتّصل بالولاية صار ذالبٍّ وصار اعماله ذوات الباب [فَاصْبِرْ] لمّا كان ذكر الامم الماضية ورسلهم (ع) وهلاكهم بسبب تكذيب الرّسل (ع) وذكر موسى (ع) وفرعون كلّها لتسلية الرّسول (ص) فى تكذيب قومه وتركهم للولاية قال بعد ما ذكر حكايتهم بطريق التّفريع فاصبر [اِنَّ وَعْدَ اللهِ] بنصرتك [حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِىِّ وَالْاِبْكَارِ اِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِى آيَاتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ آتَيهُمْ] كرّر الآية لتعليل امره بالصّبر [اِنْ فِى صُدُورِهِمْ اِلَّا كِبْرٌ] اى الانصراف عن الحقّ والاستكبار على اهل الحقّ [مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ] اى بالغى ذلك الكبر ومقتضاه [فَاسْتَعِذْ بِاللهِ] منه او منهم [اِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ] لاستعاذتك فيعيذك ولما يقولون فيك و يدبّرونه فلايدعهم ينفذ مكرهم فيك [الْبَصِيرُ] بك و بهم ، وبما تفعل و يفعلون ، و بكبرك ان استكبرت و بكبرهم [لَخَلْقُ السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضِ اَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ] فلا ينبغى للنّاس الضّعيف الخلق الكبر فى مقابل ماهو اكبر منه وانّما قال لخلق السّماوات ولم يقل السّماوات والارض للاشعار بانّ الصّورة الخلقيّة منهما اكبر من الصّورة الخلقيّة الانسانيّة ، وامّا النّشأة الرّوحيّة الانسانيّة فهو اكبر بمراتب من صورة السّماوات والارض ومن نشأتهما الرّوحيّة الامريّة ، والمجادل تنزّل من مقام روحيّته الامريّة الى الصّورة الخلقيّة كأنّه ليس له نشأة روحيّة [وَلٰكِنَّ اَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ] ليس لهم مقام علم حتّى يعلموا ضعفهم ، اولا يعلمون ضعفهم وحقارتهم بالنّسبة الى السّماوات [وَمَا يَسْتَوِى الْاَعْمَى وَالْبَصِيرُ] رفع لتوهّم انّ عدم العلم يكون عذراً لهم فى كبرهم وجدالهم ولذلك قدّم الاعمى والمراد بالعمى عمى القلب الّذى يكون من اوصاف القوّة العلّامة بمعنى الجهل كما انّ المراد بالبصر بصيرة القلب الّتى هى عبارة عن العلم [وَالَّذِينَ آمَنُوا] لم يقدّم المسيء ههنا لحصول الغرض من تقديم الاعمى [وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِىءُ] والمراد بالايمان الانقياد و التّسليم الحاصل بالبيعة العامّة ، اوالخاصّة ، اونفس البيعة العامّة اوالخاصّة ، والمراد بالعمل الصّالح البيعة الخاصّة ، اوالعمل بالشّروط الّتى تؤخذ فى البيعتين ، وايّاً ما كان فالمقصود بيان عدم التّسوية بين من كمّل قوّته العمّالة ومن لم يكمّلها ، وزيادة

لا فى المسيء لاشارةٍ خفيّةٍ الى انّ المسيء منفيّ معدوم بخلاف المحسن كأنّه لايجوزان يدخل عليه النّفى و الّا فسوق العبارة ان يدخل لا الّتى هى لتأكيد النّفى على الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات [قَلِيلاً مَا تَتَذَكَّرُونَ] جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: فلم لايظهر الفرق بين المحسن والمسيء ؟- فقال: يظهر الفرق عند قيام السّاعة [إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا] قد مضى فى اوّل البقرة وجه عدم الرّيب فى الكتاب مع كثرة المرتابين فيه فقس عليه وجه عدم الرّيب فى القيامة و السّاعة وظهور القائم (ع) و الرّجعة مع كثرة المرتابين فيها [وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ] لايذعنون بها اولا يؤمنون بالله حتّى يعلموا مجيء السّاعة، اولا يؤمنون بك حتّى يصدّقوك فى مجيء السّاعة [وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ] قد مضى فى سورة البقرة وفى سورة النّمل بيان تعليق الاستجابة على الدّعاء وكيفيّة الدّعاء وكيفيّة اجابة الله للدّاعين، من اراد فليرجع اليه ، وهل الظّفر بالمراد بعد الدّعوات والتّصدّقات والبركة فى الاموال والاولاد عقيب الصلات من الاتّفاقيّات ؟ اوهى من الاسباب للوصول الى المراد؟- قال بعض الفلاسفة: انّ ذلك من الاتّفاقيّات ، وبرهان انكارهم لسببيّة ذلك انّ العالى لا التفات له الى الدّانى وانّه لاتأثير للدّانى فى العالى فلايكون الظّفر بالمقصود عقيب ذلك الّا محض الاتّفاق ، وصريح الآيات والاخبار يثبت التّسبيب بين الدّعوات والاجابات وبين الصّدقات ودفع البلايا وجذب البركات ، وبين الصّلات وزيادة الاموال والاعمار والاولاد .

تحقيق البداء ونسبة التّردّد والمحو والاثبات الى الله تعالى

وتحقيق ذلك ، انّ العوالم بعد مقام الغيب المعبّر عنه بالعمى الّذى لا خبر عنه ولا اسم له ولا رسم ، وبعد مقام الواحديّة المعبّر عنه بمقام الاسماء والصّفات ، وبعد مقام الفعل المعبّر عنه بالمشيّة بوجهٍ ستّة وبوجهٍ سبعة ، وبوجهٍ سبعون ، وبوجهٍ سبع مائة ، وبوجهٍ سبعة آلاف ، وبوجهٍ سبعون الفاً ، وبوجهٍ غير متناهية ، وانّ كلّ عالمٍ عالٍ بالنّسبة الى الدّانى حاله حال النّفس بالنّسبة الى قواها ومداركها ، وانّ عالم المثال مرتبته من عالم الطّبع مرتبة الخيال الانسانىّ من بدنه وقواه فكما انّ قوى النّفس الخياليّة تتأثّر من بدنها ومن غير بدنها و بذلك التّأثّر يتأثّر الخيال وتأثّر الخيال هو بعينه تأثّر النّفس كذلك عالم المثال يتأثّر من عالم الطّبع ، وتأثّره بعينه تأثّر النّفوس الكلّيّة ، وتأثّرها تأثّر العقول الكلّيّة، وتأثّرها تأثّر المشيّة ، وهو تأثّر الا له ، وكما انّ النّفوس البشريّة بعد التّأثّر من الابدان وقواها تحرّك قوّتها الشّوقيّة والاراديّة لدفع الموذى اوجذب النّافع كذلك النّفوس الكلّيّة بعد تأثّر قواها المثاليّة الخياليّة تهيّج اسباب دفع الموذى وجذب النّافع لما تأثّرت منه ، وانّ الحوادث كما تكون باسبابٍ طبيعيّةٍ ارضيّة تكون باسبابٍ آلهيّةٍ سماويّة وانّ الاسباب السّماويّة قد تؤثّر بتسبيب الاسباب الطّبيعيّة وقد تؤثّر بمحض التّصوّر والارادة لانّها مظاهر ارادة الله ، وافعالها مظاهر افعال الله ، اذا ارادت شيئاً تقول له: **كن، فيكون** ، من غير تسبيب اسبابٍ طبيعيّة ، وعالم المثال كعالم الخيال يضيق عن الاحاطة بجملة المدركات دفعةً بل يرد عليه الصّور بالتّعاقب ويتجدّد عليه الادراكات متبادلةً ولذلك قد يثبت ضرّ شخصٍ اوخيره فيه ثمّ يقع من ذلك الشّخص اومن غيره دعاء لدفع ذلك الضرّ اوعمل بدفع ذلك الخير فيقع صورة ذلك الدّعاء اوالعمل فيه ويقع صورة لازمه من دفع الضّرّ اودفع الخير فيه ، وكلّما تصوّره النّفوس العالية الجزئيّة او الكلّيّة يقع صورته فى هذا العالم امّا على مجرى العادة وبالاسباب الطّبيعيّة اوخارجاً عن مجرى العادة ومن هذه الالواح المثاليّة ينسب البداء الى الله تعالى ، وينسب التّردّد الّذى هو عبارة عن ترجيح احد المتصوّرين تارةً والآخر اُخرى ، فانّه اذا تعارض دعاء مؤمنٍ لشخصٍ بالخير ودعاء آخر عليه بالشّرّ فيثبت صورة دعاء هذا تارةً مع لازمها وصورة دعاء ذاك اخرى مع لازمها ، فيظهر فى نظر النّاظر صورة التّردّد

فى الصّورتين المتقابلتين و ينسب هذا التّردّد الى الله تعالى كما ينسب افعال القوى الانسانيّة الى النّفوس، وهكذا حال نسبة البداء الى الله تعالى وقد يتّصل المكاشف من النّبىّ (ص) اوالولىّ (ع) بتلك الالواح فيشاهد فيها بعض الاسباب والمسبّبات ولا يشاهد منافيات تلك الاسباب والمسبّبات ان كان منافياتها ثابتةً فيها لضيق النّفوس البشريّة الخياليّة عن الاحاطة بجميع ما ثبت فيها فيخبر بذلك ولا يقع ما يخبر به فينسب البداء الى تلك الالواح لقصور نظره لا لعدم ثبت ماوقع، وما كذب فى ذلك لانّه أخبر عن عيانه [إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي] لمّا كان اقتضاء العبوديّة الخروج من الانانيّة والتّعلّق بالحقّ الاوّل تعالى شأنه وكان اقتضاء ذلك التّعلّق استدعاء استقلال الحقّ بالانانيّة فى وجود العبد قال تعالى فى مقام يستكبرون عن دعائى يستكبرون عن عبادتى اشارةً الى هذا التّلازم [سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ] صاغرين [اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ] الجملة مستأنفة جوابٌ لسؤال مقدّر وتعداد لنعمه تعالى على العباد فى مقام التّعليل [وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا] قد سبق الآية مع بيانها فى سورة يونس (ع) [إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ] بحسب مقاماتهم النّباتيّة والحيوانيّة والانسانيّة [وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ] نعمه وفضله عليهم لانكار بعضهم مبدءً عليماً قديراً ذا عناية بالخلق، وعدم تفطّن بعضهم بكون النّعم منه، وعدم تفطّن بعضهم بنفس النّعمة، وغفلة بعضهم عن المنعم والنّعمة [ذَٰلِكُمُ اللَّهُ] الموصوف بانعام تلك النّعم [رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ] اثبت اوّلاً ربوبيّته لهم حتّى يتنبّهوا بانّه المستحقّ للعبادة دون غيره الّذى لم يكن له سمة الرّبوبيّة ثمّ ذكر خالقيّته لكلّ الاشياء، ومنها معبوداتهم، ثمّ حصر الالهة فيه نفياً لالهة معبوداتهم بعد ما اشار الى عنايته بخلقه وافضاله عليهم ليظهر بطلان انصرافهم الى غيره قبل انكار الانصراف [فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ كَذَٰلِكَ] الصّرف مع وضوح بطلانه [يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ] فى مقام ابدانكم ومقام ارواحكم [فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ] فى كلا المقامين [وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ] من الارزاق الطّيّبة النّباتيّة الارضيّة فانّ رزق مقام نبات الانسان اطيب ارزاق سائر الحيوان بحسب الشّرف واللّطف واللّذّة والنّصح، ومن الارزاق الطّيّبة الحيوانيّة الارضيّة والسّماويّة فانّ رزق الحيوان هو الالتذاذ بغذاء النّبات والالتذاذ بادراك مدارك الحيوان ومن الارزاق الطّيّبة الانسانيّة السّماويّة من العلوم والمكاشفات والمعاينات والتّحقّق بالحقائق [ذَٰلِكُمُ] الموصوف بتلك الاوصاف [اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ] مدح نفسه على خلق الانسان و تهيّة رزقه بحسب جملة مقاماته من ألطف المأكول و المشروب والمدرك والمتخيّل والمعلوم والمكشوف لانّ فى خلقه دقائق عظيمة عديدةً وصنائع متقنة وحكماً بالغة يعجز عن ادراكها العقول، وكذا فى تهيّة اسباب رزقه بحسب مقاماته الثّلاثة [هُوَ الْحَيُّ] بعد ما اشار الى بعض اضافاته بالنّسبة الى خلقه اشار الى بعض صفاته الحقيقيّة تعريضاً بمعبوداتهم و فنائها وتعريضاً بهم و بموتهم و انتهائهم اليه ليكون حجّة على عبوديّتهم لله و بطلان معبوديّة غيره [لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ] كرّره للاهتمام بتوحيده فى مقام ردّ آلهتهم [فَادْعُوهُ] يعنى اذا كان هو الباقى والباقون هم الفانين فادعوه ولا تتركوا دعاءه ولا تدعوا غيره لفنائكم وانتهائكم اليه لبقائه ولفناء غيره [مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ] اى الطّريق او الاعمال الشّرعيّة الملّيّة [الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ] انشاء حمدٍ منه تعالى على تفرّده بالآلهة كما ورد عن السّجّاد (ع): اذا قال احدكم: لا آله الّا الله فليقل: الحمدلله ربّ العالمين فانّ الله يقول: هو الحىّ (الآية) فانّ ظاهره الامر بانشاء الحمد عند توحيده، او اخبار منه بحصر الحمد فيه تعالى بعد حصر

الآلهة فيه فيكون بمنزلة النّتيجة لسابقه ، ولمّا كان الآيات فى مقام تعداد النّعم لم يأت باداة الوصل فى رؤس الآى [قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ] يعنى بعد ما ذكّرتهم بنعم الله وحصر الالهة فيه تعالى اظهر براءتك عن عبادة معبوداتهم [هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ] ذكر نعمة اخرى بطريق تعداد النّعم اوفى مقام التّعليل لقوله نهيت [مِنْ تُرَابٍ] فانّ تولّد مادّة النّطفة ليس الّا من حبوب النّبات و بقولها ولحوم الحيوان وألبانها والكلّ يحصل من التّراب [ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ] اتى بالثّلاثة منكّرة للاشارة الى انّ التّراب الحاصل منه مادّة النّطفة لابدّ وان يكون تراباً مخصوصاً متكيّفاً بكيفيّة مخصوصة ممتزجاً مع سائر العناصر، وانّ النّطفة الّتى تصير مادّة الانسان تكون نطفة مخصوصة ممتازة عن سائر النّطف وكذا العلقة [ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا] عطف على لتكونوا اوعلى محذوف اى لتستكملوا فى نفوسكم ولتبلغوا [أَجَلًا مُسَمًّى] ويكون قوله ومنكم من يتوفّى بين المعطوف والمعطوف عليه، او بين العلّة ومعلولها ، اومتعلّق بمحذوف اى ومنكم من يبقى لتبلغوا اجلاً مسمّى [وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ] تدركون بعقولكم ، او تصيرون عقلاء ، او تعقلون امر الآخرة من امر الدّنيا ، فانّ الانتقالات فى الحالات اماتات واحياءات، وليدرك الانسان من تلك الانتقالات النّقلة العظمى وانّها ليست افناءً واستيصالاً بل هى افناء لصورة واحياء بصورة اتمّ واكمل، وقد سبق فى سورة الحجّ الآية باكثر اجزائها مع بيان لها [هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ] من قبيل تعداد النّعم او تعليل لسابقه واشارة الى نعمه تعالى [فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ] قد مضى الآية مع بيانها فى سورة البقرة عند قوله تعالى : بديع السّماوات والارض واذا قضى امراً (الآية) وفى غيرها [أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ] من الله [الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا] بدل اوصفة للّذين يجادلون، اوخبر اومفعول لمحذوف اومبتدء خبره [فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ] اذ مفعول يعلمون اوظرف له، والفعل منسىّ المفعول، او مقدّر المفعول [وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ] يحمون او يوقدون [ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ] ما زائدة اوموصولة اوموصوفة والعائد محذوف [مِنْ دُونِ اللهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا] اخبروا اوّلاً بانّهم افلتوا من ايديهم ، ثمّ التفتوا الى انّهم كانوا مدعوّين بحسب حدودهم وتعيّناتهم، والحدود كانت عدميّة ولكن كانت على القاصرين كالسّراب تظهر بصورة الموجود وفى القيامة يرتفع الحدود و يعلم كلّ احد انّها كانت سراباً لاحقيقة لها فأضربوا عن اخبارهم بضلال الشّركاء عنهم وقالوا [بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا] وقد ورد الاخبار بانّ الآية فى المعرضين عن الولاية وعن علىّ (ع) ،والمراد بما يشركون رؤساء الضّلالة وعليهذا فالمراد بالّذين يجادلون فى آيات الله الّذين يجادلون فى خلافة علىّ (ع)، والمراد بالّذين كذّبوا بالكتاب الّذين كذّبوا الآيات الواردة فى الولاية، و بما ارسلنا به رسلنا هو الولاية لانّها غاية الرّسالة بدليل ان لم تفعل فما بلّغت رسالتك ، و المراد بما يشركون ما جعلوه شريكاً لعلىّ (ع) فى الخلافة ، ومن دون الله من دون اذن الله، اوحالكون الشّركاء غير علىّ (ع) الّذى هو مظهر الله [كَذَلِكَ يُضِلُّ اللهُ الْكَافِرِينَ] فى الدّنيا او فى الآخرة ، عن الباقر (ع) فامّا النّصّاب من اهل

القبله فانّهم يخدّ لهم خدّاً الى النّار الّتى خلقها فى المشرق فيدخل عليهم منها اللّهب والشّرر والدّخان وفورة الحميم الى يوم القيامة ثمّ مصيرهم الى الحميم ، ثمّ فى النّار يسجرون ، ثمّ قيل لهم : اينما كنتم تشركون من دون الله اى اين امامكم الّذى اتّخذتموه دون الامام الّذى جعله الله للنّاس اماماً [ذٰلِكُمْ] العذاب [بِمٰا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِى الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ] يعنى بالباطل فانّه يستعمل فى هذا المعنى [وَبِمٰا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ] المرح شدّة الفرح وهو مذموم لانّه اسراف فى الفرح سواء كان بالحقّ او بغير الحقّ [اُدْخُلُوا أَبْوٰابَ جَهَنَّمَ] قد سبق فى سورة الزّمر وجه تقييد الدّخول بابواب جهنّم [خٰالِدِينَ فِيهٰا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ] وضع الظّاهر موضع المضمر للاشعار بانّ المتكبّر من خرج من طاعة الامام ، وسرّه انّ الخروج من طاعة الامام ليس الّا من الانانيّة ، والانانيّة ورؤية النّفس هو التّكبّر [فَاصْبِرْ] يعنى اذا علمت حال المنافقين الّذين ينافقون بالنّسبة اليك والى علىّ (ع) فاصبر ولاتجزع ولاتحزن [إِنَّ وَعْدَ اللّٰهِ حَقٌّ] لاخلف فيه [فَإِمّٰا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِى نَعِدُهُمْ] من العذاب [أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنٰا يُرْجَعُونَ] وقد سبق الآية فى سورة يونس وسورة الرّعد [وَلَقَدْ أَرْسَلْنٰا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنٰا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ] فانظر الى حالهم ومآلهم من الله وماورد عليهم من اممهم ، ولينظر قومك الى ماكان منهم حتّى تتسلّى وتصبر على اذى قومك ، ويعلم قومك انّ الرّسول لايكون الّا بشراً ، ولايكون حاله سوى حال سائر النّاس [وَمٰا كٰانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاّٰ بِإِذْنِ اللّٰهِ] فانّ الآيات تنزل من الله على وفق الحكم والمصالح فليس لاحد ان يقترح وليس لك ان تسأل مااقترحوا [فَإِذٰا جٰاءَ أَمْرُ اللّٰهِ] بالعذاب فى الدّنيا اوالآخرة او بانقضاء الاجل او بالحساب فى القيامة او بظهور القائم عجّل الله فرجه [قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنٰالِكَ] الزّمان والمكان [الْمُبْطِلُونَ اَللّٰهُ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعٰامَ] فى مقام التّعليل اومقام تعداد النّعم [لِتَرْكَبُوا مِنْهٰا وَمِنْهٰا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهٰا مَنٰافِعُ] اُخر كالالبان والجلود والاوبار وغير ذلك [وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهٰا حٰاجَةً فِى صُدُورِكُمْ] بحمل الاحمال على ظهورها ونقلها الى ما تريدون [وَعَلَيْهٰا] فى البرّ [وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ] قد سبق الآية ببعض اجزائها فى سورة المؤمنون [وَيُرِيكُمْ آيٰاتِهِ فَأَيَّ آيٰاتِ اللّٰهِ] الدّالة على علمه وقدرته وحكمته وعنايته ورأفته بخلقه [تُنْكِرُونَ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِى الْأَرْضِ] اى ارض العالم الكبير حتّى يشاهدوا آثار الامم الهالكة الماضية ويسمعوا اخبارهم ، اوارض العالم الصّغير فيعلموا ويجدوا آثار الامم التّابعة لشهوتهم وغضبهم وشيطنتهم ، اوارض الاخبار وسير الامم الماضية ، اوارض القرآن [فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كٰانَ عٰاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كٰانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثٰاراً فِى الْأَرْضِ فَمٰا أَغْنىٰ عَنْهُمْ] اى عن عذابهم [مٰا كٰانُوا يَكْسِبُونَ] ما الاولى نافية اواستفهاميّة ، والثّانية موصولة اوموصوفة اومصدريّة او استفهاميّة [فَلَمّٰا جٰاءَتْهُمْ] عطف من قبيل عطف التّفصيل على الاجمال [رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنٰاتِ فَرِحُوا بِمٰا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ] من دقائق العلوم الحكميّة من الطّبيعيّة والرّياضيّة والآلهيّة ولم يعلموا انّ هذه العلوم ان لم تكن باذن من الله وخلفائه ولم يكن صاحبها فى الطّريق تكون حجاباً عظيماً وسدّاً سديداً عن السّلوك الى الله بل السّلوك الى الله لايكون الّا بطرح جملة علوم النّفس والخروج من العلوم النّفسانيّة الى الجهل كما قيل: الخروج من الجهل جهلٌ ، والخروج الى الجهل علمٌ ، لانّ النّفس اذا كانت متصوّرة بصور تلك العلوم ظهرت بالانانيّة ، والانانيّة كبرياء النّفس الّتى من اتّصف بها بادر الله

بالمحاربة ونازع الله، اعاذنا الله منها، ولذلك ترى انّ اكثر المعاندين لاهل الحقّ هم المتشبّهون بالعلماء المتصوّر نفوسهم بصور العلوم الحكميّة اوغيرها [وَحاقَ بِهِمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ] اى العذاب اوالفعل والقول الّذى كانوا به يستهزؤن [فَلَمّا رَأَوْا بَأْسَنا] عذابنا عند معاينة الموت [قالُوا آمَنّا بِاللهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنا بِما كُنّا بِهِ مُشْرِكِينَ] والمراد بما اشركوا به الاصنام والكواكب ورؤساء الضّلالة الّذين اشركوهم بالانبياء والاولياء(ع) خصوصاً من اشركوه بعلىّ(ع) فى الولاية فانّهم حينئذٍ يرون بطلان الشّركاء [فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ ايمانُهُمْ لَمّا رَأَوْا بَأْسَنا] لانّ الايمان حين رؤية البأس ليس الّا لخوف الخيال لالشوق العقل ولذلك كانوا لوزال الخوف لعادوا كما قال تعالى: ولو ردّوا العادوا المانهوا عنه فلم يك ينفعهم ايمانهم لمّا رأوا بأسنا يعنى انّهم تمكّنوا فى الكفر والنّفاق بحيث لا يقلعون منه وكلّما ارادوا ان يخرجوا منه من غمّ اعيدوا فيه لتمكّنهم فيه بحيث لايزال عنهم [سُنَّةَ اللهِ] سنّ الله عدم قبول التّوبة حين رؤية البأس يعنى عدم قبول التّوبة اذا كان من غمٍّ وخوفٍ السّنة [الَّتى قَدْ خَلَتْ فى عِبادِهِ وَخَسِرَ هُنالِكَ] المقام او الزّمان [الْكافِرُونَ] لانّ المقام مقام ظهور الحقّ وبطلان الباطل .

سورة حمٓ السّجدة

اربع وخمسون آيةً، مكّيّة كلّها

بسم الله الرّحمن الرّحيم

[حمٓ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ كِتابٌ فُصِّلَتْ آياتُهُ] بعد ان كان فى المقام العالى مجملاً ومجموعاً [قُرْآناً] حال كونه قرآناً ومجموعاً فى المقامات العالية ومجموعاً ومضموماً فيه الاحكام مع المواعظ والعبر والقصص والعقائد والعلوم [عَرَبِيًّا] يعنى بلغة العرب اومنسوباً الى العرب دون الاعراب من حيث اشتماله على الآداب والاحكام والعلوم [لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ] يعنى هذه الاوصاف للكتاب لقومٍ يعلمون لالغيرهم، اوكونه منسوباً الى العرب لقومٍ يعلمون اى لقومٍ خرجوا من جهالاتهم السّاذجة وجهالاتهم المركّبة الّتى هى صور العلوم العاديّة ونقوش الفنون الاصطلاحيّة الى دار العلم الّتى اوّل حريم حرمها مقام الانصات للانسان والتّحيّر فى طريقه، وآخر مقاماته نشر العلم فى العباد، اولقومٍ يعلمون انّ ذلك الكتاب منزل من الله [بَشِيراً] لمن بقى فيه الفطرة الانسانيّة وتوجّه الى تلك الفطرة [وَنَذِيراً] لمن ادبر عن تلك الفطرة سواء كان بايع كلّ منهما البيعة التّكليفيّة العامّة او الخاصّة اولم يبايع [فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ] عن هذا الكتاب [فَهُمْ لايَسْمَعُونَ] لايقبلون فانّ السّماع كناية عن القبول والانقياد كما انّه كناية عن ثانى مقامات العلم [وَقالُوا قُلُوبُنا فى أَكِنَّةٍ مِمّا تَدْعُونا اِلَيْهِ وَفى آذانِنا وَقْرٌ] اى ثقل وهو كناية عن الصّمم [وَمِنْ بَيْنِنا وَبَيْنِكَ حِجابٌ] بيننا وبينك من حيث ادّعائك للرّسالة حجاب يمنعنا عن ابصار

ما تدّعيه يعنى انّ ما تدّعيه ان كان من المعقولات فلاتكن منتظراً لتعقّلنا ، وان كان من المسموعات فلاتنتظر لسماعنا، وان كان من المبصرات بالبصر او بالبصيرة فلاتنتظر لابصارنا للحجاب المانع من الابصار بيننا و بينك [فَاعْمَلْ] ما شئت فى دينك المبتدع [إِنَّنا عامِلُونَ] فى ديننا القديم، اوكان مقصودهم من ذلك تهديده يعنى فاعمل ما شئت بنا فانّنا نعمل ما قدرنا عليه بك [قُلْ] فى جواب تهديدهم [إِنَّما أَنَا بَشَرٌ] لا اقدر [مِثْلُكُمْ] على ما لا يقدر عليه البشر حتّى افعل بكم ما اريد لكن بينى و بينكم فرقٌ وهو انّه [يُوحىٰ إِلَيَّ أَنَّما إِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ واحِدٌ] اوالمعنى قل لهم: انّما انابشرٌ من جنسكم ولست خارجاً من جنسكم حتّى لاتكونوا مناسبين لى فيستوحش قلوبكم اولاتفهموا لسانى فينصرف قلوبكم عنّى، وادعوكم الى التّوحيد الّذى لا يضرّكم شيئاً ان كان لاينفعكم [فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ] واخرجوا من اعوجاجكم [وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكٰوةَ] اقتصر على نفى اتيان الزّكوة اشعاراً بانّ المشرك ليس اشراكه الّا من انانيّته الّتى ينبغى ان تطرح فانّ اصل اتيان الزّكوة هوطرح الانانيّة والاعطاء منه فى طاعة الله ، ومن بخل بطرح الانانيّة بخل باعطاء المال والقوى والجاه، ولو اعطى لم يكن اعطاؤه اعطاءً للزّكوة بل كان ممّن قال الله : كالّذى ينفق ماله رئاء النّاس ولا يؤمن بالله ولا باليوم الاخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابلٌ فتركه صلداً لا يقدرون على شيءٍ ممّا كسبوا [وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كافِرُونَ] وقد فسّر الاشراك بالاشراك بالولاية، عن الصّادق (ع) اترى انّ الله عزّ وجلّ طلب من المشركين زكوة اموالهم وهم يشركون به حيث يقول: وويل للمشركين الّذين لا يؤتون الزّكوة وهم بالاخرة هم كافرون ؟ قيل: جعلت فداك فسّره لى ، فقال: ويلٌ للمشركين الّذين اشركوا بالامام الاوّل وهم بالائمّة الآخرين كافرون ، انّما دعى الله العباد الى الايمان به فاذا آمنوا بالله و برسوله (ص) افترض عليهم الفرائض [إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ] غيرمقطوع اوغير ما يمنّ به عليهم [قُلْ أَإِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ] الّتى هى مقرّ قراركم ومحلّ معاشكم [فِي يَوْمَيْنِ] قد يعبّر عن مراتب العالم باعتبار بالايام، وباعتبارٍ بالاشهر، و باعتبارٍ بالاعوام، و الارض اسمٌ لكلّ ما كان فيه جهة القبول اظهر وجهة الفاعليّة اخفى ، وجملة عالم الطّبع وعالم المثال هكذا كان حالهما، والتّعبير عن هذين العالمين بالارض كثير ، فالمراد بالارض الاجسام الظّلمانيّة والاجسام النّورانيّة وخلقهما ليس الّا فى المرتبة الاخيرة النّازلة الّتى هى عالم الطّبع وفى المرتبة السّابقة عليها اعنى عالم المثال وقد عبّر عنهما باعتبار امد بقائهما باليومين، وقد مضى فى سورة الاعراف بيانٌ لخلق السّماوات والارض فى ستّة ايّام وقد كان الارض باعتبار وجودها العينىّ مخلوقةً فى ذينك اليومين ولكنّها باعتبار وجودها المطلق مخلوقة فى ستّة ايّام كالسّماوات ، والسّماوات يعنى سماوات الارواح باعتبار وجودها العينىّ مخلوقة فى اربعة ايّام؛ يوم النّفوس الجزئيّة، ويوم النّفوس الكلّيّة، ويوم-العقول ويوم الارواح المعبّر عنها بيومين ، يوم المدبّرات ويوم المجرّدات الصّرفة اى النّفوس والعقول بالمعنى الاعمّ و تقدير اقوات الارض والارضين ليس الّا فى تلك الايّام الّتى هى ايّام السّماوات فانّه ينزّل من السّماء رزقاً لكم [وَتَجْعَلُونَ] مع ذلك [لَهُ أَنْداداً] لايقدرون على شيءٍ ولا يخلقون ولا يرزقون [ذٰلِكَ] الموصوف [رَبُّ الْعالَمِينَ وَجَعَلَ فِيها رَواسِيَ مِنْ فَوْقِها] لئلّا تميدبكم ولتوليد الماء من تحتها ولسهولة جريان الماء من تحتها فى سفحها [وَبارَكَ فِيها] فى الرّواسى او فى الارض فانّ الرّواسى بحسب التّنزيل منبع بركات الارض ومحلّ المعادن النّافعة والنّباتات النّافعة الغذائيّة والدّوائيّة ، و بحسب التّأويل لابركة الّا منها ، والارض محلّ البركات

الكثيرة الّتى منها الانسان و النّفوس الكاملة الّتى لا بركة الّا منها [وَقَدَّرَفِيهَا اَقْوٰاتَهٰا فِى اَرْبَعَةِ اَيّٰامٍ سَوٰاءً لِلسّٰائِلِينَ] حالكون الاقوات مساوية لجملة السّائلين بسؤال الحال والاستعداد لاتفاضل فيهم فى الاقوات المسؤلة بسؤال الحال وان كان سؤال القال قد يتخلّف المسؤل عنه و يتخلّف السّائلون فيه بحسب الاجابة وعدمها، اوحالكون الاربعة الايّام سواء للسّائلين فانّ ايّام الآخرة نسبتها الى مادونها نسبة الحقّ الى الخلق بالنّسبة الرّحمانيّة الّتى لا تفاوت فيها بالنّسبة الى شيءٍ من الاشياء، وقرئ سواء بالجرّ و بالنّصب و بالرّفع [ثُمَّ اسْتَوٰى اِلَى السَّمٰاءِ] اى قصد الى خلقها و ثمّ للتّرتيب فى الاخبار لا فى الوجود اوفى الوجود لكن فى العالم الصّغير، فانّ حدوث سماء الارواح فى العالم الصّغير بعد وجود ارض البدن وقواها وتقدير رزقها [وَهِىَ دُخٰانٌ] اى حالكون السّماء قبل تماميّة خلقتها كانت بخاراً فانّ النّفوس المعبّر عنها بالارواح مركبها ومادّتها البخار المتولّد من القلب المختلط مع الدّخان المتصاعد الى الدّماغ لتعديله و بعد تعديله ببرودة الدّماغ يتعلّق بل يتّحد معه النّفس الحيوانيّة ثمّ الانسانيّة [فَقٰالَ] بعد خلق الارض و تسوية السّماء [لَهٰا وَلِلْاَرْضِ ائْتِيٰا طَوْعًا اَوْ كَرْهًا] الاتيان الى الله وطاعته طوعاً حقّ السّماوات، والاتيان كرهاً حقّ الارض، واعتبر ذلك بارض وجودك و سماواته فانّ القوى و المدارك الّتى هى سماويّة مطيعة للنّفس بالطّوع والفطرة بحيث لا يتخلّف طاعتها عن امر النّفس والبدن الّذى هو ارض وجودك واعضائه طاعتها للنّفس ليست الّا بخلاف فطرتها، لكن اذا تبدّل الارض غير الارض وصار ارض البدن الطّبيعىّ مغلوبة لارض البدن المثالىّ بحيث لا يبقى حكم الطّبيعىّ وكان الحكم للمثالىّ كان اتيانه الى الله و طاعته للنّفس طوعاً كالمثالىّ [قٰالَتٰا اَتَيْنٰا طٰائِعِينَ] بعد ما صارت الارض مغلوبة للسّماوات، وانّما أتى بجمع العقلاء الذّكور لانّ هذا الخطاب ليس الّا للعقلاء فلمّا خوطبن بخطاب العقلاء أتى لهنّ بجمع العقلاء الذّكور [فَقَضٰيهُنَّ سَبْعَ سَمٰوٰاتٍ] كناية عن المراتب السّبع السّماويّة الانسانيّة اوعن اللّطائف السّبع القلبيّة [فِى يَوْمَيْنِ] يوم الانشاء ويوم الابداع او يوم المدبّرات و يوم المجرّدات وقد ذكر فى الاخبار، وذكر الكبار من العلماء بعض وجوهٍ اُخر للايّام السّتة والايّام الاربعة واليومين المخلوق فيهما الارض والمخلوق فيهما السّماء من اراد فليرجع الى المفصّلات [وَاَوْحٰى فِى كُلِّ سَمٰاءٍ اَمْرَهٰا] الوحى غلب على القاء العلوم بواسطة الملك او بلاواسطةٍ ،ولمّا كانت العلوم فى المجرّدات عين ذواتها غير منفكّةٍ ولا متأخّرةٍ عن ذواتها كان وحيها عبارةً عن خلقتها على ذلك والمراد بالامر الحال والشّغل يعنى اوحى الله فى كلّ سماء امر تلك السّماء الى اهلها ولم يقل الى كلّ سماء للاشارة الى انّ المراد بالسّماوات المراتب واوحى فى كلّ مرتبة امر تلك المرتبة وما تحتاج اليه من تدبير اهلها وتدبير ما دونها الى اهل تلك المرتبة من الملائكة [وَزَيَّنَّا السَّمٰاءَ الدُّنْيٰا] اى السّماء الطّبيعيّة الّتى هى عبارة عن الفلك المكوكب والافلاك السّبعة الاخر و السّماء الدّنيا الّتى هى الصّدر المنشرح بالاسلام [بِمَصٰابِيحَ وَحِفْظًا] من الشّياطين المسترقين للسّمع وقد سبق فى سورة الحجر وكذا فى سورة الصّافّات بيان للآية [ذٰلِكَ] القدر [تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ] الّذى لا يمنع من مراده [الْعَلِيمِ] الّذى لا يقع قصورٌ فى فعله لجهله بعاقبته [فَاِنْ اَعْرَضُوا] عنك اوعن الايمان بالله بعد ما بيّنت لهم حجّة صدقك وحجّة آلهة الله و تدبيره لكلّ الامور [فَقُلْ اَنْذَرْتُكُمْ] بالكنايات السّابقة اوانذرتكم بالتّهديدات الّتى هدّدتكم بها او انذركم بهذا الكلام [صٰاعِقَةً مِثْلَ صٰاعِقَةِ عٰادٍ وَثَمُودَ اِذْجٰاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ اَيْدِيهِمْ] يعنى فى زمانهم [وَمِنْ خَلْفِهِمْ] بعنى قبل زمانهم اوجاءتهم الرّسل بالمواعظ من جهة دنياهم وآخرتهم، اوحفّوا بهم من جميع جوانبهم ،اومن بين ايديهم يعنى الرّسل الظّاهرة ومن خلفهم

اى الرّسل الباطنة، او بالعكس [اَلّا تَعْبُدُوا] ان تفسيريّة ولاناهية اومصدريّة ولاناهية اونافية [اِلّا اللّهَ قالُوا] فى جواب الرّسل [لَوْشاءَ رَبُّنا] ارسال رسول الينا [لَاَنْزَلَ مَلائِكَةً] مناسبة له تعالى خارجة من جنسنا [فَاِنّا بِما اُرْسِلْتُمْ بِهِ] على زعمكم [كافِرُونَ] لانّكم بشرمثلنا لامزيّة لكم علينا حتّى نطيعكم بذلك ونقبل منكم [فَاَمّا عادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِى الْاَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقالُوا مَنْ اَشَدُّ مِنّا قُوَّةً] اغترّوا بقوّتهم لانّ الرّجل منهم يقلع الصّخرة بيده [اَوَلَمْ يَرَوْا اَنَّ اللّهَ الَّذى خَلَقَهُمْ هُوَ اَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكانُوا بِاياتِنا يَجْحَدُونَ] اى يعرفونها ثمّ ينكرونها [فَاَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ ريحاً صَرْصَراً] بارداً [فى اَيّامٍ نَحِساتٍ] ميشومات [لِنُذيقَهُمْ عَذابَ الْخِزْىِ فِى الْحَيوةِ الدُّنْيا] حين ابتلائهم بالعذاب وخروج ارواحهم بتلك الرّيح [وَلَعَذابُ الْاخِرَةِ اَخْزى] لانّ عذاب الدّنيا وان كان اشدّ مايكون لايكون الّاعشراً من اعشار عذاب الآخرة [وَهُمْ لايُنْصَرُونَ وَاَمّا ثَمُودُ فَهَدَيْناهُمْ] اى أريناهم طريق النّجاة والهلاك بارسال الرّسل و انزال الكتب وخلقهم على فطرة الاهتداء وصورة الانسان الّتى هى طريق الى الرّحمن [فَاسْتَحَبُّوا الْعَمى عَلَى الْهُدى] بان تنزّلوا عن مقام الانسانيّة وتركوا الفطرة واخذوا البهيميّة والسّبعيّة والشّيطانيّة وتركوا مافى الكتب و نبذوها وراء ظهورهم واستهزؤا بالرّسل واخذوهم اعداء [فَاَخَذَتْهُمْ صاعِقَةُ الْعَذابِ الْهُونِ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ وَنَجَّيْنَا الَّذينَ امَنُوا وَكانُوا يَتَّقُونَ وَيَوْمَ يُحْشَرُ اَعْداءُ اللّهِ] عطف على صاعقة فى انذرتكم صاعقة اوعلى اذجاءتهم الرّسل على ان يكون اذبدلاً من صاعقة عاد اوعطف على قل انذرتكم بتقدير اذكر، اوعطف على محذوف والتّقدير نجّينا الّذين آمنوا فى الدّنيا و يوم يحشر اعداء الله [اِلَى النّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ] وزعه كفّه والمعنى يحبسون ليتلاحقوا [حَتّى اِذا ما جاؤُها شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَاَبْصارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ وَقالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنا قالُوا اَنْطَقَنَا اللّهُ الَّذى اَنْطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ اَوَّلَ مَرَّةٍ وَ اِلَيْهِ تُرْجَعُونَ] عن القمّىّ، انّ الآية نزلت فى قوم تعرض عليهم اعمالهم فينكرونها فيقولون: ماعملنا شيئاً منها، فيشهد عليهم الملائكة الّذين كتبوا اعمالهم، قال الصّادق (ع) فيقولون لله : يا ربّ هؤلاء ملائكتك يشهدون لك ثمّ يحلفون بالله مافعلوا من ذلك شيئاً وهو قول الله عزّوجلّ يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم وهم الّذين غصبوا اميرالمؤمنين فعند ذلك يختم الله تعالى على السنتهم و ينطق جوارحهم فيشهد السّمع بماسمع ممّا حرّم الله، و يشهد البصر بمانظر الى ماحرّم الله عزّوجلّ، وتشهد اليدان بمااخذتا، وتشهد الرّجلان بماسعتافيما حرّم الله عزّوجلّ، و يشهد الفرج بماارتكب ممّا حرّم الله، ثمّ ينطق الله عزّوجلّ السنتهم فيقولون هم لجلودهم : لم شهدتم علينا (الآية) [وَما كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ اَنْ يَشْهَدَ] من ان يشهد [عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا اَبْصارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ] والمراد بالجلود كمافى اخبار كثيرة الفروج [وَلكِنْ ظَنَنْتُمْ] يعنى انّكم كنتم لاتخفون عن حضور جوارحكم ولكن تجرّأتم على المعاصى لظنّكم [اَنَّ اللّهَ لايَعْلَمُ كَثيراً مِمّا تَعْمَلُونَ وَذلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذى ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ] من غير حقيقة [اَرْديكُمْ] ظنّكم خبر ذلكم او بدله و أرديكم خبره اوخبرٌ بعد خبرٍ اومستأنفٌ اوحالٌ بتقدير قد [فَاَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخاسِرينَ] لضياع بضاعتكم الّتى هى امداعماركم وشهادة ماكان لكم عليكم، عن الصّادق (ع) انّه قال، قال رسول الله (ص) :انّ آخر عبد يؤمر به الى النّار فاذا امر به التفت فيقول الجبّار جلّ جلاله: ردّوه ، فيردّونه فيقول له : لم التفتّ الىّ ؟ فيقول: ياربّ لم يكن ظنّى بك هذا ! فيقول : ماكان ظنّك بى؟ فيقول :

يارب كان ظنّي بك ان تغفر لي خطيئتي وتسكنني جنّتك، قال: فيقول الجبّار: ياملائكتي لاوعزّتي وجلالي وآلائي وعلوّي وارتفاع مكاني ماظنّ بي عبدي هذا ساعة من خير قطّ ولوظنّ بي ساعة من خير مار وّعته بالنّار، اجيزوا له كذبه وادخلوه الجنّة، ثم قال رسول الله (ص): ليس من عبد يظنّ بالله عزّوجلّ خيراً الّا كان عند ظنّه به وذلك قوله عزّوجلّ وذٰلكم ظنّكم الّذي ظننتم بربّكم أرديٰكم فأصبحتم من الخاسرين [فَاِنْ يَصْبِرُوا فَالنّارُ مَثْوىً لَهُمْ] يعني سواء عليهم صبروا او جزعوا اوسألوا الرّاحة و الرّضا [وَ اِنْ يَسْتَعْتِبُوا] يسترضوا [فَماهُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ] من المعطون للرّضا [وَقَيَّضْنا] عطف على نجّينا والمعنى انّا قدّرنا وسبّبنا [لَهُمْ] في الدّنيا [قُرَناءَ] يعني شياطين الانس و الجنّ [فَزَيَّنُوا لَهُمْ ما بَيْنَ اَيْديهِمْ] قدمضى مكرّراً انّ ما بين ايديهم فسّر بالدّنيا و بالآخرة وكذا قوله تعالى [وَما خَلْفَهُمْ] يعني انّ القرناء زيّنوا لهم الشّهوات ومقتضى السّبعيّة والشّيطانيّة وزيّنوا لهم ما ظنّوه وقالوا في امر الآخرة من الرّدّ والانكار، او بان قالوا ان رددنا الى ربّنا لكان لنا خيراً منها منقلباً [وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ] بسوء اعمالهم و اقوالهم واحوالهم [فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْاِنْسِ] من الامم الفاجرة [اِنَّهُمْ كانُوا خاسِرينَ وَقالَ الَّذينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهٰذَا الْقُرْآنِ] اى مطلق القرآن اوقرآن ولاية عليّ (ع) [وَالْغَوْا فيهِ] لغى في قوله كسعى ودعا ورضى اخطأ والمقصود اقرأوه مغلوطاً مخلوطاً بغيره او ادخلوا على قرآئه ماليس منه اوعارضوه بالباطل واللّغو [لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ] قرّاءه او تغلبون محمّداً (ص) [فَلَنُذيقَنَّ الَّذينَ كَفَرُوا عَذاباً شَديداً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ] بازاء جميع اعمالهم حسناتها و سيّئاتها كبائرها وصغائرها [اَسْوَءَ الَّذي كانُوا يَعْمَلُونَ] نفس اسوء اعمالهم او جزاء اسوء اعمالهم على تجسّم الاعمال وجزائها بالجزاء الاخرويّ، وقد مرّ بيان جزاء الاعمال للمؤمن بأحسن اعماله و بيان معاني هذه العبارة في سورة التّوبة [ذٰلِكَ جَزاءُ اَعْداءِ اللهِ النّارَ لَهُمْ فيها دارُ الْخُلْدِ جَزاءً بِما كانُوا بِآياتِنا يَجْحَدُونَ] كثرة وجوه اعراب الآية لاتخفى على العارف بقوانين الاعراب [وَقالَ الَّذينَ كَفَرُوا] أتى بالماضي لتحقّق وقوعه، اولكونه ماضياً بالنّسبة الى من خوطب به [رَبَّنا اَرِنَا الَّذَيْنِ اَضَلّانا مِنَ الْجِنِّ وَالْاِنْسِ] قد فسّر المضلّان من الجنّ والانس بابليس الّذي عصى الله اوّل ماعصى و بقابيل من آدم (ع) وبابليس الّذي دخل في شوريهم في دار النّدوة وفي غيرها فأضلّهم عن الحقّ [نَجْعَلْهُما تَحْتَ اَقْدامِنا] انتقاماً منهما [لِيَكُونا مِنَ الْاَسْفَلينَ] من حيث المذلّة و المكان [اِنَّ الَّذينَ قالُوا رَبُّنَا اللهُ] جواب لسؤال مقدّر كأنّه قيل: هذا حال الكافرين والمنافقين، فما حال المؤمنين بالولاية والمقرّين بالخلافة؟ فقال: انّ الّذين قالوا ربّنا الله انّما قال: قالوا ربّنا، دون علموا اوايقنوا اوشاهدوا لانّه اشارة الى الاسلام والبيعة العامّة النّبويّة و بالاسلام، و بتلك البيعة لايحصل الّا الاقرار بانّ الله ربّ ولوحصل اعتقاد بذلك كان ذلك الاعتقاد من علوم النّفس المنفكّة عن معلوماتها المعبّر عنها بالظّنون كما اشرنا اليه في مطاوي ماسلف، وقد ورد في الاخبار انّ الاسلام اقرار باللّسان دون الايمان [ثُمَّ اسْتَقامُوا] اى اعتدلوا، والاعتدال الاضافيّ لايحصل الّا بالبيعة الايمانيّة الولويّة الخاصّة كما انّ الاعتدال الحقيقيّ الّذي هو عبارة عن الخروج من الاعوجاج في جميع المراتب لايحصل الّا بتلك البيعة والعمل بشروطها فان اريد بالاعتدال الاعتدال الاضافيّ كان المراد بالمعتدلين مطلق من بايع البيعتين ودخل في امر الائمّة، ودخل الايمان في قلبه كما ورد في الاخبار تفسيرهم بشيعتهم ان اريد الاعتدال الحقيقيّ كان المراد الانبياء والاولياء (ع) كما فسّروا بالائمّة و اذا اريد الشّيعة من المستقيمين كان نزول الملائكة على بعضهم في مطلق الحيوة الدّنيا وعلى بعضهم خاصّاً بوقت الاحتضار وكان معنى قوله: نحن اولياؤكم في الحيوة

الدّنيا بالنّسبة الى من كان نزول الملائكة عليه خاصّاً بوقت الاحتضار انّا كنّا في الحيوة الدّنيا اولياؤكم كنّا نحرسكم و نحفظكم ونثبّتكم على الخير، و بالنّسبة الى من تنزّل الملائكة عليه مطلقاً فالمعنى ظاهر، وعن الصّادق (ع) انّه قال: استقاموا على الائمّة (ع) واحداً بعد واحد، وعن الرّضا (ع) انّه سئل: ما الاستقامة؟ - قال: هي والله ما انتم عليه [تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلٰائِكَةُ] في الدّنيا بالنّسبة الى الانبياء والاولياء (ع) و بعض الاتباع ، وفي آخر الحيوة الدّنيا بالنّسبة الى بعض الاتباع [اَلّٰا تَخٰافُوا] ان تفسيريّة ولا ناهية اومصدريّة و لا ناهية اونافية اى مخاطبين بان لا تخافوا [وَلٰا تَحْزَنُوا وَاَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِى كُنْتُمْ تُوعَدُونَ] بواسطة الانبياء (ع) [نَحْنُ اَوْلِيٰاؤُكُمْ فِى الْحَيٰوةِ الدُّنْيٰا] قد مضى بيانه آنفاً [وَفِى الْاٰخِرَةِ] يعنى من اوّل مقامات البرزخ الى الاعراف ومن الاعراف الى الجنّة و بعد الدّخول في الجنّة الى الابد [وَلَكُمْ فِيهٰا مٰا تَشْتَهِى اَنْفُسَكُمْ] اى ذواتكم اوما تشتهى انفسكم الّتى هى مقابل عقولكم لانّ العقول تشتاق الى الرّبّ ، والاشتهاء خاصّ بالنّفوس يعنى انّكم منعتم نفوسكم عن مشتهياتها في الدّنيا فتفضّل الله عليكم في الآخرة بتهيّؤ ما تشتهى انفسكم لها [وَلَكُمْ فِيهٰا مٰا تَدَّعُونَ] تطلبون سواء كان باقتضاء نفوسكم او باشتياق عقولكم [نُزُلًا] حال كون ما تشتهى نفوسكم وما تدّعون مهيّأً لكم لتشريف نزولكم [مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ] عن الصّادق (ع) قال: ما يموت موالٍ لنا مبغضٌ لاعدائنا الّا و يحضره رسول الله (ص) وامير المؤمنين والحسن (ع) والحسين (ع) فيرونه و يبشّرونه ، وان كان غير موالٍ يراهم بحيث يسوءه ، والدّليل على ذلك قول امير المؤمنين (ع) لحارث الهمدانىّ :

باحار همدان من يمت يرنى من مؤمنٍ او منافقٍ قبلاً

وفى تفسير الامام (ع) عند قوله تعالى: و يظنّون انّهم ملاقوا ربّهم من سورة البقرة ، قال رسول الله (ص) : لايزال المؤمن خائفاً من سوء العاقبة ولا يتيقّن الوصول الى رضوان الله حتّى يكون وقت نزع روحه وظهور ملك الموت له، وذلك انّ ملك الموت يرد على المؤمن وهو في شدّة علّته وعظيم ضيق صدره بما يخلّفه من امواله و بما هو عليه من اضطراب احواله من معامليه وعياله قد بقيت في نفسه حسراتها و اقتطع دون امانيّه فلم ينلها ، فيقول له ملك الموت: مالك تجرّع غصصك؟[1] قال لاضطراب احوالى واقتطاعك لى دون آمالى ! - فيقول له ملك الموت: وهل يحزن عاقل من فقد درهم زائف واعتياض الف الف ضعف الدّنيا ؟ فيقول: لا ، فيقول ملك الموت ، فانظر فوقك، فينظر فيرى درجات الجنان وقصورها الّتى يقصر دونها الامانىّ، فيقول ملك الموت : تلك منازلك ونعمك و اموالك واهلك وعيالك ومن كان من اهلك ههنا وذرّيّتك صالحاً فهم هنالك معك ، أفترضى بهم بدلاً ممّا ههنا؟ فيقول: بلى والله، ثمّ يقول: انظر، فينظر فيرى محمّداً (ص) وعليّاً (ع) والطّيّبين من آلهما في اعلى علّيّين ،فيقول: اوتريهم؟ ! هؤلاء ساداتك وائمّتك هم هناك جلّاسك وانّاسك ، أفما ترضى بهم بدلاً ممّا تفارق هنا؟ - فيقول: بلى و ربّى، فذلك ما قال الله عزّوجلّ : انّ الّذين قالوا ربّنا الله ثمّ استقاموا تتنزّل عليهم الملائكة الّا تخافوا و لا تحزنوا فما امامكم من الاحوال فقد كفيتموها ولا تحزنوا على ما تخلّفونه من الذّرارى والعيال فهذا الّذى شاهدتموه في الجنان بدل منهم و ابشروا بالجنّة الّتى كنتم توعدون وهذه منازلكم وهؤلاء ساداتكم أنّاسكم وجلّاسكم [وَمَنْ اَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعٰا اِلَى اللّٰهِ] يعنى ممّن دعا الى الله في مملكة وجوده اعوانه وجنوده اذا لم يكن من اهل دعوة غيره الى الله اوممّن دعا اهل العالم الكبير اذا كان نبيّاً اوخليفته (ع) والجملة معطوفة على جملة انّ الّذين قالوا باعتبار المعنى فانّه في معنى لا احسن قولاً اوحاليّة بهذا الاعتبار او بتقدير القول وعلى اىّ تقدير فهى في معنى التّعليل [وَعَمِلَ صٰالِحًا وَقٰالَ

(١) - غصص بالطّعام و الماء = اعترض في حلقه فمنعه التّنفّس .

[اِنَّنِى مِنَ الْمُسْلِمِينَ] يعنى لا احسن قولاً ممّن دعا بأفعاله و اقواله و احواله و اخلاقه الى الله وعمل صالحاً باركانه اى صالحاً عظيماً هو الولاية الحاصلة بالبيعة الخاصّة اونفس البيعة الخاصّة فانّه لايراد به فردٌ من الصّالح لدلالته حينئذ على ان من دعا الى الله وعمل صالحاً ما، وان كان ترك جملة الصّالحات يكون احسن قولاً من جميع الخلق، فانّ هذه العبارة قد مرّ مراراً انّها تستعمل فى هذا المعنى وان كان مفهومها اعمّ، او المراد فردٌ ما من الصّالح والمقصود انّ من بايع البيعة الخاصّة ودخل الايمان فى قلبه واظهر اثر تلك البيعة على اعضائه من دعائه الى الله بحاله وقاله ومن عمله باركانه صالحاً ما من الصّالحات واظهر اثر تسليمه على لسانه بان يقول: انّنى من المسلمين فانّه قد يؤتى بهذه العبارة عند المبالغة فى امر الولاية كما ورد انّ الله فرض على خلقه خمساً، فرخّص فى اربع ولم يرخّص فى واحدة اشار الى الولاية، وهذا من باب المبالغة فى امر الولاية، وامثال هذا الخبر للمبالغة فى الولاية عنهم كثيرة، وللاشارة الى انّه يلزم ظهور اثر التّسليم على اللّسان قال تعالى: وقال انّنى من المسلمين ولم يقل وكان من المسلمين وكما انّ الآية السّابقة كانت فى علىّ (ع) وشيعته من غير اختصاص لها بعلىّ (ع) او بالائمّة (ع) كذلك هذه الآية لا اختصاص لها بعلىّ (ع) والائمّة (ع) بل تجرى فى شيعتهم كما ذكرنا [وَلَا تَسْتَوِى الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ] تمهيدٌ لما يأتى وتعليلٌ لما مضى والاعتقاد بعدم استواء الحسنة والسّيّئة من الفطريّات فمن اختار عليه غيره ممّن اطّلع عليهما كان خارجاً من الفطرة [اِدْفَعْ] سيّئة من اساء اليك [بِ] الفعلة [الَّتِى هِىَ اَحْسَنُ] وقد مضى بيان هذه الآية فى سورة المؤمنون [فَاِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَاَنَّهُ وَلِىٌّ حَمِيمٌ] اى محبٌّ قريبٌ فى النّسب وقد فسّر فى الخبر الحسنة بالتّقيّة والسّيّئة بالاذاعة وهو وجهٌ من وجوه الآية، ويجوز ان يفسّر الّتى هى احسن بالولاية اى ادفع سيّئات نفسك وسيّئات غيرك بتذكّر جهة الولاية او قبول الولاية او بتذكيرهم بالولاية ولعلّ التّعبير عن الاساءة بالسّيّئة كان لهذا الوجه [وَمَا يُلَقّٰيهَا] اى هذه السّجيّة والخصلة الّتى هى دفع الاساءة بالحسنة [اِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا] لانّ النّفس فى جبلّتها هيجان الغضب عند ورود ما لا يلائم، والغضب اقتضاؤه الدّفع بأشدّ ما يمكن فمن لا يمكن له حبس النّفس عن هيجان غضبها لا يدرك من هذه الخصلة شيئاً [وَمَا يُلَقّٰيهَا اِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ] من كمالات الانسان وقد قيل بالفارسيّة: «نيكى را نيكى خرخارى، بدى را بدى سگ سارى، بدى را نيكى كار عبدالله انصارى» والخطاب عامّ او خاصّ بمحمّد (ص) مع التّعريض بامّته [وَاِمَّا يَنْزَغَنَّكَ] نزغه كمنعه طعن فيه واغتابه و وسوس و بينهم افسدوا غرى [مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ] مصدر بمعنى الفاعل اومن قبيل جدّ جدّه يعنى ان يوسوسك من قبل الشّيطان موسوسٌ او يطعن فيك طاعنٌ او يدفعك دافعٌ حال ارادتك الاحسان الى المسيء [فَاسْتَعِذْ بِاللهِ] من نزغه فانّه يعيذك [اِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ] لاستعاذتك [الْعَلِيمُ] باستجارتك، اوفاستعذ بالله من طاعته فانّه السّميع لاقتصاصك القولىّ، العليم لاقتصاصك الفعلىّ فيؤاخذ عليه.

سجدةٌ واجبةٌ

[وَمِنْ اٰيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ] عطف باعتبار المعنى كأنّه توهّم متوهّم انّه قال: من آياته من دعا الى الله ومن آياته عدم استواء الحسنة والسّيّئة فقال تعالى: و من آياته اللّيل و النّهار [وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ] قد مضى مكرّراً انّ فى انتضاد اللّيل و النّهار الطّبيعيّين و اتّساق حركة الشّمس والقمر و تخالف اللّيل والنّهار بالظّلمة و النّور والبرودة والرّطوبة و الحرارة واليبوسة و الاتّساق فى الزّيادة والنّقيصة وغير ذلك من لوازم ذلك الّذى نيط بها توليد المواليد و بقاؤها و تعيّشها آياتٌ عديدةٌ دالّة على علمه وقدرته و ربوبيّته ورأفته بخلقه وغير ذلك من اضافاته [لَا تَسْجُدُوا] تفريع على سابقه لكنّه اداه بطريق الجواب لسؤالٍ مقدّر ليتمكّن حال الشّمس والقمر فى ذهن السّامع [لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ] لكونهما من آياته تعالى ولا يخفى

على المستبصر تعميم اللّيل والنّهار والشّمس والقمر [وَاسْجُدُوا لِلّٰهِ الَّذي خَلَقَهُنَّ] أتى بالجمع امّا لكون المراد بالشّمس والقمر الجنس وتعدّد افرادهما وعمومهما كما عليه حكماء الافرنج، و يستفاد من تلويحات الاخبار، اوللاشارة الى التّأويل وكثرة الشّمس والقمر بحسب التّأويل فانّ النّبيّ (ص) وخليفته يعبّر عنهما بالشّمس والقمر وكذلك خلفاؤهما ومشايخهما والعقل والنّفس يطلق عليهما الشّمس والقمر، والعقل الكلّيّ والنّفس الكلّيّة شمس وقمر، وكلّ معلّم ومتعلّم شمس وقمر، وفي عالم البرزخ وعالم المثال شموس واقمار [إِنْ كُنْتُمْ إِيّاهُ تَعْبُدُونَ] يعني ان كنتم تحصرون العبادة فيه، فانّ النّظر على الواسطة وجعله مسمّىً مع انّه كان اسماً امّا كفر اوشرك، والنّظر على ذي الواسطة من مرآة الواسطة عبادة للمسمّى بايقاع الاسماء عليه وتوحيدٌ لذاته ولعبادته ، وههنا احد مواضع السّجود الفرض الاربعة [فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا] صرف الخطاب عنهم الى نبيّه (ص) لانّ النّهي والامر كانا للمشركين بالاشراك الصّوريّ الّذين كانوا يعبدون الشّمس والقمر ، اوللمشركين بالاشراك المعنويّ الّذين كانوا يعبدون النّفس واهويتها ، اوالّذين كانوا يرون النّبيّ (ص) اوخليفته (ع) منفكّاً عن الله تعالى، اوالّذين كانوا يعبدون الملائكة وكانوا يرونهم غير الله، وكان المناسب ان يكون الخطاب لهم حتّى يكون سبباً لنشاطهم في الاستماع، وهذا تسليةٌ له (ص) عن حزنه على استكبارهم [فَالَّذينَ عِنْدَ رَبِّكَ] من الملائكة المقرّبين الّذين لهم مقام العنديّة بالنّسبة اليه تعالى ومن الاناسيّ الكاملين الّذين حصل لهم مقام العنديّة [يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهارِ] الاتيان باللّيل والنّهار قيداً لتسبيحهم دليلٌ على ارادة الكمّلين من الاناسيّ [وَهُمْ لا يَسْأَمُونَ وَمِنْ آياتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خاشِعَةً] كناية عن يبسه و قراره [فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَيْهَا الْماءَ اهْتَزَّتْ] اهتزاز الارض بهيجان حبوبها و عروقها لنبت النّبات و ورق الاشجار [وَرَبَتْ] بالنّبات [إِنَّ الَّذي أَحْياها] بالنّبات بعد موتها عن النّبات [لَمُحْيِي الْمَوْتى] بالحيوة الشّريفة الانسانيّة بعد موتهم عن الحيوة الحيوانيّة بل عن الحيوة البشريّة عند النّفخة الاولى [إِنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ] من الاماتة والاحياء وغير ذلك [إِنَّ الَّذينَ يُلْحِدُونَ في آياتِنا] جوابٌ لسؤال مقدّرٍ كأنّه قيل: ما نمن يرى تلك الآيات وينصرف عنها بل يصرفها عن وجهها بالتّحريف والتّأويل واللّغو فيها والطّعن و الرّدّ و الاستهزاء بها ؟ ـ فقال : انّ الّذين يميلون عن الاستقامة في الآيات [لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنا أَفَمَنْ يُلْقى فِي النّارِ] في مقام فيلقون في النّار لكنّه أتى بتلك العبارة اشارةً الى هذا المعنى مع شيءٍ آخر [خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتي آمِناً يَوْمَ الْقِيامَةِ اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ إِنَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصيرٌ] وعيدٌ شديدٌ [إِنَّ الَّذينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمّا جاءَهُمْ] جملة لا يخفون خبرٌ اوحالٌ اومستأنفةٌ وجملة افمن يلقى خبرٌ اوخبرٌ بعد خبرٍ اوحالٌ اومستأنفة والكلّ بتقدير القول وجملة اعملوا خبرٌ او خبرٌ بعد خبرٍ اوحالٍ او مستأنفة والكلّ بتقدير القول وانّ الّذين كفروا تأكيد لقوله انّ الّذين يلحدون وخبر انّ محذوف بقرينة خبر انّ الاولى اومستأنفة جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ والخبر محذوفٌ بقرينة السّابق اى لا يخفون او هم الّذين يلحدون اوالخبر قوله تعالى اولئك ينادون من مكانٍ بعيدٍ [وَإِنَّهُ لَكِتابٌ عَزيزٌ] مكرّم [لا يَأْتيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ] اى من بعده باتيان رسولٍ وكتابٍ ينسخه اومن قبله بان يبطله الكتب الماضية مثل التّوراة والانجيل [وَلا مِنْ خَلْفِهِ] بالوجهين [تَنْزيلٌ مِنْ حَكيمٍ حَميدٍ] في مقام التّعليل لعدم البطلان سواء كان خبر مبتدءٍ محذوف والجملة مستأنفة اوحالا اوكان خبراً بعد خبر [ما يُقالُ لَكَ] جوابُ سؤالٍ مقدّرٍ كأنّ محمّداً (ص) قال : ما افعل بهم و بما يقولون

فى حقّى او فى حقّ علىّ (ع)؟ـ فقال تعالى تسلية له: ما يقال لك [اِلّا ما قَدْ قيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ اِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ] فيغفر لهم كثير اقوالهم ولا يؤاخذهم بما يقولون فتأسّ بهم واغفر لهم [وَذُو عِقابٍ] فيؤاخذهم بمعاصيهم فلا تعجل لمؤاخذتهم [اَليمٍ وَلَوْ جَعَلْناهُ قُرْاٰناً اَعْجَمِيّاً] كأنّهم قالوا بينهم اولمحمّد (ص): لوكان من عندالله لكان بلسانٍ مغايرٍ للسان البشر، وقد قيل: انّه جواب لقولهم هلّا نزل هذا القرآن بلغة العجم؟ [لَقالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ اٰياتُهُ] يعنى لولا نزلت بلغتنا حتّى نفهمه؟ [ءَاَعْجَمِىٌّ] يعنى لقالوا ءاعجمىّ؟ [وَ] المخاطب، اوالمنزل عليه [عَرَبِىٌّ] و الاعجمىّ هو الّذى لا يفهم كلامه، و يقال لكلامه ايضاً اعجمىّ وقرئ اعجمىّ بفتح العين وهمزة واحدة [قُلْ هُوَ لِلَّذينَ اٰمَنُوا هُدىً وَشِفاءٌ وَالَّذينَ لا يُؤْمِنُونَ فى اٰذانِهِمْ] من حيث سماع المعنى والاعراض منه [وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمىً] غير مفهوم لهم يقول للكلام الّذى لا يفهم معناه عمىً ومعمّىً [اُولٰئِكَ يُنادَوْنَ مِنْ مَكانٍ بَعيدٍ] يعنى هذه الفرقة ينادون بهذا الكتاب من مكان بعيدٍ لا يصل النّداء اليهم لانّ الكتاب نزل من مقامٍ عالٍ الى صدرٍ منشرحٍ بالاسلام و هؤلاء فى غاية البعد من مقام الصدر المنشرح بالاسلام لوغولهم فى البهيميّة و السّبعيّة و الشّيطنة [وَلَقَدْ اٰتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ فَاخْتُلِفَ فيهِ] بالرّدّ و القبول و العمل فيه وترك العمل والعمل ببعضه و ترك بعضه كما اختلف قومك فى كتابك [وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ] بالامهال الى مدّةٍ معيّنةٍ [لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ] اى بين المختلفين من قوم موسى (ع) او بين قومك [وَاِنَّهُمْ لَفى شَكٍّ مِنْهُ] من القرآن او من كتاب موسى (ع) [مُريبٍ مَنْ عَمِلَ صالِحاً] اىّ صالح كان، اوصالحاً عظيماً هو الولاية و البيعة الخاصّة [فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ اَساءَ] اى عمل سيّئة [فَعَلَيْها وَما رَبُّكَ بِظَلّامٍ لِلْعَبيدِ] اى بذى ظلم يعنى لا يفعل بهم مالا يستحقّونه.

[الجزء الخامس والعشرون]

[اِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السّاعَةِ] قد فسّر السّاعة بحين الموت و بالقيامة و بظهور القائم (ع) والكلّ واحد على التّحقيق وعلم ذلك مختصّ به تعالى واما قولهم (ع): عندنا علم البلايا والمنايا، فهم فى ذلك آلهيّون لا بشريّون [وَما تَخْرُجُ] ماموصولة معطوفة على علم السّاعة اونافية والجملة معطوفة على جملة اليه يردّ علم السّاعة [مِنْ ثَمَراتٍ مِنْ اَكْمامِها] جمع الكمّ بالكسر وهو او الكمامة وعاء الطّلع وغطاء النّور [وَما تَحْمِلُ مِنْ اُنْثى وَلا تَضَعُ اِلّا بِعِلْمِهِ] وعلم من يعلم ذلك من افراد البشر من علمه تعالى [وَيَوْمَ يُناديهِمْ] متعلّق بمحذوفٍ اى اذكر او ذكّرهم او متعلّق بقالوا [اَيْنَ شُرَكائى] الّذين جعلتموهم شركائى فى الوجوب اوفى العبادة او فى الطّاعة اوأين شركائى بحسب مظاهرى وخلفائى من مقابلى علىّ (ع) [قالُوا اٰذَنّاكَ] اعلمناك بضلالهم عنّا او ببراءتنا منهم اوقوله تعالى [ما مِنّا مِنْ شَهيدٍ] مفعولاه معلّق عنهما العامل و المعنى ما منّا شاهدٌ يشهد لهم بالشّراكة، اوما منّا احدٌ يشاهدهم لضلالهم عنّا، اوانكروا اشراكهم وقالوا: ماكان احد منّا يشهد بشركهم فى الدّنيا [وَضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ] من الاصنام والكواكب وائمّة الضّلال ومطلق الرّؤساء [وَظَنُّوا] اى ايقنوا [ما لَهُمْ مِنْ مَحيصٍ] مهرب [لا يَسْأَمُ الْاِنْسانُ] الجملة منقطعة عن سابقها لفظاً ومعنىً، اوجوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: لم ظنّوا ذلك؟

فقال: لانّ الانسان لايسأم [مِنْ دُعاءِ الْخَيْرِ وَاِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَؤُسٌ قَنُوطٌ] فلذلك ظنّوا انّهم لا محيص لهم [وَ لَئِنْ اَذَقْناهُ رَحْمَةً مِنّا مِنْ بَعْدِ ضَرّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هٰذا لي وَما اَظُنُّ السّاعَةَ قائِمَةً وَ لَئِنْ رُجِعْتُ اِلىٰ رَبّي اِنَّ لي عِنْدَهُ لَلْحُسْنىٰ] وذلك لما تكرّر منّا انّ الخيال حين الاستيحاش وغلبة الهمّ يفرّ كالشّيطان و يظهر سلطان العقل فاذا رفع الخوف لايدّعي الحكم للعقل و يظهر بانانيّته و ينكر المبدء والمعاد كما هو شأنه وشأن الشّيطان ، و يظنّ انّه ان كان ما يقولون صادقاً فالله لايختار عليه غيره لكرامته عليه [فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذينَ كَفَرُوا بِما عَمِلُوا] كناية عن جزائهم باعمالهم السّيّئة خلاف ماظنّوه [وَلَنُذيقَنَّهُمْ مِنْ عَذابٍ غَليظٍ وَاِذا اَنْعَمْنا عَلَى الْاِنْسانِ اَعْرَضَ] عنّا وعن شكر نعمنا [وَنَـٰا بِجانِبِهِ] اى نأى عنّا ومال الى جانبه بمعنى انّه ظهر بانانيّته و رؤية نفسه والاعجاب بها وظنّ انّ النّعمة باستحقاقها ونسى انعامنا وانّ النّعمة عارية عليها لامدخليّة لها فيها [وَاِذا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعاءٍ عَريضٍ] لحفظ انانيّته و وجوده [قُلْ اَرَاَيْتُمْ] قد مضى بيان هذه الكلمة فى سورة الانعام عند قوله تعالى: قل ارأيتكم ان اتاكم عذاب الله [اِنْ كانَ] هذا الانعام اوالرّسول اوالقرآن اوقرآن ولاية علىّ (ع) اونصب علىّ (ع) [مِنْ عِنْدِ اللهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ اَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ في شِقاقٍ] فى طرف من الله اومن الرّسول (ص) [بَعيدٍ] الجملة جزاء الشّرط بتقدير القول اوبتقدير الفاء فقط اوالجزاء محذوف و من اضلّ مستأنف [سَنُريهِمْ اٰياتِنا] جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ و لمّا كان القرآن خوان اطعام الله وكان فيه و فى آياته طعام الادانى والاعالى و الكافر والمؤمن والضّالّ والمهتدى كما يرى من تمسّك كلّ فرقة فى مذهبهم به ، و نعم ماقيل:

منعم كامل چو خوانباشى بود　　　بر سر خوانش ز هر آشى بود

كان الآية بالنّسبة الى كلّ فرقة جواباً لسؤالٍ غير ما للفرقة الاخرى فكأنّه قيل : بالنّسبة الى الجاحدين والمنكرين: متى يعترف هذه الفرقة؟ـ فقال تعالى: سنريهم آياتنا [فِي الْاٰفاقِ] بالنّقص فى اموالهم وانفسهم بانواع البلايا الّتى كانت خارجة من عاداتهم [وَفي اَنْفُسِهِمْ] بانواع الامراض والاوجاع [حَتّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ] اى لمن لم يكن له استعداد التّوبة والسّعادة عند معاينة الموت ، ولمن كان له استعداد التّوبة قبل ذلك [اَنَّهُ الْحَقُّ] فيتوب من يتوب و يشقى من يشقى، وكأنّه قيل بالنّسبة الى الضّالّين المتحيّرين فى الله اوفى الرّسالة اوفى الولاية: متى يهتدون و يخرجون من التّحيّر والضّلال؟ـ فقال تعالى: سنريهم آياتنا الدّالّة على مبدءٍ عليمٍ قديرٍ حكيمٍ رؤفٍ رحيمٍ ، اوعلى صدق رسولنا (ص) ورسالته، اوعلى الولىّ (ع) وولايته فى الآفاق من الآيات السّابقة وجبران مافات منهم، وترتّب الفوائد الكثيرة على البلايا الواردة فى الآفاق وفى انفسهم ممّا ذكر سابقاً وممّا يشاهدونها فى المنام اوفى اليقظة من تبدّلات احوالهم ومن بسطاتهم وقبضاتهم وممّا القى فى قلوبهم من العلوم والخوف والاستبشار حتّى يتبيّن لهم انّ الله حقّ اوالرّسول (ص) حقّ اوعليّاً (ع) حقّ ، وكأنّه قيل بالنّسبة الى المسلم الّذى كان واقفاً عن الولاية: متى يظهر عليهم حقيّة الولاية؟ـ فقال تعالى: سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتّى يتبيّن لهم انّ الله هو الحقّ المضاف الّذى هو علىّ (ع) ، و بالنّسبة الى المؤمن الّذى بايع البيعة الخاصّة الواقف عن مقام الحضور سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتّى يتبيّن بظهور ولىّ الامر فى صدورهم انّه الحقّ ، و بالنّسبة الى من كان له مقام الحضور عند ربّه قوله تعالى [اَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ] ولكون هذا لمن كان له مقام الحضور أتى بالخطاب عاماً اوخاصاً بمحمّد (ص) [اَنَّهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهيدٌ] حاضر أتى بعلى للاشارة الى

احاطته بكل ّشيء ولذلك قال [اَلَا اِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِنْ لِقٰاءِ رَبِّهِمْ اَلَا اِنَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُحِيطٌ] لمّا كان الله تعالى بحسب وجود ذاته بلانهاية وليس له حدّ يحدّ وجوده ولا نهاية ينتهى اليها فلابدّ ان لايخرج من حيطة وجوده شيء من الاشياء فانّه لوخرج من وجوده ذرّة تحدّ به ومن حدّه فقد عدّه ، ومن عدّه فقد ثنّاه ، ومن ثنّاه فقد جزّاه ، ومن جزّاه فقد جهله ، ونعم ماقيل برهاناً عليه :

ای خدای بی نهایت جز تو کیست   چون توئی بیحدّ و غایت جز تو کیست
هيچ چيز از بی نهايت بيشكی   چون برون ناید کجا ماند یکی

واحاطته بالاشياء ليست كاحاطة الظّرف بالمظروف اوالمكان بالمتمكّن بل كاحاطة المقوّم بالمتقوّم، فانّه مع كل ّشيء بالقيّوميّة وغير كل ّشيء بحسب حدوده .

سُورَةُ الشُّورىٰ

ثلاث وخمسون آيةً ، وقيل : خمسون آية مكّيّة ، وقيل : الّاقوله : والذين استجابوا (الى قوله) لايحبّ الظّالمين ، وقيل : الّااربع آيات نزلن بالمدينة : قل لااسألكم عليه اجراً الّاالمودّة فى القربى (الى قوله) والكافرون لهم عذابٌ شديدٌ .

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

[حٰمٓ عٓسٓقٓ كَذٰلِكَ] الوحى الّذى اوحينا اليك قبل ذلك من اخبار المغيبات ومن الاحكام والمواعظ [يُوحِى اِلَيْكَ] بعد هذا الزّمان ، اوكذلك الوحى بالرّمز والحروف المقطّعة الّذى اوحينا اليك قبل ذلك يوحى اليك بعد ذلك ، اوكذلك الوحى المحفوف باذى القوم وانكارهم الّذى اوحينا اليك يوحى بعد ذلك ، اوكذلك الوحى باهلاك القوم واسكان الارض يوحى اليك [وَاِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ] اى واوحى الى الّذين من قبلك وأتاه بطريق عطف المفرد للاغتفار فى الثّوانى اولتقدير المعطوف بقرينة المعطوف عليه ، وقرئ: يوحى بالبناء للفاعل، وبالبناء للمفعول ، واذاكان مبنيّاً للمفعول فقوله تعالى [اللّٰهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ] يكون فاعل فعل محذوف اومبتدءً والجملة مستأنفة فى موضع التّعليل وخبره العزيز اوالحكيم اوقوله تعالى [لَهُ مٰا فِى السَّمٰوٰاتِ وَمٰا فِى الْاَرْضِ] والمعنى له السّماوات والارض وما فيهما [وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ تَكٰادُ السَّمٰوٰاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ] من جهة فوقهنّ اومن فوق الاراضى [وَالْمَلٰائِكَةُ يُسَبِّحُونَ] عطف على السّماوات عطف المفرد، ويسبّحون مستأنف او عطف مع يسبّحون على اسم تكاد وخبره ، او الجملة معطوفة على جملة تكاد السّماوات (الى آخره) [بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِى الْاَرْضِ] يعنى لمؤمنى الارض فانّهم عقلاء حقيقةً وغيرهم ملحقون بالبهائم كما سبق

فى سورة المؤمن عند قوله تعالى و يستغفرون للّذين آمنوا قال القمىّ ، للمؤمنين من الشّيعة التّوابين خاصّة ، و لفظ الآية عامّ والمعنى خاصّ ومراده بالتّوّابين التّوّابون فى ضمن البيعة الخاصّة ، وعن الصّادق (ع) يستغفرون لمن فى الارض من المؤمنين لانّ المؤمن الّذى بايع البيعة الخاصّة الولويّة يحصل فى قلبه كيفيّة الهيّة هى بمنزلة الانفحة و بتلك الجوهرة الالهيّة يتوجّه اليه الملائكة السّماويّة و يحفّ به الملائكة الارضيّة و يطلبون سترمساويه من الله و يسترون مساويه و يحفظونه من ظهورالمساوى عنه ، وامّا غيره فلاالتفات للملائكة السّماويّة اليه و يتنفّرعنه الملائكة الارضيّة فلايحفّون به ولايسترون مساويه [اَلَا اِنَّ اللّٰهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ] جوابٌ لسؤال مقدّرٍ [وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ اَوْلِيٰاءَ] اى اولياء حالكونهم غيره ، او اتّخذوا من دون اذنه اولياء وعلى اىّ تقديرٍ فالمقصود منهم مقابلوا المؤمنين الّذين اتّخذوا عليّاً (ع) وليّاً [اللّٰهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ] مقابل استغفار الملائكة للّذين بايعوا مع علىٍّ (ع) اومعنى حفيظ عليهم حافظ جميع اعمالهم على ضررهم ومن كان الله حافظاً عليه لايدع صغيراً ولا كبيراً من اعماله [وَمٰا اَنْتَ عَلَيْهِمْ] برسالتك [بِوَكِيلٍ] حتّى تحزن بخلافهم لك او بعنادهم لعلىٍّ (ع) ، اوتحفظ عليهم اعمالهم، اوتحفظهم عن المخالفة لعلىّ (ع) [وَكَذٰلِكَ] الوحى الّذى نوحى اليك فى علىّ (ع) اومطلقاً [اَوْحَيْنٰا اِلَيْكَ] قبل [قُرْآناً عَرَبِيًّا] بلسان العرب لابلسان العجم اوذا حكمة وعلم ومواعظ واحكامٍ ، لااعرابيّاً لم يكن فيه حكمة ومواعظ واحكام [لِتُنْذِرَ اُمَّ الْقُرىٰ] اهل امّ القرى [وَمَنْ حَوْلَهٰا] من اهل الارض جميعاً ، فانّ تمام الارض بالنّسبة الى عالم المثال تكون حول مكّة [وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ] لتنذر جميع الخلق من كلّ ما ينذر منه من امورالدّنيا و امور الآخرة وتنذرمن يوم الجمع مخصوصاً وهو يوم القيامة لاجتماع الخلائق فيه [لٰا رَيْبَ فِيهِ] قدمضى بيان عدم الرّيب فى امثاله فى اوّل البقرة عند قوله تعالى لاريب فيه [فَرِيقٌ] من المجتمعين [فِى الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ] منهم [فِى السَّعِيرِ وَلَوْ شٰاءَ اللّٰهُ لَجَعَلَهُمْ اُمَّةً وٰاحِدَةً] على دينٍ واحدٍ ومذهبٍ واحدٍ وارادةٍ واحدةٍ هى ارادة الطّاعة ولمّا كان مشيّته بحسب استعداداتهم ماشاء ذلك [وَلٰكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشٰاءُ] بحسب استعداده [فِى رَحْمَتِهِ وَالظّٰالِمُونَ مٰا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ] يتولّى اموره و يجذب خيراته [وَلٰا نَصِيرٍ] يدفع الضّرّ عنه و ينصره فى شدائده وقد مضى مكرّراً انّ النّبىّ (ص) بولايته ولىّ و برسالته نصير، وغيّر الاسلوب اشعاراً بانّ الادخال فى الرّحمة من اوصافه تعالى الذّاتيّة وعقوبة الظّالم من عرضيّات رحمته الرّحمانيّة دون اوصافه الذّاتيّة [اَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ اَوْلِيٰاءَ] ام ههنا بمعنى بل مع الهمزة اومجرّدة عن الهمزة فلايربحوا [فَاللّٰهُ هُوَ الْوَلِيُّ] لاولىّ سواه [وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتىٰ] عن الحيوة الحيوانيّة اوالموتى عن الحيوة الانسانيّة الّتى هى الولاية التّكليفيّة [وَهُوَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ] اى ممّا يصدق عليه اسم الشّيء من امر الدّين اومن امر الدّنيا من المعاملات اوالمعاشرات اوالمناكحات اوالتّوارث [فَحُكْمُهُ] راجع [اِلَى اللّٰهِ] يعنى الحكم فى ذلك الشّيء بكونه حقّاً او باطلاً صحيحاً اوفاسداً ينبغى ان يرجع فيه الى الله فى الدّنيا بحسب مظاهره الّذين هم مظاهر الولاية واصل الكلّ علىّ (ع) فانّه ليس عند احدكم حقّ الّا ماخرج من ذلك البيت ولايصل البشر الى مقام الغيب حتّى يكون الله يحكم بنفسه بينهم ، و ينتهى حكم ذلك فى الآخرة الى علىّ (ع) لانّ اياب الخلق اليه وهو قسيم الجنّة والنّار ، وامّا رجوعه الى كتاب الله بمعنى استنباط حكمه منه فممّا لاحاصل له لانّ الكتاب مجمل متشابه والرّجوع اليه من دون الرّجوع الى الامام المبيّن له غير مجدٍ [ذٰلِكُمُ اللّٰهُ رَبِّي] حكاية لقول الرّسول (ع) اى قال الرّسول

لهم، اوامرله (ص) بهذاالقول بتقدير الامر من القول اى قل لهم، ذلكم الموصوف بهذه الاوصاف ربّى [عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ] فيما تخوّفوننى به [وَاِلَيْهِ اُنِيبُ] فى جميع امورى، اوانيب بذاتى فى آخر امرى [فَاطِرُ السَّمٰوٰاتِ وَالْاَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ اَنْفُسِكُمْ اَزْوٰاجًا] هو من قول الرّسول (ص) او ابتداء كلام من الله [وَمِنَ الْاَنْعٰامِ] الثّمانية كما مضى فى سورة الانعام [اَزْوٰاجًا] اى وخلق من الانعام ازواجاً ذكراً و انثى، او ازواجاً اهلية و وحشيّة، اوخلق لكم من الانعام ازواجاً [يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ] اى يكثّركم و يبثّكم فى جعل الازواج من انفسكم و الازواج من الانعام وهذه الجملة ايضاً من قول الرّسول (ص) اومن الله تعالى [لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ] الكاف زائدة اواسميّة وهى خبر ليس وحينئذٍ يكون الكلام مبالغة فى نفى المماثلة لا انّه يكون اثباتاً للمثل له وقد مضى فى اوّل البقرة انّ الله تعالى وجود بحت و بسيط الحقيقة، واقتضاء بساطته ان لايكون له ثان والّا كان مركّباً واذالم يكن له ثانٍ لم يكن له مثلٌ ولاضدٌ [وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ] بمنزلة النّتيجة لنفى المثل عنه لانّه اذا لم يكن له مثل فلم يكن سمعٌ الّا كان سمعه، ولابصرٌ الّا كان بصره، و الّا كان غيره سميعاً و بصيراً مثله فيكون السّمع و البصر محصوراً فيه [لَهُ مَقٰالِيدُ السَّمٰوٰاتِ وَالْاَرْضِ] المقلادكالمفتاح والقليد كالسكّيت الخزانة [يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشٰاءُ وَيَقْدِرُ] على قدراستعداده [اِنَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ] فيعلم قدر استعداد كلّ و استحقاقه [شَرَعَ لَكُمْ] اى جعل لكم مشرعاً وجادّة [مِنَ الدِّينِ مٰا وَصّٰى بِهِ نُوحًا] الجمل السّابقة يحتمل كلّ منها كونه من قول الرّسول (ص) وكونه ابتداء كلامٍ من الله كما اشرنا اليه وكان قوله تعالى [وَالَّذِى اَوْحَيْنٰا اِلَيْكَ] عطفاً على ما وصّى به نوحاً عطف المفرد و يجوز ان يكون مستأنفاً من الله سواء جعلت الجمل السّابقة من الله اومن الرّسول (ص) و يكون حينئذٍ مبتدءً وخبره ان اقيموا الدّين اوكبر على المشركين و يكون العائد مستتراً فى كبر وما تدعوهم اليه بدلاً منه [وَمٰا وَصَّيْنٰا بِهِ اِبْرٰاهِيمَ وَمُوسٰى وَعِيسٰى اَنْ اَقِيمُوا الدِّينَ] ان تفسيريّة اومصدريّة و الدّين يطلق على الطّريق الى الله، والطّريق الى الله تكويناً هى الولاية التّكوينيّة وتكليفاً الولاية التّكليفيّة وقد فسّر بعلىٍّ (ع) وعلى الاعمال الّتى تعين السّالك على الطّريق فى سيره ولذلك يسمّى الملّة ديناً، واقامة الدّين بوصل كلّ مرتبة من الطّريق الى المرتبة الاخرى و بوصل اعمال كلّ مرتبةٍ منها الى اعمال المرتبة الاخرى نظير اقامة الصّلوة وقد مضى تفصيل اقامة الصّلوة فى اوّل البقرة [وَلٰا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ] فى الدّين اى الاعمال اللّازمة للطّريق اونفس الطّريق اوفى علىّ (ع) وولايته بان اختاركلّ عملاً وطريقاً مغايراً لعمل الآخر و طريقه، او بان يكون كلّ له طرقٌ عديدة و اعمال مختلفة، او يكون فى عمله اهوية عديدة و اغراض كثيرة [كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ] بالله او بالولاية [مٰا تَدْعُوهُمْ اِلَيْهِ] من التّوحيد وحصر العبادة فى الله اومن الولاية [اَللّٰهُ يَجْتَبِى] اى يولّى بالاجتباء [اِلَيْهِ مَنْ يَشٰاءُ] فلاتحزن انت على ادبارهم عن الله اوعن علىٍّ (ع) [وَيَهْدِى] اى يوصل اويسلك [اِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ] من يرجع اليه، عن الصّادق (ع) ان اقيموا قال الامام (ع) ولا تتفرّقوا فيه كناية عن اميرالمؤمنين (ع) ما تدعوهم اليه من ولاية علىٍّ (ع) من يشاءُ كناية عن علىٍّ (ع) و بهذاالمضمون و بالقرب منه اخبارٌ كثيرةٌ، ولمّا كان القرآن ذاوجوه كثيرة كان هذااحسن وجوهه [وَمٰا تَفَرَّقُوا اِلّٰا مِنْ بَعْدِ مٰا جٰاءَهُمُ الْعِلْمُ] بصحّة دين نبيّهم او بصدق خلافة علىٍّ (ع) فقبل بعضهم عن علمٍ، وانكر بعضهم حسداً [بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلٰا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ] بامهالهم [اِلٰى اَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ] بالاهلاك للمنكر والخلاص للمقرّ من بين المنكر

[وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ] بعد الانبياء(ع) واممهم [لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ] وقد فسّر بغياً بينهم ببغى بعضهم على بعض لمّا رأوا من تفاضل اميرالمؤمنين (ع) وقوله تعالى لفى شكّ منه مريب بانّه كناية عن الّذين نقضوا امررسول الله(ص) [فَلِذٰلِكَ فَادْعُ] اى للدّين واقامته، اولعلىّ (ع) و ولايته والّلام بمعنى الى اوللتّعليل، و يكون المعنى ادع جميع النّاس الى الشّريعة الّتى شرعتها لك لاجل الولاية فانّ الاسلام اى الشّريعة هداية الى الولاية، ولولم يكن الولاية لم يكن للاسلام فائدة، وعن الصّادق (ع) يعنى الى ولاية اميرالمؤمنين (ع) [وَاسْتَقِمْ] واعتدل و تمكّن فى الدّين [كَمَا أُمِرْتَ] كاستقامة امرت بها وهى الاستقامة فى جميع المقامات و فيما فوق الامكان و هو حقيقة الولاية ولعدم انضمام الامّة معه (ص) ههنا لم يرد منه ماورد فى سورة هود من قوله: شيّبتنى سورة هود [وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ] فى الدّين او فى ولاية اميرالمؤمنين (ع) [وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ] فى الامم الماضية و فى هذا الزّمان حتّى يكون تعريضاً بالايمان بكتاب ولاية علىّ (ع) و تعريضاً بهم فى عدم الايمان بولاية علىّ (ع) [وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ] ومن العدالة بينكم اقامة رجل منكم اماماً لكم لرفع الخلاف بينكم بعدوفاتى واقامة عوجكم [اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ] فما اقول لكم من الامر والنّهى نفعه لكم وضرّه عليكم لا نفع ولا ضرّ منه علىّ حتّى تتّهمونى فى ذلك [لَا حُجَّةَ] لا محاجّة [بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ] لظهور الحقّ و برهانه وعدم الحاجة الى المحاجّة فهو بمنزلة المتاركة معهم [اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا] تهديدٌ لهم بمحاكمة الله بينهم [وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ] فيحكم للمحقّ على المبطل [وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ] اى يحاجّون الله فى علىّ (ع) بعد الموت اوفى القيامة او فى عبادة الله ومعصيته بعد الموت اوفى القيامة، او يحاجّون خلفاء الله والمؤمنين فى حقّ الله اى فى دينه اوفى حقّيّته وثبوته اوفى عبادته اوفى الاشراك به او فى السّلوك اليه او فى توحيده او فى مظاهره يعنى فى نبوّتهم وخلافتهم خصوصاً فى خلافة علىّ (ع) اوفى اعادته ، وفى الجملة فى جملة صفاته الحقيقيّة او الاضافيّة و فى جملة افعاله و فى مظاهره [مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ] فى ندائه ونداء ملائكته للموت اوفى ندائه فى القيامة للحساب، اومن بعدما استجيب له فى نداء خلفائه ودعوتهم وظهور حجّتهم وعدم بقاء الاشتباه فى حقّيّتهم، اومن بعدما استجيب للنّبىّ (ص) دعاءه على الكافرين والمشركين بقتلهم يوم بدر و بقحط اهل مكّة و بنى مُضر، اومن بعدما استجيب للنّبىّ (ص) فى اعطاء المعجزات اومن بعدما استجيب لاجل النّبىّ (ص) فانّ اليهود كانوا يستفتحون بمحمّد (ص) و يجابون فى استفتاحهم [حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ] اى باطلة [وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ] لكونهم ظالمين فى محاجّتهم [وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ] كتاب النّبوّة والرّسالة اوكتاب الولاية والقرآن صورة الكلّ [بِالْحَقِّ] بسبب الحقّ المخلوق به او متلبّساً بالحقّ والجملة مستأنفة جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ وتسلية للرّسول فى محاجّتهم كأنّه قيل: هل لهم ان يبطلوا الكتاب او يمنعوا عليّاً (ع) عن مقامه او يبطلوا الدّين؟ فقال تعالى: الله لاغيره هو الّذى انزل الكتاب بالحقّ فلا يأتيه البطلان [وَالْمِيزَانَ] قدسبق فى اوّل سورة الاعراف وفى سورة الانبيا بيانٌ اجمالىّ للوزن والميزان ، ولمّا كان المراد بالكتاب النّبوّة اوالرّسالة اوالولاية اوالكتاب التّدوينىّ الّذى هوصورة الكلّ اوالاحكام الملّيّة الّتى هى ايضاً صورة الكلّ وكان كلّ منها ميزاناً لوجود العباد واعمالهم واحوالهم واخلاقهم واقوالهم عطف على الكتاب الميزان [وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ] فلا تحزن على عدم مؤاخذتهم، والخطاب عامّ اوخاصّ بالنّبىّ (ص) وتعريض بالامّة وتهديدٌ للكفّار ومنافقى الامّة، ولجعل قريب شبيهاً بالفعيل بمعنى المفعول قد يسوّى فيه بين المذكّر والمؤنّث [يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا] اى لا يذعنون

فيسخرون منها و يستعجلون بها [وَالَّذينَ آمَنُوا] اى اذعنوا بها والّذين اسلموا بالبيعة العامّة اوآمنوا بالبيعة الخاصّة [مُشْفِقُونَ مِنْهَا] خائفون منها لعلمهم بالحساب على الجليل و القليل فيها [وَيَعْلَمُونَ اَنَّهَا الْحَقُّ] الثّابت [اَلَا اِنَّ الَّذينَ يُمارُونَ فِي السّاعَةِ] سواء اريد بالسّاعة ساعة ظهور القائم او ساعة القيامة اوساعة الرّجعة اوساعة الموت [لَفي ضَلالٍ بَعيدٍ] قيل: كانوايقولون لرسول الله (ص): اقم لنا السّاعة وائتنا بما تعدنا ان كنت من الصّادقين فردّ الله عليهم [اَللّهُ لَطيفٌ] اى برّ [بِعِبادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ] العلم والفهم والايمان و يؤخّر عنهم السّاعة لعلّهم يتوبون و يتذكّرون فيعترفون [وَهُوَ الْقَوِيُّ] الّذى يقدر على ما يشاء [الْعَزيزُ] الّذى لايمنعه مانع من فعله فتأخير مؤاخذتهم ليس لعجز ولا لمانع منه عن ذلك بل للطفه بهم [مَنْ كانَ يُريدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ] جوابٌ لسؤال مقدّر كأنّه قيل: فليس لمن سعى للآخرة وللدّنيا شيء من سعيه؟ـ فقال تعالى: من كان يريد بسعيه حرث الآخرة [نَزِدْ لَهُ في حَرْثِهِ] اعطيناه بقدر سعيه وزدناه على سعيه [وَمَنْ كانَ يُريدُ حَرْثَ الدُّنْيا نُؤْتِهِ مِنْها] بقدر حرثه او اقلّ منه فانّه لايفيد فى مقابل نزدله فى حرثه ازيد من ذلك [وَما لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصيبٍ] لانّه ما زرع للآخرة، عن الصّادق (ع): المال والبنون حرث الدّنيا، والعمل الصّالح حرث الآخرة، و قد يجمعها الله لاقوام، وعنه (ع): من اراد الحديث لمنفعة الدّنيا لم يكن له فى الآخرة من نصيبٍ، ومن اراد خير الآخرة اعطاه الله خير الدّنيا والآخرة، والاخبار فى انّ من كان همّته الدّنيا باعماله واقواله فرّق الله عليه امره ، وشتّت باله وجعل الفقر بين عينيه، ولم يأته من الدّنيا الّا ما كتب له ، ومن كانت همّته الآخرة جمع الله شمله ، وجعل غناه فى قلبه، وأتته الدّنيا وهى راغمة كثيرة، وقيل للصّادق (ع): الله لطيف بعباده يرزق من يشاء؟ـ قال: ولاية اميرالمؤمنين (ع)، قيل من كان يريد حرث الآخرة؟ـ قال: معرفة اميرالمؤمنين (ع) والائمّة (ع)، قيل نزدله فى حرثه؟ـ قال: نزيده منها يستوفى نصيبه من دولتهم ومن كان يريد حرث الدّنيا نؤته منها وماله فى الآخرة من نصيبٍ، قال ليس له فى دولة الحقّ مع الامام (ع) نصيبٌ [اَمْ لَهُمْ شُرَكاءُ] لله يأمرونهم بخلاف ما يأمرهم الله [شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدّينِ ما لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللّهُ] ممّا جعلوه ملّة من البحيرة والسّائبة وغير ذلك [وَلَوْلا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ] كلمة الفصل هى اللّطيفة الانسانيّة الفاصلة للانسان من سائر الحيوان وهى الولاية التّكوينيّة وهى ما به عناية الحقّ للانسان و تكريمه له و يمهل الله الانسان حتّى تظهر تلك اللّطيفة و تستكمل او تذهب من الانسان و يلتحق الانسان بالانعام بل يصير اضلّ منها واذا خرجت من الانسان و انقطعت منه يصير الانسان مرتدّاً فطريّاً غير مقبول التّوبة و واجب القتل بحسب احكام الشّرع ، وماورد عن الباقر (ع) فى تفسير الآية من قوله: لولا ماتقدّم فيهم من الله عزّ ذكره ما ابقى القائم منهم احداً ، ولعلّ المراد بالقائم هو خليفة الله القائم بأمره للعباد، يؤيّد ماذكرنا فى تفسيره كلمة الفصل [وَاِنَّ الظّالِمينَ لَهُمْ عَذابٌ اَليمٌ] جملة حاليّة والمعنى انّ الظّالمين لآل محمّدٍ (ص) فى وجودهم وهم اللّطيفة المذكورة وكلّ من تولّد منها سواء كانوا ظالمين لآل محمّدٍ (ص) فى الخارج اولم يكونوا لهم عذابٌ اليمٌ فى الدّنيا والحال الحاضر لكن لخدارة اعضائهم لايشعرون به ، اوفى الآخرة لكن لعدم تيقّنهم بالعذاب فى الآخرة ظلموهم [تَرَى] فى الحال اوسوف ترى فى الآخرة والخطاب خاصٌّ بمحمّدٍ (ص) اوعامّ [الظّالِمينَ مُشْفِقينَ] خائفين [مِمّا كَسَبُوا] من جزاء ماكسبوا من الاعمال او من نفس ماكسبوا بناءً على تجسّم الاعمال فى الدّنيا كما هوحال بعض المذنبين اوفى الآخرة كما هوحال الجميع [وَهُوَ واقِعٌ بِهِمْ] فى الدّنيا

ولكن لايشعرون به او فى الآخرة [وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ] عطف على مفعولى ترى اى وترى الّذين آمنوا (الى آخرها)، اوعطف على اسم انّ وخبرها، اوعلى جملة انّ الظّالمين (الى آخرها) اوعلى جملة ترى الظّالمين اوعلى جملة هو واقع بهم [لَهُمْ مَا يَشَاؤُنَ عِنْدَ رَبِّهِمْ] الظّرف مستقرّ و حال عن فاعل يشاؤن اوعن الموصول اوعن مجرور لهم اوعن المستتر فيه اوخبرٌ بعد خبر اوخبر مبتدء محذوف، اومتعلّق بيشاؤن او بل هم [ذٰلِكَ] المذكور [هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ذٰلِكَ] المذكور العظيم القدر البعيد المنزلة [الَّذِي يُبَشِّرُ اللهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ] قد مضى مكرّراً انّ المراد فى امثال هذه العبارة بالايمان الاسلام الحاصل بالبيعة العامّة ، اونفس البيعة العامّة و بالعمل الصّالح الايمان الحاصل بالبيعة الخاصّة، اونفس البيعة الخاصّة، اوالمراد بالايمان الايمان الخاصّ الحاصل بالبيعة الخاصّة اونفس تلك البيعة، و بالعمل الصّالح العمل بشروط تلك البيعة [قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ] اى على هذا الامر الّذى انا فيه من تبليغ رسالة الله ودعائكم الى الايمان بالله [أَجْرًا] منكم حتّى تتّهمونى بطلب الدّنيا فى ادّعائى [إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ] الاستثناء متّصل و المودّة فى القربى وان كانت نافعةً لهم وتكميلاً لنفوسهم ولكن باستكمالهم ينتفع النّبىّ لكونهم (ص) اجزاءً له وسعةً لوجوده فقوله تعالى: قل ماسألتكم من اجرٍ فهو لكم اشارة الى كلا الانتفاعين حيث جعله اجراً له من حيث انتفاعه بمودّتهم لاستكمالهم بها وسعته (ص) باستكمالهم، فما قيل: انّه استثناء منقطع، ليس فى محلّه، والقربى مصدر قرب و المقصود المودّة فى التّقرّب الى الله او فى حال تقربكم من الله فيكون بمعنى الحبّ فى الله اوالمعنى التّحابّ فى ماتقرّب الى الله من الاعمال، اوالمعنى لا أسألكم اجراً الّا ان تودّونى لاجل قرابتى منكم، هكذا قيل ، ولكن ما وصل الينا من ائمّتنا (ع) فى اخبارٍ كثيرةٍ انّ المعنى لاأسألكم اجراً الّا ان تودّوا أقربائى، فيكون القربى مصدراً بمعنى اسم الفاعل، و يكون التّعبير بالمصدر للاشعار بانّ مودّة أقربائى نافع لكم من حيث قرابتهم لى جسمانيّة كانت القرابة او روحانيّة، و روى انّ رسول الله (ص) حين قدم المدينة واستحكم الاسلام قالت الانصار فيما بينها: نأتى رسول الله (ص) فنقول له : انّه يعروك امور فهذه اموالنا تحكم فيها غير حرجٍ ولا محظورٍ عليك، فأتوه فى ذلك، فنزلت: قل لا اسألكم عليه اجراً الّا المودّة فى القربى، فقرأها عليهم وقال: تودّون قرابتى من بعدى، فخرجوا من عنده مسلّمين لقوله فقال المنافقون : انّ هذا لشيءٌ افتراه فى مجلسه اراد بذلك ان يذلّلنا لقرابته من بعده فنزلت : ام يقولون افترى على الله كذباً ، فأرسل اليهم فتلاها عليهم فبكوا واشتدّ عليهم فأنزل الله و هو الّذى يقبل التّوبة عن عباده (الآية) فارسل فى اثرهم فبشّرهم، و بهذا المضمون و بالقرب منه اخبارٌ كثيرةٌ [وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً] قد مضى منّا مكرّراً انّ الحسن الحقيقىّ و الحسنة الحقيقيّة هى الولاية لاغير، وكلّما كان متعلّقاً بالولاية من قولٍ وفعلٍ وحالٍ وخلقٍ وعلمٍ وشهودٍ وعيانٍ فهو حسن بحسنها ، وكلّما لم يكن متعلّقاً بالولاية كان قبيحاً ولذلك فسّروا فى اخبارٍ كثيرةٍ اقتراف الحسنة بولايتهم ومودّتهم سواء جعل التّنكير للتّفخيم او للتّحقير [نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا] اى نزد له فى تلك الحسنة حسناً لانّ الحسنة اذا حصل منها فعليّة حسنة للنّفس و بقى الفاعل على تلك الفعليّة ولم يبطلها ولم يحرقها زادها الله تعالى لانّ الكون باقتضاء ذاته فى التّرقّى [إِنَّ اللهَ غَفُورٌ] يغفر ماكسب من سيّئة قبل تلك الحسنة [شَكُورٌ] و اقتضاء شكوريّته الزّيادة فى تلك الحسنة الى عشرٍ الى ماشاء الله [أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللهِ كَذِبًا] قد مضى وجه نزول هذه الآية [فَإِنْ يَشَإِ اللهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ] حتّى تفترى على الله فاشكر نعمة عدم الختم والايحاء اليك فيكون اظهاراً لمنّته عليه بشرح صدره وعدم ختمه، اوالمعنى

ان يشأ الله عدم اظهار فضل عترتك يختم على قلبك حتّى لا يوحى اليك فضل اهل بيتك فأظهر فضل اهل بيتك ولا تبال بردّهم وقبولهم فانّ الله حافظٌ لهم ومظهرٌ لفضلهم و يكون تسلية له (ص) عن انكار قومه [وَيَمْحُ اللّٰهُ الْبٰاطِلَ] فلو كان قول محمّد (ص) افتراء و باطلا لمحاه الله عن الايّام و الحال انّه فى ازدياد الثّبات فى الايّام [وَيُحِقُّ الْحَقَّ] فلو لم يكن قوله حقّاً لماحقّ بكلماته التّكوينيّة الّتى هى افراد البشر، او المعنى انّه يمح الله الباطل فلا تحزن يا محمّد (ص) على ما قالوا من قولهم : لو امات الله محمّداً (ص) لا ندع الامر فى اهل بيته، او المعنى انّه يمح الله الباطل عن القلوب من الشّكّ والرّيب فى اهل بيتك و يحقّ الحقّ الّذى هو ولاية اهل بيتك فى القلوب فى امداد الزّمان ، او المعنى انّه يمح الله الباطل عن الزّمان و يحقّ الحقّ الّذى هو علىّ (ع) والائمّة (ع) وولايتهم [بِكَلِمٰاتِهِ] الّذين هم خلفاؤك بعدك [إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذٰاتِ الصُّدُورِ] فيعلم ما يلج فى قلوب المنافقين من عداوتك وعداوة اهل بيتك [وَهُوَ الَّذِى يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبٰادِهِ وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئٰاتِ] قد مضى وجه نزول الآية . اعلم انّ اكثر ما ورد من ذكر التّوبة فى الكتاب كان المراد منها التّوبة الّتى تكون على ايدى خلفائه تعالى فى ضمن الميثاق والبيعة ، والقابل لتلك التّوبة فى الظّاهر هو خليفة الله الّذى يكون البيعة على يده لكنّه لمّا كان مظهراً لصفاته تعالى خصوصاً حين اخذ البيعة من العباد نسب قبول التّوبة الى نفسه بطريق الحصر كما فى قوله تعالى: فلم تقتلوهم و لكنّ الله قتلهم [وَيَعْلَمُ مٰا تَفْعَلُونَ] قرئ بالخطاب و بالغيبة [وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ] اى يستجيبهم فى دعائهم مطلقاً، او فى دعائهم لله ولقائه، اوفى دعائهم لاخوانهم بظهر الغيب كما فى الخبر والمراد بالايمان الاسلام، او الايمان الخاصّ، وعلى الاوّل فالمراد بالعمل الصّالح البيعة الخاصّة والايمان الخاصّ، او المعنى يستجيب الّذين آمنوا الله اوللنّبىّ (ص) فى مودّة اقربائه (ص) [وَيَزِيدُهُمْ] على مسؤلهم [مِنْ فَضْلِهِ وَالْكٰافِرُونَ] بولاية علىّ (ع) [لَهُمْ عَذٰابٌ شَدِيدٌ] وللاشارة الى انّ عذاب الكافرين من لواحق اعمالهم ومن توابع مشيّته بالعرض غيّر الاسلوب [وَلَوْ بَسَطَ اللّٰهُ الرِّزْقَ لِعِبٰادِهِ لَبَغَوْا فِى الْأَرْضِ] اعلم ، انّ النّفس الانسانيّة ليس اختيالها وظلمها و عداوتها مع خلق الله وعدولها عن الحقّ الّا لانانيّتها و اعجابها بنفسها ، وكلّما قلّل حاجتها وزاد غناءها زاد فى انانيّتها، وكلّما زيد فى انانيّتها زاد اعجابها بنفسها ولوازم اعجابها من تحقير العباد والعداوة مع من يظنّ انّه يريد الاستعلاء عليه والظّلم على من يقابله ولا يكون ملائماً لحاله والعدول عن الحقّ ، واذا بسط الله الرّزق النّباتىّ من المأكول و المشروب او الرّزق الحيوانىّ من الشّهوات البهيميّة والبسطات السّبعيّة والاعتبارات الشّيطانيّة او الرّزق الانسانىّ من الالهامات والعلوم والحكم والمكاشفات الصّوريّة والمعنويّة على العباد عدوا على العباد وظلموهم وحقّروهم وعدلوا عن الحقّ فانّ الانسان ما كان باقياً عليه شوبٌ من نفسه كانت العلوم الصّوريّة مورثة لازدياد انانيّته وكذلك المشاهدات الصّوريّة والمكاشفات المعنويّة فانّ المذاهب الباطلة اكثرها تولّدت من المشاهدات الّتى كانت للنّاقصين كما سبق منّا تفصيل ذلك [وَلٰكِنْ يُنَزِّلُ] الارزاق الثّلاثة على العباد [بِقَدَرٍ مٰا يَشٰاءُ] يعنى ينزّل ما يشاء ان ينزّل بقدر استحقاق المنزّل عليه لانّه لا يشاء ما يشاء الّا بحسب حال من يشاء له وقوله لو بسط الله الرّزق (الى قوله) بصيرٌ لرفع توهّم نشأ من قوله تعالى يستجيب الّذين آمنوا فانّه يورث توهّم انّه لو كان هذا حقّاً لكان ينبغى ان لا يكون من المؤمنين فقيرٌ محتاجٌ مع انّ اكثر المؤمنين محتاجون فى امر معيشتهم [إِنَّهُ بِعِبٰادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ] تعليل لسابقه يعنى انّه يعلم قدر استحقاقهم وقدر ما يصلحهم ومايفسدهم فيعطى المؤمنين قدر ما يصلحهم ، والكافرين قدر ما يصلح العالم والنّظام الكلّىّ ، و قدر

ما يصلح المؤمنين فانّ من العباد من لا يصلحه الّا الفقر ومنهم من لا يصلحه الّا الغنى ولو اصبح المؤمن يملك ما بين المشرق والمغرب لكان خيراً له ، ولو اصبح يقطع ارباً اربا لكان خيراً له [وَهُوَ الَّذي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ] المطر النّافع الّذى يغيثهم من الجذب ولذلك سمّى غيثاً والجملة فى معنى التّعليل لقوله ينزّل بقدر [مِنْ بَعْدِ ما قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ] بيانٌ لانزال الغيث وتسميته للمطر باسم آخر فانّه يسمّى المطر فى العرف بالرّحمة لانّه رحمة من الله على العباد والحيوان والنّبات، اوالمراد مطلق الرّحمة سواء كانت مطراً اوغيره فيكون تعميماً بعد التّخصيص [وَهُوَ الْوَلِيُّ] الّذى يتولّى امور عباده وسائر مخلوقاته فيربّيهم احسن التّربية [الْحَميدُ] الّذى لامحمود سواه وكان محموداً فى نفسه [وَمِنْ آياتِهِ خَلْقُ السَّمٰواتِ وَالْأَرْضِ وَما بَثَّ فيهِما مِنْ دابَّةٍ] فانّ فى خلق السّماوات بهيئة خاصّة وحركة مخصوصة وكوكب ومدارٍ خاصّ ، وفى خلق الارض بسيطة قابلة لانحاء التّصرّف فيها من بناء الابنية و زرع الزّراعات و غرس الاشجار واجراء المياه على وجهها ، وقبولها تأثيرات السّماوات والسّماويّات، وفى خلق المواليد على وجهها كلٌّ بنحو خاصّ لائق بنوعه و ببقائه آيات عديدة دالّة على علمه بالجزئىّ والكلّىّ واحاطته وقدرته ورأفته بخلقه وغير ذلك [وَهُوَ عَلىٰ جَمْعِهِمْ إِذا يَشاءُ قَديرٌ] بمنزلة النّتيجة فانّ الّذى نشر هذه المواليد بعد ما لم تكن اذا شاء ان يجمعهم جمعهم وهو اسهل عليه من نشرهم [وَما أَصابَكُمْ مِنْ مُصيبَةٍ] عطف فيه ايضاً رفع توهّم انّه لوكان ينشر رحمته وكان وليّاً لعباده حميداً فى صفاته فلم يصاب العباد بالمصائب [فَبِما كَسَبَتْ أَيْديكُمْ وَيَعْفُو] برحمته وتربيته [عَنْ كَثيرٍ] ممّا كسبت ايديكم وهل ذلك عامٌّ لكلّ من يصاب او خاصّ ببعضٍ والبعض الآخر مصيبته لرفع درجته لالذنبٍ وقع منه كما فى الاخبار، ويمكن التّعميم بتعميم الذّنب للذّنوب الّتى عدّوها فى الشّريعة ذنوباً ولما يعدّ فى الطّريق ذنوباً ولما يعدّ من المقرّبين ذنوباً ، فانّ خطرات القلوب ذنوب الاولياء(ع) ،والالتفات الى غير الله ذنوب الانبياء(ع)، مع انّهم كانوا مأمورين بالتّوجّه الى الكثرات، وعن الصّادق(ع) انّه سئل: ارأيت ما اصاب عليّاً(ع) واهل بيته(ع) من بعده؟ اهو بما كسبت ايديهم؟ وهم اهل بيت طهارة معصومون؟! فقال: انّ رسول الله(ص) كان يتوب الى الله و يستغفره فى كلّ يوم وليلة مائة مرّة من غير ذنبٍ ، انّ الله يخصّ اولياءه بالمصائب ليأجرهم عليها من غير ذنبٍ ، وعن علىٍّ(ع) انّه قال: قال رسول الله(ص): خير آية فى كتاب الله هذه الآية، يا علىّ ما من خدش عودٍ ولانكبة قدمٍ الّا بذنب، وما عفا الله عنه فى الدّنيا فهو اكرم من ان يعود فيه ، وما عاقب عليه فى الدّنيا فهو اعدل من ان يثنّى على عبده [وَما أَنْتُمْ بِمُعْجِزينَ فِي الْأَرْضِ] فائتين عن الله [وَما لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصيرٍ] قد مضى مكرّراً بيان الولىّ والنّصير [وَمِنْ آياتِهِ الْجَوارِ] قرئ بحذف الياء فى الوصل والوقف اجراءً للوصل بنيّة الوقف، وقرئ باثباتها فيهما، وقرئ بحذفها فى الوصل دون الوقف [فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلامِ] العلم محرّكةً الجبل الطّويل او عامّ [إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَواكِدَ] ثوابت [عَلىٰ ظَهْرِهِ] اى ظهر البحر [إِنَّ في ذٰلِكَ لَآياتٍ لِكُلِّ صَبّارٍ شَكُورٍ] لكلّ مؤمن كامل الايمان فانّ الايمان نصفان ، نصف صبر ونصف شكر، ولاختفاء دلالة السّفن على علمه وقدرته وحكمته واعتنائه بخلقه واحتياجها فى الدّلالة المذكورة الى تأمّلٍ تامٍ و توجّهٍ كاملٍ الى الحقّ الاوّل بحيث يرى كلّ النّعم منه ويراه فى انعامه قال لكلّ صبّارٍ شكورٍ [أَوْ يُوبِقْهُنَّ] يهلكن بالاغراق واهلاك اهلهنّ [بِما كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثيرٍ] قرئ يعف بالجزم عطفاً على يوبقهنّ اى ان شاء يوبقهنّ بارسال الرّيح العاصف وان شاء يعف عن كثيرٍ، وقرئ يعفو بالرّفع على الاستيناف ومعنى

و معنى الاستدراك والمعنى لكنّه يعفوعن كثير [وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُجادِلُونَ فى اٰياتِنا] قرئ بالجزم و بالرّفع وهو واضح،وقرئ بالنّصب بجعل الواو بمعنى مع ونصب الفعل بعده [ما لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ] مخلص من العذاب [فَما أُوتِيتُمْ] عطف وتعقيب باعتبار الاخبار يعنى اذاعلمتم ذلك فاعلموا انّ مااوتيتم [مِنْ شَيْءٍ] من حيث انّكم من ابناء الدّنيا [فَمَتاعُ الْحَيٰوةِ الدُّنْيا] ولا بقاء له ولا خلوص من شوب الآلام وخوف الزّوال [وَما عِنْدَاللّٰهِ خَيْرٌ] لعدم شوبه بالآلام وخوف الزّوال [وَأَبْقىٰ لِلَّذِينَ اٰمَنُوا] متعلّق بخير و ابقى ، اوخبرمبتدءٍ محذوفٍ اى ذلك للّذين آمنوا [وَعَلىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ] و المراد بالايمان الاسلام الحاصل بالبيعة العامّة و قبول الدّعوة الظّاهرة فيكون قوله وعلى ربّهم يتوكّلون اشارة الى الايمان الخاصّ الحاصل بالبيعة الخاصّة و قبول الدّعوة الباطنة [وَ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَواحِشَ] جمع الفاحشة الزّنامخصوصاً،اومايشتدّ قبحه من الذّنوب،اوكلّ مانهى الله عزّوجلّ عنه ، وعلى الاوّلين يكون من قبيل ذكر الخاصّ بعد العامّ للاهتمام به ، و يجوز ان يكون عطفاً على الاثم وعلى كبائر الاثم،وعلى الثّالث يكون مرادفاً للاثم وعطفاً عليه تأكيداً وقدسبق فى سورة النّساء بيان الكبيرة والصّغيرة عند قوله: ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه [وَإِذا ما غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ] هم مبتدء و يغفرون خبره والجملة جوابٌ بحذف الفاء،او بجعل اذاخاليةً من معنى الشّرط ، اولعدم حاجتها الى الفاء لضعف معنى الشّرطيّة فيها،اوهم تأكيد للضّمير المتّصل اوفاعل غضبوا راجع الى النّاس وهم مفعول غضبوا بحذف الخافض اى اذاغضب النّاس عليهم يغفرون، او هم فاعل فعلٍ محذوفٍ والمذكور يفسّره [وَالَّذِينَ اسْتَجابُوا لِرَبِّهِمْ] فى دعوة خلفائه (ع) دعوةً عامّةً اسلاميّةً اودعوةً خاصّةً ايمانيّة،او الّذين استجابوا لربّهم المضاف وهو ربّهم فى الولاية فى دعوته الباطنة الى الولاية [وَأَقامُوا الصَّلٰوةَ] بعد قبول الولاية فانّ اقامة الصّلوة لايتيسّر لاحدٍ بدون قبول الولاية [وَأَمْرُهُمْ شُورىٰ بَيْنَهُمْ] اى امرهم ذو شورى يعنى يستشيرون فى امورهم ولا يستبدّون بآرائهم لخروجهم من انانيّاتهم و اعتماد كلّ على الآخر فى طلب الخير و بيانه له [وَمِمّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ] قد مضى فى اوّل البقرة بيان اقامة الصّلوة وكيفيّة الانفاق وفى سورة النّساء عند قوله: لا تقربوا الصّلوة و انتم سكارى بيان معانى الصّلوة [وَالَّذِينَ إِذا أَصابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ] هم تأكيد للضّمير المنصوب ، اومبتدء مثل هم يغفرون ،ولمّا كان الانظلام مذموماً ومعدوداً من الرّذائل ذكرهم بوصف الانتصار يعنى انّ شأنهم الانتصار، وامّا العفوعن المسيء و ترك الانتقام مع وجود قوّة المدافعة فى المظلوم فليس انظلاماً مذموماً بل هوعفو ممدوح ، والانظلام ان لايكون فى المظلوم قوّة ثوران الغضب عند الظّلم ، ولمّا كان النّفس المنتصرة لاتقنع فى الانتصار بقدر الظّلم بل تطلب الزّيادة على الجناية قال تعالى: تأديباً لعباده [وَجَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها] وسمّى الثّانية سيّئةً للمشاكلة، اولانّها اساءة بالنّسبة الى الجانى يعنى لاتزيدوا فى الانتصار عن المماثلة [فَمَنْ عَفا] عن المسيء بترك الانتقام بعدالاقتدار عليه ، والجملة معطوفة على جملة جزاء سيّئة سيّئة والفاء للتّرتيب فى الاخبار يعنى اذا علمت انّ التّجاوز فى الانتصار عن المماثلة ليس جزاءً للسّيّئة بل كان ظلماً فاعلم انّ من عفى [وَأَصْلَحَ] اساءة المسيء بالعفو [فَأَجْرُهُ عَلَى اللّٰهِ] غاية تفخيمٍ للعفو حيث لايوكّل اجره الى غيره [إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظّالِمِينَ] جوابُ سؤالٍ مقدرٍ كأنّه قيل: ايحبّ الله الظّالم فيأمر بالعفو عنه ؟- فقال: انّه لايحبّ الظّالمين فلا يرغّب فى العفو

حبّاً لهم بل حبّاً للمؤمنين بتعرّضهم للثّواب الجزيل ، اوتعليل لقوله ينتصرون او لقوله جزاء سيّئة سيّئة او لقوله فمن عفى و اصلح فأجره على الله اى لما يستفاد منه من التّرغيب على العفو كأنّه قال: انّ الانتقام نحو ظلم بالنّسبة الى القوّة العاقلة الّتى شأنها العفو فانّ شأنه شأن الله العفوّ الغفور ، و انّه لا يحبّ الظّالمين فاتركوا الانتقام واعفوا عن المسيء [وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ] عطف فيه رفع توهّم انّ المنتصر ظالم وغير محبوب فكان له مؤاخذة دنيويّة وعقوبة اخرويّة [فَاُولٰئِكَ مٰا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ] لا فى الدّنيا ولا فى الآخرة [اِنَّمَا السَّبِيلُ] فى الدّنيا بالمؤاخذة وفى الآخرة بالعقوبة [عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النّٰاسَ وَيَبْغُونَ فِى الْاَرْضِ] فى العالم الصّغير او الكبير [بِغَيْرِ الْحَقِّ] والمنتصر و ان كان ظالماً بوجهٍ على المسيء وعلى قوّته العاقلة لكنّه ظلم بالحقّ [اُولٰئِكَ لَهُمْ عَذٰابٌ اَلِيمٌ وَلَمَنْ صَبَرَ] اى لكن من صبر عن الانتقام [وَغَفَرَ] بتطهير القلب عن الحقد على المسيء [اِنَّ ذٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْاُمُورِ] اى الامور الّتى ينبغى ان يعزم عليها لكونها من اجلّ الخصال [وَمَنْ يُضْلِلِ اللّٰهُ] استدراك اى ولكن من يضلل الله عن هاتين الخصلتين بالاقدام على الاقتصاص [فَمٰا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ] سمّى عدم الوصول والاهتداء الى تينك الخصلتين ضلالاً لانّه انحراف عن الكمال الانسانىّ الّذى هو الجادّة الى الله ، او المعنى و من يضلله الله بالجناية والظّلم على العباد بغير الحقّ [وَتَرَى الظّٰالِمِينَ] الخطاب خاصّ بمحمّدٍ (ص) وحينئذٍ جاز ان يكون ترى للاستقبال وجاز ان يكون للحال فانّه يرى حالهم فى الحال ، اوالخطاب عامّ وحينئذٍ يكون للاستقبال اوللحال بمعنى ينبغى ان ترى [لَمّٰا رَأَوُا الْعَذٰابَ يَقُولُونَ هَلْ اِلٰى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ وَتَرٰيهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهٰا] اى على النّار قبل دخولهم النّار [خٰاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ] و الخشوع من الذّلّ لا ينفع بخلاف الخشوع من الحبّ فانّه متى وجد نفع [يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ] الطّرف العين اوحركة جفنيها ، فان كان بمعنى العين فالمعنى من طرفٍ خفىّ النّظر ، و ان كان بمعنى حركة الجفنين فالمعنى ينظرون نظراً ناشئاً من حركةٍ خفيّةٍ لاجفانهم و المقصود انّهم لغاية خوفهم ووحشتهم لا يقدرون على النّظر التّامّ الى النّار [وَقٰالَ الَّذِينَ آمَنُوا] التّأدية بالماضى لتحقّق وقوعه ان كان المراد انّهم يقولون يوم القيامة ذلك بعد ما رأوا الظّالمين فى العذاب اولكونه بالنّسبة الى محمّدٍ (ص) ماضياً، اوالمعنى قال الّذين آمنوا فى حال الحيوة الدّنيا بعد ما علموا بحال الظّالمين وسوء عاقبتهم [اِنَّ الْخٰاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا] يعنى انّ الخاسرين هؤلاء الظّالمون الّذين خسروا [اَنْفُسَهُمْ وَاَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ اَلٰا اِنَّ الظّٰالِمِينَ فِى عَذٰابٍ مُقِيمٍ] هذا من قول المؤمنين او من الله [وَمٰا كٰانَ لَهُمْ مِنْ اَوْلِيٰاءَ] هذا ايضاً من المؤمنين او من الله [يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللّٰهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللّٰهُ فَمٰا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ] الى الخير والنّجاة [اِسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ] هذا بمنزلة النّتيجة وجوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: فما نفعل حتّى لا نكون ظالمين؟ فقال: استجيبوا لربّكم المطلق فى دعوة مظاهره وخلفائه او لربّكم المضاف الّذى هو ربّكم فى الولاية [مِنْ قَبْلِ اَنْ يَأْتِىَ يَوْمٌ لٰا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللّٰهِ] المراد باليوم البليّة والعذاب فانّه كثيراً ما يستعمل فيها، اوالمراد يوم الموت او يوم القيامة، والضّمير المجرور راجع الى صاحبه اوعذابه اى لا مردّ لصاحبه الى الدّنيا، اولعذابه عن اهله، اوالمعنى لا مردّ بتأخيره [مٰا لَكُمْ مِنْ مَلْجَاءٍ يَوْمَئِذٍ وَمٰا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ] يعنى لا تقدرون على انكاره اوما لكم من منكرٍ ينكر ما حلّ بكم و يدفعه عنكم و ينصركم

فيه [فَإِنْ أَعْرَضُوا] صرف الخطاب عنهم الى محمّد (ص) [فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا] يعنى لا تغتمّ باعراضهم لانّا ما ارسلناك عليهم حفيظاً [إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ] وقد بلّغت [وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً] نعمة دنيويّة اونعمة اخرويّة من العلوم والالهامات والمكاشفات [فَرِحَ بِهَا] اى بالرّحمة من حيث صورتها لا من حيث انعامنا لانّ نفس الانسان مادامت حاكمة فى وجوده لاتنظر الى المنعم وانعامه فى النّعمة بل تنظر الى صورة النّعمة ونسبتها الى نفسها لانسبتها الى المنعم والّا لم يفرح بصورة النّعمة بل بالمنعم اويغتمّ بصورة النّعمة لاحتمال استدراجه تعالى بالنّعمة [وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ] للنّعمة السّابقة ولا يتذكّرها ولا يشكرها، وتكرار الانسان للاشارة الى انّ ذلك من مقتضى خلقته ، ولايخفى وجه تخالف الفقرتين فانّ الرّحمة لمّا كانت ذاتيّة لمشيّته تعالى أتى فى جانبها بالتّأكيدات وباداة التّحقيق ونسب اذاقتها الى نفسه ونسب الرّحمة ايضاً الى نفسه ، وأتى فى جانب المصيبة باداة الشّكّ ولم يأت بالتّأكيد ولم ينسب المصيبة الى نفسه وجعل سبب وصولها اليهم ماكسبت ايديهم [لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ] جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: فما لله فى المصائب من صنعٍ [يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ] من خيرٍ وشرٍّ ورحمةٍ ومصيبةٍ [يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ] نكّر الاناث وعرّف الذّكور للاشارة الى انّ الاناث لتنفّر الاناسىّ منهنّ كأنّهنّ منكورات عند نفوسهم ، وانّ الذّكور لحبّهم لهم معهودون عندهم حاضرون فى اذهانهم [أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا] يعنى يعطى لبعضٍ الاناث فقط ، ولبعضٍ الذّكور فقط ، ويجمع بينهما لبعضٍ [وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا] فكلّ ذلك باعطاء الله ومنعه لاباسبابٍ طبيعيّةٍ كما يقوله الطّبيعىّ والّذين ينظرون الى الاسباب الطّبيعيّة [إِنَّهُ عَلِيمٌ] بصلاح كلّ وما يصلحه وما يفسده فيعطى مايصلحه ويمنع مايفسده [قَدِيرٌ] على ذلك سواء وافقه الاسباب الطّبيعيّة ام لم توافقه [وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ] ما ينبغى له وماكان فى سجيّته [أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ] لانّ البشريّة لتحدّدها بحدودٍ كثيرةٍ سفليّةٍ لوسمعت كلام الله من دون تنزّله الى مقام البشريّة المحدودة لفنت وهلكت لانّه كالشّمس وحدود البشريّة كالفىء [إِلَّا وَحْيًا] الوحى فى اللّغة الاشارة والكتابة والمكتوب والرّسالة والالهام والكلام الخفىّ وكلّما القيته الى غيرك لكنّ المراد معه هنا معنىً اعمّ من الالهام والكتابة اى الكتابة فى الالواح الغيبيّة والرّسالة لكن رسالة الملك مثل جبرئيل [أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ] مثل تكلّمه مع موسى (ع) من الشّجرة ومثل تكلّمه مع محمّدٍ (ص) ليلة المعراج من وراء السّتر [أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا] اى الّا ان يرسل رسولاً بشريّاً [فَيُوحِيَ] ذلك الرّسول البشرىّ [بِإِذْنِهِ] اى يتكلّم مع سائر البشر بكلامٍ خفىّ البطون جلىّ الظّهور فانّ كلام ذلك الرّسول البشرىّ لكونه نائباً عن الله تعالى شأنه ومظهراً له كلام الله، ولكلامه بمضمون ما ورد فى الاخبار الكثيرة انّ حديثهم صعبٌ مستصعبٌ وسرٌّ مستسرٌّ ومقنّع بالسّرّ بطون خفيّة غاية الخفاء وظهر جلىّ غاية الجلاء ، وقرئ يرسل ويوحى بالنّصب عطفاً على وحياً بجعله تميزاً اومفعولاً مطلقاً من غير لفظ الفعل، وقرءا بالرّفع عطفاً على وحياً بجعله حالاً بمعنى الفاعل [مَا يَشَاءُ] الرّسول اوالله تعالى او ما يشاء ذلك البشر الّذى ارسل الله اليه بلسان استعداده [إِنَّهُ عَلِيٌّ] فلايقدر على سماع كلامه بشر دانٍ [حَكِيمٌ] لايدعهم من غير تكلّمٍ معهم لاقتضاء حكمته القاء الحكم والمصالح اليهم واقتضائها جعل الوسائط فى ذلك الالقاء حتّى لا يهلكوا حين الالقاء [وَكَذَلِكَ] التّكلّم بالانحاء الثّلاثة [أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ] اى ارسلنا

[رُوحاً مِنْ أَمْرِنا] اى روحاً عظيماً ناشئاً من محض امرنا من غير مداخلة مادّة فيه ، او بعضاً من عالم امرنا والمراد به جبرئيل او روح القدس الّذى هو اعظم من جبرائيل وميكائيل [ما كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتابُ وَلَا الْإِيمانُ] المراد بالكتاب النّبوّة والرّسالة واحكامهما وبالايمان الولاية وآثارها والقرآن صورة الثّلاثة [وَلٰكِنْ جَعَلْناهُ نُوراً] اى الكتاب او الايمان اوالمذكور منهما اوالرّوح الموحى اليك وقدفسّر بعلىّ (ع)، فعن الباقر (ع) ولكن جعلناه نوراً يعنى علياً وعلىّ (ع) هوالنّور هدى به من هدى من خلقه [نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشاءُ مِنْ عِبادِنا] سئل الصّادق (ع) عن العلم، اهوشيء يتعلّمه العالم من افواه الرّجال؟ ام فى الكتاب عندكم تقرؤنه فتعلمون منه؟ ـ قال: الامر اعظم من ذلك واوجب! اماسمعت قول الله عزّ وجلّ وكذلك اوحينا اليك روحاً من امرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ثمّ قال: بلى ، قد كان فى حال لا يدرى ما الكتاب ولا الايمان حتّى بعث الله عزّ وجلّ الرّوح الّتى ذكر فى الكتاب فلمّا اوحاها علم بها العلم والفهم وهى الرّوح الّتى يعطيها الله عزّ وجلّ من شاء فاذا اعطاها عبداً علّمه الفهم [وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلىٰ صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ] يعنى انّك برسالتك تهدى الى الولاية فانّ الرّسالة وقبولها هداية الى الايمان والولاية كما قال تعالى: قل لا تمنّوا علىّ اسلامكم بل الله يمنّ عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين؛ عن الباقر (ع) يعنى انّك تأمر بولاية علىّ (ع) وتدعو اليها وعلىّ (ع) هو الصّراط المستقيم [صِراطِ اللهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمٰواتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ] وعنه (ع) يعنى علياً انّه جعله خازنه على ما فى السّموات وما فى الارض من شيء وائتمنه عليه، ولعلّه (ع) ارجع الضّمير المجرور الى الصّراط ، اوفسّر الصّراط بعلىّ (ع) [أَلَا إِلَى اللهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ] اى تنتهى جميع الامور اليه فى الواقع ، اوتنتهى بلحاظ اللّاحظ اليه بمعنى انّه اذا نظر الى جزئىّ من جزئيّات الوجود ولوحظ مصدره ومصدر مصدره تنتهى المصادر كلّها الى الله فيكون مصدر الكلّ.

سورة الزّخرف

مكّيّة كلّها، وقيل: الّا آية واسئل من ارسلنا من رسلنا ، ثمان وثمانون آية ،
وقيل: تسع و ثمانون



[حٰمٓ وَالْكِتابِ الْمُبِينِ إِنّا جَعَلْناهُ] اى جعلنا ذلك الكتاب المبين الّذى لا رطب ولا يابس الّا فيه بحيث لا يعتريه ريب وشكّ ولا خفاء واجمال وتشابه [قُرْآناً] مجموعاً فيه جميع المطالب [عَرَبِيًّا] بلغة العرب او ذا حكم وآداب واحكام ومواعظ ونصائح [لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ] تصيرون باستماعه وتدبّره عقلاء، اوتدركون ما فيه من المواعظ والحكم [وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتابِ] وهو الكتاب المبين الّذى هو اللّوح المحفوظ المعبّر عنه فى لسان الحكماء بالنّفس الكلّيّة، اوهو القلم الاعلى فانّه بوجه قلم وبوجه كتاب وهو المسمّى فى لسان الحكماء بالعقل الكلّىّ، او هو مقام المشيّة المعبّر عنها بنفس الرّحمان والاضافة الاشراقيّة فانّها بوجه اضافة الحقّ، وبوجه فعله ، وبوجه

كلمته ، و بوجه كتابه وهی ام ّجمیع الکتب [لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ] علی الکل ّ لا اعلی منه [حَكِيمٌ] ذوحکم او محکم لا یتطرّق الخلل والشّکّ والرّیب والفساد الیه، وعن الصّادق (ع) : هو امیر المؤمنین (ع) فی امّ الکتاب یعنی الفاتحة فانّه مکتوب فیها فی قوله تعالی : اهدنا الصّراط المستقیم قال : الصّراط المستقیم هو امیر المؤمنین (ع) ومعرفته، ولا منافاة بین هذا الخبر و بین ما ذکرنا فی تفسیر الآیة فانّ علیّاً (ع) والقرآن فی هذا العالم منفکّان و الّا ففی العوالم العالیة علیّ (ع) هو القرآن والقرآن هو علیّ (ع) ، کما انّ فاتحة الکتاب فی العوالم العالیة هی النّفوس الکلّیّة والعقول الکلّیّة وهی المشیّة الّتی بها تحقّق کل ّذی حقیقة [أَفَنَضْرِبُ] الهمزة علی التّقدیم والتّأخیر و المعنی جعلناه قرآناً عربیّاً لتعقّلکم و استکمالکم فهل نضرب [عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا] ای اعراضاً و نصرفه الی غیرکم ، او المستفهم عنه مقدّر بعد الهمزة والمعنی انهملکم ولاندعوکم فنصرف عنکم القرآن [إِنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ] قری ٔ بفتح الهمزة بتقدیر اللّام و بکسر الهمزة [وَكَمْ أَرْسَلْنَا] یعنی لاتطمعوا فی صرف الذّکر عنکم وعدم دعوتکم فانّا ما اهملنا الامم الماضیة مع انّهم کانوا اشدّ منکم اسرافاً و عصیاناً و ارسلنا فیهم رسلاً و لمّا تجاوزوا الحدّ فی العصیان اهلکناهم فاحذروا عن عذابنا واهلاکنا ولا تتجاوزوا الحدّ فی العصیان [مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ] کما تستهزؤن انتم ان کان الخطاب للمشرکین ، ویجوز ان یکون الخطاب مصروفاً الی محمّد (ص) و یکون المقصود تسلیته والمعنی کما یستهزی ٔ قومک بک [فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا] یجوز ان یکون الضّمیر المجرور للاوّلین ، و یکون من تبعیضیّة ً او تفضیلیّة ً یعنی اهلکنا اشدّاءهم فلیحذر الّذین یستهزؤن برسولنا ، او اهلکنا الّذین کانوا اشدّ منهم فکیف بهم و بکم ؟ ! ویجوز ان یکون لقوم محمّد (ص) وکان المقصود اهلکنا الاوّلین الّذین کانوا اشدّ من قومک فکیف بهم ان فعلوا مثل فعلهم ؟ ! لکنّه ادّاه بهذه الصّورة لافادة هذا المعنی مع الاختصار [وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ] یعنی مضی صفة الاوّلین وقد بلغ النّوبة الی قومک او مضی حکایة حال الاوّلین فیما انزلنا الیک سابقاً فلیرجعوا الیه ولیتدبّروا فیه [وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ] فما لهم یقرّون بانّ الله خالق السّماوات و الارض و یشرکون به ما خلقوهم و نحتوهم بایدیهم ، أو یشرکون ما خلقه بیده [الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا] هذه الکلمة ضمّه الله الی ما حکاه منهم سواء جعل صفة للعزیز العلیم او خبراً لمحذوف فانّه قد یضمّ الحاکی شیئاً من نفسه الی الحکایة ، او هو ایضاً جزء الحکایة و یکون الخطاب من بعضهم لبعض آخر [وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا] تسلکونها الی مقاصدکم ولا تتحیّرون فی بیدائها [لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ] الی حاجاتکم ومقاصدکم ، اولعلّکم تهتدون الی مبدئکم وصفاته من العلم والقدرة والرّأفة والتّدبیر ، او تهتدون الی امامکم الّذی هو سبیل الی المقصد الکلّیّ الّذی هو الفوز بنعیم الآخرة فانّه لم یدع مقاصدکم الدّنیویّة الدّانیة الّتی لا اعتناء بها بدون السّبیل الّذی یسلک الیها فکیف یدع المقصد الکلّیّ من غیر سبیل [وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ] من جهة العلو او من السّحاب [مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ] التفات الی التّکلّم تجدیداً لنشاط السّامع و اشعاراً بانّ انبات النّبات بکیفیّات مخصوصة و تصویرات عدیدة عجیبة و تولیدات غریبة لیس الّا من مبدء علیم قدیر مباشر له فکأنّه صار فی حکایة انبات النّبات حاضراً عند السّامع مشهوداً له بعد ما کان غائباً عنه [بَلْدَةً مَيْتًا] عن النّبات [كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ] من الارض بعد موتکم فلم تستغربون الاعادة؟ ! [وَالَّذِي خَلَقَ

الْأَزْوٰاجَ كُلَّهٰا] اى اصناف المخلوقات [وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعٰامِ مٰا تَرْكَبُونَ لِتَسْتَوُوا عَلٰى ظُهُورِهِ] اى ظهور ما تركبون، جمع الظّهور و افراد الضّمير المضاف اليه باعتبار اللّفظ و المعنى [ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ] يعنى انّ غاية جميع المخلوقات تذكّركم وشكركم له على انعام مارأيتموه نعمة لكم [وَتَقُولُوا] يعنى تذكروا بقلوبكم وتقولوا بألسنتكم فانّ السنتكم مكلّفة بجريان كلمة الشّكر عليها [سُبْحٰانَ الَّذِى سَخَّرَ لَنٰا هٰذٰا] يعنى ان تنزّهوا الله من وسمة الحاجة الى المركوب والانتقال من مكان الى مكان وتذكّروه بنعمة تسخير المركوب ليكون شكراً [وَمٰا كُنّٰا لَهُ مُقْرِنِينَ] اقرن للامر اطاقه وقوى، واقرنه جعله فى الحبل [وَإِنّٰا إِلٰى رَبِّنٰا لَمُنْقَلِبُونَ] يعنى انّ الغرض تذكّر النّعمة وشكر المنعم فى النّعمة وتذكّر النّقلة العظيمة الّتى هى النّقلة من الدّنيا الى الآخرة [وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبٰادِهِ جُزْءًا] اى ولداً فانّه جزء من الوالد بحسب مادّته يعنى بعد ما اقرّوا بخالقيّته للسّماوات والارضين جعلوا له من مخلوقاته ولداً [إِنَّ الْإِنْسٰانَ لَكَفُورٌ] بنعمة الحقّ وصفاته فيجرى على لسانه ما لا يليق بمنعمه غفلةً عن المنعم وصفاته [مُبِينٌ أَمِ اتَّخَذَ مِمّٰا يَخْلُقُ بَنٰاتٍ وَأَصْفٰيكُمْ بِالْبَنِينَ] يعنى ينبغى التّعجّب من حالهم حيث لم يقنعوا بان جعلوا له من عباده جزءً و جعلوا اخسّ الاولاد له [وَإِذٰا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمٰا ضَرَبَ لِلرَّحْمٰنِ مَثَلًا] اى بما ضرب الاسماع به حالكونه مثلاً وشبيهاً، او من حيث كونه صفة وحكاية لحاله فانّ الولد مجانس للوالد وشبيه له وكأنّ التّأدية بهذه العبارة للاشارة الى انّهم لا يقولون انّ الله ولد حقيقةً بل شبّهوا النّسبة بينه و بين الملائكة او بين الجنّ بنسبة الوالد والولد [ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ] رجل كظيم و مكظوم مكروب، او هو كاظم لغيظه غير مظهر له اوساكت [أَوَمَنْ يُنَشَّؤُا فِى الْحِلْيَةِ] الم يتفكّروا وجعلوا من ينشّؤ ويربّى فى الزّينة ولداً له؟ او من مبتدء خبر محذوف، اوخبر مبتدءٍ محذوف والمعنى اهو ادنى منكم ومن ينشّؤ فى الزّينة ولد له ومن يبارز فى المحاربة ولد لكم؟ اوالمعنى اهو ادنى منكم وولده من ينشّؤ فى الزّينة؟ [وَهُوَ فِى الْخِصٰامِ غَيْرُ مُبِينٍ] لدعواه وحجّته بل فى الاغلب يتكلّم حين المخاصمة بما هو حجّة عليه، وقرئ ينشؤ من الثّلاثىّ المجرّد مبنيّاً للفاعل، ومن التّفعيل ومن المفاعلة ومن الافعال مبنيّاً للمفعول [وَجَعَلُوا الْمَلٰائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبٰادُ الرَّحْمٰنِ إِنٰاثاً] قرئ عباد الرّحمن وعبيد الرّحمن وعند الرّحمن بالنّون يعنى انّ قولهم الملائكة بنات الله متضمّن لقبائح عديدة، الاوّل جعله مركّباً متجزّناً وليس الّا وصف ادنى الممكنات، والثّانى نسبة التّوالد اليه وهو يستلزم الاحتياج ووجود المثل له وهو غنىّ على الاطلاق، ولو كان له مثل لكان ممكناً مركّباً، والثّالث نسبة امر اليه اذا نسب الى انفسهم تغيّروا واسودّت وجوههم وهو يستلزم جعله ادنى واهون من انفسهم، والرّابع جعل اضعف الاولاد ولداً له، والخامس جعل الملائكة الّذين هم مكرمون على الله بوصف ارذل النّاس [أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ] فانّ الانوثة والذّكورة لا تعلمان الّا بالمشاهدة [سَتُكْتَبُ شَهٰادَتُهُمْ] الّتى شهدوا بها على الملائكة انّهم اناثٌ [وَيُسْئَلُونَ] عن هذه الشّهادة يوم القيامة وهو تهديدٌ لهم [وَقٰالُوا لَوْ شٰاءَ الرَّحْمٰنُ مٰا عَبَدْنٰاهُمْ مٰا لَهُمْ بِذٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ] يعنى انّهم قالوا هذه الكلمة من غير تصوّرٍ لمعناها ومن غير علمٍ بنسبتها ولذلك كانوا كاذبين وانّما ارادوا

بذلك الفرار من قبح عبادة غير الله ولم يعلموا انّ فاعليّة المشيّة اوسببيّتها للاشياء ليست بحيث يسلب الاختيار عنهم ويرفع القبح عن فعلهم [إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ] اى من قبل القرآن اومن هذا القول [فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ] يعنى ليس لهم علمٌ تحقيقىٌّ بمعنى هذا القول ولا علمٌ تقليدىٌّ و ليس لهم سوى الخرص والخرصُ والتّخمين فى باب العقائد مطرود عن باب الله و قد سبق فى سورة الانعام بيان لهذه الآية عند قوله تعالى : لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا (الآية) [بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ] اى على طريقة وملّة [وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ] يعنى انّهم ما علموا تحقيقاً ولا علموا تقليداً ممّن يصحّ تقليده بل قلّدوا آباءهم الّذين لايجوز لهم تقليدهم ولذلك قال فى موضع آخر : اَولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون [وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ] تسلية له (ص) بانّ هذا كان ديدن النّاس قديماً وجديداً وقد كان الانبياء السّابقون (ع) مبتلين بامثال هؤلاء، و تخصيص المترفين بالذّكر لانّهم هم الّذين كانوا يعارضون الانبياء والاولياء (ع)، وامّا غيرهم فليس نظرهم الّا اليهم [قَالَ] النّذير لهم [أَ] تقلّدون آباءكم [وَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا] جوابٌ لسؤال مقدّر كأنّه قيل: ما قالوا ؟ فقال تعالى: قالوا [إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ] ولو كان اهدى ممّا وجدنا عليه آباءنا [فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ] بانواع النّقم الّتى ذكرنا بعضها لك [فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ] عطف باعتبار المعنى كأنّه قال : اذكر اوذكّر اذجعلوا لله من عباده جزءً وجعلوا له بناتٍ حتّى يتنبّهوا بقبحه واذكر اذقالوا لوشاء الرّحمن ما عبدناهم ، واظهر قبح هذا القول لهم حتّى يتنبّهوا ، و اذكر اذ ارسلنا فى كلّ قرية نذيراً فكذّبوه فأهلكناهم حتّى تتسلّى عن تكذيبهم، واذكر اذقالوا انّا وجدنا آباءنا على امّة واظهر قبح هذا القول لهم واذكر اذقال ابراهيم [لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ] حتّى يكون اسوة لقومك فى التّبرّى عن التّقليد لمن لايجوز تقليده ، ويكون اسوة لهم فى التّقليد ان ارادوا التّقليد فانّه جعل التّبرّى عن تقليد من لايجوز تقليده كلمةً باقيةً فى عقبه، ويكون اسوة لك فى عدم الاعتناء بالقوم وشدّة انكارهم، وفى اظهار دعوتك وعدم الاعتداد بردّهم وقبولهم [إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ] الى ما هو بُغية الانسان [وَجَعَلَهَا] اى كلمة التّبرّى عن تقليد من لايجوز تقليده اوجعل كلمة التّوحيد [كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ] اى ذرّيّته او امّته اومن يأتى فى عقبه من ذرّيّته و ذرّيّة امّته [لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ] من جهلهم الّذى كانوا مفطورين عليه وهؤلاء ممّن أتوا على عقبه فليأخذوا بتلك الكلمة وليرجعوا من جهلهم وتقليدهم لمن لايجوز تقليده ، وقدفسّر تلك الكلمة الباقية فى اخبارنا بالامامة وانّها باقية فى عقب الحسين (ع) ، وفسّر قوله تعالى لعلّهم يرجعون برجوع الائمّة الى الدّنيا [بَلْ] ليس بقاؤهم على طريقتهم الباطلة لاعتمادهم على تقليد آباءهم وتمسّكهم به ولكن [مَتَّعْتُ هَٰؤُلَاءِ] قريشاً [وَآبَاءَهُمْ] بالتّمتّعات الحيوانيّة من غير منذرٍ لهم من البلايا و المصائب ومن الانبياء (ع) فسكنوا الى تلك التّمتّعات و اطمأنّوا بها [حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ] اى الولاية [وَرَسُولٌ مُبِينٌ] ظاهر رسالته وصدقه فيها، اومظهر رسالته [وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ] المندرع عمّا اطمأنّوا به و رأوه مخالفاً لما تمرّنوا عليه انكروه وطلبوا ما اسندوا انكارهم اليه و [قَالُوا هَٰذَا] الّذى يدّعى انّه كتابٌ سماوىٌّ آلهىٌّ، اوهذا الّذى يدّعيه من الرّسالة من الله، اوهذا الّذى يظهر من خوارق العادات [سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ]

وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هٰذَا الْقُرْاٰنُ عَلٰى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ] مكّة و الطّائف [عَظِيمٍ] لمّا لم يروا عظمة وشرفاً الّا ماهو بحسب الانظار الحسيّة من الشّرافات الدّنيويّة من الحسب والنّسب والخدم والحشم وكثرة المال والاولاد ولم يكن لمحمّد(ص) شيء من ذلك انكروا نزول الكتاب من الله عليه وقالوا : لوكان الله ينزل كتاباً و يرسل رسولاً فليرسل الى رجل شريف عظيم القدر كالوليدبن المغيرة بمكّة وعروة بن مسعود بالطّائف ولينزل الكتاب الى احدهما، لكنّهم لم يعلموا انّ الرّسالة منصب روحانيّ والشّرافة الصّوريّة لاتبلغ الرّجل الى ذلك المنصب ان لم تكن تمنعه منه [اَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ] فى الاستفهام واضافة الرّبّ الى محمّد(ص) دونهم انكارٌ وتحقير لهم واستهزاءٌ بهم [نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِى الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا] يعنى انّ معيشتهم الّتى هى من مكسوباتهم ومحسوساتهم ولهم بحسب الظّاهر اختيار فى تحصيلها لاصنع لهم فيها بل نحن قسمناها بينهم فكيف يقسمون النّبوّة الّتى هى رحمة من الله غير محسوسة لهم ولا صنع ولا اختيار لهم فيها [وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ] فى المراتب الدّنيويّة والمناصب الظّاهرة [دَرَجَاتٍ] فكيف نكل هذا المنصب العظيم الى آرائهم [لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا] السّخرىّ اسم مصدر من سخر به ومنه، وهكذا السّخريّة والسّخرىّ بكسر السّين، ولعلّه ههنا من مادّة التّسخير واسمٌ له بمعنى التّذليل [وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ] من الاموال والاولاد والاعراض، و فى خبرٍ: الاترى يا عبدالله كيف اغنى واحداً وقبّح صورته و كيف حسّن صورة واحدٍ وافقره، و كيف شرّف واحداً وافقره، وكيف اغنى واحداً ووضعه؟ ! ثمّ ليس لهذا الغنىّ ان يقول: هلّا اضيف الى يسارى جمال فلان ، ولا للجميل ان يقول: هلّا اضيف الى جمالى مال فلان ، ولا للشّريف ان يقول : هلّا اضيف الى شرفى مال فلان ، ولا للوضيع ان يقول : هلّا اضيف الى ضعتى شرف فلان ، ولكنّ الحكم لله يقسم كيف يشاء وهو حكيم فى افعاله كما هو محمود فى اعماله ، وذلك قوله تعالى: وقالوا: لو لا نزّل هذا القرآن على رجلٍ من القريتين عظيمٍ ، قال الله تعالى: اهم يقسمون رحمة ربّك يا محمّد نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحيوة الدّنيا فأحوجنا بعضهم الى بعض ، احوج هذا الى مال ذلك ، واحوج ذلك الى سلعة هذا والى خدمته فترى اجلّ الملوك و اغنى الاغنياء محتاجاً الى افقر الفقراء فى ضربٍ من الضّروب امّا سلعة معه ليست معه وامّا خدمة تصلح لمالايتهيّأ لذلك الملك ان يستغنى الّا به ، وامّا باب من العلوم والحكم هو فقير الى ان يستفيدها من ذلك الفقير وهذا الفقير محتاج الى مال ذلك الملك الغنىّ ، وذلك الملك يحتاج الى علم هذا الفقير او رأيه او معرفته ، ثمّ ليس للملك ان يقول : هلّا اجتمع الى مالى علم هذا الفقير ، ولا للفقير ان يقول: هلّا اجتمع الى رأيى وعلمى وما اتصرّف فيه من فنون الحكم مال هذا الملك الغنىّ [وَلَوْلَا اَنْ يَكُونَ النَّاسُ اُمَّةً وَاحِدَةً] اى لولا كراهة ذلك [لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ] بالتّوسعة فى اموالهم حتّى يجعلوا سقف بيوتهم فضّة [وَمَعَارِجَ] من فضّة [عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ] السّطوح [وَلِبُيُوتِهِمْ اَبْوَابًا وَ سُرُرًا] من فضّة [عَلَيْهَا يَتَّكِؤُنَ وَزُخْرُفًا] زينة من غير ذلك يعنى لولا ان يكونوا كلّهم كفّاراً لجعلنا ذلك لانّ الكافر مخذول منّا ومكروه لنا ولم نرد منه توجّهه الينا ، ولولا مراعاة حال من فى وجوده استعداد الايمان لوسّعنا عليه فى دنياه بحيث لايغتمّ آناً بشيءٍ من دنياه حتّى لايتوجّه الينا ولكن لمراعاة حال المستعدّين للايمان جعلنا فى الكفّار غنىّ و فقراً كما انّ فى المؤمنين غنىّ و فقراً ، وعن الصّادق(ع) قال الله عزّ وجلّ : لولا ان يجد عبدى المؤمن فى نفسه(١) لعصّبت الكافر بعصابةٍ من ذهبٍ، وعن النّبىّ(ص) : يا معشر المساكين طيبوا و اعطوا الله الرّضا من قلوبكم يثبّتكم الله عزّ وجلّ على فقركم فان

(١) اى كراهة منّى .

لم تفعلوا فلاثواب لكم، وعنه (ع) قال: ماكان من ولد آدم (ع) مؤمن الّا فقيراً ولا كافر الّا غنيّاً حتّى جاء ابراهيم (ع) فقال: ربّنا لاتجعلنا فتنةً للّذين كفروا فصيّرالله في هؤلاء اموالاً وحاجةً، وفي هؤلاء اموالاً وحاجةً [وَ إِنْ كُلُّ ذٰلِكَ] المذكور من سقف الفضّة ومعارجها وابوابها وسررها وزخرف البيوت [لَمّا مَتاعُ الْحَيٰوةِ الدُّنْيا] قرئ لمّا بالتّشديد فيكون ان نافيةً ولمّا استثنائيّةً، وقرئت بالتّخفيف فان مخفّفة واللّام فارقة وما زائدة اوموصولة او موصوفة [وَالْاٰخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ] من متاع الحيوة الدّنيا كأنّ غيرهم لاآخرة لهم، وبأمثال هذه الآية توسّل من قال غير المؤمنين اوغير من له عقل مجرّد اذا مات فات ولابقاء له في الآخرة، وليس كذلك، لانّ التّحقيق انّ مطلق الحيوان له بقاء في الآخرة لتجرّد خياله وعدم انطباعه وهذا القدر من التّجرّد يكفي في البقاء بعد خراب البدن [وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمٰنِ] اعلم، انّ الولاية السّارية في جميع الموجودات تكويناً حقيقة ذكرالله، وكذلك الولاية الجارية على الانسان وبني الجانّ تكليفاً، ولذلك اضاف الذّكر الى الرّحمن وصاحب الولاية المتحقّق بها ايضاً ذكر ولذلك كان رؤيته مذكّراً كما عن عيسى (ع) في جواب الحواريّين حين قالوا: من نجالس يا روح الله؟- قال: من يذكّركم الله رؤيته، ثمّ الذّكر المأخوذ من صاحب الولاية ذكرالله ثمّ الفكر الحاصل من الذّكر المأخوذ من صاحب الولاية وان كان الفكر اكمل في الذّكريّة من الذّكر المأخوذ ثمّ تذكّرالله في الخاطر ثمّ تذكّر امره ونهيه عند الفعال، ثمّ الذّكر اللّسانيّ من التّهليل والتّسبيح والتّحميد وغيرها ثمّ كلّ ما يذكّرك الله ايّ شيء كان، والمقصود انّ من يعمى عن الولاية وعن وليّ الامرفانّ العمى عن الولاية يورث العمى عن جميع اقسام الذّكر [نُقَيِّضْ] نسبّب ونقدّر [لَهُ شَيْطاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ] يمنعه عن الانسانيّة والسّلوك على طريقها ويجرّه الى البهيميّة والسّبعيّة والشّيطانيّة ويسلكه على طريقها الى النّار، وممّا روى من الاكابر: من لم يكن له شيخ اي وليّ يتولّاه بالبيعة الخاصّة تمكّن الشّيطان من عنقه، ومن تمكّن الشّيطان من عنقه لايرجى له خير، ولانجاة له من السّعير، وعن امير المؤمنين (ع): من تصدّى بالاثم اعشى[1] عن ذكرالله تعالى، ومن ترك الاخذ عمّن امرالله بطاعته قيّض له شيطان فهو له قرين [وَإِنَّهُمْ] اي الشّياطين القرناء للعاشين [لَيَصُدُّونَهُمْ] اي العاشين [عَنِ السَّبِيلِ] الّذي ينبغي ان يسلكه الانسان وهو الولاية التّكوينيّة والتّكليفيّة، ولمّا كان اغلب خطابات القرآن غير خالية من الاشارة الى الولاية وقبولها وردّها فمعنى الآية انّ من يعش عن عليّ (ع) وولايته نقيّض له شيطاناً وانّهم يعني الشّيطان واتباعه ليصدّون العاشين عن عليّ (ع) وولايته [وَيَحْسَبُونَ] اي الشّياطين اوالعاشون اوالمجموع [أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ] والحال انّهم ضالّون مصدودون عن الطّريق [حَتّٰى إِذٰا جٰاءَنٰا] اي العاشي وقرئ جاءانا على التّثنية [قٰالَ] العاشي للشّيطان [يٰا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ] اي المشرق والمغرب [فَبِئْسَ الْقَرِينُ] لمّا رأى انّه صدّه عن الولاية وبواسطة صدوده عن الولاية هلك ودخل النّار تمنّى ان لم يكن هوقريناً له [وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذٰابِ مُشْتَرِكُونَ] فاعل ينفعكم التّمنّي المستفاد من قوله: ياليت بيني وبينك بعد المشرقين او اذ ظلمتم على ان يكون اذ اسماً خالصاً، اوانّكم في العذاب ولفظة اذ اسم خالص فاعل، اوللتّعليل على ان تكون حرفاً اذا افادت التّعليل وانّكم للتّعليل او فاعل لن ينفعكم، وقرئ انّكم بكسر الهمزة جواباً لسؤال مقدّر في مقام التّعليل، روى عن الباقر (ع) انّه نزلت هاتان الآيتان هكذا حتّى اذا جاءانا يعني فلاناً وفلاناً يقول احدهما لصاحبه حين يراه: ياليتني بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين فقال الله لنبيّه (ص): قل لفلان وفلان واتباعهما: لن ينفعكم اليوم اذظلمتم آل محمّد حقّهم انّكم

---

(۱) عَشِيَ يعشَى عشاً = ساء بصره باللّيل والنّهار واعشى عن شيء = أعرض وصدر عنه الى غيره.

فى العذاب مشتركون فقوله لن ينفعكم بتقدير القول سواء جعل التّقدير قل يامحمّد (ص) لن ينفعكم، او يقول الملائكة، او يقول الله [اَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ] يعنى اذا كان الله يمدّ العمى و يقيّض له شيطاناً فهل انت تقدر ان تسمع الصّمّ [اَوْ تَهْدِى الْعُمْىَ وَمَنْ كانَ فى ضَلالٍ مُبينٍ] عطف عطف السّبب على المسبّب والمجمل على المفصّل [فَاِمّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَاِنّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ اَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذى وَعَدْناهُمْ فَاِنّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ] روى انّه (ص) اُرى مايلقى عترته من امّته بعده فما زال منقبضاً ولم ينبسط ضاحكاً حتّى لقى الله تعالى، و روى جابر بن عبدالله الانصارىّ قال: انّى لادناهم من رسول الله (ص) فى حجّة الوداع بمنى قال لالقينّكم ترجعون بعدى كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، و ايم الله لئن فعلتموها لتعرفنّى فى الكتيبة الّتى تضار بكم ثمّ التفت الى خلفه فقال: او علىّ، ثلاث مرّات فرأينا انّ جبرئيل غمزه، فانزل الله على اثر ذلك فامّا نذهبنّ بك فانّا منهم منتقمون بعلىّ بن ابى طالب (ع)، وعن الصّادق (ع) فامّا نذهبنّ بك يامحمّد (ص) من مكّة الى المدينة فانّا رادّوك اليها ومنتقمون منهم بعلىّ بن ابى طالب (ع) [فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذى اُوحِىَ اِلَيْكَ] يعنى لاتحزن على ماقالوا فى حقّ اهل بيتك وعلى ماسيفعلونه بعدك واستمسك بالّذى اوحى اليك فى علىّ (ع) اوفى اهل بيتك [اِنَّكَ عَلى صِراطٍ مُسْتَقيمٍ] هو صراط الولاية، ومن كان على صراطٍ مستقيم لايبال بما قيل او يقال، اوفُعل او يفعل به، وعن الباقر (ع) انّك على ولاية علىّ (ع)، وعلىٌّ (ع) هو الصّراط المستقيم، اوالمعنى فاستمسك بالّذى القى اليك من ولاية علىّ (ع) انّك بهذا الالقاء على صراطٍ مستقيم [وَاِنَّهُ] اى ما اوحى اليك او الصّراط المستقيم اوعلىّ (ع) [لَذِكْرٌ لَكَ] اولشرف لك اولذكرك الله فانّه ذكرالله حقيقةً وسبب تذكّر الله، اوذكر الله لك ولاشرف اشرف من ان يذكّرك الله [وَ لِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْئَلُونَ] عنه فانّه النّبأ العظيم الّذى هم فيه مختلفون، والنّعيم الّذى تسألون عنه [وَاسْئَلْ مَنْ اَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنا اَجَعَلْنا مِنْ دُونِ الرَّحْمنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ] المفعول الاوّل محذوفٌ ومن ارسلنا مفعولٌ ثانٍ اى اسئل النّاس و اهل الخبرة والعلماء باخبار الماضين وسيرهم عن حال من ارسلنا قبلك، اومن مفعول اوّل وقوله اجعلنا فى مقام المفعول الثّانى يعنى اسئل الرّسل الماضين (ع) فانّهم ان كانوا غائبين عن الانظار البشريّة فهم غير غائبين عن نظرك، وورد فى اخبار كثيرة انّه (ص) اُرى ليلة المعراج جميع الانبياء (ع) وهم قد صلّوا خلفه فى بيت المقدّس او فى السّماء فانزل الله تعالى هذه الآية عليه، فعن الباقر (ع) انّه سئل عن هذه الآية من ذا الّذى سأله محمّد (ص) وكان بينه و بين عيسى (ع) خمس مائة سنة فتلا هذه الآية: سبحان الّذى اسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الّذى بار كنا حوله لنريه من آياتنا، قال: فكان من الآيات الّتى أراها الله محمّداً (ص) حين اسرى به الى البيت المقدّس ان حشرالله له الاوّلين والآخرين من النّبيّين والمرسلين (ع) ثمّ امر جبرئيل فاذّن شفعاً واقام شفعاً ثمّ قال فى اقامته: حىّ على خير العمل، ثمّ تقدّم محمّد (ص) فصلّى بالقوم فانزل الله عليه و اسئل من ارسلنا (الآية) فقال لهم رسول الله (ص): على ماتشهدون وما كنتم تعبدون؟ـ فقالوا: نشهد ان لا اله الّا الله وحده لاشريك له، وانّك لرسول الله (ص) اخذت على ذلك مواثيقنا و عهودنا [وَ لَقَدْ اَرْسَلْنا مُوسى بِآياتِنا اِلى فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِ] عطف فيه تسلية لرسول الله (ص) وحمل له على الصّبر على اذى القوم [فَقالَ اِنّى رَسُولُ رَبِّ الْعالَمينَ فَلَمّا جاءَهُمْ بِآياتِنا اِذا هُمْ مِنْها يَضْحَكُونَ] استهزؤا بها مقام ان ينقادوا لها و يخافوا من الله و يصدّقوا رسوله (ع) بها [وَما نُريهِمْ

مِنْ اٰيَةٍ اِلّاٰ هِيَ اَكْبَرُ مِنْ اُخْتِهاٰ وَاَخَذْناٰهُمْ بِالْعَذاٰبِ] بالقحط والرّجز والطّوفان والجراد والقمّل [لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ] من غيّهم ويصدّقون رسولنا [وَقاٰلُوا ياٰ اَيُّهَا السّاٰحِرُ] نادوه بهذا الاسم تعظيماً له لانّ السّحر كان له قدر عظيم عندهم، اولانّ السّاحر كان اسماً لكلّ عالم ماهر، وقيل: انّما قالوا ذلك استهزاءً بموسى (ع) فانّهم لغاية حمقهم وشدّة عنادهم ما تركوا الاستهزاء به فى حال الشّدّة والابتلاء، وقيل: انّ السّاحر من سحر بمعنى غلب فى السّحر والمعنى يا ايّها الّذى ساحرنا فغلبنا بسحره [اُدْعُ لَناٰ رَبَّكَ بِماٰ عَهِدَ عِنْدَكَ اِنَّناٰ لَمُهْتَدُونَ] يعنى ان كشفت عنّا فانّا آمنون بك كما مضى الآية فى سورة الاعراف وقد مضى بيانها ايضاً [فَلَمّاٰ كَشَفْناٰ] اى فدعا موسى (ع) فكشفنا فلمّا كشفنا [عَنْهُمُ الْعَذاٰبَ اِذاٰ هُمْ يَنْكُثُونَ] ينقضون يعنى كلّما عذّبناهم بعذاب قالوا ذلك وكلّما كشفنا عنهم نقضوا عهدهم [وَناٰدىٰ فِرْعَوْنُ فى قَوْمِهِ] يعنى بعد ما كشفنا عنهم العذاب خاف فرعون على ملكه وخاف ان يقرّ بموسى بعض اهل مملكته فجمع النّاس وخطبهم وموّه عليهم باظهار حسن حاله فى الدّنيا ورثاثة حال موسى (ع) فيها [قاٰلَ ياٰ قَوْمِ] لا تبالوا بموسى وما رأيتموه منه من كشف العذاب فانّى ابسط منه يداً واكثر مالاً واقوى تصرّفاً [اَلَيْسَ لى مُلْكُ مِصْرَ] اشارة الى بسط يده فى البلاد [وَهٰذِهِ الْاَنْهاٰرُ] اى انهار النّيل، قيل: كان معظمها اربعة [تَجْرى مِنْ تَحْتى] اى من تحت قصرى او من تحت امرى فانّهم كانوا معتقدين انّ النّيل يجرى بأمره [اَفَلاٰ تُبْصِرُونَ اَمْ اَناٰ خَيْرٌ] بهذه الاموال والجمال وحسن الحال وحسن الصّورة وحسن السّيرة وكثرة البسطة والسّعة [مِنْ هٰذاٰ الَّذى هُوَ مَهينٌ] حقيرٌ ليس له شيءٌ من هذا الّذى ترونه علىّ [وَلاٰ يَكاٰدُ يُبينُ] الكلام ويقرّر المرام يعنى انّه مهين بحسب البسطة والسّعة والزّينة، ومهينٌ بحسب حاله فى نفسه فانّه لا يقدر على اداء الكلام، وام منقطعة مجرّدة عن الهمزة، او متضمّنة لها، اومتّصلة والمعنى افلا تبصرون ام تبصرون [فَلَوْلاٰ اُلْقِيَ عَلَيْهِ اَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ] قيل: كانوا اذا سوّروا رجلاً سوّروه وطوّقوه بسوارٍ وطوقٍ من ذهبٍ، موّه عليهم وقاس السّيادة من الله بالسّيادة من الخلق وقال: اذا كان رسولاً ونائباً من الله فلم لا يلقى عليه من الله اسورة من ذهبٍ حتّى يكون علامةً لسيادته، وقرئ: القى مبنيّاً للمفعول، واسورة مرفوعاً ومبنيّاً للفاعل، واسورةً منصوباً، وقرئ: اسورة واساورة واساوير واساور [اَوْ جاٰءَ مَعَهُ الْمَلاٰئِكَةُ مُقْتَرِنينَ] اى مصطفّين فانّه يقول: انّ لله الّذى يدّعى الرّسالة منه ملائكةً كثيرةً فان كان صادقاً فى رسالته من الله الموصوف بما وصف فليكن صفوف من الملائكة معه ليكونوا جنوده، ومعينين له فى اموره، وحافظين له عن الواردات والاعداء [فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ] اى طلب منهم الخفّة والسّرعة فى خدماته بهذه التّمويهات اوفاستخفّ احلامهم [فَاَطاٰعُوهُ اِنَّهُمْ كاٰنُوا قَوْماً فاٰسِقينَ فَلَمّاٰ اٰسَفُوناٰ] احزنونا، اسف كفرح حزن اشدّ الحزن، واسف عليه غضب، وباىّ معنى كان لا يكون لائقاً بشأن الله، ولذلك وردعن الصّادق (ع): انّ الله تبارك وتعالى لا يأسف كأسفنا ولكنّه خلق اولياءه لنفسه يأسفون ويرضون وهم مخلوقون مربوبون فجعل رضاهم رضا نفسه وسخطهم سخط نفسه وذلك لانّه جعلهم الدّعاة اليه والادلّاء عليه فلذلك صاروا كذلك وليس ان ذلك يصل الى الله كما يصل الى خلقه ولكن هذا معنى ما قال من ذلك **وقال ايضاً**: من اهان لى وليّاً فقد بارزنى بالمحاربة ودعانى اليها، **وقال ايضاً**: من يطع الرّسول فقد اطاع الله **وقال ايضاً** انّ الّذين يبايعونك انّما يبايعون الله وكلّ هذه وشبهه على ماذكرت لك، وهكذا الرّضا والغضب وغيرهما من الاشياء ممّا يشاكل ذلك، ولو كان يصل الى المكوّن الاسف والضّجر وهو الّذى احدثهما وانشأهما لجاز لقائلٍ ان يقول: انّ المكوّن يبيد يوماً، لانّه اذا دخله الضّجر والغضب

دخله التّغيّر ، واذا دخله التّغيّر لم يؤمن عليه بالابادة، ولو كان ذلك كذلك لم يعرف المكوّن من المكوّن ، ولا القادر من المقدور ولا الخالق من المخلوق، تعالى الله عن هذا القول علوّاً كبيراً ، هو الخالق للاشياء لا لحاجة فاذا كان لا لحاجة استحال الحدّ والكيف فيه ، فافهم ذلك ان شاء الله [انْتَقَمْنا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْناهُمْ أَجْمَعِينَ] من قبيل عطف التّفصيل على الاجمال [فَجَعَلْناهُمْ سَلَفاً] متقدّمين ليتّعظوا بهم و يعتبروا بافعالهم و مالهم و ما عليهم وهو مصدر وصف به ، اوجمع للسّالف كالخدم للخادم وقرئ سُلُفاً بضمّ السّين والّلام جمعاً للسّليف كالرّغيف ، اوللسّالف اوللسّلف كالخشب، وقرئ بضمّ السّين وفتح الّلام على انّه مخفّف سُلُف بالضّمّتين ،اوجمع سلفة بمعنى السّالفين، [وَمَثَلاً] المثل فى الاصل بمعنى التّشبيه لكنّه جعل بالغلبة اسماً لامر غريب سلف يشبّه به كلّ امر حادث فيه غرابة يعنى جعلناهم بحيث يضرب بهم الامثال لكلّ من فعل فعلاً قبيحاً يقع بسببه فى بليّة [لِلْآخِرِينَ] اى الآتين على عقبهم [وَلَمّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً] لعلىّ بن ابى طالب (ع) اى لمّا اجرى ابن مريم حالكونه مشبّهاً به لعلىّ بن ابى طالب (ع) كما ذكر فى اخبار كثيرة [إِذا قَوْمُكَ مِنْهُ] اى من علىّ (ع) اومن هذا التّشبيه [يَصِدُّونَ] يضجّون او يعرضون او يمنعون وقرئ يصدّون بضمّ الصّاد و بكسرها،وعن النّبىّ (ص) انّه قال: الصّدود فى العربيّة الضّحك هذا ما وصل الينا فى اخبار كثيرة نشير الى شطر منها ، وقيل : معناه ولمّا ضرب ابن مريم مثلاً وشبيهاً بالآلهة فى العذاب فانّه لمّا نزل انّكم و ما تعبدون من دون الله حصب جهنّم ، قال المشركون : قد رضينا بان تكون آلهتنا حيث يكون عيسى (ع) ومعنى اذا قومك منه يصدّون يضجّون نحو ضجيج المجادلين حيث خاصموك فى تمثيلهم لعيسى (ع) بآلهتهم، وقيل : لمّا ضرب الله المسيح مثلاً بآدم (ع) فى قوله : انّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب خاصم بعض قريش النّبىّ (ص) فنزلت، وقيل : لمّا مدح النّبىّ (ص) المسيح (ع) قالوا: انّ محمّداً (ص) يريد ان نعبده كما عبدت النّصارى عيسى (ع) ، و روى بينا رسول الله (ص) ذات يوم جالس اذ اقبل اميرالمؤمنين (ع) فقال له رسول الله (ص) : انّ فيك شبهاً من عيسى بن مريم (ع) ، لولا ان تقول فيك طوائف من امّتى ماقالت النّصارى فى عيسى بن مريم (ع) لقلت فيك قولاً لا تمرّ بملاء من النّاس الّا اخذوا التّراب من تحت قدميك يلتمسون بذلك البركة ، قال: فغضب الاعرابيّان والمغيرة بن شعبة وعدّة من قريش معهم فقالوا : مارضى ان يضرب لابن عمّه مثلاً الّا عيسى بن مريم.. ! فأنزل الله على نبيّه و لمّا ضرب ابن مريم مثلاً (الى قوله) لجعلنا منكم يعنى من بنى هاشم ملائكة فى الارض يخلفون ، و بهذا المضمون باختلاف يسير فى اللّفظ اخبارٌ كثيرة [وَقالُوا ءَأَلِهَتُنا خَيْرٌ أَمْ هُوَ] اى عيسى يعنى انّ عيسى (ع) خير من آلهتنا فاذا كان هو فى النّار فرضينا ان يكون آلهتنا فى النّار ، اوهو كناية عن محمّد (ص) فانّهم قالوا : يريد ان نعبده كما عبد النّصارى المسيح ، وآلهتنا خيرٌ منه و هو ينهانا من عبادتها، اوالمعنى ءآلهتنا خيرٌ ام المسيح وكان مرادهم الزام محمّد (ص) فانّه لمّا مدح المسيح ارادوا ان يقولوا: ان كان عبادة غير الله جائزاً ظنّاً منهم انّه صلّى الله عليه وآله فى مدحه لعيسى يجوّز عبادة النّصارى له فليجز عبادة آلهتنا، اوالمراد آلهتنا خيرٌ ام علىّ (ع)؟! وهو يمثّل عليّاً بعيسى (ع) [ما ضَرَبُوهُ لَكَ إِلّا جَدَلاً] اى لاجل المجادلة معك [بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ] كثير المخاصمة ولذلك يخاصمونك [إِنْ هُوَ إِلّا عَبْدٌ] اى ان علىّ (ع) اومحمّد (ص) اوعيسى (ع) ولكن فى اخبارنا ان علىّ (ع) الّا عبدٌ [أَنْعَمْنا عَلَيْهِ وَجَعَلْناهُ مَثَلاً] متمثّلاً ومتصوّراً [لِبَنِي إِسْرائِيلَ] بصورة عيسى بن مريم ،اوجعلناه شبيهاً بعيسى (ع) لانتفاع بنى اسرائيل الّذين هم اولاد الانبياء (ع) بحسب الجسم اوالرّوح

اوجعلناه حجّة لبنى اسرائيل، وعن الصّادق (ع) فى دعاء يوم الغدير : فقد اجبنا داعيك النّذير المنذر محمّداً (ص) عبدك و رسولك الى علىّ بن ابى طالب (ع) الّذى انعمت عليه و جعلته مثلاً لبنى اسرائيل انّه امير المؤمنين (ع) و مولاهم و وليّهم الى يوم القيامة يوم الدّين فانّك قلت : ان هو الّا عبدٌ انعمنا و جعلناه مثلاً لبنى اسرائيل [وَلَوْنَشاءُ] يعنى انّهم يضجّون بان شبّهت علياً بعيسى (ع) فلو نشاء [لَجَعَلْنا مِنْكُمْ مَلائِكَةً فِى الْاَرْضِ يَخْلُفُونَ] يعنى لونشاء لجعلنا كم اعزّ من ان تشبّهوا بعيسى فجعلنا بعضكم ملائكة يخلفون لله فى الارض، او يخلفونكم فى الارض، او لولّدنا منكم ملائكة، اولجعلنا بدلاً منكم ملائكة، اولجعلناظاهرين وخارجين من وجودكم الى خارج وجودكم ملائكة كما كان يظهر من محمّد (ص) جبرئيل (ع) بحيث كان قديراه من كان قريناً له [وَاِنَّهُ لَعِلْمٌ] اى انّ علياً (ع) لعلم و امارة علم [لِلسّاعَةِ] وقرئ عَلَم بالتّحريك اى امارة فانّ علياً (ع) بولايته من امارات السّاعة اومن اسباب العلم بالسّاعة لانّ من تولّاه بالبيعة الخاصّة الايمانيّة ودخل الايمان فى قلبه ايقن بالسّاعة بشهود اماراته من وجوده ، اوانّ عيسى (ع) من امارات السّاعة فانّ نزوله من علامات السّاعة، وقيل: انّ القرآن من اسباب العلم بالسّاعة اومحمّد (ص) من امارات السّاعة فانّه بعث هو و السّاعة كالسبّابة والوسطى، اوجعل الملائكة منكم من اسباب علم السّاعة [فَلا تَمْتَرُنَّ بِها وَاتَّبِعُونِ] امّا من كلام الله اومن كلام محمّد (ص) بتقدير القول والتّقدير قل لهم: اتّبعون فيما اقول لكم من ولاية علىّ (ع) [هٰذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ] جواب سؤالٍ مقدّر فى مقام التّعليل يعنى هذا المذكور صراط مستقيم، وفسّر الصّراط ههنا بعلىّ (ع) [وَلايَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطانُ اِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ] ظاهر العداوة او مظهرٌ لعداوته لانّه يصدّكم عمّن امر الله تعالى ورسوله مراراً بولايته واطاعته بحيث لم يخف على احد امره (ص) باطاعته (ع) [وَلَمّا جاءَ عِيسى بِالْبَيِّناتِ قالَ قَدْجِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِاُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللهَ وَاَطِيعُونِ اِنَّ اللهَ هُوَ رَبّى وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هٰذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ] ذكر حكاية عيسى (ع) وقوله لقومه و بيان حال قومه وقالهم له تسلية للرّسول (ص) ولامير المؤمنين (ع) وتهديدلقومهما [فَاخْتَلَفَ الْاَحْزابُ] الحزب بالكسر الطّائفة وجماعة النّاس ، وجمعه الاحزاب [مِنْ بَيْنِهِمْ] اى فاختلف جماعات من بينهم و عرّفه باللّام للاشارة الى انّ الجماعات المختلفة كأنّهم كانوا معهودين [فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا] منهم [مِنْ عَذابِ يَوْمٍ اَلِيمٍ هَلْ يَنْظُرُونَ] ماينتظرون لظهوراتيان السّاعة وعدم جواز انكارها جعلهم مثل من انتظراً مراً [اِلَّا السّاعَةَ اَنْ تَأْتِيَهُمْ] بدل من السّاعة بدل الاشتمال [بَغْتَةً وَهُمْ لايَشْعُرُونَ] بمجيئه حتّى يتهيّؤا لها، وقد مضى مكرّراً انّ السّاعة قد فسّر بساعة الموت و بالقيامة و بظهور القائم (ع) [اَلْاَخِلّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ] الجملة مستأنفة جوابُ سؤالٍ مقدّر فى بيان حال اليوم والمراد بالخلّة ههنا هى الخلّة فى الدّنيا لاالخلّة فى الله وللآخرة بقرينة الاستثناء وسبب صيرورة الخلّة الدّنيويّة عداوة اخرويّة انّ الخلّة الدّنيويّة صارفة للانسان عن بغيته الاخرويّة وشاغلة له عن الاشغال الآلهيّة فتصير سبباً للحسرة والنّدامة ، ويظهر انّها كانت عداوة فالخليل الدّنيوىّ يعادى خليله لذلك [اِلَّا الْمُتَّقِينَ] فى افعالهم و احوالهم و اخلاقهم عن الجهة الدّنيويّة فخلّتهم لاتكون الّا لجهات اخرويّة ويوم القيامة يظهر اثر تلك الخلّة فيتيقّن ويشاهد انّ الخلّة كانت خلّة لاعداوة ، وقرأ الصّادق (ع) هذه الآية فقال: والله ما اراد بهذا غيركم، وعنه (ع) : واطلب مواخاة الاتقياء ولوفى ظلمات الارض وان افنيت عمرك فى طلبهم فانّ الله عزّ وجلّ لم يخلق افضل منهم على وجه الارض من بعد النّبيّين ، ومانعم الله تعالى على عبدٍ بمثل ماانعم به من التّوفيق لصحبتهم

قال الله تعالى: الاخلّاء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ الّا المتّقين، واظنّ انّ من طلب فى زماننا هذا صديقاً بلاعيب بقى بلاصديق، ولمّا ذكر حال ذلك اليوم وشدّته بالنّسبة الى المخالفين والمنافقين نادى عباده المخصوصين تلطّفاً بهم وتسكيناً لخوفهم منه فقال [يا عِبادِ] الّذين آمنوا بالولاية فانّه لايصير الانسان عبداً لله تكليفاً الّا بعد قبول الولاية ولذلك بيّنهم بقوله الّذين آمنوا بآياتنا (الى آخر الآية) [لاخَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ] فانّ شدّته لمن كان معرضاً عن صاحب ذلك اليوم وهو علىّ (ع) [وَلا اَنْتُمْ تَحْزَنُونَ] وقد مضى فى اوّل البقرة وفى غيرها بيانٌ لاختلاف الفقرتين من هذه العبارة [اَلَّذينَ آمَنُوا بِآياتِنا] صفة بيانيّة او خبر لمحذوف اى انتم الّذين آمنوا، اومبتدء خبره ادخلوا الجنّة بتقدير القول، اوخبره يطاف عليهم و المراد بالايمان بالآيات الايمان بصاحبى الولاية من حيث ولايتهم من الانبياء والاولياء (ع) لا من حيث رسالتهم او خلافتهم للرّسالة [وَكانُوا مُسْلِمينَ] اى منقادين او مسلمين بالبيعة العامّة النّبويّة والمقصود من الاتيان بالاسلام مع الايمان الاشعار بانّ كلّاً منهما غير صاحبه فمن سمّى بالمسلم بمحض البيعة العامّة فلايسمّى بالمؤمن بمحض ذلك وليطلب حقيقة الايمان وما به يصدق عليه المؤمن [اُدْخُلُوا الْجَنَّةَ اَنْتُمْ وَاَزْواجُكُمْ] الموافقات لكم سواء كنّ مؤمنات او لم تكنّ فانّ كرامة المؤمن تقتضى دخول آبائه وازواجه وذرّيّاته الجنّة بسببه [تُحْبَرُونَ] الحبر بالفتح السّرور والنّعمة، والحبير كامير البُرد الموشّى والثّوب الجديد، والحبرة السّماع فى الجنّة، وكلّ نعمة حسنة، والمبالغة فيما وصف بجميل، ويجوز ان يكون من كلّ من تلك الموادّ [يُطافُ عَلَيْهِمْ] التفات فيه تجديد نشاط [بِصِحافٍ] جمع الصّحفة بمعنى القصعة [مِنْ ذَهَبٍ وَاَكْوابٍ] جمع الكوب بالضّمّ كوز لاعروة له، اولاخرطوم له [وَفيها ما تَشْتَهيهِ الْاَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْاَعْيُنُ وَاَنْتُمْ فيها خالِدُونَ] فانّ النّعيم الزّائل مستعقب لالم زواله ومشوبٌ لذّته بالمخوف زواله وزحمة حفظه من الزّوال [وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتى اُورِثْتُمُوها بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ] قد مضى الآية فى سورة الاعراف مع بيان كيفيّة الايراث [لَكُمْ فيها فاكِهَةٌ كَثيرَةٌ مِنْها تَاْكُلُونَ] عدّ اللّذائذ الاخرويّة بصورة ما يلتذّ به المدارك الحيوانيّة لكون اغلب النّاس غير متجاوز عن مرتبة الحيوان والّا فالملتذّ بلذّة الحضور لايلتفت الى المأكول والمشروب وسائر ملاذّ الحيوان، واذا عممت الأكل والشّرب وسائر مقتضيات مدارك الحيوان عممت ملاذّ الملتذّ بلذّة الحضور ايضاً [اِنَّ الْمُجْرِمينَ] كأنّه قيل: هذا للمطيعين فما للمجرمين؟- فقال: انّ المجرمين [فى عَذابِ جَهَنَّمَ خالِدُونَ] وقد فسّروا باعداء آل محمّد (ص) [لايُفَتَّرُ عَنْهُمْ] لا يخفّف عنهم [وَهُمْ فيهِ مُبْلِسُونَ] متحيّرون ساكتون عمّا فى انفسهم لغاية خوفهم وحيرتهم [وَما ظَلَمْناهُمْ وَلٰكِنْ كانُوا هُمُ الظّالِمينَ] قد مضى فى سورة هود هذه الآية وانّه يظنّ انّ الاليق بسياق العبارة ان يقال: وما نحن ظلمناهم ولكنّهم ظلموا انفسهم ومضى هناك وجه كونه اليق والجواب عنه [وَنادَوْا يا مالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنا رَبُّكَ] سألوا المالك ان يسأل الله موتهم لغيبتهم عن الله وعدم وصولهم اليه حتّى يسألوا بأنفسهم خلاصهم بالموت عن العذاب [قالَ اِنَّكُمْ ماكِثُونَ] فى العذاب لاخلاص لكم من العذاب [لَقَدْ جِئْناكُمْ] جوابُ سؤالٍ مقدّرٍ من المالك اومن الله فى مقام التّعليل [بِالْحَقِّ] المخلوق به وهو المشيّة الّتى هى الولاية المطلقة الّتى هى علىّ (ع) بعلويّته، والقمّىّ: هو قول الله عزّ وجلّ: وقال يعنى بولاية امير المؤمنين (ع) [وَلٰكِنَّ اَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كارِهُونَ] وقال القمّىّ: يعنى لولاية امير المؤمنين (ع) [اَمْ اَبْرَمُوا اَمْرًا] بعد حكاية

مخاطبات المنافقين فی‌يوم القيامة خاطب نبيّه (ص) وقال: بل أبرم هؤلاء المنافقون من امّتک امراً فی تکذيب الحقّ فلاتحزن علی تعاهدهم فی مکّة وغيرها ان لايدعوا هذاالامرفی علیّ (ع) [فَإِنَّا مُبْرِمُونَ] امره اومبرمون مجازاتهم [أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ] احاديثهم الّتی يسرّونها عن غيرهم [وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ] نسمعها [وَرُسُلُنَا] ای الملائکة الموکّلة عليهم [لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ قُلْ] للّذين يجعلون للّه البنات اوللّذين يقولون: المسيح ابن اللّه اوعزير ابن اللّه، او يقولون: نحن ابناءاللّه [إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ] يعنی ان کان له ولدفانا اولی باظهاره ومعرفته لانّی اسبق العابدين للّه بحسب المرتبة، والاسبق اولی بمعرفة اولادالمعبودوذوی نسبه من غيرالاسبق، او انا اوّل العابدين لذلک الولد يعنی ينبغی ان اکون اوّل العابدين له لتقدّمی عليکم فی عبادةاللّه و ينبغی ان يکون المقدّم فی عبادةاللّه مقدّماً فی عبادة اولاده، او المعنی ان کان له ولد أفأنا اوّل العابدين ؟ علی الاستفهام الانکاریّ يعنی ان کان له ولد کنت اوّل الجاحدين له لااوّل العابدين، اواستعمل العابدين من عبدت عن الامر بمعنی انفت منه فالمعنی انااوّل الآنفين ان يکون له ولدٌ، وعن اميرالمؤمنين (ع) ای الجاحدين قال: والتّأويل فی هذا القول باطنه مضادّ لظاهره وقد ذکرت وجه صحّته [سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ] الّذی هوجملة ما سوی اللّه [عَمَّا يَصِفُونَ] تنزيهٌ له عن الولد بما فيه برهانه فانّ ربوبيّة العرش الّذی هوجملة المخلوقات تستلزم ربوبيّة کلّ جزءٍ فرض من اجزاء العرش وان کان له ولدٌ کان مثله و ثانياً له لا مربوباً له [فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا] فی باطلهم [وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ] فی السّماء آلهٌ صلة من غير عائدٍ فالعائد محذوفٌ وهو امّا صدرالصّلة ای هو فی السّماء آله ای معبود ومستحقّ للعبادة، اوسلطان و مدبّر لامور السّماء، او سائر اجزاء الصّلة ای هوالّذی فی السّماء اله منه او بصنعه اومن صنعه، وقد ورد عن اميرالمؤمنين (ع) انّه قال: وقوله هوالّذی فی السّماء آله وفی الارض آله وقوله وهو معکم اينما کنتم وقوله ومايکون من نجوی ثلاثةٍ الّا هو رابعهم فانّما اراد بذلک استيلاء امنائه بالقدرة الّتی رکّبها فيهم علی جميع خلقه وانّ فعلهم فعله، وهو يؤيّد الوجه الثّانی والمعنی الثّانی للآية [وَهُوَ الْحَكِيمُ] الّذی اتقن صنعه بحيث انّه ظهر بصورة امنائه ولم يعلم به احدٌ بل انکروه وانکروا امناءه [الْعَلِيمُ] الّذی يعلم کيفيّة اخفاء الهته بحيث لايشعرون بها بل ينکرونها [وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا] فکيف لايکون آلهاً فيهما اولايکون منه اله فيهما [وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ] الّتی هی بخرابهما لاعند غيره ولذلک تراهم غافلين عن السّاعة لاهين عنها شاغلين بما لاينفعهم فيها وما لهم يسألونک عن السّاعة وليس علمها عندک؟! وقد مضی فی سورة الاعراف وفی غيرهاوجه انحصارعلم السّاعة به تعالی وانّ من يعلم من الخلفاء ذلک فهم فی ذلک الهيّون لابشريّون [وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ] يعنی انّکم تکونون فی الحال فی الرّجوع اليه علی سبيل الاستمرار وان کنتم غافلين عن ذلک الرّجوع فاحذروا من مخالفته [وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ] من الاصنام والکواکب ومن الجنّ والشّياطين اومن ائمّة الضّلالة [مِنْ دُونِهِ] ای من دون اذن اللّه، او حال کونهم غيراللّه، اومن دون علیّ (ع) فانّ الکلّ لايملکون [الشَّفَاعَةَ] فکيف بمالکيّته شیءٍ من السّماوات والارض [إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ] استثناءٌ متّصل ان اريد بالّذين يدعون مطلق المعبودات من المسيح والعزير والملائکة والاصنام والکواکب والائمّة الباطلة، وان اريد الاصنام فالاستثناء منقطعٌ، هذا اذاکان المستثنی منه فاعل يدعون

وكان المرادبالّذين يدعون الّذين يدعون الخلق بلسانهم او بحالهم وخلقتهم الى انفسهم ، وان كان المرادبالّذين يدعون التّابعين الّذين يعبدون الاصنام وغيرها فالاستثناء من المفعول المحذوف ومفرّغ، وقيل: ان النّضر بن الحارث ونفراً من قريش قالوا: ان كان مايقوله محمّد (ص) حقّاً فنحن نتولّى الملائكة وهم احقّ بالشّفاعة لنا منه، فنزلت، والمعنى الّا لمن شهد بالحقّ اى الولاية فيكون الاستثناء مفرّغاً [وَهُمْ] اى الّذين يدعون [يَعْلَمُونَ] انّهم لا يملكون الشّفاعة ، اوالّذين يشهدون بالحقّ يعلمون الحقّ لا ان يكون شهادتهم مخالفة لمافى قلوبهم [وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللّهُ] لاعترافهم بانّ آلهتهم ماخلقوا شيئاً من ذلك [فَأَنّٰى يُؤْفَكُونَ] مع هذا الاقرار [وَقِيلِهِ] اى قول الرّسول ، وقرئ قال الرّسول، وقرئ قيله بالجرّ عطفاً على السّاعة ، و بالنّصب عطفاً على سرّهم ، او على محلّ السّاعة ، او بتقدير فعلٍ من لفظه اى قال الرّسول (ص) قيله ،و بالرّفع مبتدءٌ خبره [يٰا رَبِّ إِنَّ هٰؤُلٰاءِ قَوْمٌ لٰا يُؤْمِنُونَ] اوالخبر محذوف اى قيله يا ربّ مسموع لنا [فَاصْفَحْ عَنْهُمْ] اى اعرض اوطهّر القلب عنهم [وَقُلْ سَلٰامٌ] مداراةٌ اومتاركةٌ لاتحيّةٌ [فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ] تهديدٌ لهم بسوء العاقبة وسوء المجازاة .

سُورَةُ الدُّخَانِ

مكّيّة كلّها، وهى تسع وخمسون آيةً .

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

[حٰمۤ وَالْكِتٰابِ الْمُبِينِ] الظّاهر اوالمظهر فضل من نزّل عليه، اوصدقه، اوظاهر المعنى، اوظاهر الآثار [إِنّٰا أَنْزَلْنٰاهُ] من مقامه العالى الّذى هومقام المشيّة ، اومقام الاقلام العالية ، اومقام اللّوح المحفوظ [فِى لَيْلَةٍ مُبٰارَكَةٍ] هى ليلة القدر وقد مرّ فى سورة البقرة كيفيّة نزول القرآن فى ليلة القدر ونزوله فى مدّة ثلاث وعشرين سنة عند قوله : شهر رمضان الّذى انزل فيه القرآن [إِنّٰا كُنّٰا مُنْذِرِينَ فِيهٰا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ] .

اعلم، انّ مراتب العالم بوجهٍ غير متناهية ، و بوجهٍ سبعون الفاً ، و بوجهٍ سبعٌ ، و بوجهٍ ستٌّ، وكلّ مرتبة دانية بالنّسبة الى المرتبة العالية تسمّى ليلاً لاختلاطها بظلمة الامكان وظلمة الكثرة والفرق اكثر من المرتبة العالية، كما انّ المرتبة العالية بالنّسبة الى المرتبة الدّانية تسمّى يوماً ، ولذلك ترى التّعبير عن المراتب فى الآيات والاخبار فى النّزول باللّيالى وفى الصّعود بالايّام لاعتبار المنزل اليه بالنّسبة الى المنزل منه الّذى هو المرتبة العالية والعليا واعتبار المصعود اليه بالنّسبة الى المصعود منه الّذى هو المرتبة الدّانية والدّنيا ، وانّ عالم المثال من العالم الكبير مثل الخيال من العالم الصّغير فكما انّ الانسان كلّما اراد ان يفعله يتصوّره اوّلاً بنحوٍ كلّىّ فى مقام العقل ثمّ ينزّله عن مقام العقل الى مقام الخيال فيقدّر قدره و يتصوّر خصوصيّاته ومشخّصاته ثمّ ينزّله بتوسّط القوى المحرّكة وتحريك الاعضاء الى الخارج كذلك كان فعل الله وحال الخيال الكلّىّ فانّ الله اذا اراد ان يفعل فعلاً ينزّله من عرش المشيّة الى العقول الكلّيّة والنّفوس الكلّيّة اللّتين يعبّر عنهما بالاقلام العالية والالواح الكلّيّة ثمّ منهما الى عالم المثال وما لم يصل الامر الى عالم المثال كان بسيطاً مجملاً غير ممتازٍ بحسب الوجود العلمىّ بعضه من بعضٍ وكان موجوداً بوجودٍ واحدٍ بسيطٍ ،

وفى عالم المثال يصير متفرّقاً ممتازاً بعضه من بعض كما يكون الامر فى خيال الانسان كذلك، فانّ المريد للدّار يتصوّر اوّلاً داراً كلّيّاً فاذا تنزّلت الى مقام الخيال يتصوّرها بصورة جزئيّة مربّعة متساوية الاضلاع اومربّعة طولانيّة اوغير ذلك مشتملة على بيوتٍ ممتازةٍ بعضها عن بعضٍ ، ومشتملة على مشخّصاتها من مكانها و زمانها و غير ذلك من مشخّصاتها ، وقد ينفسخ عزيمته لتلك الدّار الموصوفة بالمشخّصات فيمحوها عن خياله و يتصوّر غيرها ، وقد يتردّد فى تعمير هذه الدّار و دارٍ اُخرى بنحوٍ آخر،كما انّ البداء و التّردّد والمحو والاثبات المنسوب الى الله يكون من هذا القبيل وفى هذا العالم كما مضى الاشارة اليه فى سورة المؤمن، فالامر المحكم الّذى لايتطرّق البطلان والمحو والاثبات والنّسخ و التّشابه اليه يتنزّل من عالم الامر الّذى لايكون فيه وجود ممتاز عن وجودٍ ولايكون فيه نقص و شرّ و بطلان ومحو الى عالم المثال الّذى يفرق فيه كلّ امرمن آخر و يتطرّق المحو والاثبات والبطلان اليه، و يتطرّق التّشابه الّذى هوعدم ثبات المعنى و تطرّق النّسخ والمحو اليه وهو ليلة القدر الّتى ليست لملك بنى امية، وكلّما يوجد فى هذا العالم لابدّ وان ينزّل من عالم العقول و النّفوس الى ذلك العالم و يقدّر قدره فيه ثمّ يظهر فى هذا العالم، كما انّ كلّما يظهر على الاعضاء لابدّ وان ينزّل من العقل الى الخيال فيقدّر قدره ، ثمّ يظهر على الاعضاء ، ولمّا كانت النّفوس كلّيّة كانت او جزئيّة متّحدة مع فاطمة (ع) فى مقامها النّازل و مظهراً لها(ع) جاز تفسير ليلة القدر بها ،كما عن الكاظم (ع) حين سأله نصرانىٌّ عن تفسير هذه الآية فى الباطن، فقال: امّا حم فهو محمّد (ص) وهو فى كتاب هودٍ الّذى انزل اليه وهو منقوص الحروف ، وامّا الكتاب المبين فهو اميرالمؤمنين علىٌّ (ع)، وامّا اللّيلة ففاطمة (ع) ، وامّا قوله فيها يفرق كلّ امر حكيم يقول يخرج منها خيرٌ كثيرٌ فرجل حكيم ، و رجل حكيم ، و رجل حكيم (الى آخر الحديث)، وعن الباقر(ع) والصّادق (ع) والكاظم (ع) اى انزلنا القرآن واللّيلة المباركة هى ليلة القدر انزل الله سبحانه القرآن فيها الى البيت المعمور جملةً واحدةً، ثمّ نزل من البيت المعمور على رسول الله (ص) فى طول عشرين سنةً، وعن الباقر(ع) قال: قال الله عزّوجلّ فى ليلة القدر فيها يفرق كلّ امرٍ حكيمٍ قال ينزل فيها كلّ امرٍ حكيمٍ والمحكم ليس بشيئتين انّما هو شيءٌ واحد فمن حكم بما ليس فيه اختلاف فحكمه من حكم الله ، ومن حكم بامرٍ فيه اختلاف فرأى انّه مصيبٌ فقد حكم بحكم الطّاغوت ، انّه لينزل فى ليلة القدر الى ولىّ الامر تفسير الامور سنة سنة يؤمر فيها فى امر نفسه بكذا وكذا ، وفى امر النّاس بكذا وكذا ، وانّه ليحدث لولىّ الامر سوى ذلك كلّ يوم علم الله الخاصّ والمكنون العجيب المخزون مثل ما ينزل فى تلك اللّيلة من الامر ثمّ قرأ : ولو انّ ما فى الارض من شجرةٍ اقلام (الآية)؛ والغرض من نقل هذا الخبر بيان قوله (ع) فمن حكم بما ليس فيه اختلاف (الى قوله) فقد حكم بحكم الطّاغوت لانّه يظنّ فى بادى الامر انّ فى حكم الائمّة ايضاً اختلافاً، لانّه ما من مسألةٍ الّا وفيها اخبار متخالفةٌ اومتضادّةٌ اومتناقضةٌ صادرةٌ عنهم؛ وقد ذكر صاحب التّهذيب رحمه الله فى اوّل التّهذيب: « ذاكرنى بعض الاصدقاء ايّده الله ممّن اوجب حقّه باحاديث اصحابنا ايّدهم الله ورحم السّلف منهم وما وقع فيها من الاختلاف والتّباين و المنافاة والتّضادّ حتّى لايكاد يتّفق خبرٌ الّا وبازائه ما يضادّه ولا يسلم حديثٌ الّا وفى مقابلته ما ينا فيه حتّى جعل مخالفونا ذلك من أعظم الطّعون على مذهبنا ، وتطرّقوا بذلك الى ابطال معتقدنا ، وذكروا انّه لم يزل شيوخكم السّلف والخلف يطعنون على مخالفيهم بالاختلاف الّذى يدينون الله به و يشنّعون عليهم بافتراق كلمتهم فى الفروع ويذكرون انّ هذا ممّا لايجوز ان يتعبّد به الحكيم ولا ان يبيح العمل به العليم وقد وجدناكم اشدّ اختلافاً من مخالفيكم واكثر تبايناً من مباينيكم ، ووجود هذا الاختلاف منكم مع اعتقادكم بطلان ذلك دليلٌ على فساد الاصل حتّى حصل على جماعةٍ ممّن ليس لهم قوّة فى العلم ولا بصيرة بوجود النّظر ومعانى الالفاظ الشّبهة ، وكثير منهم رجع عن اعتقاد الحقّ لما اشتبه عليه الوجه فى ذلك وعجز

عن حلّ الشّبهة فيه ، سمعت شيخنا اباعبدالله ايّده الله يذكر انّ اباالحسين الهادونيّ العلويّ كان يعتقد الحقّ ويدين بالامامة فرجع عنها لمّا التبس عليه الامر فى اختلاف الاحاديث وترك المذهب ودان بغيره لما لم يتبيّن له وجوه المعانى فيها ، وهذا يدلّ على انّه دخل فيه على غير بصيرة واعتقد المذهب من جهة التّقليد.»

وتحقيق ذلك انّ مراتب الرّجال متفاوتة فى الدّين فانّ للايمان عشر درجات ولكلّ درجة عشرة اجزاء ، فمنهم من يكون على جزء من اجزاء الدّرجة الاولى، ومنهم من يكون على جزئين ومنهم من يكون على الدّرجة الثّانية بأجزائها وهكذا ولو ذهب تحمل صاحب الدّرجة الاولى على الدّرجة الثّانية اهلكته كما اشير اليه فى الاخبار ، وصاحب كلّ درجة له حكمٌ غير حكم صاحبه كما حقّقنا ذلك فى سورة البقرة عند تحقيق النّسخ فى قوله تعالى : مانَنسخ من آيةٍ (الآية) فمن لم يكن له بصيرة بمراتب الرّجال و باختلاف احوالهم لايحكم بحكمٍ الّا و يتطرّق اليه الاختلاف بحسب اعتقاده، فانّه كما يظنّ انّ هذا حكم هذا الرّجل يجوّز ان يكون حكمه غير هذا ، وهذا معنى قوله (ع) من حكم بامرٍ فيه اختلاف يعنى بحسب اعتقاده فرأى انّه مصيبٌ فقد حكم بحكم الطّاغوت لانّ حكم هذا الحاكم ليس الّا من رأيه المنسوب الى انانيّته لا من حكم الله ، و من كان بصيراً بمراتب الرّجال و بصيراً بالاحكام و بكيفيّة تعلّقها بالرّجال بحسب مراتب ايمانهم لايحكم الّا عن اراءة الله كيفيّة تعلّق الاحكام بالرّجال ولايحكم عن قياسٍ ورأيٍ ولايكون فى حكمه هذا الاختلاف بمعنى انّه لايجوّز ان يكون حكمٌ مخالفٌ لهذا الحكم يخلفه لانّه حكم عن رؤيةٍ لاعن رأيٍ وقياسٍ ، ولمّا كان مراتبُ الرّجال و درجاتها فى الايمان غير متناهية فالاحكام ايضاً تكون غير متناهية ، و ربّما يكون لشخص واحد بحسب توارد احوال مختلفةٍ عليه احكام متخالفة متواردة عليه ، ووجه اختلاف الاخبار فى الاحكام ليس محض التّقيّة ولا محض اختلاط الاكاذيب والاغلاط بها بل كان عمدة وجه اختلاف الاخبار اختلاف احوال الرّجال ، ولو لا اختلاف الاخبار فى المسألة الواحدة بالنّسبة الى اشخاصٍ عديدةٍ كان ينبغى ان يترك المذهب لا انّ اختلافها كذلك ينبغى ان يصير سبباً للخروج من المذهب كما قاله الشّيخ رحمه الله فى التّهذيب [اَمْرًا مِنْ عِنْدِنا] تفخيم لذلك الامر الحكيم و هو تميز عن نسبة الحكيم الى ضمير الامر ، او حال ممّا يجوز ان يكون حالاً منه ، او منصوبٌ بفعلٍ محذوف تقديره اعنى امراً من عندنا ، او مفعولٌ له ليفرق اى لكونه مأموراً من عندنا ، او مفعول مطلق لفعله المحذوف [اِنّا كُنّا مُرْسِلينَ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ] بدل من انّا كنّا منذرين او تعليل لقوله تعالى : فيها يفرق كلّ امرٍ حكيمٍ يعنى فيها يفرق كلّ امر حكيمٍ لانّ من عادتنا ارسال الرّحمة ، او من عادتنا ارسال الرّسل و لازم ارسال الرّسل تفريق الامر الحكيم فى ليلة القدر و رحمة مفعول به او مفعول له ، و وضع من ربّك فى موضع الضّمير للاشعار بانّ ربوبيّته تقتضى ذلك [اِنَّهُ هُوَ السَّميعُ] لا سميع سواه فيسمع اقوال العباد بألسنتهم القاليّة و الحاليّة و الاستعداديّة [الْعَليمُ] لا عليم سواه فيعلم ما يسألونه بألسنتهم القاليّة و الحاليّة ومقتضى ربوبيّته وسماعه وعلمه بما يصلح السّائل وما يفسده ان يرسل رسولاً وينزّل احكاماً بحسب مسؤل العباد [رَبِّ السَّماواتِ وَالْاَرْضِ] قرئ بالرّفع خبراً بعد خبرٍ اوخبراً لمحذوفٍ ، اومبتدء خبره لا آله الّا هو اويحيى و يميت اوربّكم وربّ آبائكم الاوّلين [وَما بَيْنَهُما اِنْ كُنْتُمْ مُوقِنينَ] علمتم ذلك [لااِلهَ اِلّا هُوَ يُحْيى وَيُميتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ اٰبائِكُمُ الْاَوَّلينَ] و لكن ليس لهم يقين [بَلْ هُمْ في شَكٍّ يَلْعَبُونَ] بالدّين و يجعلونه آلة اشتغال خيالهم و اطمينانه [فَارْتَقِبْ] اى فانتظر مراقباً لهم [يَوْمَ تَأْتِى السَّماءُ بِدُخانٍ مُبينٍ يَغْشَى النّاسَ] يحيط الدّخان اواليوم بسبب الدّخان بالنّاس [هٰذا عَذابٌ اَليمٌ] جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل : ما هذا الدّخان ؟ ـ فقال : هذا عذابٌ

اليم" اوحال" بتقدير القول من الله ، اومن الملائكة ، اومن النّاس .

اعلم، انّ وقت الاحتضار يُرى دخان من الباطن بين السّماء والارض و لذلك ورد انّ الدّخان من اشراط السّاعة فانّه روى انّ اوّل آيات السّاعة الدّخان و نزول عيسى(ع) و نار تخرج من قعرعدن ابين[1] تسوق النّاس الى المحشر ، قيل: وما الدّخان ؟ فتلا رسول الله(ص) هذه الآية وقال : يملأ ما بين المشرق و المغرب يمكث اربعين يوماً وليلة، امّا المؤمن فيصيبه كهيئة الزّكام وامّا الكافر فهو كالسّكران يخرج من منخريه واذنيه، وقيل: انّ رسول الله(ص) دعا على قومه لمّا كذّبوه فاجدبت الارض والمراد بيوم تأتى السّماء بدخان مبين ذلك القحط فانّ الجائع يرى بينه و بين السّماء كهيئة الدّخان من ضعف بصره ، اولانّ الهواء يظلم عام القحط لقلّة الامطار وكثرة الغبار ، اولانّ العرب يسمّى الشّرّ الغالب دخاناً وكان قحطهم بحيث اكلوا جيف الكلاب و عظامها [رَبَّنَا اكْشِفْ] حال او جواب" لسؤال مقدّر بتقدير القول [عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ] بك او برسولك او بخليفته او باليوم الآخر [أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى] جوابُ سؤال مقدّر ، اوحال" بتقدير القول [وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ] ظاهر الصّدق اومظهر" لصدقه [ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ] يعلّمه ما يقول غلام" اعجميٌّ لبعض ثقيف [مَجْنُونٌ] يعنى لم يكن براهين صدق الرّسول(ص) باقلّ من معاينتهم فكما تولّوا عنه مع براهينه يتولّون بعدذلك ايضاً مع معاينتهم يعنى انّ بعضهم قالوا: هو معلّم ، و بعضهم قالوا : هومجنون" بعد ما رأوا منه شبه الغشى حين نزول الوحى [إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ] جواب" لسؤالهم [قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ] الى الانكار ان كان المراد عذاب القحط وقد رفع القحط وعادوا الى الانكار كما قيل ، اوالمعنى انّا كاشفوا عذاب الموت وعذاب الدّخان قليلاً لانّكم عائدون الينا ان كان المراد عذاب الاحتضار [يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى] اى يوم القيامة او يوم بدر [إِنَّا مُنْتَقِمُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا] وابتلينا [قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ] بانواع العذاب التّسعة [وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ] اى كريم الاخلاق و الافعال ، اوكريم الاصل والآباء ، لانّه كان من اولاد الانبياء(ع) ، اوكريم عندالله [أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ] اى جاءهم بهذه الرّسالة الّتى هى قوله : أدّوا الىّ بنى اسرائيل على ان يكون عباد الله مفعولاً به ، او أدّوا الىّ اماناتكم الّتى هى وديعة من الله عندكم من الاستعدادات المودعة فيكم للترقّى الى الله و يكون عباد الله حينئذ منادى [إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ] بالاستعلاء على خليفته [إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ] لصدقى وهو يده وعصاه، فلمّا قال ذلك توعّدوه بالقتل والرّجم كما قيل ، فقال [وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ] بالحجارة ، وقيل: بالشّتم [وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي] ولم تصدّقونى فلاتؤذونى فانّ ايذائى موجب" لعذاب اليم لكم لامدفع عنه قال ذلك رحمةً عليهم [فَاعْتَزِلُونِ فَدَعَا رَبَّهُ] بعد ما بالغ غاية جهده فى نصحهم ومضى على ذلك سنون وابتلوا مراراً وكانوا كلّما ابتلوا وعدوه بارسال بنى اسرائيل و ترك استعبادهم و بالايمان به ، وكلّما نجوا من العذاب نقضوا عهدهم ، فلمّا رأى انّه لاينفع فيهم النّصح ولا الابتلاء دعا ربّه [أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ] تعريض بعذابهم وهلاكهم ولذلك قال: دعا ربّه [فَأَسْرِ] يعنى فأجبناه الى مسؤله واردنا اهلاكهم فقلنا له أسر [بِعِبَادِي] يعنى بنى اسرائيل [لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ] يتّبعكم القبطيّون [وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا] اى ساكناً على هيئته الّتى عبرته ولا تضرب به بعصاك حتّى ينطبق

---

(١)ـ الابين بسكون الموحدة وفتح الياء المثناة من تحت = رجل ينسب اليه عدن .

على الطّرق الّتي عبرتها اوانركه منفتحاً وسيعاً حتّى يطمع فرعون وقومه للدّخول ، وقيل : لمّا قطع موسى البحر عطف ليضرب البحر بعصاه ليلتئم وخاف ان يتّبعه فرعون وجنوده فقيل له : وَ اتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْواً اى كما هو طريقاً يابساً ، والرّهو السّير السّهل والمكان المرتفع والمنخفض [اِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ] جوابٌ لسؤال مقدّرٍ عن علّة الحكم او عن حالهم [كَمْ تَرَكُوا] جوابٌ لسؤالٍ آخر كأنّه قيل: فما فعل بهم؟ـ وما صار حالهم؟ـ فقال : كم تركوا [مِنْ جَنّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقامٍ كَرِيمٍ وَنَعْمَةٍ كانُوا فِيها فاكِهِينَ] اى متمازحين آتين بظرافة الكلام او متلذّذين [كَذٰلِكَ] كانوا او الامر كذلك او حالكونهم ثابتين كذلك [وَ اَوْرَثْناها قَوْماً آخَرِينَ] هم بنو اسرائيل [فَما بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّماءُ وَالْاَرْضُ] تمثيل لعدم الاعتناء بهلاكهم فانّه مثل فى العرب والعجم لابتلاء قومٍ ببليّة ولم يكن اعتناء بهم و ببلائهم ، عن اميرالمؤمنين (ع) انّه مرّ عليه رجل عدوٌّ لله و لرسوله فقال: فما بكت عليهم السّماء والارض و ما كانو منظرين ثمّ مرّ عليه الحسين (ع) ابنه فقال : لكن هذا لتبكينّ عليه السّماء والارض ، قال : وما بكت السّماء و الارض الّا على يحيى بن زكريّا (ع) وعلى الحسين (ع) بن علىّ ، وفى خبر فما بكاؤها ؟ ـ قال : كانت تطلع حمراء وتغيب حمراء ، وفى خبرٍ: بكت السّماء على الحسين (ع) اربعين يوماً بالدّم [وَما كانُوا مُنْظَرِينَ وَلَقَدْ نَجَّيْنا بَنِي اِسْرائِيلَ مِنَ الْعَذابِ الْمُهِينَ] هو استعبادهم وامر القبطىّ لهم بحمل الطّين على السّلاليم مع انّهم كانوا فى القيود وقتل ابنائهم و استحياء نسائهم [مِنْ فِرْعَوْنَ] بدل نحو بدل الاشتمال [اِنَّهُ كانَ عالِياً] مسلّطاً على ارض مصر [مِنَ الْمُسْرِفِينَ وَلَقَدِ اخْتَرْناهُمْ عَلىٰ عِلْمٍ] حال عن الفاعل او المفعول [عَلَى الْعالَمِينَ] على عالمى زمانهم [وَ آتَيْناهُمْ مِنَ الْآياتِ] كفلق البحر و تظليل الغمام و ايتاء المنّ والسّلوى [ما فِيهِ بَلاءٌ] اى نعمة او اختبار [مُبِينٌ] او المعنى آتينا فرعون وقومه من الآيات الدّالّة على صدق موسى (ع) فى رسالته وصدقه فى ايتاء العذاب اوآتينا القبطيّين والسّبطيّين من الآيات ما فيه اختبار ونعمة ظاهرة [اِنَّ هٰؤُلاءِ] قريشٌ بعد ذكر قصّة قوم فرعون لتهديد قريش ذكر حال قريش بنحو كونها جواباً لسؤالٍ مقدّرٍ [لَيَقُولُونَ اِنْ هِيَ اِلّا مَوْتَتُنَا الْاُولىٰ] اى ان الموتة ، او ان الفتنة ، او ان العاقبة و نهاية الامر الّا موتتنا الاولى انكاراً للمعاد [وَما نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ] معادين مبعوثين [فَأْتُوا بِآبائِنا] الميّتين بالموتة الاولى [اِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ] فى وعد الاعادة والثّواب والعقاب، جعلوا الاعادة والبعث فى الآخرة والانتهاء عن الدّنيا فى الدّنيا، فقاسوا قياساً سقيماً ولم يدروا انّ من صار بالفعل لايمكن ان يصير بالقوّة، والاعادة فى الدّنيا لاتكون الّا بجعل ما بالفعل بالقوّة، و امّا الرّجعة الى الدّنيا الّتى ذكرت فى الاخبار بنحو الاجمال وقال بها الفقهاء رضوان الله عليهم واحياء الاموات الّذى نسب الى الاكابر فهى ليست بجعل ما بالفعل بالقوّة وانّما هى توسعة من الكامل فى وجود الميّت [اَهُمْ خَيْرٌ اَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ] تبّع اسم لملك اليمن ولايسمّى بهذا الاسم الّا من كان حميريّاً والتّبابعة جمعه وسمّى تبّعاً لكثرة اتباعه او لاتّباعه سائر ملوك اليمن ، وتبّع هذا هوالّذى سار بالجيوش وأتى سمرقند فهدمها ثمّ بناها ، وقيل : بناها اوّلاً وكان اذا كتب كتب باسم الّذى ملك برّاً و بحراً وضحاً و ريحاً، وعن النّبىّ (ص) :لاتسبّوا تبّعاً فانّه كان قد اسلم ولذلك ذمّ قومه ولم يذمّه ، وقيل: قال للاوس والخزرج : كونوا ههنا حتّى يخرج هذا النّبىّ (ص) امّا أنا لو ادركته لخدمته وخرجت معه [وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ] كقوم نوحٍ وعادٍ وثمود يعنى انّهم كانوا احسن احوالاً بحسب الدّنيا منهم،كانوا

اقوى قوّةً واكثر اموالاً و اولاداً و اطول اعماراً و معذلك [اَهْلَكْناهُمْ] بكفرهم وهؤلاء اخسّ احوالاً منهم واشدّ كفراً فكيف نفعل بهم؟! [اِنَّهُمْ كانُوا مُجْرِمينَ وَما خَلَقْنَا السَّمٰواتِ وَالْاَرْضَ وَما بَيْنَهُما لاعِبينَ] حتّى نكون نلعب بخلقهم ولانتعرّض بهم و ثوابهم و عقابهم [ما خَلَقْناهُما] و ما بينهما [اِلّا بِالْحَقِّ] الّذى هو الولاية المطلقة الّتى بها حقّيّة كلّ ذى حقّ فاذا كان خلقهما وخلق نتائجهما بالحقّ فلاتكون تؤل الى باطل اوتصير باطلةً [وَلٰكِنَّ اَكْثَرَهُمْ لايَعْلَمُونَ] ليس لهم علم اصلاً بل كان مالهم من صورة العلم جهلاً مشابهاً للعلم ولذلك تراهم اعداءً لاهل العلم او لايعلمون ان ذلك كذلك [اِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ] اى يوم القيامة [ميقاتُهُمْ اَجْمَعينَ] فنفصل هناك بين المحقّ والمبطل و العالم والجاهل المشابه للعالم [يَوْمَ لا يُغْني مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئًا] اى شيئاً من الاغناء او شيئاً من عذاب الله [وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ] اى لاينصرهم بعد ابتلائهم مواليهم ولاغير الموالى [اِلّا مَنْ رَحِمَ اللّٰهُ] استثناء من مولى الاوّل اوالثّانى اومن مرفوع ينصرون ، ومن رحمه الله منحصر بمن قبل الولاية بالبيعة الخاصّة ، اومن قبل الولاية حال حضور علىّ (ع) وقت الاحتضار [اِنَّهُ هُوَ الْعَزيزُ] تعليل لعدم اغناء الموالى وعدم النّصرة [الرَّحيمُ] تعليل لشفاعة من رحمه الله ، عن الصّادق (ع) : والله ما استثنى الله عزّ ذكره باحد من اوصياء الانبياء(ع) ولا اتباعهم ما خلا اميرالمؤمنين (ع) وشيعته فقال فى كتابه وقوله الحقّ : يوم لا يغنى مولى عن مولى شيئاً ولاهم ينصرون الّا من رحم الله يعنى بذلك عليّاً (ع) وشيعته [اِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعامُ الْاَثيمِ] قد مرّ بيان شجرة الزّقّوم فى سورة الصّافّات [كَالْمُهْلِ] المهل اسم لجميع معدنيّات الجواهر كالفضّة و الحديد و نحوهما ، والقطران الرّقيق وماذاب من صفر اوحديد ، والزّيت اودرديّه او رقيقه ، والسّمّ والقيح وصديد الميّت ، [يَغْلي فِي الْبُطُونِ كَغَلْيِ الْحَميمِ] الماء الحارّ المنتهى فى الحرارة [خُذُوهُ] جوابٌ لسؤال مقدّرٍ ، اوحالٌ بتقدير القول اى يقال للزّبانية خذوه [فَاعْتِلُوهُ] عتله جرّه عنيفاً [اِلىٰ سَواءِ الْجَحيمِ] اى وسطها [ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذابِ الْحَميمِ] اى من الماء الحارّ غاية الحرارة و اضافة العذاب للاشارة الى انّ المنظور من صبّ ذلك الماء عذابه به قائلين [ذُقْ اِنَّكَ اَنْتَ الْعَزيزُ الْكَريمُ] يعنى يقال ذلك له استهزاءً ، روى انّ اباجهلٍ قال لرسول الله (ص) : ما بين جبليها اعزّ ولا اكرم منّى ، فيعيّر بذلك فى النّار [اِنَّ هٰذا ما كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ] تشكّون او تجادلون [اِنَّ الْمُتَّقينَ في مَقامٍ اَمينٍ] صاحبه من الشّرور والآفات [في جَنّاتٍ وَعُيُونٍ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَاِسْتَبْرَقٍ] السّندس الرّقيق من الحرير ، والاستبرق الغليظ منه [مُتَقابِلينَ] فانّ التّقابل اشرف انواع المجالسة [كَذٰلِكَ] قد مضى هذا اللّفظ قبيل هذا [وَزَوَّجْناهُمْ بِحُورٍ عينٍ] الحوراء مؤنّث احور الابيض ، والعيناء مؤنّث اعين عظيم العينين [يَدْعُونَ فيها بِكُلِّ فاكِهَةٍ] يدعون كلّ انواع الفاكهة فى كلّ زمانٍ لااختصاص بشيءٍ منها بزمانٍ دون زمان ولا مكانٍ دون مكانٍ [آمِنينَ] من الآفات والشّرور [لا يَذُوقُونَ فيهَا الْمَوْتَ اِلَّا الْمَوْتَةَ الْاُولىٰ وَوَقيهُمْ عَذابَ الْجَحيمِ فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ ذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظيمُ] للخلاص من المكاره والفوز بما ليس فيه شوب تعبٍ ولاخوف زوالٍ [فَاِنَّما يَسَّرْناهُ] اى القرآن اوما ذكر من الجنان و نعيمها او فضل

ولاية عليّ (ع) وقرأناها [بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ فَارْتَقِبْ] فانتظر ماوعدناهم من العذاب [إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ] لحلول النّقمة بك اوانّهم مثل من يرتقب امراً يرتقبون ما تذكر لهم من العذاب .

سُورَةُ الجَاثِيَةِ

مكّيّة كلّها ، وقيل : الّا آية : قل للّذين آمَنُوا يغفروا ، سبع وثلاثون آيةً

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

[حٰمٓ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ إِنَّ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ] قد مضى مكرّراً ان فى خلقة كلٍّ من السّماوات والارض آياتٍ عديدة من كواكب السّماء وكيفيّة حركاتها المتناسقة ومزاجها وتأثيراتها الغريبة ، ومن كون الارض بسيطة ساكنة لايغمر فيها الرّجل ، وليست بصلبة حتّى لايمكن التّصرّف فيها بالزّراعات والعمارات و اجراء القنوات وغير ذلك ، وفى ازدواج السّماوات والارض وتأثير السّماوات ومافيها فى الارض وتأثّر الارض وما فيها منها ايضاً آياتٍ ، وفى خلقة كلّ من مواليد الارض بحيث يطلب كمال نوعه و يفرّ ممّا يضرّ بذاته وكماله و بحيث يتهيّؤ له و يجتمع فيه اسباب تحصيل كماله المفقود و حفظ كماله الموجود آياتٍ عديدة لكن كلّ ذلك آيات للمؤمنين البائعين البيعة العامّة اوالخاصّة ، اوللمذعنين المنقادين الّذين القوا السّمع لاللغافلين المعرضين [وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ] اى من ذى روحٍ يكون له حركة [آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ] غيّر الاسلوب اشعاراً بانّ من حصل له اليقين لايكون يقينه الّا فى ازدياد وحصولٍ على التّدريج فانّ صاحب اليقين هو الّذى يكون له قلبٌ وليس الّا من بايع البيعة الخاصّة واشتغل بنفسه ووجد بوجدانه آثار عمله ، ومن صار كذلك يزداد يقينه العلميّ والوجدانيّ الى ان حصل له اليقين الشّهوديّ واليقين التّحقّقيّ ، و لمّا كان آيات خلق الانسان وخلق سائر الدّوابّ بالنّسبة الى آيات السّماوات والارض اخفى منها لابدّ وان يكون للمؤمن يقينٌ بآثار ايمانه حتّى يدرك آيات خلقة الانسان خصوصاً آيات الانفس، فانّ ادراكها لايكون الّا بعد الاشتغال بالنّفس ووجدان صفات النّفس رذائلها وخصائلها واليقين بآثار الاعمال وضرر الرّذائل ونفع الخصائل ، والّا بعد اليقين بآثار صفات الله تعالى و وجدانها فى وجوده [وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ] اى اختلاف اللّيل والنّهار الطّبيعيّين بتعاقبهما، و بالبرودة والحرارة و بالزّيادة و النّقيصة و بالظّلمة والاضاءة ، وكذلك اختلاف عالم الطّبع وعالم المثال والسّقم والصّحّة والغمّ والسّرور وغير ذلك من مصاديق اللّيل والنّهار [وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ] من اسباب رزق من الامطار واشعّة الكواكب و برودة الهواء و برودة اللّيل وحرارة النّهار او من رزقٍ انسانيٍّ من الكمالات النّفسانيّة الّتى تنزل من سماء العقول والنّفوس، وأتى بالرّزق منكّراً تحقيراً بالنّسبة الى الرّزق الجسمانيّ وتفخيماً بالنّسبة الى الرّزق الانسانيّ [فَأَحْيَا بِهِ] اى باسباب الرّزق الجسمانيّ او بنفس الرّزق الانسانيّ [الْأَرْضَ] الطّبيعيّة بتهييج القوى والعروق المكمونة فيها والارض الانسانيّة بحيوة العلم والدّين والايمان [بَعْدَ مَوْتِهَا] بعد كونها ميتةً [وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ] وفى تصريفها بقاء المواليد وحركات السّحاب و توسعة الامطار فى البلاد و رفع العفونات عن الهواء [آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ]

يدركون بعقولهم بعداليقين او يصيرون عقلاء وصاحبى مقام العقل بعد ان كانوا موقنين وصاحبى مقام القلب ، ولخفاء دلالتها على مبدء مدبّر حكيم عليم رؤف رحيم خصّصها بالعقلاء [تِلْكَ] المذكورات [آياتُ اللهِ] الدّالّة عليه او النّاشئة منه [نَتْلُوها عَلَيْكَ بِالْحَقِّ] متلبّسين اومتلبّسات بالحقّ الّذى هوالولاية المطلقة [فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللهِ] بعد انكاره [وَآياتِهِ يُؤْمِنُونَ وَيْلٌ لِكُلِّ أَفّاكٍ] كذّاب [أَثِيمٍ] بالغ فى الاثم [يَسْمَعُ آياتِ اللهِ تُتْلى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ] على كفره اوعلى جحوده لولاية علىّ (ع) [مُسْتَكْبِراً كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْها فَبَشِّرْهُ بِعَذابٍ أَلِيمٍ وَإِذا عَلِمَ مِنْ آياتِنا شَيْئاً] اى اذا رأى من آياتنا العظمى الّذين هم مظاهر الولاية [اتَّخَذَها هُزُواً] اى الآيات او الشّيء المرئىّ ، والتّأنيث باعتبار المعنى [أُولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ مِنْ وَرائِهِمْ جَهَنَّمُ] اى من وراء عذابهم المهين جهنّم، اوهو بيانٌ للعذاب المهين [وَلا يُغْنِي عَنْهُمْ ما كَسَبُوا] من الاموال و الاولاد ، اومن الاعمال الّتى فعلوها فى الاسلام ، فانّ شرط قبولها و اغنائها عن عذاب الله عدم ردّ الولاية ان كان موتهم فى زمن الرّسول (ص)، وقبول الولاية ان كان بعد زمن الرّسول (ص) [شَيْئاً] من عذاب الله [وَلا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ] نفسه او من دون مظاهرالله و خلفائه [أَوْلِياءَ] فى العبادة كالاصنام والكواكب ، واولياء فى الطّاعة مثل رؤساء الضّلالة [وَلَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ] تأكيد على التّأكيد [هذا] اى المذكورمن الآيات اوالقرآن اوقرآن ولاية علىٍّ (ع)، اوهذا الامرمن ولاية علىّ (ع) اوالاسلام وقبوله واحكامه [هُدىً] الى الايمان [وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ رَبِّهِمْ] التّكوينيّة الآفاقيّة والانفسيّة وخصوصاً الآيات العظمى الّذين هم خلفاءالله فى الارض والتّدوينيّة [لَهُمْ عَذابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ] الرّجز اشدّ العذاب [اللهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ] كلام منقطع عن سابقه وتعداد لنعمه على خلقه مشيراً الى كونها آيات قدرته كما انّ ما سبق كان تعداداً لآيات قدرته مشيراً الى كونها من نعمه [لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ] بجريان الفلك والتّجارات الرّابحة [وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ] نعمة تسخير البحر و جريان الفلك والارباح [وَسَخَّرَ لَكُمْ] اى لانتفاعكم او جعل مسخّراً لكم [ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً] فانّ السّماوات و السّماويّات مسخّراتٌ لله لانتفاع جميع الكائنات و مسخّراتٌ لبعض النّفوس الانسانيّة ، و الارض والارضيّات مسخّراتٌ لله لانتفاع الانسان ، و بعض الارضيّات مسخّراتٌ للانسان ايضاً [مِنْهُ] قرئ منه بلفظ من الجارّة و الضّمير والمعنى سخّر من قبله لامن قبلكم و من قبل اسبابكم الطّبيعيّة او المعنى ذلك رحمة منه ، و قرئ منّة بتشديد النّون والتّاء بالرّفع والنّصب [إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ] باستعمال المبادئ المشهودة و المعقولة واخذ النّتائج منها سواء كان المستعمل مؤمناً او موقناً او عاقلاً [قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا] قد سبق مكرّراً انّه تعالى للاشارة الى انّ توجّه محمّدٍ (ص) مؤثّر فيهم بحيث يجعلهم على اوصاف الرّوحانيّين لم يأت بمقول قوله و يقتصر على لفظ قل فى جزم المضارع الآتى بعده كأنّه قال: قل ماشئت وتوجّه اليهم ان تقل لهم قولاً يغفروا بدون امرك لهم بالمغفرة [لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أَيّامَ اللهِ] قد مرّ بيان ايّام الله فى سورة ابراهيم عند قوله تعالى: وذكّرهم بايّام الله والمراد من الّذين لا يرجون ايّام الله الّذين اشتغلوا عن دينهم بدنياهم ولايترقّبون من دينهم الّا اصلاح دنياهم ، والّذين لم يعتقدوا مبدءً اولم يعتقدوا معاداً فانّ ايّام الله عبارة عن مقامات الآخرة و درجاتها ،

ومن رجا درجات الآخرة ومقاماتها يكون ناظراً اليها متوجّهاً في اعماله واحواله الى جهتها ، ومن لم يعتقدها اولم يكن عمله لهالم يكن راجياً لها، والمقصود تأديب المؤمنين الّذين بايعوا البيعة الخاصّة بان لاينظروا الى ظاهر افعالهم واحوالهم فيتركوا معاشرتهم ونصحهم ودلالتهم على خيرهم فانّهم كانوا كذلك فمنّ الله عليهم بالايمان و رجاء ايّام الله ، وشكر هذه النّعمة ان يرحموا عباد الله و يظهروا ما انعم الله به عليهم و يدلّوا غيرهم عليها فانّ الله اذا انعم على عبدٍ احبّ ان يراها عليه ، ومن لم يظهرها كان كافراً لتلك النّعمة ، عن الصّادق (ع) انّه قال : قل للّذين منّنا عليهم بمعرفتنا ان يعرفوا الّذين لايعلمون فاذا عرفوهم فقد غفروا لهم [لِيَجْزِيَ قَوْمًا] قرئ بالغيبة والبناء للفاعل ، والفاعل هو الله و بالبناء للمفعول وضمير المصدر يكون نائباً عن الفاعل، وقرئ بالنّون [بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ] قيل : يقول الله تعالى لائمّة الحقّ : لاتدعوا على ائمّة الجور حتّى يكون الله هو الّذى يعاقبهم [مَنْ عَمِلَ صَالِحًا] جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ في مقام التّعليل لغفرانهم [فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا] فلاحاجة للمسيء الى عقوبة اخرى منكم .

اعلم،انّ انسانيّة الانسان تقتضي الاحسان والعمل الصّالح، فاذا احسن الانسان كان الاحسان ملائماً له من حيث انسانيّته والواصل الى ملائمته ملتذّ بها ومتنقم بها ، فلو لم يكن له اجر آخر كان الوصول الى ملائماته كافياً له اجراً و ثواباً والحال انّ الاحسان يتجسّم له في الآخرة بأحسن صورة و يستتبع صورةً اخرى مناسبةً له فالمحسن يتنعّم باحسانه ثلاث مرّات ، و اذا اساء الانسان كان الاساءة منافيةً لانسانيّته و غير الملائم موذٍ للانسان و ان كان تلك الاساءة ملائمة لقوّةٍ اخرى بهيميّة اوسبعيّةٍ اوشيطانيّةٍ فلو لم يكن للمسيء عقوبة اخرى كان الاساءة كافيةً له عقوبةً، والحال انّ الاساءة تتجسّم في الآخرة بصورةٍ قبيحةٍ موذيةٍ و تستتبع صورةً اخرى قبيحةً موذية في الآخرة ، فالمسيء يعاقب باساءته ثلاث مرّاتٍ ، وللاشارة الى النّفع والضّرّ الحاصلين حين الاحسان والاساءة قال: من عمل صالحاً فلنفسه و من أساء فعليها يعني حين العمل يكون نفعه و ضرّه حاصلين له ، و للاشارة الى الاجر و العقوبة الاخرويّين قال تعالى : [ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ وَلَقَدْ آتَيْنَا] عطف على قوله تنزيل الكتاب من الله اوعطف على قوله الله الّذى سخّر لكم البحر ووجه المناسبة غير مخفيّ [بَنِي إِسْرَائِيلَ] يعني بني يعقوب [الْكِتَابَ] قد مضى مكرّراً انّ الكتاب يطلق على الولاية و آثارها ، والنّبوّة واحكامها ، والرّسالة واحكامها ، والكتاب التّدوينيّ صورة الكلّ فيجوز ان يراد بالكتاب ههنا التّوراة والرّسالة والولاية والاولى ان يراد به التّوراة اوالرّسالة [وَالْحُكْمَ] ان اريد بالكتاب التّوراة فالمراد بالحكم الحكومة بين النّاس الّتي هي لازم الرّسالة فيكون كنايةً عن الرّسالة، وان اريد به الرّسالة فالمراد بالحكم الحكمة الّتي هي عبارة عن اللّطف في العلم والعمل الّذى هو من آثار الولاية [وَالنُّبُوَّةَ] بحيث قيل : انّه كان فيهم الف نبيّ (ع) [وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ] بحسب مقامهم الحيوانيّ من المأكول والمشروب والملبوس والمسكون والمركوب ، و بحسب مقامهم الانسانيّ ممّا كان يرد عليهم من الغيب من العلوم والوجدانات والمشاهدات [وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ] بواسطة ايتاء ذلك لهم والمراد بالعالمين اهل زمانهم و الّا فامّة محمّد (ص) كانوا افضل منهم [وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ] المراد بالبيّنات المعجزات او احكام الرّسالة اواحكام النّبوّة او دلائل امر الرّسالة اوالنّبوّة اوالولاية، والمراد بالامر المذكورات،اوعالم الامر، اوامر الله، و من للابتداء ، اوللتّبعيض، او للتّعليل وهذا تعريض بامّة محمّد (ص) كأنّه تعالى قال: فتنبّهوا يا امّة محمّد (ص) فانّا آتيناكم الكتاب والحكم والنّبوّة ورزقناكم من الطّيّبات وفضّلناكم على العالمين وآتيناكم بيّناتٍ من الامر فلاتختلفوا حين حياة محمّد (ص) ولا بعد مماته مثل بني اسرائيل فتستحقّوا عقوبتي مثلهم [فَمَا اخْتَلَفُوا] بالرّدّ والقبول [إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ]

الْعِلْمُ بَغْياً] ظلماً او استكباراً [بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ فِيمٰا كٰانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ] من امر الولاية والخلافة ، او من مطلق امر الدّين [ثُمَّ جَعَلْنٰاكَ] يعني بعد بني اسرائيل جعلناك [عَلىٰ شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ] اى امر الرّسالة والنّبوّة والولاية يعني انّا آتينا بني اسرائيل الرّسالة والنّبوّة والولاية وجعلناك بعدهم على جادّة الطّرق و سوائها تفضيلاً لك عليهم بجعلك على الشّريعة الّتي هي مشرع كلّ الامم وكلّ الطّرق [فَاتَّبِعْهٰا وَلٰا تَتَّبِعْ أَهْوٰاءَ الَّذِينَ لٰا يَعْلَمُونَ] في خصوص الولاية ، اوفي مطلق ما آتيناك من امر الدّين [إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللّٰهِ شَيْئاً] اى من عذابه شيئاً [وَإِنَّ الظّٰالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيٰاءُ بَعْضٍ] فلا تتّخذ منهم وليّاً حتّى تصير ظالماً ، وهذه كلّها تعريضٌ بامّته (ص) واشارة الى اختلافهم في امر الولاية [وَاللّٰهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ] عن الرّأى واتّباع النّفس، وقد سبق مكرّراً انّ المتّقي ليس الّا شيعة عليّ بن ابي طالب (ع) [هٰذٰا] المذكور من اوّل السّورة او هذا القرآن او قرآن ولاية عليّ او عليّ (ع) [بَصٰائِرُ] ما يتبصّر به لكن لمّا لم يكن بدون الولاية يحصل بصيرة لاحد كان المراد به الولاية [لِلنّٰاسِ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئٰاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ] في المنزلة والمقام [كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ] المراد بالايمان ههنا البيعة الخاصّة، اوالحال الحاصلة بالبيعة الخاصّة اوالبيعة العامّة اوالحال الحاصلة بالبيعة العامّة ،وعلى هذا يكون المراد بالعمل الصّالح البيعة الخاصّة [سَوٰاءً مَحْيٰاهُمْ وَمَمٰاتُهُمْ] الضّميران لمجترحي السّيّئات يعني حال كونهم لا ننظر اليهم والى اعمالهم ومجازاتها او للفريقين والمعنى واضح [سٰاءَ مٰا يَحْكُمُونَ وَخَلَقَ اللّٰهُ] جملة حاليّة يعني والحال انّ الله خلق [السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ] ولازم خلقتهما بالحقّ ان لايكون شيءٌ فيهما لغواً [وَلِتُجْزىٰ] اى خلق لتجزى [كُلُّ نَفْسٍ بِمٰا كَسَبَتْ] بنفس ما كسبت او بجزاء ما كسبت [وَهُمْ لٰا يُظْلَمُونَ] في ذلك لانّ الجزاء نتيجة اعمالهم فاذا كان الامر في هذا المنوال فكيف يهملهم ولايحييهم في الآخرة [أَفَرَأَيْتَ] استفهام في معنى الامر و يستفاد منه التّعجيب ايضاً والمعنى فانظر [مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوٰاهُ] قد مرّ في سورة الفرقان بيان هذه الآية عند قوله ارأيت من اتّخذ الٰهه هواه والخطاب عامّ او خاصّ بمحمّد (ص) ،قيل: نزلت في قريش كلّما هووا شيئاً عبدوه والحقّ انّ الآية جارية في من غصبوا حقّ عليّ (ع) بعد محمّد (ص) واتّخذوا اماماً بأهوائهم [وَأَضَلَّهُ اللّٰهُ عَلىٰ عِلْمٍ] اى حال كون الله على علم باستعداده و استحقاقه للضّلال ، اوحال كون الضّالّ على علم برشده وهداه ، اوحال كونه كان على نور العلم فأضلّه الله بعد كونه على نور العلم كمن آتاه آياته فانسلخ منها فصار من الغاوين [وَخَتَمَ] الله [عَلىٰ سَمْعِهِ وَ قَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلىٰ بَصَرِهِ غِشٰاوَةً] قد مرّ في اوّل البقرة بيان الختم على السّمع والقلب وغشاوة البصر [فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللّٰهِ] اى من بعد اضلاله وعدم هدايته [أَفَلٰا تَذَكَّرُونَ] ان ليس الجاهل كالعالم ولا الفاسق كالمؤمن و ان لاهادي بعد الله و اضلاله [وَقٰالُوا مٰا هِيَ] اى ما الحيوة [إِلّٰا حَيٰوتُنَا الدُّنْيٰا نَمُوتُ وَنَحْيٰى] اى يموت بعضنا و يحيى بعض آخر ، او المعنى على التّقديم والتّأخير اى نحيي ونموت [وَمٰا يُهْلِكُنٰا إِلَّا الدَّهْرُ] الدّهريّون والطّبيعيّون يقولون : انّ مرور الزّمان يفنينا و يفني كلّ كائن بتفاوت الانواع والاشخاص ان لم يقطعه عن بقائه الطّبيعيّ قاطع [وَمٰا لَهُمْ بِذٰلِكَ

مِنْ عِلْمٍ] يعنى انّ قولهم هذا باطل اصلاً وهم ملومون عليه لبطلانه، وهم ملومون ايضاً على التّفوّه بماليس لهم به علم [اِنْ هُمْ اِلّا يَظُنُّونَ] والقول بالظّنّ والشّكّ قبيح وصاحبه ملوم ، فالويل ثمّ الويل لمن قال بالظّنّ والقياس من غير اذن واجازة من الله !. ثمّ قال: هذا من عند الله وهو حكم الله فى حقّى وحقّ مقلّدى ! وقد سبق منّا مكرّراً انّ الاذن والاجازة الصّحيحة يجعل الظّنّ قائماً مقام العلم بل يجعله اشرف من العلم كما شوهد من اجازات القلندريّة وتأثير المنطريّات مغلوطة بعد الاجازة ، وعدم تأثيرها صحيحة بدون الاجازة ، قيل: انّ هذا ظنّ شكّ ونزلت هذه الآية فى الدّهريّة وجرت فى الّذين فعلوا ما فعلوا بعد رسول الله (ص) بأمير المؤمنين (ع) واهل بيته وانّما كان ايمانهم اقراراً بلا تصديق خوفاً من السّيف و رغبة فى المال ، وعن النّبىّ (ص) انّه قال: لاتسبّوا الدّهر فانّ الله هو الدّهر، يعنى انّ الله هو الدّهر الّذى ينسبون الحوادث اليه و يسبّونه لاحداث الحوادث الغير الملائمة [وَاِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا بَيِّناتٍ] واضحات الدّلالات او موضحات لصدق الآتى بها او موضحات لحالهم الّتى هم عليها [ما كانَ حُجَّتَهُمْ] فى المعارضة مع الرّسول وفى انكار تلك الآيات [اِلّا اَنْ قالُوا ائْتُوا بِآبائِنا اِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ] يعنى علّقوا علامة صدقهم على الاتيان بالمحال بحسب العادة [قُلِ اللهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ اِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ] يعنى قل الاتيان بآبائكم فعل الله كما انّ اماتتهم كان فعله ، ويفعل هذا الفعل ويأتى بآبائكم فى يوم القيامة [لارَيْبَ فِيهِ] قد مضى فى اوّل البقرة معنى عدم الرّيب فى الكتاب و فى القيامة [وَلكِنَّ اَكْثَرَ النّاسِ لايَعْلَمُونَ] ذلك لعدم تفكّرهم فى المغيبات وقصور نظرهم على المحسوسات والّا فهم يشاهدون عالم الآخرة فى المنام، والنّوم انموذج الموت فليعلموا ان ليس خروج النّفس عن البدن بالموت الّا مثل خروجها عنه بالنّوم فكما كان يبقى بعد النّوم فى عالم آخر فكذا بعد الموت [وَلِلّهِ] لالغيره [مُلْكُ السَّماواتِ وَالْاَرْضِ] وما فيهما فلايقدر احدٌ غيره على احياء الاموات [وَيَوْمَ تَقُومُ] عطف على محذوف اى فى الدّنيا ويوم تقوم [السّاعَةُ] او ظرف ليخسر ويكون قوله [يَوْمَئِذٍ] تأكيداً له [يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ وَتَرى كُلَّ اُمَّةٍ] الخطاب عامّ او خاصّ بمحمّد (ص) واذا كان عامّاً فالرّؤية مقيّدة بيوم القيامة وان كان خاصّاً فالمعنى ترى فى الحال الحاضرة فانّه يرى فى الدّنيا مايراه غيره فى القيامة [جاثِيَةً] جثى كدعا و رمى جلس على ركبتيه ، او قام على اطراف اصابعه [كُلُّ اُمَّةٍ تُدْعى اِلى كِتابِهَا] صحيفة اعمالها [اَلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ] نفس ماكنتم تعملون اوجزاءه [هذا كِتابُنا] بتقدير القول حالاً اومستأنفاً [يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ] فانّ الكتاب الاخروىّ حىٌّ ناطقٌ كما انّ الاعضاء فى الآخره تنطق ، او المراد يشهد عليكم بما فيه من ثبت اعمالكم [اِنّا كُنّا نَسْتَنْسِخُ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ] وسئل الصّادق (ع) عن هذه الآية فقال: انّ الكتاب لم ينطق ولن ينطق ولكن رسول الله (ص) هو النّاطق بالكتاب قال الله تعالى: هذا كتابنا ينطق عليكم بالحقّ فقيل: انّا لانقرؤها هكذا، فقال: هكذا والله نزل بها جبرئيل على محمّد (ص) ولكنّه ممّا حرّف من كتاب الله ولعلّه (ع) قرئ ينطق مبنيّاً للمفعول، وسئل ايضاً عن: نٓ والقلم ، قال انّ الله خلق القلم من شجرة فى الجنّة يقال لها الخلد، ثمّ قال لنهر فى الجنّة : كن مداداً فجمد النّهر وكان اشدّ بياضاً من الثّلج واحلى من الشّهد، ثمّ قال للقلم : اكتب، قال: ياربّ ما اكتب ؟- قال: اكتب ماكان وما هو كائنٌ الى يوم القيامة ، فكتب القلم فى رقٍّ اشدّ بياضاً من الفضّة و اصفى من الياقوت ، ثمّ طواه فجعله فى ركن العرش ثمّ ختم على فم القلم فلم ينطق ولاينطق ابداً فهو الكتاب المكنون الّذى منه النّسخ، اولستم عرباً فكيف لاتعرفون معنى الكلام ؟! واحدكم يقول لصاحبه : اُنسخ ذلك الكتاب، اوليس انّما

ينسخ من كتاب آخر من الاصل وهو قوله : انّا كنّا نستنسخ ماكنتم تعملون [فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا] بالبيعة العامّة او الخاصّة [وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ] واصلها البيعة الخاصّة الولويّة [فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ] الّتى هى الولاية [ذٰلِكَ] الدّخول فى الولاية [هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ] اى يقال لهم احملتم فلم تكن [آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ] عن الانقياد لها و اتّباعها حتّى استكبرتم عن الآيات العظمى و الولاية الكبرى [وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُجْرِمِينَ] بسبب مخالفتكم لوليّ امركم [وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللّٰهِ] بالعذاب و الثّواب [حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ وَبَدَا لَهُمْ] التفاتٌ من الخطاب الى الغيبة [سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا] حيث رأوا مقام وليّ امرهم وخساسة اوليائهم الظّلمة [وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ] اى القول او العذاب الّذى كانوا به يستهزؤن .

[الجزء السّادس والعشرون]

[وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هٰذَا] اى نترككم كمانسيتم هذا اليوم او تركتم العدّة له [وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ذٰلِكُمْ بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللّٰهِ] التّدوينيّة من الكتب السّماويّة والاحكام النّبويّة والآيات الآفاقيّة الجزئيّة والانفسيّة والآيات العظمى الّذين هم الانبياء والاولياء (ع) [هُزُوًا] مايستهزء به،قيل: هم الائمّة كذّبوهم واستهزؤابهم [وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا] فحسبتم انّكم خالدون فيها [فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا] بسبب الاستهزاء بالآيات [وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ] لا يسترضون،وقيل: لايجاوبون ولايقبلهم الله [فَلِلّٰهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ] بدل من ربّ السّماوات و ربّ الارض بعدمااشارالى ربوبيّته للسّماوات والارضين بالالتزام وكانت تلك الرّبوبيّة مستلزمة لمحموديّته على الاطلاق صرّح بهما بطريق الاستنتاج [وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ] اذالرّبوبيّة لهما مستلزمة للكبرياء فيهما [وَهُوَ الْعَزِيزُ] الغالب الّذى لايغلب [الْحَكِيمُ] فى علمه و عمله .

سورة الأحقاف

مكّيّة كلّها ؛وقيل : الّا آية : قل أرايتم ان كان من عند الله؛ فانّها نزلت بالمدينة فى عبد الله بن سلام

بسم الله الرحمن الرحيم

[حم تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللّٰهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ] اى سماوات عالم الطّبع و سماوات عالم الارواح فى الكبير والصّغير [وَالْأَرْضَ] بالتّعميم المذكور [وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ] المخلوق به [وَأَجَلٍ مُسَمًّى] لسماوات العالم الصّغير وارضه وكذا سماوات العالم الكبير وارضه فانّ لها ايضاً اجلاً وامداً الى اوّل عالم البرزخ [وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ] لحسبانهم انّا خلقناهم عبثاً ولغواً ، و ماانذروا عبارة عمّا يلحقهم من العقوبة على ترك المتابعة و ترك الولاية، واعراضهم عنه عبارة عن عدم التفاتهم اليه وعدم تدبّرهم

لدفعه [قُلْ] للمشركين بالله وللمشركين بالولاية [اَرَأَيْتُمْ مٰاتَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ] من الاصنام والكواكب والاهواء والشّياطين والملائكة او ما تدعون من دون خلفاءالله او من دون اذن الله من رؤساء الضّلالة [اَرُونى مٰاذٰا خَلَقُوا مِنَ الْاَرْضِ اَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى السَّمٰوٰاتِ] اى فى خلق السّماوات يعنى لا شركة لهم فى خلق شيءٍ من اجزاء الارض ولا فى شيءٍ من اجزاء السّماوات حتّى يستحقّوا به العبادة [ائْتُونى بِكِتٰابٍ مِنْ قَبْلِ هٰذٰا] بدل من أرونى نحو بدل الاشتمال اى أرونى ماذاخلقوا أرونى كتاباً فيه ثبت شركتهم فى خلق الارض هو على سبيل التّنزّل ان لم يكن لكم دليل عقلىّ فأتونى بدليلٍ نقلىّ من كتابٍ سماوىّ اوغيرسماوىّ يمكن تقليده [اَوْ اَثٰارَةٍ مِنْ عِلْمٍ] الأثارة نقل الحديث وروايته يعنى ائتونى بكتابٍ يمكن الاعتماد عليه فيه جواز اشراك الشّركاء ، او ائتونى بحديثٍ منقولٍ ناشٍ من علمٍ وفسّر ببقيّةٍ من علمٍ من السّابقين يجوز الاعتماد عليه والتّقليد له [اِنْ كُنْتُمْ صٰادِقِينَ] يعنى انّ مثل هذا لايجوز القول به ولا الاعتقاد به الّا اذا كان دليلٌ عقلىٌّ يدلّ على صحّته وصحّة القول به ، وان لم يكن لكم دليلٌ عقلىٌّ فلا اقلّ من ان يكون لكم دليلٌ نقلىٌّ يجوز التّعويل عليه والتّقليد له من كتابٍ اونقلٍ ، وسئل الباقر (ع) عن هذه الآية فقال : عنى بالكتاب التّوراة والانجيل ، وامّا أثارةٍ من العلم فانّما عنى بذلك علم اوصياء الانبياء (ع) و بعد ما اظهرعجزهم عن الاتيان بدليلٍ عقلىٍّ او نقلىٍّ أتى بالدّليل العقلىّ و النّقلىّ على بطلان قولهم فقال: [وَمَنْ اَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللّٰهِ مَنْ لٰايَسْتَجِيبُ لَهُ] لوسمع دعاءهم فضلاً عن مراعاة مصالحهم والاطّلاع على سرائرهم [اِلٰى يَوْمِ الْقِيٰمَةِ] يعنى انّهم ما داموا فى الدّنيا لايسمعون دعاءهم ولو سمعو ما استجابوا ، ولو اجابوا ما قدروا على اصلاحهم ولكنّهم فى يوم القيامة يسمعون نداءهم ويجيبون لهم بانكار عبادتهم [وَهُمْ عَنْ دُعٰائِهِمْ غٰافِلُونَ] فضلاً عن سماعه واجابتهم، وهذا دليل عقلىّ يدلّ على عدم جواز دعوتهم [وَاِذٰا حُشِرَ النّٰاسُ كٰانُوا لَهُمْ اَعْدٰاءً وَكٰانُوا بِعِبٰادَتِهِمْ كٰافِرِينَ] وهذا دليلٌ نقلىّ منقولٌ من الانبياء والاوصياء (ع) مثبتٌ فى الكتب السّماويّة و فى غيرها [وَاِذٰا تُتْلٰى عَلَيْهِمْ اٰيٰاتُنٰا بَيِّنٰاتٍ] واضحات الدّلالات او موضحات [قٰالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمّٰا جٰاءَهُمْ] اى قالوا للآيات بعد ما ظهر حقّيّتها و لذلك وضع الظّاهر موضع المضمر [هٰذٰا سِحْرٌ مُبِينٌ] ظاهر السّحريّة و البطلان [اَمْ يَقُولُونَ افْتَرٰيهُ] ولمّا كان السّحر له شأنٌ و وقعٌ فى القلوب اضرب عن هذا القول وقال : بل يقولون افتراه [قُلْ] فى جوابهم [اِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلٰاتَمْلِكُونَ لِى مِنَ اللّٰهِ شَيْئًا] يعنى ان افتريته فلا تدفعوا عنّى شيئاً من عذاب الله ولاتتحمّلوا شيئاً من اوزارى لانّكم لاتملكون لى من الله شيئاً من عذابه حتّى تدفعوه عنّى، اوان افتريته لم اكن بعاقلٍ واكن سفيهاً، لانّ الافتراء لايكون الّا تعرّضاً لسخط الله، وان اتعرّض لسخط الله لان اكون مقبولاً عندكم كنت سفيهاً، لانّ المقبوليّة عندكم لاتنفعنى لانّكم لاتملكون لى من الله شيئاً من رفع عذابه ، و بعد ابطال الافتراء هدّدهم بهذا الافتراء وقال [هُوَ اَعْلَمُ بِمٰا تُفِيضُونَ] اى تندفعون [فِيهِ] من القول بانّ القرآن سحرٌ او افتراءٌ [كَفٰى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ] تهديدٌ آخرلهم [وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ] جمع بين التّهديد و الارجاء كما هو شأن النّاصح الكامل [قُلْ] لهم لم تستغربون رسالتى وقد كنت مثل سائر الرّسل و [مٰا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ] اى من بينهم او حالكونى بعضاً منهم وقد كان الرّسل بشراً مثلى وكانوا يأكلون و يشربون

و ينكحون ويمشون فى الاسواق و قد كانوا يأتون بالاحكام من الله و يدعون الى التّوحيد [وَمٰا اَدْرى مٰا يُفْعَلُ بى وَلٰا بِكُمْ] بحسب اقتضاء بشريّتى فما لكم تطالبونى بعلم الغيب [اِنْ اَتَّبِعُ اِلّٰا مٰا يُوحىٰ اِلَىَّ] لا أتجاوزه الى ما تشتهون او اشتهى [وَمٰا اَنَا اِلّٰا نَذيرٌ] بحسب رسالتى لاشأن لى سوى الانذار وان كنت بحسب ولايتى هادياً لكم وقادراً على ما لاتقتدرون عليه وعالماً بما لاتعلمون [مُبينٌ] ظاهر الانذار، وظاهر الصّدق اوموضح [قُلْ اَرَاَيْتُمْ] اخبرونى [اِنْ كٰانَ] القرآن او قرآن ولاية علىٍّ (ع) او الوحى الىّ او هذا الّذى ادّعيه من الرّسالة او ولاية علىٍّ (ع) [مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شٰاهِدٌ مِنْ بَنى اِسْرٰائيلَ] قيل: هو عبدالله بن سلام كان من علمائهم واسلم، وقيل: المراد بالشّاهد موسى (ع) بما اثبته فى التّوراة [عَلىٰ مِثْلِهِ] لم يقل عليه لانّ شاهد بنى اسرائيل ماشهد انّ محمّداً (ص) رسولٌ و انّ هذا القرآن كتابه وانّ عليّاً (ع) وصيّه بل شهد انّ النّبىّ (ص) الموعود يكون شمائله كذا، ودعوته الى كذا، وكتابه كذا، و وصيّه يكون ختنه وابن عمّه [فَاٰمَنَ] الشّاهد [وَاسْتَكْبَرْتُمْ] انتم من الايمان به، وجواب الشّرط محذوف اى افلم تكونوا ظالمين او افلم تؤاخذوا [اِنَّ اللّٰهَ لٰا يَهْدِى الْقَوْمَ الظّٰالِمينَ] تعليلٌ للجواب المحذوف و دليل عليه، اوهو جواب بتقدير الفاء [وَقٰالَ الَّذينَ كَفَرُوا] بالله و برسوله او بالولاية [لِلَّذينَ اٰمَنُوا] فى حقّهم [لَوْ كٰانَ] الرّسول او القرآن اوهذا الامر من الرّسالة او الولاية [خَيْرًا مٰا سَبَقُونٰا اِلَيْهِ] لانّ نظرهم كان الى الدّنيا ولم يكونوا يعلمون خيراً الّا مايعدّ فى الانظار الحسّيّة من الخير، وكان المؤمنون اراذل النّاس واسوءهم حالاً فى نظرهم فقاسوا امر الآخرة على امر الدّنيا وقالوا هؤلاء اسوء حالاً منّا فلو كان قبول الرّسالة اوالولاية خيراً لكنّا اولى منهم [وَاِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هٰذٰا اِفْكٌ قَديمٌ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتٰابُ مُوسىٰ] جملة حاليّة فى مقام الرّدّ عليهم يعنى يقولون هذا كذبٌ سبق امثاله والحال انّ من قبله كتاب موسى وهم يعترفون به وهو شاهد على صدقه حال كون كتاب موسى (ع) [اِمٰامًا] يؤمّه كلّهم بل كلّ النّاس [وَرَحْمَةً] سبب رحمة [وَهٰذٰا كِتٰابٌ] ليس منافياً مخالفاً له حتّى يقرّوا بكتاب موسى و ينكروه [مُصَدِّقٌ] لكتاب موسى (ع) [لِسٰانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذينَ ظَلَمُوا وَبُشْرىٰ لِلْمُحْسِنينَ] وهذا الانذار وتلك البشرى دليل صدقه [اِنَّ الَّذينَ قٰالُوا رَبُّنَا اللّٰهُ ثُمَّ اسْتَقٰامُوا] قد مضى الآية و بيانها فى سورة السّجدة و هذه ردّ على ما قالوا لو كان خيراً ما سبقونا اليه و ابطالٌ لقياسهم الفاسد [فَلٰا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلٰا هُمْ يَحْزَنُونَ] قد مضى فى سورة البقرة بيان اختلاف هاتين الفقرتين [اُولٰئِكَ اَصْحٰابُ الْجَنَّةِ خٰالِدينَ فيهٰا جَزٰاءً بِمٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ وَوَصَّيْنَا الْاِنْسٰانَ بِوٰالِدَيْهِ اِحْسٰانًا] جملة منقطعة عمّا سبق بيان لحال اشخاصٍ اوشخصٍ مخصوصٍ لكنّه أتى باداة العطف ايهاماً لاتّصالها بسابقها كأنّه قال: انّ الّذين قالوا ربّنا الله ثمّ استقاموا على ما وصّيناهم و امرناهم و وصّينا الانسان بوالديه احساناً [حَمَلَتْهُ اُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصٰالُهُ ثَلٰاثُونَ شَهْرًا] لمّا اراد المبالغة فى التّوصية فى حقّ الامّ ذكر ما تتحمّله الامّ من المشاقّ على الولد [حَتّىٰ اِذٰا بَلَغَ اَشُدَّهُ] قد سبق ذكر الاشدّ فى سورة الانعام وسورة يوسف وغيرهما، وذكر بيانٌ له هناك [وَبَلَغَ اَرْبَعينَ سَنَةً قٰالَ] يعنى ينبغى ان يقول على ان تكون الآية عامّةً او يقول لامحالة على ان يكون الآية خاصّةً بالحسين (ع) كما فى اخبارنا [رَبِّ اَوْزِعْنى] ألهمنى او أولعنى [اَنْ اَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتى اَنْعَمْتَ عَلَىَّ

وَعَلٰى والِدَىَّ] هذه الكلمة تدلّ على انّ الآية خاصّة بالحسين (ع) [وَاَنْ اَعْمَلَ صالِحاً تَرْضٰيهُ وَاَصْلِحْ لى فى ذُرِّيَّتى] ورد فى خبرٍ انّه لولم يقل فى ذرّيّتى لكانت ذرّيّته كلّهم ائمّة [اِنّى تُبْتُ اِلَيْكَ] عمّا يشغلنى عنك [وَاِنّى مِنَ الْمُسْلِمينَ] المخلصين اوالمنقادين [اُولٰئِكَ الَّذينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ اَحْسَنَ ما عَمِلُوا] أتى بالجمع ايهاماً لتعميم الآية [وَ نَتَجاوَزُ عَنْ سَيِّئاتِهِمْ فى اَصْحابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ] وعدنا وعد الصّدق [الَّذى كانُوا يُوعَدُونَ] قال الصّادق (ع) : لمّا حملت فاطمة (ع) بالحسين (ع) جاء جبرئيل الى رسول الله (ص) فقال: انّ فاطمة ستلد غلاماً تقتله امّتك من بعدك فلمّا حملت فاطمة (ع) بالحسين (ع) كرهت حمله، وحين وضعته كرهت وضعه ثمّ قال: لم تُر فى الدّنيا امّ تلد غلاماً تكرهه ولكنّها كرهته لما علمت انّه سيقتل ، قال : وفيه نزلت هذه الآية ، وفى روايةٍ اخرى : ثمّ هبط جبرئيل (ع) فقال : يا محمّد (ص) انّ ربّك يقرؤك السّلام ويبشّرك بانّه جاعلٌ فى ذرّيّته الامامة والولاية والوصيّة فقال: انّى رضيت ثمّ بشّر فاطمة (ع) فرضيت قال : فلولا انّه قال: اصلح لى فى ذرّيّتى لكانت ذرّيّته كلّهم ائمّة، قال: ولم يرضع الحسين (ع) من فاطمة (ع) ولا من انثى، كان يؤتى به النّبىّ (ص) فيضع ابهامه فى فيه فيمصّ منها ما يكفيه اليومين والثّلاث فنبت لحم الحسين (ع) من لحم رسول الله (ص) ودمه من دمه ، ولم يولد لستّة اشهرٍ الاعيسى بن مريم (ع) والحسين ، وفى نزول الآية فى الحسين (ع) قريباً بهذا المضمون اخبارٌ اُخر [وَالَّذى قالَ] عطف على الانسان او بتقدير اذكر ، وعطف باعتبار المعنى كأنّه قال: اذكر الّذى قال بعد بلوغ الاربعين ربّ اوزعنى واذكر الّذى قال [لِوالِدَيْهِ اُفٍّ لَكُما] هذه اسم صوت وكلمة تضجّر يعنى اذكر حتّى يظهر بمقابلة هذا لذلك حسن الاوّل وقبح الثّانى ، اومبتدء وخبره اولئك والجملة معطوفة [اَتَعِدانِنى اَنْ اُخْرَجَ] من قبرى حيّاً [وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ] الامم الماضية [مِنْ قَبْلى] ولم يرجع احدٌ منهم ولم يخرج من قبره حيّاً [وَهُما يَسْتَغيثانِ اللهَ وَيْلَكَ] هى وَى ولك ووَى كلمة تعجّب كأنّه قال: تعجّب لك ، اوهى الويل المضاف الى الكاف والمعنى الزم ويلك، اوهى مخفّفة ويل ولك والمعنى ويل لك [آمِنْ اِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَيَقُولُ ما هٰذا اِلّا اَساطيرُ الْاَوَّلينَ] قد مضى هذه الكلمة فى الانعام والانفال والنّحل وغيرها مع بيانها، قال القمّىّ: نزلت فى عبد الرّحمن بن ابى بكر [اُولٰئِكَ الَّذينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ] بانّهم اهل النّار [فى اُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْاِنْسِ اِنَّهُمْ كانُوا خاسِرينَ وَلِكُلٍّ] من الفريقين اولكلّ فردٍ من افراد الفريقين [دَرَجاتٌ] ناشئة [مِمّا عَمِلُوا] ،اولاجل ماعملوا، اوهى عبارة من جزاء ماعملوا، اومن نفس ماعملوا على تجسّم الاعمال، والمراد بالدّرجات اعمّ من الدّركات [وَلِيُوَفِّيَهُمْ] قرئ بالغيبة والتّكلّم وهو عطف على محذوفٍ اى ليجزيهم بأعمالهم وليوفّيهم [اَعْمالَهُمْ] بانفسها او بجزائها [وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذينَ كَفَرُوا] عطف على محذوفٍ اى ليوفّيهم فى الدّنيا اويوم البرزخ اولا يظلمون فى الدّنيا اويوم البرزخ ويوم يعرضون او متعلّق بيقال محذوفاً ، والتّقدير : يوم يعرض الّذين كفروا [عَلَى النّارِ] يقال لهم [اَذْهَبْتُمْ طَيِّباتِكُمْ] اى جهاتكم الالهيّة الّتى هى اطيب من كلّ طيّبٍ [فى حَيٰوتِكُمُ الدُّنْيا] بالاشتغال بالدّنيا واتّباع الاهواء حتّى تمكّن منكم الشّيطان ، ومن تمكّن منه الشّيطان فرّ منه جهاته الالهيّة [وَاسْتَمْتَعْتُمْ

بِهٰا] اى فيها او بسببها [فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذٰابَ الْهُونِ] عذاباً يكون سبباً للهوان فيكون مضاعفاً لانّه يكون عذاب الجسم والنّفس [بِمٰا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمٰا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ] والمراد بالاستكبار الظّهور بالانانيّة و تحقير الخلق ، و بالفسق الخروج من طاعة من ينبغى ان يطاع [وَاذْكُرْ اَخٰا عٰادٍ] اى اخا قبيلة عاد و هوهود (ع) والجملة معطوفة باعتبار المعنى كأنّه قال : اذكر الّذى حملته امّه كرهاً ، واذكر الّذى قال لوالديه : افّ واذكر اخا عاد [اِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْاَحْقٰافِ] جمع الحقف بالكسر وهو الرّمل المستطيل المرتفع المشرف ، اوالرّمل العظيم المستدير او المعوجّ ، والاحقاف اسمٌ لبلاد قوم هودٍ وقداختلف فى تعيينها، قال القمّىّ : هى من الشّقوق الى الاجفر وهى اربعة منازل ، وفى المجمع : هو وادٍ بين عمان ومهرة ، وقيل: رمال فيما بين عمان الى حضرموت ، وقيل: رمال مشرفة على البحر بالشّجر من اليمن ، وقيل: ارض خلالها رمال [وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ] اى الرّسل [مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ] اى قبله و بعده [اَلّٰا تَعْبُدُوا اِلَّا اللّٰهَ اِنِّي اَخٰافُ عَلَيْكُمْ عَذٰابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ] مقداره او بلاؤه [قٰالُوا اَجِئْتَنٰا لِتَأْفِكَنٰا] لتصرفنا [عَنْ اٰلِهَتِنٰا فَأْتِنٰا بِمٰا تَعِدُنٰا] من العذاب من الله [اِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰادِقِينَ] فى ادّعاء الرّسالة والوحى اليك وتوعيد العذاب [قٰالَ] النّذير او هودٌ [اِنَّمَا الْعِلْمُ] بوقت العذاب [عِنْدَ اللّٰهِ] لاعلم لى بوقته حتّى اخبركم به اواعاجلكم به،وهو كناية ٌعن كون العذاب بقدرة الله لا بقدرته بحسب رسالته [وَاُبَلِّغُكُمْ مٰا اُرْسِلْتُ بِهِ] وهذه وامثالها خروجٌ عن الانانيّة و اظهارٌ للعجز عن التّصرّف فى ملك الله وعباده وهو شيمة الانبياء والاولياء(ع) [وَلٰكِنِّي اَرٰيكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ] تغمرون فى الجهل او تتّصفون بالجهل او تجهلون انّ الرّسل بعثوا بالرّحمة لا بالعذاب ولذلك يتوعّدون و يتأتّون فيما يتوعّدون [فَلَمّٰا رَأَوْهُ] رأوا الموعود [عٰارِضًا] سحاباً عارضاً فى الافق [مُسْتَقْبِلَ اَوْدِيَتِهِمْ قٰالُوا هٰذٰا عٰارِضٌ مُمْطِرُنٰا] قال الملائكة او هودٌ اوالله [بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ] من العذاب [رِيحٌ] بدل من ما [فِيهٰا عَذٰابٌ اَلِيمٌ تُدَمِّرُ] التّدمير المبالغة فى الاهلاك [كُلَّ شَيْءٍ] من الانفس والاموال [بِاَمْرِ رَبِّهٰا فَأَصْبَحُوا لٰا يُرٰى اِلّٰا مَسٰاكِنُهُمْ] قرئ بالتّاء الفوقانيّة مبنيّاً للفاعل ، اوالمفعول ، وبالياء التّحتانيّة مبنيّاً للمفعول، و مساكنهم على حسبه والمعنى لاترى الّا سكونهم اومحلّ سكناهم [كَذٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ] قد مضى قصّتهم فى سورة الاعراف وسورة هودٍ [وَلَقَدْ مَكَّنّٰاهُمْ فِيمٰا اِنْ مَكَّنّٰاكُمْ فِيهِ] ان نافية او شرطيّة محذوفة الجواب [وَجَعَلْنٰا لَهُمْ سَمْعًا وَاَبْصٰارًا وَاَفْئِدَةً] كما جعلنا لكم ذلك [فَمٰا اَغْنٰى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلٰا اَبْصٰارُهُمْ وَلٰا اَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ] من عذاب الله اومن شيءٍ من الاغناء فلاتغترّوا انتم بسمعكم و ابصاركم و افئدتكم ودقّة تدبيركم بها [اِذْ كٰانُوا يَجْحَدُونَ بِاٰيٰاتِ اللّٰهِ] كما كنتم تجحدون بها [وَحٰاقَ بِهِمْ مٰا كٰانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ] اى وزر القول والعمل الّذى كانوا به يستهزؤن او العذاب الّذى كانوا به يستهزؤن [وَلَقَدْ اَهْلَكْنٰا مٰا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرٰى] كقرى ثمود وقوم لوطٍ وشعيبٍ [وَصَرَّفْنَا الْاٰيٰاتِ] القوليّة والكتبيّة فى الفاظ ونقوش مختلفة والآيات التّكوينيّة الآفاقيّة والانفسيّة فى ازمانٍ مختلفةٍ وامكنةٍ متعدّدةٍ وصورٍ مختلفةٍ [لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ فَلَوْلٰا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللّٰهِ قُرْبٰانًا اٰلِهَةً] اى آلهتهم الّتى متقرّبون بها الى الله و يقولون : هؤلاء شفعاؤنا عندالله يعنى ان كان هؤلاء الا لهة شفعاء كم و ينصرونكم

عن عذاب الله فلولا نصر السّابقين الّذين حلّ بهم العذاب آلهتهم [بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ] ولم يثبتوا معهم [وَذٰلِكَ] الاتّخاذ [إِفْكُهُمْ] وصرفهم عن طريق الحقّ [وَمٰا كٰانُوا يَفْتَرُونَ] ما موصولة وعطف على افكهم او استفهاميّة او نافية بتقدير الاستفهام [وَإِذْ صَرَفْنٰا] واذكر او ذكّر قومك اذ صرفنا [إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ] والمعنى صرّفناهم اليك من محالّهم بالتّوفيق، وقيل: صرّفناهم اليك عن استراق السّمع من السّماء برجوم الشّهب ولم يكونوا بعد عيسى قد صرفوا منه فقالوا: ما هذا الّذى حدث فى السّماء الّا من اجل شيءٍ قد حدث فى الارض فضربوا فى الارض حتّى وقفوا على النّبىّ (ص) وهو يصلّى الفجر فاستمعوا القرآن [يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمّٰا حَضَرُوهُ] اى النّبىّ (ص) او القرآن [قٰالُوا] بعضهم لبعضٍ [أَنْصِتُوا] نستمع قراءته بلامانعٍ [فَلَمّٰا قُضِيَ] فرغ منه [وَلَّوْا إِلىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ قٰالُوا] بدل من منذرين او حال او مستأنف جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ [يٰا قَوْمَنٰا إِنّٰا سَمِعْنٰا كِتٰابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسىٰ مُصَدِّقًا لِمٰا بَيْنَ يَدَيْهِ] من الكتب [يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلىٰ طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ] المراد بالحقّ احكام الملّة و بالطّريق المستقيم الولاية او بالعكس، اوالمراد بهما هى الولاية من قبيل عطف اوصافٍ متعدّدةٍ لشيءٍ واحدٍ.

نقل انّه لمّا توفّى ابوطالبٍ اشتدّ البلاء على رسول الله (ص) فعمد ليقف بالطّائف رجاء ان يؤووه فوجد ثلاثة نفرٍ منهم هم سادة وهم اخوة فعرض عليهم نفسه، فقال احدهم: انا اسرق ثياب الكعبة ان كان الله بعثك بشيءٍ قطّ، وقال الآخر: اعجز على الله ان يرسل غيرك؟- وقال الآخر: والله لا اكلّمك بعد مجلسك هذا ابداً، فلئن كنت رسولاً كما تقول فأنت اعظم خطراً من ان يُردّ عليك الكلام وان تكذب على الله فما ينبغى لى ان اكلّمك، وتهزؤا به وافشوا فى قومه ماراجعوه به، فقعدوا له صفّين على طريقه، فلمّا مرّ رسول الله (ص) بين صفّيهم جعلوا لا يرفع رجليه ولا يضعهما الّا رضخوهما بالحجارة حتّى ادموا رجليه، فخلص منهم وهما يسيلان دماً الى حائط من حوائطهم واستظلّ فى ظلٍّ منه وهو مكروبٌ موجعٌ تسيل رجلاه دماً، فاذا فى الحائط عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة فلمّا رآهما كره مكانهما لما يعلم من عداوتهما لله ولرسوله، فلمّا رأياه ارسلا اليه غلاماً لهما يُدعى عداس معه عنبٌ وهو نصرانىٌّ من اهل نينوى فلمّا جاءه قال له رسول الله (ص): من اىّ ارضٍ انت؟- قال: من اهل نينوى، قال: من مدينة العبد الصّالح يونس بن متّى؟- فقال له عداس: وما يدريك من يونس بن متّى؟- فقال: انا رسول الله (ص)، والله تعالى اخبرنى خبر يونس بن متّى، فلمّا اخبره بما أوحى الله اليه من شأن يونس خرّ عداس ساجداً لرسول الله (ص) وجعل يقبّل قدميه وهما يسيلان الدّماء، فلمّا بصر عتبة وشيبة ما يصنع غلامهما سكتا فلمّا أتاهما قالا: ماشأنك سجدت لمحمّد (ص) وقبّلت قدميه؟- ولم نرك فعلت ذلك باحدٍ منّا؟- قال: هذا رجل صالح اخبرنى بشيءٍ عرفته من شأن رسولٍ بعثه الله الينا يُدعى يونس بن متّى فضحكا وقالا: لا يفتننّك عن نصرانيّتك فانّه رجل خدّاع، فرجع رسول الله (ص) الى مكّة حتّى اذا كان بنحلة قام فى جوف اللّيل يصلّى فمرّ به نفرٌ من جنّ اهل نصيبين من اليمن، فوجدوه يصلّى صلوة الغداء ويتلو القرآن فاستمعوا له، وروى غير ذلك فى قصّة صرف الجنّ اليه، من اراد فليرجع الى المفصّلات [يٰا قَوْمَنٰا أَجِيبُوا دٰاعِيَ اللّٰهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ] الله اوالدّاعى [لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذٰابٍ أَلِيمٍ وَمَنْ لٰا يُجِبْ دٰاعِيَ اللّٰهِ] ابتداء كلام من الله تعالى اوجزء كلام النّفر من الجنّ [فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيٰاءُ أُولٰئِكَ فِي ضَلٰالٍ مُبِينٍ أَوَلَمْ يَرَوْا] هذا ايضاً امّا ابتداء كلام من الله اوجزء كلام الجنّ [أَنَّ اللّٰهَ الَّذِي خَلَقَ

السَّمٰوٰاتِ وَالْاَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقٰادِرٍ عَلٰى اَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتٰى بَلٰى اِنَّهُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النّٰارِ] عطف على اذصر فناعطف المفرد، اومقدّر باذكر، اومتعلّق بيقال المقدّر، او بقالوا، وعطف نحو عطف الجملة [اَلَيْسَ هٰذٰا بِالْحَقِّ] مقدّر بالقول [قٰالُوا بَلٰى وَرَبِّنٰا قٰالَ فَذُوقُوا الْعَذٰابَ بِمٰا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ] بالله او بالرّسول او بالآخرة او بالولاية فاذاكان أمر هؤلاء على ماذكر [فَاصْبِرْ] ولاتجزع على أذاهم ولا تستعجل عذابهم [كَمٰا صَبَرَ اُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ] المشهور من اخبارنا انّ اولى العزم من الرّسل خمسة، نوح وابراهيم و موسى وعيسى (ع) ومحمّد (ص) وسمّوا اولى العزم لانّ شريعتهم كانت ناسخةً لما سبق من الشّرائع وكانت حتماً على كلّ الخلائق بخلاف سائر الانبياء (ع) فانّ شريعتهم كانت شريعة من سبقهم، وكانت فى قوم دون قوم، وعلى هذا يكون من فى قوله تعالى من الرّسل للتّبعيض، و قيل : جميع الرّسل كانوا اولى العزم فانّهم لم يكونوا على تردّدٍ من امرهم فيكون من للتّبيين، وقيل: اولو العزم كانوا ستّةً، نوح صبر على اذى قومه، و ابراهيم صبر على النّار، واسحاق صبر على الذّبح، و يعقوب صبر على فقد الولد و ذهاب البصر، و يوسف صبر فى البئر و السّجن، و ايّوب صبر على الضّرّ والبلوى، وقيل: هم الّذين امروا بالجهاد والقتال واظهروا المكاشفة وجاهدوا فى الدّين، وقيل: هم ابراهيم وهود ونوح (ع) ورابعهم محمّد (ص) [وَلٰا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ] العذاب فانّه كائن لامحالة عن قريبٍ [كَاَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مٰا يُوعَدُونَ] من العذاب [لَمْ يَلْبَثُوا] فى التّنعّم والدّنيا [اِلّٰا سٰاعَةً مِنْ نَهٰارٍ] يعنى انّ المكث فى الدّنيا و ان كان اطول زمانٍ ليس الّا كساعة فمالك تستعجل العذاب الوارد عليهم عن قريبٍ [بَلٰاغٌ] خبر مبتدءٍ محذوفٍ و الجملة صفة ساعة، اوجوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ اى هذه السّاعة ليست لتمتّعهم بل هى بلاغ لهم الى يوم يرونه فهو تسليةٌ اخرى له (ص) وعلّة اخرى لنهيه عن الاستعجال، اوهذا اللّبث بلاغ لهم الى هذا اليوم، اومبتدء خبرٍ محذوفٍ اى لهم بلاغ سيبلغون الى هذا اليوم فلاتستعجل، اولهم بلاغ الى هذا اليوم الآن فانظر حتّى ترى فانّ الكلّ بوجهٍ فى نظر البصير فى القيامة والحساب، اوالمعنى هذا القرآن، اوهذه المواعظ والتّهديدات، اوولاية علىّ (ع) تبليغ منك لرسالتك فلاتكترث بهم قبلوا او ردّوا [فَهَلْ يُهْلَكُ] عن الحيوة الانسانيّة [اِلَّا الْقَوْمُ الْفٰاسِقُونَ] الخارجون عن طاعة ولاة الامر فلاتحزن على الهالكين، قيل: ماجاء فى الرّجاء شيءٌ اقوى من هذه الآية.

سورة محمّد

وتسمّى ايضاً سورة القتال، مدنيّة، وقيل: غير آيةٍ منها نزلت على النّبىّ (ص) وهو يريد المدينة وجعل ينظر الى البيت وهو يبكى حزناً فنزلت وهى قوله تعالى: و كأيّن من قريةٍ هى اشدّ قوّة (الآية) وهى اربعون آيةً.



[اَلَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ] اعلم، انّ هذه السّورة ذكر فيها حال المؤمنين بعلىّ (ع)

والجاحدين لولايته وان كانت الآيات بظواهرها عامّة لكنّ المنظور منها ذلك كما نشير اليه فى مواقعه؛ فقوله الّذين كفروا ظاهره اعمّ من الكفر باللّه او بالرّسول (ص) او بالآخرة او بعلىّ (ع) وولايته، لكنّ المقصود الكفر بالولاية بقرينة قوله صدّوا عن سبيل الله فانّ سبيل الله ليس الّا الولاية سواء جعل صدّوا بمعنى اعرضوا اومنعوا [اَضَلَّ اَعْمالَهُمْ] الّتى عملوها فى الاسلام، القمّىّ قال: نزلت فى اصحاب رسول الله (ص) الّذين ارتدّوا بعد رسول الله (ص) وغصبوا اهل بيته حقّهم، وصدّوا عن اميرالمؤمنين (ع) وعن ولاية الائمّة (ع) [وَالَّذينَ اٰمَنُوا] بالبيعة العامّة اى اسلموا [وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ] الّلازمة لبيعتهم العامّة [وَاٰمَنُوا بِما نُزِّلَ عَلٰى مُحَمَّدٍ] فى علىّ (ع) بقبول ولايته والبيعة معه [وَهُوَ الْحَقُّ] اى الولاية الّتى نزلت على محمّد (ص) هى الحقّ [مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ] أزال عنهم [سَيِّئاٰتِهِمْ وَأَصْلَحَ بالَهُمْ] حالهم او قلبهم ، قال القمّىّ: نزلت فى ابى ذرّ وسلمان وعمّار ومقداد لم ينقضوا العهد وآمنوا بما نزل على محمّد (ص) اى ثبتوا على الولاية الّتى أنزلها الله وهو الحقّ يعنى اميرالمؤمنين (ع) [ذٰلِكَ] الاضلال وتكفير السّيّئات واصلاح الحال [بِاَنَّ الَّذينَ كَفَرُوا] بالولاية [اتَّبَعُوا الْباطِلَ] اى اهواءهم واعداء اميرالمؤمنين (ع) [وَاَنَّ الَّذينَ اٰمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ] الولاية واميرالمؤمنين [مِنْ رَبِّهِمْ كَذٰلِكَ] الضّرب لمثل علىّ (ع) وعدوّه بنحو العموم الّذى لا يلتفت اليه اعداء آل محمّد (ص) حتّى يسقطوه [يَضْرِبُ اللّٰهُ لِلنّاسِ اَمْثالَهُمْ] اى اوصافهم او حكاياتهم اوالامثال الّتى تشبه احوالهم [فَاِذا لَقيتُمُ الَّذينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقابِ] فاضربوهم ضرب الرّقاب [حَتّٰى اِذا اَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثاقَ] يعنى فاسروهم واحفظوهم بالوثاق ، والوثاق بالكسر والفتح ما يوثق به [فَاِمّا مَنّاً] اى تمنّون منّاً [بَعْدُ وَاِمّا فِداءً] تخيير بين المنّ والفداء ، او بيان لفائدة الحكم السّابق من دون تعرّض لحكم المنّ والفداء [حَتّٰى تَضَعَ الْحَرْبُ اَوْزارَها] بيانٌ لغاية ضرب الرّقاب وشدّ الوثاق يعنى انّ ضرب الرّقاب و اسر الرّجال ليس الّا مادام الحرب قائمة فاذا انقضت الحرب فلا تتعرّضوا لهم ، اوالمعنى حتّى لا يبقى محاربٌ وحربٌ فى بلادكم فيكون رفع المحاربة من البين علّة غائيّة للمحاربة، عن الصّادق (ع) انّه قال: كان ابى يقول : انّ للحرب حكمين ؛ اذا كانت الحرب قائمة لم تضع اوزارها ولم يثخن اهلها فكلّ اسير اخذ فى تلك الحال فانّ الامام فيه بالخيار، ان شاء ضرب عنقه و ان شاء قطع يده ورجله من خلاف بغير حَسْم (١) وتركه يتشحّط فى دمه حتّى يموت وهو قول الله عزّ وجلّ: انّما جزاء الّذين يحاربون الله (الآية) قال والحكم الآخر اذا وضعت الحرب اوزارها و أثخن اهلها فكلّ اسير اخذ على تلك الحال فكان فى ايديهم فالامام فيه بالخيار ان شاء منّ عليهم فأرسلهم، وان شاء فاداهم انفسهم، وان شاء استعبدهم فصاروا عبيداً [ذٰلِكَ] اى الامر والسّنّة بحسب الاسباب ذلك، اوذلك حكم الله بحسب الاسباب، اوخذوا ذلك والزموه بحسب الاسباب [وَ] لكن [لَوْ يَشاءُ اللّٰهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ] من دون امركم بقتالهم [وَلٰكِنْ] يأمركم بقتالهم [لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ] فانّ فى الجهاد تحصيل خصال عظيمة لا يمكن تحصيلها الّا به، وتهديداً عظيماً للكفّار حتّى يرغبوا فى التّوبة قبل الاستيصال [وَالَّذينَ قُتِلُوا فى سَبيلِ اللّٰهِ] قرئ قتلوا مجرّداً مبنيّاً للمفعول، وقرئ قاتلوا [فَلَنْ يُضِلَّ اَعْمالَهُمْ سَيَهْديهِمْ] الى ما ينبغى ان يهدوا اليه من

---

(١) اى بغير قطع الدّم ففى الصّحاح حسمته، قطعته فانحسم، و منه حَسْم العرق .

الكمالات الانسانيّة و درجات الجنان [وَيُصْلِحُ بالَهُمْ] حتّى لايكون حين تلذّذاتهم الانسانيّة ما يغيّر حالهم [وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَها لَهُمْ] جواب لسؤالٍ مقدّر اوحال والمعنى انّ الجنّة عرّفهاالله لهم بانّ فيهاماتشتهيه الانفس و تلذّ الاعين وفيه الّذى ما خطر على قلب بشرٍ [يا اَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ] قدمضى فى سورة الحجّ بيان لهذه الآية [وَيُثَبِّتْ اَقْدامَكُمْ] فى دينكم الّذى هوولاية علىّ (ع) [وَالَّذينَ كَفَرُوا] بالولاية [فَتَعْساً لَهُمْ] تعسوا تعساً لهم والتّعس الهلاك والعثار والسّقوط والشّرّ والبعد والانحطاط ، والفعل كمنع وسمع ، و يستعمل متعدّياً فيقال : تعسه الله مثل اتعسه الله [وَاَضَلَّ اَعْمالَهُمْ ذٰلِكَ بِاَنَّهُمْ كَرِهُوا ما اَنْزَلَ اللهُ] فى علىّ (ع)، كذاروى عن الباقر (ع) الّا انّه كشط الاسم [فَاَحْبَطَ اَعْمالَهُمْ اَفَلَمْ يَسيرُوا فِي الْاَرْضِ] اى ارض الطّبع او ارض القرآن اوالاخبار او السّير او ارض العالم الصّغير [فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ] ممّن كذّب بآيات الله ولم يصدّق خلفاء الله حتّى يتنبّهوا القبح فعلهم وتكذيبهم وعقوبته [دَمَّرَ اللهُ عَلَيْهِمْ] دمر كنصر و دمّر من التّفعيل اهلك ، و دمر دموراً هجم هجوم الشّرّ و دخل بغير اذن [وَ لِلْكافِرينَ] بالولاية [اَمْثالُها ذٰلِكَ] التّدمير [بِاَنَّ اللهَ مَوْلَى الَّذينَ آمَنُوا] بالولاية لاالّذين كفروا بها [وَاَنَّ الْكافِرينَ] بالولاية [لا مَوْلىٰ لَهُمْ اِنَّ اللهَ يُدْخِلُ الَّذينَ آمَنُوا] مستأنفة جوابٌ لسؤالٍ مقدّر كأنّه قيل: مايفعل الله بهم فى كونه مولى لهم ؟ـ و ما يفعل بالكافرين فى كونهم لا مولى لهم ؟ـ والمراد بالايمان البيعة الخاصّة الولويّة اوالحالة الحاصلة بها ، او البيعة العامّة النّبويّة، والمراد بالعمل الصّالح البيعة الخاصّة [وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ جَنّاتٍ تَجْري مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهارُ وَالَّذينَ كَفَرُوا] بولاية ولىّ امرهم [يَتَمَتَّعُونَ] يتلذّذون [وَيَأْكُلُونَ كَما تَأْكُلُ الْاَنْعامُ] يعنى يتمتّعون كالانعام من غير نظرٍ الى عاقبتهم وعاقبة تمتّعهم [وَالنّارُ مَثْوىً لَهُمْ وَ كَاَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ اَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتي اَخْرَجَتْكَ] وهى مكّة [اَهْلَكْناهُمْ فَلا ناصِرَ لَهُمْ اَفَمَنْ كانَ] يعنى الم يكن عندنا تميزٌ فمن كان [عَلىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ] و هو علىٌّ(ع) كما مضى فى سورة هودٍ [كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا اَهْواءَهُمْ] عن الباقر (ع) هم المنافقون [مَثَلُ الْجَنَّةِ] جوابُ سؤالٍ مقدّر كأنّه قيل: ما وصف الجنّة الموعودة للمؤمنين وحكايتها؟ـ فقال: وصف الجنّة [الَّتي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فيها اَنْهارٌ مِنْ ماءٍ غَيْرِ آسِنٍ] غير متغيّر بحسب الطّعم والرّيح و اللّون و الجملة خبر المثل ، واكتفى عن الرّابط بكونها عين المبتدأ [وَاَنْهارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَاَنْهارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشّارِبينَ] مصدر بمعنى الوصف او وصف ، وخمر الجنّة لاحرمة فيها ولا نجاسة ولا غائلة خمار ولانتن ريحٍ ولا مرارة طعمٍ ولذلك وصفها باللّذّة [وَاَنْهارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى] ممّا يخالط العسل الدّنيوىّ [وَلَهُمْ فيها مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ] الدّنيويّة والاُخرويّة من ثمرات العلوم والمشاهدات والتّسبيح والتّحميد [وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ] فوق الكلّ [كَمَنْ هُوَ خالِدٌ فِي النّارِ] خبر مبتدءٍ محذوفٍ اى امن كان فى الجنّة فى تلك النّعم كمن هو خالدٌ فى النّار [وَسُقُوا ماءً حَميماً] مسخّناً و قد يكون الحميم بمعنى الماء البارد و لكنّ المراد ههنا الاوّل [فَقَطَّعَ اَمْعاءَهُمْ] من فرط حرارته ، وهذا مقابل الانهار الّتى وعد المتّقون [وَمِنْهُمْ] من المنافقين

[مَنْ يَسْتَمِعُ اِلَيْكَ حَتّى اِذٰا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ] يعنى انّ مقصودهم من الاستماع الاستهزاء بك او المعنى منهم من هو مطبوع على قلبه فيستمعون اليك ولا يفهمون كلامك حتّى اذا خرجوا من عندك [قٰالُوا] لعدم تفطّنهم بكلامك [لِلَّذِينَ اُوتُوا الْعِلْمَ مٰاذٰا قٰالَ اٰنِفًا اُولٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللّٰهُ عَلٰى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا اَهْوٰاءَهُمْ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا] الى ولاية علىّ (ع) [زٰادَهُمْ] الله، اومحمّد(ص)، اوماقال محمّد(ص)، اواستهزاء المنافقين [هُدىً وَاٰتٰيهُمْ] الضّمير الفاعل لواحد من المذكورات [تَقْوٰيهُمْ] يعنى صارسبباً لاتّصافهم بالتّقوى الّلائقة بهم اوآتاهم ثواب تقويهم من العلم والتّذكاوة [فَهَلْ يَنْظُرُونَ اِلَّا السّٰاعَةَ اَنْ تَأْتِيَهُمْ] بدل من السّاعة بدل الاشتمال، او بتقدير الّلام و تعليل لانتظارهم [بَغْتَةً فَقَدْ جٰاءَ اَشْرٰاطُهٰا] جمع الشّرط بالتّحريك بمعنى العلامة فانّ من علاماتها فى العالم الكبير بعثة محمّد(ص) وانشقاق القمر ونزول آخرالكتب ، وفى العالم الصّغيراوّل الاشراط نزول العقل من عالمه العلوىّ نبه ثمّ التّغييرات الّتى تكون فيه ثمّ الامراض الّتى ترد عليه وغيرذلك ممّا يدلّ على زواله ودثوره، وقرئ ان تأتهم بكسران وجزم تأتهم وجوابه فقدجاءاشراطها يعنى ان تأتهم بغتة فلاغروفيه فقدجاءاشراطها، اوجوابه قوله تعالى [فَاَنّٰى لَهُمْ اِذٰا جٰاءَتْهُمْ] السّاعة [ذِكْرٰيهُمْ] يعنى لاينفع ذكريهم اذا جاءتهم السّاعة ، ويجوزان يكون فاعل جاءتهم ذكريهم ، عن النّبىّ (ص) انّ من اشراط السّاعة ان يرفع العلم ، ويظهر الجهل ، ويشرب الخمر ، ويفشوالزّنا ، ويقلّ الرّجال ، وتكثرالنّساء ، حتّى انّ الخمسين امرأة فيهنّ واحد من الرّجال ،

حديثٌ فى احوال النّاس فى آخرالزّمان

وقال القمّىّ : انّ ابن عبّاس قال : حججنا مع رسول الله(ص) حجّة الوداع فأخذ بحلقة باب الكعبة ثمّ اقبل علينا بوجهه فقال: الا أخبركم باشراط السّاعة ؟- فكان ادنى النّاس منه يومئذ سلمان رحمه الله فقال : بلى يارسول الله (ص) ، فقال : انّ من اشراط القيامة اضاعة الصّلوات ، واتّباع الشّهوات ، والميل مع الاهواء ، وتعظيم اصحاب المال ، وبيع الدّين بالدّنيا ، فعندها يذاب قلب المؤمن فى جوفه كما يذاب الملح فى الماء ممّا يرى من المنكر فلايستطيع ان يغيّره ، قال سلمان : وانّ هذا لكائن يارسول الله(ص) ؟ - قال ، اى والّذى نفسى بيده ، يا سلمان انّ عندها يليهم امراء جوَرة ، ووزراء فسقة ، وعرفاء ظلمة ، وامناء خونة ، فقال سلمان: وانّ هذا لكائن يارسول الله(ص)؟- قال: اى والّذى نفسى بيده ، يا سلمان انّ عندها يكون المنكر معروفاً والمعروف منكراً ، ويؤتمن الخائن ويخون الامين ، ويصدّق الكاذب ويكذّب الصّادق ، قال سلمان : وانّ هذا لكائن يا رسول الله(ص)؟ - قال : اى والّذى نفسى بيده ، يا سلمان فعندها تكون امارة النّساء ومشاورة الاماء وقعود الصّبيان على المنابر ويكون الكذب ظرفاً [1] والزّكوة مغرماً والفيء مغنماً ، ويجفوالرّجل والديه ويبرّ صديقه ويطلع الكوكب المذنب، قال سلمان: وانّ هذا لكائن يارسول الله(ص) ؟ - قال : اى والّذى نفسى بيده ، يا سلمان وعندها تشارك المرأة زوجها فى التّجارة ، ويكون المطر قيظاً ويغيظ الكرام غيظاً، ويحتقر الرّجل المعسر فعندها تقارب الاسواق اذقال هذا: لم ابع شيئاً ، وقال هذا، لم اربح شيئاً فلاترى الّا ذامّاً لله ، قال سلمان: وانّ هذا لكائن يارسول الله(ص)؟- قال: اى والّذى نفسى بيده ، ياسلمان فعندها يليهم اقوام ان تكلّموا قتلوهم وان سكتوا استباحوهم ،ليستأثرون بفيئهم ،وليطؤنّ حرمتهم، وليسفكنّ دماءهم،وليملأنّ قلوبهم دغلاً ورعبا فلاتراهم الّاوجلين خائفين مرعوبين مرهوبين ، قال سلمان: وانّ هذا لكائن يا رسول الله(ص)؟-قال: اى والّذى نفسى بيده ، يا سلمان انّ عندها يؤتى بشيء من المشرق وبشيء من المغرب يلون امّتى ، فالويل لضعفاء امّتى منهم والويل لهم من الله لايرحمون صغيراً ولايوقّرون كبيراً ولايتخافون عن مسيء جثّتهم جثّة الآدميّين وقلوبهم قلوب الشّياطين، قال

(١) الظّرف كالضّرب والظّرافة وهو حسن القول اوحسن الوجه والهيئة اوحسن اللّسان والبراعة وذكاء القلب اومن لايوصف الّا الفتيان .

سلمان : وانّ هذا لكائن يا رسول الله (ص)؟ـ قال : اى والّذى نفسى بيده ، يا سلمان وعندها يكتفى الرّجال بالرّجال والنّساء بالنّساء ويُغار[1] على الغلمان كما يُغار على الجارية فى بيت اهلها ، وتشبّه الرّجال بالنّساء والنّساء بالرّجال وتركبن ذوات الفروج السّروج فعليهنّ من امّتى لعنة الله ، قال سلمان : وانّ هذا لكائن يارسول الله (ص)؟ـ قال: اى والّذى نفسى بيده ، ياسلمان انّ عندها تزخرف المساجد كما تُزخرف البيَع والكنائس وتحلّى المصاحف وتطوّل المنارات وتكثر الصّفوف بقلوب متباغضة والسن مختلفة ، قال سلمان : وانّ هذا الكائن يارسول الله (ص)؟ـ قال: اى والّذى نفسى بيده ، ياسلمان وعندها تحلّى ذكور امّتى بالذّهب ويلبسون الحرير والدّيباج ويتّخذون جلود النّمور صفافاً[2]، قال سلمان : وانّ هذا لكائن يا رسول الله (ص)؟ـ قال : اى والّذى نفسى بيده ، ياسلمان وعندها يظهر الرّبا ويتعاملون بالعينة[3] والرّشىٰ ، ويوضع الدّين وترفع الدّنيا ، قال سلمان : وانّ هذا الكائن يارسول الله (ص)؟ـ قال : اى والّذى نفسى بيده، ياسلمان وعندها يكثر الطّلاق فلا يقام لله حدٌّ ولن يضرّوا الله شيئاً ، قال سلمان : وانّ هذا الكائن يارسول الله (ص)؟ـ قال : اى والّذى نفسى بيده ، ياسلمان وعندها تظهر المغنّيات والمعازف[4] وتليهم اشرار امّتى ، قال سلمان : وانّ هذا لكائن يا رسول الله (ص)؟ـ قال : اى والّذى نفسى بيده ، يا سلمان وعندها يحجّ اغنياء امّتى للنّزهة ، ويحجّ اوساطهم للتّجارة ، ويحجّ فقراؤهم للرّيا والسّمعة فعندها تكون اقوام يتعلّمون القرآن لغير الله ويتّخذونه مزامير، ويكون اقوام يتفقّهون لغير الله ، ويكثر اولاد الزّنا ويتغنّون بالقرآن ويتهافتون[5] بالدّنيا ، قال سلمان : وانّ هذا لكائن يا رسول الله (ص)؟ـ قال: اى والّذى نفسى بيده ، ياسلمان ذلك اذا انتهكت المحارم واكتسبت المآثم، وسُلّط الاشرار على الاخيار، ويفشو الكذب ، وتظهر اللّجاجة ، وتفشو الفاقة ، ويتباهون فى اللّباس ، ويمطّرون فى غير اوان المطر ، ويستحسنون الكوبة[6] والمعازف ، وينكرون الامر بالمعروف والنّهى عن المنكر حتّى يكون المؤمن فى ذلك الزّمان اذلّ من الأمة ويظهر قرّاءهم وعبّادهم فيما بينهم التّلاوم فاولئك يدعون فى ملكوت السّماوات الارجاس الانجاس، قال سلمان : وانّ هذا لكائن يارسول الله (ص)؟ـ قال: اى والّذى نفسى بيده ، ياسلمان فعندها لا يخشى الغنىّ الّا الفقر حتّى انّ السّائل يسئل فيما بين الجمعتين لا يصيب احداً يضع فى كفّه شيئاً ، قال سلمان : وانّ هذا الكائن يارسول الله (ص)؟ـ قال : اى والّذى نفسى بيده ، ياسلمان عندها يتكلّم الرّوبيْضة ، فقال سلمان : وما الرّوبيْضة يارسول الله (ص)؟! فداك ابى وامّى ، قال: يتكلّم فى امر العامّة من لم يكن يتكلّم، فلم يلبثوا الّا قليلاً حتّى تخور الارض خورة فلا يظنّ كلّ قوم الّا انّها خارت فى ناحيتهم فيمكثون ماشاء الله ثمّ ينكثون فى مكثهم فتلقى لهم الارض افلاذ[7] كبدها ذهباً وفضّةً، ثمّ اومى بيده الى الاساطين فقال: مثل هذا، فيومئذ لا ينفع ذهبٌ ولا فضّةٌ فهذا معنى قوله: فقد جاء اشراطها [فَاعْلَمْ] يعنى اذا علمت ذلك فاعلم [اَنَّهُ لَا اِلٰهَ اِلَّا اللّٰهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللّٰهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ] تقلّبكم وانتقالاتكم فانّ لكم انتقالات من اوّل استقرار نطفكم ومواد كم فى الارحام الى آخر الدّنيا وهكذا فى البرازخ الى الاعراف، اومحالّ تقلّبكم من مراتب الدّنيا والبرازخ [وَمَثْوٰيكُمْ] فى مراتب الآخرة الّتى هى كثيرة بحسب مراتب النّاس [وَيَقُولُ الَّذِينَ اٰمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ] فى امر الجهاد اومطلقة والمراد بالمؤمنين مطلق المسلمين اوالمنافقون منهم اوالمؤمنون بالبيعة الخاصّة الولويّة [فَاِذَآ اُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ]

---

(١) اغار اهله تزوّج عليها . (٢) الصّفف = ما يلبس تحت الدرع . (٣) بيع العينة = بيع الشّىء الى اجل بزيادة على ثمنه . (٤) المعازف = آلات الطّرب كالطّنبور والعود . (٥) اى يتفاخرون ويتسابقون ، تهافت على الشّيء بمعنى تساقط وتتابع واكثر استعماله فى الشّر . (٦) الكوبة = النّرد والشّطرنج والطّبل الصّغير والبربط .
(٧) الفلذ = كبد البعير وافلاذ الارض كنوزها .

مبيّنة المعنى والمقصود، اوغير مايتطرّق فيه النّسخ، اوعزيمة احكامها الارخصٌ [وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ] يعنى ذكر فيها الحكم بالقتال على سبيل العزيمة [رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ] الّذين هم بعض السّائلين اورأيت السّائلين لكنّه وضع الظّاهر موضع المضمر لذمّهم و بيان علّة الحكم ، او رأيت الّذين فى قلوبهم مرضٌ وهم غير السّائلين [يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ] لشدّة خوفهم و دهشتهم [فَأَوْلَىٰ لَهُمْ] كلمة تهديدٍ وزجرٍ كأنّه نقل من اصله وصار من قبيل اسماء الاصوات، اومن قبيل الامثال لايغيّر وكان فى الاصل فعلاً من الولى بمعنى القرب، اومن آل بمعنى رجع مقلوباً اووصفاً منهما، او من الويل ، او بمعنى احرى ، وسيجيء تفصيله فى سورة القيامة وعلى هذا فهوخبر وقوله تعالى [طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ] مبتدءه، اوطاعةٌ مبتدءخبره محذوف اى خير ، وقرئ يقولون طاعة ، وحينئذٍ يكون المعنى يقولون لناطاعة وقول معروف [فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ] عزموا على الامر جدّوا فيه وقطعوا على فعله وعزم الامر بمعنى عُزم عليه [فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ] فيماقالوالولا انزل سورة اى فيمايستفاد منه من الحرص على الجهاد او فى مطلق ما قالوا وأقرّوا بلسانهم من الايمان والتّصديق بالله والرّسول (ص) وقبول الاحكام ، اوفيما اقرّوا به من امارة علىٍّ (ع) والتّسليم عليه بإمرة المؤمنين [لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ] ممّا يزعمونه خيراً من ايّام الدّنيا وتمتّعاتها [فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ] عن علىٍّ (ع) او ان تولّيتم امور النّاس، وقرئ ان تولّيتم بالبناء للمفعول اى ان تولّاكم النّاس [أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ] يعنى ان تولّيتم لم يكن لكم شأنٌ سوى الافساد فينبغى لكم ان لا ترجوا غيره حين التّولّى [وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ] الصّوريّة والمعنويّة [أُولَٰئِكَ] التفات من الخطاب الى الغيبة [الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ] يعنى اصمّ عن ادراك الجهة الاخرويّة من المسموعات واعمى ابصارهم كذلك [أ] يقدرون على التّأمّل فى الآيات والقرآن [فَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا] فلايقدرون على التّدبّر، ونكّر القلوب مع انّ المناسب ان يقول ام على قلوبهم للاشعار بانّ القلوب الّتى عليها اقفالها كأنّها ليست قلوب الانسان فلا يضاف اليهم ، او انّها لغاية حقارتها كأنّها لايمكن ان تعرّف ، واضافة الاقفال الى القلوب للاشارة الى انّ اقفال القلوب من سنخ القلوب لا من جنس الاقفال الصّوريّة وقد مضى فى اوّل البقرة انّ لكلٍّ من القلوب روزنةً الى الملكوت العليا و روزنةً الى الملكوت السّفلى، و باعتبار لكلٍّ بابٌ الى الملكوت العليا ، و بابٌ الى الملكوت السّفلى ، واذا انفتح كلٌّ من البابين اغلق الآخر [إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ] شبّه السّالك على طريق الدّين بمن سلك طريقاً ، والرّاجع عن الدّين بمن ارتدّ عن الطّريق على دبره وهذا حال المسلمين الّذين أسلموا بمحمّدٍ (ص) ثمّ خالفوه فى أوامره [مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى] بقول الله و قول رسوله والمراد بالهدى الولاية وطريقها وقد بيّنها الله تعالى فى عدّة آياتٍ وبيّنها رسول الله (ص) فى عدّة مواضع ، وقد ورد فى خبرٍ انّه (ص) اخذ البيعة منهم فى عشرة مواطن وفى خبرٍ آخر: اخذ البيعة عنهم يوم الغدير ثلاث مرّاتٍ [الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ] امليت له فى غيّه اطلت ، والبعير وسعت له فى قيده، واملى الله له امهله [ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ] فى علىٍّ (ع) وخلافته [سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ] قرئ مصدراً وجمعاً، قال الصّادق (ع) : فلانٌ وفلانٌ ارتدّوا عن الايمان فى ترك ولاية امير المؤمنين (ع) قال : نزلت والله فيهما وفى اتباعهما وهو قول الله عزّوجلّ الّذى نزّل به جبرئيل على محمّدٍ (ص) ذلك بأنّهم قالوا للّذين كرهوا ما نزّل الله فى علىٍّ (ع) سنطيعكم فى بعض الامر قال: دعوا بنى اميّة الى ميثاقهم الّا يصيروا الامر فينا بعد النّبىّ (ص) ولا يعطونا من الخمس شيئاً

وقالوا : ان اعطيناهم ايّاه لم يحتاجوا الى شيء ولم يبالوا ان لايكون الامر فيهم فقالوا : سنطيعكم فى بعض الامر الّذى دعوتمونا اليه وهو الخمس ان لانعطيهم منه شيئاً والّذى نزّل الله ما افترض على خلقه من ولاية اميرالمؤمنين (ع) وكان معهم ابوعبيدة وكان كاتبهم فانزل الله ام ابرموا امراً فانّا مبرمون ام يحسبون انّا لانسمع سرّهم و نجويهم (الآية) وعنهما (ع) انّهم بنو اميّة كرهوا ما نزّل الله فى ولاية علىّ (ع) [فَكَيْفَ] يكون حالهم اوكيف يحتاجون [اِذٰا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلٰائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَ اَدْبٰارَهُمْ ذٰلِكَ] الضّرب [بِاَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مٰا اَسْخَطَ اللّهَ وَكَرِهُوا رِضْوٰانَهُ] من ولاية علىّ (ع) فانّ الرّحمة والرّضا والرّضوان والنّعمة كلّها ولاية علىّ (ع) [فَأَحْبَطَ] الله او ذلك الاتّباع والكراهة [اَعْمٰالَهُمْ] عن الباقر (ع) قال : كرهوا عليّاً (ع) امرالله بولايته يوم بدر و يوم حنين و ببطن نخلة ويوم التّروية ويوم عرفة نزلت فيه خمس عشرة آية فى الحجّة الّتى صدّ فيها رسول الله (ص) عن المسجد الحرام وبالجحفة وبخمّ والمراد بحبط الاعمال حبط ماعملوها فى الاسلام [اَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ اَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللّهُ] ان لن يظهر الله [اَضْغٰانَهُمْ] لرسوله و للمؤمنين يعنى انّ هذا ظنٌّ فاسدٌ ونحن نخرج اضغانهم [وَلَوْنَشٰاءُ لَأَرَيْنٰاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمٰاهُمْ] يعنى لونشاء تعريفهم لك لأريناكهم حتّى تعرفهم بسيماهم ونفاقهم الباطنىّ [وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ الْقَوْلِ] ان لم تكن تعرفهم بسيماهم، ويجوز ان يكون الخطاب لمحمّد (ص) وان يكون لغير معيّن والمراد بلحن القول فحواه ومقصوده من الكناية والتّورية والتّعريض، اوامالته الى جهة التّعريض والتّورية، وعن ابى سعيد الخدرىّ قال : لحن القول بغضهم علىّ بن ابى طالب (ع) قال : وكنّا نعرف المنافقين على عهد رسول الله (ص) ببغضهم علىّ بن ابى طالب (ع)، وعن انس : انّه ما خفى منافقٌ على عهد رسول الله (ص) بعد هذه الآية [وَاللّهُ يَعْلَمُ اَعْمٰالَكُمْ] اسررتموها او اعلنتموها [وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ] بالامر بالجهاد او بمطلق التّكليف او بالبلايا وحوادث الدّهر، او بالخطرات ووسوسة الشّيطان والقائه الشّبه فى قلوبكم [حَتّٰى نَعْلَمَ الْمُجٰاهِدِينَ مِنْكُمْ] يعنى حتّى يظهر علمنا او نعلم فى مظاهرنا [وَالصّٰابِرِينَ وَنَبْلُوَ اَخْبٰارَكُمْ] الّتى تخبرونها عن انفسكم من انّكم آمنتم بالله و رسوله وصدّقتم رسوله فيما جاء به، او نبلو اخباركم الّتى يخبرون عنكم من انّكم دبّرتم خلاف ما قاله الرّسول (ص) فى علىّ (ع)، او نبلو اخباركم الّتى تخبرونها عن غيركم، وقرىء الافعال الثّلاثة بالغيبة ايضاً [اِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا] بالولاية [وَصَدُّوا] اعرضوا او منعوا غيرهم [عَنْ سَبِيلِ اللّهِ] الّذى هو علىٌّ (ع) و ولايته [وَشٰاقُّوا الرَّسُولَ] خالفوه او اتعبوه فى اهل بيته بعد اخذه الميثاق عليهم بولايته [مِنْ بَعْدِ مٰا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدٰى لَنْ يَضُرُّوا اللّهَ شَيْئًا] اولن يضرّوك اولن يضرّوا عليّاً (ع) [وَسَيُحْبِطُ اَعْمٰالَهُمْ] الّتى عملوها فى الاسلام [يٰااَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا] بعد ما اظهر انّ الّذين لم يطيعوا رسوله فى خلافة علىّ (ع) سيحبط اعمالهم نادى المؤمنين تلطّفاً بهم فقال : [اَطِيعُوا اللّهَ وَ اَطِيعُوا الرَّسُولَ] فيما امراكم به من ولاية علىّ (ع) حتّى لا يبطل اعمالكم [وَلٰاتُبْطِلُوا] بترك طاعتهما [اَعْمٰالَكُمْ اِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا] بالولاية [وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللّهِ] الّذى هو الولاية كرّره لكونه المقصود من السّورة المباركة [ثُمَّ مٰاتُوا وَهُمْ كُفّٰارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللّهُ لَهُمْ] ابداً [فَلٰا تَهِنُوا] لاتضعفوا ايّها المؤمنون عن المجاهدة و القتال مع الكفّار، او عن المجاهدة والمحاجّة مع المنافقين المخاصمين لعلىّ (ع) [وَتَدْعُوا اِلَى السَّلْمِ] اى ولاتدعوا الى الصّلح لضعفكم عن مخاصمتهم ، او لفظ الواو بمعنى مع و بعده

ان مقدّرة [وَاَنْتُمُ الْاَعْلَوْنَ] يعنى لاتهنوا ولاتدعوا الى الصّلح فى حال علوّكم عليهم اوليس المقصود تقييد النّهى بحال العلوّ بل هوحال فى معنى التّعليل لا التّقييد [وَاللهُ مَعَكُمْ] هذه الجملة يؤيّد المعنى الثّانى [وَلَنْ يَتِرَكُمْ اَعْمالَكُمْ] لن يضرّوكم من اعمالكم يعنى لن يضيع اعمالكم [اِنَّمَا الْحَيوٰةُ الدُّنْيا لَعِبٌ وَلَهْوٌ] قد تكرّر فى ماسلف بيان اللّعب واللّهو فاذاكان الدّنيا لعب الاطفال فما لكم تتعلّقون بها وتضعفون لذلك عن مقاتلتهم اومحاجّتهم [وَاِنْ تُؤْمِنُوا] بعلىّ (ع) [وَتَتَّقُوا] عن مخالفته [يُؤْتِكُمْ اُجُورَكُمْ وَلايَسْئَلْكُمْ اَمْوالَكُمْ] يعنى ان لم تؤمنوا بعلىّ (ع) ولم تتّقوا عن مخالفته يسألكم اموالكم اعتباراً لمفهوم المخالفة ، اوالمعنى ان تؤمنوا يؤتكم اعواض أعمالكم ولا يسألكم جميع اموالكم حتّى تثقل عليكم الايمان به، والضّمير فى يؤتكم و يسئلكم لله او لمحمّد (ص) او لعلىّ (ع) [اِنْ يَسْأَلْكُمُوها فَيُحْفِكُمْ] اى يجهدكم بمسئلته [تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ اَضْغانَكُمْ] اى يظهر احقادكم الّتى هى مكمونة فى قلوبكم [ها اَنْتُمْ هؤُلاءِ] قدمضى الكلمتان فى سورة آل عمران مع بيانٍ لهما [تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فى سَبِيلِ اللهِ] لا ان تعطوا رسولنا ، وتدعون لتنفقوا شيئاً يسيراً من اموالكم فى سبيل الله لا ان تعطوا كثيراً من اموالكم [فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ] بالانفاق بما فرض الله و بغيره [وَمَنْ يَبْخَلْ فَاِنَّما يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ] اى يبخل متجاوزاً عن خير نفسه فانّ الانفاق كما مضى فى اوّل البقرة مورثٌ لاخذ الاشرف و الاولى وقد مضى هناك ايضاً انّ الانفاق اعمّ من انفاق المال والقوى والجاه والقوّة والانانيّة [وَاللهُ الْغَنِىُّ] فلا يأمركم بالانفاق لحاجةٍ له اليه [وَاَنْتُمُ الْفُقَراءُ] فيأمركم بالانفاق لحاجتكم فى استكمالكم الى الانفاق [وَاِنْ تَتَوَلَّوْا] عن الايمان بعلىٍّ (ع) اوعن طاعة الرّسول (ص) فيما امركم به من الانفاق وغيره [يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ] القمّىّ قال: يدخلهم فى هذا الامر [ثُمَّ لايَكُونُوا اَمْثالَكُمْ] فى ان يقولوا بافواههم ما ليس فى قلوبهم وقد فسّر القوم الآخر بابناء الموالى فى عدّة اخبارٍ، وفى المجمع روى ابوهريرة انّ ناساً من اصحاب رسول الله (ص) قالوا: يارسول الله (ص) من هؤلاء الّذين ذكر الله فى كتابه؟ (وكان سلمان الى جنب رسول الله (ص)) فضرب يده على فخذ سلمان فقال : هذا وقومه، والّذى نفسى بيده لوكان الايمان منوطاً بالثّريّا تتناوله رجال من فارس ، وعن الصّادق (ع) : من اراد ان يعرف حالنا وحال اعدائنا فليقرأ سورة محمّدٍ (ص) فانّه يراها آيةً فينا وآيةً فيهم .



سورة الفتح

مدنيّة كلّها ، تسع وعشرون آيةً .

بسم الله الرّحمن الرّحيم

[اِنّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا] فتح كمنع ضدّ اغلق كفتّح من التّفعيل وافتتح، والفتح النّصر كالفتاحة بفتح الحاء ، ومنه الاستفتاح وافتتاح دار الحرب والحكم بين الخصمين كالفتاحة بالكسر والضّمّ وكالفتح بالضّمّتين، و يستعمل فى معنى العلم وفى انبساط القلب واتّصاله بعالم الملكوت ومشاهداته، وفيما يصل الى الانسان من جهة الباطن

اومن جهة الظّاهر من انواع فضل الله والكل ّمناسبٌ ههنا ، وقد قيل بكل ّ منها ببعضها صريحاً و ببعضها تلويحاً، فقيل : معناه قضينالك، وقيل: يسّرنا لك ، وقيل: اعلمناك ، وقيل: ارشدناك ، وقيل: فتحنا البلاد لك ، وقيل: اظفرناك على الاعداء بالحجّة والمعجزة حتّى لم يبق معاندٌ للاسلام ، وقيل: المراد به فتح مكّة له (ص)، وقيل : المراد به صلح الحديبيّة، وقيل: لم يكن فتح اعظم من صلح الحديبيّة، وذلك انّ المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فتمكّن الاسلام فى قلوبهم واسلم فى ثلاث سنين خلق كثيرٌ وقيل: بويع محمّدٌ (ص) بالحديبيّة بيعة الرّضوان واطعم نخيل خيبر، وظهرت الرّوم على فارس، وفرح المسلمون بظهور اهل الكتاب وهم الرّوم على المجوس اذ صدق به قوله تعالى و هم من بعد غلبهم سيغلبون، وعن الصّادق (ع) قال: سبب نزول هذه السّورة وهذا الفتح العظيم انّ الله عزّ وجلّ امر رسوله فى النّوم ان يدخل المسجد الحرام و يطوف و يحلّق مع المحلّقين فاخبر اصحابه وامرهم بالخروج فخرجوا ، فلمّا نزل ذا الحليفة[1] احرموا بالعمرة وساقوا البُدُن وساق رسول الله (ص) ستّة وستّين بدنة واشعرها عند احرامه واحرموا من ذى الحليفة ملبّين بالعمرة وقد ساق من ساق منهم الهدى معرّات مجلّلات، فلمّا بلغ قريشاً ذلك بعثوا خالد بن الوليد فى مأتى فارس كميناً ليستقبل رسول الله (ص) وكان يعارضه على الجبال فلمّا كان فى بعض الطّريق حضرت صلوة الظّهر فأذّن بلالٌ فصلّى رسول الله (ص) بالنّاس فقال خالد بن الوليد: لو كنّا حملنا عليهم وهم فى الصّلوة لاصبناهم فانّهم لا يقطعون صلوتهم ولكن تجيء الآن لهم صلوة اخرى احبّ اليهم من ضياء ابصارهم فاذا دخلوا فى الصّلوة اغرنا اليهم، فنزل جبرئيل على رسول الله (ص) بصلوة الخوف فلمّا كان فى اليوم الثّانى نزل رسول الله (ص) الحديبيّة وهى على طرف الحرم وكان رسول الله (ص) يستنفر الاعراب فى طريقه معه فلم يتّبعه احد و يقولون : ايطمع محمّدٌ (ص) واصحابه ان يدخلوا الحرم وقد غزتهم قريش فى عقر ديارهم فقتلوهم، انّه لا يرجع محمّد (ص) واصحابه الى المدينة ابداً ، فلمّا نزل رسول الله (ص) الحديبيّة خرجت قريش يحلفون باللّات والعزّى لا يدعون رسول الله (ص) يدخل مكّة وفيهم عينٌ تطرف فبعث اليهم رسول الله (ص) انّى لم آت لحرب وانّما جئت لاقضى نسكى وانحر بُدنى واخلّى بينكم و بين لحمانها، فبعثوا عروة بن مسعود الثّقفىّ وكان عاقلاً لبيباً وهو الّذى انزل الله فيه: وقالوا لولا نُزّل هذا القرآن على رجلٍ من القريتين عظيم فلمّا أقبل الى رسول الله (ص) عظّم ذلك وقال : يا محمّد (ص) تركت قومك وقد ضربوا الابنية واخرجوا العوذ[2] المطافيل[3] يحلفون باللّات والعزّى لا يدعوك تدخل مكّة حرمهم وفيهم عين تطرف، افتريد ان تبير اهلك وقومك يا محمّد (ص)؟- فقال رسول الله (ص) : ما جئت لحربٍ وانّما جئت لاقضى مناسكى و انحر بدنى واخلّى بينكم و بين لحمانها ، فقال عروة: والله ما رأيت كاليوم احداً صُدّ كما صُددت، فرجع الى قريش فاخبرهم، فقالت قريش: والله لئن دخل محمّد (ص) مكّة وتسامعت به العرب لتذلّلنّ ولتجرئنّ علينا العرب فبعثوا حفص بن الاحنف وسهيل بن عمرو فلمّا نظر اليهما رسول الله (ص) قال : ويح قريشٍ قد نهكتكم الحرب الّا خلّوا بينى و بين العرب فان أك صادقاً فانّى اجرّ الملك اليهم مع النّبوّة ، و ان أك كاذباً كفتهم ذؤبان العرب لا يسئلنّى اليوم امرء من قريش خطّةً ليس لله فيها سخط الّا اجبتهم اليه فلمّا وافوا رسول الله (ص) ، قالوا يا محمّد (ص) الا ترجع عنّا عامك هذا الى ان ننظر الى ما يصير امرك وامر العرب ؟- فانّ العرب قد تسامعت بمسيرك فاذا دخلت بلادنا وحرمنا استذلّتنا العرب واجترأت علينا و نخلّى لك البيت فى العام القابل فى هذا الشّهر ثلاثة ايّام حتّى تقضى نسكك وتنصرف عنّا، فأجابهم رسول الله (ص) الى ذلك، وقالوا له تردّ الينا كلّ من جاءك من رجالنا، ونردّ اليك كلّ من جاءنا من رجالك، فقال رسول الله (ص) : من جاءكم من رجالنا فلا حاجة لنا فيه ولكن على انّ المسلمين بمكّة لا يؤذون فى اظهارهم الاسلام

شرحٌ فى صلح الحديبيّة

---

(١) ذوالحليفة هو بالتّصغير موضع على ستة اميال من المدينة و ميقات المدينة . (٢) العوذ جمع العائذ = الحديثات النتاج من كلّ انثى . (٣) المطافل و المطافيل جمع المُطفل = ذات الطّفل من الانس والوحش .

ولا يُكرهون ولا ينكر عليهم شيء ٌ يفعلونه من شرائع الاسلام ، فقبلوا ذلك ، فلمّا اجابهم رسول الله (ص) الى الصّلح انكر عامّة اصحابه و اشدّ ماكان انكاراً عمر، فقال: يا رسول الله (ص) السنا على الحقّ وعدوّنا على الباطل؟ - فقال : نعم ، فقال : فنعطى الذّلّة فى ديننا ، فقال : انّ الله عزّوجلّ قد وعدنى ولن يخلفنى ، قال : ولو انّ معى اربعين رجلاً لخالفته ، و رجع سهيل بن عمرو و حفص بن الاحنف الى قريش فأخبراهم بالصّلح ، فقال عمر : يارسول الله (ص)، الم تقل لنا ان ندخل المسجد الحرام ونحلّق مع المحلّقين؟ ! فقال: أمن عامنا هذا وعدتك؟ ! قلت لك: انّ الله عزّوجلّ قد وعدنى ان افتح مكّة واطوف واسعى واحلّق مع المحلّقين، فلمّا اكثروا عليه قال لهم : ان لم تقبلوا الصّلح فحاربوهم، فمرّوا نحو قريش وهم مستعدّون للحرب وحملوا عليهم فانهزم اصحاب رسول الله (ص) هزيمة قبيحة ومرّوا برسول الله (ص) ، فتبسّم رسول الله (ص) ثمّ قال : يا علىّ (ع) ، خذ السّيف واستقبل قريشاً فأخذ اميرالمؤمنين (ع) سيفه وحمل على قريش فلمّا نظروا الى اميرالمؤمنين (ع) تراجعوا ثمّ قالوا : يا علىّ (ع) بدا لمحمّد (ص) فيما أعطانا ؟- فقال : لا ، وتراجع اصحاب رسول الله (ص) مستحيين واقبلوا يعتذرون الى رسول الله (ص) ، فقال لهم رسول الله (ص) : الستم اصحابى يوم بدرٍ اذ انزل الله عزّوجلّ فيكم ، اذ تستغيثون ربّكم فاستجاب لكم انّى ممدّكم بالف من الملائكة مردفين ؟- الستم اصحابى يوم احد اذ تصعدون ولا تلوون على احدٍ والرّسول يدعوكم فى أُخريكم، الستم اصحابى يوم كذا ؟- الستم اصحابى يوم كذا ؟- فاعتذروا الى رسول الله (ص) وندموا على ماكان منهم وقالوا : الله اعلم ورسوله، فاصنع ما بدا لك ورجع حفص بن الاحنف وسهيل بن عمرو الى رسول الله (ص) ،فقالا : يامحمّد (ص) قد اجابت قريش الى ما اشترطت من اظهار الاسلام و ان لايكره احد على دينه ، فدعا رسول الله (ص) بالمكتب ودعا اميرالمؤمنين (ع) وقال له: اكتب ، فكتب بسم الله الرّحمن الرّحيم ، فقال : سهيل بن عمرو : لانعرف الرّحمن ، اكتب كما كان يكتب آباؤك باسمك اللّهمّ ،فقال رسول الله (ص) : اكتب باسمك اللّهمّ فانّه اسم من اسماء الله ، ثمّ كتب: هذا ما تقاضى عليه محمّد رسول الله (ص) والملأ من قريشٍ ، فقال سهيل بن عمرو: لوعلمنا انّك رسول الله (ص) ماحاربناك،اكتب هذا ما تقاضى عليه محمّد بن عبدالله، اتأنف من نسبك يامحمّد (ص)؟-فقال رسول الله (ص) : انا رسول الله (ص) وان لم تقرّوا ، ثمّ قال : امح ياعلىّ (ع) واكتب محمّد بن عبدالله ، فقال اميرالمؤمنين (ع) : ما امحو اسمك من النّبوّة ابداً ، فمحاه رسول الله (ص) بيده ، ثمّ كتب : هذا ما اصطلح محمّد بن عبدالله و الملأ من قريش و سهيل ٌ اصطلحوا على وضع الحرب عشر سنين على ان يكفّ بعضنا عن بعضٍ ، وعلى انّه لا اسلال ولا اغلال و انّ بيننا و بينهم غيبة مكفوفة، وانّ من احبّ ان يدخل فى عهد محمّد (ص) وعقده فعل، ومن احبّ ان يدخل فى عهد قريش وعقدها فعل، وانّه من أتى محمّداً (ص) بغير اذن وليّه ردّه اليه ، وانّه من أتى قريشاً من اصحاب محمّد (ص) لم تردّه اليه ، وان يكون الاسلام ظاهراً بمكّة ولايكره احدٌ على دينه ولا يؤذى ولا يعيّر،وانّ محمّداً (ص) يرجع منهم عامه هذا واصحابه ثمّ يدخل علينا فى العام المقبل مكّة فيقيم فيها ثلاثة ايّامٍ ولا يدخل عليها بسلاحٍ الّا سلاح المسافر، السّيوف فى القراب، وكتب علىّ بن ابى طالبٍ (ع) وشهد الكتاب المهاجرون والانصار، ثمّ قال رسول الله (ص) : ياعلىّ (ع) انّك ابيت ان تمحو اسمى من النّبوّة فوالّذى بعثنى بالحقّ نبيّاً لتجيبنّ ابناءهم الى مثلها وانت مضيض[1] مضطهد[2]؛ فلمّا كان يوم صفّين ورضوا بالحكمين كتب: هذا ما اصطلح عليه اميرالمؤمنين علىّ بن ابى طالبٍ (ع) ومعاوية بن ابى سفيان،فقال عمرو بن العاص: لوعلمنا انّك اميرالمؤمنين (ع) ماحاربناك ولكن اكتب هذا ما اصطلح عليه علىّ بن ابى طالب (ع) معاوية بن ابى سفيان، فقال اميرالمؤمنين (ع) : صدق الله وصدق رسوله اخبرنى رسول الله (ص) بذلك ، فلمّا كتبوا الكتاب قامت خزاعة

(١) مض مضيضاً = آلمه و اوجعه — احرقه وشقّ عليه . (٢) اضطهده = قهره ، اذاه بسبب المذهب .

فقالت: نحن فی عهد محمّد (ص) وعقده، وقامت بنو بكر فقالت: نحن فی عهد قريش وعقدها، وكتبوا نسختين نسخة عند رسول الله (ص) ونسخة عند سهيل بن عمرو، ورجع سهيل بن عمرو وحفص بن الاحنف الى قريش فاخبراهم وقال رسول الله (ص) لاصحابه: انحروا بدنكم واحلقوا رؤسكم فامتنعوا وقالوا: كيف ننحر ونحلق ولم نطف بالبيت؟ - ولم نسع بين الصّفا والمروة؟! فاغتمّ لذلك رسول الله (ص) وشكا ذلك الى امّ سلمة، فقالت: يا رسول الله (ص) انحر انت واحلق فنحر رسول الله (ص) وحلق فنحر القوم على حيث يقين وشكّ وارتياب، فقال رسول الله (ص) تعظيماً للبدن: رحم الله المحلّقين، وقال قوم لم يسوقوا البدن: يا رسول الله والمقصّرين لانّ من لم يسق هدياً لم يجب عليه الحلق، فقال رسول الله (ص) ثانياً: رحم الله المحلّقين الّذين لم يسوقوا الهدى، فقالوا: يا رسول الله (ص) والمقصّرين، فقال: رحم الله المقصّرين، ثمّ رحل رسول الله (ص) نحو المدينة فرجع الى التّنعيم ونزل تحت الشّجرة فجاء اصحابه الّذين انكروا عليه الصّلح واعتذروا واظهروا النّدامة على ما كان منهم وسألوا رسول الله (ص) ان يستغفر لهم، فنزلت آية الرّضوان.

اعلم، انّ اختلاف الاقوال والاخبار فی بيان هذا الفتح وتعليله بمغفرة الله ذنوبه المتقدّمة وذنوبه المتأخّرة وقول النّبیّ (ص) بعد نزول هذه الآية وهذه السّورة: لقد نزلت علیّ آية هی احبّ الیّ من الدّنيا وما فيها، وتعقيب غفرانه باتمام النّعمة والهداية والنّصر وانزال السّكينة كلّها يدلّ على انّ المراد بهذا الفتح ليس فتح مكّة ولا فتح خيبر ولا فتح سائر البلاد فقط بل المراد فتحٌ هو اصل سائر الفتوح وهو فتح باب الارواح الى الجبروت بل الى اللّاهوت، وفی هذا الفتح يكون جميع الفتوحات من فتح البلاد ومن ايصال النّعم الصّوريّة والمعنويّة والنّصر على الاعداء والحكم بينه وبين اعدائه وكيفيّة الحكومة بين الخلق والعلم بالاشياء، وبالجملة هذا الفتح هو الّذی يصير سبباً لغفران ذنوب من اتّصل به ودخل تحت لوائه كائناً من كان وان كان ذنوبه بعدد قطرات البحار واجزاء الرّمال ولذلك قال علیّ (ع): دينكم دينكم فانّ السّيّئة فيه مغفورة والحسنة فی غيره غير مقبولة، وهذا الفتح هو الّذی لا يبقى معه نقص وقصور لصاحبه، وبهذا الفتح يصير صاحبه خاتماً للكلّ فی الكلّ، وهذا الفتح هو الّذی يكون احبّ الاشياء الى صاحبه [لِيَغْفِرَ لَكَ اللّٰهُ مٰا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمٰا تَأَخَّرَ].

اعلم، انّ ذنب كلّ انسان بحسب مقامه ومنزلته، فانّ حسنات الابرار سيّئات المقرّبين وتوبة الانبياء من الالتفات الى غير الله كما انّ توبة الاولياء من خطرات القلوب وقد قال فيما نسب اليه: انّه ليُران على قلبی وانّی لاستغفر الله كلّ يوم سبعين مرّة، وانّ الرّسول لمّا كان أباً لجميع امّته والابوّة الرّوحانيّة كما مرّ فی سورة البقرة عبارة عن تنزّل الاب الى مقام الابن والبنت وصيرورته فعليّة اخيرة لهما من غير تجافٍ عن مقامه العالی وكان شيئيّة الشّیء بفعليّته الاخيرة كان الرّسول شيئيّة كلّ امّته وفعليّتهم الاخيرة، فما ينسب الى امّته من الذّنوب صحّ ان ينسب اليه بوجهٍ، وما غفر الله لامّته من ذنوبهم صحّ ان يقال: غفر الله تعالى له ذنوبه بمغفرة ذنوب امّته، ولمّا كان رسالته خاتم الرّسالات وكلّ الانبياء كانوا تحت لوائه وتحت رسالته وكلّ الشّرائع تحت شريعته صحّ ان يقال: انّ من كان على دينٍ من آدم (ع) وامّته الى انقراض العالم كلّهم كانوا امّته فصحّ ان يقول الله تعالى: انّا فتحنا لك هذا الفتح العظيم ليغفر لك الله ما تقدّم من ذنوبك اللّائق بشأنك على هذا الفتح وما تأخّر وصحّ ان يقول: ليغفر لك الله ما تقدّم من ذنوب امّتك المتقدّمين من لدن آدم (ع) وما تأخّر من ذنوب امّتك المتأخّرين الى انقراض العالم، وصحّ ان يقول: انّا فتحنا لك مكّة ليغفر لك الله ما تقدّم من ذنبك بزعم مشركی مكّة على زمان الفتح وما تأخّر فانّه كان اعظم ذنباً عندهم من كلّ مذنبٍ او ما تقدّم على الهجرة وما تأخّر عنها كما ورد عن الرّضا (ع)، وصحّ ان يقال المعنى: انّا اظفرناك على

الامم او اعلمناك او تفضّلنا عليك بالنّعم الصّوريّة والمعنويّة ليغفر لك الله ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر، ومن ههنا يظهر وجه الالتفات من التّكلّم الى الغيبة فانّ ذنوب الامّة ليست الّا فى غيبته تعالى وكذلك مغفرتهم و ذنبه الّذى هو الالتفات الى غير الله ليس الّا بالغفلة من الله غفلة لائقة بشأنه وفى غيبته، ومغفرته الّتى لاتكون الّا للمذنب فى اىّ حال كان كانت فى غيبته فان اللّطيفة الحاضرة عند الله ليس لها ذنب، واللّطيفة المذنبة لاتصير حاضرة عند الله، وايضاً غفران الّذنوب واتمام النّعم وسائر ماذكر فى الآية ليست الّا باسمه الجامع الّذى يعبّر عنه بالله [وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ] اتمام النّعمة ليس الّا لمن فتح له باب اللّاهوت وعرج عن الملكوت و الجبروت اللّتين هما من عالم الامكان الى اللّاهوت الّتى هى فوق الامكان، ولايمكن ذلك الّا بهذا الفتح المذكور [وَيَهْدِيَكَ صِراطاً مُسْتَقِيماً] وهو الخروج من الافراط والتّفريط الّذى هو احدّ من السّيف وادقّ من الشّعر، وتنكير الصّراط للتّفخيم [وَيَنْصُرَكَ اللهُ نَصْراً عَزِيزاً] لا يوجد مثله، او نصراً يصير سبباً للغلبة و المناعة [هُوَ الَّذِى اَنْزَلَ السَّكِينَةَ] قد مضى بيان السّكينة فى اواخر سورة البقرة عند قوله تعالى: انّ آية ملكه ان يأتيكم التّابوت فيه سكينة من ربّكم (الآية) وفى سورة التّوبة وسورة يوسف (ع)، وانّ المراد بالسّكينة ظهور ملكوت ولىّ الامر على صدر المؤمن و بهذا الظّهور يحصل له جميع ماورد فى الاخبار من معانى السّكينة، وهذا هو الّذى ينبغى ان يظهره الله فى مقام الامتنان [فِى قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدادُوا اِيماناً] شهودياً [مَعَ اِيمانِهِمْ] العلمىّ والحالىّ فانّه اذا ظهر ملكوت ولىّ الامر على المؤمن يصير ايمانه العلمىّ قريناً لايمانه الشّهودىّ [وَلِلّٰهِ جُنُودُ السَّمٰواتِ وَالْاَرْضِ] كأنّه بعد ماسبق فى سورة التّوبة من قوله تعالى بعد ذكر انزال السّكينة و انزل جنوداً لم تروها و ايّده بجنود لم تروها كان التّأييد بالجنود الغيبيّة مسلّماً بعد انزال السّكينة فقال : و انّ الجنود الغيبيّة الّتى لا تنفكّ عن تلك السّكينة لله فهو الّذى انزل الجنود الغيبيّة للمؤمنين كما انزل السّكينة عليهم فقوله : ولله جنود السّموات مفيد معنى ايّدهم بجنود لم تروها مع شيء زائد ، او المقصود من قوله ولله جنود السّموات والارض تعميم الامتنان بسائر القوى والمدارك بعد الامتنان بانزال السّكينة عليهم كأنّه قال: لا اختصاص لامتناننا على المؤمنين بانزال السّكينة بل جميع المدارك والقوى الّتى هى من جنود السّماوات وجميع الاعضاء الآليّة والاعصاب والاوتار المحرّكة الّتى هى من جملة جنود الارض من عطيّته ، او المقصود ترغيب المؤمنين و تطميعهم بعد ذكر الامتنان بانزال السّكينة فى انزال الجنود الّتى لم يروها كأنّه قال: فاطلبوا جنود السّماوات والارض منه [وَكانَ اللهُ عَلِيماً] بمصالحكم فيعلم وقت استعدادكم لانزال السّكينة و وقت اصلاحكم بها و افسادكم بها ، ويعلم وقت صلاحكم بتأييدكم بالجنود وعدم تأييدكم [حَكِيماً] لايفعل ما يفعل الّا بعد المراقبة لجميع دقائق احوالكم و استحقاقكم ولا يفعل ما يفعل الّا بالاتقان فى فعله بحيث لايتطرّق الخلل فيه [لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ] تعليل لقوله تعالى ليغفر لك الله و هذا هو المناسب لتفسير المغفرة بمغفرة ذنوب امّته، اولقوله يتمّ نعمته، اوليهديك، اولينصرك الله، اولانزل السّكينة، اوليزدادوا ايماناً، اولمفهوم قوله لله جنود السّماوات و الارض، اوللجميع على سبيل التّنازع، اوتعليل لمحذوف، اوفعل مافعل ليدخل المؤمنين والمؤمنات [جَنّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهارُ] قد مضى فى آخر سورة آل عمران بيان لكيفيّة جريان الانهار من تحت الجنّات عند قوله فالّذين هاجروا و اخرجوا من ديارهم [خالِدِينَ فِيها وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ] بزيلها

عنهم [وَ كانَ ذٰلِكَ] الادخال و التّكفير [عِنْدَاللّٰهِ فَوْزًا عَظِيمًا وَ يُعَذِّبَ الْمُنافِقِينَ وَالْمُنافِقاتِ] الّذين نافقوا مع محمّد(ص) او فى حق علىّ (ع) [وَالْمُشْرِكِينَ] بالله او بالرّسول او بالولاية و هو المنظور اليه [وَالْمُشْرِكاتِ الظّانّينَ بِاللّٰهِ ظَنَّ السَّوْءِ] و هو ظنّ انّه لاينصر رسوله فى سفره الى مكّة [عَلَيْهِمْ دائِرَةُ السَّوْءِ] الّتى تظنّونها للمؤمنين من هلاكهم بأيدى قريش ، قال القمّىّ: وهم الّذين انكروا الصّلح واتّهموا رسول الله (ص) [وَغَضِبَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَاَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَساءَتْ مَصِيرًا وَ لِلّٰهِ جُنُودُ السَّمٰواتِ وَالْاَرْضِ] كرّره تقوية ً لقلوب المؤمنين و تخييباً لظنّ المنافقين [وَ كانَ اللّٰهُ عَزِيزًا] لايغلب على ما يريد [حَكِيمًا] لايفعل الّا ما فيه صلاح المؤمنين ولاينظر الى اهوية المؤمنين او المنافقين [اِنّا اَرْسَلْناكَ] جواب سؤال عن علّة ادخال المؤمنين الجنّات ، و تعذيب المنافقين غاية لمغفرة ذنوب المؤمنين الّتى هى غاية للفتح المبين كانّه قيل: لم يدخل الله المؤمنين الجنّات ويعذّب المنافقين بسبب الفتح المبين للنّبىّ (ص) ؟- فقال : لانّا ارسلناك ايّها النّبىّ (ص) [شاهِدًا] عليهم بحالك وقالك، فمن اتّصل بك تشهد له فيدخل الجنّة، ومن لم يتّصل بك تشهد عليه فيعذّب [وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا] للمؤمنين و الكافرين [لِتُؤْمِنُوا] صرف الخطاب عنه (ع) الى امّته للاشارة الى انّ غاية الارسال ايمان المؤمنين [بِاللّٰهِ وَ رَسُولِهِ وَ تُعَزِّرُوهُ] قرئ من باب الافعال والتّفعيل والثّلاثىّ المجرّد من باب ضرب ونصر، وقرئ تعزّزوه بالزّائين المعجمتين [وَتُوَقِّرُوهُ] قرئ من باب التّفعيل والافعال [وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَاَصِيلًا اِنَّ الَّذِينَ يُبايِعُونَكَ] جوابُ سؤالٍ مقدّرٍ فى مقام التّعليل ، او فى مقام بيان الحال ، كأنّه قيل: ماحال البائعين مع الرّسول (ص) ؟- فقال تعالى : انّ الّذين يبايعونك [اِنَّما يُبايِعُونَ اللّٰهَ] لانّك مظهرٌ لله ولا حكم للمظهر حين ظهور الظّاهر فيه وانّما الحكم للظّاهر فقط [يَدُاللّٰهِ] لايدك [فَوْقَ اَيْدِيهِمْ] وقد مضى تفصيلٌ لاخذ البيعة عند قوله الم يعلموا انّ الله هو يقبل التّوبة عن عباده ، وعند قوله انّ الله اشترى من المؤمنين (الآية) من سورة التّوبة وقد ذكر بيانٌ للبيعة فى غير هذه السّورة ايضاً [فَمَنْ نَكَثَ] نقض البيعة بنقض شروطها وعدم الاتيان بها ، او بالاعراض عنها وفسخها [فَاِنَّما يَنْكُثُ عَلٰى نَفْسِهِ] لانّ ضرره عائدٌ اليها [وَمَنْ اَوْفٰى بِما عاهَدَ عَلَيْهُ اللّٰهَ] قرئ بضمّ الهاء فى عليه حفظاً لتفخيم لفظ الله [فَسَيُؤْتِيهِ اَجْرًا عَظِيمًا] لايمكن ان يوصف ، قال القمّىّ: نزلت الآية فى بيعة الرّضوان لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشّجرة و اشترط عليهم ان لا ينكروا بعد ذلك على رسول الله (ص) شيئاً يفعله ولايخالفوه فى شيءٍ يأمرهم به فقال عزّوجلّ بعد نزول آية الرّضوان: انّ الّذين يبايعونك انّما يبايعون الله يدالله فوق ايديهم (الآية) وانّما رضى الله عنهم بهذا الشّرط ان يفوا بعد ذلك بعهدالله و ميثاقه ولاينقضوا عهده وعقده فبهذا العقد رضى الله عنهم فقدّموا فى التّأليف آية الشّرط على آية الرّضوان : وانّما نزلت اوّلاً بيعة الرّضوان ثمّ آية الشّرط فيها [سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْاَعْرابِ] الّذين استنفرهم رسول الله (ص) عام الحديبيّة فاعتلّوا و اعتذروا بالشّغل باموالهم واهاليهم و انّما خلّفهم خوفهم من قريش فانّهم قالوا انّ قريشاً غزت محمّداً (ص) فى عقر داره وهو يريد ان يدخل عليهم ديارهم لايفلت منهم احدٌ ابداً [شَغَلَتْنا اَمْوالُنا وَاَهْلُونا فَاسْتَغْفِرْ لَنا] لتخلّفنا وهذا من الاخبار بالمغيبات [يَقُولُونَ بِاَلْسِنَتِهِمْ ما لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ

قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا اِنْ اَرادَ بِكُمْ ضَرًّا] على التّخلّف او مطلقاً [اَوْ اَرادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كانَ اللهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرًا] فاحذروا ممّا تعملون [بَلْ ظَنَنْتُمْ] يعنى ليس شغلتكم اموالكم واهلوكم بل خفتم عن قريش لانّكم ظننتم انّهم يغلبون ويقتلون محمّداً (ص) واصحابه و [اَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ اِلى اَهْلِيهِمْ اَبَدًا وَزُيِّنَ ذلِكَ] اى استحكم ذلك [فِي قُلُوبِكُمْ] بحيث لاتحتملون غيره [وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ] بالله ورسوله [وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا] هالكين عن الحيوة الانسانيّة [وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ] وظنّ لهما ظنّ السّوء [فَاِنّا اَعْتَدْنا لِلْكافِرِينَ] وضع الظّاهر موضع المضمر لذمّ آخر لهم وللاشعار بعلّة الحكم [سَعِيرًا وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمواتِ وَالْاَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ] بحسب استعداد كلّ فانّ مشيّته ليست جزافيّة [وَكانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا] ترجيح لجانب الرّجاء واشعار بانّ المغفرة والرّحمة ذاتيّة له ، والتّعذيب داخل فى قضائه بالقصد الثّانى [سَيَقُولُ] لكم [الْمُخَلَّفُونَ اِذَا انْطَلَقْتُمْ اِلى مَغانِمَ] كمغانم خيبر [لِتَأْخُذُوها ذَرُونا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ اَنْ يُبَدِّلُوا كَلامَ اللهِ] يعنى قوله انّ الخارجين الى مكّة المصدودين عن طواف البيت مخصوصون بمغانم خيبر بدلاً من دخول مكّة اوقوله انّ المتخلّفين لايتّبعوكم فى مغانم خيبر [قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونا] أتى بنفى التّأبيد مكان النّهى اشارة الى تحقّقه وتأكيداً له [كَذلِكُمْ قالَ اللهُ مِنْ قَبْلُ] انّكم لا تكونون معنا فى مغانم خيبر [فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنا بَلْ كانُوا لا يَفْقَهُونَ اِلّا قَلِيلًا] يعنى لايدركون من امر الآخرة فى المخاطبات الّا قليلاً فلذلك يحملون قولكم ومنعكم على الحسد الّذى هى من اوصاف الدّنيا [قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ] وضع الظّاهر موضع المضمر تصريحاً بذمّهم [مِنَ الْاَعْرابِ سَتُدْعَوْنَ اِلى قَوْمٍ اُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ] قيل: هم هوازن وثقيف [تُقاتِلُونَهُمْ اَوْ يُسْلِمُونَ فَاِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللهُ اَجْرًا حَسَنًا] الغنيمة والجنّة [وَاِنْ تَتَوَلَّوْا كَما تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ] يعنى عن الحديبيّة [يُعَذِّبْكُمْ عَذابًا اَلِيمًا لَيْسَ عَلَى الْاَعْمى حَرَجٌ] لمّا اوعد المتخلّفين وذمّهم استثنى منهم فى الذّمّ والايعاد هؤلاء لئلّا يتوهّم انّهم موعدون [وَلا عَلَى الْاَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ] من غير المعذّرين او من مطلق المسلمين [يُدْخِلْهُ جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهارُ] قد مضى بيان جريان الانهار من تحت الجنّات فى آخر سورة النّساء [وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذابًا اَلِيمًا] تأكيد لمفهوم قوله ان تتولّوا كما تولّيتم من قبل وتعليل له [لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ] .

اعلم، انّ رضا الله عن العبد ليس الّا حين رضا العبد عن الله، وهل رضا العبد مقدّم اورضا الله؟ ـ الاخبار وكلمات الابرار فى ذلك مختلفة ، ولعلّ اهل الشّهود منهم ما حقّقوا ذلك ولذلك اظهر بعضهم التّحيّر فيه وفى امثاله . والتّحقيق انّ هذه المسألة دوريّة بمعنى انّ ذكر الله اوتوبته اورضاه مقدّم بحسب مرتبة منه على ما للعبد بحسب مرتبة منه وما للعبد مقدّم على ما لله بحسب مرتبة اخرى بل التّحقيق انّ ما للعبد عين ما لله لكن نسبته الى الله مقدّمة فى نفس الامر على نسبته الى العبد لكن اعتبار تلك النّسبة يختلف بحسب حال النّاظر، فمن كان نظره الى الله مقدّماً على نظره الى نفسه

كماورد عن عليّ (ع): ما رأيت شيئاً الّا ورأيت الله قبله ،كان نسبته الى الله مقدّمة على نسبته الى العبد ، ومن كان نظره الى نفسه مقدّماً على نظره الى الله كان نسبته الى العبد مقدّمة ، ومن كان نظره اليهما على السّواء كان متحيّراً فى التّقديم والتّأخير والى هذين النّظرين اشير فى الخبر بقوله (ص) : مارأيت شيئاً الّا ورأيت الله بعده و بقوله (ص) : مارأيت شيئاً الّا ورأيت الله فيه ، وامّا من لم ير مثل المعتزلىّ الّا نسبة الافعال والصّفات الى العباد فليس الكلام معه ولعلّ قوله تعالى : اذكرونى اذكركم خطاب مع هؤلاء وهم اغلب العباد ،وقوله: وما تشاؤن الّا ان يشاء الله خطاب مع الفرقة الاولى اوتنبيه للكلّ على انّ نسبة الاوصاف الى الله مقدّمة على نسبتها الى العباد [اِذْ يُبايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ] أتى باذ الّتى هى للماضى لانّ نزول الآية كان بعد وقوع الواقعة،وأتى بالمضارع بعدها للاشارة الى تكرّر الفعل فانّ البائعين فى ذلك اليوم كانوا كثيرين، وسبب رضا الله تعالى عنهم فى تلك البيعة انّهم لمّا خالفوا رسول الله (ص) وقاتلوا مع قريش وانهزموا هزيمة منكرة ندموا على مخالفتهم لرسول الله (ص) وتابوا الى الله واستغفروا رسوله و بايعوا معه عن صميم القلب ولم يكن لهم حين تلك البيعة انانيّة اصلاً ولذلك صاروا مستحقّين لنزول السّكينة ، وشرط عليهم الرّسول فى تلك البيعة ان لا يخالفوه ولا يخالفوا قوله وأمره، ولا ينكروا بعد ذلك عليه شيئاً فعله فانّهم بعدما انهزموا ورحل رسول الله (ص) نحو المدينة ورجع الى التّنعيم فنزل تحت الشّجرة جاؤا اليه واظهروا النّدامة فاخذ منهم العهد والميثاق بذلك وكان اوّل من بايع رسول الله (ص) حينئذ عليّاً (ع) ولقد آخا رسول الله (ص) بين كلّ اثنين اثنين منهم وآخا بين نفسه وبين عليّ (ع) [فَعَلِمَ ما فِي قُلُوبِهِمْ] من الصّدق والتّوبة والانابة فرضى بذلك عنهم [فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ] لانّهم خرجوا من انانيّاتهم والسّكينة الّتى هى صورة ملكوتيّة تدخل بيت قلب العبد اذا خرج من انانيّته كما قيل : « چو تو بيرون شوى او اندر آيد » وقد مضى فى آخر سورة البقرة وفى التّوبة بيان للسّكينة [وَأَثابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً] هو فتح خيبر [وَمَغانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَها] هى مغانم خيبر [وَكانَ اللهُ عَزِيزاً] لا يغلب على مراده [حَكِيماً] لا يفعل ما يفعل ولا يعد ما يعد الّا لحكمة وغاية متقنة [وَعَدَكُمُ اللهُ مَغانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَها] هى ما يفىء الله على المؤمنين (ع) الى يوم القيامة اوهى مغانم مكّة و هوازن [فَعَجَّلَ لَكُمْ هذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النّاسِ] اى ايدى قريش او ايدى الاعراب وغيرهم بقوّة الاسلام ، او ايدى اهل خيبر و حلفائهم [عَنْكُمْ] ذكر فى المجمع عن العامّة انّه لمّا قدم رسول الله (ص) المدينة من الحديبيّة مكث بها عشرين ليلة ثمّ خرج منها غازياً الى خيبر فحاصرهم حتّى اصابتهم مخمصة شديدة ثمّ انّ الله فتحها ؛ وذلك انّ النّبىّ (ص) اعطى اللّواء عمر بن الخطّاب ونهض من نهض معه من النّاس فلقوا اهل خيبر فانكشف عمر و اصحابه فرجعوا الى رسول الله (ص) يُجبّنه اصحابه و يُجبّنهم، فقال رسول الله (ص) بعد ما اخبروه بما فعل عمر واصحابه ، لأُعطينّ الرّاية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله و يحبّه الله ورسوله ، كرّاراً غير فرّار لا يرجع حتّى يفتح الله على يديه ، فلمّا اصبح النّاس غدوا على رسول الله (ص) كلّهم يرجون ان يعطيها، فقال (ص): اين علىّ بن ابى طالب (ع) ؟ـ فقالوا: هو تشتكى عينه، فأرسل اليه فأتى به فبصق فى عينيه ودعا له فبرئ كأن لم يكن به وجع فأعطاه الرّاية، فقال (ص) : انفذ على رِسْلِكَ[1] حتّى تنزل بساحتهم ثمّ ادعهم الى الاسلام واخبرهم بما يجب عليهم من حقّ الله فوالله لان يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من ان يكون لك حمر النّعم ، فذهب الى خيبر فبرز اليه مرحب فضر به ففلق رأسه فقتله وكان الفتح على يده ، هكذا اورده مسلم فى الصّحيح ، ونقل عن العامّة: انّ عليّاً (ع) لمّا دنا من الحصن خرج اليه اهله فقاتلهم فضر به رجل من اليهود فطرح ترسه من يده فتناول علىّ (ع) باب الحصن فترّس به عن نفسه فلم يزل فى يده وهو يقاتل حتّى فتح الله عليه ثمّ القاه من بده ، فلقد رأيتنى فى نفر معى

(١) اى ، امش مستقيماً ولا تتوقّف فى مكان ولا ترجع وراك .

سبعة نجهد على ان نقلب ذلك الباب فما استطعنا ، ونقل عنهم انّ عليّاً (ع) حمل الباب يوم خيبر حتّى صعد المسلمون عليه فافتتحوها وانّه حُرّك بعد ذلك فلم يحمله اربعون رجلاً ، و روى من وجه آخر انّه اجتمع عليه سبعون رجلاً فكان جهدهم ان اعادوا الباب، ورووا عن ابى ليلى قال: كان علىّ (ع) يلبس فى الحرّ والشّتاء القباء المحشوّ(١) الثّخين ومايبالى الحرّ فاتانى اصحابى فحكوا ذلك لى فقالوا: هل سمعت فى ذلك شيئاً ؟- فقلت: لا ، فقالوا: فسل لنا اباك عن ذلك، فانّه يسمر معه فسألته فقال: ماسمعت فى ذلك شيئاً فدخل على علىّ (ع) فسمر معه ، ثمّ سأله عن ذلك ، فقال: اوما- شهدت خيبر ؟- قلت : بلى ، قال : فما رأيت رسول الله (ص) حين دعا ابابكر فعقد له ثمّ بعثه الى القوم فانطلق فلقى القوم ثمّ جاء بالنّاس وقد هزم ؟ - فقال : بلى ، قال : ثمّ بعث الى عمر فعقد له ثمّ بعثه الى القوم فانطلق فلقى القوم فقاتلهم ثمّ رجع وقد هزم ، فقال رسول الله (ص) : لأُعطينّ الرّاية اليوم رجلاً يحبّ الله و رسوله و يحبّه الله و رسوله يفتح الله على يده كرّاراً غير فرّار ، فدعانى فأعطانى الرّاية ثمّ قال : اللّهمّ اكفه الحرّ والبرد ، فما وجدت بعد ذلك حرّاً ولا برداً ، وقال صاحب المجمع : هذا كلّه من كتاب دلائل النّبوّة للامام ابى بكر البيهقىّ، ثمّ لم يزل رسول الله (ص) يفتح الحصون حصناً حصناً حتّى انتهوا الى حصن الوطيخ والسّلالم وكان آخر حصون خيبر وحاصرهم رسول الله (ص) بضع عشرة ليلة ، قال ابن اسحاق: ولمّا افتتح القموص حصن ابن ابى الحقيق أُتى رسول الله (ص) بصفيّة بنت حيّ بن اخطب و بأُخرى معها فمرّ بهما بلال وهو الّذى جاء بهما على قتلى من قتلى يهود ، فلمّا رأتهم الّتى معها صفيّة صاحت وصكّت وجهها وحثت التّراب على رأسها فلمّا رآها رسول الله (ص) قال اعزبوا عنّى هذه الشّيطانة و امر بصفيّة فحيّزت(٢) خلفه وألقى عليها رداءه فعرف المسلمون انّه قد اصطفاها لنفسه ، وقال لبلال: لمّا رأى من تلك اليهوديّة ما رأى انزعت منك الرّحمة يا بلال ؟- حيث تمرّ بامرأتين على قتلى رجالهما؟- وكانت صفيّة قد رأت فى المنام وهى عروس بكنانة بن الرّبيع بن ابى الحقيق انّ قمراً وقع فى حجرها فعرضت رؤياها على زوجها، فقال: ما هذا الّا انّك تتمنّين ملك الحجاز محمّداً (ص) و لطم وجهها لطمة اخضرّت عينها منها ، فأتى بها رسول الله (ص) و بها اثرٌ منها فسألها رسول الله (ص) منها فاخبرته وأرسل ابن ابى الحقيق الى رسول الله (ص) انزل فاكلّمك قال : نعم ، وصالح رسول الله (ص) على حقن دماء من فى حصونهم من المقاتلة وترك الذّرّيّة لهم ويخرجون من خيبر و ارضها بذراريهم و يخلّون بين رسول الله (ص) و بين ما كان لهم من مال وارض على الصفراء و البيضاء والكراع والحلقة وعلى البزّ(٣) الّا ثوب على ظهر انسان، وقال رسول الله (ص) تبرّأت منكم ذمّة الله وذمّة رسوله ان كتمتمونى شيئاً فصالحوه على ذلك، فلمّا سمع اهل فدك قد صنعوا ما صنعوا بعثوا الى رسول الله (ص) ان يسيرهم و يحقن دماؤهم و يخلّون بينه و بين الاموال، ففعل وكان ممّن مشى بين رسول الله (ص) و بينهم فى ذلك محيصة بن مسعود فلمّا نزل اهل خيبر على ذلك سألوا رسول الله (ص) ان يعاملهم الاموال على النّصف وقالوا: نحن اعلم بها منكم واعمر لها، فصالحهم رسول الله (ص) على النّصف على انّا اذا شئنا ان نخرجكم اخرجناكم، وصالحه اهل فدك على مثل ذلك فكان اموال خيبر فيئاً بين المسلمين وكانت فدك خالصةً لرسول الله (ص) لانّهم لم يوجفوا عليها بخيل ولا ركاب، ولمّا اطمأنّ رسول الله (ص) اهدت له زينب بنت الحارث بن سلام وهى ابنة اخى مرحب شاةً مَصليّةً(٤) وقد سألت ايّ عضو من الشّاة احبّ الى رسول الله (ص) فقيل لها: الذّراع فأكثرت فيها السّمّ وسمّت سائر الشّاة ثمّ جاءت بها، فلمّا وضعتها بين يديه تناول الذّراع فأخذها فلاك منها مضغةً وانتهش(٥) منها ومعها بشر بن البراء بن معرور فتناول عظماً فانتهش منه، فقال رسول الله (ص) : ارفعوا ايديكم فانّ كتف هذه الشّاة تخبرنى انّها مسمومة ثمّ دعاها فاعترفت ، فقال : ما حملك على ذلك ؟- فقالت: بلغت من

(١) ممتلىء بالقطن . (٢) تحيّز = انحصر فى مكان. (٣) البزّ = ثياب الكتان او القطن. (٤) اللّحم المشوىّ.
(٥) اى ، صار مسموماً، من نهشه الحيّة .

قومي مالم يخف عليك فقلت: ان كان نبيّاً فسيخبر وان كان ملكاً استرحت منه، فتجاوز عنها رسول الله (ص) ومات بشر بن البراء من أكلته الّتي اكل، ودخل امّ بشر على رسول الله (ص) تعوده في مرضه الّذي توفّي فيه، فقال: يا امّ بشر مازالت اكلة خيبر الّتي اكلت بخيبر مع ابنك تعازّني[1] فهذا او ان قطعت[2] ابهري وكان المسلمون يرون انّ رسول الله (ص) مات شهيداً مع ما اكرمه الله به من النّبوّة [وَلِتَكُونَ] يا محمّد (ص) او لتكون الغنيمة الّتي عجّلها لكم وهو عطف على محذوف اي لتقوى وترفع ولتكون اومتعلّق بمحذوف معطوف على عجّل اي فعل ذلك لتكون [آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً] يعني الولاية او صراطاً مستقيماً واقعاً بين الافراط والتّفريط في كلّ امر [وَأُخْرَىٰ] اي و وعدكم مغانم اخرى اوقرىً اخرى، اواخرى مفعول فعل محذوف معطوف على عجّل اي واعدّ الله لكم قرىً اخرى [لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا] وقيل: هي المغانم الّتي يزيدها الله للمسلمين الى يوم القيامة، اوالقرى الّتي يفتحها الله للمسلمين الى يوم القيامة، وقيل: هي غنائم مكّة وهوازن، اوقرية مكّة، وقيل: المراد غنائم فارس والرّوم اوملكهما [قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا] فلا يخرج من يده حتّى يكون مستعجلاً مثلكم فكأنّه قال حفظها عليكم ومنعها من غيركم حتّى تفتحوها [وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً] لا اختصاص لقدرته بفيء الغنائم وفتح البلاد ونصرة الانبياء وخذلان الكفّار [وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا] يوم الحديبيّة [لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيّاً وَلَا نَصِيراً سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ] يعني سنّ الله نصرة الانبياء وهزيمة الكفّار لوقاتلوا الانبياء من قبل هذا الزّمان [وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ] بالرّعب في قلوبهم والنّهي لكم عن مقاتلتهم والامر بالصّلح [بِبَطْنِ مَكَّةَ] يعني الحديبيّة [مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ] اي من بعد ان جعلكم مشرفين على الظّفر عليهم اومن بعد ان اظفركم عليهم ببدر ويوم الخندق وفي احد [وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا] جوابُ سؤال في مقام التّعليل [وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفاً] محبوساً [أَنْ يَبْلُغَ] من ان يبلغ [مَحِلَّهُ] وهو محلّ النّحر يعني مكّة فانّها محلّ نحر هدي العمرة [وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ] بيانٌ لعلّة منعهم عن دخول مكّة [لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ] بدل من رجال او من مفعول لم تعلموهم او بتقدير في ظرف لتعلموهم [فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ] عيب يعيبكم به المشركون بان يقولوا: قتلوا اهل دينهم، اواثم وجناية اودية وكفّارة [بِغَيْرِ عِلْمٍ] وجواب لو لا محذوف اي لاغريناكم بهم اولادخلناكم مكّة [لِيُدْخِلَ اللَّهُ] متعلّق بمحذوف اي فمنعناكم عن الدّخول ليدخل الله [فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ] من المؤمنين بسلامته من القتل والاذى ولحوق الكفّارة والدّية ومن الكافرين بدخوله في الاسلام [لَوْ تَزَيَّلُوا] اي لو تميّز المؤمنون والكافرون [لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ] من اهل مكّة [عَذَاباً أَلِيماً] فلحرمة اختلاط المؤمنين بالكافرين، ولحفظ نفوس المؤمنين الّذين كانوا بمكّة عن القتل والاذى، ولحفظ نفوس الّذين كانوا مع محمّد (ص) عن لحوق المعرّة، ولحفظ نفوس المؤمنين الّذين كانوا في اصلاب الكافرين لم يعذّبهم الله، وقيل: انّ صلح الحديبيّة كان اعظم فتح للاسلام حيث اختلط المؤمنون بالكافرين واظهروا دينهم من غير خوف وتقيّة فرغب في دينهم كثير من الكافرين

---

(١) اي = غلبني. (٢) الابهر عرق اذا انقطع مات صاحبه.

ودخلوا فيه من غير سيفٍ ، وعن الصّادق(ع) انّه سئل : الم يكن علىٌّ(ع) قويّاً فى بدنه قويّاً فى امرالله ؟- فقال: بلى، قيل: فما منعه ان يدفع اويمتنع لها؟- قال: فافهم الجواب ، منع عليّاً(ع) من ذلك آية من كتاب الله تعالى، فقيل: واىّ آية ؟- فقرأ: لو تزيّلوا (الآية) كان لله تعالى ودائع مؤمنون فى اصلاب قوم كافرين ومنافقين فلم يكن علىّ(ع) ليقتل الآباء حتّى تخرج الودائع ، فلمّا خرجت ظهر على من ظهر وقتله ، وكذلك قائمنا اهل البيت لن يظهر ابداً حتّى يخرج ودائع الله فاذا خرجت يظهر على من يظهر فيقتله ، وفى هذا المعنى اخبارٌ عديدةٌ ، وقال(ع) : لواخرج الله ما فى اصلاب المؤمنين من الكافرين ومافى اصلاب الكافرين من المؤمنين لعذّبنا الّذين كفروا [إِذْجَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا] اذ ظرف اوتعليل لقوله: عذّبنا او لقوله : انزل الله و لفظة الفاء مثلها فى قوله تعالى بل الله فاعبد [فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ] الحميّة مصدر حماه بمعنى منع منه اومنعه عن شيءٍ اومصدر حمى من الشّيء كرضى انف منه والمقصود من الحميّة السّجيّة الّتى تحمل الانسان على حفظ عرضه وحسبه ونسبه واقار به وما ينسب اليه عن الوقع فيها والازدراء لها بحقّ او بباطلٍ وهى ناشئة من انانيّة النّفس والاعجاب بها، وهى اصل جملة الشّرور والمعاصى، اوالسّجيّة الّتى تحمل الانسان على الانفة وعدم الانقياد لشيءٍ حقّاً كان او باطلاً وهى ايضاً ناشئة من انانيّة النّفس واستكبارها على الغير وتحقيره [حَمِيَّةَ الْجاهِلِيَّةِ] بيانٌ للحميّة او تقييدٌ لها باكمل افرادها [فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ] قد مضى قبيل هذا ذكر السّكينة [وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوىٰ] المراد بكلمة التّقوى هى السّكينة اوالولاية الّتى هى مورثة السّكينة ، اوسجيّة التّقوى عن الانحراف الى الطّرق المنحرفة يعنى مكّن منهم السّكينة او الولاية اوالتّقوى [وَكانُوا أَحَقَّ بِها وَأَهْلَها] اى احقّ بتلك الكلمة او بالسّكينة اوبمكّة [وَكانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً] يعنى انّ الله يعلم قدر استحقاق كلٍّ واحقّيّة كلٍّ بكلٍّ [لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيا] جوابٌ لما قالوا بعد صدّهم عن مكّة انّ محمّداً(ص) وعدنا دخول مكّة ومادخلنا وماحلّقنا وماقصّرنا [بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرامَ إِنْ شاءَ اللهُ آمِنِينَ] قيل: الاستثناء تعليم للعباد كيف يتكلّمون اذا اخبروا عن الآتى، وقيل: الاستثناء باعتبار حال الدّاخلين فانّ منهم من مات قبل الدّخول ولم يدخل كأنّه قال : لتدخلنّ كلّكم ان شاء الله ، وقيل : الاستثناء باعتبار الامن من العدوّ، وقيل: ان ههنا بمعنى اذ، اى اذشاء الله، والحقّ انّه ههنا للتّبرّيك ومحض التّعليم [مُحَلِّقِينَ رُؤُسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لاتَخافُونَ فَعَلِمَ] من الصّلاح فى اجمال الوعد وعدم التّصريح بوقته [ما لَمْ تَعْلَمُوا] فانّه كان فى صدّكم عن المسجد الحرام و صلحكم مع قريش بذلك الصّدّ منافع كثيرة للاسلام واهله وقوّةٌ عظيمةٌ ونشر للاسلام [فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذٰلِكَ] الدّخول [فَتْحاً قَرِيباً] هو فتح خيبر او صلح الحديبية فانّه اختلط المسلمون بالمشركين بذلك الصّلح و تمكّنوا من اظهار الاسلام وسمع المشركون باحكام الاسلام ورغبوا فيه وتقوّى الاسلام به ودخل محمّد(ص) واصحابه فى العام المقبل وهو سنة السّبع من الهجرة مكّة فى كمال الشّوكة و العزّة [هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدىٰ] باحكام الاسلام الّتى هى ما به الاهتداء الى الايمان [وَدِينِ الْحَقِّ] اى الولاية فانّها الدّين والطّريق الحقّ الى الله تعالى [لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ] اى جنس الدّين [كُلِّهِ] بان يجعل جميع الاديان تحته ويجعل دينه محيطاً بالكلّ بحيث لم يبق دينٌ من لدن آدم (ع) الى انقراض العالم الّا و هو شعبة من دينه و ليظهره بحسب الظّاهر على كلّ الاديان بحيث لم يبق فى بقعةٍ من بقاع الارض دينٌ سوى دينه ، واتمام هذا فى ظهور القائم(ع) وقد مضى هذه الآية فى سورة التّوبة [وَكَفىٰ بِاللهِ شَهِيداً] لرسوله اقررتم ام لم تقرّوا [مُحَمَّدٌ

رَسُولُ اللّهِ] هذه الجملة كسابقتها جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ و محمّد مبتدء و رسول الله خبره او رسول الله صفته و قوله [وَالَّذِينَ مَعَهُ] عطف على محمّد (ص) عطف المفرد و المعنى على الوجه الاوّل محمّد رسول الله (ص) والّذين معه فى المرتبة رسل الله ، وعلى الوجه الثّانى محمّد رسول الله (ص) مع الّذين معه [أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ] اوعطف على رسول الله (ص) على الوجه الاوّل والمعنى محمّدٌ رسول الله (ص) وهوالّذين معه فى الدّرجة فانّه لافرق بينه و بين من كان معه فى الدّرجة، اوهوالّذين معه بالبيعة والتّوبة فانّه وان كان غيرهم بوجهٍ لكنّه فعليّتهم الاخيرة وقد مرّ مراراً انّ شيئيّة الشّيء بفعليّته الاخيرة فشيئيّتهم الّتى هى فعليّتهم الاخيرة محمّد (ص) باعتبار تنزّله بصورته الى مراتبهم فانّه قد مضى مكرّراً انّ البيعة تورث تكيّف البائع بحسب نفسه و فعليّته الاخيرة بصورةٍ نازلةٍ من الّذى بويع معه ، وقوله تعالى اشدّاء على الكفّار [رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ] قرئ بالرّفع خبراً لمحمّدٍ (ص) والّذين معه على وجهٍ او خبراً للّذين معه على وجهٍ ، اوخبراً لمبتدءٍ محذوفٍ على وجهٍ ، وقرئ بالنّصب حالاً ، ولم يأت بأداة الوصل للاشعار بانّهم جامعون بين الوصفين فى جميع الاحوال لا انّ بعضهم اشدّاء و بعضهم رحماء ، ولا انّهم فى حال اشدّاء و فى حالٍ رحماء كأنّهم مرجوا الشّدّة بالرّحمة نظير حلوٌ حامضٌ ، لكنّ الاشدّاء بمادّته والرّحماء بهيئته يدلّان على انّهم جامعون بين الوصفين و كاملون فيهما [تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا] كأنّهم من كثرة صلوتهم مزجوا بين الوصفين [يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللّهِ وَرِضْوَانًا] الفضل عبارة عمّا يفيض الله على العباد بحسب مقام كثرتهم، والرّضوان عبارة عمّا يفيضه عليهم بحسب مقام وحدتهم و بعبارةٍ اخرى الفضل جزاء الاعمال المأخوذة بحسب قبول الرّسالة وهى احكام القالب، والرّضوان جزاء الاعمال المأخوذة بحسب قبول الولاية وهى احكام القلب والرّوح [سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ] المراد به الاثر الّذى يحدث فى جباههم من كثرة السّجود فى الصّلوة ، اوالمراد الاثر الّذى يحدث فى وجوههم من السّهر بسبب صلوة اللّيل ، اوالاثر الّذى يحدث فى وجوههم من كثرة خشوعهم لله تعالى [ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ] .

اعلم، انّ السّالك له شأنان ؛ شأن السّلوك وشأن الجذب وهو بشأن السّلوك يؤدّى الحقوق و يقيم كثرات وجوده من قواه وجنوده و يقيم من كان تحت يده من اهله وعياله وخدمه وحشمه و يصلحهم و يسدّ فاقتهم، و بشأن الجذب ينصرف عن الكثرات الى الوحدة و يجذب قواه وجنوده وعياله الى جهة الوحدة ، و يجعل مرمّة معاشه ومعاش من تحت يده بحيث يؤدّى الى حسن معاده، و بعبارةٍ اخرى له توجّه الى الكثرات وتوجّه الى الوحدة ، و بتوجّهه الى الكثرة يصلح معاشه بحيث يؤدّى الى حسن معاده ، و بتوجّهه الى الوحدة يصرف قواه وجنوده عن الكثرة الى الوحدة ، و بعبارةٍ اخرى له قربان؛ قرب النّوافل وقرب الفرائض ، و بعبارةٍ اخرى مايصل اليه من الله امّا يصل اليه بكسبه واعماله وسبق استعداده واستحقاقه واختياره وانانيّته، اومن دون ذلك، **والكامل** ايضاً له نظران ؛ نظر الى الكثرة و نظر الى الوحدة ، و وجه الى الكثرة و وجه الى الوحدة ، و بالوجه الى الوحدة يأخذ من الله و بالوجه الى الكثرة يفيض ما يأخذه على غيره ، و بتفاوت هذين النّظرين يختلف الكاملون فى مراتب الكمال ، و الكامل المطلق من كان نظره الى الطّرفين متساوياً من غير ترجّحٍ لاحد الطّرفين على الآخر وهو شأن محمّدٍ (ص) والّذين معه، وامّا سائر الانبياء (ع) فلا يخلو احدمنهم من رجحان احد الطّرفين وانّ موسى (ع) كان نظره الى الكثرات غالباً على نظره الى الوحدة ، وعيسى (ع) كان نظره الى الوحدة غالباً ولذا نقل فيما نقل انّ محمّداً (ص) قال: انّ اخى موسى (ع) كان عينه اليمنى عمياء ، واخى عيسى (ع) كان عينه اليسرى عمياء ، وانا ذوالعينين ، وللاشارة الى انّ محمّداً (ص) والمحمّديّين جامعون للطّرفين وكاملون فى النّظرين وتامّون فى القربين قال: ذلك الّذى ذكرنا من اتّصافهم بالاوصاف الاختياريّة والاحكام القالبيّة ، واصلاح الكثرة مثلهم

فى التّوراة الّذى هونشأة موسى (ع) [وَمَثَلُهُمْ فِى الْاِنْجِيلِ] الّذى هوحال نشأةعيسى (ع) [كَزَرْعٍ اَخْرَجَ شَطْأَهُ] قرئ بسكون التّاء وفتحها وقرئ بالمدّ و بالقصر، والشّطأ فرخ الحيوان والنّبات وورق النّبات [فَأٰزَرَهُ] قرئ من الثّلاثىّ المجرّد وبالمدّ من باب الافعال اوالمفاعلة والمعنى اعانه وقوّاه حتّى لحقت هذه الافراخ الامّهات او حتّى استكمل الاوراق [فَاسْتَغْلَظَ] الزّرع او الشّطأ [فَاسْتَوٰى عَلٰى سُوقِهِ] فاستوى الزّرع او الفرخ [يُعْجِبُ الزُّرّٰاعَ] بحسنه و استغلاظه ، قيل: هذا مثل ضربه الله تعالى لمحمّد (ص) واصحابه فالزّرع محمّد (ص) والشّطأ اصحابه والمؤمنون حوله وكانوا فى ضعف وقلّة كما يكون اوّل الزّرع دقيقاً ثمّ غلظ وقوى و تلاحق فكذلك المؤمنون قوّى بعضهم بعضاً حتّى استغلظ واستووا على امرهم [لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفّٰارَ وَعَدَ اللّٰهُ الَّذِينَ اٰمَنُوا] بالبيعة العامّة [وَعَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ] بالبيعة الخاصّة فانّها اصل جميع الصّالحات ، و من باع البيعة الخاصّة كان كأنّه عمل جميع الصّالحات اوآمنوا بالبيعة الخاصّة وعملوا الصّالحات على طبق ما اخذ منهم فى بيعتهم [مِنْهُمْ] من النّاس او من الّذين آمنوا اومن الّذين مع محمّد (ص) [مَغْفِرَةً] ستراً لمساويهم [وَاَجْراً عَظِيماً] لايمكن ان يوصف.

سُورَةُ الْحُجُرٰاتِ

مدنيّة ، وقيل الّا آية : يا ايّها النّاس انّا خلقناكم من ذكروانثى (الاية) ، ثمانى عشرة آيةً.

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

[يٰا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا] بالبيعة العامّة فانّ هذا حكم قالبىّ لجملة المسلمين [لٰا تُقَدِّمُوا] قدم كنصر وقدّم من التّفعيل و استقدم و تقدّم بمعنىً والمعنى لاتمشوا [بَيْنَ يَدَيِ اللّٰهِ وَرَسُولِهِ] والمقصود لاتقدّموا بين يدى رسوله لكنّه اضاف الله للاشعار بانّ التّقدّم بين يدى رسول الله (ص) هوالتّقدّم بين يدى الله لانّ رسوله مظهره ، وقرئ لا تقدّموا من التّفعّل اى لا تتقدّموا، ويجوزان يكون لا تقدّموا بضمّ التّاء وكسر الدّال من قدّمه اذا جعله مقدّماً فى الامر، ويكون المعنى لاتقدّموا احداً على الله و رسوله (ص)، اولا تقدّموا امراً على امرالله و رسوله (ص) اولا تختاروا امراً بين يدى رسوله (ص) من دون اذنه ، اولاتجعلوا امر انفسكم مقدّماً على امرالله بان تجعلوا فى الاعمال المعاديّة امرالنّفس و الغايات النّفسيّة نصب اعينكم غافلين عن امرالله ، و بان يكون نظركم فى الاعمال المعاشيّة الى ما يزيّنه لكم انفسكم من دون نظرفيها الى امرالله ونهيه ، والمقصود من الكلّ هوالمقصود من كلّ القرآن وهو لاتقدّموا احداً فى الخلافة ولا تُقْدِموا على الخلافة من دون امرالله ورسوله (ص) [وَاتَّقُوا اللّٰهَ] اى سخطه فى الاقدام على الامور الشّرعيّة [اِنَّ اللّٰهَ سَمِيعٌ] لما تقولون فى امرالخلافة ، اولما تأمركم انفسكم عند اعمالكم المعاديّة والمعاشيّة [عَلِيمٌ] بنيّاتكم و دقائق اعمالكم واحوالكم ومكنوناتكم الّتى لااطّلاع لكم عليها [يٰا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا] لمّا كانت السّورة المباركة لتأديب الامّة صدّر كلّ حكم منها بالنّداء تلطّفاً بهم و تنشيطاً لهم للاستماع وجبراً لكلفة التّأديب بلذّة الخطاب [لٰا تَرْفَعُوا اَصْوٰاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلٰا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ] سواء كان فوق صوته (ص)

اولم يكن [كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ اَنْ تَحْبَطَ] كراهة ان تحبط [اَعْمالُكُمْ وَاَنْتُمْ لاتَشْعُرُونَ] فانّ رفع الصّوت عنده تركٌ لتعظيمه او اظهارٌ لتحقيره وكلاهما مورثٌ لحبط العمل ، وورد انّ رسول الله (ص) كان اذا رفع احدٌ عنده صوته رفع صوته فوق صوته [اِنَّ الَّذينَ يَغُضُّونَ اَصْواتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ اُولٰئِكَ الَّذينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوٰى] امتحنه اختبره ، وامتحن الله قلبه وسّعه وشرحه ، وللتّقوى علّة لامتحن حصوليّة او تحصيليّة يعنى لكونهم متّقين وسّع الله قلوبهم وشرحها ، اولاجل تحصيل التّقوى شرح الله قلوبهم ، او اختبر الله قلوبهم ، والمؤمن الممتحن هو الّذى شرح الله صدره بنزول السّكينة فيه و ظهور ملكوت الامام عليه و لذلك قال علىّ (ع) فى حديث المعرفة بالنّورانيّة : انّ من عرفنى بالنّورانيّة هو المؤمن الممتحن قلبه للايمان ، و من امتحن الله قلبه للتّقوى يستشعر مداماً بعظمة الله وعظمة رسوله فلا يمكنه رفع الصّوت عند الرّسول (ص) [لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَاَجْرٌ عَظيمٌ] ويجوز ان يكون الوقف على قوله قلوبهم و يكون للتّقوى تعليلاً لما بعده [اِنَّ الَّذينَ يُنادُونَكَ مِنْ وَراءِ الْحُجُراتِ اَكْثَرُهُمْ لايَعْقِلُونَ] ولذلك لايعظّمونك ويجعلونك مثل واحدٍ منهم [وَلَوْ اَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتّٰى تَخْرُجَ اِلَيْهِمْ لَكانَ خَيْراً لَهُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحيمٌ] تقوية لجهة الرّجاء ، فى المجمع : نزل قوله : ياايّها الّذين آمنوا (الى قوله) غفورٌ رحيمٌ فى وفد تميم وهم اشراف بنى تميم فى وفدٍ عظيم ، فلمّا دخلوا المسجد نادوا رسول الله (ص) من وراء الحجرات ، ان اخرج الينا يا محمّد ، . . فاذى ذلك رسول الله (ص) فخرج اليهم فقالوا : جئناك لنفاخرك فأذن لشاعرنا وخطيبنا ، فاذن رسول الله (ص) فقام خطيبهم اوّلا وخطب ، فقال رسول الله (ص) لثابت بن قيس : قم فاجبه ، فقام وخطب احسن من خطيبهم ، ثمّ قام شاعرهم واجابه حسّان بن ثابت ، فلمّا فرغوا قال الاقرع بن حابس الّذى كان من اشرافهم : هذا الرّجل خطيبه اخطب من خطيبنا وشاعره اشعر من شاعرنا ، واصواتهم اعلى من اصواتنا ، فلمّا فرغوا اجازهم رسول الله (ص) فأحسن جوائزهم واسلموا [يا اَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَاٍ فَتَبَيَّنُوا] نزلت الآية فى الوليد بن عقبة بعثه رسول الله (ص) فى صدقات بنى المصطلق فخرجوا يتلقّونه فرحاً به وكانت بينهم عداوة فى الجاهليّة فظنّ انّهم همّوا بقتله فرجع الى رسول الله (ص) وقال : انّهم منعوا صدقاتهم فغضب النّبىّ (ص) فنزلت الآية ، وقيل : نزلت فى عائشة حين رمت مارية القبطيّة بجريح القبطىّ ، فدعا رسول الله (ص) عليّاً (ع) وقال : يا اخى خذ هذا السّيف فان وجدته عندها فاقتله ، فقال : يا رسول الله (ص) اكون فى امرك اذا ارسلتنى كالسّكّة المحماة امضى لما امرتنى ام الشّاهد يرى ما لايرى الغائب ، فقال : بل الشّاهد يرى ما لايرى الغائب ، قال علىّ (ع) فأقبلت متوشّحاً بالسّيف فوجدته عندها فاخترطت[١] السّيف فلمّا عرف انّى اريده أتى نخلة فرقى اليها ثمّ رمى بنفسه على قفاه وشغر[٢] برجليه فاذا انّه اجبّ امسح ، ماله ماللرّجال ، فرجعت فأخبرت النّبىّ (ص) فقال : الحمد لله الّذى يصرف عنّا السّوء اهل البيت ، والمعنى ان جاءكم جنس الفاسق الخارج عن طاعة الله ورسوله اوجاءكم فاسق واحد فتبيّنوا الخبر وتجسّسوا صدقه وكذبه ، وقد مضى مكرّراً انّ مفهوم المخالفة غير معتبرٍ فى المخاطبات خصوصاً فى الاحكام فليس المقصود ان جاءكم عادل فاعملوا ولاتبيّنوا ، ولا ان جاءكم فاسقان فلا تبيّنوا واعملوا ، فمن اعتبر المفهوم و قال : خبر العدل الواحد حجّة باعتبار مفهوم مخالفة هذه الآية لا يُصغى اليه [اَنْ تُصيبُوا] كراهة ان تصيبوا [قَوْماً بِجَهالَةٍ] بحالهم [فَتُصْبِحُوا عَلٰى ما فَعَلْتُمْ نادِمينَ وَاعْلَمُوا اَنَّ فيكُمْ رَسُولَ اللهِ] فتبيّنوا الاخبار بالعرض عليه واستأذنوه فى العمل بها حتّى لاتصيروا نادمين على فعلكم ، اوهو تمهيد لما بعده كأنّه قال : انّ هذا الّذى هو فيكم هو رسول الله (ص) اعتباراً للوصف العنوانىّ [لَوْ يُطيعُكُمْ فى كَثيرٍ مِنَ الْاَمْرِ] ويطرح امر الله وحكمه [لَعَنِتُّمْ]

(١) اخترط السّيف = استله . (٢) اى دفع . .

لتعبتم اوهلكتم وهو ردّ لما اشاراليه بعضهم من الايقاع ببنى المصطلق [وَلٰكِنَّ اللّٰهَ حَبَّبَ] استدراكٌ لما توهّم من انّهم ارادواان يحملوارسول‌الله (ص) على طاعتهم كأنّه قال لٰكنّ الله حبّب [اِلَيْكُمُ الْاِيمانَ وَزَيَّنَهُ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ اِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيانَ] فلا تريدون حمل الرّسول (ص) على اتّباعكم والمراد بالايمان علىّ (ع)، او قبول ولايته، او محمّد (ص)، او قبول رسالته الّذى هوالاسلام [اُولٰئِكَ هُمُ الرّاشِدُونَ] جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ وصرفٌ للخطاب عن المؤمنين والجملة معترضة اوغير معترضة [فَضْلًا مِنَ اللّٰهِ وَنِعْمَةً] مفعول له لحبّب وكرّه او تعليل للرّاشدون بتقدير اللّام لعدم صحّة جعله مفعولاً له للرّاشدون لعدم اتّحاد المرفوع وقد تكرّر تفسير الفضل بمحمّدٍ (ص) ورسالته واحكام رسالته وقبول رسالته ، وتفسير النّعمة بعلىٍّ (ع) وولايته وآثارولايته وقبول ولايته [وَاللّٰهُ عَلِيمٌ] باحوالكم ودقائق مايصلحكم ولذلك زيّن الايمان فى قلوبكم وكرّه الكفر [حَكِيمٌ] لايفعل ما يفعل الّا لغايةٍ محكمةٍ متقنةٍ [وَاِنْ طائِفَتانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ] اى المسلمين [اقْتَتَلُوا] بيانٌ لادب المعاشرة [فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما فَاِنْ بَغَتْ اِحْديٰهُما عَلَى الْاُخْرىٰ فَقاتِلُوا الَّتِى تَبْغِى حَتّىٰ تَفِىءَ اِلىٰ اَمْرِ اللّٰهِ] بالرّجوع الى الرّسول وما حكم به [فَاِنْ فاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما بِالْعَدْلِ] لمّا كان الاصلاح بعد الامر بالمقاتلة مع الباغين مظنّة للحيف قيّده بالعدل ، او المراد انّ الاصلاح كما يكون باستيفاء جميع الحقوق من الطّرفين يكون باسقاط بعض الحقوق والاغماض عن بعضٍ فقيّده بالعدل للاشعار بانّ الاصلاح ينبغى ان يكون باستيفاء الحقوق [وَأَقْسِطُوا] فى جميع الامور حتّى فى العبادات فلاتضيّقوا على انفسكم [اِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ] قيل: نزلت فى قتالٍ وقع بين الاوس والخزرج فى عهد الرّسول (ص) بالسّعف والنّعال ، وعن الصّادق (ع) لمّا نزلت هذه الآية قال رسول‌الله (ص) : انّ منكم من يقاتل بعدى على التّأويل كما قاتلت على التّنزيل ، فسئل من هو؟- قال: خاصف النّعل يعنى اميرالمؤمنين (ع) فقال عمّار بن ياسر : قاتلت بهذه الآية مع رسول الله (ص) ثلاثاً وهذه الرّابعة والله لوضربونا حتّى يبلغوا بنا السّعفات من هجرٍ لعلمنا انّا على الحقّ وانّهم على الباطل ، وكانت السّيرة فيهم من اميرالمؤمنين (ع) ما كان من رسول الله (ص) فى اهل مكّة يوم فتح مكّة فانّه لم يَسْب لهم ذرّيّة وقال : من اغلق بابه فهو آمنٌ، ومن القى سلاحه فهو آمنٌ، ومن دخل داراِبى سفيان فهو آمنٌ، وكذلك قال اميرالمؤمنين (ع) يوم البصرة نادى فيهم لاتسْبوا لهم ذرّيّة ،ولاتجهزوا على جريحٍ ،ولاتتبعوا مدبراً ، ومن اغلق بابه وألقى سلاحه فهو آمن [اِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ اِخْوَةٌ] قد مضى فى سورة البقرة وفى سورة النّساء وجه كون المؤمنين اخوةً عند قوله تعالى: وبالوالدين احساناً وذكر انّما المؤمنون اخوة ليكون تمهيداً وتعليلاً ورفعاً لكلفة التّكليف بالاصلاح لقوله تعالى: [فَأَصْلِحُوا بَيْنَ اَخَوَيْكُمْ] وهذا اعمّ من سابقه فانّ المراد ههنا انّه اذا وقع اختلاف بين المؤمنين سواء بلغ الى حدّ المقاتلة او لم يبلغ فأصلحوا بينهما [وَاتَّقُوا اللّٰهَ] وسخطه فى الحيف والميل الى احد الطّرفين [لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ] على اصلاحكم وعدم ميلكم، اولعلّكم ايّها المتخالفون والمصلحون جميعاً ترحمون [يا اَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] ادبٌ آخر ولمّا كانت السّخريّة من الخلق سجيّةً لاكثر النّاس وتركها كان صعباً صدّره بالنّداء جبراناً لكلفته [لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسىٰ اَنْ يَكُونُوا] اى القوم المسخور منهم [خَيْرًا مِنْهُمْ] اى من السّاخرين [وَلا نِساءٌ مِنْ نِساءٍ عَسىٰ اَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ] قال القمّىّ: نزلت فى صفيّة بنت حىّ بن اخطب وكانت زوجة رسول‌الله (ص)

و كانت عائشة وحفصة توذيانها و تشتمانها وتقولان لها : يا بنت اليهوديّة ، فشكت الى رسول الله (ص) فقال لها : الاتجيبينهما ؟- فقالت : بماذا يارسول الله (ص) ؟- قال: قولى لهما: انّ ابى هارون (ص) نبيّ الله، وعمّى موسى كليم الله، وزوجى محمّد (ص) رسول الله (ص) فما تنكران منّى ؟ ! فقالت لهما: فقالتاهذا علّمك رسول الله (ص) [وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ] أتى بهذه الكلمة اشعاراً بعلّة الحكم حيث انّ المؤمنين كلّ منهم بمنزلة نفس الآخر [وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ] السّيئة بان يلقّب بعضكم بعضاً بلقب سوء [بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ] الخروج عن عهد محمّد (ص) وعقده و شروط عقده بذلك وانّما أتى بالفسوق مقام الضّمير او اسم الاشارة للاشعار بانّ ذلك فسوق وخروج عن عهدة عهد الله [بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ] عن السّخريّة واللّمز والنّبذ بالالقاب ، وأتى بذكر التّوبة اشعاراً بانّه معصية [فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ] لاظالم اظلم منهم [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] لمّا كان الحكم الآتى ايضاً ممّا يصعب امتثاله لكون الظّنّ فى جبلّة اكثر النّاس أتى بالنّداء [اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ] ابهام الكثير ليحتاط فى كلّ ظنّ ويتبيّن انّه من ايّ القبيل.

اقسام الظّنّ وهى خمسة بحسب الاحكام الخمسة

[إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ] اجتناب اصل الظّنّ غير مقدور للمكلّفين الّا ان يكون الامر باجتناب الظّنّ امراً باجتناب مباديه ، وامّا اجتناب اتّباعه فانّه مقدور لكلّ احد والظّنون مختلفة فظنّ يجب اتّباعه لو حصل ، ويجب تحصيله لو لم يكن حاصلاً وهو الظّنّ حين الشّكّ فى الصّلوة ، والظّنّ حين الاحتياط فى العمل ، وكالظّنّ الحسن بالله وبالمؤمنين، وظنّ يستحبّ اتّباعه لو حصل و يستحبّ تحصيله لو لم يكن حاصلاً كالظّنّ بحاجة المؤمن ، وتحصيل الظّنّ بحاله من حاجة وغيرها ، وظنّ يكره اتّباعه و تحصيله كالظّنّ بنجاسة شيء لا يحصل من تطهيره ضررٌ معتدٌّ به ، وظنّ يحرم اتّباعه وتحصيله كالظّنّ بسوآت المؤمنين وعوراتهم وفحشائهم ، وظنٌّ مباح ، فبعض الظّنّ اثم يجب اجتنابه و ترك اتّباعه ، وعن عليّ (ع) قال: ضع امر اخيك على احسنه حتّى يأتيك مايقلّبك منه ، ولاتظنّنّ بكلمة خرجت من اخيك سوءً وانت تجد لها فى الخير محملاً ، وعنه (ع) : اذا استولى الصّلاح على الزّمان واهله ثمّ اساء رجلٌ الظّنّ برجل لم يظهر منه خزيةٌ فقد ظلم، واذا استولى الفساد على الزّمان واهله ثمّ احسن الرّجل الظّنّ برجل فقد غرر .

معنى الغيبة

[وَلَا تَجَسَّسُوا] عن عورات المؤمنين حتّى يحصل لكم ظنّ سوء ، وقرئ لا تحسّسوا بالحاء المهملة وهو بمعناه ، عن الصّادق (ع) قال رسول الله (ص) : لاتطلبوا عثرات المؤمنين فانّه من تتبّع عثرات اخيه تتبّع الله عثرته ، ومن تتبّع الله عثرته يفضحه ولو فى جوف بيته [وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا] اى لا يذكر بعضكم بعضاً بالسّوء فى غيبته، والغيبته ان تظهر بلسانك او بسائر جوارحك بالتّصريح او بالكناية والتّلويح عيباً للمؤمن قد ستره الله عليه فى غيابه ، وحيث لم يكن يعلم باظهارك ، وامّا العيوب الّتى لم تكن فى المؤمن فنسبتها اليه فى حضوره وغيابه تكون بهتاناً و تكون اشدّ من الغيبة ، ويظهر ممّا ذكرنا فى سورة البقرة فى بيان قوله تعالى : و بالوالدين احساناً وجه حرمة السّخريّة بالمؤمن ولمزه ونبزه باللّقب السّوء والظّنّ به وتجسّس عورته و الغيبة له و البهتان له ، ويظهر ايضاً سرّ كونها اشدّ من الزّنية ، وقد ذكر فى الفقه الموارد الّتى يجوز الغيبة فيها ، وعن الصّادق (ع) انّه سئل عن الغيبة فقال: هو ان تقول لاخيك فى دينه ما لم يفعل ، و تبثّ عليه امراً قد ستره الله عليه لم يقم عليه فيه حدّ ، وفى رواية : وامّا الامر الظّاهر فيه مثل الحدّة والعجلة فلا، وعن

الكاظم(ع) من ذكر رجلاً من خلفه بما هو فيه ممّا عرفه النّاس لم يغتبه ، ومن ذكره من خلفه بما هو فيه ممّا لايعرفه النّاس اغتابه ، ومن ذكره بما ليس فيه فقد بهته ، وفي حديث : قولوا في الفاسق ما فيه كي يحذره النّاس ، وفي اخبار عديدة مضمون قول النّبيّ(ص) : ايّاكم والغيبة فانّ الغيبة اشدّ من الزّنا، ثمّ قال: انّ الرّجل يزني و يتوب فيتوب الله عليه ، وانّ صاحب الغيبة لايغفر له الّا ان يغفر له صاحبه ، والغيبة المحرّمة تكون للمؤمن اوللمسلم مطلقاً اولمن قبل صورة الاسلام منتحلاً كان اومسلماً اومؤمناً، قال بعض اهل المعرفة: غير المؤمن حكمه حكم الانعام فكما لاغيبة للانعام لاغيبة لغير المؤمن ، ولغير المتّصف بالاسلام حقيقةً فانّ منتحل الاسلام كمنتحلي التّهوّد و التّنصّر لاحرمة له انّما الحرمة لمن اتّصل بمظاهر الله بالبيعة العامّة او الخاصّة ، و التّحقيق انّ رؤية العيب من العباد بل من مطلق خلق الله ليست الّا من نظر رديّ خسيس وهو النّظر الى الاشياء مباينة للحقّ المقوّم الصّانع لها مع الغفلة عن الحقّ تعالى وصنعه ، ومع النّظر الى النّفس والاعجاب بها ، اومع الغفلة عنها وعن عيوبها ، واذا أراد الله بعبد شرّاً بصّره عيوب غيره وأعماه عن عيوب نفسه ، وذكر الاشياء و تعييبها في الحقيقة راجع الى تعييب الصّنع ، والغفلة عن الصّانع وصنعه حين النّظر الى المصنوع كفر للصّانع ، والغفلة من النّفس و عيوبها مذموم، و رؤية النّفس والاعجاب بها اصل جميع الشّرور ، فرؤية السّوء من غير الانسان قبيحة ، و رؤيته من الانسان اقبح ، ومن المنتحل للاسلام اشدّ قبحاً ، ومن المسلم اشدّ قبحاً ، ومن المؤمن اشدّ قبحاً ، وذكره في غيابه اوحضوره بسوء لاقبيح اقبح منه حتّى نسب الى الخبر انّه اشدّ من سبعين زنيةً مع الامّ تحت الكعبة،ولذلك نسب الى عيسى (ع) انّه مرّ مع الحواريّين على جيفة كلب منتنة فقال الحواريّون: ماانتنه.. ! فقال عيسى (ع) : ماابيض اسنانه.. ! و روى انّ نوحاً مرّ على كلب كريه المنظر فقال نوح: مااقبح هذا الكلب فجثا الكلب و قال بلسان طلق ذلق : ان كنت لاترضى بخلق الله فحوّلني يا نبيّ الله ، فتحيّر نوح واقبل يلوم نفسه بذلك وناح على نفسه اربعين سنة حتّى ناداه الله تعالى الى متى تنوح يانوح؟ فقد تبت عليك ، وعن النّبيّ(ص) : المؤمن اذاكذب بغير عذر لعنه سبعون الف ملك وخرج من قلبه نتن حتّى يبلغ العرش ، ويلعنه حملة العرش وكتب الله عليه بتلك سبعين زنيةً اهونها كمن يزني مع امّه ، والكذب قبيح من كلّ احد خصوصاً من المؤمن لكن غيبة المؤمن اقبح منه بمراتب، وعنه (ص): من آذى مؤمناً فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله ، ومن آذى الله فهوملعون في التّوراة والانجيل والزّبور والفرقان ، وهو ماذكرنا في سورة البقرة من انّ غيبة المؤمن وذكره بسوء في غيابه وحضوره وايذاءه كلّها راجع الى صاحبه، فمن اغتاب مؤمناً وذكره بسوء كان كمن اغتاب صاحبه وذكره بسوء ، واغتياب صاحبه الّذي هو اعظم آيات الله وذكره بسوء فوق جميع المعاصي وغايتها كما قال تعالى : ثمّ كان عاقبة الّذين اساؤا السّوءى ان كذّبوا بآيات الله واستهزؤا بها ، وقال (ص): من اغتاب مؤمناً بما فيه لم يجمع الله بينهما في الجنّة ابداً ، ومن اغتاب مؤمناً بماليس فيه انقطعت العصمة بينهما ، وكان المغتاب في النّار خالداً فيها و بئس المصير ، فالغيبة بما ليس في المؤمن تجمع خواصّ الغيبة والكذب جميعاً ، وقال (ص) : انّه يؤتى بأحد يوم القيامة يوقف بين يدي الله ويدفع اليه كتابه فلا يرى حسناته فيقول: آلهي ليس هذا كتابي ! لانّي: لااري فيها طاعتي ! فيقول له: انّ ربّك لايضلّ ولاينسى،ذهب عملك باغتياب النّاس ، ثمّ يؤتى بآخر ويدفع اليه كتابه فيرى فيه طاعات كثيرة فيقول: ما هذا كتابي ! فانّي ما عملت هذه الطّاعات ! فيقول: لانّ فلاناً اغتابك فدفعت حسناته اليك ، وقال (ص) : كذب من زعم انّه ولد من حلال و هو يأكل لحوم النّاس بالغيبة واجتنبوا الغيبة فانّها ادام كلاب النّار ، ونعم ما قال المولويّ قدّس سرّه :

عيب بر خود نه نه بر آيات دين	كي رسد بر چرخ دين مرغ گلين
پس توحيران باش بي لا و بلي	تا ز رحمت پيشت آيد محملي
عيب باشد كونبيند جز كه عيب	عيب كي بيند روان پاك غيب
اي خنك جاني كه عيب خويش ديد	هرچه عيبي ديد آن بر خود خريد

[أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ] ولقد أتى بالاستفهام الانكاريّ و بالاحد للعموم و بأكل لحم الميّت من الاخ و بتأكيد مفهوم نفى الحبّ بعطف كرهتموه للمبالغة البالغة فى النّهى عن الغيبة و تمثيل الغيبة بأكل لحم الميتة لانّ الاسماء قوالب المسمّيات ولاحكم لها على حيالها ، ومن ذكر مؤمناً بسوء لايكون ذلك منه الّا بتخلية المؤمن عن لطيفة ايمانه فذكره على لسانه وسماعه بسمعه بمنزلة لحمه الخالى عن الرّوح الممضوغ بفمه والدّاخل فى جوفه فانّ دخوله فى جوفه من طريق سمعه كدخوله فى جوفه من طريق حلقه، ولذلك ورد انّ السّامع للغيبة شريك المغتاب [وَاتَّقُوا اللَّهَ] فلاتغتابوا و توبوا ان اغتبتم ، ولمّا كان فى جبلّة الانسان رؤية العيب من الغير و ذكر ما رآه على لسانه وقد بالغ تعالى فى ذمّ الغيبة والنّهى عنه وكان ذلك مورثاً ليأس اغلب النّاس عن رحمته تعالى قال: [إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ] بعد ذلك ترجيحاً لجانب الرّجاء [يَا أَيُّهَا النَّاسُ] هذا الّذى يأتى تأكيدٌ للنّواهى السّابقة وتعليلٌ لها [إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى] يعنى من هذين الجنسين اومن آدم وحوّاء(ع) [وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ] الشّعوب للعجم كالقبائل للعرب ، وقيل: الشّعب بفتح الشّين الجمع العظيم المنتسبون الى اصلٍ واحدٍ و هو يجمع القبائل ، والقبيلة تجمع العمائر ، و العمارة تجمع البطون ، و البطن يجمع الافخاذ ، و الفخذ يجمع الفصائل ، والاقل من الكلّ الفصيلة، فخزيمة شعب، وكنانة قبيلة ، وقريش عمارة، وقصىّ بطن، وهاشم فخذ، وعبّاس فصيلة [لِتَعَارَفُوا] لا ان تفاخروا وتنابزوا وتلمزوا وتسخروا وتغتابوا [إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ] فليست الكرامة والشّرف بالنّسب و الحسب و المال و الجمال وكثرة الاولاد و الخلوّ من العيوب [إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ] بالمتّقى منكم والاتقى و بالشّقىّ والاشقى [خَبِيرٌ] بما لايتعلّق علمكم به من بواطن اموركم وقدر استعدادكم واستحقاقكم [قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا] .

اعلم، انّ الاسلام وهو الدّخول تحت احكام القالب يحصل بمحض الاقرار اللّسانىّ والبيعة العامّة النّبويّة، ولذلك كانوا يدخلون النّاس فى الاسلام بالبيعة العامّة بالتّخويف والسّيف والقتل والاجلاء والاسر والنّهب وهو فى الحقيقة انقياد للسّلطنة الخلقيّة لا للحكومة الالهيّة ، فان كان مع ذلك اعتقاد بالحكومة الالٓهيّة وانقياد فى القلب كان الاسلام حقيقة وسمّوا مسلمين حقيقة والّا كانوا مسلمين ظاهراً لاحقيقةً، والايمان وهو الدّخول تحت احكام القلب يحصل بالبيعة الخاصّة الولويّة وليس الّا انقياد القلب لمن آمن على يده ، و بعبارة اخرى الاسلام الحقيقىّ قبول الرّسالة كما انّ الاسلام الظّاهرىّ قبول احكام الرّسالة ، والايمان قبول احكام النّبوّة والولاية ، و بعبارة اخرى؛ الاسلام قبول الدّعوة الظّاهرة ، و الايمان قبول الدّعوة الباطنة ، و بعبارة اخرى الاسلام تحلّى الظّاهر بحلية الشّريعة ، و الايمان تكيّف الباطن بكيفيّة الامام الّتى هى صورة نازلة منه ملكوتيّة تدخل قلب المؤمن و بها يكون فعليّته الاخيرة ، و بها تحصل الابوّة و البنوّة بين الامام والمؤمن ، و بها تحصل الاخوّة بين المؤمنين وهى الّتى اذا ظهرت على صدر المؤمن صارت سكينةً وفكراً و حضوراً وهى ظهور القائم (ع) فى العالم الصّغير ، و بها تحصل المعرفة بالنّورانيّة و بها تشرق الارض بنور ربّها ، ولمّا كانت الاعراب بمحض البيعة العامّة والدّخول تحت احكام القالب قالوا: آمنّا، ولم يكونوا يؤمنون بالبيعة الخاصّة ولم يتكيّف قلوبهم بكيفيّة الامام ولم يتنزّل صورة الامام فى قلوبهم فانّها لاتتنزّل الّا بالبيعة الخاصّة والاتّصال المعنوىّ بالامام(ع) قال الله تعالى لنبيّه : قل لهم الايمان غير الاسلام والاسلام الظّاهرىّ الّذى هو الدّخول تحت السّلطنة بمحض البيعة العامّة غير الاسلام الحقيقىّ الّذى هو الانقياد تحت الحكومة الالهيّة بالبيعة العامّة فانتفُ الايمان عنهم رأساً و [قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ] اقتصروا فى القول على ما هو المتيقّن من الدّخول تحت

السّلطنة بالبيعة العامّة و[قُولُوا أَسْلَمْنٰا] ولم يقل اسلمتم لايهام اثبات الاسلام الحقيقىّ والحال انّه ليس بمتيقّن [وَلَمّٰا يَدْخُلِ الْإِيمٰانُ] الّذى هو كيفيّة نازلة من الامام فى قلب المؤمن بالبيعة [فِي قُلُوبِكُمْ] لعدم وقوع تلك البيعة منكم وقد مرّ فى اوّل البقرة بيان معانى الاسلام والايمان [وَ] لكن [إِنْ تُطِيعُوا اللّٰهَ وَرَسُولَهُ] حتّى يتحقّق بالطّاعة فيكم حقيقة الاسلام [لاٰ يَلِتْكُمْ] لا ينقصكم [مِنْ أَعْمٰالِكُمْ] بانفسها على تجسّم الاعمال ومن اجورها [شَيْئاً إِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ] يغفر منكم زلاّتكم ولا ينظر الى عدم ايمانكم والى انّ الاسلام الظّاهر لا ينفع سوى المنافع الدّنيويّة [رَحِيمٌ] يتفضّل عليكم بأنواع فضله ولا ينظر الى عدم استحقاقكم [إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ] بعد مانفى ايمانهم بمحض البيعة العامّة بيّن انّ الايمان ليس محض البيعة العامّة وقال: انّما المؤمنون [الَّذِينَ آمَنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ] اى باعوا البيعة الخاصّة الّتى بها يحصل الايمان والدّخول تحت احكام القلب وقبول احكام الولاية فبقوا عليه حتّى يظهر لهم آثار الولاية وبصلوا الى حدود القلب ولذلك أتى بثمّ وقال [ثُمَّ لَمْ يَرْتٰابُوا] فانّ البائع البيعة الخاصّة قلّما ينفكّ عن الارتياب والاضطراب فى اوّل الامر، واذا ظهر عليهم آثار الولاية وظهر لهم رذائل الصّفات وخصائلها حصل لهم الاطمينان وجاهدوا لامحالة مع جنود الشّيطان ولدفع الرّذائل وجلب الخصائل ولذلك قال [وَجٰاهَدُوا بِأَمْوٰالِهِمْ] من الاعراض الدّنيويّة والاعراض النّفسانيّة والقوى البدنيّة والوجاهة الانسانيّة، ونسب الافعال والاوصاف الى انفسهم [وَأَنْفُسِهِمْ] من انانيّاتهم الّتى هى اصل سيّئاتهم وشرورهم [فِي سَبِيلِ اللّٰهِ أُولٰئِكَ هُمُ الصّٰادِقُونَ] الخارجون من الاعوجاج.

اعلم، انّ الايمان الحاصل بالبيعة الخاصّة وقبول الدّعوة الباطنة امّا يكون صاحبه فى مقام الصّدر غير خارج منه الى نواحى القلب وهذا لا يخلو من اضطراب فى بعض الاحيان ولا يخلو من صرف الاعمال عن جهتها الآلهيّة الى الجهات النّفسانيّة فلا يخلو ايضاً من اعوجاج، واذا خرج من حدود الصّدر الّذى هو محلّ الاسلام الى حدود القلب الّذى هو محلّ الايمان صار خارجاً من الارتياب ومن الاعوجاج الّذى هو مداخلة اغراض النّفس فى الاعمال الآلهيّة، وكأنّ القسم الاوّل غير خارج عن حقيقة الاسلام وغير داخل فى حقيقة الايمان وان كان يحصل بالبيعة الخاصّة صورة الايمان ولهذا قال الصّادق (ع) فيما ورد عنه: انّما تمسّكتم بأدنى الاسلام فايّاكم ان يفلت من ايديكم، وللاشارة الى حقيقة الايمان الّتى بها يحصل الصّدق فى الاعمال ويرتفع الارتياب قال: ثمّ لم يرتابوا (الى آخر الآية) وللاشارة الى حصول صورة الايمان بمحض البيعة الخاصّة قال: الّذين آمنوا بالله ورسوله يعنى بالبيعة الخاصّة لانّ المخاطبين كانوا بائعين بالبيعة العامّة فلم يكن المراد البائعين البيعة العامّة وانّما اقتصر على ذكر الاوصاف والآثار للمؤمنين لانّه ان قال: انّما المؤمنون الّذين باعوا البيعتين او باعوا البيعة الخاصّة او البيعة الولويّة لكان المنافقون طلبوا ذلك وزاحموا النّبىّ (ص) بذلك وآذوه طلباً لذلك [قُلْ] لهؤلاء الّذين يظهرون الايمان على السنتهم [أَتُعَلِّمُونَ اللّٰهَ بِدِينِكُمْ] يعنى ان كنتم مؤمنين فلاحاجة الى اظهاره فانّ الايمان هو وصف الهىّ وغايته الهيّة فان كان اظهاركم لاعلام النّاس بذلك لا ينبغ ذلك لانّه وصف الهىّ لاخلقىّ، وان كان لاعلام الله لا ينبغى ذلك ايضاً لانّكم بأعمالكم واوصافكم وأحوالكم غير خارجين من السّماوات والارض [وَاللّٰهُ يَعْلَمُ مٰا فِي السَّمٰاوٰاتِ وَمٰا فِي الْأَرْضِ وَاللّٰهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ] تعميم بعد تخصيص اوتأكيد، روى انّه لمّا نزلت الآية المتقدّمة جاؤا وحلفوا انّهم مؤمنون معتقدون فنزلت هذه الآية [يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا] منّ عليه منّاً ومنّينى كحلّيفى انعم عليه، ومنّ عليه منّة عدّ نعمته

عليه واعتدّ بها وعظّمها ، وهذا هو المراد ههنا فانّهم اعتدّوا باسلامهم نعمةً عليه [قُلْ لَاتَمُنُّوا عَلَيَّ اِسْلَامَكُمْ] لانّ الاسلام ليس نعمة لكم ولا لى بل هو مقدّمة للايمان الّذى هو نعمة لكم ولى فقل لهم: لاتعتدّوا باسلامكم ولاتعدّوه نعمة علىّ [بَلِ اللّٰهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ] ينعم عليكم اويعدّه نعمةً عليكم [اَنْ هَدٰيكُمْ لِلْاِيمٰانِ] ان ادخلكم فى الاسلام الّذى هو ما به الهداية الى الايمان الّذى هو نعمة [اِنْ كُنْتُمْ صٰادِقِينَ] فى ادّعاء الاسلام ، قال القمّىّ : نزلت الآية فى عثمان يوم الخندق [اِنَّ اللّٰهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمٰوٰاتِ وَالْاَرْضِ] فيعلم خفيّات اموركم و صدق نيّاتكم و مكموناتكم الّتى لاخبرة لكم بها من القوى والاستعدادات المكمونة [وَاللّٰهُ بَصِيرٌ بِمٰا تَعْمَلُونَ] فيعلم اغراضكم فيها .

سورة ق

مكّيّة،وقيل الّاقوله : ولقد خلقنا السّموات والارض(الى قوله)قبل الغروب ، خمسة واربعون آيةً .

بسم الله الرحمن الرحيم

[قٓ] اسم لله او للنّبىّ (ص)، او للقرآن ، او للجبل المحيط بالدّنيا ، وهو من جبال عالم البرزخ او المثال او نفس عالم البرزخ لانّ خلفه عالم المثال [وَالْقُرْاٰنِ الْمَجِيدِ] العظيم فى نفسه المنيع من التّسلّط عليه، وجواب القسم محذوف اى انّك لرسول الله (ص) او انّهم ليبعثون بقرينة ما بعده [بَلْ عَجِبُوا اَنْ جٰاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ] يعنى ماكذّبوك لانّهم وجدوك كاذباً بل كذّبوك لتعجّبهم من رسالة البشر [فَقٰالَ الْكٰافِرُونَ] برسالتك [هٰذٰا] الّذى يدّعيه من الرّسالة من الله [شَيْءٌ عَجِيبٌ] يعجب منه ، اوهذا الّذى يقوله من البعث بعد الموت وتفتّت العظام شيءٌ يتعجّب منه [ءَاِذٰا مِتْنٰا وَكُنّٰا تُرٰاباً] نبعث ونرجع [ذٰلِكَ] الاحياء بعد الموت [رَجْعٌ بَعِيدٌ] لعدم امكانه فانّ البعث على ما يتصوّره العوامّ ، يقول الفلسفىّ الّذى يعدّ نفسه من الحكماء انّه محالٌ عقلا لاستلزامه ردّ الفعليّة الى القوّة والاستعداد ، والموجود الى المعدوم كما بيّن فى محلّه [قَدْ عَلِمْنٰا مٰا تَنْقُصُ الْاَرْضُ مِنْهُمْ] جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: كيف يبعثون؟-والحال انّهم مختلطون بالارض ! [وَعِنْدَنٰا كِتٰابٌ حَفِيظٌ] حافظ الجميع ما لهم من القوى و الاعضاء وحافظ لاسمائهم واعدادهم و اعمالهم من الخير والشّرّ، اومحفوظ من التّغيير و التّبديل [بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمّٰا جٰاءَهُمْ] يعنى ليس تكذيبهم للبعث لوجود البرهان عليه بل لانّهم صاروا باطلين، والباطل لايصدّق الحقّ ومنه رسالتك وخلافة علىٍّ (ع) والقرآن والبعث [فَهُمْ فِي اَمْرٍ مَرِيجٍ] مختلط من الاهوية البهيميّة والاستعلاء السّبعيّة والحيل الشّيطانيّة ، او هم فى امر مختلط من حال محمّد (ص) فيقولون : انّه مجنونٌ او شاعرٌ او ساحرٌ او كاهنٌ [اَ] لم يخرجوا من حدود انفسهم فلم يقوموا من نكسهم [فَلَمْ يَنْظُرُوا اِلَى السَّمٰاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنٰاهٰا] بحيث لايمكن بقاء مواليد الارض بدون هذا البناء [وَزَيَّنّٰاهٰا] بالكواكب بحيث يتّصل اثرها

الى الارض ومواليدها ولو لا آثار تلك الكواكب لما امكن بقاؤها [وَمٰا لَهٰا مِنْ فُرُوجٍ] بحسب الصّورة يعنى ليس بناؤها مثل بناء البانين من البشر لا يمكن لهم ان يبنوا بلا فروج ومالها خلل ونقص فى خلقتها حتّى يمكن لاحد ان يقول: لوكان كذا لكان اولى [وَالْأَرْضَ مَدَدْنٰاهٰا] اى كيف مددنا الارض بحيث يمكن التّعيّش عليها و الانتفاع بها بالزّراعات والتّجارات والعمارات [وَأَلْقَيْنٰا فِيهٰا رَوٰاسِيَ وَأَنْبَتْنٰا فِيهٰا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ] اى صنف [بَهِيجٍ] من النّبات و بذلك الانبات يسهل تعيّشكم و تعيّش انعامكم وليس هذا من محض الطّبيعة كما يقوله اراذل النّاس من الطّبيعيّة و الدّهريّة بل من مبدء عليم قدير رحيم حكيم مدبّر، وخلق الكلّ لبنى آدم كما هو المشهود ، وليس ذلك لتعيّشهم فى الدّنيا كما يقوله منكروا البعث بل لتعيّشهم فى الدّنيا و استكمالهم فيها ليكونوا فى الآخرة على احسن وجه [تَبْصِرَةً وَذِكْرىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ] الى ربّه فانّ غيره لابتلائه بالحرص وطول الامل يمرّ على الآيات غافلاً عنها [وَنَزَّلْنٰا مِنَ السَّمٰاءِ مٰاءً مُبٰارَكاً] كثير البركة فانّ بركات الارض كلّها من الماء و ليس من ماء فى الارض الّا وقد خالطه ماء السّماء كما روى عن النّبىّ(ص) : ليس من ماء فى الارض الّا و قد خالطه ماء السّماء ، او المراد بالسّماء جهة العلو [فَأَنْبَتْنٰا بِهِ جَنّٰاتٍ] نسبة الانبات الى الجنّات باعتبار انبات اشجارها مجاز عقلىّ [وَحَبَّ الْحَصِيدِ] يعنى انبتنا به حبّ النّبات الّذى من شأنه ان يحصد [وَالنَّخْلَ بٰاسِقٰاتٍ] طوالاً [لَهٰا طَلْعٌ نَضِيدٌ] منضود بعضها فوق بعض [رِزْقاً لِلْعِبٰادِ] اى نرزق بذلك الطّلع بعد بلوغه و نضجه رزقاً للعباد ، اوحالكون الطّلع رزقاً للعباد [وَأَحْيَيْنٰا بِهِ] بذلك الماء [بَلْدَةً مَيْتاً كَذٰلِكَ الْخُرُوجُ] بعد المماة فما لكم تشاهدون اماتة الاشجار والاراضى عن الاوراق والنّبات واحياءها بعد ذلك و تنكرون احياء البشر بعد المماة ، و هذا تمثيل لسهولة تصوير البعث او تنبيه على البيّنة الوجدانيّة [كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحٰابُ الرَّسِّ] الّذين رسّوا نبيّهم فى الارض وقد مضى قصّتهم و بيان الرّسّ فى سورة الفرقان [وَثَمُودُ وَعٰادٌ وَفِرْعَوْنُ] المراد من فرعون هو و قومه كما اراد من ثمود و عاد الطّائفتين اللّتين سمّيتا بهما [وَإِخْوٰانُ لُوطٍ] اى اخوان معاشرته [وَأَصْحٰابُ الْأَيْكَةِ] اى قوم شعيب كما سبق مكرّراً [وَقَوْمُ تُبَّعٍ] قد سبق فى سورة الدّخان [كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ] وفيه تسلية للرّسول(ص) وقومه وتهديد للكفّار بوعيده [أَفَعَيِينٰا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ] فنعجز عن الاعادة بذلك؟ [بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ] اى فى اشتباه و لذلك انكروا الخلق الجديد لا انّ لهم برهاناً على عدم الاعادة كما يدّعيه الفلاسفة ، او فى اختلاط من خلق جديد يعنى انّ خلقتهم القديمة مختلطة بخلقتهم الجديدة لكنّهم غافلون عنه ، او فى لبس لباس على ان يكون اللّبس بفتح اللّام بمعنى اللّبس بضمّ اللّام وقد سبق فى اوّل البقرة عند قوله الّذين يؤمنون بالغيب و يقيمون الصّلوة و ممّا رزقناهم ينفقون وعند قوله و كيف تكفرون بالله و كنتم امواتاً (الآية) ما به غنية عن بيان كونهم فى خلق جديد، ونكّر الخلق الجديد لانّ الخلق الجديد لهم من قبيل الحركة فهم فى كلّ آن فى خلق غير الخلق الاوّل فلا بقاء لفرد من افراده حتّى يمكن ان يعرف ، وعن

حديثٌ فى تجدّد العوالم غير هذا العالم

الباقر(ع) انّه سئل عن هذه الآية فقال : تأويل ذلك انّ الله تعالى اذا أفنى هذا الخلق وهذا العالم وسكن اهل الجنّة الجنّة واهل النّار النّار جدّد الله عالماً غير هذا العالم ، وجدّد خلقاً من غير فحولة ولا اناث يعبدونه و يوحّدونه ، وخلق لهم ارضاً غير هذه الارض تحملهم ، وسماء غير هذا السّماء تظلّهم ، لعلّك ترى انّ الله انّما خلق هذا العالم الواحد، او ترى انّ الله لم يخلق بشراً غيركم ، بلى والله لقد خلق الف الف عالم ، والف الف آدم ، انت فى آخر تلك العوالم

و اولئك الآدميّين [وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ] تمهيد لعلمه تعالى بخفيّات امور الانسان و تعليلٌ لقوله : قد علمنا ما تنقص الارض منهم ، و المراد بالانسان جنس الانسان [وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ] من خطرات قلوبه [وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ] تعليل لعلمه بخفيّات اموره ، والاوردة العروق النّابتة من الكبد و بها يجرى الدّم الّذى هو غذاء البدن الى الاعضاء كما انّ الشّرائين العروق النّابتة من القلب و بها يجرى الرّوح الحيوانىّ والرّوح الدّماغىّ الى الاعضاء وصار حبل الوريد مثلاً فى القرب [إِذْ يَتَلَقَّى] ظرف لاقرب او لنعلم اولهما يعنى نحن اقرب اليه اذ يتلقّى [الْمُتَلَقِّيَانِ] اى اذ يتلقّى الحفيظان ما يتلفّظ و ما يفعله والمعنى نحن اقرب اليه وقت تلقّى الكاتبين الفاظه و اعماله فلاحاجة لنا الى كاتبٍ يكتب اعماله [عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ] مراقب كثيراً لاعماله [عَتِيدٌ] معدّ لكتابة الاعمال ، عن الصّادق(ع): ما من قلبٍ الّا وله اذنان على احدهما ملك مرشد وعلى الاخرى شيطان مفتّن هذا يأمره وهذا يزجره ، الشّيطان يأمره بالمعاصى ، و الملك يزجره عنها ، وهو قول الله تعالى عن اليمين و عن الشّمال قعيد ، وفى بعض الاخبار تلويح بانّ صاحب اليمين وصاحب الشّمال كليهما ملكان، صاحب اليمين اميرعلى صاحب الشّمال و يكتب الحسنات، وصاحب الشّمال يكتب السّيّئات وهذا من سعة وجوه القرآن [وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ] سكرة الموت كناية عن الغشية الحاصلة عنده، وأتى بالماضى لتحقّق وقوعه [بِالْحَقِّ] لا يغيّر الحقّ حتّى تكون امارةً كاذبةً وقرئ: وجاءت سكرة الحقّ بالموت ، و الباء على القرائتين للتّعدية ، او بمعنى مع ، او للسّببيّة [ذَٰلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ] وتفرّ، والجملة حاليّة ، اوجوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ بتقدير القول ، والخطاب لمطلق الانسان او لمنكر البعث [وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ] وهذه ايضاً حاليّة او مستأنفة جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ بتقدير القول اى يقال له ذلك اليوم العظيم يوم الوعيد الّذى كنت تنكره ، والمراد بالنّفخة النّفخة الثّانية كما انّ المراد بمجيء سكرة الموت النّفخة الاولى [وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ] السّائق ملك موكّل على الانسان يسوقه الى المحشر و الى الآخرة ، ويزجره عن الوقوف فى المواقف ، والشّهيد ملك موكّل عليه يحضر معه فى كلّ موطنٍ و يحفظ و يشهد عليه بجميع اعماله ، فانّه كما انّ الانسان فى الدّنيا له نوائب تمنعه عن الوقوف و الاطمينان بالدّنيا وله حالة يلتذّ بها فى المناجاة و الطّاعات كذلك فى الآخرة عليه ملك يزجره عن الوقوف و يسوقه ، وملك حاضر معه فى جميع مواطنه ، و هذان الملكان يكونان معه فى الدّنيا لكن لايعلم بهما ، وقيل المراد بالسّائق الملك الّذى هو صاحب الشّمال ، و بالشّهيد صاحب اليمين [لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَٰذَا] مستأنفة او حاليّة بتقدير القول والمعنى كنت فى غفلة من هذا فى الدّنيا [فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ] فتبصر فى هذا اليوم ما كنت لاتبصره فى الدّنيا [فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ] فتبصر فى هذا اليوم دقائق ما كنت لاتقدر على ابصاره فى الدّنيا [وَقَالَ قَرِينُهُ] اى الملك الموكّل عليه [هَٰذَا] المكتوب الّذى كتبته عليه [مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ] و مهيّأ للحضور و الاظهار وقال الشّيطان الّذى قيّض له هذا الضّال مالدىّ عتيدٌ و مهيّأ لجهنّم [أَلْقِيَا] من مقول قول القرين ، او استيناف كلام من الله بتقدير القول سواء جعل حالاً اومستأنفاً جواباً لسؤالٍ مقدّرٍ والخطاب للسّائق والشّهيد ، او لمحمّدٍ(ص) وعلىٍّ(ع) كما ورد فى اخبارٍ عديدة من طريق الخاصّة والعامّة و زيد فى بعض الاخبار: وادخلا الجنّة من احبّكما [فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ] يتعدّى حدود الله او

معتدٍ على العباد [مُرِيبٍ] شاكٌ فى الله ، اوفى رسوله ، اوفى خلافة خليفته [اَلَّذِى جَعَلَ مَعَ اللهِ اِلٰهًا اٰخَرَ] من الاصنام و الكواكب و الاهوية ، اوجعل مع مظاهر الله خليفة اخرى فى الارض مثل نمرود و فرعون [فَاَلْقِيٰاهُ فِى الْعَذٰابِ الشَّدِيدِ قٰالَ قَرِينُهُ] اى الشّيطان المقيّض له [رَبَّنٰا مٰا اَطْغَيْتُهُ] كأنّه قال: هو اطغانى [وَلٰكِنْ كٰانَ فِى ضَلٰالٍ بَعِيدٍ] من الحقّ يعنى انّه كان فى الفطرة ضالّاً فاعنته على ذلك لا انّى احدثت له الضّلالة [قٰالَ] اى الله [لٰا تَخْتَصِمُوا لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ اِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ] فما سمعتموه و ما ارتدعتم فلاحجّة لكم عندى [مٰا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَىَّ] بالعذاب على من سجّلت العذاب عليه ، و امّا العفو فهو ليس من تبديل القول فانّه ايضاً من الوعد الّذى لاخلف فيه وليس العفو جزافاً حتّى يقول كلّ مذنبٍ ليعف عنّى [وَمٰا اَنَا بِظَلّٰامٍ لِلْعَبِيدِ] فلا اعذّب من دون سببٍ ولا اعفو من غير داعٍ [يَوْمَ يَقُولُ] ظرف لظلّامٍ ، او ليبدّل اى يوم يقول الله ، و قرئ بالتّكلّم [لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ] يسئل عنها سؤال تقريرٍ حتّى لايبدّل قوله لاملأنّ جهنّم من الجنّة و النّاس اجمعين ، اوسؤال استفهامٍ لكنّ المنظور تنبيه العصاة وتهديدهم [فَتَقُولُ] فى الجواب [هَلْ مِنْ مَزِيدٍ] استفهاماً لطلب الزّيادة او تعجّباً من الزّيادة على ما فيها وانكاراً للمزيد ، و لمّا كان جميع اجزاء عالم الآخرة ذات علم وارادة ونطق فلاحاجة لنا الى تأويل السّؤال والجواب ههنا [وَاُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ] فى قوله القيا فى جهنّم وفى قوله ازلفت الجنّة [لِلْمُتَّقِينَ] توهين للعصاة و تشريف للمتّقين وليس المتّقون الّا من قبل الولاية وهم شيعة آل محمّدٍ(ص) [غَيْرَ بَعِيدٍ] مكاناً غير بعيدٍ اوازلافاً غير بعيدٍ ، اوحال كونها غير بعيدة ، واسقاط التّاء حينئذٍ يكون من قبيل اسقاط التّاء من قوله : انّ رحمة الله قريب من المحسنين وهو تأكيدٌ لقربها [هٰذٰا مٰا تُوعَدُونَ لِكُلِّ اَوّٰابٍ] بدل من قوله للمتّقين ، اوخبر مبتدءٍ محذوفٍ ، والاوّاب الكثير الرّجوع الى الله [حَفِيظٍ] حافظٍ نفسه من التّدنّس بادناس المعاصى، او محفوظٍ عن المعاصى [مَنْ خَشِىَ الرَّحْمٰنَ بِالْغَيْبِ] بدل من اوّابٍ ،اوخبر مبتدءٍ محذوفٍ، او مبتدء خبره ادخلوها [وَجٰاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ] راجع الى الله [اُدْخُلُوهٰا] خبر لمن خشى ، اوحال، اومستأنف والكلّ بتقدير القول [بِسَلٰامٍ] من كلّ آفةٍ [ذٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ لَهُمْ مٰا يَشٰاؤُنَ فِيهٰا] متعلّق بيشاؤن او بلهم [وَلَدَيْنٰا مَزِيدٌ] فانّ لدينا ما لا يخطر ببالهم حتّى يشاؤها ثمّ عطف على عقوبة الكفّار تهديداً لهم وقال: [وَكَمْ اَهْلَكْنٰا قَبْلَهُمْ] قبل قريشٍ اواهل مكّة [مِنْ قَرْنٍ هُمْ اَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِى الْبِلٰادِ] نقب فى الارض من المجرّد ، و نقّب من التّفعيل ، وانقب من الافعال ذهب فيها ، و نقّب عن الاخبار بحث عنها واخبر بها ، والمراد فتحوا البلاد او ساروا فيها بالمنافع الكثيرة والاعمال الدّقيقة ، اوساروا فيها لتجسّس الاخبار [هَلْ مِنْ مَحِيصٍ] و مخلص من الهلاك، والجملة حاليّة اومستأنفة بتقدير القول اى يقول تلك القرون او نقول لهم هل من محيصٍ [اِنَّ فِى ذٰلِكَ] الاخبار اوفى ذلك الاهلاك [لَذِكْرٰى لِمَنْ كٰانَ لَهُ قَلْبٌ اَوْ اَلْقَى السَّمْعَ] .

اعلم، انّ العلم الّذى هو نورٌ يقذفه الله فى قلب من يشاء ، اوّل ظهوره يورث التّحيّر والانصات فيطلب به من يخرجه من تحيّره فاذا وجد وانقاد له لم يكن له شأنٌ الّا الاستماع الى ما قال المنقاد له و الامام ، فثانى مراتبه يورث الاستماع لمن انقاد له وهو مقام التّقليد فانّه يأخذ فى هذا المقام من الامام مصدّقاً له من غير تحقيقٍ لمأخوذاته،

او من غير اعتبارٍ لتحقيق مأخوذاته ، و هذا صاحب الصّدر المنشرح بالاسلام فاذا وجد هذاالمقلّد انموذج مأخوذاته بوجدانه او بشهوده كان خارجاً من حدود صدره الى حدود قلبه وهذا هوالّذى مزج التّقليد بالتّحقيق، اوخرج من التّقليد الى التّحقيق ، وهذا صاحب القلب سواء دخل فى بيت القلب او لم يدخل بعدُ لكن كان مشرفاً على الدّخول ، و هذان هما اللّذان يتذكّر ان و يعتبر ان بكلّ ماسمعاه ، وامّا غيرهما من ار باب النّفوس فيمرّون على الآيات وهم عنها معرضون [وَهُوَ شَهِيدٌ] حاضر الذّهن عند القائل تقييد لالقاء السّمع [وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمٰوٰاتِ وَالْاَرْضَ وَمٰا بَيْنَهُمٰا فِي سِتَّةِ اَيّٰامٍ] قد مضى فى سورة الاعراف بيان خلق السّماوات والارض فى ستّة ايّام [وَمٰا مَسَّنٰا مِنْ لُغُوبٍ] حتّى احتجنا الى الاستراحة كما قالته اليهود وهو ردّ لليهود حيث قالوا : انّ الله بدأ خلق العالم يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة ، واستراح يوم السّبت ، واستلقى على العرش ، روى انّ اليهود اتت النّبىّ(ص) فسألته عن خلق السّماوات والارض ، فقال : خلق الله الارض يوم الاحد والاثنين، وخلق الجبال وما فيهنّ يوم الثّلثاء ، وخلق يوم الاربعاء الشّجر والمدائن والعمران والخراب ، وخلق يوم الخمس السّماء ، وخلق يوم الجمعة النّجوم و الشّمس و القمر والملائكة ، قالت اليهود: ثمّ ماذا؟ـ يامحمّد(ص)، قال: ثمّ استوى على العرش، قالوا: قد اصبت لو أتممت، قالوا: ثمّ استراح، فغضب النّبىّ (ص) غضباً شديداً ، فنزلت الآية [فَاصْبِرْ عَلٰى مٰا يَقُولُونَ] فى حقّ الله بما لا يليق بجنابه و فى حقّك وفى حقّ علىٍّ (ع) [وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ] قد مضى فى اوّل الحمد بيان انّ تسبيحه تعالى ليس الّا بحمده و لذلك قيّد التّسبيح فى الاغلب بالحمد ، او قرنه به ، او بمايفيده [قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ] يعنى فى جميع الاوقات فانّه كثيراً ما يقيّد الامر بطرفى النّهار و يراد استغراق الاوقات ، اوالمراد هذان الوقتان بخصوصهما لشرافتهما ، وماورد فى فضيلة مابين الطّلوعين اكثر من ان يحصى ، وقد ورد فى فضيلة العصر اخبارٌ عديدةٌ ، اوالمقصود الاشارة الى صلوة الصّبح وصلوة العصر ، اوصلوة الظّهر والعصر [وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ] اى بعضاً من اللّيل سبّحه لانّ اللّيل وخصوصاً آخره وقت شريف تتوجّه النّفوس فيه الى الله والى اصلها لخلوصها من العوائق الخياليّة ، اوهو اشارة الى المغرب و العشاء ، او الى صلوة اللّيل [وَاَدْبٰارَ السُّجُودِ] قرئ مصدراً وجمعاً و المراد بالسّجود كمال الخضوع لعظمة الرّبّ يعنى بعد ما حصل لك كمال التّوجّه الى الله و الخضوع له او اشير بادبار السّجود الى ركعة الوتر اوالرّكعتين او الاربع الرّكعات بعد المغرب او الى الوتيرة [وَاسْتَمِعْ] انت فى الحال الحاضر نداء المنادى يوم القيامة ، اويوم ظهور القائم (ع) ، فانّك تسمع بالفعل نداء ذلك المنادى لخروجك من مرقدك و شهودك القيامة او خروج القائم (ع) [يَوْمَ يُنٰادِ الْمُنٰادِ] للبعث والحساب او ينادى المنادى باسم القائم (ع) واسم ابيه كما فى الخبر، واسقاط الياء من المنادى لاجراء الوصل مجرى الوقف وهو عربىّ جيّد [مِنْ مَكٰانٍ قَرِيبٍ] من كلّ النّاس فانّ نسبة المنادى فى القيامة اوفى ظهور القائم متساوية الى الكلّ [يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ] يعنى الصّيحة للحساب والقيام عندالله ، اوصيحة القائم اوالصّيحة بخروج القائم (ع) [ذٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ] من المراقد، عن الصّادق (ع) هى الرّجعة [اِنّٰا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ] فى الدّنيا جوابٌ لسؤالٍ مقدّر كأنّه قيل: من يفعل ذلك ؟ـ و من يخرج الاموات من المراقد؟ـ فقال: انّا نحن نحيى و نميت [وَاِلَيْنَا الْمَصِيرُ] فى الآخرة [يَوْمَ تَشَقَّقُ] ظرف للمصير او بدل من يوم يسمعون الصّيحة [الْاَرْضُ عَنْهُمْ سِرٰاعًا ذٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنٰا يَسِيرٌ] و ذلك فى الرّجعة او فى القيامة [نَحْنُ اَعْلَمُ بِمٰا يَقُولُونَ] فى حقّنا ، اوفى حقّك ، او فى حقّ علىٍّ (ع) تسلية له (ص) و تهديدٌ لقومه

المنافقين او المشركين [وَمٰا اَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبّٰارٍ] بمسلّطٍ عليهم بالاجبار لهم انّما انت منذرٌ مذكّرٌ [فَذَكِّرْ بِالْقُرْاٰنِ] اى بمطلق القرآن ، او بقرآن ولاية علىّ (ع) [مَنْ يَخٰافُ وَعِيدِ] .

سورة الذّاريات

مكيّة ، ستّون آيةً .

بسم الله الرّحمن الرّحيم

[وَالذّٰارِيٰاتِ ذَرْوًا] ذرت الرّياح التّراب والهشيم واذرت و ذرّت بالتّشديد اطارته ، والمراد الرّياح اوالنّساء الّتى تذرو الاولاد ، اوالاسباب الّتى تذرو الخلائق من الملائكة وغيرهم [فَالْحٰامِلاٰتِ وِقْرًا] اى السّحب الحاملات للامطار ، اوالرّياح الحاملات للسّحاب ، اوالنّساء الحوامل ، وقرئ و قراً بفتح الواو مصدراً ، والوقر بالكسر الحمل الثّقيل [فَالْجٰارِيٰاتِ يُسْرًا] السّفن الجاريات فى البحار بسهولة ، او الرّياح الجاريات فى مهابّها ، او الكواكب الجاريات فى مناطقها [فَالْمُقَسِّمٰاتِ اَمْرًا] اى الملائكة الّذين يقسّمون الارزاق و الامطار وغيرها ، او الرّياح الّتى تقسّم الامطار والسّحب ، اوجميع مايقسّم شيئاً من الملائكة والرّياح والانبياء والاولياء (ع) وهذا قسم من الله فان كان هذه اوصافاً لذوات متعدّدة فلفظ الفاء فيها لتفاوت المقسم به فى الشّرف و الخسّة وفى الدّلالة على قدرة الرّبّ وعنايته بخلقه ، وان كانت اوصافاً لذات واحدة فالفاء للتّرتيب بين الافعال فانّ الرّيح تفرّق وتحرّك الابخرة فى الجوّ فتنعقد فى الجوّ سحاباً فتحمله الى حيث يأمرها الله فتجرى به بسهولة فتقسّمه على البلاد والبرارى و البحار [اِنَّمٰا تُوعَدُونَ] من الثّواب والعقاب والحشر والحساب [لَصٰادِقٌ وَاِنَّ الدِّينَ] اى الجزاء [لَوٰاقِعٌ] اواللّام لتعريف العهد الذّهنىّ والمعنى انّ هذا الدّين الّذى يدّعيه لواقع يعنى حقّ وصدق [وَالسَّمٰاءِ ذٰاتِ الْحُبُكِ] اى ذات الطّرائق من مسير الكواكب او ذات الحسن والزّينة كما ورد عن اميرالمؤمنين (ع) فانّ الكواكب وطرائقها تزيّن السّماء كما يزيّن الموشّى الثّوب الوشّى بالطّرايق ، اوالمراد بالطّرائق الادلّة الّتى يأخذها النّظّار منها الّتى يستدلّون بها على صانعها وعلمه وقدرته وارادته وحكمته.

حديثٌ فى كيفيّة وضع الارض و طبقات السّماوات

وعن الحسين بن خالد عن ابى الحسن الرّضا (ع) قال قلت له : اخبرنى عن قول الله تعالى والسّماء ذات الحبك ، فقال : محبوكة الى الارض وشبّك بين اصابعه ، فقلت : كيف تكون محبوكة الى الارض ؟ ـ والله تعالى يقول رفع السّماء بغير عمدٍ ، فقال : سبحان الله ! اليس يقول بغير عمدٍ ترونها ؟ ـ قلت : بلى ، قال : فثمّ عمدٌ ولكن لاترى، فقلت : فكيف ذلك ؟ ـ جعلنى الله فداك ، قال : فبسط كفّه اليسرى ثمّ وضع اليمنى عليها ، فقال : هذه ارض الدّنيا والسّماء الدّنيا فوقها قبّة ، والارض الثّانية فوق السّماء الدّنيا ، والسّماء الثّانية فوقها قبّة ، والارض الثّالثة فوق السّماء الثّانية والسّماء الثّالثة فوقها قبّة ، ثمّ هكذا الى الارض السّابعة فوق السّماء السّادسة والسّماء السّابعة فوقها قبّة ، وعرش الرّحمن فوق السّماء السّابعة وهو قوله : خلق سبع سمٰوات و من الارض مثلهنّ يتنزّل الامر بينهنّ ، وصاحب الامر هو النّبىّ (ص) والوصىّ علىّ (ع) بعده ، وهو على وجه الارض

وانّما يتنزّل الامر اليه من فوق السّماء بين السّماوات والارضين ، قلت: فما تحتنا الّا ارضٌ واحدةٌ، قال : وماتحتنا الّاارض واحدة وانّ السّتّ لفوقنا [إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ] فى هذا الدّين الواقع الحقّ بانّ بعضكم يصدّق، وبعضكم يكذّب ، اوفى محمّدٍ (ص) بالتّصديق والتّكذيب و بأنّه مجنونٌ اوشاعرٌ اومعلّم من غيره اوكاهنٌ، او فى القرآن بانّه سحروكهانةورجز واساطيرالاوّلين، اوفى علىّ (ع) خليفته [يُؤْفَكُ عَنْهُ] اى عن الدّين او محمّدٍ (ص) او القرآن اوعلىّ (ع) وولايته [مَنْ أُفِكَ] حذف المصروف عنه عن الثّانى للمبالغة والتّأكيد فى ذمّ من افكٌ عنه كأنّه قيل: كلّ من افكٌ من خيرٍ يؤفكٌ عنه والمناسب لهذا التّعميم و التّأكيد ان يكون المراد بالضّمير المجرور عليّاً(ع) و ولايته كما فى الخبر فانّه اصل جميع الخيرات والآفكٌ من كلّ خير أفكٌ عنه ، اوالمعنى يؤفكٌ عنه من افكٌ فى الذّرّ، اوالمعنى يؤفكٌ عن هذاالقول المختلف، و بسببه من افكٌ عن الخير، اوعن هذاالدّين، اوعن محمّدٍ (ص) اوعلىّ (ع) [قُتِلَ الْخَرّاصُونَ] الخرص بالفتح الحرز والاسم منه بالكسر يقال كم خرص ارضكٌ بالكسروالقول بالظّنّ والكذب والكلّ مناسبٌ ههنا والمعنى لعن القائلون فى الدّين وخلافة اميرالمؤمنين (ع) بالظّنّ والتّخمين ، و استعمال القتل فى اللّعن لانّ من لعنه الله يقتله عن الحيوة الانسانيّة [الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ] الغمرة شدّة الشّيء ومزدحمه ، و تنكيره للتّفخيم وعدم نسبته الى شيءٍ مخصوصٍ لايهام التّعميم و المعنى الّذين هم فى غمرةٍ من كلّ شيءٍ من الجهل و الشّهوات و الغضبات و الشّيطنة والكبر و العجب و الفخر [ساهُونَ] عمّا ذكّرناهم به بحسب فطرتهم من طريق الآخرة ونعيمها ، اوعمّا ذكّرناهم فى عالم الذّرّ، اوساهون عن الله وعن المنعم وانعامه [يَسْأَلُونَ] حال اوخبرٌ بعد خبرٍ اومستأنفٌ [أَيّانَ يَوْمُ الدِّينِ] اى يوم الجزاء وكان سؤالهم هذا استهزاءً وانكاراً و لذلكٌ أتى به بعد قوله : الّذين هم فى غمرةٍ ساهون و اجابهم بقوله [يَوْمَ هُمْ عَلَى النّارِ يُفْتَنُونَ] يقال لهم [ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ] اى عذابكم وحريقكم اوفسادكم فى الدّنيا [هٰذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ] بدل من فتنتكم او مبتدء وخبرٌ [إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنّاتٍ وَعُيُونٍ] مستأنفٌ جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ عن حال المتّقى عن القول المختلف اوعن الافكٌ عن الولاية [آخِذِينَ ما آتاهُمْ رَبُّهُمْ] كناية عن رضاهم به وهوكناية عن كون ما آتاهم مرضيّاً حسناً [إِنَّهُمْ كانُوا قَبْلَ ذٰلِكَ مُحْسِنِينَ] مستأنفٌ فى مقام التّعليل والمعنى انّهم كانوا محسنين فى اعمالهم، اوكانوا ذوى حسنٍ وهوالولاية ، اوكانوا محسنين الى من تحت ايديهم والى غيرهم [كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ] بدل من قوله كانوا قبل ذلك محسنين نحو بدل التّفصيل عن الاجمال [ما يَهْجَعُونَ] عن الصّادق (ع) : كانوا اقلّ اللّيالى يفوتهم لايقومون فيها ، وعن الباقر (ع) : كان القوم ينامون ولكن كلّما انقلب احدهم قال: الحمدلله ولا آله الّاالله والله اكبر [وَبِالْأَسْحارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ] .

اعلم ، انّ الانسان الصّغير كالانسان الكبير فى وجوده ليلٌ ويوم وشمس و قمر ، وليله مراتب طبعه و نفسه الحيوانيّة ، و يومه مراتب ملكوته ، وشمسه عقله ، وقمره نفسه المستضيئة بنور العقل ، وما لم يخرج الانسان من بيت طبعه ونفسه لايمكن غفران مساويه ولواستغفر كلّ يوم الف مرّة ، واذا خرج من حدود نفسه الحيوانيّة وقرب من حدود قلبه وعقله الّتى هى فى الصّغير بمنزلة الاسحار فى الكبير سأل بلسان حاله غفران مساويه من ربّه و يجيبه الله ويغفره سواء سأل بلسان قاله اولم يسأل ، و من ههنا يظهر سرّ تقييد الاستغفار بالاسحار ، وسرّ تقديم الاسحار المفيد للحصر [وَفِي أَمْوالِهِمْ حَقٌّ لِلسّائِلِ وَالْمَحْرُومِ] من منفعة كسبه، ولايخفى تعميم الاموال للاعراض الدّنيويّة والقوى

والاعضاء ، والوجاهة والخدم والحشم والانانيات ولاتعميم السّائل للسّائلين من الاناسىّ بالكفّ واللّسان ، او بلسان الحال والسّائلين من الملائكة والعقول و الائمّة والله تعالى فانّه يسأل القرض من عباده ، و السّائلين بلسان حالهم او قالهم افاضة الخيرات من النّبىّ (ص) والامام واتباعهما ، والمحروم كما عن الصّادق (ع) المحارف[1] الّذى قد حرم كدّيده فى الشّراء والبيع ، ولايخفى تعميم بين كاسب الاموال الدّنيويّة المعاشيّة وكاسب الاموال الاخرويّة المعاديّة [وَفِى الْاَرْضِ اٰيٰاتٌ] دالّات على المبدء وعلمه وقدرته وعنايته بخلقه ورأفته [لِلْمُوقِنِينَ] بامر الآخرة لاغيرهم فانّهم يمرّون عليها وهم عنها معرضون [وَفِى اَنْفُسِكُمْ] عطف على فى الارض اومتعلّق بمحذوف بقرينة قوله تعالى [اَفَلٰاتُبْصِرُونَ] وقد تكرّر ذكر آيات الارض الّتى هى آيات الآفاق و ذكر آيات الانفس، عن الصّادق (ع) انّ رجلاً قام الى اميرالمؤمنين (ع) فقال : يا اميرالمؤمنين بما عرفت ربّك ؟- قال : بفسخ العزم و نقض الهمم لمّا ان هممت فحال بينى و بين همّى ، وعزمت فخالف القضاء عزمى ، علمت انّ المدبّر غيرى ، وعن الصّادق (ع) مثل هذا السّؤال والجواب [وَفِى السَّمٰاءِ رِزْقُكُمْ] الخاصّ بكم من حيث انسانيّتكم اواسباب رزقكم النّباتيّة وارزاقكم الانسانيّة [وَمٰاتُوعَدُونَ] من نعيم الجنّة فانّ الجنّة ونعيمها فى السّماء الصّوريّة بمعنى انّها مظهر لها وفى سماوات عالم الارواح فانّ محلّ الجنّة و نعيم الآخرة عالم الملكوت والجبروت وقال القمّىّ : المطر ينزل من السّماء فيخرج به اقوات العالم من الارض، وما توعدون من اخبار الرّجعة والقيامة والاخبار الّتى فى السّماء ، وقيل : فى السّماء تقدير ارزاقكم اى ما قسّمه لكم مكتوب فى امّ الكتاب وجميع ماتوعدون فى السّماء ايضاً لانّ الملائكة تنزل من السّماء لقبض الارواح ولاستنساخ الاعمال ولانزال العذاب و يوم القيامة للجزاء والحساب [فَوَرَبِّ السَّمٰاءِ وَالْاَرْضِ اِنَّهُ لَحَقٌّ] اى ما توعدون اوكون الرّزق وكون ماتوعدون فى السّماء ، اوانّ المعهود المقصود من كلّ قصّةٍ وحكاية وهو الولاية ولاية علىٍّ (ع) لحقّ [مِثْلَ مٰا اَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ] مثل نطقكم الّذى لاتشكّون فيه ، اوالمعنى فى السّماء رزقكم مثل ما انّكم تنطقون اى تدركون المعانى الغيبيّة فانّه من السّماء ينزل اليكم ، اوالولاية حقّ حالكونها مثل نطقكم فانّه من آثار الولاية التّكوينيّة ونازلة منها [هَلْ اَتٰيكَ حَدِيثُ ضَيْفِ اِبْرٰهِيمَ الْمُكْرَمِينَ] استيناف كلام لتهديد المعرضين عن المبدء او الرّسول اوالولاية [اِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقٰالُوا سَلٰامًا قٰالَ سَلٰامٌ] قد مضى فى سورة هودٍ هاتان الكلمتان [قَوْمٌ مُنْكَرُونَ] اى قال فى نفسه هؤلاء قومٌ منكرون غير معروفين لى ، اوقال لهم : انتم قوم منكرون اى لا اعرفكم [فَرٰاغَ اِلٰى اَهْلِهِ] اى فذهب اليهم فى خفية من ضيفه تعجيلاً للقرى [فَجٰاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ] لانّه كان عامّة ماله البقر [فَقَرَّبَهُ اِلَيْهِمْ قٰالَ اَلٰا تَأْكُلُونَ فَاَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قٰالُوا لٰا تَخَفْ] لانّا رسل ربّك [وَبَشَّرُوهُ بِغُلٰامٍ عَلِيمٍ فَاَقْبَلَتِ امْرَاَتُهُ] بعد البشارة وهى سارة [فِى صَرَّةٍ] اى فى صيحةٍ اوفى جماعة كما روى عن الصّادق (ع) [فَصَكَّتْ وَجْهَهٰا] قيل : جمعت اصابعها و ضربت بها جبهتها ، وقيل : لطمت وجهها للتّعجّب ، وقيل : غطّت وجهها [وَقٰالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ] يعنى كيف الدوكنت عاقراً وقت اقتضاء السّنّ الحمل و صرت عجوزاً ليس من شأنى الحمل [قٰالُوا كَذٰلِكِ قٰالَ رَبُّكِ] و انّما نخبرك عنه [اِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ] يعلم دقائق الامور و يصنع الامور المتقنة الّتى يعجز عن ادراكها و صنعها غيره [الْعَلِيمُ] فيعلم انّك

(١) المُحارَف = المحروم المنقوص الحظّ .

كنت عقيماً وصرت عجوزاً و يقدرعلى جعل العقيم ولوداً وجعل العجوز ذات حيض و ولد .

[الجزء السّابع والعشرون]

[قالَ] ابراهيم (ع) بعد ما عرفهم وانس بهم [فَما خَطْبُكُمْ] امركم وشغلكم لمّا لم يكن نزول الاربعة الاملاك دفعةً معهوداً له علم انّهم لم ينزلوا ٓالّا لامرٍ عظيم فسأل ماخطبكم؟ [أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ قالُوا إِنّا أُرْسِلْنا إِلى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجارَةً مِنْ طِينٍ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ فَأَخْرَجْنا مَنْ كانَ فِيها مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَما وَجَدْنا فِيها غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ] قد مضى قصّتهم فى سورة هود وغيرها [وَتَرَكْنا فِيها آيَةً لِلَّذِينَ يَخافُونَ الْعَذابَ الْأَلِيمَ وَفِي مُوسى إِذْ أَرْسَلْناهُ إِلى فِرْعَوْنَ بِسُلْطانٍ مُبِينٍ فَتَوَلّى بِرُكْنِهِ] الرّكن الجنب الاقوى والباء للتّعدية ، او بمعنى مع والمراد انّه ولّى جنوده اوجانبه ، او تولّى هو وجنوده [وَقالَ ساحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ] يعنى ما يفعله من سحره و باختياره او هو مجنون وما يظهر عليه من خوارق العادات انّما يظهر من الجنّ على يديه من دون اختياره [فَأَخَذْناهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْناهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ] آتٍ بما يلام عليه [وَفِي عادٍ إِذْ أَرْسَلْنا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ] سمّيت عقيماً لعدم تضمّنها المنفعة اولانّها اهلكتهم واستأصلتهم [ما تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ] كالرّماد المتفتّت الاجزاء [وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتّى حِينٍ] اى ثلاثة ايّام ان كان المراد به قول النّبىّ (ص) بعد الايعاد بالعذاب ،اوقيل تكويناً: تمتّعوا حتّى حين الآجال الّتى لكم وهذا هو المناسب لما بعده [فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ فَمَا اسْتَطاعُوا مِنْ قِيامٍ وَما كانُوا مُنْتَصِرِينَ] ممتنعين [وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كانُوا قَوْماً فاسِقِينَ] وقد مضى تلك القصص مكرّراً [وَالسَّماءَ بَنَيْناها بِأَيْدٍ] بقوّةٍ [وَإِنّا لَمُوسِعُونَ] اى قادرون او لموسعون الرّزق على العباد او لذو وسعةٍ للعباد و ارزاقهم [وَالْأَرْضَ فَرَشْناها] بسطناها [فَنِعْمَ الْماهِدُونَ] الباسطون او الممهّدون للقرار [وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ] برّيّاً و بحريّاً، اوانسيّاً ووحشيّاً ، و يكون لفظ كلّ من حمل حكم الاكثر على الكلّ اومن كلّ حيوان ذكرٍ و انثى ، اومن كلّ شيءٍ من الكيفيّات و الكمّيّات و المذوقات والمشمومات ضدّين متنافيين كالحرّ والبرد ، والسّواد والبياض ، والمرّ والحلو ، والقصير والطّويل ، والحسن والقبيح، الى غير ذلك ، وفى الاخبار اشارة الى هذا المعنى [لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ] علمه وحكمته و قدرته وعنايته بخلقه و رأفته ولعلّكم تذكّرون بمضادّته بين الاشياء ان لاضدّ له و بتفريقه بين المتفارقات انّ لها مفرّقاً ، و بتأليفه بين المتالفات انّ لها مؤلّفاً [فَفِرُّوا إِلَى اللّهِ] المنعم عليكم بهذه النّعم من نفوسكم الامّارة ومن الشّيطان وجنوده بالاستعاذة به ، ومن الاشرار و شرورهم بالاستعانة به ، ومن اهويتكم الّتى هى آلهتكم بالطّاعة لأمره و نهيه ، اوفرّوا من اوطانكم الى الحجّ ، اوفرّوا من اوطانكم الى الرّسول و الامام [إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ] وقوله تعالى ففرّوا حكاية لقول الرّسول (ص) او قوله انّى لكم منه نذير من الله [وَلا تَجْعَلُوا مَعَ اللّهِ إِلهاً آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ] تكرير للتّأكيد [كَذلِكَ] القول لك من انّك مجنونٌ اوساحرٌ اوكاهنٌ اوشاعرٌ [ما أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ

مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ أَتَوَاصَوْا بِهِ] يعنى انّ الاوّلين و الآخرين تواصوا بهذا القول فى حقّ الرّسول [بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ] ومقتضى طغيانهم عدم الانقياد للحقّ تعالى [فَتَوَلَّ عَنْهُمْ] عن المحاجّة والمجادلة معهم بعد اتمامك الحجّة واصرارهم على الانكار [فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ] بعد ذلك [وَ ذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ] وان لم يتذكّر بها الكافرون والمنافقون فى اخبارٍ عديدةٍ انّ النّاس لمّا كذّبوا رسول الله (ص) همّ الله تعالى باهلاك اهل الارض الّا عليّاً (ع) فما سواه بقوله: فتولّ عنهم فما انت بملومٍ ثمّ بداله فرحم المؤمنين ثمّ قال لنبيّه: وذكّر فانّ الذّكرى تنفع المؤمنين ، وعن عليّ (ع) لمّا نزلت : فتولّ عنهم لم يبق احدٌ منّا الّا ايقن بالهلكة فلمّا نزل وذكّر طابت انفسنا [وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ] .

اعلم، انّ الله تعالى كان غيباً مطلقاً لم يكن منه خبر ولا اسم ولا رسم فأحبّ ان يتجلّى فيعرف كما فى القدسىّ: كنت كنزاً مخفياً فأحببت ان اعرف فخلقت الخلق لكى اعرف ، فخلق الخلق لان يتجلّى عليهم فيألفوه ، ولا يتجلّى عليهم الّا اذا صاروا خارجين من انانيّاتهم، ولا يخرجون من انانيّاتهم الّا بارتياض النّفوس بما قرّره الله تعالى لذلك وليس الّا العبادات الشّرعيّة ، وايضاً لا يخرجون من انانيّاتهم الّا اذا صاروا عبيداً له تعالى خارجين من عبوديّة انفسهم وليس المقصود من العبادات ولا من العبديّة الّا ان يصيروا عارفين له متّصلين به منتهين اليه ، فالمقصود من قوله الّا ليعبدون الّا ليعرفون لكنّه ادّاه بهذه العبارة للاشعار بانّ المعرفة لا تحصل الّا بالعبادة او بالعبديّة، عن الصّادق (ع) قال: خرج علىّ بن الحسين (ع) على اصحابه فقال: ايّها النّاس انّ الله جلّ ذكره ما خلق العباد الّا ليعرفوه ، فاذا عرفوه عبدوه، واذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة من سواه، فقال له رجل: يابن رسول الله (ص) بابى انت وامّى، فما معرفة الله؟ـ قال: معرفة اهل كلّ زمانٍ امامهم الّذى يجب عليهم طاعته ، وقوله تعالى ولا يزالون مختلفين الّا من رحم ربّك ولذلك خلقهم ، المستفاد منه انّ خلقهم للاختلاف ، وعبادة بعضهم وتمرّد بعضهم لا ينا فى ذلك ، فانّ الغاية المقصودة والمنظور اليها والمترتّب عليها فعل الفاعل عبادتهم ومعرفتهم ولكن لمّا لم يكن خلق البشر فى عالم الكون من الاضداد الّا بان يكونوا مختلفين وكان غاية تلك الخلقة المنتهى اليها خلقتهم اختلافهم قال: ولذلك خلقهم فلا منافاة بينهما، فانّ العبادة علّة غائيّة لخلقهم والاختلاف غاية مترتّبة عليه [مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ] لى ولا لغيرى [وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ] جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: فما اراد من خلقهم رزقاً واعانةً [إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ] لكلّ مرزوقٍ تعليل يعنى انّ الرّزّاقيّة لا تتأتّى من غيره فكيف يريد رزّاقيّة الغير [ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ] الّذى لا حاجة له الى معين فى رزّاقيّته [فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا] انفسهم بانكار المبدء اوالمعاد ، اوظلموا الرّسول بعدم انقياده وعدم اعطاء حقّه من تسليم انفسهم له ، اوظلموا آل محمّدٍ (ص) حقّهم من عدم تسليم انفسهم لهم ومن غصب حقوقهم وهذا هو المنظور اليه ، والفاء للسّببيّة لقوله فذكّر [ذَنُوبًا] قسطاً ونصيباً فانّ الذّنوب الدّلو، اوالّتى فيها ماء ، او الملأى ، او دون الملأى ، او المراد بالذّنوب اليوم الطّويل الشّرّ [مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ] الّذين اتّبعوهم فى ظلم آل محمّد (ص) [فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ] بالعذاب [فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا] بولاية علىّ (ع) [مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ] وهو يوم آخر الدّنيا او يوم القيامة .

سورة الطّور

مكّيّة، تسع واربعون آية .

بسم الله الرّحمن الرّحيم

[وَالطُّورِ] اقسم بالجبل الّذى كلّم الله عليه موسى (ع)، اواقسم بمطلق الجبل لما فيه من انواع البركات والخيرات و لما ينبع من تحته الماء الّذى هواصل جميع البركات و باطنه الامام الّذى به وجود العالم و بقاؤه و بركاته، اوالمراد جهة النّفس العليا الّتى اذا بلغ الانسان هناك قرب من الله اذا كان على الجانب الايمن منها [وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ] اى مكتوب مسطور [فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ] الرّقّ الجلد الرّقيق الّذى يكتب فيه و الصّحيفة البيضاء و المراد به هيولى العالم الّتى كتب فيها صور الانواع ونفوسها ، اوطبع الانسان الّذى كتب فيه نفسه وقواها ومداركها ، وقيل: هوالكتاب الّذى كتبه الله لملائكته فى السّماء يقرؤن فيه ماكان وما يكون فيعملون بما فيه ، وقيل: هوالقرآن المكتوب عندالله فى اللّوح المحفوظ ، وقيل: هوصحائف الاعمال الّتى تخرج الى بنى آدم يوم القيامه ، وقيل : هو التّوراة [وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ] الّذى فى السّماء الرّابعة يدخله كلّ يوم سبعون الف ملك ثمّ لايعودون اليه ابداً ، وعن الباقر(ع) انّه قال: انّ الله وضع تحت العرش اربع اساطين وسمّاهنّ الضّراح و هوالبيت المعمور وقال للملائكة : طوفوا به ، ثمّ بعث ملائكةً فقال: ابنوافى الارض بيتاً بمثاله وقدره ، وامر من فى الارض ان يطوفوا بالبيت، وعن النّبىّ (ص) : البيت المعمور فى السّماء الدّنيا ، وفى حديث عنه : انّه فى السّماء السّابعة ، واختلاف الاخبار فى ذلك يشعر بوجه التّأويل، و لمّا كان الانسان الصّغير مطابقاً للانسان الكبير فالبيت المعمور هوقلبه الّذى هوفى السّماء الرّابعة بوجهٍ ، وتحت العرش بوجهٍ ، وفى السّماء الدّنيا بوجهٍ ، و بحذائه القلب الصّنوبرىّ الّذى هو فى ارض الطّبع و بناه الملائكة بحذاء القلب المعنوىّ الّذى هو فى سماء الارواح [وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ] السّماء ، اوالعقل الّذى هو بمنزلة السّقف للقلب والطّبع [وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ] اى الموقد اوالمملوّ فانّ البحار تسجّر وتوقّد ناراً يوم القيامة والمراد بحر الهيولى الّذى يوقد من نار الغضبات و الشّهوات و الحيل الشّيطانيّة [إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا] اى تضطرب اوتموج اوتدور [وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا] حتّى تستوى مع الارض ، او يظهر سير الجبال فانّها تمرّ مرّ السّحاب وتحسبها جامدةً [فَوَيْلٌ] اى اذا كان ذلك اليوم فويلٌ [يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ] لله ورسوله (ص) مطلقاً ، اوفى ولاية علىٍّ (ع) وهوالمنظور [الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ] فى الملاهى ، اوفى انكار المبدء والمعاد، اوفى انكار الرّسول (ص)، اوفى انكار ولاية علىّ (ع) [يَلْعَبُونَ يَوْمَ يُدَعُّونَ] اى يدفعون بعنفٍ فانّ الدّعّ الدّفع العنيف [إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا] وقيل: هو ان تغلّ ايديهم الى اعناقهم وتجمع نواصيهم الى اقدامهم ، ثمّ يدفعوا الى جهنّم دفعاً على وجوههم [هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ] الجملة حاليّة اوجوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ بتقدير القول اى يقول الله او الملائكة اوخزنة جهنّم [أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ] لمّا كانوا ينسبون محمّداً (ص)

الى السّحر تارةً والى انّه يتصرّف فى الابصار اخرى ردّ الله تعالى عليهم قولهم فى حقّه فقال : افسحر هذا ام انتم لا تبصرون بالتّصرّف فى ابصاركم ؟ [اِصْلَوْها] يعنى يقال لهم: اصلوها [فَاصْبِرُوا اَوْلا تَصْبِرُوا] لفظة او للتّسوية ولذلك اكّد المفهوم بالتّصريح فقال: [سَواءٌ عَلَيْكُمْ اِنَّما تُجْزَوْنَ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ] جوابٌ لسؤالٍ كأنّه قيل : لم نعذّب هذا العذاب ؟ [اِنَّ الْمُتَّقينَ] عن تكذيب الله ورسوله (ص) فى ولاية علىٍّ (ع) بالاقرار له والبيعة معه بيعة خاصّة ولوية [فى جَنّاتٍ وَنَعيمٍ] تنكير الجنّات والنّعيم للتّفخيم [فاكِهينَ] متنعّمين او معجبين [بِما آتيهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقيهُمْ رَبُّهُمْ عَذابَ الْجَحيمِ كُلُوا وَاشْرَبُوا] حاليّة او مستأنفة جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ بتقدير القول [هَنيئاً بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ مُتَّكِئينَ] حال [عَلى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ] متّصل بعضها ببعضٍ [وَزَوَّجْناهُمْ بِحُورٍ عينٍ] أتى بالماضى للاشعار بانّ التّزويج حاصل لهم فى دار الدّنيا وان كان لا يظهر عليهم ، او للاشارة الى تحقّق وقوعه [وَالَّذينَ آمَنُوا] بالبيعة العامّة او بالبيعة الخاصّة [وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِايمانٍ] الذّرّيّة تقع على الواحد والكثير وهى الصّغار من اولاد الرّجل اومطلق الاولاد ، والباء بمعنى مع ، او بمعنى فى ، او للسّببيّة و تنكير الايمان للاشعار بكفاية ايمانٍ ما للالحاق ولو كان ايماناً حكميّاً فانّ صغار اولاد المسلمين فى حكم الاسلام وان لم يحكم عليهم بالاسلام الحقيقىّ لعدم تعلّق التّكليف بهم بعدُ [اَلْحَقْنا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ] والمراد انّه تعالى يلحق اولاد المؤمنين المكلّفين منهم القاصرين عن درجة آبائهم بآبائهم تشريفاً لايمان آبائهم ، وغير المكلّفين منهم بمحض ايمان الآباء يلحقون بالآباء تشريفاً لهم كما فى الاخبار انّ الصّغار من الاولاد تهدى فى الجنّة للآباء [وَما اَلَتْناهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَىْءٍ] بواسطة الحاق الاولاد [كُلُّ امْرِءٍ بِما كَسَبَ رَهينٌ] حاليّة او معترضة جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ [وَاَمْدَدْناهُمْ] يعنى اعطيناهم على التّدريج والاستمرار [بِفاكِهَةٍ] شريفة لايمكن تعريفها [وَلَحْمٍ] غير معروفٍ ليس من جنس لحوم الدّنيا حتّى يمكن تعريفها [مِمّا يَشْتَهُونَ] اى من لحم او من ذى لحم يشتهونه من لحم الطّيور و غير الطّيور [يَتَنازَعُونَ] اى يتجاذبون من وجد [فيها كَأْساً] الكأس مهموزة اسم لما يشرب منه ، او اسم له مادام الشّراب فيه ، و تطلق على الخمر ايضاً وهى مؤنّثة سواء اريد بها ما يشرب به او الخمر [لا لَغْوٌ فيها] يعنى لايجرى بينهم لغو حين تعاطيها مثل الكؤوس الدّنيويّة [وَلا تَأْثيمٌ] اى لاجعل الشّارب آثماً بخلاف كؤوس الدّنيا [وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمانٌ لَهُمْ كَاَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ] فى الحسن والصّباحة والصّفاء والبياض ، و توصيف اللّؤلؤ بكونه مكنوناً لكون المكنون محفوظاً من الاغبرة وما يكدّره [وَاَقْبَلَ بَعْضُهُمْ] اى كلّ بعضٍ منهم [عَلى بَعْضٍ يَتَساءَلُونَ] عن سبب تنعّمهم فى الجنّة بقرينة ما يأتى [قالُوا] فى الجواب [اِنّا كُنّا قَبْلُ] اى قبل الآخرة [فى اَهْلِنا مُشْفِقينَ] على اهلنا، اومشفقين من عذاب الله [فَمَنَّ اللهُ عَلَيْنا] بهذه النّعم [وَوَقينا عَذابَ السَّمُومِ] السّموم من اسماء جهنّم ، او السّموم الحرّ الّذى يدخل فى مسامّ البدن [اِنّا كُنّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ اِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ] الّذى لا يدع من يدعوه من غير نصرة [الرَّحيمُ] الّذى يتفضّل على عباده من غير استحقاقٍ منهم [فَذَكِّرْ] يعنى اذا كان الامر هكذا فذكّر ولا تبال بردّهم وقبولهم فانّه ينفع بعضهم

ان لم ينفع كلّهم ، اوينفع آخراً ان لم ينفع اوّل الامر [فَمَا اَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ] الباء للقسم اوللسّببيّة ، والنّعمة هى الولاية و النّبوّة والرّسالة صورتها [بِكَاهِنٍ] الكهانة الاخبار بالغيب بطريق خدمة الجنّ ، و الفعل كمنع و نصر وكرم [وَلَامَجْنُونٍ] كما يقولون و يصفونك بهما [اَمْ يَقُولُونَ] هو [شَاعِرٌ] يتكلّم بما لا حقيقة له و يتموّه فيقرّب البعيد و يبعّد القريب ، ولمّا كان الشّاعر فى اكثر الامر يأتى فى شعره بما لاحقيقة له ويموّه سمّى كلّ من يأتى بكلام مموّه لا حقيقة له بالشّاعر [نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونَ] الرّيب صرف الدّهر ، و المنون الدّهر و الموت والمقصود منه انّا نتربّص هلاكته [قُلْ تَرَبَّصُوا] الهلكة لى [فَاِنّى مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ] حوادث الدّهر لكم [اَمْ تَاْمُرُهُمْ اَحْلَامُهُمْ] اى عقولهم [بِهٰذَا] القول والانكار [اَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ] و طغيانهم يحملهم على ذلك لاعقولهم [اَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ] قال القرآن بتعمّل من عند نفسه و ليس من الله [بَلْ لَايُؤْمِنُونَ] بالله او بك او بالقرآن او بالولاية [فَلْيَاْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ] اى مثل القرآن [اِنْ كَانُوا صَادِقِينَ] فى انّك تقوّلته وقد مضى فى اوّل البقرة عند قوله فأتوا بسورة من مثله بيان التّحدّى بالقرآن والاشارة الى وجه اعجازه [اَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ] بل أخلقوا من غير غاية لخلقتهم؟ كما يقول المعطّلون للعالم وخلقه عن الغاية ، او من غير مبدءٍ ؟ كما يقول الدّهريّة والطّبيعيّة و القائلون بالبخت والاتّفاق ، او من غير امرٍ ونهيٍ و وعظٍ و نصحٍ لهم؟ حتّى يكونوا مهملين ، او من غير سبق مادّة واستعدادٍ؟ حتّى يقولوا بالجبر للعباد من دون اختيارٍ لهم، او من غير سبق صورةٍ مثاليّةٍ لهم فى مراتب علمنا؟ فيكون خلقنا لهم من غير علمٍ لنا بهم سابقاً [اَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ] لانفسهم فلم يكن لهم مبدء آخر فلم يكن لغيرهم حقّ عليهم [اَمْ خَلَقُوا السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضَ] حتّى لايكون لهما خالق فلم يقرّوا بمبدءٍ لهما اضطراراً [بَلْ لَايُوقِنُونَ] فلا يتكلّمون فى شيءٍ الّا عن ظنٍّ و تخمينٍ [اَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ] فيعطوا من شاؤا ما شاؤا و يمنعوا من شاؤا ما شاؤا فيمنعوا الرّسالة منك و يعطوها غيرك او يعطوا انفسهم مايشاؤن فلم يضطرّوا الى الالتجاء الى الله و السّؤال منه ، او الى الالتجاء الى رسوله (ص) و السّؤال منه ، او الى العبادات و اخذها من اهلها [اَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ] المسيطر الرّقيب الحافظ والمتسلّط حتّى لا يحتاجوا الى غيرهم [اَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ] اى فى السّلّم اخبار الغيب فيخبروا انّ محمّداً (ص) ليس بنبىٍّ ، او يخبروا بما يحتاجون اليه من امر دينهم و دنياهم فلايكون لهم حاجة الى رسولٍ [فَلْيَاْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ] بحجّةٍ واضحةٍ اوموضحةٍ صدّقه [اَمْ لَهُ الْبَنَاتُ] أتى بعد ذكر الاستماع من السّماء حجّة على انّهم غير مستمعين بل غير عاقلين فانّ العاقل لا يقول مثل ماقالوا فانّهم جوّزوا عليه التّوالد الّذى مفاسده غير خفيّة ثمّ اثبتوا له البنات ، و اذا بشّر احدهم بالانثى ظلّ وجهه مسوّداً وهو كظيم و رجّحوا انفسهم عليه فاثبتوا لانفسهم البنين ولذلك قال [وَلَكُمُ الْبَنُونَ اَمْ تَسْاَلُهُمْ اَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ] بذلك الاجر فمنعهم ذلك عن الاقرار بك [اَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ] من دون الصّعود الى السّماء [فَهُمْ يَكْتُبُونَ] فيعلمون بذلك انّك لست برسول او لايحتاجون بذلك الى رسولٍ [اَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ] يعنى انّهم يريدون كيداً عظيماً بك و بوصيّك فالّذين كفروا برسالتك او بولاية علىّ (ع) هم المكيدون فانّ كيدهم لك هو كيد الله لهم فى الخذلان والمنع من حضرته [اَمْ لَهُمْ اِلٰهٌ غَيْرُ اللهِ

سُبْحانَ اللهِ عَمّا يُشْرِكُونَ] من الاصنام والكواكب والاهوية [وَإِنْ يَرَوْا] والحال انّهم ليسوا فى شيء على حالة اليقين فانّهم ان يروا [كِسْفاً مِنَ السَّماءِ ساقِطاً] مع انّه من المشهودات الّتى هى ثوانى البديهيّات ينكروا و[يَقُولُوا سَحابٌ مَرْكُومٌ] فاذا كان الامر هكذا [فَذَرْهُمْ حَتّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ] يهلكون بالصّاعقة او يغشون [يَوْمَ لا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً] من الاغناء او شيئاً من العذاب [وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا] انفسهم بانكار المبدء او المعاد او الرّسالة او الولاية اوظلموا آل محمّد (ص) حقّهم [عَذاباً دُونَ ذٰلِكَ] اليوم وهو عذاب يوم الاحتضار، او عذاب البرزخ، او عذاب الدّنيا بالقتل والاسر والنّهب، اودون هذا العذاب [وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ] ذلك فلذلك يجترؤن على انكارك [وَاصْبِرْ] عطف على قل تربّصوا اوعلى ذكّر [لِحُكْمِ رَبِّكَ] بامهالهم اولحكم ربّك بايذائك على ايديهم ، اولحكم ربّك بانكارهم لك ، اولله ، اولحكم ربّك ببقائك فيهم ، او واصبر منتظراً لحكم ربّك باهلاكهم ولا تبال بانكارهم و تهديدهم [فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنا] نشاهدك ونشاهد جميع امورك فلا ندعهم حتّى بضرّوك [وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ] الى الصّلوة اوحين تقوم عندالله فانّ القيام عندالله يقتضى التّنزيه المطلق من غير التفات الى جهة الكثرات وحمده تعالى بها، لكنّ الكامل ينبغى ان يكون حافظاً للطّرفين فى كلّ حال و انت اكمل النّاس فسبّح بحمد ربّك حين تقوم عنده ولا تغفل عن الكثرات [وَمِنَ اللَّيْلِ] الّذى يغشاك فيه ظلمات الكثرات و تستر وجهة ربّك [فَسَبِّحْهُ] و بالغ فى تنزيهه عن الكثرات فانّ المنغمر فى ظلمات الكثرات عليه ان يبالغ فى تنزيه الحقّ ولا يلتفت الى تشبيهه و لذلك لم يضف الحمد هناك وان كان تسبيحه لا ينفكّ عن حمده [وَإِدْبارَ النُّجُومِ] وحين ادبار النّجوم وقد فسّرت الآية بحسب التّنزيل بوجوه فقيل حين تقوم من النّوم ، او الى الصّلوة المفروضة فقل : سبحانك اللّهمّ و بحمدك ، و قيل : صلّ بأمر ربّك حين تقوم من مقامك ، وقيل : المراد الرّكعتان قبل صلوة الفجر ، وقيل : حين تقوم من نومة القائلة وهى صلوة الظّهر ، و قيل : اذكرالله بلسانك حين تقوم الى الصّلوة ، وقيل : قوله من اللّيل فسبّحه يعنى به صلوة اللّيل ، وقيل: معناه صلّ المغرب والعشاء الآخرة ، و ادبار النّجوم معناه الرّكعتان قبل الفجر، وقيل: صلوة الفجر المفروضة، وقيل: لا تغفل عن ذكر ربّك صباحاً و مساءً ونزّهه فى جميع احوالك ليلاً و نهاراً قائماً وقاعداً .

سُورَةُ وَالنَّجْمِ

مكّيّة ، وقيل غير آية : الّذين يجتنبون كبائر الاثم، الآية ، وقيل : هى مدنيّة كلّها

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

[وَالنَّجْمِ] اقسم بالنّجم المراد به القرآن فانّه نزّل نجوماً اى متفرّقاً فى طول ثلاث وعشرين سنةً ، او اقسم بالثّريّا فانّ النّجم علم بالغلبة لها ، او اقسم بمطلق النّجوم ، او اقسم بالنّجم الّذى يرجم به الشّيطان عن استراق السّمع ، او اقسم بالنّبات اذا سقط على الارض او ارتفع منها ونما ، وقيل: اقسم بمحمّد (ص) فانّه النّجم

الّذى نزل من السّماء السّابعة ليلة المعراج، وعن ابن عبّاس انّه قال: صلّينا العشاء الآخرة ذات ليلةٍ مع رسول الله (ص) فلمّا سلّم اقبل علينا بوجهه ثمّ قال: انّه سينقضّ كوكب من السّماء مع طلوع الفجر فيسقط فى دار احدكم، فمن سقط ذلك الكوكب فى داره فهو وصيّى وخليفتى والامام بعدى، فلمّا كان قرب الفجر جلس كلّ واحدٍ منّا فى داره ينتظر سقوط الكوكب فى داره وكان اطمع القوم فى ذلك ابى العبّاس، فلمّا طلع الفجر انقضّ الكوكب من الهواء فسقط فى دار علىّ بن ابى طالبٍ (ع) فقال رسول الله (ص) لعلىٍّ (ع): يا علىّ والّذى بعثنى بالنّبوّة لقد وجب لك الوصيّة والخلافة والامامة بعدى، فقال المنافقون عبدالله بن اُبىّ واصحابه: لقد ضلّ محمّد فى محبّة ابن عمّه وغوى، وما ينطق فى ساعته الّا بالهوى، فأنزل الله هذه الآية (الى آخر الحديث) [اِذٰا هَوٰى] سقط وغرب، اواذا صعد وارتفع، فانّه يستعمل فيهما [مٰاضَلَّ صٰاحِبُكُمْ] يا قريش [وَمٰاغَوٰى] يعنى ما ضلّ عن طريق الحقّ فى الاعمال والاقوال الظّاهرة وماضلّ فى العلوم والعقائد الباطنة [وَمٰايَنْطِقُ] بالقرآن او بالولاية او بمطلق ماينطق به او بالاحكام الشّرعيّة [عَنِ الْهَوٰى] اى هوى نفسه من دون امر ربّه [اِنْ هُوَ] اى نطقه اوالقرآن اوامر الولاية [اِلّٰا وَحْىٌ يُوحٰى] يعنى انّه خرج من انانيّته وصار انانيّته انانيّة الله فلم يكن منه فعل او قول اوخلق الّا بوحيٍ من الله وانانيّته [عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوٰى] جمع القوّة مقابلة الضّعف، ولمّا كان قوّة جبرئيل فى جميع ماله من انواع الادراكات والتّصرّفات جمع القوى [ذُومِرَّةٍ] ذومتانة فى عقله وثباتٍ من امره، فانّ صاحب المرّة يكون صاحب ثباتٍ فى الامر ولذلك ورد انّه: ما بعث نبىٌّ قطّ الّا كان ذامرّة سوداء [فَاسْتَوٰى] اى فاستقام على صورته الحقيقيّة الّتى خلقه الله عليها، قيل: ماراٰه احد من الانبياء فى صورته غير محمّدٍ (ص) نبيّنا فانّه راٰه على صورته مرّتين، مرّة فى السّماء ومرّة فى الارض، وقيل: فاستوى على جميع ما فى الارض اوعلى ما امره الله به، وقيل: فاستوى محمّد (ص) اى استقام فى امره وتمكّن، وعلى اىّ تفسير فالاتيان بالفاء كان فى محلّه، وقيل: كان جبرئيل يأتى النّبىّ (ص) فى صورة الآدميّين فسأله رسول الله (ص) ان يريه نفسه على صورته الّتى خلق عليها، فأراه نفسه مرّتين، مرّة فى الارض ومرّة فى السّماء، امّا فى الارض فانّ محمّداً (ص) كان بحراء فطلع له جبرئيل من المشرق فسدّ الافق الى المغرب فخرّ النّبىّ (ص) مغشيّاً عليه، فنزل جبرئيل فى صورة الآدميّين فضمّه الى نفسه [وَهُوَ بِالْاُفُقِ الْاَعْلٰى] اى جبرئيل بالافق الاعلى وهوافق عالم العقول الّذى هو عالم الجبروت من جهة اللّاهوت، وكان جبرئيل حين النّزول ينزل من افق المشرق وهواعلى من افق المغرب، او المراد انّ محمّداً (ص) كان حين نزول الوحى والتّعليم بالافق الاعلى يعنى افق عالم العقول الى اللّاهوت، اوعالم النّفوس الى العقول، اوعالم المثال الى النّفوس، او افق عالم الطّبع الى عالم المثال، فانّه (ص) كان يوحى اليه فى جميع تلك الآفاق [ثُمَّ دَنٰى] جبرئيل من الافق الاعلى من محمّدٍ (ص) [فَتَدَلّٰى] فى الهواء، اوثمّ دنى محمّدٌ (ص) من الافق الاعلى من الله، فتدلّى من انانيّه وتدلّى تحت العرش، فلم يبق له مقام ومكان ولا انانيّة يعتمد عليها بل صار تدلّياً من غير ذاتٍ متدلّية، وقرئ فتدانى، وسئل الكاظم (ع) عن قوله دنى فتدلّى، فقال: انّ هذه لغة فى قريش اذا اراد الرّجل منهم ان يقول: قد سمعت يقول قد تدلّيت وانّما التّدلّى الفهم [فَكٰانَ] الامتداد والمسافة بينهما [قٰابَ قَوْسَيْنِ اَوْاَدْنٰى] اى بل ادنى وقاب القوس ما بين مقبضها الى رأسها، ولكلّ قوسٍ قابان، ولذلك قيل: انّه على القلب والاصل قابى قوسٍ لكن ليس هذا على القلب وليس المقصوه انّه كان بينهما مقدار قابى القوس بل المقصود انّه كان بينهما مقدار قاب واحد من القوس اذا انعطفت لا اذا كانت مستقيمةً، فانّ القوس قطعةٌ من الدّائرة ولكلّ

قوس اذاانعطفت قوسان مابين مقبضها و رأس كلّ طرف منها، وعن الصّادق (ع) : انّه سئل كم عرج برسول الله (ص) ؟- فقال : مرّتين فأوقفه جبرئيل موقفاً فقال : مكانك يا محمّد (ص) فقد وقفت موقفاً ما وقفه ملك ولا نبيٌّ قطّ ، انّ ربّك يصلّى، فقال : ياجبرئيل ، وكيف يصلّى؟-قال: يقول سبّوح قدّوس انارب الملائكة والرّوح، سبقت رحمتى غضبى ، فقال: اللّهمّ عفوك عفوك ، قال: وكان كما قال الله : قاب قوسين أو ادنى ، قيل: ما قاب قوسين اوادنى؟- قال: ما بين سيتها(١) الى رأسها ، قال: فكان بينهما حجاب يتلألأ يخفق ولااعلمه الّاوقد قال: زبرجد ، فنظر فى مثل سمّ الابرة الى ماشاء الله من نورالعظمة ، فقال الله تبارك وتعالى: يامحمّد(ص) ،قال: لبّيك ربّى، قال: من لامّتك من بعدك؟- قال: الله اعلم، قال: علىّ بن ابى طالب (ع) اميرالمؤمنين وسيّدالمسلمين وقائدالغرّ المحجّلين، ثمّ قال الصّادق(ع) : والله ماجاءت ولاية علىٍّ (ع) من الارض و لكن جاءت من السّماء مشافهةً، و قال فى الصّافى ؛ وفى التّعبير عن هذا المعنى بمثل هذه العبارة اشارةٌ لطيفةٌ الى انّ السّائر بهذا السّير منه سبحانه نزل و اليه صعد ، و انّ الحركة الصّعوديّة كانت انعطافيّة وانّها لم تقع على نفس المسافة النّزوليّة بل على مسافة اخرى كما حقّق فى محلّه فسيَره كان من الله والى الله وفى الله و بالله ومع الله تبارك وتعالى [فَاَوْحى اِلى عَبْدِهِ ما اَوْحى] ابهم الموحى للتّفخيم وقد مضى فى آخر البقرة انّه كان فيما اوحى اليه قوله تعالى لله ما فى السّماوات و الارض و ان تبدوا ما فى انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله (الآية) وكانت الآية قدعرضت على الانبياء من لدن آدم (ع) الى ان بعث الله محمّداً (ص) وعرضت على الامم فأبوا ان يقبلوها من ثقلها ، وقبلها رسول الله (ص) ، وعرضها على امّته فقبلوها ، وقد مضى فى آخر البقرة بيان هذه الآية و عدم منافاتها لما ورد انّه تعالى : لا يؤاخذ العباد على الخطرات و الوساوس و عزم المعاصى [ما كَذَبَ] قرئ بتخفيف الذّال و تشديدها [اَلْفُؤادُ] اي فؤاد محمّدٍ (ص) ولم يضفه اليه لايهام ان ليس فؤادٌ غير فؤاده ، وانّ المطلق ينصرف اليه [ما رَاى] فى بعض الاخبار انّ محمّداً (ص) رأى ربّه بفؤاده لابالبصر، وفى بعضٍ : لقد رأى من آيات ربّه الكبرى وآيات الله غيرالله ، او رأى خلافة علىّ (ع) وعلىّ اكبر الآيات ، اورأى جبرئيل على صورته الّتى خلق عليها، ولم يره احد كذلك [اَفَتُمارُونَهُ] افتجادلونه،وقرئ افتمرونه من مرى بمعنى اتغلبونه فى المحاجّة وتنكرونه ؟! فانّهم كانوا يجادلونه فى خلافة علىٍّ (ع) [عَلى ما يَرى] كان الاوفق ان يقول على مارأى لكنّه اداه بالمضارع للاشعار باستمرار الرّؤية منه فانّه كان كلّما نظر بفؤاده رأى خلافة علىٍّ (ع) وولايته بعده ، وسئل رسول الله (ص) عن ذلك الوحى ، فقال: اوحى الىّ انّ عليّاً (ع) سيّد المؤمنين، وامام المتّقين، وقائد الغرّ المحجّلين، واوّل خليفةٍ يستخلفه خاتم النّبيّين (ص) ، فدخل القوم فى الكلام فقالوا : امن الله اومن رسوله ؟- فقال الله جلّ ذكره لرسوله قل لهم : ما كذّب الفؤاد ما رأى ثمّ ردّ عليهم فقال: افتمارونه على ما يرى فقال لهم رسول الله (ص) : قد امرت فيه بغير هذا ، امرت ان انصبه للنّاس ، فأقول: هذا وليّكم من بعدى ، وانّه بمنزلة السّفينة يوم الغرق ، من دخل فيها نجا ، ومن خرج عنها غرق [وَلَقَدْ رَءاهُ نَزْلَةً اُخْرى] فى نزول اخر من عرش الرّبّ اومرّة اخرى من غير اعتبار النّزول فيها فانّها تستعمل فى معنى المرّة من غير اعتبار معنى مادّته [عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهى] اى عند سدرة الواقعة فى منتهى مقامات الإمكان ، وتسمية الشّجرة النّوريّة الواقعة فى منتهى المقامات بالسّدرة لانّها ليس عندها الّاالحيرة والدّهشة ، والسّادر هوالمتحيّر وهى شجرة عن يمين العرش فوق السّماء السّابعة ينتهى اليها علم كلّ ملك ، وينتهى اليها اعمال الخلائق من الاوّلين والآخرين ، و اليها ينتهى الارواح الصّاعدة ، ولايتجاوز عنها من كان مقيّداً بقيود الحدود ، ولذلك قال جبرئيل فى هذا المقام : لو دنوت انملةً لاحترقت ، وهى شجرة طوبى ، وهى شجرة النّبوّة

---

(١) السّية كالعدة من الوعد = القوس ماعطف من طرفيها .

كما انّ فوقها شجرة الولاية [عِنْدَهٰا جَنَّةُ الْمَأْوٰى] الّتى لايتجاوز عنها الممكن بخلاف سائر الجنّات فانّها معبرٌ غير مأوىً لبعض النّفوس و ان كانت مأوىً لبعضٍ آخر [اِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مٰا يَغْشٰى] لفظ ما فى امثال هذه الكلمة يفيد التّفخيم، قيل: يغشاها الملائكة امثال الغربان ، وقيل: يغشاها من النّوروالبهاء ، وقيل: فراش من الذّهب، وقيل: لمّا رفع الحجاب بينه و بين رسول الله (ص) غشى نوره السّدرة [مٰا زٰاغَ الْبَصَرُ] حتّى لم يكن يبصر ما هو الواقع ويكون مخطئاً فى ابصاره يعنى ما زاغ بصر محمّدٍ (ص) حين رأى عند السّدرة [وَمٰا طَغٰى] وما جاوز عن حدّ القصد فى الابصار حتّى يكون مخطئاً فى الابصار [لَقَدْ رَاٰى مِنْ اٰيٰاتِ رَبِّهِ الْكُبْرٰى] مثل سدرة المنتهى و جبرئيل على صورته الّتى خلق عليها، وقيل: سمع كلاماً لولا انّه قوّىَ ماقوى ، وقيل: رأى رفرفاً اخضر من رفارف الجنّة قد سدّ الافق، وقيل : رأى ربّه بقلبه ، وقيل : رأى عليّاً (ع) فانّه الآية الكبرى الّتى لا اكبر منها ، و روى عن النّبىّ (ص) انّه قال لعلىّ (ع) : يا علىّ انّ الله اشهدك معى فى سبع مواطن و عدّ من ذلك ليلة الاسراء [اَفَرَاَيْتُمُ اللّاٰتَ وَ الْعُزّٰى وَمَنٰوةَ الثّٰالِثَةَ الْاُخْرٰى] اى اخبرونا عن هذه الآلهة الّتى تعبدونها يضرّونكم او ينفعون؟! اوهى بنات الله؟! وقيل: انّهم زعموا انّ الملائكة بنات الله وصوّروا اصنامهم على صورهم وعبدوها من دون الله واشتقّوا لها اسماء من اسماء الله فقالوا : اللّات من الله ، والعزّى من العزيز ، وقيل : انّ التّاء فى اللّات اصليّة ، و قرئ اللّاتّ بتشديد التّاء ، قيل : كان صنماً نحتوه على صورة رجل يلتّ السّويق ويطعم الحاجّ ، وقيل: انّ اللّات كان صنماً لثقيفٍ ، والعزّى صنم ، وقيل: انّها كانت شجرة يعبدها الغطفان فبعث اليها رسول الله خالدبن الوليد فقطعها ، ومناة كانت صنماً بقديد بين مكّة والمدينة، وقيل: ثلاثتها كانت اصناماً فى الكعبة يعبدونها ، و الثّالثة نعتٌ لمناة وكذلك الاخرى وكانتا نعتين بيانيّين [اَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْاُنْثٰى تِلْكَ اِذًا قِسْمَةٌ ضِيزٰى] ذات جور، وضيزى قيل: انّه فعلا مضموم الفاء سواء جعل واويّاً او يائيّاً لعدم وجود الوصف على فعلى مكسور الفاء، وقرئ بالهمزة من ضازه اذاظلمه [اِنْ هِيَ] اى الاصنام [اِلّاٰ اَسْمٰاءٌ سَمَّيْتُمُوهٰا اَنْتُمْ وَاٰبٰاؤُكُمْ مٰا اَنْزَلَ اللّٰهُ بِهٰا مِنْ سُلْطٰانٍ] قد سبق الآية فى سورة الاعراف مع تفاوتٍ يسيرٍ فى اللّفظ و قد سبق تحقيق لها هناك و فى سورة البقرة ايضاً عند قوله تعالى : وعلّم آدم الاسماء كلّها [اِنْ يَتَّبِعُونَ] فى جعل هذه الاسماء الّتى ليست لها حكم فضلاً عن ان تكون معبودات مسمّياتٍ و فى النّظر اليها والسّجدة لها، وقرئ تتّبعون بالخطاب و بالغيبة [اِلَّا الظَّنَّ وَ مٰا تَهْوَى الْاَنْفُسُ] عطف على الظّنّ و يجوز ان يكون ما نافية او استفهاميّة [وَلَقَدْ جٰاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدٰى] ما به الهدى واليقين فأعرضوا عنه واتّبعوا الظّنّ وما به الضّلالة والمراد بالهدى الرّسول وكتابه و شريعته [اَمْ لِلْاِنْسٰانِ مٰا تَمَنّٰى] فيكون لهم ما يتمنّونه من حسن الحال فى الدّنيا وحسن المآل فى الآخرة ، او من شفاعة الاصنام فى الآخرة فانّه لادليل لهم على ذلك سوى تمنّيهم وليس كذلك [فَلِلّٰهِ الْاٰخِرَةُ وَالْاُولٰى] الفاء للسّببيّة يعنى اذا كان الآخرة والاولى لله فلم يكن للانسان ما تمنّى بل كان له ما اراد الله [وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِى السَّمٰوٰاتِ لٰا تُغْنِى شَفٰاعَتُهُمْ شَيْئًا] من الاغناء، اوشيئاً من عذاب الله [اِلّاٰ مِنْ بَعْدِ اَنْ يَاْذَنَ اللّٰهُ] لهم فى الشّفاعة [لِمَنْ يَشٰاءُ وَيَرْضٰى] و من يشاء و يرضى ليس الّا من تولّى عليّاً (ع) فانّ ما به الرّضا هو انفحة الولاية فما لهم يعبدون الملائكة من دون الله و يسمّون الملائكة بما لا يرضاه الله

[اِنَّ الَّذينَ لايُؤْمِنُونَ بِالْاٰخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلاٰئِكَةَ تَسْمِيَةَ الْاُنْثٰى] فيقولون : انّ الملائكة بنات الله [وَمٰالَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ اِنْ يَتَّبِعُونَ اِلَّا الظَّنَّ] ذمّهم اوّلاً على تسمية الاشرف باسم الاخسّ ثمّ على القول بعدم العلم ثمّ على اتّباع الظنّ [وَاِنَّ الظَّنَّ لايُغْنى مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا] قد فسّر الحقّ ههنا بالعلم ، او المراد به نفس الامر ، او المشيّة ، اوالحقّ الاوّل تعالى ، و شيئاً مفعول مطلق، اوهومفعول به و من الحقّ حال منه [فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلّٰى عَنْ ذِكْرِنٰا] لمّا ذكر حال المشركين و انّهم اعرضوا عن اليقين و تمسّكوا بالظنّ والتّخمين قال: اذا كان حالهم على هذا ولم يتوجّهوا اليك و الى ما به اليقين ، او لم يتوجّهوا الى علىّ (ع) الّذى بالتّوجّه اليه يحصل اليقين ، فأعرض عن مجادلتهم وعن النّصح والتّذكير لهم ، اواعرض عن مكافاتهم على سوء فعالهم ، والمراد بالذّكر هو ما به ذكرالله للعباد وهو العقل و القلب الّذى هو طريق العقل و القرآن و الرّسول وصاحب الولاية وجملة الآيات الآفاقيّة والانفسيّة، اوالمراد ما به ذكرالعباد لله وهوالمذكورات مع الاذكاراللّسانيّة والقلبيّة لكنّ المنظورالاعراض عمّن انكرالولاية فانّه المستحقّ للاعراض سواء كان قابلاً للرّسالة اولم يكن [وَلَمْ يُرِدْ اِلَّا الْحَيٰوةَ الدُّنْيٰا] فانّ من اعرض عن القلب وصاحبه لايكون له ارادة من جملة افعاله واقواله وعلومه الّا الانتفاع فى جهة الحيوة الدّنيا فانّه ان صلّى صلّى لئلّا يحدث له حادثة تضرّه فى حيوته ، وان صام فكذلك ، وان حصل له علم لايكون وجه علمه الّا الى الدّنيا فيكون علمه جهلاً مشابهاً للعلم [ذٰلِكَ] المبلغ اى الحيوة الدّنيا ، اوطلب الحيوة الدّنيا [مَبْلَغُهُمْ] محلّ بلوغهم او بلوغهم [مِنَ الْعِلْمِ] لايتجاوز عنهم عنها الى الآخرة [اِنَّ رَبَّكَ هُوَ اَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبيلِهِ وَهُوَ اَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدٰى] جوابُ سؤالٍ فى مقام التّعليل لقوله اعرض [وَلِلّٰهِ مٰا فِى السَّمٰوٰاتِ وَمٰا فِى الْاَرْضِ] اى لله السّماوات والارض ومافيهما كمامرّ مراراً [لِيَجْزِىَ الَّذينَ اَسٰاؤُا] علّة غائيّة لاعرض يعنى انّك ما دمت مقبلاً عليهم لم يعذّب الله احداً منهم فاعرض عنهم حتّى يجزى الّذين أساؤا [بِمٰا عَمِلُوا] او غاية لقوله : هو اعلم بمن ضلّ عن سبيله اوعلّة لاثبات قوله هو اعلم بمن ضلّ عن سبيله يعنى قلنا انّه اعلم لماترى انّه يجزى الّذين اساؤا اوغاية لقوله لله ما فى السّماوات و ما فى الارض ، اوعلّة لاثباته [وَيَجْزِىَ الَّذينَ اَحْسَنُوا بِالْحُسْنٰى] بالخصلة او العاقبة او النّعمة الحسنى [اَلَّذينَ يَجْتَنِبُونَ كَبٰائِرَ الْاِثْمِ] صفة او بدل من الّذين احسنوا اوخبر مبتدء محذوف اومبتدء خبره جملة انّ ربّك واسع المغفرة بتقدير العائد ، اوالخبر محذوف بقرينة انّ ربّك واسع المغفرة اى مغفورٌ لهم ،ويكون قوله: انّ ربّك واسع المغفرة تعليلاً له وقد مضى بيان الكبيرة والصّغيرة فى سورة النّساء عند قوله تعالى : ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه [وَالْفَوٰاحِشَ] عطف على كبائر الاثم او على الاثم ، والفاحشة اقبح الاثم او هو الزّنا [اِلَّا اللَّمَمَ] اللّمم محرّكة صغار الذّنوب الّتى يتنزّل الانسان عن مقامه عليها ولم يكن مقامه مقام تلك الصّغار من الذّنوب ، فانّه قد مضى فى بيان الكبائر انّه اذا لم يكن الانسان متمكّناً فى طريق النّفس فكلّما صدر منه من الآثام كان صغيرة ، ولم يكن مقام ذلك الانسان مقام تلك الصّغيرة [اِنَّ رَبَّكَ وٰاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ اَعْلَمُ بِكُمْ] جوابُ سؤالٍ مقدّرٍ فى مقام التّعليل لقوله تعالى ليجزى الّذين اساؤا [اِذْ اَنْشَأَكُمْ مِنَ الْاَرْضِ] تعليلٌ لقوله اعلم بكم او ظرف له يعنى ان كان اعلم بكم فى وقت انشائكم من الارض

فكيف لايعلم حالكم حين حيوتكم الدّنيويّة اوحين بعثكم [وَإِذْ اَنْتُمْ اَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ اُمَّهَاتِكُمْ فَلَاتُزَكُّوا اَنْفُسَكُمْ هُوَ اَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقٰى] يعنى لاتظهروا طهارة انفسكم ولاتمدحوها عندالله وعند رسوله فانّه اعلم بحالكم منكم بل اتّقوا سخط الله ، اواتّقوا الشرك ، اواتّقوا الشّرك بالولاية عندانفسكم فلاتظهروا تقويكم فانّه اعلم بتقويكم [اَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلّٰى وَاَعْطٰى قَلِيلًا] قال في المجمع ، نزلت الآيات السّبع من قوله: افرأيت الّذى (الى سبع آيات) فى عثمان بن عفّان كان يتصدّق و ينفق ماله فقال اخوه من الرّضاعة عبدالله بن سعد بن ابى سرح: ماهذا الّذى تصنع؟ يوشكك ان لايبقى لك شيء: فقال عثمان: انّ لى ذنوباً وانّى اطلب بما اصنع رضاالله وارجوعفوه ، فقال له عبدالله: اعطنى ناقتك برحلها وانا اتحمّل عنك ذنوبك كلّها ، فأعطاه وأشهد عليه وامسك عن الصّدقة، فنزلت: افرأيت الّذى تولّى اى يوم احد حين ترك المركز، وأعطى قليلاً ثمّ قطع نفقته الى قوله: وانّ سعيه سوف يرى فعاد عثمان الى ماكان عليه، وقيل: نزلت فى الوليدبن المغيرة ، ونقل نظير مانقل لعثمان ، وقيل : نزلت فى العاص بن وائل السّهميّ ، وقيل: فى رجل قال لاهله : جهّزونى حتّى انطلق الى هذا الرّجل ، يريد النّبىّ (ص) ، فتجهّز وخرج فلقيه رجلٌ من الكفّار فقال له مثل ماقيل لعثمان، وقيل: نزلت فى ابى جهلٍ وذلك انّه قال والله ما يأمرنا محمّد (ص) الّا بمكارم الاخلاق فذلك قوله اعطى قليلًا [وَاَكْدٰى] اكدى بمعنى بخل ، او قلّ خيره ، او قلّل عطاءه [اَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرٰى] ببصيرته انّ غيره يتحمّل عنه ذنوبه ، او يرى انّه صار مطهّراً من الذّنوب ، او يرى انّه لاعقوبة عليه [اَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسٰى وَاِبْرٰهِيمَ الَّذِي وَفّٰى] مبالغة فى الوفاء والايفاء والمعنى بالغ فى الوفاء بعهدالله الّذى اخذ منه ، وتقديم موسى (ع) لكونه اقرب الى المخاطبين المعاتبين ولكون صحفه اشهر واظهر [اَلَّا تَزِرُوا زِرَةٌ وِزْرَ اُخْرٰى وَ اَنْ لَيْسَ لِلْاِنْسَانِ اِلَّا مَا سَعٰى] وجدّ ، لفظة ما مصدريّة، اوموصولة، او موصوفة ، وما ورد من انتفاع الاموات بالتّصدّقات والخيرات من الاحياء ليس من قبيل الانتفاع بسعى الغير بل الانتفاع بالمحبّة الّتى دخل منهم فى قلوب الاحياء من سعيهم فى الدّنيا [وَاَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرٰى ثُمَّ يُجْزٰيهُ] اى يجزى السّاعى بسعيه [الْجَزَاءَ الْاَوْفٰى وَاَنَّ اِلٰى رَبِّكَ الْمُنْتَهٰى] انتهاء الكلّ وانتهاء اعمالهم فيجزيهم بنفسه الجزاء الاوفى فما لهم يعبدون غيره [وَاَنَّهُ هُوَ اَضْحَكَ وَاَبْكٰى] اسرّ واحزن او انّه اضحك السّماء برفع الغيم وابكى السّماء بالمطر [وَاَنَّهُ هُوَ اَمَاتَ وَاَحْيٰى وَاَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْاُنْثٰى مِنْ نُطْفَةٍ اِذَا تُمْنٰى] اذا تتحوّل من الدّم منيّاً ، او اذا تنزّل الى الرّحم [وَاَنَّ عَلَيْهِ النَّشْاَةَ الْاُخْرٰى وَاَنَّهُ هُوَ اَغْنٰى وَاَقْنٰى] اى اغنى بالاموال وجعلهم مدّخرين باصول الاموال و بضاعاتهم ، وقيل: اقنى بمعنى اخدم ، وقيل: اقنى بمعنى ارضى، وقيل: اغنى بالكفاية واقنى بالزّيادة ، وقيل: اقنى بمعنى حرم [وَاَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرٰى] كوكب فى السّماء كانت قريش وقومٌ من العرب يعبدونه [وَاَنَّهُ اَهْلَكَ عَادًا الْاُولٰى وَثَمُودَ فَمَا اَبْقٰى] منهم احداً [وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ] اى من قبل عادٍ وثمود [اِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ اَظْلَمَ وَاَطْغٰى وَالْمُؤْتَفِكَةَ اَهْوٰى] اى اسقطها، والمراد بالمؤتفكة قرى قوم لوطٍ ائتفكت بأهلها اى انقلبت [فَغَشّٰيهَا مَا غَشّٰى] بالعذاب فما لهم ينظرون الى غيره ويستمدّون من غيره و يعبدون او يتّبعون غيره [فَبِاَيِّ اٰلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارٰى] الخطاب عامّ اوخاصّ بمحمّدٍ (ص) على: ايّاك اعنى واسمعى ياجارة ، يعنى كلّ هذه المذكورات من النّعم والنّقم من آلاء ربّك ، لانّ هذه النّقم ايضاً نعم لمن كان بعد الماضين

من الامم لاتـّعاظهم بالماضين ونقمهم، ففى اىّ نعم ربّك تشكـّك ؟! او بسبب اىّ من الآلاء تجادل؟! والآلاء جمع الالى بفتح الهمزة وكسرها وسكون الـّلام، اوجمع الالو بكسر الهمزة وسكون الـّلام [هٰذا] اى محمـّد (ص) [نَذيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْاُولىٰ] سئل الصّادق (ع) عنها فقال: انّ الله تبارك وتعالى لمـّا ذرأ الخلق فى الذّرّ الاوّل اقامهم صفوفاً قدّامه و بعث الله محمـّداً (ص) حيث دعاهم فآمن به قومٌ وانكره قومٌ فقال الله عزّوجلّ: هذا نذير من النّذر الاولى يعنى محمـّداً (ص) حيث دعاهم الى الله عزّوجلّ فى الذّرّ الاوّل [أَزِفَتِ الْاٰزِفَةُ] الآزفة من اسماء القيامة غلبت عليها، والتـّاء لتأنيث القيامة، او للنـّقل، او الآزفة مصدرٌ كالكاشفة و العافية، و قرب القيامة لانـّها ليست فى عرض الزّمان حتـّى يكون قربها قرباً زمانيّاً بل هى فى الطـّول و بمنزلة الرّوح للازمان، وكما انّ روح كلّ شيءٍ اقرب اليه من نفسه فروح الزّمان اقرب كلّ شيءٍ من الزّمانيـّات [لَيْسَ لَهٰا مِنْ دُونِ اللّٰهِ كٰاشِفَةٌ] نفس مظهرة، اوالكاشفة مصدر [اَفَمِنْ هٰذَا الْحَديثِ] حديث الآزفة اوازف الآزفة، اوالقرآن، اوماتقدّم من الاخبار كماورد عن الصّادق (ع) [تَعْجَبُونَ] انكاراً [وَتَضْحَكُونَ وَلاٰ تَبْكُونَ وَاَنْتُمْ سٰامِدُونَ] سمد سموداً رفع رأسه تكبّراً، وسمد الابل جدّ فى السّير، وسمد دأب فى العمل وقام متحيـّراً.

سجدةٌ واجبةٌ [فَاسْجُدُوا لِلّٰهِ] يعنى اذا ازفت الآزفة، فاسجدوا لله [وَاعْبُدُوا] حتـّى تكونوا حين الورود عليه مستأنسين لامستوحشين.

سورة القمر

مكـّيّة؛ وهى خمس وخمسون آيةً.

بسم الله الرّحمن الرّحيم

[اِقْتَرَبَتِ السّٰاعَةُ] قد فسّرت السّاعة بساعة ظهور القائم (ع) و بساعة القيامة و بحالة الاحتضار والكلّ يرجع الى امرٍ واحدٍ هو وقت القيام عندالله، ولمـّا كان رسول الله (ص) خاتم الرّسل فلايكون بعده رسولٌ ورسالةٌ لانتهاء مراتب الرّسالة اليه فلايكون مرتبة من الرّسالة الّا وهى مجتمعة فى وجوده، كان امـّته ايضاً آخر الامم فلايكون بعدامـّته امـّة، وقد علمت انّ القيامة ليست فى عرض الزّمان وانـّما هى فى طوله فاذاكان امـّة محمـّدٍ (ص) آخر الامم لم يكن مرتبة زمانيـّة بعد مرتبتهم ويكون بعد مرتبتهم الخروج من الزّمان، والخروج من الزّمان هو القيام عندالله فيكون القيامة قريبةً من امـّة محمـّدٍ (ص) ولذلك ورد عن النّبىّ (ص): بعثت انا والسّاعة كهاتين، وكان (ص) آخر الزّمان وصار بوجوده قيامة ومحشراً كماقال المولوىّ قدّس سرّه:

پس محمد صد قيامت بود نقد	زانكه حلّ شد درفنايش حلّ وعقد
زادهٔ ثانيست احمد در جهان	صد قيامت بود او اندر عيان
زو قيامت را همى پرسيده اند	كاى قيامت تا قيامت راه چند
با زبان حال ميگفتى بسى	كه ز محشر حشر را پرسد كسى!
پس قيامت شو قيامت را ببين	ديدن هرچيز را شرط است اين

[وَانْشَقَّ الْقَمَرُ] القمر اسم للكوكب الـّذى يأخذ النّور من غيره ولا يكون منيراً بنفسه، وهل فى السّماء اقمار

عديدة؟ اوالقمر منحصر فى هذا الكوكب الّذى يدرك انّه مستنير من الشّمس؟ قيل: وجدوا غير هذا القمر اقماراً أُخر، و فى العالم الصّغير القلب مظهرٌ للقمر، او القمر مظهرٌ للقلب فانّ القلب ايضاً يأخذ النّور من الرّوح و يستنير بنوره، ولمّا كان النّاس قلوبهم ذوات وجهين، وجه الى الرّوح وعالم الوحدة، ووجه الى النّفس وعالم الكثرة، وكان المراعى منهم للطّرفين قليلاً والجامع لكمال الطّرفين اقلّ حتّى انّ الانبياء لم يكونوا كاملين فى الطّرفين بل كانوا ناقصين فى طرف الكثرة اوطرف الوحدة، وكان نبيّنا (ص) كاملاً فى الطّرفين حافظاً للجانبين ولذلك نسب اليه انّه قال: كان اخى موسى (ع) عينه اليمنى عمياء، واخى عيسى (ع) عينه اليسرى عمياء، وانا ذو العينين، كان قلب نبيّنا (ص) من بينهم ذا شقّين كاملين، ولمّا كان القمر الصّورىّ مظهراً لقلبه كان لاغرو فى انشقاق القمر الصّورىّ كما نسب الى معجزاته، و لمّا كان انشقاق القمر المعنوىّ الّذى هو قلب النّبىّ (ص) بشقّين متساويين دليلاً على انتهاء مراتب التّجدّد فى وجوده وابتداء الدّهر فى وجوده كان دليلاً على شدّة قرب السّاعة الواقعة فى الدّهر، ولمّا كان انشقاق القمر الصّورىّ دليلاً على انشقاق قلب فاعله بشقّين متساويين كان ذلك ايضاً من اشراط السّاعة، روى انّه اجتمع المشركون الى رسول الله (ص) فقالوا: ان كنت صادقاً فشقّ لنا القمر فرقتين، فقال لهم: ان فعلت تؤمنوا؟ - قالوا: نعم، وكانت ليلة بدر فسأل ربّه ان يعطيه ما قالوا، فانشقّ القمر فرقتين ورسول الله (ص) ينادى: يا فلان يافلان اشهدوا [وَإِنْ يَرَوْا آيَةً] الجملة حاليّة والمعنى اقتربت السّاعة وظهر امارتها و ينبغى ان يتذكّروا و يتوبوا و ينيبوا و يتنبّهوا بكلّ شيءٍ والحال انّهم مع ذلك ان يروا آية من آيات السّاعة مثل بياض شعر الرّأس واللّحية وسقوط الاسنان وضعف نور البصر و قلّة شهوة الطّعام والسّفاد و رخاوة الاعصاب والامراض الواردة وفوت الجيران والاقران، اوآية من آيات قدرة الله وعلمه و حكمته، اوآية من آياته العظمى، اوآية معجزة لهم عن الاتيان بمثلها [يُعْرِضُوا] عنها [وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ] قوىّ يعلو كلّ سحرٍ، وقيل: سحر ذاهب باطلٌ، او سحر مستمرّ من الازمان السّابقة [وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوٰاءَهُمْ] قال القمّىّ: كانوا يعملون برأيهم و يكذّبون انبياءهم [وَكُلُّ أَمْرٍ] من التّكذيب والتّصديق و الخير والشّرّ والطّاعة والمعصية [مُسْتَقِرٌّ] فى الالواح العالية، وفى الصّحف الّتى بايدى الكرام البررة، و فى الواح النّفوس العاملة فلايفوت شيءٌ منّا، فيكون هذا تهديداً لهم [وَلَقَدْ جٰاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبٰاءِ] اى انباء الانبياء (ع) و اممهم الماضية والوقائع الواقعة بهم، او من انباء الآخرة و الثّواب والعقاب فانّه وصل انموذجها اليهم فى وجودهم وخبرها اليهم باخبار انبيائهم [مٰا فِيهِ مُزْدَجَرٌ] انزجارٌ من المعاصى والتّكذيب [حِكْمَةٌ بٰالِغَةٌ] الى الغاية اى كاملة و هو بدل من مزدجر او خبر مبتدءٍ محذوفٍ اى هذه المواعظ، او هذا القرآن او ما جاءهم من الانباء حكمة بالغة [فَمٰا تُغْنِ النُّذُرُ] يعنى اذا كان لايغنى من عذاب الله تلك الحكمة البالغة الّتى فيها مزدجرٌ فاىّ شيءٍ تغن النّذر، اوفلا تغنى جميع النّذر عن عذاب الله، او ما تغنى جميع النّذر عنهم، او اذا لم تغن النّذر فى الدّنيا فماتغن النّذر يوم الاحتضار او يوم القيامة، والنّذر جمع النّذير، اومصدر بمعنى الانذار [فَتَوَلَّ عَنْهُمْ] يعنى اذا كانوا لاينفعهم النّذر فلاتجشّم فى الدّعوة وتولّ عنهم، اوتولّ عنهم يوم الاحتضار حتّى لاتساء بمشاهدة سوء احوالهم، اوتولّ عنهم اذا تعرّضوا لشفاعتك يوم القيامة او تولّ عنهم يوم القيامة لانّهم يرون العذاب فى ذلك اليوم [يَوْمَ يَدْعُ الدّٰاعِ] قرئ باسقاط الياء اجراءً للوصل مجرى الوقف، وقرئ باثبات الياء، والدّاعى هو ملك الموت فى النّفخة الاولى اوفى النّفخة الثّانية، وقيل: هو اسرافيل يدعوهم الى المحشر، او الملك الّذى يدعوهم الى النّار [إِلىٰ شَيْءٍ نُكُرٍ] منكرٍ غير مأنوس فانّ جميع

امور الآخرة منكرٌ لغير اهلها غير معروفٍ ، ويوم يدع الدّاعى ظرفٌ لقوله : تولّ عنهم اوما تغن النّذر اومستقرّ ، او يخرجون [خُشَّعًا اَبْصارُهُمْ] حالٌ مقدّمٌ [يَخْرُجُونَ مِنَ الْاَجْداثِ] الطّبيعيّة الدّنيويّة ، او المثاليّة الاخرويّة [كَأَنَّهُمْ جَرادٌ مُنْتَشِرٌ] فى وجه الارض والمقصود انّهم من غاية الفزع كالجراد المنتشر لا انضباط لحركاتهم ولاجهة بل يدخل بعضهم فى بعض من غير انضباطٍ ، وقيل : التّشبيه بالجراد فى الكثرة [مُهْطِعِينَ اِلَى الدّاعِ] اى مقبلين او مسرعين او ناظرين [يَقُولُ الْكافِرُونَ هٰذا يَوْمٌ عَسِرٌ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنا] نوحاً فلاتكن فى ضيقٍ من تكذيبهم فانّه ديدنٌ لامثالهم [وَقالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ] انزجر شديداً من شيمتهم ورميهم ، اوانزجر بوعيدهم بالقتل [فَدَعا رَبَّهُ] بعد ما انزجر شديداً [اَنّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ] منهم بالاهلاك [فَفَتَحْنا اَبْوابَ السَّماءِ] و قرئ فتّحنا بالتّشديد [بِماءٍ مُنْهَمِرٍ] منصبٍّ مستمرٍّ غير منقطع [وَفَجَّرْنَا الْاَرْضَ عُيُونًا] تميز محوّل عن المفعول [فَالْتَقَى الْماءُ] ماء السّماء وماء الارض مشتملاً [عَلٰى اَمْرٍ] هى اهلاك القوم [قَدْ قُدِرَ] فى عالم القدر اوعلى ميز ان قدّره الله من التّساوى اوالتّفاضل فى المائين اوعلى ميز ان قدّره الله من مقدار ارتفاع الماء على وجه الارض [وَحَمَلْناهُ عَلٰى ذاتِ اَلْواحٍ وَدُسُرٍ] وهى المسامير من الحديد اوكلّ مايشدّ به الشّيء اوخيوطٌ من ليف يشدّ بها السّفن ، وقيل: هى صدر السّفينة تدفع بها الماء ، وقيل: هى اضلاع السّفينة واصلها [تَجْرى بِأَعْيُنِنا] بحافظيّتنا [جَزاءً لِمَنْ كانَ كُفِرَ] و هو نوحٌ فانّ نعمة السّفينة وجريها بحفظه تعالى ، ونقمة القوم واهلاكهم كان جزاء لنوح وكفر قومه به [وَلَقَدْ تَرَكْناها] اى هذه الغفلة بقوم نوحٍ او السّفينة بعينها اوبخبرها فى النّاس [اٰيَةً] يعتبر بها ، اوآية على قدرتنا و انتقامنا او على صدق انبيائنا [فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ] معتبر بتلك الآية [فَكَيْفَ كانَ عَذابى وَنُذُرِ] وانذارى او هو جمع النّذير [وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْاٰنَ لِلذِّكْرِ] اى للتّذكّر والاتّعاظ بان ذكرنا فيه الحكايات المبشّره والمنذرة والامثال العديدة بالفاظ واضحة الدّلالة، اويسّرنا القرآن بان نزّلناه من مقامه العالى وادخلناه فى قوالب الالفاظ والحروف ليسهل ادراكه لكم [فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ كَذَّبَتْ عادٌ] قوم عادٍ بعد قوم نوحٍ [فَكَيْفَ كانَ عَذابى وَنُذُرِ اِنّا اَرْسَلْنا] جوابٌ لسؤال مقدّرٍ عن العذاب [عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا] باردة [فى يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ] نحوستة الى مثله،عن الصّادق(ع): يوم الاربعاء يوم نحس لانّه اوّل يومٍ وآخر يومٍ من الايّام الّتى قال الله عزّوجلّ سخّرها عليهم سبع ليالٍ و ثمانية ايّامٍ حسوماً [تَنْزِعُ النّاسَ] روى انّهم كانوا يدخلون فى الشّعاب ويتمسّك بعضهم ببعضٍ فكانت الرّيح تنزعهم وتصرعهم موتى [كَأَنَّهُمْ اَعْجازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ] منقطعٍ من اصولها ، شبّههم باعجاز النّخل لانّهم بعد خروج ارواحهم تصير ابدانهم كأعجاز النّخل لانّ ارواحهم مثل اصول النّخل وغصونها [فَكَيْفَ كانَ عَذابى وَنُذُرِ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْاٰنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ] كرّر هذه الكلمة وسابقتها لانّ السّورة لتهديد الكفّار وترغيب المؤمنين ، والتّكرار فى مقام التّهديد والتّرغيب مطلوب [كَذَّبَتْ ثَمُودُ] من بعد عاد [بِالنُّذُرِ فَقالُوا اَبَشَرًا مِنّا واحِدًا نَتَّبِعُهُ] على سبيل الانكار والاستغراب [اِنّا اِذًا لَفى ضَلالٍ وَسُعُرٍ] جمع السّعير ، او بمعنى الجنون ، اوجمع

السّحر ككتف بمعنى المجنون ، وعطف على فى ضلال [ءَاُلْقِيَ الذِّكْرُ] اوالكتاب اوالوحى او المواعظ اواحكام الرّسالة [عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا] وفينا من هو احقّ منه بذلك [بَلْ هُوَ كَذَّابٌ اَشِرٌ] يعنى ليس ينزل عليه الوحى من بيننا بل هو كذّاب اشر حمله بطره على طلب الرّياسة والتّرفع [سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الْاَشِرُ] وقرئ ستعلمون بالخطاب التفاتاً منه تعالى من الغيبة الى الخطاب اوحكاية لقول صالح لهم [اِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ] جوابُ سؤالٍ مقدّرٍ [فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ] ناظراً لحالهم الى م تَرجع [وَاصْطَبِرْ] وبالغ فى الصّبر [وَنَبِّئْهُمْ اَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ] اى كلّ نوبة [مُحْتَضَرٌ] لصاحبه لايزاحمهم النّاقة فى نوبتهم ولايزاحمونها فى نوبتها [فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطٰى] السّيف لقتلها ، او تعاطى النّاقة لقتلها ، او تعاطى القوس ، او قام على اطراف اصابع الرّجلين ومدّ يديه لقتلها [فَعَقَرَ] قيل: كمن لها فرماها بسهم فانتظم به عضلة ساقيها ، ثمّ شدّ عليها بالسّيف وكان يقال له: احمر ثمود واحيمر ثمود على التّصغير ويضرب به المثل فى الشّوم [فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ اِنَّا اَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً] هى صيحة جبرئيل ، اوصيحة الصّاعقة وقد سبق فى سورة الاعراف وغيرها قصّتهم ورفع الاختلاف بين ماورد فى اهلاكهم من الصّيحة والزّلزلة [فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ] المحتظر الّذى يعمل الحظيرة لابله وغنمه ، وهشيمه ما يجعله المحتظر حول حظيرته من خشبٍ وحطبٍ وغيره [وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْاٰنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ] بالرّسل او بالانذار [اِنَّا اَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا] رامياً للحصباء عليهم وكان الحاصب جبرئيل بعد مارفع قُراهم ، وقيل : المراد بالحاصب الرّيح الّتى كانت تحصبهم بالحجارة ، اوالمراد الحاصب الّذى حصبهم بحجارةٍ من سجّيل مسوّمة عند ربّك للمسرفين وهم الملائكة [اِلَّا اٰلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ] فى وقت سحر متعلّق بنجّيناهم او بحاصباً [نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا] نجاة نعمةٍ اولنعمة ، اوانعمنا عليهم نعمة من عندنا [كَذٰلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ] نعمنا بصرفها فيما خلقت لاجلها ، او بتعظيمنا فى انعامنا [وَلَقَدْ اَنْذَرَهُمْ] لوطٌ [بَطْشَتَنَا] سطوتنا بالعذاب [فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ] تجادلوا فى النّذر، اوشكّوا فيه ، اوتجادلوا ، او شكّوا بسبب النّذر [وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا اَعْيُنَهُمْ] مسخناها وسوّيناها بسائر الوجه ، اوطمسنا نورها ، ورد انّه اهوى جبرئيل باصبعه نحوهم فذهبت اعينهم ، وورد ايضاً انّه اخذ كفّاً من ترابٍ فضرب بها وجوههم فعمى اهل المدينة كلّهم ، وقد سبق قصّتهم فى سورة الاعراف وهود والحجر [فَذُوقُوا] اى فقلنا لهم ذوقوا [عَذَابِي وَنُذُرِ] اى ما انذرتم به [وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ] فيهم غير زائل عنهم [فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْاٰنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ وَلَقَدْ جَاءَ اٰلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ] اى فرعون وآله لكن اكتفى بذكرهم لانّ استحقاق قومٍ لعذابٍ او ثوابٍ باضافتهم الى شخصٍ يدلّ على استحقاق ذلك الشّخص بالطّريق الاولى [كَذَّبُوا بِاٰيَاتِنَا] التّسع [كُلِّهَا] او بآياتنا الآفاقيّة والانفسيّة كلّها، او بآياتنا العظمى كلّها وهم الرّسل [فَاَخَذْنَاهُمْ اَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ اَكُفَّارُكُمْ] يا قريش اويا اهل مكّة اويا ايّها العرب او يا ايّها النّاس [خَيْرٌ مِنْ اُولٰئِكُمْ] الهالكين الماضين حتّى لانعذّبهم ولانهلكهم مثلهم وليس كذلك [اَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ] بل اثبت لهم فى الزّبر الاوّلين اوفى الالواح العالية والكتب الّتى بايدى الملائكة براءة من العذاب اومن الهلكة اومن النّار

[أَمْ يَقُولُونَ] التفات من الخطاب [نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ] بل ايعتمدون على جماعتهم وعصابتهم و يقولون : نحن متّفقون ومنتصرون ممّن ارادبنا سوءً ولوكان المريدالله اوالملائكة ، و وحّد منتصراً لملاحظة لفظ جميع فانّه مفرد فى اللّفظ كالكلّ وان كان معناه جمعاً ، و للاشارة الى انّ الجماعة المتّفقة تكون كالرّجل الواحد ، او الضّمير لكلّ واحدٍ اى نحن جميع ومنتصر كلّ واحدٍ منّا ممّن يخالفنا فكيف بجماعتنا [سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ] انكانوامتّكلين على جماعتهم و المراد انّهم سيهزمون فى القيامة او فى الدّنيا يوم بدرٍ [وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ بَلِ السّٰاعَةُ] المناسب لهذا الاضراب ان يكون المراد بهزيمتهم هزيمتهم فى الدّنيا يعنى انّهم يهزمون فى الدّنيا بل السّاعة اى القيامة اوساعة الموت [مَوْعِدُهُمْ] والّذى لهم فى الدّنيا من العذاب انموذجٌ من عذاب السّاعة [وَالسّٰاعَةُ اَدْهٰى] اشدّ [وَاَمَرُّ] بل شدّة السّاعة ومرارته لاتقاس بعذاب الدّنيا [اِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلاٰلٍ] فى الدّنيا [وَسُعُرٍ] فى الآخرة اوكلاهما فى الآخرة اوكلاهما فى الدّنيا ، و يكون المراد بالسّعر الجنون [يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النّٰارِ عَلٰى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ] حالٌ او مستأنف بتقدير القول ، وسقر علَمٌ لجهنّم ، وعن الصّادق (ع) انّ فى جهنّم لوادياً للمتكبّرين يقال له سقر شكا الى الله شدّة حرّه وسأله ان يأذن له ان يتنفّس ، فتنفّس فأحرق جهنّم [اِنّٰا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنٰاهُ بِقَدَرٍ] بقدرٍ مخصوصٍ من امد بقائه واجله وكيفيّة بقائه ، او بسبب عالم القدر ، او بتقديرنا له فى عالم القدر ، عن الصّادق (ع) انّ القدريّة مجوس هذه الامّة وهم الّذين ارادوا ان يصفوا الله بعد له فأخرجوه من سلطانه ، وفيهم نزلت هذه الآيات يوم يسحبون (الى قوله) بقدرٍ [وَمٰا اَمْرُنٰا اِلاّٰ وٰاحِدَةٌ] رفع توهّمٍ نشأ من قوله كلّ شيءٍ خلقناه بقدرٍ فانّه يتوهّم متوهّم انّه اذا كان كلّ شيءٍ خلقه بقدرٍ لم يتيسّر ذلك الّا باعمّالٍ عديدةٍ يكون تحت كلّ عاملٍ عدّة عامل ، فقال : ما امرنا فى خلق العالم و جميع ما فيه الّا واحدةٌ اى فعلة واحدة ، اوكلمة واحدة ، اونشأ من قوله بل السّاعة موعدهم فانّه يتوهّم انّه اذا كان السّاعة موعدهم فليكن امد السّاعة بقدر امد الدّنيا بل اطول منه فقال: ومأمرنا فى الاتيان بالسّاعة وجمع الخلائق فيها ومحاسبتهم الّا واحدة [كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ] فى اليسر والسّرعة [وَلَقَدْ اَهْلَكْنٰا اَشْيٰاعَكُمْ] امثالكم من منكرى الرّسالة و توحيد الله [فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ] متّعظ بتذكّر احوالهم [وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ] اى الالواح العالية اوصحف الاعمال فلايفوت شيءٌ منها ومنّا [وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ] من الذّوات والاعمال والاعراض [مُسْتَطَرٌ] قبل خلقته فى الاقلام العالية واللّوح المحفوظ والالواح القدريّة ، او بعد خلقته فى صحائف نفوسهم وفى صحف الكرام الكاتبين [اِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنّٰاتٍ وَنَهَرٍ] النّهر بالسّكون والنّهر بالتّحريك مجرى الماء [فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ] الصّدق على الاطلاق هواستقامة الانسان فى جميع ما يقتضيه انسانيّته وتمكّنه فيه من الخروج عن جميع الحدود والدّخول فى مقام الاطلاق والاتّصاف بجميع الصّفات الالهيّة ، والتّمكّن فى كلّ ذلك ، واضافة المقعد الى الصّدق امّا من قبيل اضافة السّبب الى المسبّب ، او المسبّب الى السّبب ، اومن قبيل لجين الماء ، او بيانيّة ، فانّ الصّدق هومحلّ السّكون والاطمينان للانسان ، وتنكير الصّدق للتّفخيم وفى مقعد صدقٍ امّا خبرٌ بعد خبرٍ ، او خبر ابتداءٍ و فى جنّاتٍ حال او متعلّق بقوله فى جنّاتٍ [عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ] .

سورة الرّحمٰن

مكّيّة وقيل: غير آية يسألُه من فى السّموات والارض، وقيل: مدنيّة

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

[الرَّحْمٰنُ] اقتضاء جعله آيةً برأسه ان يكون خبراً لمبتدءٍ محذوفٍ وقد مضى فى اوّل الفاتحة انّ الرّحمن اسمٌ خاصّ بصفة عامّة ، و انّ الرّحمة الرّحمانيّة تقتضى وجود الاشياء بكمالاته الاوّليّة و بقاءها ، وانّ الرّحمة الرّحيميّة تقتضى الكمالات الثّانية الّلاحقة للاشياء الصّاعدة ، ولمّا كان تعليم القرآن الّذى هوافاضة الوجودالّذى هو اضافته الاشراقيّة على جميع الموجودات ، وخلق الانسان وتعليمه البيان الّذى هوتمام ذاته بالنّطق الّذى هوفصله الاخير من اقتضاء صفته الرّحمانيّة أتى فى اوّل هذه السّورة بالرّحمن [عَلَّمَ الْقُرْاٰنَ] خبرٌ للرّحمن ، او مستأنف جوابٌ لسؤال ٍ مقدّرٍ [خَلَقَ الْاِنْسٰانَ عَلَّمَهُ الْبَيٰانَ] تعدادٌ لاصول النّعم الّتى هى ايجاد كلّ موجودٍ وايجاد كمالاته الاوّليّة وذكر خلق الانسان بعد تعليم القرآن من قبيل ذكر الخاصّ بعد العامّ للاهتمام به ، وذكر تعليم البيان الّذى هو الكمال الاوّل للانسان المندرج فى خلق الانسان للامتنان و الاهتمام بهذا البيان فانّ الانسان غاية اخيرة لخلق العالم، والبيان وان كان كمالاً اوّليّاً للانسان لكنّه باعتبار اطلاقه غاية اخيرة للانسان [اَلشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبٰانٍ] اقتضاء جواز حمل السّابقة و الآتية على الرّحمن ان يكون هذه الجملة ايضاً جائزة الحمل عليه فليقدّر بحسبانٍ عنده يعنى انّ خلقهما وجريانهما ليس الّا بمقدارٍ خاصّ ٍ وميزانٍ مخصوصٍ لايتجاوزانه لانّ نظام العالم وانتظام معاش بنى آدم منوطٌ بانتظامهما فكونهما بحسبانٍ من النّعم كما انّ وجودهما من نعم الانسان ، واذا اريد بالشّمس و القمر روح الانسان ونفسه فكونهما من نعمه بل اجلّ نعمائه واضح [وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدٰانِ] النّجم النّبات الّذى لاساق له ، و الشّجر ماله ساق ، اوالمراد بالنّجم كواكب السّماء ، وسجودهما عبارة عن انقيادهما للنّفس المربّية المنمية لهما ، اوعبارة عن سجود جهتهما الملكوتيّة لله و تسبيحهما بالسنتهما الملكوتيّة الفصيحة ، او المراد بالنّجم والشّجر قوى النّفس الانسانيّة من الحسّاسة والمحرّكة فانّها ساجدة للنّفس، وسجدتها للنّفس سجدتها لله تعالى-شأنه والتّقدير ههنا يسجدان لله [وَالسَّمٰاءَ] اى سماء عالم الطّبع وسماء الارواح وسماء روح الانسان و سماء الولاية [رَفَعَهٰا] بحيث لايبلغ ابصاركم الى ماهى عليه [وَوَضَعَ الْميزٰانَ] قد سبق انّه لااختصاص للميزان بذى الكفّتين بل كلّما يوزن و يقاس به شيءٌ آخر هوميزان لذلك الشّيء فالميزان ذوالكفّتين و القبان و الكيل و الزّرع و خيوط البنّائين وغيرها من المحسوسات الّتى يقاس بها اشياء اُخر موازين ، وشريعة كلّ نبىّ ميزان لامّته كما انّ ولاية كلّ ولىّ وخلافته لنبيّه ميزانٌ لاتباعه فى اعمالهم، والنّفوس الانسانيّة والعقول المعاشيّة والعقول المعاديّة موازين للاعضاء والقوى والاعمال وتمييز الاشياء باوصافها، وميزان الكلّ هو الولاية بوجهها الى عالم الكثرات [اَلّاٰ تَطْغَوْا فِى الْميزٰانِ] ان تفسيريّة و لا ناهية اومصدريّة ، و لا ناهية اونافية وان كانت نافيةً فالخبر يكون فى معنى النّهى ليصحّ عطف الانشاء عليه، والمراد بالطّغيان فى الميزان التّجاوز عن حدّ الاعتدال الى الافراط كما انّ قوله تعالى [وَاَقيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ]

امر بالاعتدال، وقوله تعالى [وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ] نهى عن التّفريط فيه، نهى تعالى عن الزّيادة على الوزن سواء كان للوزّان اوعليه، كما نهى عن البخس سواء كان له اوعليه، وامر باقامة الوزن، واقامته عبارة عن تسوية طرفى الميزان، وبالقسط تأكيد لهذا المعنى، اوالمراد باقامة الوزن تسوية طرفى الميزان باليد، وتقييدها بالقسط للاشارة الى تسوية القلب فى ذلك [وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ] بسطها او هو مقابل رفع السّماء ذكر بسط الارض لانّ اتمام نعمة رفع السّماء ببسط الارض [فِيهَا فَاكِهَةٌ] الجملة حاليّة اومستأنفة جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ [وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ] الاكمام هى غلف ثمر النّخل، وقيل: المراد بها طلع النّخل، وقيل: ليف النّخل [وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ] اى الورق اوالتّبن [وَالرَّيْحَانُ] قرئ بالرّفع عطفاً على الحبّ، و بالجرّ عطفاً على العصف، والرّيحان نبت معروف طيّب الرّائحة، اومطلق النّبت الطّيّب الرّائحة، اومطلق الرّزق، اذا عرفتما ايّها الثّقلان هذه الآلاء الّتى لايقدر على ايتاء مثلها احدٌ سوى الله [فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ] روى عن الرّضا (ع) انّه قال: الرّحمن علّم القرآن، الله علّم القرآن قبل خلق الانسان وذلك امير المؤمنين (ع) قيل علّمه البيان؟- قال: علّمه بيان كلّ شيءٍ يحتاج اليه النّاس، قيل: الشّمس والقمر بحسبان؟- قال: هما بعذابٍ، قيل: الشّمس والقمر يعذّبان؟- قال: سألت عن شيءٍ فأتقنه، انّ الشّمس والقمر آيتان من آيات الله يجريان بأمره مطيعان له ضوؤهما من نورعرشه وحرّهما من جهنّم فاذا كانت القيامة عاد الى العرش نورهما وعاد الى النّار حرّهما فلايكون شمسٌ ولاقمرٌ وانّما عناهما لعنهما الله، اوليس قد روى النّاس انّ رسول الله (ص) قال: انّ الشّمس والقمر نوران فى النّار؟- قال: بلى، قال: اماسمعت قول النّاس: فلان وفلان شمس هذه الامّة ونورها؟ فهما فى النّار، والله ماعنى غيرهما، قيل: النّجم والشّجر يسجدان؟- قال: النّجم رسول الله (ص) وقدسمّاه الله فى غيرموضع فقال: والنّجم اذاهوى، وقال وعلاماتٍ وبالنّجم هم يهتدون فالعلامات الاوصياء (ع): والنّجم رسول الله (ص)، قيل: يسجدان؟- قال: يعبدان، وقوله والسّماء رفعها ووضع الميزان؟- قال: السّماء رسول الله (ص) رفعه الله اليه، والميزان امير المؤمنين (ع) نصبه لخلقه، قيل: الّا تطغوا فى الميزان؟- قال: لاتعصوا الامام، قيل: واقيموا الوزن بالقسط؟- قال: اقيموا الامام بالعدل، قيل: ولاتخسروا الميزان؟- قال: لاتبخسوا الامام حقّه ولاتظلموه، وقوله: والارض وضعها للانام؟- قال: للنّاس فيها فاكهة، والنّخل ذات الاكمام؟- قال: يكبر ثمر النّخل فى القمع ثمّ يطلع منه، قوله والحبّ ذوالعصف والرّيحان؟- قال: الحبّ الحنطة والشّعير والحبوب، والعصف التّبن والرّيحان ما يؤكل منه. وعن الصّادق (ع) فى تفسير قوله تعالى: فبأىّ آلاء ربّكما تكذّبان؟- فبأىّ النّعمتين تكفران؟- بمحمّدٍ (ص) ام بعلىٍّ (ع)؟ وفى خبرٍ، ابالنّبىّ (ص) ام بالوصىّ (ع)؟! ولمّا كان التّكرار فى مقام الامتنان بتعدّد النّعم مطلوباً كرّرقوله: فبأىّ آلاء ربّكما تكذّبان تقريراً لها عند المقرّين بها، وتوبيخاً للمكذّبين بها، ولذلك ورد عن النّبىّ (ص): انّه لمّا قرئ هذه السّورة على النّاس وسكتوا ولم يقولوا شيئاً، قال: الجنّ احسن جواباً منكم لمّا قرأت عليهم فبأىّ آلاء ربّكما تكذّبان؟- قالوا: لابشيءٍ من آلاء ربّنا نكذّب [خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ] الصّلصال الطّين الطّيّب خلط بالرّمل، اوالطّين ما لم يجعل خزفاً [كَالْفَخَّارِ] الفخّارة الجرّة جمعها الفخّار، اوهوالخزف [وَخَلَقَ الْجَانَّ] اسم جمعٍ للجنّ اوهو ابو الجنّ [مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ] اى نارٍ خالصةٍ من الدّخان وقد سبق فى سورة البقرة كيفيّة خلق الجنّ من النّار [فَبِأَيِّ آلَاءِ

رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ رَبُّ الْمُشْرِقَينِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَينِ] المراد بالمشرقين مشرق الشّمس فى الشّتاء ومشرقها فى الصّيف ، وهكذا مغرباها ، سئل اميرالمؤمنين (ع) عن هذه الآية ، فقال : انّ مشرق الشّتاء عليحدّة ومشرق الصّيف عليحدّة ، اما تعرف ذلك من قرب الشّمس وبعدها ؟! قال : وامّا قوله ربّ المشارق والمغارب فانّ لها ثلاث مائة وستّين برجاً تطلع كلّ يوم من برج وتغيب فى آخر فلاتعود اليه الّا من قابل فى ذلك اليوم ، وعن الصّادق (ع) : انّ المشرقين رسول الله (ص) واميرالمؤمنين (ع) ، والمغربين الحسن والحسين (ع) قال : وفى امثالهما يجرى [فَبِأَيِّ آلٰاءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ] ارسل البحر العذب الفرات والبحر الملح الاجاج، اوالبحر الفاعلىّ والبحر القابلىّ ومظهرهما ، ومظهرهما علىّ (ع) وفاطمة (ع) [يَلْتَقِيٰانِ] يتلاقيان من غير امتزاج [بَيْنَهُمٰا بَرْزَخٌ] من قدرة الله ، اومن عالم المثال ، او من محمّد (ص) [لٰا يَبْغِيٰانِ] لايغلب احدهما الاخر ولايبطل خاصيّته وقد مرّ فى سورة الفرقان بيانٌ اجمالىٌ للبحرين [فَبِأَيِّ آلٰاءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجٰانُ فَبِأَيِّ آلٰاءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ] روى عن الصّادق (ع) انّه قال: علىّ (ع) وفاطمة (ع) بحران عميقان لايبغى احدهما على صاحبه، يخرج منهما اللّؤلؤ والمرجان ، قال : الحسن والحسين (ع) وفى خبرٍ والبرزخ محمّد (ص) ، وعن الصّادق (ع) عن علىٍّ (ع) يخرج منهما قال، من ماء السّماء ومن ماء البحر فاذا أمطرت فتحت الاصداف افواهها فى البحر فيقع فيها من ماء المطر فتخلق اللّؤلؤة الصّغيرة من القطرة الصّغيرة ، واللّؤلؤة الكبيرة من القطرة الكبيرة [وَلَهُ الْجَوٰارِ الْمُنْشَآتُ] قرئ بفتح الشّين بمعنى المرفوعات الشُّرُع ، وقرئ بكسر الشّين بمعنى الرّافعات الشُّرُع [فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلٰامِ] كالجبال الطّوال [فَبِأَيِّ آلٰاءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ كُلُّ مَنْ عَلَيْهٰا] على الارض [فٰانٍ] فانّ الكلّ بحسب الحدود والمهيّات فانيات الذّوات ، وبحسب الوجود الّذى هو وجه الله الباقى باقيات [وَيَبْقىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلٰالِ وَالْإِكْرٰامِ] فانّ الوجود لا يقبل الفناء والعدم اصلاً ، والّا لزم اتّصاف الشّيء بضدّه وانّما يقبل الموجودات العدم والفناء بحسب حدودها لابحسب وجوداتها، ومن ههنا يستنبط انّ الوجودات كلّها ظهور الحقّ الاوّل ، وبحسب حقيقتها غيرقابلة للفناء ، ويستنبط انّ كلّها متقوّم بوجود الحقّ الواجب تعالى شأنه [فَبِأَيِّ آلٰاءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ يَسْئَلُهُ مَنْ فِي السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضِ] فانّه الغنىّ على الاطلاق والكلّ محتاجون اليه سائلون عنه بألسنة فقرهم واستعدادهم وحالهم كما انّ الاكثر سائلون عنه بالسنة اقوالهم [كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ] مستأنف جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ فى مقام التّعليل يعنى ليس الكامل فى كماله مستغنياً عنه وعن سؤاله كما انّه ليس النّاقص مستغنياً عنه لانّه كلّ يوم فى شأن فالكامل ان كان كماله بشأنٍ اوشؤن منه لم يكن كاملاً بجميع شؤنه فليكن سائلاً منه شؤنه الاُخر [فَبِأَيِّ آلٰاءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلٰانِ] لمّا دلّ قوله : كلّ يوم هو فى شأن على انّ له بحسب مراتب العالم طولاً وعرضاً شؤناً ، وانّ له بحسب مراتب الانسان طولاً وعرضاً شؤناً ، وله بحسب كلٍّ من القوى الدّرّاكة والمحرّكة شأناً بل شؤناً جازان يتوهّم متوهّم انّه اذا كان له شؤن لم يكن له فراغ بحساب الخلائق وجزائهم بالثّواب والعقاب فردّ ذلك التّوهّم بانّ تلك الشّؤن انّما هى بحسب مراتب الكثرات وسنفرغ اى سنظهر بشأن التّوحيد فى القيامة فلم يكن لنا شأن سوى حساب الخلائق وانتهائهم الى جزائهم [فَبِأَيِّ آلٰاءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ يٰا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ] حال من فاعل سنفرغ او من مفعوله بتقدير القول

اى قائلين اومقولاً فيكم اومستأنف جوابٌ لسؤال مقدّرٍ بتقديرالقول مثل الوجه السّابق كأنّه قيل : ما يقال لهم وقت الفراغ لهم ؟ـ او نداء من الله للثّقلين من غير تقدير القول و خطابٌ لهم فى الدّنيا [اِنِ اسْتَطَعْتُمْ اَنْ تَنْفُذُوا مِنْ اَقْطارِ السَّمواتِ وَالْاَرْضِ] يعنى ان استطعتم ان تخرجوا بالنّفوذ فى اقطارهما من اقطارهما وتحتهما فارّين من الله او فارّين من ملائكته اوخارجين من ملكه [فَانْفُذُوا] امر للتّعجيز [لاتَنْفُذُونَ اِلّابِسُلْطانٍ] من الله و هو وليّه الّذى كان واسطةً بينه وبين خلقه ، او الّا بسلطانٍ وهو السّكينة الّتى ينزلها الله على من يشاء من عباده فانّه اذا نزل تلك السّكينة وتمكّن سهل على الانسان النّفوذ والخروج من اقطار السّماوات والارض الى عالم الملكوت والجبروت كما نفذ محمّد(ص) وخرج من الملكوت والجبروت ، او المعنى ان استطعتم ان تنفذوا بقوّتكم العلّامة و عقولكم الفكريّة من اقطار السّماوات والارض لتعلموا ماوراءهما فانفذوا لاتنفذون الّا بسلطان هو وليّ امركم وهوسكينتكم النّازلة عليكم او برهانكم الّذى تستنبطون ماغاب عنكم منه . و روى انّه يحاط يوم القيامة على الخلق بالملائكة و بلسانٍ من نارٍ ثمّ ينادون : يامعشر الجنّ والانس (الى قوله)شواظٌ من نار ، وعن الصّادق(ع) : اذا كان يوم القيامة جمع الله العباد فى صعيدٍ واحدٍ وذلك انّه يوحى الى السّماء الدّنيا ، ان اهبطى بمن فيك، فيهبط اهل السّماء الدّنيا بمثلى من فى الارض من الجنّ والانس والملائكة ،فلايزالون كذلك حتّى يهبط اهل سبع سماوات فتصير الجنّ والانس فى سبع سرادقاتٍ من الملائكة ثمّ ينادى مناد : يا معشر الجنّ والانس ان استطعتم (الآية) فينظرون فاذاً قد احاط بهم سبع اطواق من الملائكة [فَبِاَىِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ يُرْسَلُ عَلَيْكُما شُواظٌ مِنْ نارٍ] الشّواظ كغراب وكتاب وقرئ بهما لهب لادخان فيه، اودخان النّار وحرّها، وحرّ الشّمس، والصّياح وشدّة الغلّة[1] [وَنُحاسٌ] النّحاس مثلّثة ، الصّفر المذاب اوالمطلق ، وما سقط من شرار الصّفر اوالحديد اذا طرق وقيل: المراد به الدّخان ، وقيل: المراد به المهل ، وقرئ بالرّفع وبالجرّ [فَلاتَنْتَصِرانِ فَبِاَىِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ فَاِذَا انْشَقَّتِ السَّماءُ] فى العالم الصّغير فانّه فى حال الاحتضار تنشقّ سماء الرّوح الحيوانيّة فتنفلق الرّوح الانسانيّة منها ، واذا انشقّت السّماء الدّنيا فى العالم الصّغير انشقّت السّماء الدّنيا فى العالم الكبير فى نظر من انشقّت سماؤه فى عالمه [فَكانَتْ وَرْدَةً] اى كنور النّبات فى انشقاقه وانفلاق الثّمر منه وعدم الاحتياج اليه اوصارت احمر واصفر و ابيض يعنى بالوانٍ مختلفةٍ كلون النّور ، اوكلون الفرس بين الكميت و الاشقر فانّ الوردة واحدة الورد وهو من كلّ شجرةٍ نورها ، و غلّب على الحوجم[2] وفرس بين الكميت و الاشقر والزّعفران [كَالدِّهانِ] الدّهان جمع الدّهن او هو الاديم الاحمر او هو عكر الزّيت فانّ الدّهن اذا صبّ بعضها فوق بعضٍ اختلف الوانها و دُرديّ الزّيت ايضاً تختلف الوانه [فَبِاَىِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ] وجواب اذا امّا قوله : فكانت وردة ، او قوله فبأىّ آلاء ربّكما ، او قوله تعالى [فَيَوْمَئِذٍ لايُسْئَلُ] اوقوله يعرف المجرمون [عَنْ ذَنْبِهِ اِنْسٌ وَلاجانٌّ] لما دهمه من الدّهشة و الغشية و الحيرة الّتى لايبقى معها موقع سؤالٍ عنه وانّما السّؤال فى القيامة الكبرى اولايسئل عن ذنب المذنب انسٌ ولاجانٌّ غيره بارجاع الضّمير الى المذنب المستفاد بالملازمة لا الى الانس والجانّ ، او يوم القيامة لايسئل عن ذنبه انسٌ ولاجانٌّ اذا كان من شيعة علىّ (ع) كما فى الخبر عن الرّضا(ع) و امّا غيرهم فيسئلون ، او لايسئل عن ذنبه سؤال استفهامٍ لانّ المجرم يعرف بسيماه بقرينة قوله يعرف المجرمون [فَبِاَىِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيماهُمْ]

---

(١) الغُلّة = العطش . (٢) الحوجمة = الوردة الحمراء والجمع الحوجم .

تعليل لقوله تعالى لا يسئل عن ذنبه على الوجه الاخير واستيناف كلام على سائر الوجوه ، والمراد بالسّيما العلامة الّتى عليهم من سوادالوجه وزرقةالعيون، اومايغشيهم من القتروالذلّة [فَيُؤْخَذُ بِالنَّوٰاصِي وَالْاَقْدٰامِ] يعنى فتأخذهم الزّبانية فتجمع بين نواصيهم واقدامهم بالغلّ ثمّ يسحبون فى النّار ، او يأخذهم الزّبانية بنواصيهم واقدامهم فتسوقهم الى النّار ، عن الصّادق (ع) انّه سأل بعض اصحابه ما يقولون فى هذا ؟ـ قال : يزعمون انّ الله تعالى يعرف المجرمين بسيماهم فى القيامة فيأمر بهم فيؤخذون بنواصيهم واقدامهم فيلقون فى النّار ، فقال : وكيف يحتاج تبارك و تعالى الى معرفة خلقٍ انشأهم و هو خلقهم؟ـ قال : وما ذاك ؟ ـ قال : ذاك لوقام قائمنا اعطاه الله السّيما فيأمر بالكافر بن فيؤخذ بنواصيهم واقدامهم ثمّ يخبط بالسّيف خبطاً[1] [فَبِاَيِّ اٰلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ هٰذِهِ جَهَنَّمُ] حاليّة او مستأنفة جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ اى يقال لهم : هذه جهنّم [الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ يَطُوفُونَ بَيْنَهٰا وَبَيْنَ حَمِيمٍ اٰنٍ] يعنى يطوفون بين ماءٍ حارٍّ واقعٍ بين جهنّم ، او قد يطوفون بين جهنّم فى النّار ، و قد يطوفون بين ماءٍ حارٍّ غاية الحرارة [فَبِاَيِّ اٰلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ وَلِمَنْ خٰافَ مَقٰامَ رَبِّهِ] اى مقام ربّه بالنّسبة الى نفسه و انّه فى مقامٍ يراه ويسمع قوله ، اومقامه عند ربّه للحساب، وعن الصّادق (ع) قال : من علم انّ الله يراه ويسمع مايقول و يعلم مايعمله من خيرٍ وشرٍّ فيحجزه ذلك عن القبيح من الاعمال فذلك الّذى خاف مقام ربّه ونهى النّفس عن الهوى [جَنَّتٰانِ] بحسب صفحتى النّفس العمّالة والعلّامة احديهما وهى الّتى تكون بحسب صفحتها العمّالة جنّة النّعيم والاخرى جنّة الرّضوان وذلك انّه منع قوّته العمّالة عن القبيح وقوّته العلّامة عن الشّيطنة [فَبِاَيِّ اٰلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ ذَوٰاتٰا اَفْنٰانٍ] جمع الفنّ بمعنى الانواع من الاشجار والاثمار والنّعم ، اوجمع الفنن بمعنى الاغصان [فَبِاَيِّ اٰلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ فِيهِمٰا عَيْنٰانِ تَجْرِيٰانِ] فى كلّ من الجنّتين عينان اوفى كلّ منهما عين [فَبِاَيِّ اٰلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ فِيهِمٰا مِنْ كُلِّ فٰاكِهَةٍ] من فواكه الجنّات [زَوْجٰانِ] اى الرّطب واليابس ، او المعروف من الثّمار والغريب منها،اوالمراد مافيه حظّ للعلّامة ومافيه حظّ للعمّالة ، فانّ ثمارالدّنيا يلتذّ بهاالباصرة كمايلتذّ بهاالذّائقة، و فى الجنان يتميّز الكيفيّتان بمحالّهما او صنفٌ مستقدر لمقام تقدّر الانسان وصنف مجرّد لمقام تجرّده [فَبِاَيِّ اٰلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ مُتَّكِئِينَ] حال ممّن خاف مقام ربّه [عَلىٰ فُرُشٍ بَطٰائِنُهٰا] جمع البطانة بمعنى الباطن [مِنْ اِسْتَبْرَقٍ] شخين الحرير [وَجَنَا الْجَنَّتَيْنِ دٰانٍ] اى الثّمار الّتى من شأنها ان تجنى دانية من الآكلين حتّى ينالها القائم والقاعد والمضطجع [فَبِاَيِّ اٰلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ فِيهِنَّ] اى فى الجنان [قٰاصِرٰاتُ الطَّرْفِ] على ازواجهنّ ، او تقصر الاطراف عن النّظر اليهنّ لتلألئهنّ [لَمْ يَطْمِثْهُنَّ اِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلٰا جٰانٌّ] الطّمث الافتضاض والمسّ والانس [فَبِاَيِّ اٰلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ كَاَنَّهُنَّ الْيٰاقُوتُ وَالْمَرْجٰانُ] فى الصّفاء والتّشفيف فانّه روى انّ المرأة من اهل الجنّة يرى مخّ ساقها من وراء سبعين حلّة من حرير [فَبِاَيِّ اٰلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ هَلْ جَزٰاءُ الْاِحْسٰانِ اِلَّا الْاِحْسٰانُ] اى ما جزاء من انعم عليه بالمعرفة اى معرفة الامام الّا الجنّة ؟ـ فانّ الاحسان اى صيرورة الانسان ذاحسن لايحصل للانسان الّا بقبول ولاية علىّ (ع) ، وفى رواية : هل جزاء من قال : لا اله الّا الله الّا الجنّة ؟! يعنى بشرطها وعلىّ (ع) من شروطها ، و فى خبرٍ : هل جزاء من انعمنا عليه بالتّوحيد الّا الجنّة ؟ـ يعنى

(۱) الخبط كالضرب وزناً و معناً .

بالولاية ، فانّ التّوحيد لايحصل الّا بالولاية ، وفي خبر انّ هذه الآية جرت في الكافر والمؤمن والبرّ والفاجر من صنع اليه معروف فعليه ان يكافي به وليس المكافاة ان تصنع كما صنع حتّى تربي، فان صنعت كما صنع كان له الفضل بالابتداء [فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ] عطف على جنّتان اى لمن خاف مقام ربّه من دون الجنّتين الاوليين اللّتين له بحسب قوّته العمّالة الانسانيّة و قوّته العلّامة الانسانيّة جنّتان بحسب قوتيه العمّالة الجزئيّة والعلّامة الجزئيّة ، و بعبارةٍ اخرى بحسب مرتبته الاخرى الّتي شارك بها سائر الحيوان و بعبارةٍ اخرى هاتان لمقامه المقداريّ وتانك لمقامه المجرّد ، اوحال اوعطف على مجموع لمن خاف مقام ربّه جنّتان يعني انّ لله من غير تينك الجنّتين جنّتين لمن دون من خاف مقام ربّه [فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ مُدْهَامَّتَانِ] اى تضرب ان الى السّواد من خضرتهما فانّ حسن الخضرة ان تضرب الى السّواد اومن كثرة اغصان اشجارهما والتفافهما وكثرة اوراقها [فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ] نضخه رشّه و نضخ الماء اشتدّ فورانه ، و النّضاخ ككتّان الغزير من المطر ، قيل: تنضخ على اولياء الله بالمسك و العنبر والكافور ، و قيل : تنضخان بانواع الخيرات [فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ] لعدم جمعهما بين الصّنفين لم يقل : زوجان ، ولعدم اشتمالهما على فواكه المقام العالي لم يقل من كلّ فاكهةٍ ، ولكثرة فوائد النّخل والرّمّان افردهما بعد ذكر الفاكهة [فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ] نساءٌ خيرات الاخلاق من نساء الدّنيا اومن الحور [حِسَانٌ] اى حسان الوجوه ، عن الصّادق (ع) : هنّ صوالح المؤمنات العارفات ، وسئل عنه من قول الرّجل للرّجل: جزاك الله خيراً ، مايعني به ؟- قال : انّ خيراً نهرٌ في الجنّة مخرجه من الكوثر ، والكوثر مخرجه من ساق العرش ، عليه منازل الاوصياء وشيعتهم ، على حافّتي ذلك النّهر جوار نابتات كلّما قلعت واحدةٌ نبتت اخرى يسمّين باسم ذلك النّهر، وذلك قوله تعالى فيهنّ خيرات حسان ، فاذا قال الرّجل لصاحبه: جزاك الله خيراً فانّما، يعني بذلك تلك المنازل الّتي اعدّها الله لصفوته وخيرته من خلقه [فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ حُورٌ] بدل من خيرات بدل الكلّ على ان يكون المراد بالخيرات الحور ، او بالحور معناه اللّغويّ حتّى يشمل النّساء من الانس، اوعطف على خيرات بحذف حرف العاطف من قبيل التّعداد [مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ] اى مخدّرات في الخيام،وقيل: مقصورات الاطراف على ازواجهنّ، او الانظار مقصورة عنهنّ ، وقيل :كلّ خيمة درّة مجوّفة فرسخ في فرسخ فيها اربعة آلاف مصراعٍ من ذهبٍ [فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ] جمع الرّفرفة وقرئ رفارف [خُضْرٍ] قيل الرّفرف الفرش المرتفعة، وقيل: رياض الجنّة، وقيل: المجالس ، وقيل: الوسائد [وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ] قيل: هي الزّرابيّ ، وقيل: الدّيباج ، وقيل : البُسط ، و قيل : كلّ ثوبٍ موشّى هوعبقريّ ، وقيل: العبقريّ منسوب الى العبقر وهواسم بلد الجنّ بزعم العرب ، وفي القاموس: عبقر موضع كثير الجنّ ، و قرية ثيابها في غاية الحسن ، وامرأة ، والعبقريّ الكامل من كلّ شيءٍ والسّيد والّذي ليس فوقه شيءٌ والشّديد وضرب من البُسط [فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ] اسم الرّبّ مطلقا هواسمه الاعظم الّذي هو عليّ بعلويّته [ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ] وقرئ ذوالجلال بالرّفع وصفاً للاسم فانّ اسمه مثله ذوالجلال الاجلّ من ان يوصف وذوالاكرام الاتمّ .

سورة الواقعة

مكّيّة كلّها، وقيل: الّا آية : وتجعلون رزقكم انّكم تكذّبون ، وقيل : الّا قوله :ثلّة من الاوّلين وقوله: افبهذا الحديث انتم مدهنون، نزلت فى سفره الى المدينة.

بسم الله الرّحمن الرّحيم

[إِذٰا وَقَعَتِ الْوٰاقِعَةُ] اى القيامة سمّيت واقعة لتحقّق وقوعها ، او المراد بالواقعة الموت فانّه ايضاً متحقّق الوقوع [لَيْسَ لِوَقْعَتِهٰا كٰاذِبَةٌ] كذب ، ليس ليس جواباً لاذا للزوم الفاء ان كان جواباً فالجملة حاليّة او معترضة جوابٌ لسؤالٍ مقدّر، اوهوجواب اذابتقدير الفاء [خٰافِضَةٌ رٰافِعَةٌ] خبرمبتدءٍ محذوف بتقدير الفاء وجوابٌ لاذا ، او بدون تقدير الفاء ومستأنفة جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ، واذالم تكن هذه الجملة وسابقتها جواباً لاذا فالجواب محذوف اى تخفض جماعة من الانس و الجنّ و ترفع جماعة او تخفض فرقة من قوى النّفس وترفع اخرى ، اوجواب اذا قوله تعالى فاصحاب الميمنة (الى آخره) اوجواب اذا قوله تعالى [إِذٰا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا] بتقدير الفاء، اواذا رجّت الارض بدل من اذا وقعت الواقعة او ظرف لوقعت ، او لكاذبة اولخافضة اولرافعة ، و الرّجّ التّحريك و التّحرّك و الاهتزاز والحبس [وَبُسَّتِ الْجِبٰالُ بَسًّا] البسّ السّوق اللّيّن وان يلتّ السّويق او الدّقيق اوالاقط المطحون بالسّمن او الزّيت ، والفتّ ومنه البسيس للسّويق [فَكٰانَتْ هَبٰاءً مُنْبَثًّا] الهباء الغبار الّذى ينبثّ فى الجوّ و يرى فى شعاع الشّمس [وَكُنْتُمْ أَزْوٰاجًا] اى اصنافاً [ثَلٰاثَةً فَأَصْحٰابُ الْمَيْمَنَةِ مٰا أَصْحٰابُ الْمَيْمَنَةِ] مااستفهاميّة للتّعجّب والجملة خبر اصحاب الميمنة بتقدير القول [وَأَصْحٰابُ الْمَشْئَمَةِ مٰا أَصْحٰابُ الْمَشْئَمَةِ] والاستفهام و التّعجّب فى الاولى للتّفخيم وفى الثّانية للتّحقير [وَالسّٰابِقُونَ السّٰابِقُونَ] هذه جملة مبتدء وخبر والمعنى السّابقون على اصحاب اليمين هم المعروفون بالسّبق ، اوالسّابقون على اصحاب اليمين هم السّابقون على الاطلاق فى جملة الكمالات، اوالسّابقون هم الانبياء (ع) المعروفون بالسّبق، اوالسّابقون فى الفضل هم السّابقون اصحاب اليمين، او السّابقون فى الايمان هم السّابقون على الكلّ كقول الشّاعر : انا ابو النّجم وشعرى شعرى ، او السّابقون الثّانى تأكيدٌ للاوّل و قوله تعالى [أُولٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ] خبره ، او بدل منه و اولئك المقرّبون مبتدءٌ وخبرٌ ، او موصوف وصفة فالوقف عليه، اوالوقف على قوله تعالى [فِي جَنّٰاتِ النَّعِيمِ] فانّه خبرٌ اوخبرٌ بعد خبرٍ، اوحالٌ ، او خبر مبتدءٍ محذوف .

اعلم ، انّ بنى آدم لمّا كانوا جامعين بالقوّة لجميع انموذجات الموجودات وهذا معنى علّم آدم الاسماء كلّها ، كانوا اذا صاروا بالفعل فى شيءٍ من الاشياء صاروا من جنس ذلك الشّيء بحسب الباطن ، ولذلك قيل: انّ الانسان بحسب الصّورة نوعٌ واحدٌ و بحسب الباطن انواعٌ مختلفةٌ، وانّ العوالم بحسب الامّهات ثلاثة: عالم الارواح الخبيثة ، وعالم الارواح الطّيّبة ، والعالم الواقع بين العالمين ، وهوعالم الطّبائع والكيان ، وانّ تلك العوالم بمنزلة

شخص انسانيّ يمينه عالم الارواح الطّيّبة ، وشماله عالم الارواح الخبيثة، والانسان الواقع بين هذين العالمين مالم يتمكّن فی شيء من العالمين بل كان حاله باقية على البرزخيّة بينهما لايحكم عليه بشيء من العالمين والخارج من البرزخيّة المتمكّن فی الارواح الخبيثة يحكم عليه بانّه منهم ، وانّه من اصحاب الشّمال واصحاب المشئمة ، والمتمكّن فی الارواح الطّيّبة يحكم عليه بانّه منهم وانّه من اصحاب اليمين واصحاب الميمنة ، والباقی علی البرزخيّة لايحكم عليه بشيء بل هوالمرجی لأمرالله وهم اغلب النّاس ، والحائز لكمالات الانسان السّابق علی اصحاب اليمين وهم الانبياء والاولياء (ع) هوالسّابق و بعبارة اخری الانسان امّا قابل للولاية اومعرض عنها، اوغيرقابل وغير معرض ، والمعرض يحكم عليه بحسب اعراضه انّه من اصحاب الشّمال بشرط البقاء علی اعراضه ، والقابل يحكم عليه بانّه من اصحاب اليمين ، وغيرهما مرجیً لامرالله ، والقابل للولاية امّا صار بالفعل فی بعض الكمالات وهوالسّابق ، اولم يصر وهو من اصحاب اليمين ، وهذه القسمة بحسب كونهم فی الدّنيا وفی الانظار القاصرة ، والّا فهم بعدالموت وطیّ البرازخ امّا سابقون ، اواصحاب اليمين، اواصحاب الشّمال، وهكذا حالهم فی الانظار البالغة فی الدّنيا ، فانّ النّاظرين فی العواقب يحكمون علی الانسان بكونه من اصحاب الشّمال ، او اصحاب اليمين ، او السّابقين ، فالاقسام اربعة فی الدّنيا عند القاصرين وثلاثة فی الآخرة و فی الدّنيا عند الكاملين فی الانظار ، وقد مضی فی سورة المائدة عند قوله تعالی بل يداه مبسوطتان بيان للشّمال واليمين وانّهما بالنّسبة الی انفسهما والی العالم تسمّيان باليمين والشّمال، وامّا بالنّسبة الی الله تعالی فكلتايديه يمين ،وعن النّبیّ (ص) انّه سئل عن هذه الآية فقال (ص) : قال لی جبرئيل : ذلك علیّ وشيعته هم السّابقون الی الجنّة المقرّبون من الله بكرامته ، وعن علیّ (ع) قال : والسّابقون السّابقون اولئك المقرّبون فیّ نزلت ، وعن الباقر (ع) :ونحن السّابقون السّابقون و نحن الآخرون ، وقال الصّادق (ع) قال ابی لاناس من الشّيعة ؛ انتم شيعة الله، و انتم انصارالله ، وانتم السّابقون الاوّلون، والسّابقون الآخرون ، والسّابقون فی الدّنيا الی ولايتنا ، والسّابقون فی الآخرة الی الجنّة [ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ] ای جمع كثيرمنهم من الاوّلين فی الزّمان وهم من لدن آدم (ع) الی زمان الخاتم (ص) ، اومن الاوّلين فی البيعة وقبول الولاية ، اومن الاوّلين فی الرّتبة وهذا هوالمقصود ، فانّ المقصود انّ كثيراً من السّابقين كانوا من الاوّلين فی الرّتبة وقليل منهم كانوا من الآخرين فی الرّتبة عرجوا بعدالموت بتصادم البرازخ الی مقام الاوّلين و لذلك لم يقل فی اصحاب الشّمال ، ثلّة من الاوّلين مع انّ اصحاب الشّمال جمع كثير منهم من الاوّلين، وقيل: ثلّة من الاوّلين من امّة محمّد (ص) [وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ] منهم [عَلَىٰ سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ] وضن الشّيء ثنّی بعضه علی بعض وضاعفه ، او نضده ، او نسجه [مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ] فانّ الرّاحة فی الاتّكاء، واشرف المجالس التّقابل [يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ] غلمان لانّهم الطف واصفی واشهی من جملة الخدم [مُخَلَّدُونَ] ای غيرخارجين من الجنّات فانّهم لايخرجون منها ابداً ، اومخلّدون من حيث كونهم غلماناً بمعنی انّهم لايغيّرهم طول المدّة عن حالهم كأبناء الدّنيا يغيّرهم الازمان عن صفائهم وطراوتهم ،اوالمقرّطون فانّ الخلد القرط [بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ] الكوب بالضّمّ كوز لاعروة له اولاخرطوم له ، والابريق معرّب «آبريز» كوز له عروة وخرطوم [وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ] ای الخمر الجارية ، ومن معين وصف للثّلاثة ، اووصف للاخير، والكأس الاناء يشرب فيه اومادام الشّراب فيه، مؤنّثة مهموزة، والشّراب، ويجوزان يراد بها ههنا الاناء والشّراب [لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا] لايأخذهم من تلك الكأس الصّداع كخمر الدّنيا [وَلَا يُنْزِفُونَ] نزف كعنی ذهب عقله ، و نزف البئر نزح ماءه ، ونزف البئر فنی ماؤه

لازمٌ ومتعدٍ، ونزفت عبرته فنيت، وقرئ ينزفون مبنيّاً للمفعول ومبنيّاً للفاعل [وَفَاكِهَةٍ] اى يطوفون عليهم بفاكهةٍ [مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ وَحُورٌ عِينٌ] قرئ بالجرّ عطفاً على اكوابٍ، و بالرّفع عطفاً على ولدانٌ، وقرئ بالنّصب مفعولاً لمحذوفٍ، و قيل: فى وجه اعرابها على القراءات الثّلاث وجوهٌ اُخر [كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ] فى دارالدّنيا [لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا] نسبةالى الاثم كما يسمعون فى الدّنيا [إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا] سلاماً الثّانى تأكيد للاوّل، و سلاماً الاوّل مفعولٌ لقيلاً [وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ] اى على اىّ وصفٍ اصحاب اليمين؟ [فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ] خضد الشّجر قطع شوكه [وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ] الطّلح شجرٌ عظام، والطّلع، وشجر الموز، وقيل: شجر له ظلٌّ بارد رطبٌ، وقيل: هوشجر من احسن الاشجار منظراً، وانّما ذكرهاتين الشّجرتين لانّ العرب تعرفهما وفيهما نفعهم [وَظِلٍّ مَمْدُودٍ] اى غير مقطوعٍ [وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ] مصبوبٍ اى دائم الجريان [وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ] ولشرافة جنّات السّابقين قال هناك فاكهة ممّا يتخيّرون [لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ] عالية، او مرفوع بعضها فوق بعض، اوالمراد بالفرش النّساء اى النّساء العاليات ولذلك عقّبه بقوله [إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً] اى انشأنا نساءهم انشاءً عجيباً اى شابّة طريّة حسناء بعد ماصرن هرمات كريهات، او انشأنا الحور العين من غير طروّ حالاتٍ عليهنّ بل انشأناهنّ بالغاتٍ طريّاتٍ [فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا عُرُبًا] جمع العروب المرءة المتحبّبة الى زوجها، اوالعاشقه له، اوالمتحبّبة اليه المظهرة له ذلك، اوالضّحّاكة [أَتْرَابًا] جمع التّرب بالكسر من ولد معك [لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ] وقد فسّر اليمين بامير المؤمنين (ع)، و اصحاب اليمين بشيعته و ذلك لانّه اصل عالم الارواح [ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ] اى جماعة كثيرة من الاوّلين فى الرّتبة من اصحاب اليمين و جماعة كثيرة من المتأخّرين عن اصحاب اليمين فانّ اغلب من كان مبتلىً فى البرازخ يلتحق بأصحاب اليمين بعد تطهيره فى البرازخ، وكثيرٌ ممّن دخل فى الجحيم يخرج منها و يدخل فى الجنّات و يلتحق باصحاب اليمين بخلاف السّابقين فانّ الملتحق بهم من المتأخّرين قليل، و بخلاف اصحاب الشّمال فانّهم لايكونون الّا من المتأخّرين فانّ الاوّلين لا يلتحقون بالآخرين و لذلك لم يقل هناك ثلّة، او قليل من الاوّلين، وقيل: ههنا ماقيل فى قوله تعالى ثلّة من الاوّلين و قليل من الآخرين [وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ فِي سَمُومٍ] حرّنارٍ يدخل فى المسامّ [وَحَمِيمٍ] ماء متناهٍ فى الحرارة [وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ] من دخانٍ اسود او جبلٍ اسود فى جهنّم [لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ] يلتذّ به النّظر و قد فسّر الشّمال باعداء آل محمّدٍ واصحابهم اصحاب الشّمال [إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ] متنعّمين أترفته النّعمة اطغته او نعّمته، وأترف فلان اصرّ على البغى، و أترفه تركه يصنع ما يشاء ولايمنع من تنعّمه، والمترف الجبّار [وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ] الحنث بالكسر الاثم و الخلف فى اليمين و الميل من باطلٍ الى حقّ او عكسه [وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ] قل لهم [إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ] يعنى قل لهم ذلك ردّاً عليهم و تهديداً لهم [ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ] قدمضى بيان الزّقّوم فى سورة الصّافّات

[فَمَالِؤُنَ مِنْهَا الْبُطُونَ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ] الهيم بالكسر الابل العطاش جمع الهيمان و الهيمى بمعنى العطشان ، او الابل الّتى بها داءٌ يصيبها شبه الاستسقاء جمع الهيمان والهيمى ، و الهيام كسحاب الرّمل الّذى لايتمالك كلّما صبّ عليه الماء استنقعه ، والهائم المتحيّر والهيام كغراب حالة كالجنون من العشق [هٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ] النّزل ما يعدّ للنّازل تشريفاً له وهوتهكّم بهم و تهديدٌ بانّ هذا نزلهم فكيف بهم فى منازلهم المقرّرة لهم؟ ! [نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ] لاغيرنا [فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ] بمخلوقيّتكم حتّى تصدّقوا بخالقكم ، او لولا تصدّقون ببعثكم بعد اقراركم بخلقكم ابتداءً ، والبعث اهون فى انظاركم من الخلق ابتداءً [اَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ] جواب شرطٍ مقدّرٍ والتّقدير ان لم نكن نحن خلقنا فأخبرونى عمّا تمنون [ءَاَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ اَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ] اوالفاء للسّببيّة، والهمزة على التّقديم والتّأخير والتّقدير نحن خلقنا بسبب ان يقال : اخبرونى عمّا تمنون عن جواب هذا السّؤال الّذى هو اانتم تخلقونه ام نحن الخالقون ولاجواب لكم الّا ان تقولوا : الله هو الخالق فلولا تصدّقون بخالقيّتنا؟ [نَحْنُ قَدَّرْنَا] قرئ بالتّخفيف والتّشديد [بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ] لاغيرنا [وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ] بمغلوبين [عَلَىٰ اَنْ نُبَدِّلَ اَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِيمَا لَا تَعْلَمُونَ] اى فى عالمٍ لا تعلمونه يعنى نحن شأننا و شغلنا على الاستمرار تبديل الخلق بخلقٍ آخر واخراج الخلق الاوّل من قبور الابدان و انشاؤهم فى عالمٍ آخر نظير اخراج الجنين من الرّحم و انشائه فى عالمٍ لايعلمه و تبديله بجنين آخر ولا مانع لنا من ذلك [وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْاُولَىٰ] اى النّشأة الدّنيا و تبديلنا للنّبات بنباتٍ آخر و انشاء النّبات فى نشأة الحيوان و الانسان و تبديل الحيوان و انشائه فى عالم حيوانٍ آخر او انسانٍ ،وتبديل النّطفة من صورةٍ الى صورةٍ ومن مقامٍ الى مقامٍ ومن حالٍ الى حالٍ وكلّما طرأ عليها من الاحوال والصّور كان اعلى واشرف من سابقه ، وانّ الدّنيا ليست الّا كالرّحم للجنين، وانّ نقل الجنين من الرّحم الى الدّنيا ليس الّا النّقل من السّجن الى فسحة وسيعة [فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ] نقلكم من الدّنيا الى الآخرة ولولا تذكّرون؟ ! انّ هذا النّقل ايضاً ليس الّا النّقل من السّجن الى فسحة عظيمةٍ وسيعةٍ فلو لا تذكّرون؟ ! انّه كما يكون نقل الجنين الى الدّنيا استكمالاً له بكثيرٍ من الكمالات الّتى لايمكن تحصيلها له فى الرّحم كذلك يكون نقل جنين الدّنيا من رحم الدّنيا الى الآخرة استكمالاً بكثيرٍ من الكمالات الّتى لايمكن تحصيلها له فى الدّنيا ، ولولا تذكّرون؟ ! انّ عالم الآخرة نسبته الى الدّنيا مثل نسبة الدّنيا الى الرّحم بل فوق ذلك، ولقد علمتم النّشأة الاولى وكونكم فى الدّنيا و اتّصالكم بالآخرة فى النّوم الّذى هو اخو الموت وشهودكم لعالم المثال كلّ يومٍ مرّة اومرّتين ، واطلاقكم من قبوركم الّتى يتعسّر عليكم طىّ الزّمان والمكان معها وطيّكم للزّمان وشهود مايأتى وطيّكم للمكان وشهود الوقائع الواقعة فى الامكنة البعيدة فلولا تذكّرون؟ ! انّ الموت ان لم يكن اشدّ من النّوم فى ذلك لم يكن انقص منه فتشتاقوا الى هذا الاطلاق، وطىّ الزّمان والمكان وشهود مايأتى وشهود ما لم يكن فى مكانك و بلدتك، عن السّجّاد (ع) العجب كلّ العجب لمن انكر النّشأة الاخرى وهو يرى النّشأة الاولى [اَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ءَاَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ اَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ] اى ءانتم تنبتونه وتبلّغونه الى مقام بلوغ الحبّ والحصاد ام نحن فاعلون ذلك ؟ لستم تقولون انّ الانبات والتّبليغ الى الحصاد فعل البشر فانّه [لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا] هشيماً يليق للنّار [فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ] فكّههم بملح الكلام اظرفهم بها فالمعنى تتحدّثون بالاحاديث المليحة على سبيل التّهكّم اوظلتم تتحدّثون وتنقلون بينكم الاحاديث والاسمار فى ذلك [اِنَّا لَمُغْرَمُونَ] من الغرام بمعنى الشّرّ الدّائم والهلاك والعذاب والولوع [بَلْ نَحْنُ] قوم [مَحْرُومُونَ] عن الارزاق

[اَفَرَأَيْتُمُ الْماءَ الَّذى تَشْرَبُونَ ءَاَنْتُمْ اَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ اَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ] لاتقدرون ان تقولوا انزله البشر فانّا [لَوْ نَشاءُ جَعَلْناهُ اُجاجًا فَلَوْلا تَشْكُرُونَ] بتعظيم المنعم بهذه النّعم بامتثال اوامره و نواهيه [اَفَرَأَيْتُمُ النّارَ الَّتى تُورُونَ ءَاَنْتُمْ اَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَها] اى الشّجرة الّتى تأخذون منها الزّند والزّندة و هما تؤخذان من الشّجر الاخضر فيحكّ الزّند بالزّندة فتنقدح النّار [اَمْ نَحْنُ الْمُنْشِؤُنَ نَحْنُ جَعَلْناها] اى النّار او الشّجرة [تَذْكِرَةً] لتصرّف الحقّ تعالى وجعل كلّ شيء من سنخه كالنّار، اوتذكرةً لقدرة الحقّ وعنايته بخلقه حيث اخرج من الشّجر الاخضر ناراً تنتفعون بها فى كثير من معايشكم [وَمَتاعًا] و ما يتمتّع به [لِلْمُقْوِينَ] اقوى استغنى وافتقروبات على القىّ بالكسر اى القفر من الارض وكذلك القواء بالكسر والمدّ والقواية بالفتح ؛ واقوى نزل فيه،اذاكان ربّك يفعل هذه وينعم بهذه [فَسَبِّحْ] انت ولاتكترث بردّهم [بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ] الباء للسّببيّة اى سبّح الله بسبب اسم ربّك يعنى بسبب تذكّره او بسبب بشريّة علىّ (ع) او بسبب مقام نورانيّته فانّ الكلّ اسم الله ، اوسبّح اسم ربّك فيكون الباء صلة سبّح [فَلا اُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ] لا زائدة اونافية ردّ لماقالوه فى القرآن من انّه سحر اوشعر اواساطير الاوّلين ، اونافية ونفى للقسم والمعنى لااقسم فيما أدّعيه من انّه قرآنٌ كريمٌ بوضوحه وعدم احتياجه الى القسم ، ومواقع النّجوم مغاربها ، اومطالعها ، اوانتشارها يوم القيامة ، اوالانواء الّتى كانوا فى الجاهليّة يقولون: اُمطرنا بنوء كذا وهوسقوط كوكب وقت طلوع الفجر وطلوع آخر مقابله ، اورجومها للشّياطين كما فى الخبر ، فانّه روى عن الصّادق(ع) انّ مواقع النّجوم رجومها للشّياطين ، وكان المشركون يقسمون بها فقال سبحانه: فلااقسم بها،اوالمرادبمواقع النّجوم مواقع نزول القرآن فانّه نزل نجوماً [وَاِنَّهُ قَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ اِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ] اى انّ المتلوّ عليك اوالموحى اليك اوقرآن ولاية علىّ (ع) قرآن كريم عزيز خطير [فِى كِتابٍ مَكْنُونٍ] هو كتاب العقول الّذى هوالامام المبين، اوكتاب النّفوس الكلّيّة الّذى هوالكتاب المحفوظ ، فانّ القرآن نزل من مقام جمع الجمع الّذى هوالمشيّة الى مقام الجمع الّذى هومقام العقول الطّوليّة والعرضيّة ، والى مقام النّفوس الكلّيّة وثبت فى تلك المقامات اوّلاً ثمّ منها الى صدر النّبىّ (ص) ثمّ منه الى حسّه المشترك ، ثمّ منه الى الخارج بصورة الالفاظ والحروف ، او بصورة الكتابة والنّقوش وهو فى كلّ تلك المقامات قرآنٌ جامعٌ بين الوحدة والكثرة واحكام القلب والقالب والعلم والعمل [لا يَمَسُّهُ اِلَّا الْمُطَهَّرُونَ] خبرٌ باقٍ على خبريّته فانّ القرآن الّذى هوفى كتابٍ مكنونٍ لايصل الى حريم قدسه الّا الّذى تطهّر من الواث المعاصى والمحرّمات ، وادناس التّوجّه الى الكثرات والانانيّات ، و ارجاس الحدود و التّعيّنات ، ولكن لمّا كان التّكليف مطابقاً للتّكوين والظّاهر موافقاً للباطن كان التّكليف بحسب المقام البشرىّ ان لايمسّ قالب الانسان قالب القرآن وظاهره كما ورد فى الاخبار وافتى به العلماء وقالوا: انّ الخبر ههنا فى معنى النّهى اى الّا المطهّر من الاحداث والاخباث،ولذلك نهوا عن مسّ خيطه وعلاقته وجلده وقرطاسه بدون الطّهارة واستشهدوا بهذه الآية ، و روى انّه لمّا استخلف عمر سأل علياً (ع) ان يدفع اليهم القرآن فقال: ياابا الحسن ان جئت بالقرآن الّذى جئت به الى ابى بكر حتّى نجتمع عليه،فقال: هيهات ليس الى ذلك سبيلٌ انّما جئت به الى ابى بكر لتقوم الحجّة عليكم ولاتقولوا يوم القيامة: انّا كنّا عن هذا غافلين اوتقولوا: ماجئتنا به فانّ القرآن الّذى عندى لايمسّه الّا المطهّرون والاوصياء من ولدى، فقال عمر: فهل وقتٌ لاظهاره معلوم؟ـ قال علىّ: نعم ، اذا قام القائم من ولدى يظهره و يحمل النّاس عليه فتجرى السّنّة به [تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ] تشريفٌ آخر له [اَفَبِهذَا

الْحَدِيثِ] اى القرآن الّذى هو بهذا الوصف اوقرآن ولاية علىّ(ع) اوحديث انّه كريم لا يمسّه الّا المطهّرون اوحديث انحصار الخلق والزّرع وانزال الماء وانشاء شجرة النّار فى الله تعالى [أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ] دهن نافق، وداهن وادهن اظهر خلاف مافى قلبه [وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ] اى تجعلون رزقكم الانسانىّ الّذى هو الحظّ من القرآن واستمداد الحيوة الانسانيّة منه فانّ القرآن رزق الانسان بعلومه واخلاقه انّكم تكذّبون به، او بمحمّد(ص) او بالله، اوتجعلون تكذيبكم شبيه رزقكم الّذى لا انفكاك لكم عنه، اوتجعلون القرآن الّذى رزقكم الله، اوسائر ارزاقكم الّتى رزقكم الله بها على صفة انّكم تكذّبون منعمها و رازقها، او تجعلون شكر رزقكم انّكم تكذّبون كما نقل انّه اصاب النّاس عطش شديد فى بعض اسفار محمّد(ص) فدعا(ص) فسقوا، فسمع رجلاً يقول امطرنا بنوء كذا فنزلت الآية، وروى عن اميرالمؤمنين(ع) انّه قرأ الواقعة فقال تجعلون شكركم انّكم تكذّبون، فلمّا انصرف قال: انّى قد عرفت انّه سيقول قائل لم قرء هكذا، قرأتها انّى قد سمعت رسول الله(ص) يقرؤها كذلك وكانوا اذا امطروا قالوا امطرنا بنوء كذا وكذا فأنزل الله و تجعلون شكركم انّكم تكذّبون [فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ] الانفاس او الارواح [الْحُلْقُومَ وَأَنْتُمْ] يا من بلغت ارواحكم الحلقوم او يا اهل المحتضرين [حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ] الى احوالكم وخروج ارواحكم او تنظرون حال المحتضرين وخروج ارواحهم ولا يمكنكم علاجهم وردّ ارواحهم [وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ] اى الى المحتضر [مِنْكُمْ] و وجه كونه اقرب انّ النّاس قربهم له قرب مكانىّ مشتمل على البينونة والفرقة والغيبة بخلاف قربه تعالى فانّ قربه تعالى من الاشياء قرب تقويمىّ قرب الفصول للانواع وهذا القرب لا يكون لشيءٍ من الاشياء الى شيءٍ من الاشياء الّا للمقوّم بالنّسبة الى المتقوّم فانّ المقوّم اقرب الى المتقوّم منه الى نفسه ولذلك كان تعالى اقرب الى الاشياء من انفسهم [وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ] اى لا تبصروننا ولا تبصرون قربنا [فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ] اى غير مجزيّين او غير محاسبين او غير مملوكين فانّ الدّين بمعنى الجزاء والذّلّ والدّاء والحساب والقهر والغلبة والاستعلاء والسّلطان والحكم والاكراه والملك، والكلّ مناسبٌ ههنا [تَرْجِعُونَهَا] اى الرّوح [إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ] فى تكذيبكم فانّه لا ثواب ولا عقاب ولا جزاء ولا اله [فَأَمَّا إِنْ كَانَ] المتوفّى [مِنَ الْمُقَرَّبِينَ] اى السّابقين [فَرَوْحٌ] قرئ بضمّ الرّاء اى فله روحٌ او فمنه روحٌ فانّ السّابق مالكٌ للكلّ، او فهو روحٌ فانّ الكلّ له ومنه وهو قوامه، والرّوح بالضّمّ ما به حيوة الانفس ويؤنّث، والقرآن والوحى وجبرئيل وملك اعظم من جبرائيل وميكائيل، اوامر النّبوّة وحكم الله، و بالفتح الرّاحة والرّحمة و نسيم الرّيح [وَرَيْحَانٌ] الرّيحان نبت معروفٌ، او كلّ نبت طيّب الرّائحة والرّزق [وَجَنَّةُ نَعِيمٍ] كأنّه تعالى اشار بالرّوح والرّيحان الى المراتب العالية من الجنان، وبجنّة النّعيم الى المراتب الدّانية، اوالمراد بجنّة النّعيم معنىً يشمل جميع مراتب الجنّات على تعميم النّعيم للنّعيم الصّورىّ والمعنوىّ، اوالمعنى فروحٌ وريحانٌ فى البرازخ وجنّة نعيم فى الآخرة كما فى الخبر [وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ] قد مضى تفسير اليمين بعلىّ(ع) وتفسير اصحابه بشيعته الّذين باعوا البيعة الخاصّة الولويّة على يده، وقد مضى ايضاً مكرّراً انّ اليمين عالم الارواح، واصحاب اليمين هم الّذين تمكّنوا فى التّوجّه او الاتّصال بعالم الارواح الطّيّبة، ولا يحصل التّوجّه او الاتّصال بعالم الارواح الطّيّبة الّا بالولاية الحاصلة بالبيعة الخاصّة الولويّة [فَسَلَامٌ لَكَ] يا محمّد(ص) [مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ] يعنى انّهم يكونون فى الجنّات مجاورين لك بحسب مراتبك الدّانية ويسلّمون عليك سلام التّحيّة اوسلامة لك منهم بمعنى انّهم بمنزلة اجزائك ولهم السّلامة

من آفات الآخرة وسلامتهم سلامتك اوسلام لك يا من هومن اصحاب اليمين يعنى لايكون بعضهم شرّاً لبعض ، او يحيّى بعضهم بعضاً بتحيّة السّلام ، او يامن يتأتّى منه الخطاب فانّ اصحاب اليمين سلامة على الكلّ ويحيّون الكلّ [وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ] الماء الحارّ البالغ فى الحرارة اى لهم ذلك معدّاً لهم كما يعدّ للنّازل تشريفاً له [وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ] وادخال النّار [إِنَّ هٰذَا] المذكور من الاصناف الثّلاثة وجزاءهم [لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ] .

اعلم ، انّ الشّيء المتيقّن له ثلاث احوال : فانّ المدرك المتيقّن امّا متيقّن فى مقام العلم ، او فى مقام الشّهود بمعنى انّ المدرك كان مشهوداً له ببصره او ببصيرته ، اوفى مقام التّحقّق بمعنى انّ المدرك كان متحقّقاً بالمدرك وصار ذاته مثاله المتيقّن بالنّار بادراك الدّخان الّذى هو من آثارها او بشهودها ، او بصيرورته عين النّار ، والاوّل هو علم اليقين ، والثّانى عين اليقين ، والثّالث حقّ اليقين ، والاضافة من قبيل اضافة السّبب الى المسبّب ، او المسبّب الى السّبب ، والمعنى انّ هذا لهو متحقّق وواقع ومورث بآثاره لليقين اوحاصل من اليقين به [فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ] قد مضى هذه الآية قبيل هذا .

سُورَةُ الْحَدِيدِ

مدنيّة كلّها ، تسع وعشرون آيةً .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضِ] قد مضى فى سورة بنى اسرائيل بيان تسبيح الاشياء عند قوله: وان من شيءٍ الّا يسبّح بحمده ، ومضى مكرّراً انّ المقصود من التّسبيح من اىّ شيء كان هو تنزيه لطيفته الآلهيّة ووجهه الرّبّانيّة من نقائص المادّة وحدودها فانّ كلّ موجودٍ ممّا له قوّة واستعداد بفطرة ذاته يخرج من القوّة الى الفعليّة ، ومن النّقص الى الكمال ، ومن الحدود الى الاطلاق بالاضافة الى مراتبه النّاقصة ، وهذا الخروج هو تسبيحه الفعلىّ ولمّا كان تلك الوجهة الالهيّة بوجه ربّه وبوجه اسم ربّه وبوجه مظهر الله وبوجه شيئيّة ذلك الشّيء وذاته كان المقصود من التّسبيح سواء علّق على الله او على الرّبّ او على اسم الرّبّ هو تنزيه تلك اللّطيفة ، واللّام فى الله زائدة للتّقوية ، والله مفعول به لسبّح اوللتّعليل ، ومفعوله محذوف ، ولفظ سبّح مأخوذ من سبحان الله بطريق المشتقّات الجعليّة اى قال سبحان الله ، اوهو من التّسبيح بمعنى نزّه الله ، والاختلاف بالمضىّ والمضارعة فى تلك السّور للاشعار بانّ التّسبيح فطرىّ للاشياء غير مقيّد بزمانٍ دون زمانٍ ولتجديد نشاط السّامع والتّفنّن فى العبارة ، والاتيان بالمصدر فى بنى اسرائيل للاشعار بانّه تعالى منزّه فى ذاته سبّحه مسبّحٌ ام لم يسبّحه [وَهُوَ الْعَزِيزُ] الغالب الّذى غلبته تقتضى تسبيح كلّ شيء فانّ الغالب يتوجّه كلّ شيءٍ اليه ويعظّمه وينزّهه من كلّ نقصٍ [الْحَكِيمُ] الّذى اتقن صنع كلّ شيءٍ بحيث لايوجد شيءٌ الّا وهو مسبّح له ولاتقان صنعه لايشعر احدٌ بتسبيح شيءٍ من الاشياء ولو اشعر هلك اوجنّ ما لم ينفتح سمعه الملكوتىّ [لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضِ] وجه آخر لتسبيح كلّ شيءٍ له [يُحْيِي]

على الاستمرار في كلّ آنٍ جمعاً بنفخ الحيوة الحيوانيّة في الاجنّة [وَيُمِيتُ] على الاستمرار جمعاً من الحيوة الحيوانيّة، او يحيى على الاستمرار نفوساً بالحيوة الانسانيّة بنفخ النّفخة الولويّة فيهم و يميت نفوساً عن الحيوة الانسانيّة، او يحيى بالحيوة البرزخيّة و يميت عن الحيوة الحيوانيّة ، او يحيى الاراضى بالنّبات ، و النّبات بالماء و النّضارة و الطّراوة و الحيوان بالحيوة الحيوانيّة ، و الانسان بالحيوة الانسانيّة ، و يميت كلّ ذلك بالموت المناسب له ، او يحيى كلّ شيءٍ باخراجه من القوى والاستعدادات على الاستمرار و يميت ذلك الشّيء عن الفعليّات النّاقصة، وهذا اوفق بتسبيح الاشياء كأنّه قال: سبّح لله ما في السّموات وما في الارض بالخروج من القوى الى الفعليّات ، والمخرج هوالله لانّه يحيى بالفعليّات و يميت عن النّقائص [وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ] من الاماتة والاحياء وغيرذلك [قَدِيرٌ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ] اى هوالاوّل في تركيب الموجودات وهوالآخرفي تحليلها نظير الوحدة في الاعداد وللاشارة الى هذا ورد: يا من لك وحدانيّة العدد ، فانّ مراتب الاعداد كلّها تركيبها من الوحدة لاغير ، وتحليلها الى الوحدة لاغير، و بهذا اللّحاظ قال تعالى [وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ] فانّ مراتب الاعداد ظواهرها و بواطنها ليست الّا الوحدة و ما به التّميز بين المراتب ليس الّا اعتباريّاً عدميّاً ، اوالمعنى هوالاوّل بلحاظ المراتب واعتبار حيثيّة العلّيّة والمعلوليّة فانّه تعالى بهذا اللّحاظ اوّل العلل الفاعليّة وآخر العلل الغائيّة لانّه مسبّب الاسباب وعلّة العلل وغاية الغايات ونهاية النّهايات ، اوالمعنى هوالاوّل في الادراك فانّ الظّاهر على المدارك اوّلاً هوالوجود الّذى حقيقته الحقّ الاوّل تعالى والآخر في الادراك بمعنى انّ المدرك كلّما ميّز مدركاته بعض اجزائها من بعضٍ لم يجد المدرك في الحقيقة الّا الاوّل تعالى شأنه فكان آخر المدركات هوالاوّل تعالى و بهذا المعنى قال تعالى و الظّاهر و الباطن يعنى انّ المدرك من الاشياء اوّلاً هوالاوّل تعالى لانّه الظّاهر من كلّ الاشياء ، والمدرك من الاشياء آخراً هوايضاً لانّه الباطن من كلّ شيءٍ ، والباطن المختفى من الادراك المدرك بالتّعمّل من الاشياء ، اوهو اشارة الى مايقوله الصّوفيّة من مقام التّوحيد الّذى يظهر لبعض السّالكين بطريق الحال ، و لبعضٍ بنحو المقام ، ولا يجوز التّفوّه به لاحدٍ ما لم يصر ذلك التّوحيد حالاً اومقاماً له، واذا صار حالاً للسّالك لايجوز التّفوّه به له حين زواله ، واذالم يكن ذلك التّوحيد حاله اومقامه فتفوّه به كان مباح-الدّم وهو ان يتجلّى الله للسّالك باسم الواحد اوالاحد فلايرى في الوجود الّا الواحد او الاحد فلايرى اوّلاً ولا آخراً ولاعلّةً ولامعلولاً ولاظاهراً ولا باطناً ولاصاعداً ولانازلاً ولامدركاً ولامدركاً بل يرى كلّ ذلك اعتبارات من النّفوس المحجوبة عدميّاتٍ لاحقيّة ولاحقيقة لها فيكون المعنى هوالاوّل من غيراعتبار اوّليّةٍ له ، وهوالآخر من غير اعتبار آخريّةٍ له ، وهوالظّاهروالباطن كذلك يعنى ليس شيءٌ وشيءٌ ولااعتبار واعتبارفي دارالوجود ، والى هذاالمقام كانت الاشارة في هذا الشّعر :

حلول و اتحاد اينجا محال است   كه در وحدت دوئى عين ضلال است

وكلّما ذكروا نثراً ونظماً من هذه المقولة كان اشارة الى هذا المقام اوناشئاً منه، والى عدم جواز التّفوّه بهذا الوحدة وعدم جواز اعتبارها لغير من كانت حاله اومقامه قيل:

آلا تا باخودى زنهار زنهار   عبارات شريعت را نگهدار

[وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ] بمنزلة قوله تعالى : و هو بكلّ شيءٍ محيط فانّ علمه عين ذاته ولا حاطته بكلّ الاشياء كان اوّلاً وآخراً وظاهراً و باطناً من الجميع [هُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضَ] هذه الجمل كلّها مستأنفة واجوبة لاسئلةٍ مقدّرة اذا لم تكن مع العاطف اوحاليّة [فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ] قد مضى

هذه الآية مع بيانها فى سورة الاعراف [يَعْلَمُ مٰا يَلِجُ فِى الْاَرْضِ وَمٰا يَخْرُجُ مِنْهٰا وَمٰا يَنْزِلُ مِنَ السَّمٰاءِ وَمٰا يَعْرُجُ فِيهٰا] قد مضى الآية ببيانها فى اوّل سورة السّبا [وَهُوَ مَعَكُمْ اَيْنَمٰا كُنْتُمْ] معيّةً قيّوميّةً لازمةً لرحمته الرّحمانيّة فانّه تعالى بوجوده الفعلىّ كلّ الاشياء وقوامها وفعليّتها واوّلها وآخرها وظاهرها و باطنها وهو تهديدٌ وترغيبٌ [وَاللّٰهُ بِمٰا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ] تتميمٌ للتّهديد والتّرغيب [لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰاتِ وَالْاَرْضِ] تأكيدٌ فى مقام المدح فانّ التّأكيد والتّكرير مطلوبٌ فى مقام المدح والرّضا ، وفى مقام الذّمّ والغضب ، و الاوّل فى مقام التّعليل لتسبيح الاشياء والثّانى فى مقام التّعليل لاحاطة علمه بالاشياء و تتميمٌ لتهديده و ترغيبه [وَاِلَى اللّٰهِ تُرْجَعُ الْاُمُورُ يُولِجُ اللَّيْلَ فِى النَّهٰارِ وَيُولِجُ النَّهٰارَ فِى اللَّيْلِ] قد مضى الآية فى سورة آل عمران [وَهُوَ عَلِيمٌ بِذٰاتِ الصُّدُورِ] من النّيّات والخطرات والخيالات والحالات والسّجيّات، اومن القوى والاستعدادات الّتى لاخبر لصاحبى الصّدور عنها [اٰمِنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ] بمنزلة النّتيجة للسّابق كأنّه قال: اذا علمتم ذلك فلاعذر لكم فى الانصراف عن الله وعن رسوله (ص)، اولا عذر لكم فى الانصراف عن الله و رسوله (ص) فى الخروج عن قولهما فى ولاية علىّ (ع) فآمنوا بالله وصدّقوه فيما قاله لكم من مطلق الاوامر والنّواهى، اوفيما قاله لكم من ولاية علىّ (ع) وآمنوا برسوله (ص) بالبيعة العامّة اوالبيعة الخاصّة ، اوصدّقوه فيما قاله لكم من الاحكام اومن ولاية علىّ (ع) ، ولمّا كان الخطاب من الله تعالى عامّاً للموجودين المسلمين وغير المسلمين و المعدومين فكان لفظ آمنوا ايضاً عامّاً و شاملاً للاذعان و التّصديق و البيعة الاسلاميّة العامّة والبيعة الايمانيّة الخاصّة كأنّه قال: ايّها الكفّار والمستعدّون للاسلام من الموجودين والمعدومين آمنوا بالله و رسوله (ص) بالبيعة العامّة على يد رسوله (ص)، وايّها المسلمون اذعنوا وصدّقوا الله و رسوله (ص) فيما قال الرّسول (ص) لكم من مطلق الاحكام او ولاية علىّ (ع) و آمنوا بالبيعة الخاصّة الولويّة بالله و رسوله (ص) على يد رسوله (ص) اوعلى يد خليفته، وقد مضى فى اوّل البقرة معانى الايمان [وَاَنْفِقُوا مِمّٰا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ] من الاموال الدّنيويّة والاعراض والحشمة والاعضاء والقوى ومن نسبة الافعال والاوصاف الى انفسكم ومن انانيّاتكم وللاشعار بانّ مالكم من جميع ذلك انّما هو عارية لكم وشأن العارية ان يستردّ حتّى يسهل عليكم انفاقه قال مستخلفين [فَالَّذِينَ اٰمَنُوا] بالبيعة العامّة او البيعة الخاصّة [مِنْكُمْ وَاَنْفَقُوا لَهُمْ اَجْرٌ كَبِيرٌ] وعد الاجر الكبير للاشعار بانّ المنظور من الايمان البيعة الخاصّة الولويّة فانّ الاجر الكبير ليس الّا على الولاية الحاصلة بالبيعة الخاصّة [وَمٰا لَكُمْ لٰا تُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ] لاتذعنون اولاتسلمون بالبيعة العامّة النّبويّة اولاتؤمنون بالبيعة الخاصّة الولويّة [وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ] المطلق الّذى هو ربّ الارباب ، اوبربّكم فى الولاية وهو علىٌّ (ع) [وَقَدْ اَخَذَ] الله [مِيثٰاقَكُمْ] فى عالم الذّرّ بالايمان بالله او بالبيعة مع محمّد (ص) او بالبيعة مع علىّ (ع) وقد اخذ الرّسول (ص) ميثاقكم بعدم التّخلّف عن قوله فى البيعة العامّة، وقرئ بالبناء للمفعول [اِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ] اى مصدّقين مذعنين او بائعين البيعة العامّة الاسلاميّة وجوابه محذوفٌ بقرينة السّابق اى ان كنتم مؤمنين فما لكم لاتؤمنون بعلىّ (ع) بالبيعة الخاصّة الولويّة وقد اخذ الرّسول (ص) ميثاقكم على عدم التّخلّف عن قوله [هُوَ الَّذِى يُنَزِّلُ عَلٰى عَبْدِهِ] الّذى هو الرّسول (ص) الدّاعى لكم الى الايمان بعلىّ (ع) [اٰيٰاتٍ بَيِّنٰاتٍ] من الآيات القرآنيّة والمعجزات النّبويّة [لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمٰاتِ اِلَى النُّورِ] اى من ظلمات المادّة والشّبهات والشّكوك والاهوية والتّعلّقات الى

نور التّجرّد و اليقين والاطلاق من الاهوية والتّعلّقات [وَإِنَّ اللهَ بِكُمْ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ] حالكونكم فى سبيل الله الّذى هو الجهاد ، اوسبيل الحجّ اوسبيل الهجرة الى الرّسول (ص) اوالى الامام، او حالكونكم فى طريق القلب والسّلوك اليه والى الله ، اومالكم ان لا تنفقوا فى تحصيل سبيل الله وهو الولاية وطريق القلب، اومالكم لا تنفقون فى تعظيم سبيل الله وهو كلّ خيرٍ من العبادات والجهاد والحجّ ، اوهو الرّسالة، اوالولاية [وَلِلّهِ مِيرَاثُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ] جملة حاليّة فى موضع التّعليل ، واضافة الميراث امّا بيانيّة او بتقدير فى او بتقدير اللّام فانّ سماوات الارواح وما فيها واراضى الاشباح ومافيها ميراث مقام المشيّة يرثها الانسان الكامل والعقول من المشيّة، ويرثها ما بعد العقول من العقول، ومابعد النّفوس من النّفوس ، ومابعد عالم المثال من عالم المثال، والكلّ من الله تعالى، والمواليد المكوّنة ميراث ومتخلّف من الكمّلين من بعضٍ لبعضٍ ، والاموال العرضيّة الدّنيويّة ميراث من بنى آدم من بعضٍ الى بعضٍ فما بال ما كان لله لا تنفقون منها بأمره تعالى [لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ] ومن انفق من بعد الفتح وقاتل فحذف القرين بقرينة ما يأتى.

الانفاق قبل الفتح

اعلم، انّ الفتح يطلق على النّصر والظّفر، وعلى اعطاء الله الغنائم الدّنيويّة اوالاخرويّة الّذى هو لازم الظّفر وفتح البلاد وفتح باب القلب وعلى فتح البلاد وعلى فتح باب القلب، والمخاطبون كانوا مسلمين مقصوراً هممهم اكثرهم على الظّفر على الاعداء وفتح البلاد وجمع الغنائم الدّنيويّة، ومؤمنين مقصوراً هممهم اكثرهم على فتح باب القلب وجمع الغنائم الاخرويّة ، وآيات القرآن منزّلة على مراتب حالات النّاس بكثرتها وسعتها ، واختلاف التّفاسير الواردة من المعصومين (ع) باعتبار اختلاف احوال النّاس ، وسعة وجوه القرآن بحسب سعة احوال النّاس فصحّ ان يقال: لا يستوى منكم من أنفق من قبل النّصر والظّفر، اومن قبل الغنائم الدّنيويّة اوالاخرويّة ، اومن قبل فتح البلاد للمسلمين اومن قبل فتح مكّة وان يقال : لا يستوى منكم من أنفق من قبل فتح باب القلب الى الملكوت ومن أنفق بعد قوّة المسلمين وغلبتهم، وحين كثرة الغنائم وقوّة رجاء تعاقبها وتعاقب فتح البلاد ، وحين انفتاح باب القلب وشهود ما لا عينٌ رأت ولا اذنٌ سمعت ، فانّ الانفاق والمقاتلة قبل ذلك لا يكونان الّا عن قوّة اليقين وثبات القلب وقوّة الشّجاعة والسّخاوة ، وامّا بعد الحضور فلا يبقى عدوٌّ وقوىّ حتّى يكون المقاتلة صعباً ولا يبقى ميلٌ ومحبّة الى ماله من الاموال و القوى و الانانيّات لوجدان العوض الاشرف الاعلى الابهى حتّى يكون الانفاق صعباً، فالمنفق والمقاتل حين ضعف المسلمين كان اعظم درجة لكونه اقوى يقيناً و المنفق و المقاتل فى الغياب البتّة اعظم اجراً من المنفق والمقاتل فى الحضور، وقيل: لا يستوى منكم من أنفق من قبل فتح الرّسول (ص) بسبب المعراج فانّه (ص) بعد المعراج كان اقوى تأثيراً ، ومن أنفق قبل المعراج كان كالّتى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نارٌ، ونعم ما قال المولوىّ رضوان الله عليه فى بيان هذه الآية :

يؤمنون بالغيب مى بايد مرا	زان ببستم روزن فانى سرا
ليک يک درصد بود ايمان بغيب	نيک دان و بگذر از ترديد و ريب
بندگى در غيب آيد خوب و کش	حفظ غيب آيد در استبعاد خوش
قلعه دارى کز کنار مملکت	دور از سلطان و سايه سلطنت
پاس دارد قلعه را از دشمنان	قلعه نفروشد بمال بى کران
نزد شه بهتر بود از ديگران	که بخدمت حاضرند و جان فشان
پس بغيبت نيم ذرّه حفظ کار	به که اندر حاضرى زان صد هزار

[أُولٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللّٰهُ الْحُسْنٰى] المثوبة الحسنى اوالعاقبة الحسنى [وَاللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ] فلاحاجة لكم فى اعمالكم الى الحضور [مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّٰهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ] يعنى فيردّه اليه مضاعفاً وكان له اجرٌ كريمٌ لاامتنان فيه ولا قصور ولازوال، وقدمضى الآية ببيانهافى اواخرالبقرة، عن الكاظم (ع) : نزلت فى صلة الامام، وفى رواية : فى دولة الفسّاق [يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ] ظرف ليضاعفه او للخبر فى قوله تعالى له اجر كريم اولكريم ، اوظرف ليقال المقدّر عند قوله تعالى بشريكم اليوم اوظرف ليسعى والمعنى كلّماترى المؤمنين [وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعٰى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ] يعنى انّك فتحت بصيرتك فيوم ترى المؤمنين تريهم يسعى نورهم بين ايديهم والمراد بهذاالنّور هوالكيفيّة الدّاخلة فى قلب البائع البيعة الخاصّة الولويّة بقبول الولاية وهو فعليّته الاخيرة ولذلك يصير ابناً لمن باع معه وقد يرى فى الواقعة بصورة من باع على يده ، وقد يرى بصورة ولده من صلبه وتلك الكيفيّة ليست كيفيّة عرضيّة بل هى صورة جوهريّة نازلة من ولىّ امره داخلة فى قلبه وقوله تعالى: ولمّا يدخل الايمان فى قلوبكم اشارة الى تلك الصّورة ، وتلك الصّورة لاترى بالابصار الحسيّة ، وترى بالبصيرة فى الدّنيا والآخرة ، وفى البرازخ والآخرة يخلّص تلك الصّورة من غواشى المادّة ويخلّص البصيرة لكلّ احدٍ من حجاب البصر فيشهدها كلّ احد ويشهدها صاحب النّور ايضاً فيرى تلك الكيفيّة بصورة امامه يسعى بين يديه ، واختيار بين الايدى والايمان لانّ تلك الصّورة نورانيّة يستنير منها كلّما تظهر عليه ، وخلف المؤمن الدّنيا الظّلمانيّة ، وشماله الملكوت السّفلى الّتى هى اظلم ولا مناسبة للنّورانىّ مع الظّلمانىّ ، وقدّامه عالم الغيب الّذى هو نور محض ، ويمينه عالم الارواح الطّيّبة الّذى هوايضاً نورانىٌّ، وقد يظهر ذلك النّور على السّالك اذا اشتدّ محبّته واستقام فى سلوكه ومات بالموت الاختيارىّ ، وهذا هوالّذى يقوله الصّوفيّة من انّه ينبغى للسّالك ان يكون اهتمامه فى سلوكه بحصول حال الحضور ، وهذا هومعرفة علىٍّ (ع) بالنّورانيّة الّتى هى معرفة الله ، وهذا هوالمسمّى بالحضور والسّكينة والفكر ، وهذا هوذكر الله الحقيقىّ [بُشْرٰيكُمُ الْيَوْمَ] اى تقول او يقول الملائكة او يقال بشريكم اليوم [جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا] قد مضى فى آخر آل عمران بيان جريان الانهار من تحت الجنّات [ذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ] بدل من يوم ترى المؤمنين او من اليوم [وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا] انظروا الينا او انتظروا لنا [نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ] ولمّا لم يكن بين المؤمنين ونورهم وبين المنافقين مناسبة [قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ] كماكنتم فى الدّنيا راجعين الى ورائكم [فَالْتَمِسُوا نُورًا] قيل ذلك لهم استهزاءً [فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ] حائط [لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ] اى باطن الباب او باطن السّور [فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ] فانّ السّور هوالحجاب الحاجز بين الملكوت السّفلى والملكوت العليا ، وباطنه الى الملكوت العليا وفيها الرّحمة والرّضوان ، وظاهره الى الملكوت السّفلى وفيها الجحيم ونيرانها وانواع عذابها [يُنَادُونَهُمْ] اى ينادى المنافقون والمنافقات الّذين آمنوا [أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ] فى الانسانيّة ، اوفى الاسلام والبيعة العامّة ، اوفى الايمان والبيعة الخاصّة [قَالُوا بَلٰى] كنتم معنا فى ظاهر الاسلام وفى ظاهر الايمان [وَلٰكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ] الفتنة اعجابك بالشّيء واذابة الذّهب

والفضّة و الاضلال والايقاع فى الفتنة [أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ] بمحمّد(ص) او بالمؤمنين الدّوائر [وَارْتَبْتُمْ] فى دينكم وماكنتم فيه معنا [وَغَرَّتْكُمُ الْاَمانِيُّ] عن طلب الآخرة والعمل لها [حَتّى جاءَ اَمْرُ اللّهِ] بقبض ارواحكم [وَغَرَّكُمْ بِاللّهِ الْغَرُورُ] اى الشّيطان حيث قال انّ الله كريم وزمان التّوبة وسيع [فَالْيَوْمَ لايُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ] لوكان لكم الفدية ولافداء لكم [وَلامِنَ الَّذينَ كَفَرُوا] ظاهراً و باطناً [مَأْويكُمُ النّارُ هِىَ مَوْليكُمْ] الّذى يلى امركم فانّها ملكتكم ولا تصرّف لغيرها فيكم [وَبِئْسَ الْمَصيرُ] النّار [اَلَمْ يَأْنِ لِلَّذينَ آمَنُوا اَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللّهِ] لمّا ذكر حال المنافقين و نور المؤمنين وكان النّفاق ينشأ من الوقوف على مرتبة والرّضا بالمقام فيها استنبطأ حركة المؤمنين الى مقاماتهم العالية بنحو يكون تحذيراً من المقام على مراتبهم الحاصلة فانّ الاستفهام ههنا للتّوبيخ والانكار، وقد مضى فى سورة البقرة بيان معنى الخشوع والفرق بينه و بين الخضوع والتّواضع عند قوله تعالى : و انّها لكبيرة الّا على الخاشعين ، والمراد بذكر الله هو الّذكر المأخوذ من صاحب الّذكر ، او تذكّر الله وتذكّر عظمته ، اوصاحب الّذكر الّذى هو علىّ(ع) ببشريّته ، او هو صاحب الّذكر بمقام نورانيّته [وَما نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ] من آيات القرآن ، او احكام الرّسالة ، اوقرآن ولاية علىّ (ع)، اوالواردات الآفاقيّة ، او الانفسيّة [وَلايَكُونُوا] قرئ بالغيبة و يكون نفياً و عطفاً على تخشع او نهياً و عطفاً على الم يأن باعتبار المعنى كأنّه قال : لايقف المؤمنون على مقامهم ولايكونوا، وقرئ بالخطاب نفياً و عطفاً على تخشع ويكون التفاتاً من الغيبة ونهياً وعطفاً باعتبار المعنى ويكون التفاتاً والتّقدير لايقفوا ولا يكونوا [كَالَّذينَ اُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلُ فَطالَ عَلَيْهِمُ الْاَمَدُ] الزّمان اى طال زمان وقوفهم على مقامهم الحاصل لهم من دون التّرقّى الى المقامات المفقودة عنهم [فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثيرٌ مِنْهُمْ فاسِقُونَ] يعنى صار كثير منهم منافقين فصاروا فاسقين خارجين من حكم امامهم، روى عن الصّادق(ع) انّ هذه الآية يعنى ولا تكونوا فى القائم (ع) والمعنى انّها نزلت فى المؤمنين بالغيبة فانّ الله حذّرهم ان يصيروا بسبب الوقوف على مقام واحد وعدم الخروج الى المقامات العالية منافقين مثل المنافقين الّذين كانوا فى زمان محمّد (ص) و نافقوا بسبب الوقوف وعدم الخروج، فانّهم اوتوا كتاب النّبوّة وقبلوها قبلهم [اِعْلَمُوا اَنَّ اللّهَ يُحْيِى الْاَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها] كأنّه بعد ما حذّرهم عن الوقوف و وبّخهم عليه يئس جمع من الواقفين عن الرّحمة وقالوا : فما لنا الّا قساوة القلوب فقال رفعاً ليأسهم و ترجيحاً بجانب الرّجاء: اعلموا انّ الله يحيى ارض قلوب المؤمنين بذكر الله فى الدّنيا او بنور الامام فى الآخرة فلاتيأسوا من روح الله ، عن الباقر(ع) انّه قال: يحييها الله تعالى بالقائم بعد موتها [قَدْ بَيَّنّا لَكُمُ الْآياتِ] التّدوينيّة والآيات الآفاقيّة والانفسيّة [لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ] تصيرون عقلاء ، اوتدركون ادراكاً عقلانيّاً، اوتدركون بعقولكم انّ الوقوف مورث للقسوة، وانّ الّذكر جلاء للقلوب ومورث للخشوع [اِنَّ الْمُصَّدِّقينَ وَالْمُصَّدِّقاتِ] قرئ بتشديد الصّاد من التّفعّل بمعنى الّذين يعطون الصّدقات ، و قرئ بتخفيف الصّاد من التّفعيل بمعنى الّذين صدقوا الله ورسوله [وَاَقْرَضُوا اللّهَ] جملة حاليّة اومعترضة او معطوفة على صلة الالف والّلام ، وعلى اىّ تقدير هو تقييد للتّصدّق ان كان بمعنى الانفاق المطلق ، اوتأكيد له ان كان بمعنى الانفاق لوجه الله ، او يكون المراد بالتّصدّق الانفاق على الفقراء ، و باقراض الله صلة الامام(ع)، وعلى قراءة تخفيف الصّاد يكون عطفاً و بمنزلة ان يقال: انّ الّذين

آمنواوانفقوا ، وعلى قراءة تشديدالصّاد يكون قوله: انّ المصدّقين والمصدّقات واقرضوا الله [قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ اَجْرٌ كَرِيمٌ] بمنزلة انّ الّذين يعطون الزّكوة و بياناً لجزاء الانفاق ويكون قوله [وَالَّذِينَ اٰمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ اُولٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ] بياناً لجزاء الايمان و بعبارةٍ اخرى انّ المصدّقين بيان لجزاء القوّة العمّالة و انّ الّذين آمنوا بيانٌ لجزاء القوّة العلّامة ، وبعبارةٍ اخرى الاوّل بيان لجزاء الزّكوة ، والثّانى بيان لجزاء الصّلوة و ترجيح لجانب القوّة العلّامة والصّلوة على القوّة العمّالة و الزّكوة فانّ قوله تعالى اولئك هم الصّديقون [وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ] لحصر كمال الصّدق والشّهادة فيهم وقوله تعالى [لَهُمْ اَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ] تفخيمٌ لاجرهم ونورهم باضافتهما اليهم بمعنى انّ اجرهم لا يمكن معرفته الّا باضافته اليهم ، وقيل: انّ الشّهداء مبتدء وخبره لهم اجرهم ،وعن الباقر(ع) انّه قال: العارف منكم هذا الامر المنتظر له المحتسب فيه الخير كمن جاهد والله مع القائم (ع) بسيفه ثمّ قال: بل والله كمن جاهد مع رسول الله (ص) بسيفه ، ثمّ قال الثّالثة: بل والله كمن استشهد مع رسول الله (ص) فى فسطاطه ، وفيكم آية من كتاب الله قيل: وايّ آية ؟ـ قال: قول الله والّذين آمنوا بالله ورسله (الآية) ثمّ قال: صرتم والله صادقين شهداء عند ربّكم ، والاخبار الواردة بهذا المضمون يعنى تخصيص الصّدّيقين والشّهداء بشيعتهم كثيرة، وفى هذا الخبر غنية عن نقلها ، و روى عن امير المؤمنين (ع) انّه لمّا قتل يوم النّهر وان الخوارج قام اليه رجلٌ ، فقال: يا امير المؤمنين (ع) طوبى لنا اذ شهدنا معك هذا الموقف و قتلنا معك هؤلاء الخوارج ، فقال امير المؤمنين (ع) : والّذى فلق الحبّة و برأ النّسمة لقد شهدنا فى هذا الموقف اناس لم يخلق الله آباءهم ولا اجدادهم بعدُ ، فقال الرّجل: وكيف شهدنا قوم لم يخلقوا؟ـ قال: بل قوم يكونون فى آخر الزّمان يشركوننا فيما نحن فيه و يسلّمون لنا فاولئك شركاؤنا فيه حقاً حقاً [وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِاٰيَاتِنَا اُولٰئِكَ اَصْحَابُ الْجَحِيمِ] مقابل الّذين آمنوا بالله ورسله [اِعْلَمُوا] ابتداء كلامٍ منقطع عن سابقه و تزهيد عن الحيوة الدّنيا و لوازمها ، وترغيب فى الآخرة و الانفاق وتسهيل له [اَنَّمَا الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ] اللّعب ماله غاية خياليّة غير عقليّة ، واللّهو ما لم يكن له غاية خياليّة مدركة مشعوراً بها وان كان لا يجوز ان يكون فعل المختار بلا غاية ، والتّقدير اعلموا انّ متاع الحيوة الدّنيا او حاصل الحيوة الدّنيا لعب و لهو [وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى الْاَمْوَالِ وَالْاَوْلَادِ] اى تغالب فى ذلك ولا يبقى للعاقلة شيءٌ من ذلك [كَمَثَلِ غَيْثٍ] مفعول ثان لاعلموا او انّما و ما بعده قائم مقام المفعولين اوهو خبر مبتدءٍ محذوف [اَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ] اى نبات الغيث الّذى نبت بسبب الغيث و قال تعالى : اعجب الكفّار لانّ الكفّار لكفرهم بالله اشدّ اعجاباً بصورة النّبات بخلاف غير الكفّار فانّهم يفرحون بالمنعم وانعامه [ثُمَّ يَهِيجُ] ييبس ببلوغه الى غايته او بعاهةٍ [فَتَرَيٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا] لائقاً للنّار [وَفِى الْاٰخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ] مثّل الحيوة الدّنيا ونزول ماء الحيوة من سماء الارواح بنزول المطر من السّماء وصورة الانسان فى بدو الامر بنبات النّبات فى اوّل الامر ضعيفاً ثمّ استواء الانسان باستواء النّبات فى خضرته وطراوته واعجابه للغافل عن الآخرة ثمّ انحطاطه بانحطاط النّبات ثمّ موته بيبس النّبات واصفراره وتكسّره ثمّ العذاب فى الآخرة للمفتون بالحيوة باحتراق النّبات اليابس [وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٌ] لمن لم يفتتن او للكلّ بشرط الاستعداد والاستحقاق [وَمَا الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا اِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ]

اى التّمتّع المسبّب من الغرور اومتاع سبب للغرور [سابِقُوا] هذا بمنزلة النّتيجة اوجوابٌ لسؤال مقدّرٍ ناشٍ من سابقه كأنّه قيل: ان كان الحيوة الدّنيا متاع الغرور وفى الآخرة عذابٌ لاهلها ومغفرة فما نفعل؟-فقال: سابقوا [إِلىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُها كَعَرْضِ السَّماءِ وَالْأَرْضِ] قد مضى فى سورة آل عمران بيان تشبيه عرض الجنّة بعرض السّماوات والارض [أُعِدَّتْ لِلَّذينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ] هذه صفة اوحال اومستأنفة [ذٰلِكَ] الايمان بالله و رسله اوذلك المذكور من المغفرة والجنّة [فَضْلُ اللهِ يُؤْتيهِ مَنْ يَشاءُ] فانّ مبدء التّوفيق للايمان الّذى هو سبب المغفرة والجنّة منه تعالى فلايدخل الجنّة احد بنفسه ولابعمله [وَاللهُ ذُوا الْفَضْلِ الْعَظيمِ ما أَصابَ] منقطعة عن سابقها او جوابٌ لسؤال ناشٍ من السّابق كأنّه قيل: ان كان الله ذاالفضل بعباده فممّ يكون هذه المصائب والبلايا؟- فقال فى الجواب : ما اصاب [مِنْ مُصيبَةٍ فِى الْأَرْضِ] فى العالم الكبير من البلايا العامّة الواردة على اموال اهل الارض [وَلا فى أَنْفُسِكُمْ إِلّا فى كِتابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَها] اى من قبل ان نبرأ الانفس او من قبل ان نبرأ الارض والانفس والمراد بالكتاب كتاب اللّوح المحفوظ والمقصود انّه ليست المصائب الّا بعلمنا و قدرتنا واصابتنا [إِنَّ ذٰلِكَ] الثّبت فى الكتاب [عَلَى اللهِ يَسيرٌ لِكَيْلا تَأْسَوْا] متعلّق بقوله فى كتاب اومتعلّق بمحذوفٍ والتّقدير اخبرناكم بذلك لتعلموا انّ مايقع فى الارض هوثابت فى اللّوح و بعلمنا وارادتنا لكيلا تأسوا [عَلىٰ ما فاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِما آتيٰكُمْ] و لكى تصبروا وترضوا عند مافاتكم وتشكروا الله عند ما آتيكم وهذا هوغاية الزّهد فانّ عدم التّغيّر فى فوت ما فى اليد و فى اتيان ما ليس فى اليد كمال الزّهد كما روى عن اميرالمؤمنين(ع) انّه قال : الزّهد كلّه بين كلمتين من القرآن قال الله تعالى: لكيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتيكم، ومن لم يأس على الماضى ولم يفرح بالآتى فقد اخذ الزّهد بطرفيه ، وعن الباقر(ع): نزلت فى ابى بكرٍ واصحابه واحدة مقدّمة وواحدة مؤخّرة لا تأسوا على ما فاتكم ممّا خصّ به علىّ بن ابى طالبٍ(ع) ولا تفرحوا بما اتيكم من الفتنة الّتى عرضت لكم بعد رسول الله(ص) [وَاللهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتالٍ فَخُورٍ] عطف على قوله ما اصاب والمقصود انّ عدم الحزن على الفائتة وعدم الفرح قد يكون للاختيال والفخر وليس هذا ممدوحاً انّما المدح على ذلك اذا كان للزّهد فى الدّنيا، اوالمعنى انّ المصدّقين المنفقين والمؤمنين كذلك وغير المصدّقين الّذين يختالون ولا ينقصون من انانيّاتهم، والّذين يفخرون ولا يؤمنون بالله ورسوله مبغوضون لله فانّه قد تكرّر فيما سبق انّ مفهوم هذه العبارة و ان كان اعمّ من كونهم مبغوضين لكنّ المراد بحسب المقام ذلك [اَلَّذينَ يَبْخَلُونَ] باموالهم واعراضهم وقويهم وانانيّاتهم فلاينفقون ولاينقصون من انانيّاتهم فلا ينقادون لله و رسوله (ص) [وَيَأْمُرُونَ النّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ] عن الانفاق والايمان فلايضرّ الله شيئاً [فَإِنَّ اللهَ هُوَ الْغَنِىُّ] الّذى لاحاجة له الى اموالكم و اعراضكم و انفاقكم ممّا ينبغى ان ينفق منه [الْحَميدُ] الّذى لاحاجة له الى ايمانكم وتصديقكم وتعظيمكم والمقصود من يتولّ عن علىٍّ(ع) اوعن الله والرّسول(ص) فى ولاية علىّ(ع) فانّ عليّاً(ع) الّذى هو مظهر الله هوالغنىّ عنه وعن انفاقه الحميد فى نفسه صدّقه مصدّقٌ اوكذّب به ولمّا كان هناك مظنّة ان يسأل احدٌ : بما يصير الانسان مؤمناً و منفقاً حتّى لايتولّى عن الايمان وعن علىٍّ(ع)؟-فقال تعالى جواباً لهذا السّؤال [لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلَنا بِالْبَيِّناتِ] اى بأحكام الرّسالة اوبالمعجزات الدّالّة على صدقهم فمن اراد الايمان فليقبل عليهم [وَأَنْزَلْنا مَعَهُمُ الْكِتابَ] اى كتاب النّبوّة والكتب التّدوينيّة

والملل الآلهيّة صورها ولهذا ورد عن الصّادق(ع) فی هذه الآية الكتاب الاسم الاكبر الّذی يعلم به علم كلّ شیء الّذی كان مع الانبياء(ع) قال: وانّما عرف ممّا يدعى كتاب التّوراة والانجيل والفرقان فيها كتاب نوح وفيها كتاب صالح وشعيب وابراهيم(ع) فأخبر الله عزّوجلّ انّ هذا لفی الصّحف الاولى صحف ابراهيم وموسى(ع) فاين صحف ابراهيم؟ انّما صحف ابراهيم(ع) الاسم الاكبر وصحف موسى(ع) الاسم الاكبر [وَالْميزانَ لِيَقُومَ النّاسُ بِالْقِسْطِ] الميزان كلّما يقاس به شیء آخر من ذی الكفّتين والقبان وخيوط البنّائين وسيرة السّلاطين فی سلطنتهم واحكام الشّرائع القالبيّة الملّيّة والعقل والرّسول والرّسالة والولیّ والولاية والكتب السّماويّة، لكنّ الميزان الّذی يقوم النّاس به بالقسط هو الولاية وقبولها واحكامها وولیّ الامر فانّ كلّما سواها ميزانٌ لقيام النّاس بالقسط بشرط اتّصاله بها، فالمراد بالكتاب الّذی مع الرّسل هو النّبوّة والرّسالة وهما الاسم الاكبر الّذی كلّ شیء فيه وشرائع الرّسل وكتبهم صورتهما، والمراد بالميزان هو الولاية الّتی نزلت من مقامها العالی الی بشريّة الرّسل وظهرت بعدهم فی اوصيائهم ليقوم النّاس بها بالقسط، ولمّا كانت الولاية الّتی هی ميزان العدل والنّبوّة والرّسالة اللّتان هما ميزانان بالولاية من اعظم اسباب قيام النّاس بالقسط أتی بهذه الغاية قبل ذكر الحديد واضاف الحديد بعدها فقال [وَاَنْزَلْنَا الْحَديدَ] يعنی مع الرّسل اومطلقاً لكن لمّا كان المنظور من ذكر الحديد ترتّب غاية نصرة الرّسل عليه وعلى ما سبقه فالاولى ان يقال: وانزلنا الحديد مع الرّسل، ومعنى انزال الحديد مع انّه يتكوّن فی المعادن ايجاده، اوالمقصود انّ كلّ موجود فی هذا العالم كان موجوداً فی عالم المثال وفی العوالم الّتی فوقه ثمّ نزل من تلك العوالم الی عالم الكون والفساد [فيهِ بَأْسٌ شَديدٌ] كما يرى من قطع الاعضاء والمفاصل من الحيوان به وقطع حبوة الحيوان والانسان به [وَمَنافِعُ لِلنّاسِ] لانّ منه آلات اكثر الصّنّاع والصّنائع [وَلِيَعْلَمَ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ] حالكون النّاصر بالغيب من الله، اوحالكون الله بالغيب من النّاصر، اوهوظرف لينصره وقوله تعالى ليعلم عطف على قوله ليقوم النّاس وقد مضى وجه تأخيره عن نزول الحديد [اِنَّ اللهَ قَوِیٌّ عَزيزٌ] لا حاجة له الى نصرتكم لانّه قویّ يقدر على كلّ ما اراد عزيز لامانع له من مراده ولاغالب عليه وانّما اراد اختباركم بذلك وامتياز الكافر والمنافق من المؤمن الموافق [وَلَقَدْ اَرْسَلْنا] عطف على قوله لقد أرسلنا عطف التّفصيل على الاجمال [نُوحًا وَ اِبْراهيمَ وَجَعَلْنا فی ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتابَ] ای الرّسالة [فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ] فی غاية الاهتداء كالانبياء والاولياء(ع) اوفی اواسط الاهتداء كسائر المؤمنين [وَكَثيرٌ مِنْهُمْ فاسِقُونَ] لم يقل فی مقابل منهم مهتد ومنهم فاسق للاشارة الی الغلبة فی جانب الضّلالة [ثُمَّ قَفَّيْنا عَلى اٰثارِهِمْ بِرُسُلِنا] من انبياء بنی اسرائيل وموسى(ع) وشعيب(ع) [وَقَفَّيْنا بِعيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَاٰتَيْناهُ الْاِنْجيلَ وَجَعَلْنا فی قُلُوبِ الَّذينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبانِيَّةً ابْتَدَعُوها] بالنّسبة الی دين موسى(ع) لانّهم ابتدعوها فی الدّين حتّى تكون بدعة، والرّأفة اشدّ الرّحمة اوارقّها اومايظهر اثره فی الظّاهر، والرّحمة ما لايظهر اثره فی الظّاهر اوبالعكس، والرّهبانية والرّهبة مصدرا الرّاهب واحد رهبان النّصارى الّذين كانوا ينقطعون عن النّاس ويلبسون المسوح ويتعبّدون فی الجبال وفی الخلوات [ما كَتَبْناها عَلَيْهِمْ] ای ما القيناها فی قلوبهم [اِلَّا ابْتِغاءَ رِضْوانِ اللهِ] ای الّا لابتغاء رضوان الله اوفی حال ابتغاء رضوان الله فانّه لايجوز ان يكون مفعولاً له لكتبنا او المعنى انّهم ابتدعوها وما فرضناها عليهم اصلاً ولكنّهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله فيكون الاستثناء

منقطعاً ولكن قوله تعالى [فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا] يؤيّد المعنى الاوّل بان جعلوها بأهوية انفسهم او ما عملوا بمقتضاها، اوماقصدوا بها رضوان الله، اوما انتهوا بها الى خليفة الله المؤسّس لآداب السّلوك الى الله ونسب الى النّبىّ (ص) انّه قال لتكذيبهم بمحمّد (ص) [فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا] بمحمّد (ص) [مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ] عن اتّباع ولىّ الامر و خليفة الله ، روى عن رسول الله (ص) انّه قال : اختلف من كان قبلكم على ثنتين و سبعين فرقةً نجا منهما ثنتان وهلكت سائرهنّ فرقة قاتل الملوك على دين عيسى (ع) فقتلوهم ، وفرقة لم يكن لهم طاقة لموازاة الملوك ولا ان يقيموا بين ظهرانيّهم يدعونهم الى دين الله تعالى ودين عيسى (ع) فساحوا فى البلاد و ترهّبوا وهم الّذين قال الله عزّوجلّ : و رهبانيّةً ابتدعوها ما كتبناها ثمّ قال : من آمن بى و صدّقنى واتّبعنى فقد رعاها حقّ رعايتها ، و من لم يؤمن بى فاولئك هم الهالكون [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] بعد ما مدح المؤمنين من اهل الكتاب وذمّ الّذين بقوا على صورة ملّتهم ولم يؤمنوا بمحمّد (ص) بقوله : و كثير منهم فاسقون نادى مطلق من آمن بمحمّد (ص) بالبيعة العامّة النّبويّة ، اونادى المؤمنين بمحمّد (ص) من اهل الكتاب بالبيعة العامّة و قال : لوكان يكفى للنّجاة الاسلام الحاصل بالبيعة العامّة وقبول الملّة لكان يكفى اهل الكتاب قبول ملّتهم ولم يكونوا يسمّون فاسقين فلا تقفوا انتم ايّها المؤمنون على صورة ملّة محمّد (ص) ولاتكتفوا بالبيعة العامّة بل [اتَّقُوا اللَّهَ] فى جميع اوامره ونواهيه او اتّقوا الله فى مخالفة الرّسول (ص) ومخالفة قوله فى علىّ (ع) [وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ] بالايمان الحقيقىّ الّذى يحصل بالبيعة الخاصّة الولويّة [يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ] نصيبين [مِنْ رَحْمَتِهِ] نصيباً على قبول الرّسالة ونصيباً على قبول الولاية، وبعبارةٍ اخرى نصيباً على البيعة العامّة ونصيباً على البيعة الخاصّة ، و بعبارةٍ اخرى نصيباً على الاسلام ونصيباً على الايمان ، و بعبارةٍ اخرى نصيباً فى مقام النّفس الانسانيّة ونصيباً فى مقام القلب، و بعبارةٍ اخرى نصيباً من جنّات النّعيم و نصيباً من جنّة الرّضوان ،و بعبارةٍ اخرى نصيباً للقوّة العمّالة ونصيباً للقوّة العلّامة [وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ] والمقصود من النّور هو صورة ولىّ الامر الّذى يدخل بالبيعة الخاصّة فى قلب البائع المعبّر عنه بالايمان الدّاخل فى القلب واذا خرج تلك الصّورة من حجب الاهواء والتّعلّقات ظهر نورها بحيث كان الانسان يستغنى من نور الشّمس واشرقت الارض بنور ربّها اشارة الى ظهور تلك الصّورة ومعرفة علىّ (ع) بالنّورانيّة الّتى هى معرفة الله ، وليست الّا للمؤمن الممتحن قلبه للايمان عبارة عن ظهور هذه الصّورة ، واذا خلعت تلك الصّورة من حجب النّفس وتعلّقاتها استغنى صاحبها من كلّ ماسواها و كانت تلك الصّورة قرينةً للنّصر ونزول الملائكة ، وظهور تلك الصّورة هى نزول السّكينة ولذلك قال: نوراً تمشون به فى النّاس فانّ تلك الصّورة هى الفعليّة الاخيرة للانسان وجميع افعال الشّيء تكون بفعليّته الاخيرة فيجعل الله بتلك البيعة نوراً مختفياً او ظاهراً يكون جميع حركاته ومكناته وعباداته و مكاسبه بذلك النّور [وَيَغْفِرْ لَكُمْ] بذلك النّور فانّ هذا النّور هو باعث غفران الله، فانّ الله يستحيى ان يعذّب امّة دانت بامامة امامٍ عادلٍ من الله و ان كانت الامّة فى اعمالها فجرةً [وَاللَّهُ غَفُورٌ] سجيّته المغفرة سواء كان لها باعث اولم يكن، فمن كان له مادّة المغفرة الّتى هى الولاية كان مغفوراً لامحالة [رَحِيمٌ] سجيّته الرّحمة سواء كان لها باعث اولم يكن، وقد فسّر النّور بالامام الّذى يأتمّون به ، وروى عن الصّادق (ع) انّه قال: كفلين من رحمته الحسن (ع) و الحسين (ع) و نوراً تمشون به يعنى اماماً يأتمّون به، وفى روايةٍ والنّور علىّ (ع) [لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ] لا زائدة و المعنى على

ماذكرفى نزول الآية ليعلم اهل الكتاب اى اليهود والنّصارى [اَنْ لاٰيَقْدِرُونَ عَلٰى شَىْءٍ مِنْ فَضْلِ اللّٰهِ] قيل فى نزوله : انّ رسول الله (ص) بعث جعفراً فى سبعين راكباً الى النّجاشىّ يدعوه فقدم عليه ودعاه فاستجاب له وآمن به، فلمّا كان عند انصرافه قال ناس ممّن آمن به من اهل مملكته وهم اربعون رجلاً : ائذن لنا فنأتى هذا النّبى فنسلّم به فقدموا مع جعفر فلمّا رأوا ما بالمسلمين من الخصاصة استأذنوا رسول الله (ص) وقالوا : يا نبىّ الله انّ لنا اموالاً و نحن نرى ما بالمسلمين من الخصاصة فان اذنت لنا انصرفنا فجئنا باموالنا فواسينا المسلمين بها، فأذن لهم فانصرفوا فأتوا باموالهم فواسوا بها المسلمين فانزل الله فيهم : الّذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون (الى قوله) وممّا رزقناهم ينفقون فلمّا سمع اهل الكتاب ممّن لم يؤمن به قوله اولئك يؤتون أجرهم مرّتين بماصبروا فخروا على المسلمين فقالوا : يا معاشر المسلمين امّا من آمن منّا بكتابكم وكتابنا فله اجران ، ومن آمن منّا بكتابنا فله اجر كاجوركم فما فضلكم علينا ؟ـ فنزل قوله تعالى: يا ايّها الّذين آمنوا اتّقوا الله وآمنوا برسوله (الآية) فجعل لهم اجرين وزادهم النّور والمغفرة يعنى جعلنا لمن آمن بمحمّد (ص) واتّقى اجرين، ليعلم اهل الكتاب انّهم لا يقدرون على شيءٍ من فضل الله [وَاَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِاللّٰهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشٰاءُ وَاللّٰهُ ذُوا الْفَضْلِ الْعَظِيمِ] ولكن نقول على ما ذكر من الفرق بين الاسلام والايمان والملّة والدّين وانّ المراد بقوله : يا ايّها الّذين آمنوا يا ايّها الّذين اسلموا بقبول الدّعوة الظّاهرة والبيعة العامّة وانّ قوله آمنوا امر بالايمان الحقيقىّ وقبول الدّعوة الباطنة بالبيعة الخاصّة الولويّة يجوز ان يراد باهل الكتاب اهل الملّة سواء كان بنحو النّحلة او بقبول الرّسالة بالبيعة العامّة وسواء كانوا اهل ملّة محمّد (ص) او اهل سائر الملل وان لايكون لا فى قوله لئلّا يعلم اهل الكتاب زائدة ، ويكون تعليلاً للقول المستفاد من قوله: آمنوا برسوله بالبيعة الخاصّة يعنى قلنا آمنوا برسوله بقبول الدّعوة الباطنة لانّ القانعين بالبيعة الاسلاميّة الّذين كانوا اهل كتاب الرّسالة لا يعلمون انّهم لا يقدرون على شيءٍ من فضل الله بل يظنّون انّهم قادرون على فضل الله الظّاهر من اموال الدّنيا وفضل الله الباطن من درجات الايمان ومقامات الرّسالة والنّبوّة والولاية كما كنّا نسمع من بعض يقول : اذا خلونا اربعين يحصل لنا كثير من المراتب الغيبيّة ، واذا آمنتم بالرّسول (ص) بالبيعة الخاصّة الولويّة وقبلتم الولاية ظهر لكم قصوركم وانّكم لا تقدرون على شيءٍ من فضل الله و بذلك تتدرّجون فى نقصان الانانيّة الّتى هى اعظم المعاصى فى الطّريق، واذا لم تعلموا ذلك تتدرّجون فى ازدياد الانانيّة .

[الجزء الثّامن والعشرون]

سُورَةُ الْمُجَادَلَةِ

مدنيّة ؛ احدى وعشرون آيةً .

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

[قَدْسَمِعَ اللّٰهُ قَوْلَ الَّتِى تُجٰادِلُكَ فِى زَوْجِهٰا وَتَشْتَكِى اِلَى اللّٰهِ وَاللّٰهُ يَسْمَعُ تَحٰاوُرَكُمٰا اِنَّ اللّٰهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ] نزلت فى امرأةٍ من الانصار اسمها خولة وزوجها اوس بن الصّامت وكانت امرأة حسن الجسم فأرادها

زوجها فأبت فغضب عليها وقال: انت عليّ كظهر امّي، وكان في الجاهليّة اذا قال الرّجل لاهله: انت عليّ كظهر امّي، حرمت عليه آخر الابد، فندم الرّجل وقال لامرأته قد اتانا الاسلام فاذهبي الى رسول الله (ص) فاسأليه فأتت الى رسول الله (ص) فقالت: بابي أنت وامّي انّ اوس بن الصّامت هو زوجي و ابو ولدي وابن عمّي فقال لي: انت عليّ كظهر امّي، وانّا نحرّم ذلك في الجاهليّة، وقد اتانا الله بالاسلام بك فقال لها رسول الله (ص): ايّتها المرأة ما اراك الّا حرّمت عليه، فأعادت عليه قوله الاوّل، فقال (ص): ما اراك الاحرّمت عليه ولم او مر في شأنك بشيء، فجعلت تراجع رسول الله (ص) وكلّما قال لها رسول الله (ص)، حرّمت عليه هتفت وقالت: اشكو الى الله فاقتي وحاجتي وشدّة حالي، اللّهمّ فأنزل على لسان نبيّك وكان هذا اوّل ظهار في الاسلام فنزل عليه الآيات فقال: ادعي زوجك، فدعته، فتلا عليه رسول الله (ص) هذه الآيات (الى قوله) وللكافرين عذابٌ اليم [اَلَّذينَ يُظاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسائِهِمْ ما هُنَّ اُمَّهاتِهِمْ اِنْ اُمَّهاتُهُمْ اِلَّا اللّائي وَلَدْنَهُمْ وَاِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَراً مِنَ الْقَوْلِ وَزُوراً وَاِنَّ اللهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ] يعفو عنهم ويغفر لهم اذا تابوا [وَالَّذينَ يُظاهِرُونَ مِنْ نِسائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِما قالُوا فَتَحْريرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ اَنْ يَتَماسّا] ظاهر الآية انّ من ظاهر فليس عليه شيءٌ ان لم يكرّر القول، اوليس عليه شيءٌ في المرتبة الاولى فاذا عاد وظاهر ثانياً فعليه الكفّارة المذكورة، وروى عن امير المؤمنين (ع) انّه قال: انّ الله عفى عن المظاهر الاوّل وغفر له بدون الكفّارة، فان عاد احد بعد المظاهر الاوّل فعليه الكفّارة، وقيل: معنى يعودون لما قالوا يعودون عمّا قالوا فانّه يستعمل يعود فيما قال والى ما قال ولما قال بمعنى يعود عمّا قال، وقيل: يعودون الى نسائهم، وقوله تعالى، لما قالوا، ابتداء كلام والمعنى فتحرير رقبة لما قالوا [ذٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ] يعني ذلكم التّحرير توعظون به لكي ترتدعوا من مثله [وَاللهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبيرٌ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيامُ شَهْرَيْنِ مُتَتابِعَيْنِ] يكفي في صدق تتابع الشّهرين اتّصال شيء من الشّهر الثّاني بالشّهر الاوّل [مِنْ قَبْلِ اَنْ يَتَماسّا] بالمجامعة او مطلقا [فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَاِطْعامُ سِتّينَ مِسْكيناً] بقدر شبعهم او اعطاء كلّ مسكين مدّاً من الطّعام [ذٰلِكَ] المذكور من عدم الحرمة ابداً بالظّهار كما كانت في الجاهليّة وجواز الرّجوع الى النّساء بعد الظّهار والتّرتيب في خصال الكفّارة [لِتُؤْمِنُوا] اى لترغبوا في شريعة محمّد (ص) ولا تنفروا عنها لما ترون فيها من التّخفيف وتؤمنوا [بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ] حدود حماه لايجوز التّجاوز عنها [وَلِلْكافِرينَ] بالله ورسوله (ص) او للكافرين بتلك الحدود [عَذابٌ اَليمٌ اِنَّ الَّذينَ يُحادُّونَ اللهَ وَرَسُولَهُ] حادّه غاضبه وعادّه وخالفه [كُبِتُوا] كبته صرعه واخزاه وصرفه وكسره وردّه بغيظه واذلّه والمكتبت الممتلىء غمّاً [كَما كُبِتَ الَّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ] الّذين حادّوا الله ورسوله من قوم نوح وعادٍ وثمود وقوم ابراهيم (ع) [وَقَدْ اَنْزَلْنا] عليهم اوعليكم [آياتٍ] دالّاتٍ على قدرتنا وحكمتنا، او دالّاتٍ على صدقنا في وعدنا ووعيدنا، اودالّاتٍ على صدق رسولنا [بَيِّناتٍ] واضحات اوموضحات وهي الآيات التّدوينيّة اوالآيات الآفاقيّة والانفسيّة [وَلِلْكافِرينَ] بتلك الآيات او بالله ورسوله (ص) [عَذابٌ مُهينٌ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ] ظرف لمهين، اولقوله للكافرين، اولقوله احصاه الله [جَميعاً فَيُنَبِّئُهُمْ بِما عَمِلُوا اَحْصيهُ اللهُ] رفع لتوهّم متوهّم انّ العاملين لايحصون اعمال انفسهم فكيف يحصى الله اعمال الجميع [وَنَسُوهُ وَاللهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهيدٌ] تعميمٌ

وتعليلٌ [اَلَمْ تَرَ] خطاب لمحمّد (ص) اولكلّ من يتأتّى منه الخطاب، وان كان خطاباً لمحمّد (ص) فالمعنى لا ينبغى لك الاستغراب عن كونه على كلّ شيءٍ شهيداً لانّك ترى و تنظر الى آثار احاطة علمه تعالى بما فى السّماوات ومافى الارض ، وان كان الخطاب عامّاً فالمعنى لاينبغى الاستغراب لظهور آثار احاطة علمه تعالى و ينبغى ان يراها كلّ راءٍ لظهورها [اَنَّ اللّٰهَ يَعْلَمُ مٰا فِى السَّمٰوٰاتِ وَمٰا فِى الْاَرْضِ مٰا يَكُونُ مِنْ نَجْوٰى ثَلٰثَةٍ] نجوى جمع نجيّ او مصدر نجاه بمعنى سارّه، اواسم مصدرٍ بمعنى السّرّ، وعلى الاوّل جاز ان يكون مضافاً الى ثلثة وان يكون ثلثة بدلاً منه ومعنى النّجوى المصدرىّ المسارّة بين اثنين او اكثر لكنّه يطلق على حديث النّفس وخطرات القلوب والرّؤيا الصّادقة و الاحلام الكاذبة لانّها مسارّة الشّيطان او الملك مع الانسان ، و قد يطلق على مطلق المحاورة [اِلّٰا هُوَ رٰابِعُهُمْ وَلٰا خَمْسَةٍ اِلّٰا هُوَ سٰادِسُهُمْ] اختيار المتناجين اى المتسارّين لانّ المتناجين يكونون بحالٍ لايطّلع على نجواهم غيرهم فيكون الاطّلاع عليهم ابلغ فى الدّلالة على الاطّلاع على خفيّات الامور، واختيار الثّلاثة والخمسة من بين مراتب العدد لانّ العدد الوتر اشرف مراتب العدد، الاترى انّه تعالى قال سيقولون ثلثة رابعهم كلبهم ، و يقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب ، و يقولون سبعة وثامنهم كلبهم ولانّ الله وتر يحبّ الوتر ، و اقلّ مراتب العدد الوتر الثّلاثة، واضاف اليها الخمسة ليعلم انّ خصوص مرتبة الثّلاثة ليس مقصوداً، وقيل : كان من انزلت الآية فيهم ثلاثة وخمسة والفرق بين ثالث الثّلاثة و رابع الثّلاثة انّ ثالث الثّلاثة يكون واحداً من الثّلاثة مقابلاً للآخرين متمّماً عددهم ولذا قال تعالى : لقد كفر الّذين قالوا انّ الله ثالث ثلاثة وامّا رابع الثّلاثة فهو الّذى يجعل الثّلاثة اربعة سواء كان من جنسهم وفى عدادهم او لم يكن ، وسواء جعل الثّلاثة اربعة بنفسه او بغيره فهذه العبارة لاتستلزم التّحدّد وكونه تعالى ثانياً لغيره وغير ذلك ممّا ينا فى الوجوب كالعبارة الاولى فانّه تعالى يجعل كلّ ثلاثة اربعة بان يوكّل عليهم واحداً من وكلائه او اكثر، وايضاً يجعل الثّلاثة اربعة بان يكون هو بنفسه مقوّماً للثّلاثة ومعهم لامعيّة الاثنين من الانسان بل معيّة قيّوميّة لاينفكّ شيء من الاشياء عنها منفرداً كان اومنضمّاً الى واحدٍ او اكثر وهذا المعنى لايلزم شيئاً من لوازم الامكان ولذلك لم يكتف بهذا وقال [وَلٰا اَدْنٰى مِنْ ذٰلِكَ] العدد [وَلٰا اَكْثَرَ اِلّٰا هُوَ مَعَهُمْ اَيْنَ مٰا كٰانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمٰا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيٰمَةِ اِنَّ اللّٰهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ] تعليل و تأكيد و نتيجة للسّابق و نزول الآية كما روى عن الصّادق (ع) فى ابى عبيدة الجرّاح وعبدالرّحمن بن عوفٍ وسالمٍ مولى ابى حذيفة والمغيرة بن شعبة وعدّة اُخر حيث كتبوا الكتاب بينهم وتعاهدوا وتواثقوا لئن مضى محمّدٌ (ص) لايكون الخلافة فى بنى هاشم ولا النّبوّة ابداً [اَلَمْ تَرَ اِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوٰى] اى المسارّة اوالمحاورة [ثُمَّ يَعُودُونَ لِمٰا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنٰاجَوْنَ بِالْاِثْمِ وَالْعُدْوٰانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ] يعنى يتناجون بغصب حقّ آل محمّد (ص) ومعاداتهم ومخالفة قول الرّسول (ص) فيهم، و بعبارةٍ اخرى يتناجون بما فيه قوّة القوّة البهيميّة الشّهويّة، وقوّة القوّة الغضبيّة السّبعيّة، وقوّة القوّة الجهليّة الشّيطانيّة [وَاِذٰا جٰاؤُكَ حَيَّوْكَ بِمٰا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللّٰهُ] اظهاراً لحبّهم لك بالتّحيّات العالية سرّاً لنفاقهم عنك وعن المؤمنين [وَيَقُولُونَ فِى اَنْفُسِهِمْ] من غير تلفّظٍ او فيما بينهم من غير اطّلاع الغير عليهم [لَوْلٰا يُعَذِّبُنَا اللّٰهُ بِمٰا نَقُولُ] لانّهم قبلوا الاسلام وصدّقوا محمّداً (ص) فى اكثر ما قاله من امر الآخرة ولم يصدّقوه فى خلافة علىّ (ع) [حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهٰا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ] قيل : نزلت قوله : الم ترالى الّذين نهوا عن النّجوى

(الآيات) في اليهود والمنافقين انّهم كانوا يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين و ينظرون الى المؤمنين و يتغامزون بأعينهم فاذا رأى المؤمنون نجو يهم قالوا: ما نريهم الّا وقد بلغهم عن اقر بائنا واخواننا الّذين خرجوا فى السّرايا قتل ٌ اومصيبة ٌ اوهزيمة ٌ، فيحزنهم ذلك فلمّا طال ذلك شكوا الى رسول الله (ص) فأمرهم ان لايتناجوا دون المسلمين فلم ينتهوا عن ذلك وعادوا الى مناجاتهم ، لكن نقول: ان كان نزولها فى اليهود فالمقصود منها منافقوا الامّة الّذين كانوا يتناجون فى ردّ قول محمّد (ص) فى علىّ (ع) ، وقيل : نزلت قوله : واذا جاؤكَ حيّوكَ (الى آخر الآية) فى اليهود فانّهم كانوا يأتون النّبىّ (ص) فيقولون: السّام عليك، والسّام الموت وهم يوهّمون انّهم يقولون: السّلام عليك وكان النّبىّ (ص) يردّ عليهم بقوله : وعليكم فان كان النّزول فيهم فالمقصود منها المنافقون كما ذكرنا و اشار الصّادق (ع) فى الحديث السّابق [يا اَيُّهَا الَّذينَ اٰمَنُوا] بعد ماذمّ النّجوى مطلقاً وذمّ المتناجين بالاثم والعدوان و معصية الرّسول (ص) نادى المؤمنين ونهاهم عن النّجوى بمافيه قوّة القوى الثّلاث ، فانّ الانسان اذا اجتمع مع غيره قوى فيه الشّأن الّذى هو عليه فنهاهم عن ذلك حتّى يتنبّهوا ، واذا كانوا على تلك الشّؤن ارتدعوا عنها فقال [اِذا تَناجَيْتُمْ فَلا تَتَناجَوْا بِالْاِثْمِ وَالْعُدْوانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ] يعنى راقبوا احوالكم فان تروا قوّة الميل منكم الى ذلك فاعلموا انّكم بعد فى شأن البهيمة اوالسّبع او الشّيطان فعالجوا انفسكم بدفع تلك القوّة عنكم [وَتَناجَوْا بِالْبِرِّ] الّذى هولازم قوّتكم العاقلة [وَالتَّقْوٰى] من القوى الثّلاث يعنى قوّوابالاجتماع قوّتكم العاقلة وضعّفوا قواكم الثّلاث [وَاتَّقُوا اللّٰهَ] اى سخط الله فى تقوية القوى الثّلاث [الَّذى اِلَيْهِ تُحْشَرُونَ] توصيف للتّعليل [اِنَّمَا النَّجْوىٰ مِنَ الشَّيْطانِ] اى مطلق التّناجى بان حكم على الجنس بحكم اكثر الافراد والّلام للتّعريف يعنى النّجوى المذكورة وهى النّجوى بالاثم والعدوان ومعصية الرّسول (ص) ، اوهى نجوى فاطمة سلام الله عليها ورؤياها كما سنذكر فى نزول الآية ان شاءالله [لِيَحْزُنَ الَّذينَ اٰمَنُوا وَلَيْسَ] اى الشّيطان اوالتّناجى [بِضارِّهِمْ شَيْئاً اِلّا بِاِذْنِ اللّٰهِ وَعَلَى اللّٰهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ] ولا يحزنوا بنجوى المنافقين، او بنجوى اليهود، او بالاحلام والرّؤيا الّتى يرونها و يحزنون بها ، وقد مضى فى سورة البقرة عند قوله تعالى ولٰكنّ الله يفعل ما يريد مايبيّن به عدم اضرار الشّيطان الّا باذن الله ، وفسّر النّجوى ههنا بالرّؤيا الكريهة روى عن النّبىّ (ص) انّه قال : اذا كنتم ثلاثة ً فلايتناج اثنان دون صاحبهما فانّ ذلك يحزنه ، وعن الصّادق (ع) انّه كان سبب نزول هذه الآية انّ فاطمة (ع) رأت فى منامها انّ رسول الله (ص) همّ ان يخرج هو وفاطمة (ع) وعلىّ (ع) والحسن (ع) والحسين (ع) من المدينة فخرجوا حتّى جاز وامن حيطان المدينة فعرض لهم طريقان، فأخذ رسول الله (ص) ذات اليمين حتّى انتهى الى موضع فيه نخل ٌ وماء ٌ، فاشترى رسول الله (ص) شاة درآء وهى الّتى فى احدى اذنيها نقط بيض فامر بذبحها، فلمّا اكلوا ماتوا فى مكانهم، فانتبهت فاطمة (ع) باكية ذعرة فلم تخبر رسول الله (ص) بذلك فلمّا اصبحت جاء رسول الله (ص) بحمار فاركب عليه فاطمة (ع) وامر ان يخرج امير المؤمنين (ع) والحسن (ع) والحسين (ع) من المدينة كما رأت فاطمة (ع) فى نومها، فلمّا خرجوا من حيطان المدينة عرض لهم طريقان فأخذ رسول الله (ص) ذات اليمين كما رأت فاطمة (ع) حتّى انتهوا الى موضع فيه نخل وماء ، فاشترى رسول الله (ص) شاةً درآء كما رأت فاطمة (ع) فأمر بذبحها فذبحت وشويت ، فلمّا ارادوا اكلها قامت فاطمة (ع) وتنحّت ناحيةً منهم تبكى مخافة ان يموتوا، فطلبها رسول الله (ص) حتّى وقع عليها وهى تبكى فقال : ما شأنك يابنيّة ؟ - قالت : يارسول الله (ص) رأيت البارحة كذا وكذا فى نومى وقد فعلت انت كما رأيته فتنحيّت عنكم لئلّا اراكم تموتون فقام رسول الله (ص) فصلّى ركعتين ثمّ ناجى ربّه فنزل عليه جبرئيل فقال : يا محمّد (ص) هذا شيطانٌ يقال له الزّها وهوالّذى ارى فاطمة (ع)

هذه الرّؤيا و يؤذى المؤمنين فى نومهم مايغتمّون به، فأمر جبرئيل فجاء به الى رسول الله (ص) فقال له: انت الّذى اريت فاطمة (ع) هذه الرّؤيا ؟- فقال: نعم يامحمّد (ص)، فبزق عليه ثلاث بزقات قبيحة فى ثلاث مواضع ثمّ قال جبرئيل لمحمّد (ص): يامحمّد اذا رأيت شيئاً فى منامك تكرهه اورأى احد من المؤمنين فليقل: اعوذ بماعاذت به ملائكة الله المقرّبون وانبياء الله المرسلون وعباده الصّالحون من شرّ مارأيت من رؤياى، و يقرء الحمد والمعوّذتين وقل هوالله احد و يتفل عن يساره ثلاث تفلات فانّه لايضرّه مارأى، فأنزل الله عزّوجلّ على رسوله (ص): انّما النّجوى من الشّيطان (الآية)، وعنه (ص): اذا رأى الرّجل منكم مايكره فى منامه فليتحوّل عن شقّه الّذى كان عليه نائماً وليقل: انّما النّجوى من الشّيطان ليحزن الّذين آمنوا وليس بضارّهم شيئاً الّا باذن الله ثمّ ليقل: عذت بما عاذت به ملائكة الله المقرّبون وانبياؤه المرسلون وعباده الصّالحون من شرّ مارأيت ومن شرّ الشّيطان الرّجيم، والمقصود من جميع تلك الآيات منافقوا الامّة وان كان النّزول فى غيرهم [يٰاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] لمّا اراد ان يأمرهم بادب من الآداب الّتى يكرهونها ناداهم تلطّفاً بهم وجبراناً لكلفة التّأدّب بمايكرهون [إِذٰا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجٰالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللّٰهُ لَكُمْ] الفسحة بالضّمّ السّعة، فسح المكان ككرم وافسح وتفسّح وانفسح فهو فسيح وفسح له كمنع وتفسّح ووسّع له [وَإِذٰا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا] نشز من باب نصر وضرب ارتفع فى مكان وقرئ بهما، قيل: كانوا يتنافسون فى مجلس النّبىّ (ص) حتّى جاء جمع من البدريّين وكان النّبىّ (ص) مكرماً لهم فقاموا بين يدى النّبىّ (ص) ولم يكن لهم مجلس يجلسون فيه فقال النّبىّ (ص): يافلان، يافلان، يافلان، قوموا فقاموا، وكان ذلك شاقّاً على بعض فنزلت يعنى اذا قيل لكم تفسّحوا فى المجالس يعنى لايضمّ بعضكم ببعض حتّى تتأذّوا من حرارة الهواء وحرارة الانضمام، واذا قيل: وسّعوا فى المجالس بان تخلّوا لمن يأتى بعدكم مجلساً بان يضمّ بعضكم ببعض حتّى يخلّى مجلس للآتى، او يقوم بعض عن مجلسه بعد زيارته للرّسول (ص) وقضاء وطره حتّى يجلس فى مجلسه من يأتى بعده فافسحوا، وذكر الغاية المترتّبة على الامتثال تطييباً لنفوسهم فقال: يفسح الله لكم ولم يقيّده بالمجالس ايهاماً للتّعميم يعنى يفسح الله لكم فى المجالس والارزاق والصّدور فى الدّنيا والآخرة، واذا قيل: ارتفعوا وقوموا عن مجالسكم فقوموا ولاتغتمّوا بذلك [يَرْفَعِ اللّٰهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ] فى الدّنيا بحسن الصّيت والاعزاز من الخلق والتّبسّط عليهم وفى الآخرة فى درجات الجنان [وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجٰاتٍ] خصّص المؤمنين برفع الدّرجات لانّ غير المؤمنين لادرجة ولارفع درجة لهم لانّ اجر العمل مشروط بالايمان، وخصّص العلماء من بينهم بالذّكر لشرفهم وعلوّ درجاتهم بالنّسبة الى المؤمنين، فانّ فضل العالم على سائر النّاس كفضل النّبىّ (ص) على سائر الخلق اوكفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، والشّفعاء يوم القيامة ثلاثة، الانبياء (ع) ثمّ العلماء ثمّ الشّهداء، ويوزن دماء الشّهداء مع مداد العلماء فيرجّح مداد العلماء على دماء الشّهداء [وَاللّٰهُ بِمٰا تَعْمَلُونَ] من امتثال اوامره ونواهيه ومخالفتهما [خَبِيرٌ] ترغيبٌ وتهديدٌ [يٰاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذٰا نٰاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوٰيكُمْ صَدَقَةً] لمّا كان هذا الادب مكروهاً لاكثر النّفوس صدّره بالنّداء.

اعلم، انّ المناجاة ههنا اعمّ من المسارّة والمحاورة والمسائلة الجهريّة وانّ المتحاورين اذا لم يكونا متناسبين لم تكن المحاورة بينهما مؤثّرة فى جانب الآخرة ولاموّرثة للتّوافق ولاتنجح المسؤل فانّ المحاورة مع الرّسول (ص) من حيث انّه رسول لاتكون الّا فى امور الآخرة وينبغى ان تكون مقرّبة اليها، واذا لم تكن بين المناجى والرّسول (ص)

مناسبة لم تكن مناجاته مؤثّرة ولا مقرّبة الى الآخرة بل كانت مؤثّرة فى عكس المراد ومبعّدة من الآخرة والرّسول (ص) لانّه كما فى الخبر لايجلس اثنان الّا و يقومان بزيادة اونقيصة ، الم يكن ابوجهل يحاور كثيراً الرّسول (ص) ولم تكن محاورته مؤثّرة بل كانت مبعّدة، فالرّبّ تعالى بكمال رأفته امر العباد بتقديم الصّدقة الّتى هى كناية عن كسر الانانيّة الّتى هى ضدّ للرّسول (ص) ومشاقة له حتّى يوافق المناجى له بعض الموافقة فيتأثّر من محاورته على انّ فى التّصدّق بأمر الله تعالى نفعاً للفقراء و مسّاً ليد الرّسول (ص) وتعظيماً له وامتثالاً لامر الله تعالى وكسر الانانيّة الّتى هى شبكة الشّيطان واعظم معصية للانسان وتميزاً للمخلص عن غيره ، روى عن علىّ (ع) انّه قال فى كتاب الله لاية ما عمل بها احد قبلى ولا يعمل بها احد بعدى، آية النّجوى انّه كان لى دينار فبعته بعشرة دراهم فجعلت اقدّم بين يدى كلّ نجوى اناجيها النّبىّ (ص) درهماً قال: فنسخها قوله اأشفقتم (الى قوله) خبير بما تعملون [ذٰلِكَ] التّصدّق اوالتّناجى [خَيْرٌ لَكُمْ] لانّه ادخل فى النّجح وفى التّأثّر بمحاورة الرّسول (ص) [وَاَطْهَرُ] لانفسكم من رجس الانانيّة وحبّ المال والرّغبة فى الدّنيا [فَاِنْ لَمْ تَجِدُوا] صدقة تقدّموها امام نجويكم فلايضرّكم عدم التّقديم [فَاِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ] يغفر بفضله رجس انانيّاتكم وان لم تتصدّقوا صدقة فيها كسرها [رَحِيمٌ] يرحمكم بنجح مسؤلكم وتأثّركم بمحاورة الرّسول (ص) بدون التّصدّق [ءَاَشْفَقْتُمْ] على ما فى ايديكم ومن الفقر والحاجة [اَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىْ نَجْوٰيكُمْ صَدَقَاتٍ] جمع الصّدقات ههنا لملاحظة جمع المناجين ، اوللاشارة الى انّ فى الصّدقة الصّوريّة كسراً للانانيّة وهو صدقة من الانانيّة ، وخشوعاً للقلب وهو تصدّق من القلب ، وخضوعاً من الجسد وهو تصدّق منه ، وتوجّهاً من القوى الدّرّاكة الى الرّسول (ص) والى جهة الآخرة ، وامتثالاً لامر الله وحركات من القوى العمّالة فى جهة الآخرة وهى تصدّقات منها [فَاِذْ لَمْ تَفْعَلُوا] تقديم الصّدقات [وَتَابَ اللّٰهُ عَلَيْكُمْ] بان رخّص لكم فى تركه ، عن امير المؤمنين (ع) فى هذه الآية فهل تكون التّوبة الّا عن ذنب [فَاَقِيمُوا الصَّلٰوةَ وَاٰتُوا الزَّكٰوةَ] جبراناً لتقصير ترك الصّدقة امام المناجاة فانّ الحسنات يذهبن السّيّئات فانّ فى الصّلٰوة توجّهاً الى الآخرة نحو التّوجّه فى التّصدّق ، وفى الزّكوة كسراً للانانيّة مثل ما فى التّصدّق امام المناجاة [وَاَطِيعُوا اللّٰهَ وَرَسُولَهُ] فى سائر ما أمراكم به ونهياكم عنه [وَاللّٰهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ] ترغيبٌ فى الامتثال و تهديدٌ من تركه [اَلَمْ تَرَ اِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ] قيل المراد منهم قوم من المنافقين كانوا يوالون اليهود و يفشون اليهم اسرار المؤمنين و يجتمعون معهم على ذكر مساءة النّبىّ (ص) والمؤمنين [مَا هُمْ مِنْكُمْ] لعدم ايمانهم باطناً [وَلَا مِنْهُمْ] لاقرارهم اللّسانىّ بالاسلام [وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ] اى على عدم مجالستهم لهؤلاء القوم ، اوعدم استماعهم الى ازدراء المؤمنين ، اوعلى قصد تقوية الدّين والكلّ كذب منهم [وَهُمْ يَعْلَمُونَ] انّهم يحلفون على الكذب [اَعَدَّ اللّٰهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا اِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ اِتَّخَذُوا اَيْمَانَهُمْ جُنَّةً] معنويّةً لدفع لوم المسلمين وحفظ عرضهم و مالهم من المسلمين بصورة الاسلام و من الكفّار بالمسلمين [فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ] بصدّ قويهم عن طريق القلب و بتشكيك الضّعفاء من المسلمين ومنع الرّاغبين فى الاسلام من الكافرين ، او يتّخذ الغاصبون بحقّ آل محمّد (ص) ايمانهم عند المسلمين جنّة يدفعون بها ظنّ المسلمين بهم النّفاق و يدفعون بها لوم اللّائمين لهم على الانحراف ، فيصدّون خلقاً كثيراً عن سبيل الله الّذى هو الولاية وهو امير المؤمنين (ع) ،وقرئ ايمانهم بكسر الهمزة يعنى اتّخذوا صورة اسلامهم جنّة يدفعون بها لوم المسلمين ومعارضتهم ومقاتلتهم معهم و يدفعون بها معارضة الكفّار ومقاتلتهم معهم [فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ]

لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ اَمْوالُهُمْ وَلا اَوْلادُهُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا] من الاغناء او من عذاب الله [اُولٰئِكَ اَصْحابُ النّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعًا] ظرف لقوله تعالى لن تغنى او ليحلفون ، على ان يكون الفاء زائدة او بتقدير امّا اوتوهّمها [فَيَحْلِفُونَ لَهُ] اى لله فى القيامة [كَما يَحْلِفُونَ لَكُمْ] فى الدّنيا [وَيَحْسَبُونَ اَنَّهُمْ عَلٰى شَيْءٍ] حيث يقولون انّما اردنا بذلك تقوية الدّين ونشرسنّة سيّد المرسلين (ص) و يحلفون لله ظنّاً منهم انّ هذا منهم كان حقّاً وانّ الله يقبل منهم بحلفهم [اَلا اِنَّهُمْ هُمُ الْكاذِبُونَ] البالغون فى الكذب لانّ كذبهم مثل جهلهم مركّب لاعلاج له لانّهم اعتقدوا انّهم صادقون فلايمكن ارتداعهم من كذبهم .

اعلم، انّ كلّ من اتّصف بصفة وطلب امراً يعتقد انّ اتّصافه بتلك الصّفة محمود مرضىّ لله وطلبه لذلك الامر المطلوب مرضىّ الّا من شذّ كما انّ علماء العامّة الّذين ارادوا اصلاح الدّين وحفظه بالقياس والرّأى والظّنّ والاستحسان الّتى ابتدعوها وليس هذا الّا هدم الدّين وصدّ العباد عن الائمّة (ع) والعلماء يحسبون انّهم مهتدون وانّهم مصلحون للدّين وللعباد ، وانّ للمصيب منهم اجرين وللمخطى اجراً واحداً بل قال المصوّبة منهم ان لاخطاء فى آرائهم وانّ حكم الله تابع لآرائهم وهكذا كان الحال فيهم الى يومنا هذا [اِسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطانُ] استولى وغلب عليهم بحيث تمكّن منهم [فَاَنْسٰيهُمْ ذِكْرَ اللهِ] الفطرىّ او الاختيارىّ [اُولٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطانِ اَلا اِنَّ حِزْبَ الشَّيْطانِ هُمُ الْخاسِرُونَ] لاتلافهم بضاعتهم الّتى هى فطرتهم الانسانيّة ومدّة اعمارهم الشّريفة واخذ العذاب المؤبّد عوضها وعوض النّعيم الابدىّ الّذى كان مقرّراً لفطرتهم وعوضاً لاعمارهم،وقيل فى قوله يوم يبعثهم الله اذا كان يوم القيامة جمع الله الّذين غصبوا آل محمّد (ص) حقّهم فيعرض عليهم اعمالهم فيحلفون له انّهم لم يعملوا منها شيئاً كما حلفوا لرسول الله (ص) فى الدّنيا حين حلفوا ان لايردّوا الولاية فى بنى هاشم ، وحين همّوا بقتل رسول الله (ص) فى العقبة فلمّا اطلع الله نبيّه (ص) واخبره حلفوا له انّهم لم يقولوا ذلك ولم يهمّوا به حين انزل الله على رسوله (ص) يحلفون بالله ماقالوا ولقد قالوا كلمة الكفر و همّوا بما لم ينالوا، ومنقموا الّا ان اغناهم الله ورسوله (ص) من فضله فاذا عرض الله عزّوجلّ ذلك عليهم فى القيامة ينكرونه و يحلفون له كما حلفوا لرسول الله (ص) [اِنَّ الَّذِينَ يُحادُّونَ اللهَ وَرَسُولَهُ] يغاضبونه او يناهضونه فى الحرب او يخالفونه [اُولٰئِكَ فِي الْاَذَلِّينَ] فى جملة من هو اذلّ الخلق [كَتَبَ اللهُ] تعليل للسّابق [لَاَغْلِبَنَّ] لمّا اجرى كتب مجرى القسم فى الاتيان به للتّأكيد أتى له بجواب مثل جواب القسم [اَنَا وَرُسُلِي] فى الدّنيا بالحجّة والدّين وعلى جنود الشّياطين الّذين كانوا فى مملكتهم وان صاروا مغلوبين بحسب اجسامهم بعض الاحيان [اِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ] تعليل للسّابق [لاتَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ يُوادُّونَ مَنْ حادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كانُوا اٰباءَهُمْ اَوْاَبْناءَهُمْ اَوْاِخْوانَهُمْ اَوْعَشِيرَتَهُمْ] وذلك لانّ نسبة الايمان الى صاحب الايمان اذا ظهرت وقويت غلبت على النّسب الجسمانيّة لانّ الانسان بالبيعة الخاصّة الولويّة ودخول الايمان والصّورة الولويّة فى قلبه بالبيعة يصير فعليّته الاخيرة هى فعليّة الايمان و يكون الحكم لتلك الفعليّة لا للفعليّات السّابقة الّتى هى كالمادّة و يكون محبّته ناشئة عن تلك الفعليّة ، وتلك الفعليّة مضادّة لمن حادّ الله و رسوله فلايصير محبّته النّاشئة عن صورة ولىّ الامر متعلّقة بمن ضادّ تلك الفعليّة [اُولٰئِكَ كَتَبَ] اى كتب الله، وقرئ كتب مبنيّاً للمفعول اى ثبت و رسخ [فِي قُلُوبِهِمُ الْاِيمانَ] وهو الصّورة الدّاخلة فى قلوبهم من ولىّ امرهم [وَاَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ] المقصود من الرّوح هو ربّ النّوع الانسانىّ وتأييده بالرّوح بان يوكّل عليه ملكاً من جنود هذه الرّوح يؤيّده و يسدّده به

فانّ لقلب المؤمن اذنين اذن ينفث فيها الوسواس الخنّاس واذن ينفث فيها الملك الموكّل عليه من قبل ربّ النّوع، وعن الكاظم (ع) انّ الله تبارك وتعالى ايّد المؤمن بروحٍ منه فتحضره فى كلّ وقت يحسن فيه وتبقى وتغيب عنه فى كلّ وقتٍ يذنب فيه ويعتدى فهى معه تهتزّ سروراً عند احسانه وتسيخ(١) فى الثّرى عند اساءته فتعاهدوا عباد الله نعمه باصلاح انفسكم تزدادوا يقيناً وتربحوا نفيساً ثميناً، رحم الله امرءً همّ بخيرٍ فعمله وهمّ بشرّ فارتدع عنه، ثمّ قال : نحن نؤيّد بالرّوح بالطّاعة لله والعمل له هذا فى الدّنيا [وَيُدْخِلُهُمْ جَنّاتٍ تَجْرى مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهارُ] قد مضى بيان جريان الانهار من تحت الجنّات فى آخر سورة آل عمران [خالِدينَ فيها رَضِىَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ] .

اعلم، انّ انفحة الولاية الّتى تدخل قلوب المؤمنين كما انّها سبب انعقاد القلب على الايمان تكون مادّة رضوان الله عن عباده كما قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام ديناً، ولمّا كان قبول الولاية بالبيعة الخاصّة مادّة لرضوان الله لم يقدّم رضا العباد على رضاه كما قدّم ما للعباد فى سائر الاوصاف على صفته مثل اذكرونى اذكركم، واوفوا بعهدى اوف بعهدكم ولئن شكرتم لازيدنّكم [اُولٰئِكَ حِزْبُ اللهِ اَلا اِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ] .

اعلم ، انّ الانسان ان دخل الايمان الّذى هو صورة ولىّ امره فى قلبه بالبيعة مع ولىّ امره والتّوبة على يده صار فعليّته الاخيرة فعليّة ولىّ امره وولىّ امره من جند الله فيصير البائع بتلك البيعة بواسطة تلك الفعليّة من جند الله، و ينصر بوجوده وجنود مملكته ولسان قاله وحاله دين الله، و يقاتل بفطرته و باختياره مع جنود الشّيطان و يدعو عباد الله بوجوده ولسان حاله وقاله الى الله ، ومن تمكّن فى الجهل و اتّباع الشّيطان صار من حزب الشّيطان وكان للشّيطان مثل من كان من حزب الله لله ، ومن لم يدخل الايمان فى قلبه ولم يتمكّن فى اتّباع الشّيطان لا يحكم عليه بشيء من كونه من جنود الرّحمن اوالشّيطان كما لا يحكم عليه بالنّقمة اوالنّعمة بل كان مرجىً لامر الله الى الاعراف امّا يعذّبه و امّا يتوب عليه .

سورة الحشر

مدنيّة ، اربع وعشرون آيةً .

بسم الله الرّحمن الرّحيم

[سَبَّحَ لِلّهِ ما فِى السَّمٰواتِ وَما فِى الْاَرْضِ وَهُوَ الْعَزيزُ الْحَكيمُ هُوَ الَّذى اَخْرَجَ الَّذينَ كَفَرُوا مِنْ اَهْلِ الْكِتابِ مِنْ دِيارِهِمْ لِاَوَّلِ الْحَشْرِ] الحشر اخراج جمع من مكان الى آخر والمعنى اخرجهم فى اوّل حشر المؤمنين اليهم للقتال ، او فى اوّل حشرهم من حصونهم للقتال ، اولاجل حشرهم الاوّل الى الشّام اوالى خيبر وثانى حشرهم الى القيامة اوالى الشّام، اووقت ظهور القائم (ع) من الشّام، اوفى القيامة من الشّام ، اوالمعنى فى اوّل حشرٍ وجلاءٍ وقع فى زمان الرّسول (ص) وبعده وقع جلاءٌ وحشرٌ لغيرهم على يد الرّسول (ص) [ما ظَنَنْتُمْ اَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا اَنَّهُمْ مانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللهِ] اى من بأس الله [فَاَتٰيهُمُ اللهُ] اى أتاهم عذابه او بأسه اوخليفته [مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا] لقوّة وثوقهم واعتمادهم على حصونهم فأتاهم بأس الله فى حصونهم، عن القمّىّ سبب ذلك انّه كان بالمدينة ثلاثة ابطن من اليهود، بنى النّضير وقريظة وقينقاع وكان بينهم و بين رسول الله (ص) عهد ومدّة فنقضوا

(١) ساخ يسيخ ويسوخ = دخل وغاب و رسخ وخسف .

عهدهم وكان سبب ذلك بنى النّضير وذلك انّه اتاهم رسول الله (ص) يستسلفهم دية رجلين قتلهما رجلٌ من اصحابه غيلةً يعنى يستقرض، وكان (ص) قصد كعب بن الاشرف فلمّا دخل على كعب قال: مرحباً يا اباالقاسم واهلاً وقام كأنّه يصنع له الطّعام وحدّث نفسه ان يقتل رسول الله (ص) ويتبع اصحابه، فنزل جبرئيل فأخبره بذلك فرجع رسول الله (ص) الى المدينة وقال لمحمّد بن مسلمة الانصاريّ: اذهب الى بنى النّضير فأخبرهم انّ الله تعالى قد أخبرنى بما هممتم به من الغدر فامّا ان تخرجوا من بلدنا وامّا ان تأذنوا بحرب، فقالوا: نخرج من بلادك فبعث اليهم عبدالله بن اُبىّ: الّا تخرجوا وتقيموا وتنابذوا محمّداً الحرب فانّى انصركم انا وقومى وحلفائى، فان خرجتم خرجت معكم وان قاتلتم قاتلت معكم، فأقاموا وأصلحوا حصونهم وتهيّؤا للقتال وبعثوا الى رسول الله (ص) انّا لانخرج فاصنع ما انت صانع، فقام رسول الله (ص) وكبّر وكبّر اصحابه وقال لاميرالمؤمنين (ع): تقدّم الى بنى النّضير فأخذ اميرالمؤمنين (ع) الرّاية وتقدّم وجاء رسول الله (ص) واحاط بحصنهم وغدر بهم عبدالله بن ابىّ وكان رسول الله (ص) اذا ظهر بمقدّم بيوتهم حصّنوا مايليهم وخرّبوا مايليه، وكان الرّجل منهم ممّن كان له بيت حسن خرّبه وقد كان رسول الله (ص) امر بقطع نخلهم فجزعوا من ذلك وقالوا: يا محمّد (ص) انّ الله يأمرك بالفساد؟! ان كان لك هذا فخذه، وان كان لنا فلا تقطعه، فلمّا كان بعد ذلك قالوا: يامحمّد (ص) نخرج من بلادك فأعطنا مالنا، فقال: لا، ولكن تخرجون ولكم ماحملت الابل، فلم يقبلوا ذلك، فبقوا ايّاماً ثمّ قالوا: نخرج ولنا ماحملت الابل، فقال: لا، ولكن تخرجون ولا يحمل احدٌ منكم شيئاً فمن وجدنا معه شيئاً من ذلك قتلناه، فخرجوا على ذلك ووقع قومٌ منهم الى فدك ووادى القرى، وخرج قوم منهم الى الشّام، وقيل: لمّا غزا رسول الله (ص) غزاة بدرٍ قال بنوالنّضير: هذا هوالنّبىّ الموعود انّه لا تردّ له راية، فلمّا غزا غزاة احدٍ وهزم المسلمون ارتابوا، وكان بينهم وبين محمّدٍ (ص) عهد فنقضوا العهد وركب كعب بن الاشرف فى اربعين راكباً منهم الى مكّة، فأتوا قريشاً واباسفيان وحالفوا على ان يكون كلمتهم واحدةً على محمّد (ص)، فأخبرالله تعالى رسوله (ص) بذلك، فلمّا ورد كعب بن الاشرف امرالله رسوله (ص) بقتل كعب بن الاشرف فأمر محمّد بن مسلمة وكان اخا كعب من الرّضاعة بقتله فخرج محمّد ومعه اربعة رجال وذهب الى قرب قصره واجلس قومه عند جدارٍ وناداه: ياكعب، فانتبه، وقال: من انت؟ - قال: انا محمّد بن مسلمة اخوك، جئتك استقرض منك دراهم فانّ محمّداً (ص) يسألنا الصّدقة وليس معنا الدّراهم فقال: لااقرضك الّا بالرّهن، قال: معى رهنٌ انزل فخذه، وكانت له امرأة بنى بها تلك اللّيلة، فقالت: لادعك تنزل لانّى ارى حمرة الدّم فى ذلك الصّوت فلم يلتفت اليها فخرج، وعانقه محمّد بن مسلمة وهما يتحادثان حتّى تباعدا من القصر الى الصّحراء، ثمّ أخذ رأسه ودعا بقومه وصاح كعب فسمعت امرأته وصاحت وسمع بنوالنّضير صوتها فخرجوا نحوه فوجدوه قتيلاً. ورجع القوم سالمين الى رسول الله (ص)، فأمر رسول الله (ص) بحربهم. قيل: كان اجلاء بنى النّضير مرجع النّبىّ (ص) من اُحدٍ وكان فتح قريظة مرجعه من الاحزاب، وبينهما سنتان. وقيل: كان اجلاء بنى النّضير قبل اُحدٍ على رأس ستّة اشهر من وقعة بدر، وقيل: كان ذلك بعد الحديبية، واليه اشار المولوىّ قدّس سرّه بقوله:

وقت وا گشت حديبيّه رسول	در تفكّر بود و غمگين و ملول
ناگهان اندر حق شمع رسل	دولت انّا فتحنا زد دهل
آمدش پيغام از دولت كه رو	تو ز منع اين ظفر غمگين مشو
كاندر اين خوارى بنقدت فتحهاست	نك فلان قلعه فلان قلعه تراست
بنگر آخر چونكه وا گرديد تفت	برقريظه و بر نضير از وى چه رفت

[وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ] كانت بنو النّضير يخربون بيوتهم

بأيديهم ضنّةً بها على المسلمين واخراجاً لآلاته النّفيسة وتوسعةً للقتال ومجالة مع المسلمين وتحصّناً باطرافها الّتى تليهم بجمع آلات الاطراف الّتى تلى المسلمين فى الاطراف الّتى تليهم [وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ] فانّ المؤمنين ايضاً كانوا يخربون الاطراف الّتى تليهم من بيوتهم لتوسعة القتال وامكان الوصول اليهم ، ولمّا كانوا سبباً لقتال المسلمين بنقض العهد نسب الاخراب بايدى المؤمنين اليهم، وقرئ يخرّبون بتشديد الرّاء [فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ] فاتّعظوا بحالهم فانّ الاعتبار عبارة عن ان ينظر الرّجل الى امر حسن اوالى امر قبيح وان ينظر الى عاقبته ومايترتّب عليه ثمّ عطف النّظر الى نفسه فارتدع عن القبيح ورغب فى الحسن، وتمسّك بعض من اعتبر القياس بمثل هذه الآية ولا يخفى عدم دلالتها على اعتبار القياس [وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا] مثل بنى قريظة [وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ] يعنى انّ عذاب النّار ثابت لهم فى الآخرة وان لم يعذّبوا فى الدّنيا [ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ] عاندوا الله ورسوله (ص) ونبذوا عهده [وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ] فى الدّنيا والآخرة يعنى يعاقبه بشدّة العقوبة لانّ الله شديد العقاب [مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ] اللّينة اردء التّمر ، اوماكان اجناساً غير معروفة ، ونسب الى الصّادق (ع) انّه قال : يعنى العجوة وهى امّ التّمر وهى الّتى انزلها الله من الجنّة لآدم (ع) [أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ] جواب عمّا قالوا : يا محمّد انّ الله يأمرك بالفساد ؟ ! حين قطع النّخل [وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ] بغيظهم وحسرتهم على قطع نخيلهم فى حضورهم [وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ] اى ردّه اليه .

اعلم، انّ تمام ماسوى الله مملوك للحقّ تعالى شأنه نحو مملوكيّة القوى العلّامة والعمّالة للنّفس الانسانيّة بل نحو مملوكيّة الصّور الذّهنيّة للنّفس الانسانيّة وانّ الانسان كلّما رقى مرتبة من المراتب الانسانيّة كان المرتبة الدّانية فى عين مملوكيّته خليفة للمرتبة العالية مثلاً اذا عرج الانسان عن مقام النّفس الى مقام القلب صار مقام النّفس مملوكاً للقلب وخليفة له فى التّصرّف فى القوى، وصارت القوى كما انّها مملوكة للقلب مملوكة للنّفس بعد القلب وهكذا، وانّ الله تعالى مالك لجميع ماسواه وبعده تعالى العقول مالكة لمادونها، وبعدها النّفوس الكلّيّة مالكة، وبعدها النّفوس الجزئيّة مالكة، هذا فى النّزول، وامّا فى الصّعود وهو مختصّ بالانسان، فاذا استكمل الانسان واتّصل بعالم الملأ الاعلى صار مالكاً لمادونه وخليفة لله فيما دونه فكلّما فى عالم الطّبع فهو لله، وما كان لله فهو لرسوله (ص) ، وما كان لرسوله (ص) فهو للائمّة (ع) ، وما كان للائمّة (ع) فهو مباح لشيعتهم كما قال تعالى: قل هى للّذين آمنوا فى الحيوة الدّنيا خالصة يوم القيامة ، وما كان فى ايدى الاغيار فهو مغصوب فى ايديهم ، وما اخذه الرّسول (ص) والائمّة (ع) والمؤمنون منهم فهو حقّهم الّذى كان مأخوذاً منهم غصباً وصار عائداً الى اهله الّذين كانوا مالكين له ولذلك سمّى فيئاً [فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ] وجف يجف اضطرب، والوجيف ضرب من سير الخيل والابل [مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ] الخيل جماعة الافراس لاواحد له ، او واحده الخائل ، ويطلق على جماعة الفرسان ، والرّكاب ككتاب الابل واحدتها الرّاحلة ، قيل : نزلت هذه الآية فى غنائم بنى النّضير والآية الآتية فى سائر اموال الكفّار الّتى يفيئها الله على رسوله (ص)، وقيل : كلتاهما نزلتا فى غنائم بنى قريظة وبنى النّضير كانوا بقرب المدينة فمشوا الى قراهم سوى الرّسول (ص) فانّه ركب حماراً اوجملاً ولم يجر مزيد قتال ولذلك لم يعط الانصار منها شيئاً الّا رجلين او ثلاثةً وفى غنائم خيبر وفدك ، وقرى عرينه وينبع ، والآية الاولى لبيان عدم استحقاق

المقاتلين بحقّ المقاتلة ، والآية الثّانية لبيان المصرف [وَلٰكِنَّ اللّٰهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلٰى مَنْ يَشٰاءُ وَاللّٰهُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مٰا أَفٰاءَ اللّٰهُ عَلٰى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرٰى فَلِلّٰهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبٰى] اى ذى قربى الرّسول (ص) [وَالْيَتٰامٰى وَالْمَسٰاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ] من قرابات الرّسول (ص) وقد خصّص فى الاخبار كلّ ذلك باقرباء الرّسول (ص) [كَيْلٰا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيٰاءِ مِنْكُمْ] الدّولة بالفتح و الضّمّ المال الّذى يتداولونه بينهم، او بالضّمّ فى المال ، و بالفتح فى الحرب، او بالضّمّ فى الآخرة ، و بالفتح فى الدّنيا ،كذا فى القاموس [وَمٰا آتٰيكُمُ الرَّسُولُ] اى ما اعطاكم من غنائم بنى النّضير ، او من مطلق الغنائم ، او من مطلق الاموال و الاوامر [فَخُذُوهُ وَمٰا نَهٰيكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللّٰهَ] فى مخالفة الرّسول (ص) [إِنَّ اللّٰهَ شَدِيدُ الْعِقٰابِ] عن الصّادق (ع) انّ الله عزّوجلّ ادّب رسوله (ص) حتّى قومه على ما اراد ثمّ فوّض اليه فقال عزّ ذكره : ما آتاكم الرّسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ، فمافوّض الله الى رسوله (ص) فقد فوّضه الينا ، والاخبار فى تفويض امر العباد الى رسول الله (ص) كثيرة و انّه صلّى الله عليه و آله احلّ وحرّم اشياء فأجازه الله تعالى ذلك له [لِلْفُقَرٰاءِ الْمُهٰاجِرِينَ] بدل من قوله لذى القربى، او بدل من مجموع قوله لله وللرّسول و يكون ابداله بالنّسبة الى الله ورسوله نحو بدل الاشتمال ، و بالنّسبة الى ذى القربى ومابعده نحو بدل الكلّ من الكلّ والمراد بالمهاجرين من هاجر من مكّة اومن سائر بلاد الكفر الى المدينة اومن هاجر السّيّئات الى الحسنات ، اومن هاجر من دار النّفس الامّارة الى دار النّفس اللّوامة ، ومنها الى النّفس المطمئنّة اللّتين هما دار الاسلام، ومنها الى القلب الّذى هو دار الايمان [اَلَّذِينَ أُخْرِجُوا] صفة للفقراء او ابتداء كلام و مبتدأ و يبتغون خبره ، او اولئك هم الصّادقون خبره و الجملة فى مقام التّعليل ، ووضع الظّاهر موضع المضمر ليكون بعقد الوضع دالّاً على علّة الحكم ايضاً والمقصود انّهم اخرجهم الكفّار من مكّة اومن سائر بلادهم ، او اخرجهم الملائكة من بلاد الكفر ، اومن مراتب نفوسهم وقال: اخرجوا دون خرجوا للاشعار بانّ الخارج من وطنه اومن مقام الى مقام ان لم يكن بحسب الظّاهر له مخرجٌ فهو خارج بمخرجٍ باطنيٍّ وليس خارجاً بنفسه فيكون خروجه نعمة من ربّه [مِنْ دِيٰارِهِمْ وَأَمْوٰالِهِمْ يَبْتَغُونَ] فى ذلك الخروج [فَضْلًا مِنَ اللّٰهِ وَرِضْوٰانًا] الفضل كما تكرّر ذكره النّعم الصّوريّة والرّسالة واحكامها وقبولها ، والرّضوان الولاية وآثارها وقبولها [وَيَنْصُرُونَ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ أُولٰئِكَ هُمُ الصّٰادِقُونَ وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُا الدّٰارَ] عطف على الفقراء المهاجرين اوعلى المهاجرين اوعلى الّذين اخرجوا اومبتدء وخبره يحبّون من هاجر اليهم والجملة معطوفة على سابقتها والمعنى الّذين اقاموا فى دورهم وهم الانصار الّذين لم يكن لهم ان يخرجوا لهجرة الرّسول (ص) اليهم [وَالْإِيمٰانَ] يعنى اقاموا فى الايمان فانّ الاوصاف كثيراً يحكم عليها بحكم الظّروف [مِنْ قَبْلِهِمْ] اى من قبل المهاجرين فيكون المراد الّذين آمنوا بمكّة ثمّ رجعوا الى المدينة وانتظروا قدوم محمّد (ص)، اوالمعنى تبوّأوا الدّار والايمان من قبل هجرة المهاجرين [يُحِبُّونَ مَنْ هٰاجَرَ إِلَيْهِمْ] من المؤمنين المهاجرين لانّهم احسنوا الى المهاجرين و اسكنوهم دورهم واشركوهم فى اموالهم [وَلٰا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حٰاجَةً مِمّٰا أُوتُوا] اى المهاجرون اى لا يجد الّذين تبوّأوا الدّار فى انفسهم حسداً اوغيظاً لازماً للحاجة والفقر ناشئاً ممّا اوتى المهاجرون ، اومن اجل ما اوتى المهاجرون

من غنائم اهل القرى اوغنائم بنى النّضير، اوممّا اوتوا من الفضل الصّورىّ والمعنوىّ لتسليمهم لقسم الله وتوكّلهم على الله ورضاهم بما آتى الله العباد من الفضل الصّورىّ والمعنوىّ، اولا يجدون فى صدورهم حاجة فى شيءٍ من الاشياء لاجل ما اوتوا من قوّة اليقين وقوّة التّوكّل واستغناء القلب فيكون حينئذٍ مرفوعاً او توا راجعاً الى الّذين تبوّؤا الدّار [وَيُؤْثِرُونَ] المؤمنين المهاجرين [عَلٰى اَنْفُسِهِمْ] بان يقدّموا المؤمنين فى حظوظهم النّفسانيّة وفى افضال الله بحسب الظّاهر والباطن [وَلَوْ كٰانَ بِهِمْ خَصٰاصَةٌ] فقر وحاجة [وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ] يعنى من حفظه الله من شحّ نفسه والشّحيح ابلغ من البخيل فانّ البخيل من يبخل بما فى يده ولا يعطيه لمستحقّه، والشّحيح من يبخل بمال الغير بمعنى انّه يريد ان يكون ما فى يد الغير له و يحتال فى اخذ ما فى يد الغير بالحلال او الحرام، وقيل: شحّ النّفس هو اخذ الحرام ومنع الزّكوة [فَاُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ] روى انّه جاء رجل الى رسول الله (ص) فشكى اليه الجوع فبعث رسول الله (ص) الى بيوت ازواجه فقلن: ماعندنا الّا الماء، فقال رسول الله (ص): من لهذا الرّجل اللّيلة؟ فقال علىّ بن ابى طالب (ع): انا له يا رسول الله (ص)، وأتى فاطمة (ع) فقال لها: ما عندك يا ابنة رسول الله؟، فقالت: ما عندنا الّا قوت العشيّة لكنّا نؤثر ضيفنا، فقال يا ابنة محمّدٍ (ص) نوّمى الصّبية واطفئ المصباح، فلمّا اصبح علىّ (ع) غدا على رسول الله (ص) فأخبره الخبر فلم يبرح حتّى انزل عزّ وجلّ: و يؤثرون على انفسهم (الآية)، وقيل: انّه اهدى لبعض الصّحابة رأسٌ مشوىّ وكان مجهوداً فوجّه به الى جارٍ له فتداولته تسعة ثمّ عاد الى الاوّل فنزل: و يؤثرون على انفسهم. وقيل: قال رسول الله (ص) يوم بنى النّضير للانصار: ان شئتم قسّمتم للمهاجرين من اموالكم ودياركم وتشاركونهم فى هذه الغنيمة، وان شئتم كانت لكم دياركم واموالكم ولم يقسّم لكم شيءٌ من الغنيمة فقال الانصار: بل نقسّم لهم من اموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولانشاركهم فيها، فنزلت الآية. وقيل: نزلت فى سبعةٍ عطشوا فى يوم اُحدٍ فجيئ بماءٍ يكفى لاحدهم فقال واحد منهم: ناول فلاناً حتّى طيف على سبعتهم وماتوا ولم يشرب احد منهم، فأثنى الله سبحانه عليهم بهذه الآية.

[وَالَّذِينَ جٰاؤُ مِنْ بَعْدِهِمْ] عطف على المهاجرين، اوعلى الفقراء، اوعلى من هاجر اليهم عطف المفرد، او مبتدأٌ وخبره يقولون والمعنى الّذين يجيئون من بعد المهاجرين من مكّة اومن سائر البلاد، اوالّذين يجيئون من بعد المهاجرين والانصار من سائر المؤمنين من العدم الى الوجود [يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنٰا وَلِاِخْوٰانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونٰا بِالْاِيمٰانِ] اى سبقونا فى رتبة الايمان اوسبقونا فى اصل الايمان والتّوصيف به لبيان وجه الاخوّة وانّها اخوة فى الدّين [وَلٰا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنٰا غِلًّا] اى حقداً [لِلَّذِينَ اٰمَنُوا رَبَّنٰا اِنَّكَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ] تجيب عبادك برأفتك [اَلَمْ تَرَ] يا محمّد (ص) اومن يمكنه الرّؤية [اِلَى الَّذِينَ نٰافَقُوا] وهو عبدالله بن اُبىّ [يَقُولُونَ لِاِخْوٰانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ اَهْلِ الْكِتٰابِ] يعنى بنى النّضير [لَئِنْ اُخْرِجْتُمْ] من دياركم [لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلٰا نُطِيعُ فِيكُمْ اَحَدًا اَبَدًا] يعنى لانطيع محمّداً (ص) واصحابه فى القتال معكم [وَاِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللّٰهُ يَشْهَدُ اِنَّهُمْ لَكٰاذِبُونَ لَئِنْ اُخْرِجُوا لٰا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لٰا يَنْصُرُونَهُمْ] وكان كذلك حيث وعدهم ابن اُبىّ ثمّ تخلّف كما مضى [وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ] قضيّة فرضيّة فانّه لم يقع منهم نصرٌ لهم [لَيُوَلُّنَّ الْاَدْبٰارَ ثُمَّ لٰا يُنْصَرُونَ لَاَنْتُمْ اَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللّٰهِ] لانّهم لايخافون من الله و يخالفونه و يخافون منكم و يوافقونكم [ذٰلِكَ بِاَنَّهُمْ قَوْمٌ لٰا يَفْقَهُونَ] لا يعلمون علماً دينيّاً اخرويّاً وكان ادراكاتهم محصورةً على ظاهر

الدّنياولذلك لايخافون من الله و يخافون منكم [لَايُقَاتِلُونَكُمْ] ايّها المؤمنون [جَمِيعًا] اى المنافقون واليهود اذا اجتمعوا لايقاتلونكم [اِلَّافِى قُرىً مُحَصَّنَةٍ] لخوفهم منكم وهذه تجرئة للمؤمنين [اَوْمِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ] ولكن لالقاء الرّعب فى قلوبهم لايجترئون على مقاتلتكم لا لضعف وجبن فيهم [تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتّٰى] كما انّ هذا شأن جميع اهل الدّنيا تكون ابدانهم مجتمعةً وقلوبهم متفرّقةً [ذٰلِكَ بِاَنَّهُمْ قَوْمٌ لَايَعْقِلُونَ] لاعقل لهم ، اولايدركون بعقولهم ، اولايتعقّلون ما فيه صلاحهم [كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ] متعلّق بواحدٍ من الافعال السّابقة ، اوخبر مبتدءٍ محذوفٍ والتّقدير مثلهم فى ذلك كمثل الّذين من قبلهم والمراد بمن قبلهم بنوقينقاعٍ ، اوالّذين قتلوا ببدرٍ اوكلّ ابناء الدّنيا، فانّ من كان من اهل الدّنيا حاله ان لايفى بوعده ان لم يكن فى الوفاء نفعه الدّنيوىّ وكان من يشاهدونهم اشدّ رهبة فى صدورهم ممّن لايشاهدونه وتحسبهم جميعاً وقلوبهم شتّى. قيل: انّ بنى قينقاعٍ نقضوا العهد وقت رجوع رسول الله (ص) من بدرٍ فأمرهم رسول الله (ص) ان يخرجوا قال عبدالله بن اُبىّ: لاتخرجوا فانّى اتى الى النّبىّ (ص) فاكلّمه فيكم اوادخل معكم الحصن ، فكان هؤلاء ايضاً مغترّين بارسال عبدالله بن اُبىّ ثمّ ترك نصرتهم [قَرِيبًا] اى حالكونهم قريباً منكم اوزماناً قريباً [ذَاقُوا وَبَالَ اَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ اَلِيمٌ] فى الآخرة [كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ] متعلّق بقوله تعالى: من قبلهم ، او بذاقوا او بقوله لهم فى لهم عذابٌ اليمٌ ، اوخبر مبتدءٍ محذوفٍ والتّقدير مثل عبدالله بن اُبىّ فى غزوه بنى النّضير و بنى قينقاع كمثل الشّيطان [اِذْقَالَ لِلْاِنْسَانِ اكْفُرْ] قولاً فعلياً اوقولاً نفسانياً [فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ اِنِّى بَرِىءٌ مِنْكَ اِنِّى اَخَافُ اللّٰهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ] الاتيان بالماضى للاشعار بانّ المراد بذلك القول وهذا الانسان قولٌ شخصىٌّ وانسان مشخّص لا القول النّوعىّ والانسان الجنسىّ، والّا كان المناسب ان يقول كمثل الشّيطان يقول للانسان على الاستمرار اكفر ، ولعلّه اشارة الى تمثّله بصورة سراقة واغراء المشركين على محمّدٍ (ص) ببدرٍ، وقيل: انّه اشارة الى عابدبنى اسرائيل كان اسمه برصيصا،عبدالله زماناً من الدّهر حتّى بلغ من عبادته الى ان يؤتى بالمجانين اليه وكان يداويهم ويعوّذهم، فيبرؤن ، وأتى بامرأةٍ كانت فى شرف فى اهلها قد جنّت وكان لها اخوة فأتوه بها فكانت عنده فلم يزل به الشّيطان حتّى وقع عليها فحملت فلمّا استبان حملها قتلها ودفنها، فذهب الشّيطان فقال لاخوتها واحداً واحداً ، فجعل الرّجل يلقى اخاه فيقول: والله لقد أتانى آتٍ فذكر لى شيئاً يكبر علىّ ذكره، فذكر بعضهم لبعضٍ حتّى بلغ ذلك ملكهم ،فسار الملك والنّاس فاستنزلوه فاقرّ لهم بما فعل، فأمر به فصلب، فلمّا رفع على خشبته تمثّل له الشّيطان فقال : انا الّذى القيتك فى هذا فهل انت مطيعى فيما اقول لك اخلّصك ممّا انت فيه ؟ـ قال: نعم، قال: اسجد لى سجدةً واحدةً فقال: كيف اسجد لك وانا على هذه الحالة؟ـ فقال : اكتفى منك بالايماء، فأومى له بالسّجود فكفر بالله وقتل الرّجل [فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا] اى الشّيطان والانسان الكافر بقوله او عاقبة الفريقين من الممثّل له والممثّل به [اَنَّهُمَا فِى النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ يَا اَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] بالبيعة الاسلاميّة [اتَّقُوا اللّٰهَ] فى ارتكاب المناهى وترك الاوامر القالبيّة ، او اتّقوا الله فى نقض البيعة ونقض العهد كعبدالله بن اُبىّ و بنى النّضير و بنى قينقاعٍ ، اواتّقوا الله فى شوب الاعمال القالبيّة بالاغراض النّفسانيّة المباحة او الغير المباحة ، او المعنى يا ايّها الّذين آمنوا بالبيعة الايمانيّة الولويّة اتّقوا الله فى الانحراف عن طريق القلب او اتّقوا الله فى نسيان الذّكر المأخوذ ، اوفى نسيان الله فى جميع اعمالكم ، اوالمعنى ياايّها الّذين آمنوا بالايمان الشّهودىّ بشهود ملكوت ولىّ الأمر ونزول السّكينة والحضور عند ولىّ امركم اتّقوا الله فى الالتفات الى غير ولىّ امركم والالتذاذ

غير شهود جماله فانّه ضيف عزيز غيور اذا نظرتم الى غيره او انصرفتم الى لذّة غير لذّة شهود جماله لم يقم فى بيوت قلوبكم و بقى لكم حسرة فراقه وندامته ، اواتّقوا الله فى نسبة الافعال والصّفات الى انفسكم حين حضوركم عند ولىّ امركم [وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ لِغَدٍ] نكّر النّفس مع انّ المراد ولتنظر كلّ نفس ما قدّمت لغد لايهام انّه اذا نظر نفس واحدة من المؤمنين الى اعماله يكفى عن سائر المؤمنين لاتّحاد بينهم ، او للاشارة الى انّهم نفس واحدة وان كان ابدانهم متعدّدة لانّ فعليّتهم الاخيرة هى صورة ولىّ امرهم النّازلة اليهم بالبيعة وقبول الولاية فعلى هذا يكون المعنى : ولتنظر نفس عظيمة هى صورة ولىّ امرهم وهى فعليّتهم الاخيرة ما قدّمت لغد ، و يكون فيه اشارة الى انّ من ينظر الى اعماله الاخرويّة فلينظر بالفعليّة الاخيرة الّتى هى فعليّة الولاية حتّى يمكنه ان يميّز بين صحيحها و فاسدها مشوبها وخالصها ، مدّخرها لغده و راجعها الى النّفس والعاجل؛ فانّ هذا التّميز امر صعب لايحصل الّا للنّاقد البصير المخلّص ، اوللاشارة الى انّ نفس ولىّ امرهم نفسيّة الكلّ والمعنى ولتنظر نفس عظيمة ما قدّمت لغد بنفسها فانّ نظرها الى ما قدّمت هى يكفى عن نظر المؤمنين ، اولتنظر نفس ولىّ الامر ما قدّمت لغد اى ما قدّمت اتباعها لغد فانّ فعل الاتباع فعل ولىّ الامر بوجه ، والمعنى انّ ولىّ الامر مأمور بان ينظر الى اعمال اتباعه و يجبر نقصانها وقال لغد مع انّ المراد ما قدّمت للقيامة للاشارة الى قربها ، و لانّ المراتب الطّوليّة كالايّام العرضيّة كلّ يجيء بعقب الاخرى وكلّ يخلف الاخرى ولانّ المراتب الطّوليّة كلّ بالنّسبة الى الاخرى يوم وليل باعتبارين كماسبق مكرّراً، ونكّر الغد لتفخيمه وللاشارة الى انّه لايمكن تعريفه للمحجوبين بحجاب المادّة ، ولفظة ما نافية،والجملة صفة لنفس ،او معلّق عنها العامل،اواستفهاميّة ومعلّق عنها العامل،اوموصولة ومفعول لتنظر [وَاتَّقُوا اللهَ] تأكيد لقوله اتّقوا الله او النّظر منه الى مرتبة اخرى من التّقوى فانّ للتّقوى كما مرّ فى اوّل البقرة و اشرنا اليه ههنا مراتب عديدة مترتّبة ، او المقصود منه ان تتّقوا الله بعد ما نظرتم الى اعمالكم الاخرويّة وميّزتم سقيمها عن سليمها و مشوبها عن خالصها فى ان تفسدوها بالاغراض النّفسانيّة، اوتشوبوها بالانتفاعات النّفسيّة ولوكانت تلك الانتفاعات القرب من الله اورضاه او المقامات الاخرويّة [إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ] فيميز المشوب عن الخالص فهو تأكيد للتّقوى وتعليل للامر بها [وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ] مطلقاً فلايعملون لغد، او لاتكونوا كالّذين نسوا الله فيمايعملون للآخرة فيجعلونها للدّنيا من حيث لايشعرون [فَأَنْسيٰهُمْ أَنْفُسَهُمْ] الّتى هى جهاتهم الآلهيّة ولطيفتهم الانسانيّة فانّها ذواتهم وانفسهم الانسانيّة ، و بنسيان انفسهم ينسون ما ينفعها فلايفعلون مايفعلون الّا لانفسهم الحيوانيّة لالانفسهم الانسانيّة فيكونون فى الآخرة من الاخسرين اعمالاً الّذين ضلّ سعيهم فى الحيوة الدّنيا وهم يحسبون انّهم يحسنون صنعاً ، او فأنسيهم امامهم الّذى هونفسيّة انفسهم و بنسيان الامام لايكون للانسان الّا الوبال والخسران [أُولٰئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ] تعليل للسّابق [لا يَسْتَوِى أَصْحابُ النّارِ وَأَصْحابُ الْجَنَّةِ] فى مقام التّعليل كانّه قال: نهيناكم عن المماثلة معهم لانّه لايستوى فى القيامة النّاسون لانفسهم والمتّقون لان النّاسين اصحاب النّار والمتّقين اصحاب الجنّة لكنّه عدل عن المضمر الى هذا الظّاهر لافادة انّهم اصحاب النّار و انّ المتّقين اصحاب الجنّة ، وللاشارة الى علّة عدم الاستواء [أَصْحابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفائِزُونَ] ويستفاد من حصر الفوز باصحاب الجنّة بقرينة المقابلة انّ اصحاب النّار هم الخاسرون المعذّبون [لَوْ أَنْزَلْنا هٰذَا الْقُرْآنَ عَلىٰ جَبَلٍ] مع صلابته وعظمته [لَرَأَيْتَهُ خاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللهِ] وقد انزلناه عليكم وانتم ضعفاء ليّنون وما خشعتم وماتصدّعتم من خشية الله ، وهذه قضيّة فرضيّة وتعريض ببنى آدم [وَ تِلْكَ الْأَمْثالُ] الفرضيّة [نَضْرِبُها لِلنّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ] فى احوالهم

و ينظرون الى قساوتهم و يتدبّرون فى تليين قلوبهم [هُوَ اللّٰهُ الَّذى لا اِلٰهَ اِلّا هُوَ] كلام منقطع عن سابقه و المنظور اثبات التّوحيد الّذى هو المنظور من كلّ منظور ومبدء كلّ مبدء وغاية كلّ غاية و الثّناء عليه و تعداد محامده [عالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ] اى عالم بماغاب عن الخلق و بماكان مشهوداً لهم ، اوعالم بعالم الغيب وعالم الشّهادة [هُوَ الرَّحْمٰنُ] المفيض للوجودات و للكمالات الاولىّة على الموجودات [الرَّحيمُ] المفيض للكمالات الثّانويّة عليها ، او الرّحمن هو المفيض لاصل الوجود و جميع كمالاته على الاشياء و المفيض للوجود وكمالاته الاولويّة على الانسان، والرّحيم هو المفيض للكمالات الثّانية على الانسان وقد سبق معناهما مفصّلاً فى سورة فاتحة الكتاب [هُوَ اللّٰهُ الَّذى لا اِلٰهَ اِلّا هُوَ] لمّاكان المنظور التّوحيد و تعداد المحامد أتى بهذه الجملة بدون العاطف بنحو التّعداد، وفى هذه اشارة الى تعليل السّابق وهو باعث لترك العاطف ايضاً وهى تأكيد للاولى وهو ايضاً باعث لترك العاطف [الْمَلِكُ] الّذى يتصوّر كونه ملكاً بتصوير كون النّفس ملكاً لقواها بل لصورها الّذهنيّة و بذلك يثبت كونه رحماناً رحيماً وكونه عالماً بالغيب والشّهادة [الْقُدُّوسُ] الّذى كان منزّهاً عن الكثرات ، ونسبة الافعال والصّفات، ولحاظ تلك النّسب والحيثيّات، وقد مضى فى اوّل البقرة عند قوله تعالى : و نحن نسبّح بحمدك و نقدّس لك بيان وتفصيل للتّسبيح والتّقديس، وقرئ قدّوس بفتح الفاء وهما لغتان فيه والصّيغة للمبالغة مثل سبّوحاً مفتوحاً ومضموماً [السَّلامُ] السّالم من كلّ نقص وعيب ومن كلّ انحاء الكثرات والحدود والنّسب والاضافات الّا فى اعتبار المعتبرين ، و السّالم من تمسّك به من كلّ اثم وذنب وخطاء ، والسّالم من خاف منه من كلّ امر مخوف، والسّالم عباده من ظلمه [الْمُؤْمِنُ] الّذى آمن خلقه عن ظلمه، اوآمن خلقه من المخوفات، اوجعل عباده امناء، اوامن بنفسه قبل ايمان خلقه، اودعى خلقه الى الايمان به [الْمُهَيْمِنُ] هيمن قال امين مثل امّن ، وهيمن الطّائر على فراخه رفّ ، وهيمن على كذا صار رقيباً عليه ، والمهيمن من اسمائه تعالى بمعنى المؤتمن ، اومن آمن غيره من الخوف ، اوالامين، اوالشّاهد ، اوالرّقيب ، وقيل: هو مؤامن بهمزتين قلبت الثّانية ياء ثمّ الاولى هاء [الْعَزيزُ] الغالب الّذى لايغلب اوذوالمناعة والتّأنّف [الْجَبّارُ] الّذى يجبر كلّ كسرونقص وقصور وتقصير من عباده، اومن سائر خلقه، اوالعظيم الشّأن، اوالّذى يذلّ من دونه ولا تناله يد غيره [الْمُتَكَبِّرُ] البالغ فى كبره بحيث لايبقى عنده جليل ولاحقير [سُبْحانَ اللّٰهِ عَمّا يُشْرِكُونَ] من الاصنام والكواكب والعناصر وسائر المواليد لعدم بقاء شيء عند كبره [هُوَ اللّٰهُ الْخالِقُ الْبارِئُ الْمُصَوِّرُ] تعداد للمدائح وتعليل للسّابق، والخالق هو الّذى اوجد مادّة الشّيء اوّلاً ، والبارئ هو الّذى سوّاه واوجده على ما ينبغى، والمصوّر هو الّذى يعطى كلّه وكلّ اجزائه صوراً لائقة بحالها [لَهُ الْاَسْماءُ الْحُسْنىٰ] الاسم كما سبق فى اوّل الفاتحة وفى اوّل البقرة عند قوله: علّم آدم الاسماء كلّها للاختصاص له بالاسم اللّفظىّ بل كلّما يدلّ على شيء آخر هو اسم لذلك الشّيء سواء كان دلالته وضعيّة ام طبعيّة ام عقليّة ، وسواء كان الدّالّ لفظاً اومعنىً اوذاتاً جوهريّاً ، والاسم الحسن هو الّذى لايكون فى اطلاقه على الله وفى دلالته عليه شوب نقص وعدم وحدّ ، وهذه العبارة تفيد بتقديم له ومعناه حصر الاسماء الحسنى فيه وذلك لحصر الصّفات العليا فيه ، و بمفهوم مخالفة الصّفة تفيد عدم جواز اطلاق الاسماء السّوءى عليه، والاسماء السّوءى ماكان دلالته اواطلاقه عليه تعالى مستلزماً للنّقص والحدّ ، والجملة فى مقام التّعليل لاتّصافه تعالى بالاسماء السّابقة ، وقد مضى فى سورة الاعراف عند قوله تعالى : ولله الاسماء الحسنى تفصيل لهذه العبارة [يُسَبِّحُ لَهُ ما فِى السَّمٰواتِ وَالْاَرْضِ وَهُوَ الْعَزيزُ الْحَكيمُ] لمّاكان السّورة لبيان توجّه الاشياء اليه تعالى ، و توجّهه

تعالى بالتّربية اليهم ختم السّورة بما فتحها به وجعله تعليلاً لقوله تعالى: له الاسماء الحسنى فانّ تمام الاسماء الاضافيّة والاسماء الحقيقيّة تستفاد من تسبيح جميع الاشياء له، وقوله: هو العزيز الحكيم تعليلٌ وتأكيدٌ لما يستفاد من تسبيح الاشياء له فانّه لايتصوّر ان تكون الاشياء مسبّحةً له تعالى الّا اذا كان هو الفعليّة الاخيرة للاشياء وكان قوام جميع الاشياء به، وهذا المعنى يستلزم جميع الصّفات السّلبيّة والاضافيّة والحقيقيّة ذات الاضافة والحقيقة المحضة.

سورة الممتحنة

مدنيّة؛ وثلاث عشرة آيةً.

بسم الله الرّحمن الرّحيم

[يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] بالبيعة العامّة [لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِياءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ] قيل: نزلت في خاطب بن ابى بلتعة وذلك انّ مولاة ابى عمرو اتت رسول الله (ص) من مكّة الى المدينة بعد بدر بسنتين فقال لها رسول الله (ص): امسلمةً جئت؟- قالت: لا، قال: فما جاء بك؟- قالت: احتجت حاجة شديدة فأتيتكم لترفعوا حاجتى، قال: فاين انت من شبّان مكّة؟- وكانت مغنيّة نائحةً قالت: ماطلب منّى احد بعد وقعة بدر فحثّ رسول الله (ص) عليها بنى عبد المطّلب فكسوها وحملوها وأعطوها نفقة، وكان رسول الله (ص) يتجهّز لفتح مكّة فأتاها خاطب بن ابى بلتعة وكتب معها كتاباً الى اهل مكّة واخبرهم انّ محمّداً (ص) يريدهم، فخرجت سارّة ومعها الكتاب وكانت كتمته فى ذؤابتها، فنزل جبرئيل فأخبر النّبىّ (ع) فبعث رسول الله (ص) عليّاً وعمّاراً وعمرو الزّبير وطلحة والمقداد وابا مرثد وكانوا كلّهم فرساناً، وقال لهم: انطلقوا حتّى تأتوا روضة خاخ وخذوا الكتاب منها، فخرجوا الى ذلك المكان فوجدوها به فقالوا لها: اين الكتاب؟- فحلفت بالله ما معها كتابٌ ففتّشوها فلم يجدوا معها كتاباً فهمّوا بالرّجوع، فقال علىّ (ع): والله ما كذب رسول الله (ص) وسلّ سيفه وقال: اخرجى الكتاب والّا والله لاضربنّ عنقك فأخرجته من ذؤابتها فرجعوا بالكتاب الى رسول الله (ص)، فقال لخاطب: ماحملك على ماصنعت؟- قال: يارسول الله (ص) والله ما كفرت منذ اسلمت ولاغششتك منذ نصحتك ولكن لم يكن احدٌ من المهاجرين الّا وله بمكّة من يمنع عشيرته وكنت غريباً وكان اهلى بين ظهرانيّهم فخشيت على اهلى فأردت ان اتّخذ عندهم يداً وقد علمت انّ كتابى لايغنى عنهم شيئاً [وَقَدْ كَفَرُوا بِما جاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ] من مكّة [أَنْ تُؤْمِنُوا] لان تؤمنوا [بِاللهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهاداً فِي سَبِيلِي وَابْتِغاءَ مَرْضاتِي] شرط تهييجىّ [تُسِرُّونَ] تلقون [إِلَيْهِمْ] فى السّرّ اوتظهرون اليهم فى السّرّ [بِالْمَوَدَّةِ] اوتعلمونهم فى السّرّ من احوال الرّسول (ص) بسبب المودّة الّتى بينكم وبينهم [وَأَنَا أَعْلَمُ] فعل او افعل التّفضيل [بِما أَخْفَيْتُمْ وَما أَعْلَنْتُمْ] فأُطلع رسولى عليكم [وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَواءَ السَّبِيلِ] وهو الصّراط الانسانىّ يعنى ضلّ سواء السّبيل الى الطّرق الشّيطانيّة [إِنْ يَثْقَفُوكُمْ] فى موضع التّعليل [يَكُونُوا لَكُمْ أَعْداءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ] بالقتل والضّرب والشّتم [وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ] عطف على جملة الشّرط والجزاء [لَنْ تَنْفَعَكُمْ

اَرْحامُكُمْ] الّذين تخالفون رسول الله(ص) بسببهم [وَلا اَوْلادُكُمْ] و الجملة جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ عن كيفيّة انتفاعهم بأرحامهم اوعن علّة هذا القول [يَوْمَ الْقِيمَةِ] ظرف لقوله لن تنفعكم او لما بعده [يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ] اى يفرّق بينكم يوم القيامة بشدّة الهول والخوف بحيث يفرّ كلٌّ من كلٍّ ، وقرئ يفصل مبنيّاً للفاعل ومبنيّاً للمفعول من الثّلاثىّ المجرّد ومن التّفعيل [وَاللهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصيرٌ] فيجازيكم على ماعملتم فلانجاة لكم من قبل ارحامكم ولامن قبل الله تعالى [قَدْ كانَتْ لَكُمْ اُسْوَةٌ حَسَنَةٌ] اقتداء حسن اوخصلة حسنة ينبغى ان يقتدى بها [فى اِبْرٰهيمَ وَالَّذينَ مَعَهُ اِذْقالُوا] بدل من ابراهيم اوتعليلٌ اوظرفٌ لقوله معه [لِقَوْمِهِمْ اِنّا بُرَءاؤُا مِنْكُمْ وَمِمّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ كَفَرْنا بِكُمْ] اى تبرّأنا منكم فانّ الكفر ههنا كما فى الخبر بمعنى البراءة [وَبَدا بَيْنَنا وَبَيْنَكُمُ الْعَداوَةُ وَ الْبَغْضاءُ اَبَدًا] يعنى بغضنالكم بغض لله و بغضكم لنا بغض للشّيطان [حَتّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ] فحينئذٍ ينقلب العداوة محبّةً والفةً [اِلّا قَوْلَ اِبْرٰهيمَ] استثناء من ابراهيم استثناءً متّصلاً فى كلامٍ تامٍّ اواستثناءٌ مفرّغ والتّقدير لكم اسوة حسنة فى ابراهيم فى كلّ شيءٍ منه الّا فى قول ابراهيم (ع) [لِاَبيهِ لَاَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ] فانّ هذا القول كان لموعدةٍ وعدها ايّاه والّا كان متبرّءً منه [وَما اَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ شَيْءٍ] اى من قبل الله او من رحمة الله اومن عذاب الله [رَبَّنا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنا وَاِلَيْكَ اَنَبْنا وَاِلَيْكَ الْمَصيرُ] اشارة الى الفناءات الثّلاثة ، فانّ التّوكّل ليس الّا بترك نسبة الفعل الى النّفس، والانابة حينئذٍ تكون بترك نسبة الصّفات ، و اليك المصير اشارة الى فناء الذّات ، هذه الجمل من مقول القول الاوّل ومن جملة مايتأسّى به [رَبَّنا لا تَجْعَلْنا فِتْنَةً لِلَّذينَ كَفَرُوا] اى لاتجعلنا امتحاناً اوضلالاً اواثماً اوكفراً اوفضيحةً اوعذاباً اواضلالاً يعنى لاتجعلنا سبب ذلك لهم، اولاتجعلنا ممتحنين لاجل عذاب الّذين كفروا ، اولاجل هداية الّذين كفروا ومعنى كونهم سبباً لفتنة الّذين كفروا ان يجعلهم بحالٍ من الفقروالحاجة اومن الابتلاء والمصيبة اومن ارتكاب ما لاينبغى ان يرتكبوا من المعاصى اومن اختلاف الكلمة والنّزاع بينهم ، اومن موالاة الكفّار اواتّباعهم فى بعض مالهم ، اومن المعارضة معهم، اومن المجادلة معهم والضّعف عن جوابهم يستهزء بهم او يغتابون او يعارضون او يُشتمون او ينفر منهم ومن دينهم او يقاتلون ، وقيل : معناه ولاتسلّطهم علينا فيفتنونا عن دينك ، وقيل: الطف بنا حتّى نصبر على اذاهم ولانتّبعهم فنصير فتنةً لهم ، و روى عن الصّادق(ع) انّه قال: ماكان من ولد آدم(ع) مؤمنٌ الّا فقيراً ولاكافر الّاغنيّاً حتّى جاء ابراهيم (ع) فقال: ربّنا لاتجعلنا فتنةً للّذين كفروا ، فصيّر الله فى هؤلاء اموالاً وحاجةً وفى هؤلاء اموالاً وحاجةً **اقول** على المؤمنين ان يشكروا ابراهيم(ع) ولاينسوا منّته الّتى منّ بها عليهم [وَاغْفِرْ لَنا] ما فرّط منّا حتّى لاتؤاخذنا بذلك فتجعلنا فتنةً لغيرنا [رَبَّنا اِنَّكَ اَنْتَ الْعَزيزُ] الغالب المنيع [الْحَكيمُ] الّذى تعلم دقائق الامور وتتقن الصّنع مشتملاً على غاياتٍ دقيقةٍ انيقةٍ [لَقَدْ كانَ لَكُمْ فيهِمْ] فى ابراهيم (ع) وقومه [اُسْوَةٌ حَسَنَةٌ] كرّره للتّأكيد والتّرغيب ولتخصيصه بمن كان يرجوا الله [لِمَنْ كانَ يَرْجُوا اللهَ وَالْيَوْمَ الْاٰخِرَ] يعنى هذه الاسوة مختصّة بمن كان يرجوا الله وامّا غيره فلا يتأسّى [وَمَنْ يَتَوَلَّ] عن التّأسّى منكم فلايضرّ الله شيئاً وانّما امركم بالتّأسّى ترحّماً عليكم [فَاِنَّ اللهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَميدُ] حمد اولم يحمد [عَسَى اللهُ اَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذينَ عادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً] جوابٌ

لسؤال مقدّر [وَاللّٰهُ قَدِيرٌ] على ان يبدّل المعاداة و التبرّى محبّة و موالاة [وَاللّٰهُ غَفُورٌ] يغفر ماصدر منهم من معاداتكم بجهالة وما صدر منكم من موالاتهم بجهالة [رَحِيمٌ] يرحمهم و يرحمكم فضلاً عن مغفرته لكم ، فى خبر عن الباقر(ع) : قطع الله ولاية المؤمنين من قومهم من اهل مكّة واظهروا لهم العداوة فقال : عسى الله ان يجعل بينكم و بين الّذين عاديتم منهم مودّة فلمّا اسلم اهل مكّة خالطهم اصحاب رسول الله (ص) وناكحوهم وتزوّج رسول الله (ص) حبيبة بنت ابى سفيان بن حرب [لَا يَنْهٰيكُمُ اللّٰهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِى الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ اَنْ تَبَرُّوهُمْ] بدل عن الّذين لم يقاتلوكم [وَتُقْسِطُوا اِلَيْهِمْ] بتضمين تقضوا [اِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ اِنَّمَا يَنْهٰيكُمُ اللّٰهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِى الدِّينِ وَاَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلٰى اِخْرَاجِكُمْ اَنْ تَوَلَّوْهُمْ] بدل عن الّذين قاتلوكم او التّقدير كراهة ان تولّوهم [وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَاُولٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ] بوضع الولاية غير موضعها بل موضع العداوة [يَا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا] ابتداء كلام وادب آخر للمؤمنين ولذلك صدّره بالنّداء جبراناً لكلفة التّأديب وتنشيطاً فى الاستماع [اِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ] بان تختبروا موافقة قلوبهنّ لالسنتهنّ بان يحلفن ما خرجن من بغض زوج ولا رغبة من ارض الى ارض ولا التماس ديناً وما خرجن الّا حبّاً لله ، وعلى هذا كان معنى مؤمنات مذعنات و مصدّقات ، او مشرفات على الاسلام ، قيل : صالح رسول الله (ص) بالحديبيّة على انّ من أتاه من اهل مكّة ردّه عليهم ، ومن أتى اهل مكّة من اصحاب رسول الله (ص) لم يردّوه ، فجاءت سبيعة بنت الحارث مسلمة بعد الفراغ من الكتاب والنّبىّ (ص) بالحديبيّة فأقبل زوجها مسافر من بنى مخزوم فى طلبها وكان كافراً فقال : يامحمّد اردد علىّ امرأتى فانك قد شرطت اليوم ان تردّ علينا من أتاك منّا ، فنزلت الآية فأعطى رسول الله (ص) زوجها مهرها وما انفق عليها ولم يردّها عليه فزوّجها عمر بن الخطّاب وكان رسول الله (ص) يردّ من جاءه من الرّجال و يحبس من جاءه من النّساء، اذا امتحنّ [اَللّٰهُ اَعْلَمُ بِاِيمَانِهِنَّ] وانّما يأمركم بالامتحان لظهر عليكم ايضاً ايمانهنّ [فَاِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ اِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ] فى موضع التّعليل [وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ] روى انّه قيل للصّادق (ع) : انّ لامرأتى اختاً عارفة على رأينا بالبصرة وليس على رأينا بالبصرة الّا قليل فازوّجها ممّن لايرى رأيها ؟ـ قال: لا ، ولا نعمة ؛ انّ الله يقول: فلا ترجعوهنّ الى الكفّار (الآية) [وَاٰتُوهُمْ] اى آتوا الكفّار [مَا اَنْفَقُوا] على تلك النّساء من المهر و غيره [وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ اَنْ تَنْكِحُوهُنَّ] ترخيص لهم فى نكاحهنّ بعد اسلامهنّ [اِذَا اٰتَيْتُمُوهُنَّ اُجُورَهُنَّ] مهورهنّ سمّاها اجوراً لانّ المهر اجر لبذل البضع ،وهذا يدلّ على عدم الاكتفاء فى مهورهنّ بمهورهنّ الاولى المردودة الى ازواجهنّ [وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ] يعنى كما انّ المؤمنات لا يحللن للكفّار فكذلك المؤمنون لايحلّون للكافرات ، والعصم جمع العصمة بكسر العين وقد يضمّ القلادة ، وهذه الآية كما تدلّ على حرمة المشركات تدلّ على حرمة الكتابيّات [وَاسْئَلُوا مَا اَنْفَقْتُمْ] ان لحقت منكم امرأة بالكفّار [وَلْيَسْئَلُوا مَا اَنْفَقُوا] يعنى اذا كان بينكم معاهدة فاسئلوا انتم ما أنفقتم وليسألوا ايضاً ما أنفقوا ولا ترجعوا النّساء الملحقات بكم منهم اليهم ولا تستردّوا الملحقات بهم منكم [ذٰلِكُمْ] المذكور من حكم الملحقات بهم و بكم [حُكْمُ اللّٰهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ] به

[وَاللّهُ عَلِيمٌ] بالمصالح والغايات المترتبة على الافعال والاحكام [حَكِيمٌ] لايفعل فعلا الّا بغايات محكمة نافعة ولايحكم حكماً الّا لمصالح عديدة وغايات شريفة [وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ] اى واحدة [مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ] اى راجعة الى الكفّار [فَعَاقَبْتُمْ] اى فأصبتم من الكفّار عقبى اى غنيمة [فَآتُوا] ايّها المؤمنون [الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا] من الغنيمة الّتى اصبتم اوالمعنى فعاقبتم على نساء اخر فأتوا ايّهاالمؤمنون من بيت مال المسلمين الّذين ذهبت ازواجهم ماأنفقوا، وقيل: عاقبتم الكفّار لسبى النّساء منهم او باخذالغنيمةاو باتيان النّساء منهم اليكم مؤمنات [وَاتَّقُوا] ايّها المؤمنون من عدم اعطاء ما أنفقوا [اللّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ] قيل: كانت لحق المشركين من نساء المؤمنين ستّ نسوة فأعطى النّبىّ (ص) ازواجهنّ مهورهنّ [يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ] خصّ الخطاب والنّداء به لاختصاص الحكم به فانّه كان يأخذالبيعة من الرّجال والنّساء دون غيره [إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ] اى المذعنات او المشرفات على الاسلام [يُبَايِعْنَكَ] لمّا كان زمان بعثة الرّسول (ص) زمان فترة من الرّسل (ع) واندراس من احكامهم وكان النّاس بالاخذ من الآباء والمعلّمين منتحلين لملّتهم وكان البيعة الّتى كانت اصل جملة الخيرات ولم يكن شريعة ولم يصدق ملّة الّا بهامندرسة ممحوّاً اثرها من الاذهان، بل كانت غريبة فى انظارهم مستهجنة فى عقولهم الجزئيّة وكان الرّجال بعد مشاهدة هذه الفعلة من الرّسول (ص) واخذالبيعة من كلّ من ارادالاسلام ايقنوا انّهم اذاارادواالاسلام وجب عليهم هذه الفعلة، وامّا النّساء فكأنّه خفىّ عليهنّ وجوبها وكأنّهنّ اعتقدن انّ الاسلام بان يقلن: لا اله الّا الله، محمّد رسول الله (ص)، ولم يعلمن انّ الانسان بهذه الكلمة فى امان فامّا الاسلام فلايتحقّق الّا بالبيعة اظهرالله تعالى كيفيّة بيعتهنّ تعريضاً بوجوبها عليهنّ ايضاً [عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللّهِ شَيْئًا] من الاشياء اولايشركن شيئاً من الاشراك [وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ] بالوأد [وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ] قيل: كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها: هذا ولدى منك كنّى بالبهتان المفترى بين يديها و رجليها عن الولد الّذى تلصقه بزوجها كذباً لانّ بطنها الّذى تحمله فيه بين اليدين وفرجها الّذى تلده به بين الرّجلين، وليس المعنى نهيهن عن الاتيان بولد من الزّنا لانّ الشّرط بنهى الزّنا قدتقدّم، وقيل: البهتان الّذى نهين عنه قذف المحصنات و الكذب على النّاس، واضافة الاولاد الى الازواج على البطلان، يعنى اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ذلك فى الحاضر والمستقبل من الزّمان [وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ] يعنى لايعصينك فيما امرت به فانّه ليس الّا معروفاً [فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ].

اعلم، انّ البيعة الّتى كانت معمولةً فى جميع الشّرائع كانت بمنزلة الانفحّة للبن الوجود و ما لم تتّصل الانفحّة باللّبن لم ينعقد و بمنزلة التّأبير لثمر النّخل مالم يؤبّر النّخل لم يحمل الثّمر و بها يحصل اللّبّ لجوز الوجود وفستقه، و بمنزلة الوصلة من الشّجر الحلو على الشّجر المرّ مالم يتّصل من الشّجر الحلو وصلة بالشّجر المرّ لم يصر ثمره حلواً، ولذلك كانوا فى كلّ شريعة من اوّل الامر مهتمّين بالبيعة، قيل: كان النّبىّ (ص) يبايع النّساء بالكلام بهذه الآية: وما مسّت يد رسول الله (ص) يد امرأة قطّ الّا امرأةً يملكها، و روى انّه كان اذا بايع النّساء دعا بقدح ماء فغمس فيه يده و يقول ما قاله الله تعالى ثمّ اخرج يده ثمّ غمسن ايديهنّ فيه، وقيل: انّه كان يبايعهنّ من وراء الثّوب، وقيل: الوجه فى بيعة النّساء مع انّهنّ لسن من أهل النّصرة بالمحاربة هو اخذ العهد عليهنّ بما يصلح شأنهنّ فى الدّين والانفس والازواج، وكان ذلك فى صدر الاسلام، ولئلّا ينفتق لهنّ فتق لما صنع من الاحكام فبايعهنّ النّبىّ (ص) حسماً لذلك

[يٰا اَيُّهَا الَّذينَ اٰمَنُوا] لمّا لم يكن هذا الحكم خاصّاً بالنّبىّ (ص) خاطب جميع المؤمنين [لٰاتَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ] قيل : كان فقراء المسلمين يخبرون اليهود اخبار المسلمين فيصيبون من ثمارهم فنهى الله عن ذلك [قَدْيَئِسُوا مِنَ الْاٰخِرَةِ كَمٰا يَئِسَ الْكُفّٰارُ مِنْ اَصْحٰابِ الْقُبُورُ] اى الكفّار الّذين هم جنس اهل القبور من الآخرة ، اوكمايئس الكفّار من وصول خير من اهل القبور اليهم، اوكمايئس الكفّار من ان يحيى اهل القبور.

سُورَةُ الصَّفّ

مدنيّة، وهى اربع عشرة آيةً .

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

[سَبَّحَ لِلّٰهِ مٰافِى السَّمٰوٰاتِ وَمٰا فِى الْاَرْضِ وَهُوَ الْعَزيزُ الْحَكيمُ يٰا اَيُّهَا الَّذينَ اٰمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مٰا لٰاتَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللّٰهِ اَنْ تَقُولُوا مٰا لٰاتَفْعَلُونَ] قيل : نزلت فى قوم كانوا يقولون اذالقينا العدوّ لم نفرّ ولم نرجع عنهم ثمّ لم يفوا يوم اُحدٍ، وقيل: نزلت فى قوم قالوا : جاهدنا وأبلينا وفعلنا ولم يفعلوا، وقيل: نزلت فى المؤمنين فانّهم بعد ماسمعوا ثواب شهداء بدرٍ قالوا: لولقينا قتالاً جهدنا غاية جهدنا ولم نفرّ، وقيل: انّ المسلمين قالوا: لوعلمنا احبّ الاعمال لبذلنا فيه اموالنا وانفسنا، فأنزل الله انّ الله يحبّ الّذين يقاتلون فى سبيله صفّاً فلم يفوا يوم اُحدٍ وقال القمّىّ: نزلت فى الّذين وعدوا محمّداً (ص) ان لاينقضوا عهده فى امير المؤمنين (ع) فعلم الله انّهم لايفون بما يقولون وقد سمّاهم الله المؤمنين باقرارهم وان لم يصدّقوا .

اعلم ، انّ القول ههنا اعمّ من القول اللّسانىّ والقول النّفسانىّ اى الاعتقاد الجنانىّ، وامّا الخطرات والخيالات الّتى تقذف فى قلوب النّاس من غير عزمٍ منهم عليها فهى ليست اقوالاً لهم بل هى واردة عليهم من الشّيطان او الملك فهى اقوال الشّيطان او الملك ، وهذا القول اعمّ من ان يكون فى الاحكام الا لهيّة بان يقول الانسان بنحو الافتاء او التّقليد حكماً من الاحكام ولايفعل به ، وفى الامر بالمعروف والنّهى عن المنكر بان يأمر غيره ولا يأتمر وينهى ولاينتهى، وفى المواعظ والنّصائح بان يعظ و ينصح بمالم يفعله ، وقد ابتلى بالاوّل والثّانى المجتهدون الّذين نصبوا انفسهم لبيان احكام العباد، والمقلّدون الّذين نصبوا انفسهم لذلك، و بالثّالث القصّاص والوعّاظ وان كان لايخلو من الثّلاثة اكثر النّاس ولو بالنّسبة الى من تحت يده، وفى المواعيد والعقود والبيعة الاسلاميّة والايمانيّة، فانّه ورد عن الصّادق (ع) : عدة المؤمن اخاه نذر لاكفّارة له فمن اخلف فبخلف الله بدأ ولمقته تعرّض، وذلك قوله : يا ايّها الّذين آمنوا (الآيتين) وعن علىّ : الخلف يوجب المقت عندالله وعندالنّاس قال الله تعالى: كبر مقتا عندالله (الآية) وفى الصّنائع والحرف فانّ صاحب الحرفة اذا قال : ينبغى لصاحب الصّنعة ان يكون صنعته كذا وكذا، اوقال: الصّنعة اذا كانت كذا وكذا كان المصنوع محكماً وكان ابقى ولم يكن يفعل [اِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الَّذينَ يُقٰاتِلُونَ فى سَبيلِهِ صَفًّا] مصطفّين تعليلٌ لقوله: لم تقولون ما لا تفعلون على ما بيّن من نزوله فى الّذين تمنّوا القتال والجهاد ثمّ لم يثبتوا فى اُحدٍ اومطلقا، فانّ توفيق الفعل للقول يحتاج الى كثير جهاد مع النّفس والشّيطان [كَاَنَّهُمْ بُنْيٰانٌ مَرْصُوصٌ] الرصّ اتّصال بعض البناء

بيعض واستحكامه، وعن اميرالمؤمنين (ع) انّه قال: انّ الله يحبّ الّذين يقاتلون فى سبيله صفّاً، اتدرون ماسبيل الله؟ ومن سبيله؟! انا سبيل الله الّذى نصبنى للاتّباع بعدنبيّه (ص) [وَاِذْقَالَ مُوسٰى] اى ذكّرهم اذقال موسى (ع) [لِقَوْمِهِ يٰاقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَدْ تَعْلَمُونَ اَنّى رَسُولُ اللهِ اِلَيْكُمْ] حتّى يتذكّروا بقبح فعل قوم موسى (ع) وغايته المترتّبة عليه فارتدعوا من ايذائك او ايذاء عترتك بعدك [فَلَمّٰا زٰاغُوا] عن الحقّ [اَزٰاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ] عن الاستقامة الانسانيّة وجعلهم منكوساً رؤسهم [وَاللهُ لٰا يَهْدِى الْقَوْمَ الْفٰاسِقِينَ] تعريض بمن خرج عن قول الرّسول (ص) فى حقّ علىّ (ع) اومطلقاً، يعنى من لايهديه الله لايقبل الحقّ ولو أتى بالف آية والله لايهدى القوم الفاسقين وانّكم ياقوم محمّد (ص) فسّاق بالخروج عن قوله وعدم طاعته [وَاِذْقَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ] يعنى ذكّرهم حتّى يتذكّروا بحقّيّتك ولايخرجوا من طاعتك [يٰابَنِى اِسْرٰائِيلَ اِنّى رَسُولُ اللهِ اِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمٰا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ التَّوْرٰيةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنْ بَعْدِى اسْمُهُ اَحْمَدُ] والاخبار فى تبشير الانبياء (ع) واخبارهم بظهور محمّد (ص) وبعثته اكثر من ان تحصى، ونسب الى الباقر (ع) انّ اسم النّبىّ (ص) فى صحف ابراهيم (ع) **الماحى** وفى توراة موسى (ع) **الحادّ**، وفى انجيل عيسى (ع) **احمد** (ص)، وفى القرآن **محمّد** (ص)، ونقل انّه سأل بعض اليهود رسول الله: لم سمّيت احمد؟- قال: لانّى فى السّماء احمد منّى فى الارض [فَلَمّٰا جٰاءَهُمْ بِالْبَيِّنٰاتِ قٰالُوا هٰذٰا سِحْرٌ مُبِينٌ وَمَنْ اَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرٰى عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعٰى اِلَى الْاِسْلٰامِ] ظاهره منزل فى منكرى محمّد (ص) و رسالته ومعجزاته وقولهم: انّ الانبياء (ع) اوصوا انلانؤمن برسول حتّى يكون كذا وكذا، اوقالوا لنا: لانبىّ بعدنا لكنّ التّعريض بمن ادّعى الخلافة بعد الرّسول (ص) و ادّعوا ذلك من الرّسول (ص) او من الله [وَاللهُ لٰا يَهْدِى الْقَوْمَ الظّٰالِمِينَ] بوضع الولاية غيرموضعها و بادّعاء الخلافة من غير استحقاق، ويدلّ على انّ المراد بها التّعريض بمدّعى الخلافة ومنكرى علىّ (ع) قوله تعالى [يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُا نُورَ اللهِ بِأَفْوٰاهِهِمْ] لانّ نورالله هوالولاية وفسّر فى آيات اُخر بعلىّ (ع) [وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكٰافِرُونَ] بالولاية، عن الكاظم (ع) يريدون ليطفؤا ولاية اميرالمؤمنين (ع) بافواههم والله متمّ الامامة لقوله: الّذين آمنوا بالله ورسوله والنّور الّذى انزلنا، فالنّور هوالامام، وقيل: والله متمّ نوره يعنى بالقائم من آل محمّد (ص) اذا خرج يظهره الله على الدّين كلّه حتّى لايعبد غيرالله [هُوَ الَّذِى اَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدٰى] اى الرّسالة والاسلام الّذى هو ما به الهداية الى الامام والايمان [وَدِينِ الْحَقِّ] اى الطّريق الى الله الّذى هو سبب للوصول الى الحقّ، اومسبّب عن الحقّ الّذى هو الولاية المطلقة، والطّريق الى الله بهذا الوصف علىٌّ (ع) و ولايته [لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ] يعنى على جنس الاديان والطّرق المختلفة، ولمّا اراد الجنس المستغرق اكّده بقوله [كُلِّهِ] فانّ طرق النّفس الى الشّيطان كثيرة والطّريق الى الله واحد وهو طريق الولاية واذا تمسّك الانسان به على ما ينبغى ظهر وغلب طريق الولاية على جميع الطّرق بحيث لايبقى للطّرق الشّيطانيّة اثر [وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ] بالولاية وقد سبق فى سورة التّوبة هذه الآية مع بيان لها [يٰا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا] اى اسلموا بالبيعة العامّة، ولمّا اراد ان يأمرهم بالايمان والبيعة الثّانية وكان ذلك شاقّاً على بعض تلطّف بهم وناداهم جبراناً لكلفة هذا الامر ولذلك أدّى الامر بصورة الاستفهام والدّلالة على التّجارة المنجية من العذاب الاليم ليتهيّؤا لسماعه ويستعدّوا لقبوله [هَلْ اَدُلُّكُمْ عَلٰى تِجٰارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذٰابٍ اَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ]

بالايمان الخاص و البيعة الايمانيّة الولويّة [وَتُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوالِكُمْ] ببذل الاموال الّتى هى كلّ ما ينسب الى الانسان [وَأَنْفُسِكُمْ] ببذلها بحيث لا يبقى لكم انفس ولا ما ينسب الى انفسكم و تؤمنون جواب لسؤال مقدّر لبيان التّجارة [ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ] يعنى ان كنتم من اهل العلم علمتم ذلك، اوان كنتم تعلمون ذلك اخترتم ذلك [يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ] مجزوم فى جواب الشّرط يعنى ان كنتم تعلمون ذلك يغفر لكم لانّ العلم يجذب الى العمل واختيار المعلوم، واختيار المعلوم مورث لمغفرتكم، او فى جواب تؤمنون فانّه فى معنى آمنوا، او فى جواب الاستفهام والمعنى هل ادلّكم ان ادلّكم يغفر لكم فانّ دلالتى ليست الّا بتوجّهى والتفاتى اليكم، وتوجّهى والتفاتى اليكم مورث لتغيير احوالكم ورغبتكم الى العمل والآخرة وهى تورث مغفرتكم [وَيُدْخِلْكُمْ جَنّٰاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰارُ وَمَسٰاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنّٰاتِ عَدْنٍ] اى جنّات الاقامة وهى اخرى الجنّات [ذٰلِكَ] المذكور من المغفرة وادخال الجنّات اوادخال جنّات عدن [الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَأُخْرىٰ تُحِبُّونَهٰا] اى لكم خصلة اخرى تحبّونها، اوتعطون نعمة اخرى، اوهل ادلّكم على تجارة اخرى ويكون المعنى هل ادلّكم على ربح آخر لتجارتكم، او اخرى مبتدء وخبره [نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ] فى الدّنيا بظهور القائم (ع) كما عن القمّىّ ولمّا كان جلّ اصحاب الرّسول (ص) طالبين للظّفر والغنيمة واعلاء الكلمة قال: اخرى تحبّونها [وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ] بالظّفر على جنود النّفس بظهور القائم (ع) ونصرة الله فانّ الايمان يقتضى النّصرة لامحالة بمنطوق: وعدالله الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات ليستخلفنّهم فى الارض (الآية) [يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] بالبيعة الخاصّة الولويّة [كُونُوا أَنْصٰارَ اللهِ] لمّا كان اللّطيفة الانسانيّة الفطريّة واللّطيفة الولويّة الّتى هى انسانيّة اختياريّة مظهرالله تعالى، و نصرته بالعلوم الاخرويّة و الاعمال الصّالحة تكون نصرة لله وكان خليفة الله ايضاً مظهراً لله و نصرته تكون نصرة لله اراد بنصرةالله نصرة تلك اللّطيفة وذلك الخليفة، وأدّاه بنصرةالله للاشعار بانّ نصرتهما نصرة لله فى الحقيقة [كَمٰا قٰالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ] يعنى قلنا لكم كونوا انصار الله كما قال عيسى (ع)، او المعنى قل يا محمّد (ص): يا ايّها الّذين آمنوا كونوا انصار الله كما قال عيسى (ع)، او كما قال عيسى متعلّق بكونوا انصار الله ويكون المشبّه به كون الحواريّين انصار الله [لِلْحَوٰارِيِّينَ مَنْ أَنْصٰارِي إِلَى اللهِ قٰالَ الْحَوٰارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصٰارُ اللهِ] قدمضت هذه الآية فى سورة آل عمران مع بيان لها [فَآمَنَتْ] بعد قول عيسى بن مريم (ع) [طٰائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرٰائِيلَ وَكَفَرَتْ طٰائِفَةٌ] يعنى بالله بواسطة عيسى او بعيسى (ع) بعد قوله هذا [فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظٰاهِرِينَ] يعنى غالبين وهذه تسلية للرّسول (ص) و تبشير و تسلية للمؤمنين و تهديد للكافرين من امّة محمّد (ص).

سورة الجمعة

مدنيّة، احدى عشرة آية.

بسم الله الرّحمن الرّحيم

[يُسَبِّحُ لِلّٰهِ مٰافِي السَّمٰوٰاتِ وَمٰافِي الْأَرْضِ] قد مضى وجه الاداء بالماضى فى السّور السّابقة ، والاتيان بالمضارع فى هذه السّورة و فى التّغابن [الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ] قد مضى بيان قدسه تعالى و الفرق بينه و بين تسبيحه فى البقرة عند قوله تعالى : ونحن نسبّح بحمدك و نقدّس لك [الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ] التّوصيف بهذه الاوصاف لبيان علّة تسبيح الاشياء تماماً له ، وقرئ الكلّ بالرّفع على المدح [هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ] كلام منقطع عن سابقه و بيان للامتنان على امّة محمّدٍ (ص) وتمهيد للتّعريض الآتى [يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيٰاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتٰابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كٰانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلاٰلٍ مُبِينٍ] قد مضى بيان لهذه الآية ووجه تقديم التّزكية على التّعليم فيها ، و وجه تقديم التّعليم على التّزكية فى دعاء ابراهيم (ع) بقوله : ربّنا و ابعث فيهم رسولاً منهم يتلوا عليهم آياتك و يعلّمهم الكتاب و الحكمة و يزكّيهم [وَآخَرِينَ مِنْهُمْ] من الامّيّين او من جنسهم من سائر النّاس من الاعاجم وهو عطف على الامّيّين او على مفعول يعلّمهم والمراد بالآخرين التّابعون وتابعوا التّابعين الى يوم القيامة ، اوغير اهل مكّة من اهل العالم من الفارس والتّرك والرّوم، او المراد بالآخرين آخرون فى الرّتبة ، وروى انّ النّبىّ (ع) قرأ هذه الآية فقيل له : من هؤلاء؟- فوضع يده على كتف سلمان رحمه الله وقال: لوكان الايمان فى الثّريا لناله رجال من هؤلاء [لَمّٰا يَلْحَقُوا بِهِمْ] وسيلحقون بهم الى يوم القيامة [وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ذٰلِكَ] اى بعث رسولٍ من جنس البشر او بعث مثل محمّدٍ (ص) الّذى يزكّيهم ثمّ يعلّمهم الكتاب و الحكمة [فَضْلُ اللّٰهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشٰاءُ] من الامم فيكون منّة منه تعالى على امّة محمّدٍ (ص)،اوذلك الرّسالة وتذكير اسم الاشارة باعتبار الخبر كأنّه قال: ذلك الفضل الّذى هو الرّسالة والنّبوّة فضل الله يؤتيه من يشاء من افراد البشر [وَاللّٰهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ] فيعطى ازيد من ذلك اولا ينقص من فضله شيء بايتاء الرّسالة للمستحقّين اوذو الفضل العظيم على النّاس ببعثة محمّدٍ(ص) فيهم [مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرٰاةَ] حملهم التّوراة انبياؤهم وعلماؤهم بان علّموهم التّوراة وكلّفوهم العمل بها ، و هذا بيان لحال اليهود و ذمّ لهم لكنّه تعريض بمنافقى امّة محمّدٍ (ص) الّذين لم يقرّوا بعلىّ (ع) والّذين لم يعملوا بالقرآن [ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهٰا] بان لم يعملوا بها [كَمَثَلِ الْحِمٰارِ يَحْمِلُ أَسْفٰاراً] فى كلفة الحمل والتّعب فيها وعدم الانتفاع بها بل التّضرّر بثقلها وتعب حملها ، فمن تعلّم القرآن ولم يعمل بما فيه كائناً من كان كان من اهل هذا المثل مثل الصّحابة الّذين اهتمّوا بحفظ القرآن عن التّغيير و بتلاوته وقراءته ولم يعملوا بما فيه من مراعاة العترة ومودّتهم واتّباعهم، وكذلك من تعلّم القرآن وعلم احكامه وعمل بما فيه ، ومن تعلّم احكام الشّريعة وعمل بها لكن كان منظوره من علم ذلك الحيوة الدّنيا لا الحيوة الآخرة كان من اهل هذا المثل، ونعم ماقال المولوىّ :

علمهاى اهل دل حمّالشان علمهاى اهل تن احمالشان
علم چون بر دل زند يارى شود علم چون بر تن زند بارى شود
گفت ايزد يحمل اسفاره بار باشد علم كان نبود ز هو

علم كان نبود ز هو بيواسطه آن نپايد همچو رنگ ما شطه
ليک چون اين بار را نيكو كشى بار برگيرند و بخشندت خوشى
هين بكش بهر خدا اين بار علم تا ببينى در درون انبار علم
تا كه بر رهوار علم آئى سوار آنگهان افتد ترا از دوش بار

[بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللّهِ] يعنى كل من كذّب بآيات الله وكلّ من كان اهل ملّة ولم يرد وجه الله كان من اهل هذا المثل [وَاللّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظّالِمِينَ] يعنى المكذّبين بآيات الله والمحمّلين للكتب السّماويّة والغير الحاملين لها ، لكنّه وضع الظّاهر موضع المضمر اشعاراً بظلمهم وتعليلاً للحكم يعنى انّ الله لا يهديهم الى الصّراط الانسانىّ اوالى الجنّة اوالى مقاصدهم [قُلْ] لليهود تعريضاً بمن ادّعى منك الخلافة او بجميع امّتك [يا اَيُّهَا الَّذِينَ هادُوا اِنْ زَعَمْتُمْ اَنَّكُمْ اَوْلِياءُ لِلّهِ مِنْ دُونِ النّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ اِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ] فى هذا الادّعاء يعنى ان كنتم اولياء لله فالحيوة الدّنيويّة تحجبكم عنه وكلّ محبّ يتمنّى لقاء المحبوب والموت يخرجكم من الحجاب و يوصلكم الى لقاءالله [وَلا يَتَمَنَّوْنَهُ اَبَداً] لانّهم ناسون لله و راضون بالحيوة الدّنيا [بِما قَدَّمَتْ اَيْدِيهِمْ] من المعاصى الّتى يخافون ان يدخلوا بها النّار ، اومن المعاصى الّتى تنسيهم الآخرة و تصرفهم الى جهة الدّنيا بحيث صاروا محبّين للدّنيا غيرمحبّين للآخرة [وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظّالِمِينَ] اى بهم ووضع الظّاهر موضع المضمر اشعاراً بظلمهم ومبالغةً فى تهديدهم [قُلْ] لليهود اولجميع الخلق [اِنَّ الْمَوْتَ الَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَاِنَّهُ مُلاقِيكُمْ] فلا ينفعكم الفرار منه وليكن فراركم ممّا يضرّ فيما بعده [ثُمَّ تُرَدُّونَ] بعد الموت [اِلى عالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ] اى الى الّذى يعلم جميع الغائبات عن المدارك اوجميع الغائبات عن الخلق وجميع المشهودات، اوجميع مامن شأنه ان يشاهد اوعالم عالم الغيب وعالم عالم الشّهادة وعلى اىّ تقدير فهوتحذير عن مخالفة الله فى السّرّ و العلانية [فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ] و يجازيكم بحسبه و بعد ما هدّد المسلمين بالتّعريض ناديهم تلطّفاً فقال [يا اَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اِذا نُودِىَ لِلصَّلوةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ] .

اعلم ، انّ ايّام الاسبوع مظاهر للايّام الرّبوبيّة ودَوَران الايّام على الاسبوع ليس بمواضعة بنى آدم والّا لكان الاختلاف فى دَوَرانها وكان فرقة يديرها على السّتة اوالخمسة او الاربعة ، وفرقة يديرها على الثّمانية اوالتّسعة ، اوغير ذلك ومن يديرها على السّبعة لم يكن يديرها بتلك الادارة بان يجعل المبدء الاحد والمنتهى السّبت، اوالمبدء السّبت والمنتهى الجمعة ، و فى الجملة لم يكونوا يسمّى كلّهم احداً احداً و منسوباً الى الشّمس والسّبت سبتاً و منسوباً الى كوكبٍ خاصّ و بالجملة لم يكن عند جميع المنجّمين كلّ يوم مخصوصٍ منسوباً الى كوكبٍ خاصّ ، وقد اتّفق المنجّمون من كلّ ملّة و فى كلّ لسان على ادارة الايّام على السّبعة بهذا التّرتيب المخصوص و انتساب كلّ يومٍ مخصوصٍ الى كوكبٍ خاصّ سمّيت بهذه الاسماء ام لم تسمّ ، والايّام الرّبوبيّة الّتى هذه الايّام بازائها يوم المجرّدات الّتى هم قيام لا ينظرون ، و يوم الصّافّات صفّاً ، و يوم المدبّرات امراً ، و يوم ذوى الاجنحة مثنى وثلث و رباع ، و يوم الكيان ، و يوم الملكوت السّفلى ، او يوم المدبّرات امراً ، و يوم الرّكّع والسّجّد، و يوم المتقدّرات المجرّدة علويّين كانوا ام سفليّين ، وهذه الايّام كما اشير اليها فى سورة الاعراف هى الايّام الّتى خلق السّماوت و الارض فيها و بها احتجب عن الخلق ، واليوم السّابع هو يوم جمع الجمع الّذى يعبّر عنه بالمشيّة ومقام الظّهور ، ولمّا كان الجمعة بازاء

يوم الجمع طولاً امرالله العباد بانعقاد الجمعة ، و امر ان لاينعقد الجمعة باقل من سبعة اوخمسة ، ولمّا كان يوم الجمع خاصّاً بمحمّد (ص) لاحظّ لاحد سواه (ص) فيه جعل الجمعة التّى بازائه عيداً خاصّاً بمحمّد (ص) وحرّم السّفر فيها على من كان المسافة بينه و بين مجمع النّاس للجمعة اقلّ من فرسخين او بقدر فرسخين ، ولذلك قال : اذا نودى للصّلوة من يوم الجمعة يعنى اذا اذّن لصلوة الجمعة [فَاسْعَوْا] اى فأسرعوا [اِلٰى ذِكْرِ اللّٰهِ] يعنى الصّلوة [وَذَرُوا الْبَيْعَ] فانّ البيع فى هذا اليوم خلاف مقتضى هذا اليوم خصوصاً وقت وصول الشّمس الى نصف النّهار [ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ] فانّه اذا اعطى كلّ يوم حقّه كان خيراً لكم [اِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ] كان خيراً لكم يعنى ان اتّبعتم عليّاً (ع) وقبلتم ولايته بالبيعة معه فانّ العلم والتّعلّم منحصران فى شيعة علىّ (ع)، او ان كنتم تعلمون انّه خير لكم اخترتموه [فَاِذٰا قُضِيَتِ الصَّلٰوةُ فَانْتَشِرُوا فِى الْاَرْضِ] لمّا كان الاجتماع فى الجمعة لذكر الله بمنزلة الفناء الذّاتىّ والبقاء فى ذلك الفناء يورث نقصان الوجود والمطلوب من الانسان استكماله بجميع جنوده ولايمكن الّا بالبقاء بعد الفناء امرهم بالانتشار فى الارض وابتغاء فضله كما قال [وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللّٰهِ] الصّورىّ بطلب ماتحتاجون اليه من جهة الحلال، وفضل الله المعنوىّ بزيارة الاخوان وعيادة مرضاهم وتشييع جنائزهم كما فى الخبر عن النّبىّ (ص) وعن الصّادق (ع) : الصّلوة يوم الجمعة ، والانتشار يوم السّبت ، وعنه (ع) انّى لاركب فى الحاجة التّى كفاها الله ما اركب فيها الّا التماس ان يرانى الله اضحى فى طلب الحلال، اماتسمع قول الله عزّ اسمه ؟ فاذا قضيت الصّلوة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله [وَاذْكُرُوا اللّٰهَ كَثِيرًا] فى حال ابتغاء الفضل او فى جميع الاحوال فانّ ذكر الله مرغوب فيه ولو كنت تبول فانّه كما فى الخبر لابأس بذكر الله و انت تبول وقد مضى فى سورة البقرة عند قوله تعالى : فاذكرونى اذكركم بيان للذّكر ومراتبه وكيفيّته [لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ] فانّ الفلاح بالذّكر لانّ مناط الطّاعة والمعصية كما يستفاد ممّا وردعن الصّادق (ع) الذّكر والغفلة، روى عن النّبىّ (ص) من ذكر الله مخلصاً فى السّوق عند غفلة النّاس وشغلهم بما هم فيه كتب الله له الف حسنة ويغفر الله له يوم القيامة مغفرة لم تخطر على قلب بشر [وَاِذٰا رَاَوْا تِجٰارَةً اَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا] اليها استدراك كأنّه قال: لكنّهم لايقبلون و اذا رأوا تجارة اولهوا انفضّوا [اِلَيْهٰا] اى الى التّجارة خصّ الضّمير بها لانّ اللّهو كان تبعاً للتّجارة [وَتَرَكُوكَ قٰائِمًا] تخطب على المنبر كما فى خبرٍ، اوفى الصّلوة كما فى خبر آخر [قُلْ] لهم [مٰا عِنْدَ اللّٰهِ] من النّعيم المقيم [خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجٰارَةِ] فانّ التّجارة ان كان فيه نفع دنيوىّ واللّهو ان كان فيه نفع خيالىٌّ والتذاذ وهمىٌّ فما عندالله خير لانّ نفعه عقلىّ روحىّ وهو غير منقطع وغير مشوب بالآلام [وَاللّٰهُ خَيْرُ الرّٰازِقِينَ] روى عن جابر انّه قال: اقبلت عير ونحن نصلّى مع رسول الله (ص) فانفضّ النّاس اليها فما بقى غير اثنى عشر رجلاً انا فيهم فنزلت الآية، وفى رواية : اقبلت عير و بين يديها قوم يضربون بالدّفوف والملاهى فقال النّبىّ (ص) : والّذى نفسى بيده لو تتابعتم حتّى لايبقى احد منكم لسال بكم الوادى ناراً، وعن الصّادق (ع) : انّ الواجب على كلّ مؤمن اذا كان لنا شيعة ان يقرأ فى ليلة الجمعة بالجمعة وسبّح اسم ربّك الاعلى ، وفى صلوة الظّهر بالجمعة والمنافقين فاذا فعل ذلك فكأنّما يعمل بعمل رسول الله (ص) وكان ثوابه وجزاؤه على الله الجنّة،

سُورَةُ المُنافِقُون

مدنيّة، وهي احدى عشرة آيةً.

بسم الله الرّحمن الرّحيم

[إِذا جاءَكَ الْمُنافِقُونَ قالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ] لبيان انّ المشهود به صدق و رفع توهّم رجوع التّكذيب الى المشهود قدّم هذا ثمّ قال [وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنافِقِينَ لَكاذِبُونَ] لعدم مطابقة المشهود به لما فى قلوبهم [اتَّخَذُوا أَيْمانَهُمْ جُنَّةً] عن القتل والاسر وحفظوا بها دماءهم واموالهم او اتّخذوها جنّة عن شتم المسلمين ولومهم، اوجنّة عن سوءظنّ المسلمين بهم وفرارهم عنهم، وقرئ ايمانهم بكسر الهمزة [فَصَدُّوا] منعوا او اعرضوا [عَنْ سَبِيلِ اللهِ] الّذى هو علىّ (ع) و ولايته [إِنَّهُمْ ساءَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ].

اعلم، انّ النّفاق عبارة عن اظهار ما لم تكن تعتقده مثل الّذين اظهروا الاسلام و باعوا البيعة النّبويّة من غير اعتقاد برسالة الرّسول (ص) اومع الشّكّ فى رسالته، اوكانوا معتقدين ثمّ طرأ الشّكّ والانكار، هذا بحسب الظّاهر و الاعتقاد وقد يعتبر النّفاق بحسب الاعمال الظّاهرة من غير موافقة الاحوال الباطنة و هذا نفاق قلّ من يخلو عنه من المسلمين، فانّ الاذكار والافعال الواقعة فى الصّلوة كلّها عناوين واظهار لاحوال النّفوس فانّ قول القائل بسم الله الرّحمن الرّحيم تعبير عن نفسه وانّه يتسمّ نفسه بالعبادة فاذا لم يكن حاله موافقاً لهذا التّعبير كان منافقاً حالاً، وهكذا الحمد لله ربّ العالمين وهكذا ايّاك نعبد حصر للعبادة فيه و ايّاك نستعين حصر للاستعانة فيه فلو كان حال القائل ذلك ان يرى موصوفاً آخر او يعتقد موصوفاً آخر بالصّفات الحميدة اوكان له معبود آخر من الاهوية اوالاناسىّ، اوكان نظره الى معين آخر و الاستعانة بغير الله كان منافقاً حالاً، وفعل الرّكوع تعبير عن نفسه بانّه خاشع لله بحيث دعا خشوعه له الى الانثناء، وسجوده تعبير عن كمال خضوعه له تعالى فاذا لم يكن حاله على هذا المنوال كان منافقاً، وهكذا قنوته وسائر دعواته فى احوال الصّلوة، وصيامه تعبير عن نفسه بانّه صام عن غير التذاذ بجمال الله والسّلوك اليه، وزكوته كناية عن انّه فى نقصان الانانيّة، فلو لم ينقص من انانيّته بل كان فى زكوته معجباً بنفسه رائياً عمله كان منافقاً، وقد ورد: ما زاد خشوع الجسد على خشوع القلب فهو من النّفاق [ذٰلِكَ] الكذب واتّخاذ الايمان جنّة والصّدّ اوالصّدود عن سبيل الله [بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا] والكفر بعد الايمان ابلغ واشدّ من الكفر الاوّل، وكفر النّفاق افضح [فَطُبِعَ عَلىٰ قُلُوبِهِمْ] بحيث لم يبق فيها مدخل ومخرج للملك والنّور [فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ] لا يدركون ادراكاً اخرويّاً مؤدّياً الى ادراك آخر [وَإِذا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسامُهُمْ] بحسنها وتجمّلها بما يتجمّل بها وطراوتها ونضارتها [وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ] لطلاقة لسانهم وحلاوة كلامهم و تسمع قام مقام القول اى يقل اسمع لقولهم [كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ] على الحائط فى كونهم خالين عن الرّوح والعقل، وفى عدم الانتفاع بهم بوجه آخر مثل الخشب المسنّدة الّتى ليست عمداً لسقف اوغيره [يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ] لعدم توكّلهم على ربّهم وجبنهم واتّهامهم فى المسلمين [هُمُ الْعَدُوُّ] استيناف جواب سؤال مقدّر كأنّه قيل: فما شأنهم؟ ومانفعل بهم؟ ـ فقال: هم الكاملون فى العداوة

[فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللهُ] اخبار عن حالهم بانّهم قاتلهم الله عن الحيوة الانسانيّة ، اواخبار عمّا يفعل بهم بعد لكنّه اداه بالماضى لتحقّق وقوعه ، اودعاء عليهم بمقاتلة الله لهم [أَنَّى يُؤْفَكُونَ] كيف يصرفون عن الحقّ [وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ لَوَّوْا رُؤُسَهُمْ] كناية عن الانكار والاستكبار [وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ] يعرضون او يمنعون [وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ] عن الاتيان والاعتذار والاستغفار [سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ] تعليلٌ لاستواء الاستغفار وعدمه ومبالغة فى يأسهم عن مغفرة الله فانّ عدم مغفرته مع استغفار الرّسول (ص) دليل ان ليس فيهم مايمكن المغفرة لهم [إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ] تعليلٌ آخر والمقصود عدم الهداية الى الجنّة او الى الحقّ [هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا] يتفرّقوا [وَلِلّٰهِ خَزَائِنُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ] جملة حاليّة [وَلٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ] الّذين يقولون لاتنفقوا حتّى ينفضّوا [لَا يَفْقَهُونَ] اى لايدركون ذلك ادراكاً اخرويّاً [يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ] كنّوا عن انفسهم بالاعزّ وعن المؤمنين بالاذلّ [وَلِلّٰهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ] انّ العزّة الدّنيويّة والاخرويّة لله وعندالله ولمن كان من حزب الله وان كانوا بحسب الانظار الظّاهرة مغلوبين، نزلت الآيات كما عن القمّىّ، فى غزوة بنى المصطلق فى سنة خمس من الهجرة وكان رسول الله (ص) خرج اليها فلمّا رجع منها نزل على بئر وكان الماء قليلاً فيها وكان سنان حليف الانصار وكان جهجاه بن سعيد الغفارىّ اجيراً لعمر بن الخطّاب فاجتمعوا على البئر فتعلّق دلو سنان بدلو جهجاه فقال سنان: دلوى وقال جهجاه: دلوى، فضرب جهجاه يده على وجه سنان فسال منه الدّم فنادى سنان بالخزرج ونادى جهجاه بقريش فاخذ النّاس السّلاح وكاد ان تقع الفتنة فسمع عبدالله بن اُبىّ النّداء فقال: ماهذا؟- فأخبروه بالخبر فغضب غضباً شديداً ثمّ قال: قد كنت كارهاً لهذا المسير انّى لاذلّ العرب؟! ماظننت انّى ابقى الى ان اسمع مثل هذا فلا يكون عندى تغيير، ثمّ اقبل على اصحابه فقال: هذا عملكم، أنزلتموهم منازلكم وواسيتموهم بأموالكم، ووقيتموهم بأنفسكم وأبرزتم نحوركم للقتل، فأرمل نساءكم وايتم صبيانكم، ولو اخرجتموهم لكانوا عيالاً على غيركم، ثمّ قال: لئن رجعنا الى المدينة ليخرجنّ الاعزّ منها الاذلّ، وكان فى القوم زيد بن ارقم وكان غلاماً قد راهق وكان رسول الله (ص) فى ظلّ شجرة فى وقت الهاجرة وعنده قوم من اصحابه من المهاجرين والانصار، فجاء زيد فأخبره بما قال عبدالله بن ابىّ، فقال رسول الله (ص): لعلّك وهمت يا غلام؟- قال: لا والله ماوهمت، فقال: لعلّك غضبت عليه؟ قال: لا والله ماغضبت عليه، قال: فلعلّه سفّه عليك؟- قال: لاوالله، فقال رسول الله (ص) لشقران مولاه فأحدج[1] فاحدج راحلته وركب وتسامع النّاس بذلك، فقالوا: ماكان رسول الله (ص) ليرحل فى مثل هذا الوقت فرحل النّاس الى ان قال: فسار رسول الله (ص) يومه كلّه لايكلّمه احد فأقبلت الخزرج على عبدالله بن ابىّ يعذلونه فحلف عبدالله انّه لم يقل شيئاً من ذلك، فقالوا: فقم بنا الى رسول الله (ص) حتّى نعتذر اليه فلوّى عنقه، فلمّا جنّ اللّيل سار رسول الله (ص) ليله كلّه والنّهار فلم ينزلوا الّا للصّلوة، فلمّا كان من الغد نزل رسول الله (ص) ونزل اصحابه وقد امهدهم الارض من السّهر الّذى اصابهم، فجاء عبدالله بن ابىّ الى رسول الله (ص) فحلف انّه لم يقل ذلك وانّه ليشهد ان لا اله الّا الله وانّك لرسول الله وانّ زيدا قد كذب علىّ، فقبل رسول الله (ص) منه وأقبلت الخزرج على زيد بن ارقم يشتمونه (الى ان قال) فنزل الوحى عليه فلمّا نزل جمع اصحابه وقرأ عليهم سورة المنافقين ففضح الله

---

(١) الحدج كالضرب والاحداج شدّ الحمل على البعير ، والحدج بالكسر الحمل .

عبدالله بن ابىّ، و عن الكاظم (ع) انّ الله تبارك و تعالى سمّى من لم يتّبع رسوله (ص) فى ولاية علىّ (ع) وصيّه منافقين، و جعل من جحد وصيّه امامته كمن جحد محمّداً (ص) و انزل بذلك قرآناً فقال: يا محمّد اذا جاءك المنافقون بولاية وصيّك قالوا نشهد انّك لرسول الله والله يعلم انّك لرسوله والله يشهد انّ المنافقين بولاية علىّ لكاذبون، اتّخذوا ايمانهم جنّة فصدّوا عن سبيل الله والسّبيل هوالوصىّ انّهم ساء ماكانوا يعملون، ذلك بانّهم آمنوا برسالتك و كفروا بولاية وصيّك فطبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون، يقول: لا يعقلون نبوّتك، واذا قيل لهم: ارجعوا الى ولاية علىّ (ع) يستغفر لكم النّبىّ (ع) من ذنوبكم لوّوا رؤسهم قال الله و رأيتهم يصدّون عن ولاية علىّ (ع) وهم مستكبرون عليه، ثمّ عطف القول بمعرفته بهم فقال: سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم انّ الله لا يهدى القوم الفاسقين يقول الظّالمين لوصيّك [يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ] فانّ القلب للطافته يران عليه و يقسيه اشتغاله بالكثرات الخياليّة وذكر الله يجلوه عن الرّين، فلو اشتغل الانسان بالاموال والاولاد فاذا كان ذاكراً لله صار الذّكر جالياً لقلبه عن الرّين، واذا كان غافلاً عن ذكر الله صار الرّين متراكماً على قلبه بحيث يتشكّك اوّلاً ثمّ يكفر و ينافق [وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ] لاتلاف بضاعتهم وعدم اخذ العوض له [وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ] من الاموال والقوى والاعراض، ومن نسب الافعال والاوصاف الى انفسكم، ومن انانيّاتكم [مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ] فيؤخذ جميع ذلك منكم فلا تروا شيئاً ممّا تنسبونه الى انفسكم [فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ] يعنى الى مدّة قريبة من هذه المدّة ان كان هذا القول حال الاحتضار، او من مدّة قريبة من وقت الموت ان كان هذا القول فى القيامة او فى البرزخ [فَأَصَّدَّقَ] فأتصدّق ممّا ينبغى ان يتصدّق منه [وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ] مجزوم معطوف على مجموع الفاء وما بعده فانّه واقع موقع المضارع المجزوم فى جواب لولا، وقرئ منصوباً عطفاً على ما بعد الفاء، ومرفوعاً بتقدير انا اكون من الصّالحين [وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ] جملة حاليّة و رفع لتوهّم انّه يجوز التّأخير ام لا [نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا] اذا قدّر مجيء اجلها، عن الباقر (ع) انّ عند الله كتباً موقوفة يقدّم منها مايشاء و يؤخّر مايشاء، فاذا كان ليلة القدر انزل الله فيها كلّ شيء يكون الى مثلها فذلك قوله: ولن يؤخّر الله نفساً اذا جاء اجلها اذا انزل الله، وكتبه كتاب السّموات وهو الّذى لا يؤخّره [وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ] تهديدٌ للمنافقين والكافرين، اوردع وزجر للكافر فى القيامة.

سورة التّغابن

مدنيّة، وقيل: مكّيّة غير ثلاث آياتٍ من آخرها نزلت بالمدينة: يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا إنَّ مِنْ أزواجِكُمْ (الى آخر السّورة) ثمانى عشرة آيةً.

بسم الله الرّحمن الرّحيم

[يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ] اى ما ينبغى ان يملك [وَلَهُ الْحَمْدُ]

اى ما ينبغى ان يوصف الكامل به [وَهُوَ عَلٰى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ] فيقدرعلى استنطاق الاشياء بالتّسبيح وهذه تعداد الاوصاف الجميلة و اشارة الى علّة تسبيح الاشياء له ، ولكونها تعداداً لاوصافه الحميدة قال [هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كٰافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ] بدون العاطف والمعنى فمنكم مؤمن بالولاية ، ومنكم كافر بالولاية كمامرّ مراراً انّ مناط الكفر والايمان معرفة الولاية وانكارها ، وعن الصّادق(ع) انّه سئل عن هذه الآية فقال: عرّف الله ايمانهم بولايتنا وكفرهم بتركها يوم اخذ عليهم الميثاق فى صلب آدم (ع) وهم ذرّ [وَاللّٰهُ بِمٰا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ] تهديدٌ للكافر وترغيبٌ للمؤمن [خَلَقَ السَّمٰوٰاتِ وَالْاَرْضَ بِالْحَقِّ] فلم يكن اسباب السّماوات والارض الّتى بها ايجادكم و ابقاؤكم الّا لامرٍ حقٍّ وغايةٍ شريفةٍ متقنةٍ لا لهذه الغايات الدّنيّة الباطلة الّتى هى وصول القوى الشّهويّة والغضبيّة والشّيطانيّة الى مستلذّاتها فلاتقطعوا غاياتكم الشّريفة ولاتبطلوا ذواتكم [وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ] لتكونوا مقرّبين له فانّه خلقكم وصوّركم مشتملين على جميع ما فى عالم الامر والخلق بل على جميع ما فى العالم الا لٰهىّ لتصيروا بطرح الطّوارى عن وجوه ذواتكم بشأنه تعالى و تصيروا احقّاء بقربه فلاتبطلوا ذواتكم دون الوصول الى غاياتكم [وَاِلَيْهِ الْمَصِيرُ] اى مصيركم ترغيب و تهديد يعنى استعدّوا للحضور عنده و تهيّؤا للوصول اليه بأحسن الوجوه [يَعْلَمُ مٰا فِى السَّمٰوٰاتِ وَمٰا فِى الْاَرْضِ وَيَعْلَمُ مٰا تُسِرُّونَ وَمٰا تُعْلِنُونَ] تهديدٌ وترغيبٌ [وَاللّٰهُ عَلِيمٌ بِذٰاتِ الصُّدُورِ] قد مضى امثال هذه الآية مع تفسيرها مكرّراً [اَلَمْ يَأْتِكُمْ] ايّها النّاس [نَبَؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ] فتعتبروا بأحوالهم وترتدعوا عن مثل افعالهم [فَذٰاقُوا وَبٰالَ اَمْرِهِمْ] فى الدّنيا فاحذروا عن مثل افعالهم [وَلَهُمْ عَذٰابٌ اَلِيمٌ] فى الآخرة [ذٰلِكَ بِاَنَّهُ كٰانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنٰاتِ] كما جاءكم رسولكم بالبيّنات [فَقٰالُوا اَبَشَرٌ يَهْدُونَنٰا] مثل ما تقولون لوشاء الله ان يرسل رسولا لأنزل ملائكة [فَكَفَرُوا] بالرّسل مثلكم [وَتَوَلَّوْا] عنهم وعن بيّناتهم وعن التّدبّر فيها [وَاسْتَغْنَى اللّٰهُ] عنهم يعنى استغنى الله فى مظاهر رسلهم(ع) بمعنى استغنى الرّسل عنهم وعن الاعتداد بهم فلم يكن من قبلهم استعداد لقبول الايمان ولم يكن من قبل الرّسل دعوةٌ لهم [وَاللّٰهُ غَنِىٌّ] عنهم وعن عبادتهم وعن ايمانهم [حَمِيدٌ] فى نفسه عرف ام لم يعرف ، حمد ام لم يحمد [زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا اَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلٰى وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمٰا عَمِلْتُمْ وَذٰلِكَ عَلَى اللّٰهِ يَسِيرٌ فَآمِنُوا] يعنى اذا كنتم تبعثون فآمنوا [بِاللّٰهِ] الّذى تبعثون اليه [وَرَسُولِهِ] الّذى يعلّمكم طريق الايمان به [وَالنُّورِ الَّذِى اَنْزَلْنٰا] والنّور المنزل هو ولاية علىّ (ع) الّتى كانت مع كلّ نبىّ سرّاً ومع محمّد (ص) سرّاً وجهراً ، وقد فسّر فى الاخبار بالامامة و بالامام ، وسئل الباقر(ع) عن هذه الآية فقال: النّور والله الائمّة (ع) ،لنور الامام فى قلوب المؤمنين انور من الشّمس المضيئة بالنّهار، و هم الّذين ينوّرون قلوب المؤمنين و يحجب الله نورهم عمّن يشاء فتظلم قلوبهم ويغشيهم بها .

اعلم ، انّ النّور هو الّذى ظهر بذاته واظهر غيره وهذا حقّ الوجود فانّه الظّاهر بذاته بحيث انّه اقدم البديهيّات واوّل المدركات ، وبعد تعيين المفهوم هو اوّل المسؤلات ، فانّ السّؤال بما الشّارحة الّذى هو سؤال عن مفهوم اللّفظ مقدّم على السّؤال بهل البسيطة ، وبعد تعيين مفهوم اللّفظ لايسأل الّا بهل البسيطة وبعد السّؤال بهل البسيطة يكون سائر السّؤالات ، ومعنى كونه مظهراً للاشياء انّه لاظهور لشىءٍ من الاشياء على مدركٍ من المدارك الّا بالوجود ،

والوجود الظّاهر بذاته المظهر لغيره هو المشيّة الّتى هى فعل الحقّ الاوّل تعالى واضافته الى الاشياء وهى الولاية المطلقة الّتى جميع الولايات الجزئيّة حصصٌ منها وكلّ موجود موجودٌ بها وكلّ ظاهرٍ ظاهرٌ بها حتّى النّور العرضىّ الّذى به يظهر السّطوح والاشكال والالوان، فانّه لولا الوجود لما ظهر ذلك النّور على الابصار ولما اظهر الاشياء، وكلّ امام لمّا صار متّصلا بالمشيّة نحو اتّصال فى الصّعود بعد ما كان متّصلا بها مثل سائر الاشياء فى النّزول و بذلك الاتّصال يؤثّر فيمن اتّصل به و يفيده فعليّةً وجوديّةً فى الصّعود لم تكن له تلك الفعليّة و بتلك الفعليّة يظهر عليه وجوده وفسّروا النّور بالامام قبل الاتّصال بالامام، وتلك الفعليّة وجود حادث فى فعليّات هذا المتّصل ومقوّمة لسائرها ومحيطة بها، وهى الايمان الدّاخل فى قلب المؤمن بالبيعة الخاصّة الولويّة، و بتلك الفعليّة يظهر على المؤمن السّالك دقائق اخلاقه الّتى هى ادقّ من الشّعر واخفى من دبيب النّملة السّوداء على الصّخرة الصمّاء فى اللّيلة الظّلماء، و يظهر عليه مثل هذا الشّرك الخفىّ ولم تكن تظهر عليه امثال هذه قبل ذلك، ولم تكن تظهر بنور الشّمع والسّراج، ولا بنور الكواكب والقمر، ولا بنور الشّمس الّتى هى انور، ولمثل هذا النّور وهذا الظّهور قد يرى المؤمن نفسه اسوء من كلّ مسيء واشدّ ذنباً من كلّ مذنب، وقد يصير مبغضاً لنفسه اشدّ بغض، ولمثل هذا الظّهور يصير الدّنيا سجناً له، هذا هو الظّهور العلمىّ والحالىّ الوجدانىّ، وقد يظهر الامام بصورته الملكوتيّة النّورانيّة على صدر السّالك وهذا الظّهور هو ظهور القائم (ع) فى العالم الصّغير وحينئذ تشرق ارض وجود السّالك بنور ربّه اشراقاً اشدّ من اشراق ارض العالم الكبير بنور الشّمس ولشدّة الاشراق لا ترى فيها عوجاً ولا امتاً، و يومئذ تحدّث اخبارها، واخرجت اثقالها، فعليكم بالاتّصال بهذا النّور فان لم يظهر عليكم الامام بصورته الملكوتيّة فلا اقلّ من ظهور الرّذائل والخصائل بنوره ولا اقلّ من ادراك قبح الرّذائل ثمّ الانزجار منها و ادراك حسن الخصائل ثمّ الرّغبة فيها والطّلب لها [وَاللّٰهُ بِمٰا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ] ترغيب و تهديد [يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ] ظرف لخبير او لاذكروا مقدّراً كأنّه قيل: فما نفعل حتّى يستقيم ايماننا بهذا النّور؟ـ فقال: اذكروا حضوركم عند ربّكم حتّى يسهل عليكم الايمان بهذا النّور و تستقيموا على الايمان به [ذٰلِكَ يَوْمُ التَّغٰابُنِ] يوم ظهور غبن المغبون، او يوم غبن اهل الجنّة اهل النّار بنزولهم منازل اهل النّار فى الجنّة، وفى الخبر يوم يغبن اهل الجنّة اهل النّار [وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللّٰهِ وَيَعْمَلْ صٰالِحًا] اىّ صالحٍ كان حتّى يظهر بعمل صالحٍ ما صحّة ايمانه او يعمل صالحاً عظيماً هو قبول الولاية بالبيعة الخاصّة الولويّة [يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئٰاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنّٰاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰارُ خٰالِدِينَ فِيهٰا أَبَدًا ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيٰاتِنٰا أُولٰئِكَ أَصْحٰابُ النّٰارِ خٰالِدِينَ فِيهٰا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ] قد مضى الآيتان مكرّرتين [مٰا أَصٰابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلّٰا بِإِذْنِ اللّٰهِ] جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: ان كان من يؤمن بالله و يعمل صالحاً كذا وكذا فى الآخرة فلم يصيبهم المصائب فى الدّنيا؟ـ فقال: اصابة المصيبة لا تكون الّا باذن الله، وليست الّا لحكمة تكميل المؤمن، او كأنّه قيل: كأنّ كفر الكافر ليس باذن الله؟ـ فقال: ما اصاب من مصيبةٍ الّا باذن الله غاية الامر انّ مصيبة المؤمن تكون تكميلاً له، ومصيبة الكافر او كفره كانت باستعداده السّابق ونقمة له [وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللّٰهِ] بالبيعة العامّة [يَهْدِ قَلْبَهُ] للايمان الخاصّ والبيعة الخاصّة، اومن يؤمن بالله بالبيعة الخاصّة يهد قلبه الى العلم بانّ اصابة المصائب ليست الّا باذن الله، عن الصّادق (ع) انّ القلب ليترجّج[1] فيما بين الصّدر والحنجرة حتّى يعقد على الايمان، فاذا عقد على الايمان قرّ وذلك قول الله عزّ وجلّ: ومن يؤمن بالله يهد قلبه [وَاللّٰهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ] فيعلم القلوب وايمانها و سائر احوالها [وَأَطِيعُوا اللّٰهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ] فى جميع ما قالاه لكم او فى خصوص ولاية علىّ (ع) وهذا هو المنظور، فانّ المقصود من طاعة الله و رسوله (ص) فى سائر ما امر رسوله (ص) انتهاء الطّاعة الى قبول

---

(١) اى يتزلزل و ترجرج = تحرّك و اضطرب.

الولاية لانّها المنظور من كلّ منظور، والمطلوب من كلّ مطلوب [فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ] عن الله و رسوله فلا يرد عليه شين من ذلك [فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ] وقد بلّغ رسالته او احكام رسالته او ولاية خليفته [اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ] لانّ الايمان يقتضى الاقرار بان لا مبدء لحادث من الحوادث الّا الله، وهذا الاقرار يقتضى التّوكّل عليه والتّوسّل به؛ وترك التّوسّل والتّوكّل على غيره، ولمّا كان الاشتغال بالكثرات مطلقاً مانعاً للقلب عن التّوجّه الى الله والاشتغال بطريق الولاية وكان الايمان بالنّور الّذى هو الولاية امراً مهمّاً مرغوباً فيه، وكان الاشتغال بما يكون القلب متعلّقاً به من الكثرات اشدّ منعاً و اكثر تأثيراً فى ذلك خصوصاً الازواج والاولاد لشدّة تعلّق القلب بهما نادى المؤمنين تلطّفاً بهم وحذّرهم عن التّعلّق بهما، ثمّ امرهم بالعطوفة عليهما فقال [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ] يعنى انّ بعض الاولاد والازواج يكونون معينين لكم فى امر آخرتكم ويكونون محبّين لكم فى ذلك، لكنّ البعض الآخر يكونون اعداءً لكم فى امر آخرتكم لاسيّما اذا كانوا مخالفين او موافقين فى جهة الدّنيا لا فى جهة الآخرة سواء ظهر منهم عداوة فى الظّاهر او لم يظهر [فَاحْذَرُوهُمْ] ولا تخالفوا امر الله فى رضاهم ولكن لا تدعوهم الى انفسهم وادعوا الله لهم واطلبوا من الله المغفرة لهم [وَإِنْ تَعْفُوا] عن مسيئهم [وَتَصْفَحُوا] بتطهير القلوب عن الحقد عليهم [وَتَغْفِرُوا] مساويهم يغفر الله لكم و يرحمكم او يغفر الله لكم ولهم ويرحمكم و ايّاهم [فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ] نسب الى الباقر (ع) فى هذه الآية، انّ الرّجل كان اذا اراد الهجرة الى رسول الله (ص) تعلّق به ابنه وامرأته وقالوا: ننشدك الله ان تذهب عنّا وتدعنا فنضيع بعدك، فمنهم من يطيع اهله فيقيم فحذّرهم الله ابناءهم ونساءهم ونهاهم عن طاعتهم، ومنهم من يمضى و يذرهم و يقول: اما والله لئن لم تهاجروا معى ثمّ يجمع الله بينى و بينكم فى دار الهجرة لا انفعكم بشيءٍ ابداً، فلمّا جمع الله بينه و بينهم امره الله ان يحسن اليهم و يصلهم فقال: وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فانّ الله غفور رحيم [إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ] الّتى امر الله بحفظها [فِتْنَةٌ] لكم اى اختبارٌ او فساد او عذابٌ لكم [وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ] لمن آثر طاعة الله على محبّة الاموال و الاولاد، اولمن حفظهما بأمر الله وتوجّه اليهما لله وتحمّل مشاقّ حفظهما ومشاقّ تربية الاولاد وتنمية الاموال لله، عن امير المؤمنين (ع): لا يقولنّ احدكم: اللّهمّ انّى اعوذ بك من الفتنة لانّه ليس احدٌ الّا وهو مشتمل على فتنة ولكن من استعاذ فليستعذ من مضلّات الفتن فانّ الله يقول: واعلموا انّما اموالكم و اولادكم فتنة وقد مضى هذه الآية فى سورة الانفال [فَاتَّقُوا اللَّهَ] فى تعلّق القلب بالكثرات وفى ترك الكثرات وطرحها وفى الانتقام من الازواج والاولاد اوالحقد عليهم، او اذا كان الله عنده اجر عظيم فاتّقوا الله فى جميع اوامره ونواهيه [مَا اسْتَطَعْتُمْ] فانّ الله لا يكلّف نفساً الّا وسعها [وَاسْمَعُوا] منه اوامره ونواهيه على السنة خلفائه [وَأَطِيعُوا] رسوله (ص) [وَأَنْفِقُوا] من اموالكم و اعراضكم وقواكم ونسب الافعال والاوصاف الى انفسكم وانانيّاتكم [خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ] صفة مفعول مطلق، اوهو مفعول به لانفقوا، او مفعول لمحذوف اى انفقوا وادركوا خيراً ممّا تنفقون لانفسكم وهو النّعيم الباقى الاخروىّ، او خبر لكان محذوفاً اى انفقوا يكن الانفاق خيراً لانفسكم [وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ] قد سبق هذه الآية فى سورة الحشر [إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ] قد مضى الآية مع بيانها

فى سورة البقرة [وَاللّٰهُ شَكُورٌ] ومقتضى شكوريّته ان يضاعف المقرض عوض قرضه [حَلِيمٌ] لا يعاجل بالمؤاخذة من لم يقرض [عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ] .

سورة الطّلاق

مدنيّة، احدى عشرة آيةً ،وقيل: اثنتاعشرة آيةً .

بسم الله الرّحمن الرّحيم

[يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ] نداءٌ وخطابٌ له تشريفاً له ولكنّ المقصود بالحكم امّته ولذلك اشرك الامّة فى الخطاب معه حين الحكم [إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ] فى عدّتهن، والعدّة ههنا هى الطّهر كما عن الباقر (ع): العدّة الطّهر من المحيض [وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ] اى مدّة التّربّص وهى ثلاثة قروء فى ذوات القرء ، وثلاثة اشهر فى ذوات الاشهر ، ووضع الحمل فى الحامل [وَاتَّقُوا اللّٰهَ رَبَّكُمْ] فى التّضييق عليهنّ حتّى يضطررن الى الفداء للطّلاق، او فى تطويل المدّة والعدّة ، او فى حبسهنّ بعد العدّة ، او فى عدم طلاقهنّ وابقائهنّ بلاقسامة [لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ] بعد الطّلاق حتّى تنقضى عدّتهن [وَلَا يَخْرُجْنَ] بانفسهنّ لعلّ الله يجعل بينهنّ وبين ازواجهنّ تعاطفاً والفةً، وعن الكاظم (ع) انّما عنى بذلك الّتى تطلّق تطليقةً بعد تطليقة فتلك الّتى لاتخرج ولاتخرج حتّى تطلّق الثّالثة ، فاذا طلّقت الثّالثة فقد بانت منه ولانفقة لها ، والمرأة الّتى يطلّقها الرّجل تطليقةً ثمّ يدعها حتّى يخلو اجلها فهذه ايضاً تقعد فى منزل زوجها ولها النّفقة والسّكنى حتّى تنقضى عدّتها [إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ] المراد بالفاحشة ههنا الزّنا او اذاها لاهل الرّجل وسوء خلقها ، اواشرافها على الرّجال ، اوسلاطتها على زوجها ، اومساحقتها وقد اشير الى كلّ فى الاخبار [وَتِلْكَ حُدُودُ اللّٰهِ] حدود حماه واحكامه المقرّرة لعباده [وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللّٰهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِى] يا محمّد (ص)، اويا من يتأتّى منه الخطاب ، اوالفاعل راجع الى النّفس فى نفسه ، او الى المطلّقة المستفادة بالتّضمّن [لَعَلَّ اللّٰهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذٰلِكَ] الطّلاق او بعد ذلك البقاء فى بيوت ازواجهنّ [أَمْرًا] وهو رغبة الزّوج فى المطلّقة ورجوعه اليها ، وهذا هو علّة التّربّص وعدم الخروج من بيوتهنّ [فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ] اى قاربن من آخر مدّتهنّ [فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ] اى راجعوهنّ وأمسكوهنّ فى بيوتكم مع ان تحسنوا صحبتهنّ وقسامتهنّ [أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ] بنحو يعدّه العقل والعرف حسناً بان تدعوهنّ يخرجن من بيوتكم ويتزوّجن بغيركم [وَأَشْهِدُوا ذَوَىْ عَدْلٍ مِنْكُمْ] على الطّلاق اوعلى الطّلاق وعلى الامساك يعنى الرّجوع اليهنّ [وَأَقِيمُوا] ايّها الشّهود [الشَّهَادَةَ لِلّٰهِ] لابتغاء مرضاة الله لا لرضا المشهود له ، او للاعراض والاغراض الدّنيويّة [ذٰلِكُمْ] الامر بالطّلاق فى الطّهر واحصاء العدّة وعدم اخراج المطلّقات والامساك بالمعروف اوالمفارقة بالمعروف [يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ] فانّه الملتفت لحكمه ومصالحه والطّالب لان يأتمر بأوامر الله

[وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ] فى خلاف اوامره ونواهيه والتّجاوز عن حدوده [يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا] من شبهات الدّنيا ومن غمرات الموت وشدائد يوم القيامة ومن كلّ فتنة ومن كلّ بليّة فى الدّنيا او الآخرة وقد اشير الى كلّ فى الاخبار ، ولعلّ اطلاق المخرج كان لتعميمه لكلّ ما يمكن ان يصدق عليه ، وعن الصّادق (ع) عن آبائه عن علىّ (ع) : من آتاه الله برزق لم يخط اليه برجله ، ولم يمدّ اليه يده ، ولم يتكلّم فيه بلسانه ، ولم يشدّ اليه ثيابه ، ولم يتعرّض له كان ممّن ذكره الله عزّ وجلّ فى كتابه : ومن يتّق الله (الآية) ، وعنه (ع) انّ قوماً من اصحاب رسول الله (ص) لمّا نزلت هذه الآية اغلقوا الباب واقبلوا على العبادة و قالوا : قد كفينا فبلغ ذلك النّبىّ (ص) فأرسل اليهم فقال : ما حملكم على ما صنعتم ؟- فقالوا : يا رسول الله (ص) تكفّل لنا بأرزاقنا فأقبلنا على العبادة ، فقال : انّه من فعل ذلك لم يستجب له ، عليكم بالطّلب [وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ] عن الصّادق (ع) : هؤلاء قومٌ من شيعتنا ضعفاء ليس عندهم ما يتحمّلون به الينا فيستمعون حديثنا و يقتبسون من علمنا فيرحل قوم فوقهم و ينفقون اموالهم و يتعبون ابدانهم حتّى يدخلوا علينا فيسمعوا حديثنا فينقلوه اليهم فيعيه هؤلاء و يضيعه هؤلاء فاولئك الّذين يجعل الله عزّ و جلّ لهم مخرجاً و يرزقهم من حيث لا يحتسبون ، ولا يخفى تعميم الرّزق للرّزق النّباتىّ والحيوانىّ والانسانىّ [وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ] فى امور دنياه وآخرته لانّ التّوكّل عبارة عن الخروج عن ارادة النّفس وانتفاعه والايتمار بأمر الله من دون النّظر الى غاية نافعة من امره تعالى وامتثاله للنّفس ، وهذا المعنى لا ينافى الجدّ فى مكاسب الدّنيا اوعبادات العقبى كما يظنّ [فَهُوَ حَسْبُهُ] لكمال علمه و قدرته واحاطته [إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ] الى ما يريد من غير مانع يمنعه ومن غير عجز له [قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا] جوابٌ لسؤال مقدّر كأنّه قيل: فما لنا نرى المتوكّلين على الله لا يكفى مهمّاتهم ؟- فقال : قد جعل الله لكلّ شيء قدراً تقديراً فى عالم التّقدير ، اومقدّراً لا يتجاوز عنه ، ولذلك : لا يعجّل كفاية امور المتوكّلين ، اوهو ايضاً تعليل للامر بالتّوكّل [وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ] بانقطاع الحيض عنهنّ لمرض او حمل اولكبر لكن لم يبلغ كبرهنّ الى خمسين اوستّين ، اوكان بلوغهنّ مشكوكاً فيه ، وامّا اللّائى يئسن من المحيض بسبب البلوغ الى الخمسين اوالسّتّين فلا يصبرن بعد التّفريق ثلاثة اشهر ولا يعتددن من الطّلاق اصلاً ولذلك قال [إِنِ ارْتَبْتُمْ] فى كبرهنّ وبلوغهنّ الى سنّ من لا تحيض [فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ] بعد ولكنّهنّ بلغن سنّ من تحيض فعدتهنّ ثلاثة اشهر مثل من قطع حيضهنّ ولم يبلغن خمسين اوستّين [وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ] اى مدّة عدّتهنّ او آخر عدّتهنّ [أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ] وبيان الطّلاق وكيفيّته واقسامه مذكورة فى الكتب الفقهيّة [وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ] فى امر النّساء ، اوفى احكام الطّلاق ، اوفى الرّفق بهنّ وعدم الاقدام على الطّلاق ، اوفى مطلق احكام الله [يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا] فى الدّنيا اوفى الدّنيا والآخرة [ذَٰلِكَ] المذكور من امر النّساء اومن امر الطّلاق والعدّة [أَمْرُ اللَّهِ] اى حكمه [أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ] تأكيدٌ للسّابق واشارة الى غاية اخرى ، او الاوّل اشارة الى التّقوى فى امر النّساء ، والثّانى الى التّقوى فى مطلق احكام الله [يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ] الّتى وقعت منه قبل التّقوى اوبالخطاء [وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا] فى الآخرة [أَسْكِنُوهُنَّ] اى أسكنوا المطلّقات اللّاتى لا يخرجن من بيوتكم [مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ] يعنى لا تجعلوا مساكنهنّ ادون من مساكنكم [مِنْ وُجْدِكُمْ] ممّا تجدون لسكناكم [وَلَا تُضَارُّوهُنَّ] فى السّكنى او لا تضارّوهنّ من جهة اخرى غير السّكنى [لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ] فتلجئوهنّ الى

الخروج من مساكنكم [وَإِنْ كُنَّ أُولاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتّٰى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ] يعنى انّ الرّجعيّات اللّاتى عليهنّ البقاء فى بيت الزّوج لهنّ النّفقة والبائنات لانفقة لها الّا ان يكنّ حاملات فلهنّ النّفقة حتّى يضعن حملهنّ [فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ] اولادكم بعد وضع الحمل وانقطاع علاقة النّكاح [فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ] على الارضاع لكم [وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ] يعنى ليأمر بعضكم بعضاً بالمعروف فى الارضاع و فى ايتاء الاجر [وَإِنْ تَعاسَرْتُمْ] اى تضايقتم ايّها الآباء عن اتمام الاجرة وايفاء ما هوحقّ الامّهات من الاجور، وايّتها الامّهات من المساهلة فى مقدار الاجرة [فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرىٰ] مرضعةٌ اخرى و هو عتابٌ للآباء على المضائقة فى الاجرة ومقدارها، وللامّهات على المضائقة المزبورة [لِيُنْفِقْ] على ماينبغى ان ينفق عليه من النّفس والاولاد والآباء والازواج وسائر من تحت اليد من العبيد والاماء والخدم والمطلّقات الرّجعيّات والبائنات الحاملات، اوليُنفق على المطلّقات الرّجعيّات والبائنات الحاملات، اوعلى البائنات الحاملات، اوعلى البائنات الخارجات عن العدّة المرضعات للاولاد [ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمّا آتاهُ اللّٰهُ لا يُكَلِّفُ اللّٰهُ نَفْساً إِلّا ما آتاها سَيَجْعَلُ اللّٰهُ بَعْدَ عُسْرٍ] وضيق فى المعيشة [يُسْراً] وسعة فى المعيشة، روى عن الصّادق (ع) انّه سئل عن الرّجل الموسر يتّخذ الثّياب الكثيرة الجياد و الطّيالسة والقمص الكثيرة يصون بعضها بعضاً يتجمّل بها ايكون مسرفاً؟- قال: لا، لانّ الله عزّوجلّ قال: لينفق ذو سعة من سعته [وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّها وَرُسُلِهِ] عطف على قوله: و من يتّق الله، وتلويح الى انّ من لايتّقى يكون له العاقبة السّوءى [فَحاسَبْناها حِساباً شَدِيداً] بالاستقصاء فى المحاسبة والمداقّة فيها ومن يداقّه الله فلامناص له [وَعَذَّبْناها عَذاباً نُكْراً] منكراً لايعرفه احدٌ لعظمته [فَذاقَتْ وَبالَ أَمْرِها وَكانَ عاقِبَةُ أَمْرِها خُسْراً] ضياعاً لاصل البضاعة و بيانه قوله [أَعَدَّ اللّٰهُ لَهُمْ عَذاباً شَدِيداً] فى الدّنيا او القيامة و بعدها [فَاتَّقُوا اللّٰهَ يا أُولِي الْأَلْبابِ] الّذين صاروا ذوى لبّ بالولاية و البيعة الولويّة و لذلك فسّره بقوله [الَّذِينَ آمَنُوا] بالبيعة الخاصّة الولويّة ودخول الايمان بها فى قلوبهم، و يجوز ان يكون التّقدير باايّها الّذين آمنوا، و يجوز ان يكون خبراً لمبتدءٍ محذوفٍ [قَدْ أَنْزَلَ اللّٰهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً رَسُولاً] المراد بالذّكر الرّسول (ص)، او المراد بالذّكر جبرئيل، اوالمراد بالذّكر القرآن، و رسولاً بدل منه بدل الاشتمال [يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آياتِ اللّٰهِ مُبَيِّناتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا] بالبيعة العامّة او الخاصّة [وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ] بالوفاء بالشّروط المأخوذة فى البيعتين [مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللّٰهِ وَيَعْمَلْ صالِحاً يُدْخِلْهُ جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أَبَداً قَدْ أَحْسَنَ اللّٰهُ لَهُ رِزْقاً اَللّٰهُ] بدل من الله فى احسن الله له رزقاً، او مبتدءٌ خبره الموصول الآتى، اوخبرٌ لمبتدءٍ محذوفٍ [الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ] فى العدد، روى عن الرّضا(ع): انّ الارضين السّبع احديها الارض الّتى تحت اقدامنا، و ثانيتها السّماء الاولى، و ثالثتها السّماء الثّانية، الى السّادسة، و على ماسبق منّا مكرّراً من انّ العوالم بعضها الغالب عليه الكيفيّة الارضيّة، و بعضها الغالب عليه الكيفيّة السّماويّة نقول: الارض الاولى هى الهيولى الاولى، والثّانية الامتداد الجسمانى، والثّالثة البسائط العنصريّة، والرّابعة المادّة الجماديّة، والخامسة المادّة النّباتيّة، والسّادسة المادّة الحيوانيّة، والسّابعة المادّة البشريّة؛ او الاولى عالم المثال السّفلىّ، والثّانية عالم الموادّ، والثّالثة عالم الطّبائع، والرّابعة عالم النّفوس النّباتيّة، والخامسة

عالم النّفوس الحيوانيّة، والسّادسة عالم النّفوس البشريّة، والسّابعة عالم المثال العلوىّ [يَتَنَزَّلُ الْاَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا] بتنزّل الامر بينهنّ او بخلق السّماوات السّبع والارضين السّبع [اَنَّ اللّٰهَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَاَنَّ اللّٰهَ قَدْ اَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً] فانّ النّاظر الى السّماوات فى العالم الكبير او الصّغير و الى الارضين فيهما يظهر آثار قدرته وعلمه ورأفته بخلقه له، وهكذا احاطة علمه بالجليل والحقير:

سورة التّحريم

مدنيّة، واثنتا عشرة آيةً.

بسم الله الرّحمن الرّحيم

[يٰاَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مٰا اَحَلَّ اللّٰهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضٰاتَ اَزْوٰاجِكَ وَاللّٰهُ غَفُورٌ] يغفر لكم ما لحقكم من ايمانكم [رَحِيمٌ] يرحمكم بعد المغفرة [قَدْ فَرَضَ اللّٰهُ لَكُمْ] اى اوجب الله او قدّر الله او اثبت [تَحِلَّةَ اَيْمٰانِكُمْ] اى تحليل ايمانكم اوكفّارة ايمانكم فانّها مابه التّحليل [وَاللّٰهُ مَوْلٰيكُمْ] فهواولى بالاسترضاء [وَهُوَ الْعَلِيمُ] بمصالحكم فاذا قال حلّلوا ايمانكم بالكفّارة فحلّلوا [الْحَكِيمُ] فى فعاله واقواله فلايشرع لكم ولايأمركم ولاينهاكم الّابما فيه مصالح وله غايات شريفة انيقة، وقال الّذين توسّلوا بأمثال هذه الآية فى تصحيح خلافة خلفائهم وامامة ائمّتهم: انّ فى هذه الآية دلالة على انّه تعالى عاتب نبيّه (ص) وليس العتاب الّا لذنب صدر منه والذّنب ههنا كما نقل فى نزول الآية تحريمه (ص) من قبل نفسه بدون امر الله مارية القبطيّة اوشرب العسل على نفسه، فنقول: مثل هذا العتاب يدلّ على كمال عنايته بمحمّد (ص) و رأفته به بحيث لم يرض انّه (ص) حرّم على نفسه بعض الملاذّ المباحة، كالاب الشّفيق الّذى يمنع ولده عن ترك بعض الملاذّ النّفسانيّة شفقة عليه ومنعاً له من الامساك عن بعض ما فيه حظوظ النّفس، ولا يدلّ على انّه صدر منه ذنب او خلاف امر، غاية الامر انّه يدلّ على انّه امتنع عن بعض الملاذّ استرضاءً لبعض ازواجه، واسترضاء الازواج ممّا ندب عليه، اما ترى جواز الكذب للازواج استرضاءً لهنّ قال القمّىّ وغيره سبب نزول الآيات انّ رسول الله (ص) كان فى بيت عايشة اوفى بيت حفصة، فتناول رسول الله (ص) مارية، فعلمت حفصة بذلك فغضبت واقبلت على رسول الله (ص)، فقالت يا رسول الله، فى يومى فى دارى و على فراشى؟!. فاستحيى رسول الله (ص)، فقال كُفّى، فقد حرّمت مارية على نفسى وانا اقضى اليك سرّاً ان انتِ اخبرت به فعليك لعنة الله والملائكة والنّاس اجمعين، فقالت نعم ماهو!. فقال (ص) انّ ابابكر يلى الخلافة بعدى ثمّ بعده ابوك، فقالت من انبأك هذا؟ قال نبّأنى العليم الخبير، فاخبرت حفصة به عايشة من يومها ذلك، و اخبرت عايشة ابابكر، فجاء ابوبكر الى عمر، فقال له انّ عايشة اخبرتنى بشيءٍ عن حفصة ولااثق بقولها، فاسئل انت حفصة، فجاء عمر الى حفصة وقال، ماهذا الّذى اخبرت عنك عايشة؟ فانكرت ذلك وقالت ماقلت لها من ذلك شيئاً، فقال لها عمر انّ هذا حقّ فاخبر ينا حتّى نتقدّم فيه، فقالت نعم قال رسول الله (ص)، فنزل جبرئيل على رسول الله بهذه السّورة واظهره الله عليه يعنى اظهره الله على ما اخبرت به وعرّف بعضه اى خبرها وقال لم اخبرت ما اخبرتك؟! واعرض عن بعض يعنى لم يخبرهم بما يعلم، وقيل: خلا النّبىّ (ص) فى بيت عائشة مع مارية فاطّلعت عليه حفصة فقال لها رسول الله: لاتعلمى عائشة ذلك وحرّم مارية على نفسه، واخبرها انّ اباها يملك بعده و بعده عمر فأعلمت حفصة عائشة الخبر واستكتمتها ايّاه فاطلع الله نبيّه (ص) على ذلك و هو قوله: واذ اسرّ النّبىّ الى بعض ازواجه حديثاً (الآية)، وقيل: انّ

رسول الله(ص) كان اذا صلّى الغداة يدخل على ازواجه واحدة واحدة وكان اذا دخل على حفصة حبسته واحضرت العسل له و انّ عائشة انكرت احتباسه عندها، فتواطئت مع بعض ازواجه انّه اذا دخل النّبيّ(ص) عليهنّ يقلن متّفقات: انّا نجد منك ريح المغافير(١)، فلمّا دخل الرّسول على كلّ قلن ذلك، فقال الرّسول(ص) : لا اشرب العسل بعد ذلك، وقيل: كانت زينب بنت جحش تحبس النّبيّ(ص) فتواطئت عائشة مع بعض ازواجه ان يقلن ذلك لما علمن انّه كان يشرب عند زينب العسل [وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا] حديث خلافة ابى بكر و عمر، اوحديث تحريم مارية و امرها بكتمانه [فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ] عائشة به [وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ] اى اظهر اخبارها لعائشة [عَلَيْهِ] على محمّد(ص) [عَرَّفَ] تلك الزّوج المأمورة بالكتمان [بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ] كما مضى [فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ] حفصة [مَنْ أَنْبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ] ثمّ خاطب الله على لسان جبرئيل ومحمّد(ص) حفصة و عائشة فقال : [إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ] من افشاء ما امرتما بكتمانه اومن همّتكما لسمّه [فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا] الفاء سببيّة والجزاء محذوف يعنى ان تتوبا الى الله لاجل ميل قلوبكما عن الحقّ والى خلاف محمّد(ص) الّذى ينبغى التّوبة منه كان خيراً لكما فقد صغت قلوبكما ، او الفاء للجزاء و قوله : قد صغت قلوبكما قائم مقام الجزاء والمعنى ان تتوبا الى الله كان واجباً عليكما التّوبة لانّه قد صغت قلوبكما، وجمع القلوب لما عليه العرب من انّه اذا اضيف تثنية الى تثنية اتى بالتّثنية الاولى بصورة الجمع كراهة الاجتماع بين التّثنيتين ، وللاشعار بانّ لكلّ منهما قلوباً متعدّدة ، والآية باتّفاق المفسّرين من الخاصّة و العامّة فى عائشة وحفصة [وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ] و المراد بصالح المؤمنين علىّ بن ابى طالب(ع) قيل: انّه سئل عمر بن الخطّاب من اللّتان تظاهرتا على رسول الله(ص)؟ـ فقال: عائشة وحفصة ، وعن الباقر(ع) قال : لقد عرّف رسول الله(ص) عليّاً(ع) اصحابه مرّتين، امّا مرّة فحيث قال : من كنت مولاه فعلىّ(ع) مولاه ، وامّا الثّانية فحيثما نزلت هذه الآية اخذ رسول الله(ص) بيد علىّ(ع) وقال: يا ايّها النّاس هذا صالح المؤمنين، وقد ورد الرّواية بطريق العامّة والخاصّة انّ المراد بصالح المؤمنين علىّ بن ابى طالب(ع) [عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ] الاتيان بالايمان بعد الاسلام للاشارة الى انّ الايمان غير الاسلام فليكن الطّالب للآخرة طالباً للايمان بعد الاسلام [قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ] قيل : المراد منه الصّائمات، لقول النّبيّ(ص) : سياحة امّتى الصّيام، فانّ الصّوم عن مشتهيات النّفس اطلاق للنّفس ، وفى اطلاقها سياحة لها فى ملك الرّبّ، وقيل: المراد به ماضيات فى امر الله وطاعته ، وقيل: مهاجرات الى رسول الله(ص) [ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا] أتى بالعاطف لانّهما بمنزله صفة واحدة [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] بالبيعة العامّة النّبويّة ، او بالبيعة الخاصّة الولويّة [قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ] وقاية الشّخص لنفسه من النّار بحفظه لها عن اتّباع الشّهوات والغضبات والحيل الشّيطانيّة، و وقايته لاهليه بأمرهم بالمعروف وتعليمه لهم و نهيهم عن المنكر وتعليمه لهم وترغيبهم فى الخيرات وتحذيرهم عن الشّرور واعلامهم بما هو غاية الغايات ونهاية النّهايات من الولاية واتّباع ولىّ الامر ، عن الصّادق(ع): لمّا نزلت هذه الآية جلس رجل من المسلمين يبكى وقال : عجزت عن نفسى كلّفت اهلى، فقال رسول الله(ص) : حسبك ان تأمرهم بما تأمر به نفسك وتنهاهم عمّا تنهى عنه نفسك، و بهذا

---

(١) المغافر كمنابر والمغافير صمغ شجر فيه حرقة كريه الريح ، الواحد مغفر كمنبر ومغفر بضمتين ومغفور بزيادة الواو على الضمتين ، و مغفار و مغفير بكسرهما .

المضمون وردعنهم اخبارٌ كثيرة [عَلَيْهٰا مَلٰائِكَةٌ غِلاٰظٌ شِدٰادٌ لاٰ يَعْصُونَ اللّٰهَ مٰا اَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مٰا يُؤْمَرُونَ يٰا اَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لاٰ تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ اِنَّمٰا تُجْزَوْنَ مٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ] وهوحال اومستأنفٌ بتقدير القول من الملائكة او من الله [يٰا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا] بالبيعة العامّة [تُوبُوا اِلَى اللّٰهِ] بالبيعة الخاصّة ، اوالمعنى يا ايّها الّذين آمنوا بالبيعة الخاصّة توبوا وارجعوا من مقام نفوسكم الى الله الّذى مظهره قلوبكم [تَوْبَةً نَصُوحًا] خالصة من وصمة العود ، او توبة ناصحاً صاحبها لنفسه فيها بان يكون نادماً على مامضى وعازماً على التّرك فيمايأتى ، اوتوبةً ترقع الخروق الّتى وقعت فى الدّين وترتق الفتوق وتصلح الفاسد من النّصح بمعنى الخياطة ، اوالمراد بهاالتّوبة الجارية على يد ولىّ الامر فى البيعة الخاصّة الولويّة فانّها الّتى يخلّص صاحبهاعن كلّ سوءٍ وغشٍّ وغلٍّ ، وهى الّتى يبصر بها صاحبهاكلّ سوءٍ ورذيلة فينصح نفسه فى الخلاص عنها ، وهى الّتى ترقع كلّ خرقٍ وقع للنّفس قبلها . اعلم ، انّ للتّوبة بحسب الصّورة معانى فانّ معناها ان يقول الانسان : أتوب الى الله ، او تبت الى الله ، وان يرجع الى نبىّ وقته او ولىّ وقته و باع على يده بيعةً عامّةً او بيعةً خاصّةً ، وان يندم على المعاصى القالبيّة ، وان يندم على الرّذائل النّفسانيّة ، وان يندم على العقائدالزّائغة ، وان يرجع عن ملاحظة نسبة الافعال الى نفسه ، اوملاحظة نسبة الصّفات الى نفسه ، اونسبة الوجود الى نفسه ، وان يندم على تلوّنه فى مقاماته و يطلب التّمكين ويرجع اليه و الكلّ توبةٌ و الكلّ منظور من الآية بحسب مراتب الاشخاص [عَسٰى رَبُّكُمْ اَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئٰاتِكُمْ] من المعاصى القالبيّة والرّذائل النّفسانيّة والعقائد الزّائغة ومن رؤية الافعال من انفسكم ونسبة الصّفات الى انفسكم ومن انانيّاتكم [وَيُدْخِلَكُمْ] بعد ازالة السّيئات [جَنّٰاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهٰارُ] قد مضى فى سورة آل عمران فى آخرها بيان جريان الانهار من تحت الجنّات [يَوْمَ لاٰ يُخْزِى اللّٰهُ النَّبِىَّ وَالَّذِينَ اٰمَنُوا مَعَهُ] اى باعوا البيعة العامّة او الخاصّة معه لكنّ المناسب لقوله تعالى [نُورُهُمْ يَسْعٰى بَيْنَ اَيْدِيهِمْ وَبِاَيْمٰانِهِمْ] هو المعنى الثّانى وقد مضى فى سورة التّغابن بيان هذا النّور وانّه فى قلب المؤمن انور من الشّمس المضيئة بالنّهار ، واختارمن جملة الجهات مابين الايدى والايمان اشعاراً بجهتى النّفس المطيعة الّتى هى بحسب قوّتيها العلّامة والعمّالة ، وامّا الخلف واليسارفانّهمالايكونان للنّفس المطيعة بمعنى انّه لايكون لهاجهة شيطانيّة ولاجهة حيوانيّة اللّتان يعبّرعنهمابالخلف واليسار ولوكانتا لم يكن ذلك النّور فى تينك الجهتين [يَقُولُونَ] حالاً وقالاً [رَبَّنٰا اَتْمِمْ لَنٰا نُورَنٰا] فانّهم بظهور هذا النّور و الصّورة الملكوتيّة من امامهم يشتدّ لوعتهم و يزداد حرقتهم ويزيد طلبتهم فيطلبون ازدياد الظّهور واشتداد هذاالنّور بحيث لايبقى لهم ذات واثر ، فانّ مثلهم فى تلك الحال مثل الفراش و السّراج لايسكنون ماكان لهم ذات وحركة [وَاغْفِرْ لَنٰا] الحدود و النّقائص الملحقة بناالمانعة لنا من كمال ادراك هذا النّور [اِنَّكَ عَلٰى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ يٰا اَيُّهَا النَّبِىُّ جٰاهِدِ الْكُفّٰارَ وَالْمُنٰافِقِينَ] فى العالم الصّغيروالعالم الكبير ، وقرأالصّادق (ع) : جاهدالكفّار بالمنافقين قال : انّ رسول الله (ص) لم يقاتل منافقاً قطّ انّما كان يتألّفهم ، وفى خبرعنه : جاهدالكفّار والمنافقين ، قال : هكذا نزلت فجاهد رسول الله (ص) الكفّار ، وجاهد علىّ (ع) المنافقين فجهاد علىّ (ع) جهاد رسول الله (ص) [وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوٰيهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ضَرَبَ اللّٰهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا] كفر النّفاق وان كان لهم قرب الى الانبياء و الاولياء (ع) [امْرَاَةَ نُوحٍ وَامْرَاَةَ لُوطٍ كٰانَتٰا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبٰادِنٰا] الخاصّين بنا [صٰالِحَيْنِ] وكونهما تحتهما كنايةٌ عن كمال قربهما [فَخٰانَتٰاهُمٰا فَلَمْ يُغْنِيٰا عَنْهُمٰا مِنَ اللّٰهِ شَيْئًا وَقِيلَ

ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ] فانّ وصلة الكفّار ومخالطتهم لاتضرّهم كما انّ وصلة آسية ومخالطتها لفرعون ماكانت تضرّها [إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ] اى القبطىّ التّابعين له [وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا] من ان ينظر اليه اوتنظرهى بنفسها اليه [فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ] المراد بالكلمات هى الكلمات الوجوديّة وهى مراتب العالم مندرجة فى ابن آدم (ع)، والمرادبالكتب احكام النّبوّات والرّسالات وآثارالولايات ، و منها الكتب التّدوينيّة [وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ] لامن القانتات بل هى عدّت من الرّجال، روى عن النّبىّ (ص) انّه قال: كمل من الرّجال كثير ولم يكمل من النّساء الّا اربع ، آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ، ومريم بنت عمران ، وخديجه (ع) بنت خويلد ، و فاطمة بنت محمّد صلّى الله عليه وآله .

[الجزء التّاسع والعشرون]

سورة الملك

مكّيّة ، ثلاثون آيةً ،وقيل: احدى وثلاثون آيةً .

بسم الله الرحمن الرحيم

[تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ] الملك يطلق على عالم الطّبع مقابل الملكوت العامّة الّتى هى جملة عالم الارواح ، اوالخاصّة وهى عالم المثال ، وهذا الاطلاق هو المشهور عندهم ، و يطلق على جملة ماسوى الله ، وعلى الرّسالة و الصّدر المستنير بنورها ، وعلى النّبوّة والقلب المستضيء بضوئها ، وعلى الولاية الّتى بها يكون التّصرّف فى العباد و دعوتهم الى التّوحيد ، واليدتطلق على ما به التّصرّف ، وعلى القدرة الّتى هى مبدء التّصرّف ، وعلى صفات الله اللّطفية والقهريّة، وعلى عالمى الملكوت العليا والملكوت السّفلى، والكلّ مناسب ههنا [وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ] من الممكنات الواقعة فى عالم الطّبع وعالمى الملكوت [قَدِيرٌ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ] لمّا كان الموت من اعدام الملكات ، واعدام الملكات لها حظّ ضعيفٌ من الوجود وماله حظٌّ من الوجود صحّ تعلّق الخلق به قال: خلق الموت [وَالْحَيَاةَ] ولمّا كان الموت فى عالم الطّبع بوجه مقدّماً على الحيوة بالطّبع ، اوكان المنظور من ذكر خلق الموت والحيوة التّهديد عن الشّرور والتّرغيب فى الخيرات وكان الموت فى هذا المنظور ابلغ قدّم الموت [لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا] ولم يقل ،اواسوء عملاً ، للاشارة الى انّ المنظور من كلّ ذلك ان يحسن الانسان عمله، وسوء العمل يكون من الطّوارى وليس علّة غائيّة وحسن العمل يكون بنيّة حسنة كاملة ، والنّيّة الحسنة تكون بالعقل الكامل و لذلك ورد فى اخبار عديدة انّ المراد به ايّكم اتمّ عقلاً ، وروى عن الصّادق(ع) انّه قال: ليس يعنى اكثر عملاً ولكن اصوبكم عملاً وانّما الاصابة خشية الله والنّيّة الصّادقة ثمّ قال : الابقاء على العمل حتّى يخلص اشدّ من العمل ، والعمل الخالص الّذى لاتريد ان يحمدك عليه احدٌ الّا الله عزّوجلّ ، والنّيّة افضل من العمل ، الا و انّ النّيّة هو العمل ، ثمّ تلا قوله

عزّوجلّ : قل كلّ يعمل على شاكلته يعنى على نيّته [وَهُوَ الْعَزِيزُ] الّذى لامانع له من حكمه وارادته فليحذر الّذين يخالفون امره و يسيئون فى عملهم وليرج الّذين يطيعونه و يحسنون عملهم [الْغَفُورُ] فلاييأس الّذين يعملون السّيّئات [الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ طِبَاقًا] مصدراوجمع، والموصول بدل من الّذى فى تبارك الّذى ، اوصفة للعزيز، اوخبرٌ بعد خبرٍ، اومبتدءٌ وخبره قوله [مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمٰنِ مِنْ تَفَاوُتٍ] والعائد الرّحمن الّذى هو بمعناه والمنظور منه بيان قدرته وحكمته وعنايته بخلقه وعدم اهمالهم بلاثواب وعقابٍ والمراد بالتّفاوت الاختلاف فى الاتقان وعدمه، وقرئ من تفوّتٍ وهو بمعنى التّفاوت [فَارْجِعِ الْبَصَرَ] يعنى انظر الى السّماء ثمّ تفكّر فى نفسك وتأمّل فى خلل السّماء ثمّ ارجع بصرك الى السّماء [هَلْ تَرَىٰ مِنْ فُطُورٍ] انشقاق فيها وخللٍ وفسادٍ فى خلقها [ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ] فى ارتياد الخلل والنّقص والفساد ليس التّثنية منظورة بل المنظور تكرار النّظر وكثرته [يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا] خسأ الكلب كمنع طرده، وخسأ الكلب بعُد كانخسأ، وخسى من باب علم وخسأ البصر كمنع كلّ، والخاسئ من الكلاب والخنازير المبعد الّذى لايترك ان يدنو من النّاس [وَهُوَ حَسِيرٌ] كليل و منقطع من الابصار من طول المدى فى الابصار، ونعم ماقال المولوىّ قدّس سرّه فى بيان هذه الآية :

اندر اين گردون سكرر كن نظر　　زانكه حق فرمود ثمّ ارجع بصر
يك نظر قانع مشو زين سقف نور　　بارها بنگر ببين هل من فطور
چونكه گفتت كاندر اين سقف نكو　　بارها بنگر چو مرد عيب جو

[وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا] اى اقرب السّماوات الى الارض فانّ جنس سماء الطّبع اقرب اصناف السّماوات الى الارض ، وان كان المكوكبة منها هى الثّامنة منها، فانّ سماوات عالم المثال وعالم النّفوس وعالم العقول بعد السّماوات الى الارض، وهكذا فى العالم الصّغير سماء الصّدر المنشرح بالاسلام وسماء القلب الدّاخل فيه الايمان اقرب السّماوات الى ارض البدن وارض النّفس الامّارة واللّوّامة [بِمَصَابِيحَ] بالكواكب الصّوريّة او بالكواكب الذّكريّة النّفسانيّة [وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ] كون النّجوم الذّكريّة رجوماً للشّياطين واضح ، و امّا كون الشّهب السّماويّة رجوماً للشّياطين فقدانكر الفلاسفة سقوط الكواكب عن محالّها لانّها بسائط وليست مركّبةً من العناصر بل هى على ما خلقت من غير تغييرٍ و تغيّر ، والشّهب الّتى تترائى انّما تتكوّن فى كرة الدّخان وهى انموذج للشّهب الّتى بها ترجم الشّياطين والّا فالشّياطين من اهل عالم المثال السّفلىّ ولاتزاحم بين اهل عالم المثالين واجزاء عالم الطّبع، وقد مضى فى سورة الحجر وسورة الصّافّات بيان لهذه الآية [وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ] فى الآخرة [وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا] صوتاً كصوت الحمير و قد مضى فى سورة هودٍ بيان انّ لهم فيها زفيراً وشهيقاً [وَهِيَ تَفُورُ] اى تغلى بهم غليان المرجل بما فيه [تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ] اى تتفرّق من الغيظ على اعداءالله [كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ وَقَالُوا] اعترافاً بعدم التّحقيق وعدم التّقليد [لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ] وننقاد لاولياء الامر وكنّا فى تقليدٍ صحيحٍ [أَوْ نَعْقِلُ] اى

ندرك بعقولنا و نميّز الحق من الباطل وكنّا محقـّقين [مٰا كُنّٰا فِي أَصْحٰابِ السَّعِيرِ فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ] لمّا رأوا قصورهم وتقصيرهم في تشخيص حال الانبياء(ع) [فَسُحْقاً لِأَصْحٰابِ السَّعِيرِ] اى بعداً، روى انّ هذه الآيات في اعداء عليّ (ع) واولاده، والّتى بعدها في اوليائهم [إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ] حالكونهم في الغيب من ربّهم ، اوحالكون الرّبّ في الغيب منهم ، او بسبب غيبة حالهم ، اوغيبة حال الرّبّ في رضاه وسخطه عنهم، وقد سبق الاشارة الى انّ الخوف في مقام النّفس وظنّه والخشية ايضاً في مقام النّفس لكن بعد ترقّيه الى ادنى مرتبة العلم اواعلاها ، وقد سبق في سورة الفاطرعند قوله : انّما يخشى الله من عباده العلماء بيان للخشية [لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ] و الآيتان وعيد و وعد للفريقين [وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ] عطفٌ على واحد من الجمل السّابقة لكون الانشاء في معنى الخبرفانّ الامر للتّخيير فهوفي معنى انتم مخيّرون بين الاسرار والاعلان اوللتّسوية؛ والمعنى سواء اسراركم واجهاركم بالقول عنده [إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذٰاتِ الصُّدُورِ] الّتى هى اخفى من القول الخفيّ ، والمراد بذات الصّدور الخطرات والخيالات ، اوالنّيّات والعزمات ، اوالقوى و الاستعدادات المكمونات الّتى لاشعور لصاحبى الصّدور بها [أَلاٰ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ] تأكيد لاحاطة علمه فانّ الخالق لايكون جاهلاً بمخلوقه [وَهُوَ اللَّطِيفُ] فى علمه بحيث لايشذّ عن علمه اصغر ما يكون [الْخَبِيرُ] ببواطن الامور، روى انّ المشركين كانوا يتكلّمون فيما بينهم باشياء فيخبرالله بها رسوله فيقولون : اسرّوا قولكم لئلّا يسمع اله محمّدٍ (ص) فنبّه الله على جهلهم [هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً] مستأنف جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ [فَامْشُوا] اى اذكانت ذلولاً فامشوا [فِي مَنٰاكِبِهٰا] اى فى نواحيها [وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ] فاحذروا كفران نعمه ومخالفة امره [ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمٰاءِ] يعنى الملائكة الّذين هم فى السّماء [أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ] كما فعل بقارون [فَإِذٰا هِيَ تَمُورُ] تضطرب قبل الخسف او بعده يعنى صرتم آمنين فتكفرون به و تكفرون بنعمائه لذلك و تخالفون امره و امر رسوله (ص) فى ولاية عليّ (ع) [أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمٰاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حٰاصِباً] اى رامياً لكم بالحصباء او ريحاً حاملةً للتّراب [فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ] اى انذارى حين رأيتم المنذر به [وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كٰانَ نَكِيرِ] انكارى عليهم فاعتبروا انتم بهم وتسلّ انت يامحمّد (ص) عن تكذيبهم [أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ] الم ينظروا فى آيات قدرته ولم يروا الى الطّير [فَوْقَهُمْ صٰافّٰاتٍ] باسطاتٍ اجنحتهنّ [وَيَقْبِضْنَ] بالدّفيف أتى به مضارعاً لانّ الدّفيف يكون مكرّراً متدرّجاً و يناسبه المضارع الدّالّ على الاستمرار التّجدّدىّ، والصّفيف اذا وقع يكون باقياً على الحالة الاولى و يناسبه الفاعل الدّالّ على الاستمرار من دون التّجدّد فى الحدوث [مٰا يُمْسِكُهُنَّ] فى الجوّ [إِلاَّ الرَّحْمٰنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ] فيعلم دقائق مايحتاج اليه المخلوق والغرض من النّظر الى الطّير ان ينظر العاقل الى انّها مخلوقة من التّراب والغالب عليه الجزء الارضىّ وهى بالطّبع طالب للمركز ، وانّ الله تعالى خلقها بحيث يكون تعيّشها فى الجوّ وقوتها يكون من حركتها فى الجوّ فى الاغلب فخلقها تعالى بحيث يكون جميع ما تحتاج اليه فى حركتها وتعيّشها فى الجوّ مهيّأةً ، وليس هذا الّا فعل حكيم بصيرٍ قديرٍ وليس فعل طبيعة السّماء والسّماويات كما يقول الدّهريّون، ولا فعل الطّبائع الارضيّة كما يقول الطّبيعيّون فيعلم من ذلك مبدءٌ قديراً عليماً حكيماً لنفسه ، و يعلم انّ الّذى لا يهمل شيئاً ممّا يحتاج

اليه الطّير لا يهمل الانسان الّذى هو اشرف من الطّير ولم يخلقه عبثاً [أَمَّنْ هٰذَا الَّذِى هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ] ام منقطعة ومن استفهاميّة للانكار و هذا الّذى خبره [يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمٰنِ] ينصركم حال اومستأنف جواب لسؤال مقدّر اوصفة لجند وتوحيد الضّمير لوحدة صورة الجند ولذلك حمل على هذا و من دون الرّحمن بمعنى من عند الرّحمن متعلّق بينصركم اوحال عن فاعل ينصركم ، او بمعنى من غير الرّحمن، و حال من فاعل ينصركم او صفة اخرى لجند يعنى لايقدر اصنامكم وسائر جنودكم ان تنصركم فباىّ قوّة تعصوننى [إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ] من الشّيطان [أَمَّنْ هٰذَا الَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ] الله [رِزْقَهُ بَلْ] ليس اعتمادهم فى مخالفتهم على رازق سوى الله يرزقهم ولكنّهم [لَجُّوا] خاصموا نبيّنا [فِي عُتُوٍّ] فى استكبار عن الحقّ واهله و تجاوز عن الحدّ فى اللّجاجة [وَنُفُورٍ] من الحقّ واهله [أَفَمَنْ يَمْشِى مُكِبًّا عَلٰى وَجْهِهِ] اى مصروعاً على وجهه فانّ كبّه واكبّه بمعنى صرعه ، واكبّ بمعنى انكبّ لازم ومتعدّ [أَهْدٰى أَمَّنْ يَمْشِى سَوِيًّا عَلٰى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ] غير منحرف عن المقصد ، سئل الكاظم (ع) عن هذه الآية فقال: انّ الله ضرب مثلاً من حادّ عن ولاية علىّ (ع) كمن يمشى على وجهه لايهتدى لامره وجعل من تبعه سويّاً على صراط مستقيم ، والصّراط المستقيم اميرالمؤمنين (ع) [قُلْ] يا محمّد (ص) لقومك [هُوَ الَّذِى أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ] ذكر من اصول ما يحتاج اليه الانسان ما هو اظهر ، والحاجة اليه اكثر [قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ] شكراً قليلاً او نعيماً قليلاً من نعمائه تشكرون [قُلْ هُوَ الَّذِى ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ] فهو المبدء والمنتهى والفاعل والغاية، ومن تحتاجون اليه فى الدّنيا والآخرة [وَيَقُولُونَ] اى قومك المنكرون للبعث [مَتٰى هٰذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قُلْ] لهم انّ البعث خارج عن الزّمان انّما هو فى طول الزّمان لا فى عرضه و انتم تسألون عن وقته فى عرض الزّمان و [إِنَّمَا الْعِلْمُ] بمرتبته فى طول الزّمان [عِنْدَ اللّٰهِ] من العلوم الخاصّة به لايعلمها غيره [وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ] من عنده [مُبِينٌ] ظاهر اومظهر لصدقى [فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً] ذازلفة اى لمّا رأوا الموعود ذا قرب [سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ] لهم [هٰذَا الَّذِى كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ] قرئ بتخفيف الدّال و بتشديده، والمعنى فى كليهما واحد يعنى هذا الّذى كنتم تستعجلون به وتدعون الله بتعجيله، وقيل: هو من الدّعوى والمعنى كنتم تدّعون انّه ليس بحقّ ، و يكون الباء للتّعدية اوللالصاق، روى عن الباقر (ع) : هذه نزلت فى اميرالمؤمنين (ع) واصحابه الّذين عملوا ما عملوا، يرون اميرالمؤمنين (ع) فى اغبط الاماكن لهم فيسيء وجوههم و يقال: هذا الّذى كنتم به تدّعون الّذى انتحلتم اسمه، وعنه (ع) فلمّا رأوا مكان علىّ (ع) من النّبىّ (ص) سيئت وجوه الّذين كفروا يعنى الّذين كذّبوا بفضله ، والاتيان بالماضى فى قوله فلمّا رأوا لتحقّق وقوعه على الاوّلين ولماضويّته على الاخير [قُلْ أَرَأَيْتُمْ] ايّها الكفّار [إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللّٰهُ] اماتنى [وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا] ببقائنا الى آخر اعمارنا [فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ] هو عذاب الدّنيا اوعذاب الموت اوالبرازخ اوالقيامة ، وهذا جواب لهم حيث قالوا نتربّص به ريب المنون [قُلْ هُوَ الرَّحْمٰنُ] المفيض للوجود وكمالات الوجود على كلّ موجود [آمَنَّا بِهِ] تؤمنون به اولا تؤمنون [وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا] فلانبال معاداتكم ومودّتكم [فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ] روى عن الباقر (ع) فستعلمون يا معشر المكذّبين حيث انبأتكم رسالة ربّى فى ولاية علىّ (ع) والائمّة (ع) من بعده من

هو فى ضلالٍ مبينٍ ، كذا انزلت [قُلْ اَرَأَيْتُمْ اِنْ أَصْبَحَ مٰاؤُكُمْ غَوْرًا] غائراً فى الارض بحيث لايمكن اجراؤه على وجه الارض ولانيله بدلوٍ وغيره [فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمٰاءٍ مَعِينٍ] جارٍ اوظاهرٍ ، ولمّا لم يكن اسم الماء خاصاً بالماء العنصرىّ الّذى هو جسم سيّالٌ محيطٌ بالارض بل كلّ ما كان سبباً لحياةٍ ما و سبباً لتماسك الاجسام اليابسة ماءٌ فالعلم والايمان وافاضات الله كلّها مياهٌ بوجهٍ ، والامام الّذى به يكون الايمان ، والولاية الّتى هى البيعة الخاصّة الايمانيّة الّتى بها يحصل الايمان و يدخل بذر المعرفة فى القلوب ماءٌ ، والحياة النّباتيّة والحيوانيّة بمراتبها ، والانسانيّة بمراتبها كلّها مياهٌ ، والعقول والارواح والنّفوس الكلّيّة والجزئيّة البشريّة والحيوانيّة والنّباتيّة كلّها مياهٌ ، والرّوح النّفسانيّة الّتى هى مركب القوى الدّرّاكة والحيوانيّة الّتى هى مركب حياة الاعضاء ماءٌ ، والمشيّة الّتى هى اصل كلّ اصلٍ ومبدء كلّ مبدءٍ ومنتهى كلّ منتهىً اصل المياه ، فاذا عرفت ذلك سهل عليك تصوّر وجوه الآية ونعم ماقال المولوىّ قدّس سرّه فى بيان وجهٍ من وجوه الآية :

مقرئى ميخواند از روى كتاب   ماؤكم غوراً ز چشمه بندم آب
آبرا در چشمه كه آرد دگر   جز من بى مثل وبا فضل و خطر
فلسفىّ منطقىّ مستهان   ميگذشت ازسوى مكتب آن زمان
چونكه بشنيد آيت او از ناپسند   گفت آريم آب را ما با كلند
شب بخفت وديد او يك شيرمرد   زد طپانچه هردوچشمش كوركرد
گفت زين دوچشمهٔ چشم اى شقى   با تبر نورى بيار ارصادقى
روز برجست ودوچشمش كورديد   نور فائض از دو چشمش ناپديد

سورة القلم

وهى مكّيّة ، وقيل : من اوّله (الى قوله تعالى) سنسمه على الخرطوم ، مكّىّ ، ومابعده (الى قوله تعالى) لوكانوايعلمون ، مدنىٌّ ، ومابعده (الى قوله تعالى) يكتبون ، مكّىّ ، ومابعده مدنىٌّ ، وهى اثنتان وخمسون آيةً .



[نٓ] روى عن الصّادق (ع) وامّا نٓ فهو نهرٌ فى الجنّة قال الله عزّوجلّ : اجمد ، فجمد ، فصار مداداً ثمّ قال عزّوجلّ للقلم : اكتب ، فسطر القلم فى اللّوح المحفوظ ماكان وماهوكائن الى يوم القيامة فالمداد مداد من نورٍ والقلم قلمٌ من نورٍ ، واللّوح لوحٌ من نورٍ ، و بهذا المعنى مع اختلافٍ فى اللّفظ اخبارٌ كثيرةٌ ، وقيل : المراد به الحوت الّذى عليه الارضون ، وقيل : هو لوحٌ من نورٍ ، وقيل : هو الدّواة ، وقيل : هو مطلق الحوت فى البحر ، وقيل : هو من اسماء السّورة ، وقيل : هو من حروف اسم الرّحمن ، وقيل : هو من أسماء محمّدٍ (ص) و لعلّك بعد ماسبق فى اوّل البقرة يسهل عليك التّوفيق بين هذه الاقوال ؛ و تعلم ان نٓ كناية عن مرتبةٍ من مراتب العالم و ان محمّداً (ص) متّحد مع جميع مراتب العالم وانّ مراتب العالم مراتب سعة وجود الله تعالى ، وانّ السّورة ظهور لتلك المرتبة [وَالْقَلَمِ] قيل : المراد به مطلق القلم ، اقسم الله به لكثرة منافع الخلق به ، اذ هو احد لسانى الانسان بل هو اشرف لسانيه لانّ لسانه لايبلّغ مافى جنانه الى من بعد منه زماناً اومكاناً ، والقلم يبلّغ ما فى جنان الانسان الى الاباعد منه ، والكلام يفنى من حينه ولو بقى اثره فى قلب

السّامع لم يبق فى الاغلب الى آخر عمره ، ولو بقى لم يبق بعده بخلاف كتاب القلم كما قيل: انّ البيان بيانان ، بيان اللّسان و بيان البنان ، و بيان اللّسان تدرسه الاعوام ، و بيان الاقلام باقٍ على مرّ الايّام ، و بالقلم يحفظ احكام الاديان و به يستقيم امور العالمين كما قيل: انّ قوام الدّنيا بشيئين ، القلم والسّيف ، والسّيف تحت القلم ، وقد قيل:

ان يخدم القلمَ السّيفُ الّذى خضعت له الرّقاب و دانت حذره الامم
كذا قضى الله للاقلام مذ بريت انّ السّيوف لها مذ اُرهفت خدم

و روى انّ المراد به القلم الاعلى الّذى سطر ما كان وما هو كائن وهو ملك من الملائكة [وَمَا يَسْطُرُونَ] اقسم بالمسطورات او بالملائكة الّذين يسطرون ما كان و ما هو كائن او الملائكة الّذين يسطرون احوال الارضيين ، او كتّاب الاعمال الّذين يسطرون اعمال بنى آدم ، او النّاس الّذين يسطرون الكتب السّماويّة والاحكام الآلهيّة والشّرائع الحقّة والفنون والصّناعات المعاشيّة والدّيون والمعاملات والمحاسبات الخلقيّة [مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ] بنعمة ربّك حال والباء للمصاحبة ، والعامل فيها معنى النّفى ، اوللسّببيّة ومتعلّقة بمعنى النّفى [وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا] على التّبليغ و تحمّل مشاقّه [غَيْرَ مَمْنُونٍ] اى غير مقطوع اوغير ممنونٍ به عليك [وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ] الخلق بالضّمّ و بالضّمّتين السّجيّة والطّبع والمروءة والدّين ، والكلّ مناسب ههنا ، ولكنّ المراد هو السّجيّة ، فانّ المقصود انّك على خلقٍ تتحمّل به كلّ ما يرد عليك ممّا يغيّر غيرك اذا ورد عليه ولا يغيّرك لا ظاهراً ولا باطناً ، ومثل ذلك الخلق لا يكون الّا عن دين عظيم هو ولاية علىٍّ (ع) وهى الولاية المطلقة ، فانّ من ترقّى عن مقام البشريّة و وصل الى مقام الولاية المطلقة يتبدّل جميع اوصافه الرّذيلة الّتى هى الاخلاق الحيوانيّة والرّذائل النّفسانيّة بالاوصاف الملكيّة الّتى هى الخصائل الحسنة و منها المروّة الكاملة ، وسبب الكلّ هو الطّبع الكامل و المزاج المعتدل و قد فسّر فى الاخبار بالدّين و الاسلام ، وعن الصّادق (ع) : انّ الله عزّ وجلّ ادّب نبيّه (ص) فأحسن ادبه فلمّا اكمل له الادب قال: انّك لعلى خلق عظيمٍ ،وفى خبر انّ الله ادّب نبيّه (ص) فاحسن تأديبه فقال : خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين ، فلمّا كان ذلك انزل الله انّك لعلى خلقٍ عظيمٍ [فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ] الباء بمعنى مع ، والمفتون بمعنى المصدر ، اوالمفتون اسم مفعول ، والمعنى بأيّكم العقل المفتون ، او هو من باب التّجريد اى مع ايّكم الرّجل المفتون ، او الباء زائدة ، او بمعنى فى و المعنى فى اىّ الفريقين منكم المفتون ، روى عن الباقر(ع) انّه قال: قال رسول الله (ص) : مامن مؤمنٍ الّا وقد خلّص وُدّى الى قلبه ، و ما خلّص ودّى الى قلب احدٍ الّا وقد خلّص ودّ علىٍّ (ع) الى قلبه ،كذب ياعلىّ من زعم انّه يحبّنى و يبغضك ، فقال رجلان من المنافقين: لقد فتن رسول الله (ص) بهذا الغلام فأنزل الله تبارك: فستبصر و يبصرون بأيّكم المفتون ، قال: نزلت فيهما (الى آخر الآيات) [إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ] الّذى هو ولاية علىٍّ (ع) والضّالّ عن سبيل الولاية هو المجنون حقيقةً [وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ] الى الولاية [فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ] لله اولك فى علىٍّ (ع) اولعلىٍّ [وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ] المداهنة والادهان اظهار خلاف ما تضمر والغشّ [فَيُدْهِنُونَ] والمعنى ودّوا ادهانك وغشّك او نفاقك اومداراتك معهم بخلاف ما اضمرت فيدهنون بعدك او ودّوا ادهانك بسبب انّهم يدهنون على الاستمرار ، وقال القمّى: اى احبّوا ان تغشّ فى علىٍّ (ع) فيغشّون معك [وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ] تأكيدٌ للاوّل وتبديل للمكذّبين بالاوصاف الاخر ذمّاً لهم بجميع ذلك فانّ كلّ كذّاب يكون كثير الحلف ، وكلّ كثير الحلف يكون مهيناً عند الخلق وعند الله ، فانّ كثرة الحلف لاتكون الّا من كون الحالف مهيناً لا يقبل منه ،

وكثرة حلفه تصير سبباً لكونه مهيناً ايضاً [هَمّازٍ] عيّابٍ طعّانٍ [مَشّاءٍ بِنَميمٍ] النمّ التّوريش والاغراء و رفع الحديث اشاعة له وافسادا وتزيين الكلام، والنّميم والنّميمة اسم له [مَنّاعٍ لِلْخَيْرِ] يمنع قواه ومداركه واهل مملكته عن خيراتهم الحقيقيّة الّتي هي انقيادهم لوليّ امرهم وللعقل ثمّ عن خيراتهم المجازيّة الّلازمة لتلك الخيرات، ثمّ يمنع اهل المملكة الكبيرة عن الخيرات الحقيقيّة، ثمّ عن الخيرات المجازيّة [مُعْتَدٍ] متجاوز عن الحدّ اوظالمٍ على نفسه بالطّغيان على الامام [اَثيمٍ] كثيرالاثم [عُتُلٍّ] العتلّ الاكول المنيع الجا في الغليظ [بَعْدَ ذٰلِكَ] المذكور من المثالب [زَنيمٍ] الزّنيم المستلحق في قومٍ ليس منهم والدّعيّ واللّئيم المعروف بلؤمة اوشره، روي عن النّبيّ (ص) انّه سئل عن العتلّ الزّنيم فقال: هوالشّديدالخلق المصحيح (1) الاكول الشّروب الواجد للطّعام والشّراب الظّلوم للنّاس، الرّحب الجوف، وعن عليٍ (ع): الزّنيم هوالّذي لااصل له، وقال القمّيّ: الخير اميرالمؤمنين (ع) معتدٍ اي اعتدى عليه عتلٍّ بعد ذلك قال: العتلّ العظيم الكفر والزّنيم الدّعيّ [اَنْ كانَ ذا مالٍ وَبَنينَ اِذا تُتْلىٰ عَلَيْهِ اٰياتُنا قالَ اَساطيرُ الْاَوَّلينَ] قد مضى بيان الاساطير مكرّراً في السّابق، وقيل: نزلت الآيات في الوليدبن المغيرة كان يمنع عشيرته عن الاسلام وكان موسراً وله عشر بنين فكان يقول لهم وللحمته: من اسلم منكم منعته رفدي وكان دعيّاً ادّعاه ابوه بعدثماني عشرة من مولده [سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ] على الانف قيل: قداصاب انف الوليد جراحة يوم بدرٍ فبقي اثره، وقيل: انّه كناية عن ان يذلّه غاية الاذلال، وقال القمّيّ: اساطير الاوّلين اي اكاذيب الاوّلين سنسمه على الخرطوم قال في الرّجعة اذا رجع اميرالمؤمنين (ع) ويرجع اعداؤه فيسمهم بميسمٍ معه كمايوسم البهائم على الخراطيم الانف والشّفتان [اِنّا بَلَوْناهُمْ] اي اهل مكّة بالقحط والجوع [كَما بَلَوْنا اَصْحابَ الْجَنَّةِ] المعهودة الّتي كانت مالكوها مستعدّين لان يصرموها فلمّا دخلوها وجدوها بلاثمر لانّهم لم يستثنوا وكانت تلك الجنّة على تسعة اميالٍ من صنعاء اليمن وكانت يقال لها الرّضوان [اِذْ اَقْسَمُوا] اي المالكون لها [لَيَصْرِمُنَّها مُصْبِحينَ] وقت الصّباح [وَلا يَسْتَثْنُونَ] لايقولون ان شاءالله وسمّي استثناءً لما فيه من الاخراج من مشيّة القائل والتّعليق على مشيّة الله تعالى [فَطافَ عَلَيْها طائِفٌ] اي حرٌّ طائفٌ كالسّموم، اوبردٌ طائفٌ [مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نائِمُونَ فَاَصْبَحَتْ] صارت وقت الصّباح [كَالصَّريمِ] كالجنّة المقطوعة الثّمار اوكاللّيل المظلم باحتراقها، او كالنّهار المضيء بابيضاضها وعدم خضرتها، فانّ الصّريم يطلق على اللّيل والنّهار [فَتَنادَوْا] نادى بعضهم بعضاً [مُصْبِحينَ] وقت الصّباح [اَنِ اغْدُوا عَلىٰ حَرْثِكُمْ اِنْ كُنْتُمْ صارِمينَ فَانْطَلَقُوا] الى جنّتهم للصّرم [وَهُمْ يَتَخافَتُونَ] يتسارّون [اَنْ لا يَدْخُلَنَّهَا] مفعول ليتخافتون بلاواسطةٍ او بواسطة الباء الجارّة [الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكينٌ وَغَدَوْا عَلىٰ حَرْدٍ] اي على منع للفقراء، اوعلى جدٍّ من امرهم، اوعلى غضبٍ على الفقراء وقت الصّرم [قادِرينَ] اي يقدّرون عند انفسهم ذلك [فَلَمّا] دخلوا بستانهم و [رَأَوْها قالُوا اِنّا لَضالُّونَ] عن جنّتنا فانّها ليست على صفة جنّتنا، اولضالّون عن طريق الحقّ في امرنا حيث اردنا منع الفقراء فلذلك عوقبنا [بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ] بل هي جنّتنا لكنّا صرنا محرومين من ثمارها بارادتنا منع الفقراء [قالَ اَوْسَطُهُمْ] سنّاً اواعدلهم

---

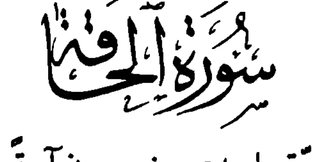
(1) وزن مبالغة اي غالب الصّحّة و قليل المرض و مقابله الممريض و الممراض، والخبر انّه لاخير في البدن المصحاح.

او افضلهم و اعقلهم [اَلَمْ اَقُلْ لَكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ] تنزّهون الله فتؤدّوا شكرنعمه وتؤدّوا حقوقها ، اوتصلّون [قالُوا] اعترافاً بظلمهم لانفسهم و تنزيهاً للحقّ تعالى عن الظّلم [سُبْحانَ رَبِّنا اِنّا كُنّا ظالِمينَ فَاَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ قالُوا] اعترافاً بطغيانهم [يا وَيْلَنا] يا قوم و يلنا اونادوا الويل لغاية دهشتهم [اِنّا كُنّا طاغينَ] وهذه تقال عند شدّة الغيظ وغلظ اليأس ، ويقال عندالتّوجّه الى الله والتّوبة اليه والنّدم على ما فرّط [عَسى رَبُّنا اَنْ يُبْدِلَنا خَيْراً مِنْها] وهذه تدلّ على انّهم تابوا الى الله وندمواعلى مافرّط منهم [اِنّا اِلى رَبِّنا راغِبُونَ كَذلِكَ الْعَذابُ] فى الدّنيا [وَلَعَذابُ الْآخِرَةِ اَكْبَرُ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ] نسب الى عبدالله بن مسعود انّه قال : بلغنى انّ القوم اخلصوا وعرف الله تعالى منهم الصّدق فابدلهم بها جنّة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منها عنقوداً، وقال ابوخالد اليمامىّ : رأيت تلك الجنّة و رأيت كلّ عنقود منها كالرّجل الاسود القائم [اِنَّ لِلْمُتَّقينَ] عن المعاصى او عن رؤية انفسهم [عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنّاتِ النَّعيمِ اَ] لم نجعل لهم جنّات [فَنَجْعَلُ الْمُسْلِمينَ كَالْمُجْرِمينَ] كانوا يقولون ان كان بعث وجزاء كما يقوله محمّد (ص) فانّ حالنا يكون افضل فى الآخرة كما فى الدّنيا ولو لم يكونوا يقولون ذلك بالسنتهم فانّهم كانوا يقولون ذلك بلسان حالهم فقال الله تعالى ، ذلك ظنٌّ فاسدٌ و زعمٌ باطلٌ [ما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ] على الله ما لا يرضاه الجاهل اوكيف تحكمون بينكم بترجيح الكافر المعاند على المسلم الموافق [اَمْ لَكُمْ كِتابٌ فيهِ تَدْرُسُونَ] ذلك اى تقرأون والحال ان ليس لكم كتاب وكتاب الله الّذى هوالقرآن يحكم بخلاف ذلك [اِنَّ لَكُمْ فيهِ لَما تَخَيَّرُونَ] تدرسون معلّق عنه اوهواستفهام على الاستيناف بتقدير اداة الاستفهام [اَمْ لَكُمْ اَيْمانٌ عَلَيْنا بالِغَةٌ اِلى يَوْمِ الْقِيمَةِ] اى ثابت علينا الى يوم القيامة اوكاملة باقية [اِنَّ لَكُمْ لَما تَحْكُمُونَ] جوابٌ للقسم [سَلْهُمْ اَيُّهُمْ بِذلِكَ] المذكور من جعلنا المسلمين كالمجرمين [زَعيمٌ اَمْ لَهُمْ شُرَكاءُ] لله يجعلونهم مثل المسلمين [فَلْيَأْتُوا بِشُرَكائِهِمْ اِنْ كانُوا صادِقينَ] فى دعويهم امر للتّعجيز [يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ] ظرف لقوله تعالى : فليأتوا ، او المعنى فليأتوا بشركائهم فى الدّنيا حتّى نعلم انّ لهم شركاء و يوم يكشف ظرف لقوله تعالى : ترهقهم ذلّةٌ كناية عن هول اليوم وشدّته ، فانّ الامر اذا اشتدّ واحتاج الانسان الى الفرار يكشف عن ساقه يعنى يوم يشتدّ الامر عليهم ، اوالمعنى يوم يكشف عن ساق البدن الاخروىّ فانّ البدن الدّنيوىّ كالحجاب واللّباس للبدن الاخروىّ بل بساق البدن الاخروىّ ولا رادة ساق البدن الاخروىّ نكّر السّاق اشارة الى منكوريّته لهم اوالى تفخيمه ، اوالمعنى يكشف عن شدّة عظيمة فانّه يكنّى عن الشّدّة بالسّاق ، وهذا معنى قوله تعالى : والتفّت السّاق بالسّاق ، اوالمعنى يوم يكشف عن اصل الامور وحقيقتها [وَيُدْعَوْنَ اِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطيعُونَ] لانّ استكبارهم عن السّجود فى الدّنيا يظهر بصورة عدم الاستطاعة له فى الآخرة ، عنهما (ع) انّهما قالا : افحم[1] القوم ودخلتهم الهيبة وشخصت الابصار و بلغت القلوب الحناجر لما رهقهم من النّدامة والخزى والذّلّة ، وعن الرّضا (ع) انّه قال حجاب من نور يكشف فيقع المؤمنون سجّداً و يُدَبَّحُ[2] اصلاب المنافقين فلا يستطيعون السّجود [خاشِعَةً اَبْصارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ] من شدّة الهول وكثرة الشّدائد [وَقَدْ كانُوا يُدْعَوْنَ اِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سالِمُونَ]

---

(١) افحم القوم عجزوا ـ و افحمه الهمّ منعه . (٢) دبّح بالدّال والباء الموحّدة المشدّدة والحاء المهملة = بسط ظهره وطأطأ راسه .

فى الدّنيا ، وعن الصّادق(ع) وهم سالمون اى مستطيعون ، وقال القمّىّ: يكشف عن الامور الّتى خفيت وما غصبوا آل محمّد (ص) حقّهم و يدعون الى السّجود قال: يكشف لاميرالمؤمنين (ع) فيصير اعناقهم مثل صياصى البقر يعنى قرونها فلايستطيعون ان يسجدوا وهى عقوبة لهم لانّهم لم يطيعوا الله فى الدّنيا فى امره وهو قوله و قد كانوا يدعون الى السّجود وهم سالمون قال الى ولايته فى الدّنيا وهم يستطيعون [فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهٰذَا الْحَدِيثِ] اى حديث ولاية علىّ (ع) ، تهديد بليغ لهم [سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ] قد مضى الآية فى سورة الاعراف [أَمْ تَسْئَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ] قد مضت الآية فى سورة الطّور [أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ] من ذلك ما يستغنون به عنك وما يحكمون به [فَاصْبِرْ] اى فانتظر [لِحُكْمِ رَبِّكَ] فيهم ولا تعجل بالدّعاء عليهم اوفاصبر على أذاهم وتدبيرهم لمنع علىّ (ع) عن حقّه لاجل حكم ربّك بامهالهم ولا تعاجل بالدّعاء عليهم [وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ] يعنى يونس بن متّى (ع) حيث تعجّل بالدّعاء على قومه فوعده الله العذاب وتاب على قومه ورفع عنهم العذاب فغضب يونس (ع) و فرّ منهم و ابتلى ببطن الحوت [إِذْ نَادَىٰ] فى بطن الحوت او نادى الله بالعذاب على قومه [وَهُوَ مَكْظُومٌ] مملوّ غيظاً على قومه ، وعن الباقر (ع) اى مغموم [لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ] وهى التّوبة عليه و الشّفقة [لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ] اى الارض الخالية من الاشجار و النّبات والسّقوف [وَهُوَ مَذْمُومٌ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ] بان اخرجه من بطن الحوت ونبذه بارض ذات ظلّ وجعله ثانياً رسولاً الى قومه [فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ وَمَا هُوَ] اى محمّد(ص) اوالقرآن اوقرآن ولاية علىّ (ع) [إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ] قيل: نزلت حين نزول القرآن وقراءته حيث كانوا ينظرون اليه من شدّة البغض والحسد نظراً يكادون يصرعونه بنظرهم، و ورد فى الخبر: انّها نزلت حين قال: من كنت مولاه فهذا علىٌّ مولاه آخذاً بعضد علىّ (ع) رافعاً له وقال بعضهم لبعض: انظروا الى عينيه تدوران كأنّهما عينا مجنون ، وقيل: نزلت فى اصابة العين فانّه روى انّه كان فى بنى اسد عيّانون فأراد بعضهم على ان يعيّنه (ص) ، و ورد انّ العين ليدخل الرّجل القبر والجمل القدر ، و روى انّه مرّ الصّادق(ع) بمسجد الغدير فنظر الى ميسرة المسجد فقال: ذاك موضع قدم رسول الله (ص) حيث قال: من كنت مولاه فعلىّ مولاه ، ثمّ نظر الى الجانب الآخر فقال: ذاك موضع فسطاط بعض المنافقين فلمّا ان رأوه رافعاً يده قال بعضهم لبعض: انظروا الى عينيه تدوران كأنّهما عينا مجنون ، فنزل جبرئيل بهذه الآية .



مكّيّة، احدى وخمسون آيةً.

بسم الله الرّحمن الرّحيم

[الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ] من حقّ بمعنى وجب اوثبت، اومن حقّ يحقّ من باب نصر من حاققته فحققته احقّه من المغالبة، وعلى اىّ معنى فسمّيت القيامة حاقّة لتحقّقها وثبوتها ، اولغلبتها على الكافرين و ابطالهم، اولتحقّق الامور

فيها وثبوت الحقّ فيها و بطلان الباطل ليكون من قبيل الوصف بحال المتعلّق ، والاستفهام عنها واتيان الظّاهر موضع المضمر للتّفخيم والتّعجيب [وَمَا أَدْرٰيكَ مَا الْحَاقَّةُ] انكار درايته (ص) بالاستفهام الانكاريّ الدّالّ على المبالغة والاتيان بالاسم الظّاهر موضع المضمر والاتيان بالاستفهام كلّها يدلّ على التّفخيم [كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ] بالقيامة سمّيت بها لانّها تقرع قلوب الكفّار باهوالها وافزاعها ، اوتقرع فيها رؤسهم بالمقارع من النّار فلينظر هؤلاء الى تكذيبهم بها وعاقبتهم حتّى يرتدعوا عن التّكذيب [فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ] الصّيحة والرّجفة المتجاوزة عن الحدّ كما مضى مكرّراً [وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ] قد مضى قصّتهم مكرّراً ومضى فى سورة فصّلت وسورة القمر بيان الرّيح الصّرصر [سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ] قد مضى فى سورة القمر بيان الايّام الثّمانية ، وقد مضى سابقاً قصّة عادٍ وثمود [حُسُومًا] الحسوم بالضّمّ النّشؤم والدّؤب[1] فى العمل، ويجوز ان يكون جمعاً لحاسم بمعنى القاطع او بمعنى المانع ، فالمعنى ثمانية ايّام شومات ، اومتتابعات او قاطعات لحياتهم، ومانعات لهم، قال القمّىّ: كان القمر منحوساً بزحل [فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ] موتى [كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ] خالية الاجواف تشبيه لهم بعد خروج ارواحهم باعجاز النّخل المتأكّلة الاجواف [فَهَلْ تَرَىٰ لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ] من الامم الماضية، وقرئ من قِبَله بكسر القاف وفتح الباء اى من عنده من اتباعه [وَالْمُؤْتَفِكَاتُ] اى قرى قوم لوطٍ الّتى ائتفكت بأهلها [بِالْخَاطِئَةِ] اى بالخطيئة [فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ] ربّهم [أَخْذَةً رَابِيَةً] مثل زيادة عملهم فى القبح، اواخذة زائدة على خطائهم [إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ] فى امّة نوحٍ (ع) [حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ] اى السّفينة الجارية يعنى حملنا آباءكم وانتم فى اصلابهم [لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ] اى لنجعل الفعلة من طغيان الماء وحملكم فى الجارية واهلاك الكافرين وانجاء المؤمنين تذكرةً لكم وعظةً وتعى هذه الفعلة اوالتّذكرة اذن واعية ، وللاشارة الى التّأويل روى انّه قال الرّسول (ص) لعلىّ (ع): يا علىّ انّ الله تعالى أمرنى ان ادنيك ولا اقصيك ، وان اعلّمك وتعى ، وحقّ على الله ان تعى ، فنزل : و تعيها اذُنٌ واعيةٌ ، وفيه اشارة ما الى التّأويل فانّ فيه انّا لمّا التقى ماء البحر الاجاج من الارض الهيولويّة وماء سماء الاهوية وطغى الماءان الملتقيان وحملناكم فى سفينة نوحٍ (ع) الّتى هى سفينة الشّريعة الّتى من ركبها نجا ومن تخلّف عنها هلك، اوسفينة الولاية الّتى هى المركب المنجى الحقيقىّ فانّ مثل عترته مثل سفينة نوحٍ (ع) ينجو من ركبها ويهلك من تخلّف عنها، لنجعل تلك الفعلة من طغيان الماء اوركوب السّفينة اونفس السّفينة الّتى هى الشّريعة اوالطّريقة تذكرة لامور الآخرة وتعيها اى الشّريعة اوالطّريقة بآدابها، اوهذه التّذكرة اذن واعية شأنها ان تعى مايسمع و يرى ، و ورد انّ رسول الله (ص) لمّا نزلت هذه الآية قال: سألت الله عزّوجلّ ان يجعلها اذنك يا علىّ (ع)، وفى رواية قال (ص) :اللّهمّ اجعلها اذن علىّ (ع) [فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ] لمّا ذكر القيامة وفخّمها افصّلها للتّهويل والتّهديد و المراد بالنّفخة هى النّفخة الاولى اوالثّانية ، والتّوصيف بالواحدة للاشعار باختصارها وسهولتها مثل قوله تعالى : وماأمرنا الّا واحدة كلمح بالبصر [وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ] اى رفعت عن مكانها [وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً] اى دقّتا وكسرتا، والتّوصيف بالواحدة مثل توصيف النّفخة يعنى يجعل الارض مثل الاديم المنبسط ليس فيها تلال ولا وهادٌ [فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ] اى القيامة، سمّيت واقعة لوقوعها لامحالة [وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ]

---

(١) الدّؤب بالضّم = الجدّ والتّعب فى العمل.

رخوة [وَالْمَلَكُ عَلٰى اَرْجٰائِهٰا] اى جنس الملك بكثرتها على اطراف السّماء [وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمٰانِيَةٌ] روى عن النّبىّ (ص) انّ حملة العرش اليوم اربعة فاذا كان يوم القيامة ايّدهم باربعة اخرى فيكونون ثمانية، وعن الصّادق (ع): حملة العرش والعرش العلم ثمانية، اربعة منّا واربعة ممّن شاءالله.

اعلم، انّ حملة العرش والعرش بوجه جملة المخلوقات، و بوجه العلم، و بوجه الوجود المطلق الّذى هو اضافة الحقّ الاوّل اضافته الاشراقيّة بوجهه الّذى الى الحقّ تعالى شأنه فى النّزول اربعة من الاملاك وهم الملائكة المقرّبون وفى الصّعود وعود النّفوس الى الله يصير الحملة ثمانية، اربعة من الملائكة المقرّبين و اربعة من نفوس الكمّلين من الانبياء المرسلين (ع) الّذين وصلوا الى اعلى درجات الكاملين واتّحدوا مع الملائكة المقرّبين [يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لاٰ تَخْفىٰ مِنْكُمْ] قرئ بالتّاء الفوقانيّة والياء التّحتانيّة [خٰافِيَةٌ] اى نفس خافية اوفعلة اوخصلة اوخطرة خافية، اوهو مصدر اواسم فاعل، والتّاء للمبالغة لاللتّأنيث [فَاَمّٰا مَنْ اُوتِىَ كِتٰابَهُ] عطف من قبيل عطف التّفصيل على الاجمال [بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ] تبجّحاً [هٰاؤُمُ اقْرَؤُا كِتٰابِيَهْ] ها اسم لخذ وقد يمدّ ويلحق بهما كاف الخطاب ويتصرّف فيها تصرّف الضّمائر بحسب حال المخاطب، وقد يستغنى بتصريف الهمزة نحو تصاريف الكاف عن الحاق الكاف فيقال: هاء بفتح الهمزة وهاء بكسرها، وهاؤما، وهاؤم، وهاؤنّ [اِنّى ظَنَنْتُ اَنّى مُلاٰقٍ حِسٰابِيَهْ] لمّا كان علوم النّفس مغايرة لمعلوماتها و جائزة الانفكاك عنها كالظّنون كثيراً ما يعبّر عنها بالظّنون كما سبق مكرّراً و المعنى انّى كنت فى الدّنيا موقناً انّى ملاق حسابى عند ربّى فعملت على طبق يقينى، عن الصّادق (ع): كلّ امّة يحاسبها امام زمانها و يعرف الائمّة (ع) اولياءهم واعداءهم بسيماهم وهو قوله: وعلى الاعراف رجال يعرفون، وهم الائمّة (ع) يعرفون كلّاً بسيماهم فيعطوا اولياءهم كتابهم بيمينهم، فيمرّوا الى الجنّة بلاحساب، و يعطوا اعداءهم كتابهم بشمالهم، فيمرّوا الى النّار بلاحساب فاذا نظر اولياؤهم فى كتابهم يقولون لاخوانهم: هاؤم اقرؤا كتابيه انّى ظننت انّى ملاق حسابيه [فَهُوَ فى عيشَةٍ رٰاضِيَةٍ] اى راض صاحبها بها و قيل راضية بمعنى المرضية [فى جَنَّةٍ عٰالِيَةٍ] على الجنّات [قُطُوفُهٰا] جمع القطف بالكسر العنقود، واسم للثّمار المقطوفة اى المجنيّة، وقطف العنب من باب ضرب جناه [دٰانِيَةٌ] يعنى ثمارها الّتى من شأنها ان تجنى دانية للقائم و القاعد [كُلُوا] حال او مستأنف بتقدير القول [وَاشْرَبُوا هَنيئاً بِمٰا اَسْلَفْتُمْ فِى الْاَيّٰامِ الْخٰالِيَةِ] اى الماضية من الاعمال الحسنة [وَاَمّٰا مَنْ اُوتِىَ كِتٰابَهُ بِشِمٰالِهِ] قيل: نزلت فى معاوية [فَيَقُولُ يٰا لَيْتَنى لَمْ اُوتَ كِتٰابِيَهْ وَلَمْ اَدْرِ مٰا حِسٰابِيَهْ] لما يرى من سوء العاقبة وثبت الاعمال السّيئة [يٰا لَيْتَهٰا] اى ياليت الموتة الّتى متّها [كٰانَتِ الْقٰاضِيَةَ] لى من غير حياة بعدها [مٰا اَغْنىٰ] الله اوما اغنى العذاب [عَنّى مٰالِيَهْ] اى الّذى كان لى من الاتباع والاولاد والاموال، اوما اغنى مالى عنّى مالى الّذى جمعته فى الدّنيا [هَلَكَ عَنّى سُلْطٰانِيَهْ] سلطنتى اوسلطانى الّذى كان يأمرنى بأعمال فى الدّنيا، او سلطانى الّذى كنت اشركه بالله واجعله شفيعاً لى عندالله [خُذُوهُ] حال اومستأنفٌ بتقدير القول [فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْجَحيمَ صَلُّوهُ] اى ادخلوه [ثُمَّ فى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهٰا سَبْعُونَ ذِرٰاعاً فَاسْلُكُوهُ] وقد وصف الصّادق (ع) تلك السّلسلة بانّ حلقة منها لو وضعت على الدّنيا لذابت الدّنيا من حرّها، وعنه (ع): وكان معاوية صاحب السّلسلة الّتى قال الله

عزّوجلّ في سلسلةٍ ذرعها (الآية)، وعن الباقر (ع): كنت خلف ابى (ع) وهو على بغلته فنظرت بغلته فاذا هو شيخٌ في عنقه سلسلةٌ ورجل يتبعه فقال: يا عليّ بن الحسين (ع) اسقنى، فقال الرّجل: لاتسقه لاسقاه الله، قال: وكان الشّيخ معاوية، وقال القمّيّ: معنى السّلسلة سبعون ذراعاً فى الباطن هم الجبابرة السّبعون.

اعلم، انّ الانسان واقع بين الحيوانيّة و بين الملكيّة ولنفسه وجهٌ الى الحيوانيّة و وجه الى الملكيّة و يعبّر عن الجهتين باليسار واليمين، واذا عمل الانسان عمله من حيث وجهته الى الحيوانيّة يثبت ذلك العمل فى صفحة النّفس الّتى تلى الحيوانيّة، و بحذائها الكتاب الّذى بيد كاتب السّيّئات فيثبت ذلك العمل كاتب السّيّئات فى كتاب السّيّئات سواء كان ذلك العمل بحسب صورته من الطّاعات اومن المعاصى، ولذلك ورد فى حقّ النّاصب: صلّى اوزنى، واذا بعث ذلك العامل يوم القيامة يتمثّل العمل الّذى كان فى صفحة النّفس الدّانية و يأتيه كتاب عمله الّذى كتبه كاتب السّيّئات من تلك الجهة وهى شمال النّفس والانسان، واذا عمل عمله من حيث وجهته الى الملكيّة ثبت ذلك العمل اوّلاً فى صفحة نفسه الملكيّة و بحذائها الكتاب الّذى بيد كاتب الحسنات فيثبته كاتب الحسنات فى كتاب الحسنات سواء عدّ ذلك العمل بحسب صورته من السّيّئات اومن الحسنات، وهذا احد وجوه تبديل السّيّئات حسنات، واذا بعث ذلك العامل يوم القيامة يتمثّل صورة العمل الّذى كان فى صفحة النّفس العليا و يؤتى كتابه من تلك الجهة فيرى صورة اعماله فى صفحة نفسه وفى كتابه على غاية الحسن و البهاء فيتبجّح و يقول من غاية الوجد و السّرور: هاؤم اقرؤا كتابيه [إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ] يعنى انّه لم يكن صاحب خير لابحسب قوّته العلّامة ولابحسب قوّته العمّالة [فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ] لانّ النّسب الجسمانيّة صارت منقطعة والنّسب الرّوحانيّة الالهيّة لم تكن له حاصلة لانّ حصولها لايكون الّا بالايمان بالله بالبيعة العامّة اوالخاصّة فلم يكن له فى ذلك الموقف حميمٌ جسمانيٌّ ولاحميمٌ روحانيٌّ [وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ] هو مايغسل من الثّوب ونحوه كالغسالة، ومايسيل من جلود اهل النّار، وماكان شديد الحرّ، واسم شجرٍ فى النّار ولم يكن له طعام الّا من غسلين لانّه لم يكن يطعم من طعامه حتّى يعطيه طعاماً طيّباً عوضاً من طعامه [لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ] اى المذنبون من خطئ الرّجل اذا اذنب عمداً اوخطأً [فَلَا أُقْسِمُ] لفظة لامزيدةٌ للتّأكيد وشاع زيادتها فى القسم [بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ] بكلّ ما من شأنه ان يبصر وان لايبصر [إِنَّهُ] اى القرآن او قرآن ولاية علىّ (ع) [لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ] و قول الرّسول (ص) من حيث انّه رسول ليس الّا من المرسل سواء اريد بالرّسول جبرئيل اومحمّد (ص) [وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ] كما تقولون تارةً انّه شاعر [قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ] كما تقولون اخرى [قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ] قليلاً صفة مفعول مطلق محذوف، اوظرف لتذكّرون وما زائدة للتّأكيد اوصفته والاتيان بالايمان فى جانب نفى كونه شعراً لانّ تميّز كونه من الله دون الشّعر يحتاج الى الايمان العامّ اوالخاصّ، اوالاذعان بالله واليوم الآخر حتّى يعلم انّ مضمونه ليس الّا الٓهيّاً اخرويّاً عقليّاً بخلاف الشّعر فانّه لايكون فى الاغلب الّا خياليّاً نفسانيّاً، واتى فى جانب نفى الكهانة بالتّذكّر لعدم اكتفاء الايمان فى تميّز القرآن من الكهانة الّتى هى ايضاً اخبارٌ بالغيب، وللحاجة الى تذكّر حال الكاهن وحال الرّسول (ص) واقوالهما وانّ حال الكاهن لايشبه حال الالٓهيّين الاخرويّين وانّ حال الرّسول (ص) وقوله لايشبه حال الكاهنين الشّيطانيّين [تَنْزِيلٌ] اى بل هو تنزيل [مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَلَوْ تَقَوَّلَ] ابتدع [عَلَيْنَا] كذباً [بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ] لامسكنا من اعضائه بيمينه كما يمسك من اعضاء الجانى المستحقّ للعذاب بيده، وذكر اليمين لانّه اشرف اطرافه فيكون ابلغ فى الدّلالة على الاذلال او لاخذنا منه باليمين للقطع اى قطعناها فانّه حينئذٍ يكون سارقاً فى الدّين، والسّارق يقطع منه اليمين، او لاخذناه بقوّتنا، واستعمال اليمين فى القوّة

لظهورها على اليد فى الاغلب ، واليمين اقوى الاطراف [ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنْهُ الْوَتِينَ] و هو حبل القلب اذا قطع هلك صاحبه، وقطعه كناية عن اهلاكه [فَما مِنْكُمْ مِنْ اَحَدٍ عَنْهُ حاجِزِينَ] مانعين وكافّين وجمع الحاجزين لحمله على احد المفيد للعموم فى سياق النّفى [وَاِنَّهُ] اى القرآن اوقرآن ولاية علىّ (ع) [لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ] وقد مضى بيان التّقوى ومراتبها فى اوّل البقرة [وَاِنّا لَنَعْلَمُ اَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ وَاِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكافِرِينَ وَاِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ] قد سبق مكرّراً انّ المراد بتسبيح الرّبّ تنزيه اللّطيفة الانسانيّة الّتى هى مظهر الله وهو الرّبّ بوجهٍ واسم الرّبّ بوجهٍ سواء علّق التّسبيح على الله اوعلى الرّبّ اوعلى اسم الرّبّ ، والباء ههنا صلة التّسبيح لتأكيد اللّصوق اوسببيّة ، روى عن الكاظم (ع) انّه لقول رسول كريم يعنى جبرئيل عن الله فى ولاية علىّ (ع)، قال (ع) قالوا : انّ محمّداً (ص) كذب على ربّه وماامره الله بهذا فى علىٍّ (ع) فأنزل الله بذلك قرآناً فقال: انّ ولاية علىّ (ع) تنزيل من ربّ العالمين ولوتقوّل علينا محمّد (ص) بعض الاقاويل (الآية) ثمّ عطف القول فقال : انّ ولاية علىٍّ (ع) لتذكرة للمتّقين وانّ عليّاً (ع) لحسرة على الكافرين وانّ ولايته لحقّ اليقين فسبّح باسم ربّك العظيم يقول اشكر ربّك العظيم الّذى اعطاك هذا الفضل، وعن الصّادق (ع) : لمّا اخذ رسول الله (ص) بيد علىٍّ (ع) فأظهر ولايته قالا جميعاً: والله ماهذا من تلقاء الله ولاهذا الّا شيءٌ اراد ان يشرّف ابن عمه فأنزل الله : ولو تقوّل علينا (الآيات) وفى خبرٍ: نزلت فى اميرالمؤمنين (ع) ومعاوية عليه ما عليه .

سورة المعارج

مكّيّة ، وقيل : سوى قوله تعالى: والّذين فى اموالهم حقٌّ معلوم ، اربع واربعون آيةً .



[سَأَلَ سائِلٌ بِعَذابٍ واقِعٍ] سأل يتعدّى بنفسه وبعن و بالباء الى المفعول الثّانى ، و يخفّف الهمزة فيقال : سال يسال مثل خاف يخاف ، وقرئ به ايضاً ، قيل: نزلت فى ابى جهلٍ حين قال الرّسول (ص) لقريشٍ : انّ الله بعثنى ان اقتل جميع ملوك الدّنيا واجرّ الملك اليكم فأجيبونى الى ماادعوكم اليه تملكوا بها العرب وتدين لكم بها العجم وتكونوا ملوكاً فى الجنّة، فقال ابوجهل: اللّهمّ ان كان هذا الّذى يقول محمّد (ص) هو الحقّ من عندك فأمطر علينا حجارةً من السّماء او ائتنا بعذابٍ اليمٍ حسداً لرسول الله (ص) ،وقيل : نزلت فى الحارث بن عمر الفهرى حين قال رسول الله (ص) فى علىّ (ع) ماقال فقال: اللّهمّ ان كان هذا هو الحقّ من عندك (الآية) وقدسبق فى سورة الانفال عند قوله: ان كان هذا هو الحقّ من عندك فأمطر علينا حجارةً من السّماء، بيان لنزول الآية، وفى خبرٍ : لمّا اصطفّت الخيلان يوم بدرٍ رفع ابوجهل يده فقال: اللّهمّ اقطعنا للرّحم وآتانا بمالا نعرفه ففاجئه العذاب، فأنزل الله تبارك وتعالى سأل سائلٌ بعذابٍ واقعٍ [لِلْكافِرِينَ] اللّام للتّبيين اومتعلّق بواقع واشارة الى انّ الكافر لاحاجة له الى انتظار العذاب بل العذاب واقع له [لَيْسَ لَهُ دافِعٌ] يدفعه عنهم [مِنَ اللهِ ذِى الْمَعارِجِ] المعراج و المعرج كمكحل و المعرج بفتح الميم والرّاء السّلّم، والله باضافته الاشراقيّة الّتى هى فعله وغيرخاليةٍ منه معراج لعباده السّالكين، و له معارج بعدد نفوس السّالكين بل بعدد نفوس الخلق اجمعين، وله ايضاً معارج بعدد انواع الموجودات فهو بوجهٍ معارج، و بوجهٍ ذومعارج،

[تَعْرُجُ الْمَلٰائِكَةُ وَالرُّوحُ اِلَيْهِ] هو ربّ النّوع الانسانىّ و هو اعظم من جميع الملائكة المقرّبين و هوالّذى لم يكن مع احدمن الانبياء(ع) وكان مع نبيّنا(ص) وكان مع اوصيائه الكاملين [فِى يَوْمٍ كٰانَ مِقْدٰارُهُ خَمْسِينَ اَلْفَ سَنَةٍ] والمقصود انّه تعرج الملائكة والرّوح اليه فى تلك المعارج، فانّ الملائكة والرّوح تنزل من مقامها العالى الى مقام الطّبع فى الملك الكبير والصّغير ثمّ تعرج الى الله ومقامها الاوّل فى تلك المعارج، وقد مضى فى سورة بنى اسرائيل وسورة السّجدة بيانٌ لهذه الآية ، وعن الصّادق(ع) انّ للقيامة خمسين موقفاً كلّ موقفٍ مقام الف سنة ثمّ تلا الآية [فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا] على تكذيب قومك وكفرهم بولاية علىٍّ(ع) لانّهم واقعون فى العذاب من غير انتظارٍ لمجيئه [اِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا] اى يرون ذلك اليوم اوالعذاب بعيداً من الامكان او بعيداً امده [وَنَرٰيهُ قَرِيبًا] من الوقوع اوقريباً امده وانت ترى برؤيتنا فينبغى ان تراه قريباً [يَوْمَ تَكُونُ السَّمٰاءُ كَالْمُهْلِ] كالفلزّ المذاب اوكدردىّ الزّيت و يوم بدل من قوله فى يوم او خبر مبتدءٍ محذوفٍ اوظرف ليبصر و نهم اوليودّ المجرم [وَتَكُونُ الْجِبٰالُ كَالْعِهْنِ] العهن القطعة من الصّوف اوالمصبوغ الوانا .

اعلم ، انّ الملائكة الموكّلة على بنى آدم والرّوح النّازلة اليهم من مقامها العالى تعرج الى مقاماتها بل الى الله تعالى بالموت الاختيارىّ او الاضطرارىّ ، و بالموت يصير سماوات مقامات الارواح كالصّفر المذاب فى عدم تماسكها وعدم تمانعها وانشقاقها لخروج الرّوح الانسانيّة النّاطقة وتصير جبال الانانيّات كالصّوف المنفوش فى عدم ثباتها وعدم تمانعها، وتصير الاعضاء البدنيّة ايضاً كالعهن فى تخلخلها بخروج الرّوح عنها [وَلٰا يَسْئَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا] قرئ بالبناء للفاعل وقرئ بالبناء للمفعول يعنى انّ كلّاً منهم مشغولٌ بنفسه بحيث لايسأل الحميم عن حميمه او لايسأل حميم عن حميم حمل اوزاره او دفع العذاب عنه ، لمعرفته انّه لايغنى عنه شيئاً ، او المعنى على البناء للمفعول لايسئل حميم عن حال حميمه لعدم الاحتياج الى ذلك لمعرفة كلٍّ كلّ من سواه ، اولانّ المذنب والمحسن والكافر والمؤمن كانوا ذوى علاماتٍ مغنية عن الاستفسار [يُبَصَّرُونَهُمْ] قرئ مبنيّاً للمفعول و مبنيّاً للفاعل و بصّره من التّفعيل يستعمل فى معنى عرّفه وفى معنى قطعه، وعن الباقر(ع) يعرّفونهم ثمّ لايتساءلون [يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذٰابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ وَصٰاحِبَتِهِ وَاَخِيهِ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِى تُؤْوِيهِ] اى عشيرته الّتى يأوى هو اليهم فى نوائبه وكانوا يؤويه فى كلّ امرٍ وكان يأوى اليهم فى نسبه وصار منفصلاً عنهم بالتّولّد منهم [وَمَنْ فِى الْاَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ] ذلك الفداء [كَلّٰا] اى يقال له كلّا ردعاً له عن ذلك الوداد وعن انجاء الفداء [اِنَّهٰا لَظٰى] اللّظى كالفتى النّار او لهبها و لظى معرفة كما ههنا اسم لجهنّم او لوادٍ منها و ضمير انّها للقصّة او لجهنّم ، و استغنى عن ذكرها بشهودها [نَزّٰاعَةً لِلشَّوٰى] قرئ بالرّفع خبراً للظى، اوخبراً بعد خبر لانّ وقرئ بالنّصب حالاً والشّوى الامر الهيّن ورذال المال واليدان والرّجلان والاطراف وقحف الرّأس وماكان غير مقتل ، والنّزاعة من نزعه قلعه، اومن نزع الى اهله نزوعاً اشتاق [تَدْعُوا مَنْ اَدْبَرَ] حينئذٍ عنها او من ادبر عن الولاية [وَتَوَلّٰى] عنها اوعن الولاية اواليها، واستعمال تدعو فى معنى تجرّ بعنفٍ للتّهكّم بهم [وَجَمَعَ] المال [فَاَوْعٰى] فى وعاء الكنز [اِنَّ الْاِنْسٰانَ خُلِقَ هَلُوعًا] تعليل للجمع والايعاء يعنى انّ الانسان بطبعه شديد الحرص وقليل الصّبر، و قوله تعالى [اِذٰا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا] اذا ظرف لجزوعاً، وجزوعاً ومنوعاً بدل تفصيلىّ من هلوعاً، وهلوعاً حال مقدّرة اومحقّقة، اوجزوعاً خبر لكان مقدّراً، و اذا

ظرف له او لشرطه [وَ إِذٰامَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا] و المراد بالشّر كلّ ما لايلائم طبعه و بالخير كلّ ما يلائم طبعه [إِلَّا الْمُصَلِّينَ] قد مضى فى اوّل البقرة بيان الصّلوة ومراتبها [اَلَّذِينَ هُمْ عَلٰى صَلٰوتِهِمْ دٰائِمُونَ] .

اعلم، انّ الصّلوة اسم لكلّ ما به يتوجّه الى الله ولذلك لم يكن شريعة الّا وكانت الصّلوة فى تلك الشّريعة وبعبارة اخرى الصّلوة هى التّحلّى بحلى اوصاف الرّوحانيّين كما انّ الزّكوة كانت اسماً للتّبرّى من كلّ ما يتبرّى منه ولذلك كانت فى كلّ شريعة، وصلوة القالب كانت فى الشّرائع بحسب الاذكار والافعال مختلفة، ولمّا كانت شريعة محمّد (ص) اكمل الشّرائع جعلت الصّلوة القالبيّة فيها اكمل الصّلوات مشتملة على عبادات جميع اصناف الملائكة من الّذين هم قيام لاينظرون ومن الرّكع و السّجّد وعلى صلوة جميع اصناف المواليد من الطّبائع المنطبعة والنّفوس النّباتيّة الّتى هى بوجهٍ قيام لاينظرون ، و بوجهٍ سجّد ومنطبعة، ومن النّفوس الحيوانيّة الّتى هى بالطّبع راكعة منكوسة، ومن النّفوس الانسانيّة الّتى هى قائمة باحسن التّقويم متمكّنة من الرّكوع والسّجود، والقيام الّتى كانت لسائر الموجودات، ولمّا كانت الصّلوة القالبيّة مانعة من الاشغال الضّروريّة من الاكل والشّرب وطلب الحاجات وقضاء الحاجة والنّوم كانت لايمكن ادامتها الّا على ضرب من التّأويل والمجاز بان يكون المراد من ادامتها عدم فوتها عن اوقاتها المقرّرة ، فليكن المراد ادامة الصّلوة القلبيّة المأخوذة من ولىّ الامر فانّها ان كان الانسان مواظباً عليها مستغرقاً فيها لم يكن يمنع الاشغال الضّروريّة عن اقامتها بل يكون الانسان فى حالة النّوم ايضاً مشغولاً بها من غير تعمّلٍ وفكر و رويّة ، ولذلك قال: على صلوتهم يعنى صلوتهم المخصوصة بهم فانّ لكلّ انسانٍ صلوةً خاصّةً لايشاركه فيها غيره بخلاف الصّلوة القالبيّة فانّها مشرّعة للكلّ لااختصاص لها بفرد دون فرد ، وفى الخبر: اذا فرض على نفسه شيئاً من النّوافل دام عليه ، وفى خبرٍ: الّذين يقضون مافاتهم من اللّيل بالنّهار ومافاتهم من النّهار باللّيل ، ومجمل القول انّ الولاية الحاصلة بالبيعة الثّانية هى الصّلوة الّتى تزكّى الانسان من الرّذائل الّتى منها كونه هلوعاً وتحلّيه بحلية الخصائل الحسنة الّتى منها ادامة الصّلوة القالبيّة والقلبيّة والصّدريّة [وَالَّذِينَ فِى أَمْوٰالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسّٰائِلِ وَالْمَحْرُومِ] فى الخبر ليس المراد بالحقّ المعلوم الزّكوة ولا الصّدقة المفروضتين بل هو ما يخرجه من ماله يصل به اقرباءه واخوانه ، والمحروم هو الّذى قد حرم كدّيده فى الشرى، اوالمحترف الّذى لم يبسط له فى رزقه [وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ] اى يوم الجزاء [وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذٰابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ إِنَّ عَذٰابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ] تعليلٌ لاشفاقهم [وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حٰافِظُونَ إِلّٰا عَلٰى أَزْوٰاجِهِمْ أَوْمٰامَلَكَتْ أَيْمٰانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنِ ابْتَغٰى وَرٰاءَ ذٰلِكَ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْعٰادُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمٰانٰاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رٰاعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهٰادٰاتِهِمْ قٰائِمُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَلٰى صَلٰوتِهِمْ يُحٰافِظُونَ أُولٰئِكَ فِى جَنّٰاتٍ مُكْرَمُونَ] قد مضى اكثر تلك الآيات فى سورة المؤمنون فلانعيد تفسيرها [فَمٰالِ الَّذِينَ كَفَرُوا] يعنى اذا كان هذا حال المنافقين الّذين ادبروا عن الولاية ولم يقبلوها وذلك حال من اقبل على الولاية و بايع البيعة الخاصّة فما للّذين كفروا بالولاية؟! فانّ الآية كما فى الاخبار نزلت فى المنافقين الّذين لم يقبلوا ولاية علىّ (ع) [قِبَلَكَ] يعنى فما لهم عندك [مُهْطِعِينَ] مسرعين اليك ، اومقبلين عليك، اوناظرين اليك [عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمٰالِ] اى عن يمينك و شمالك [عِزِينَ] العزة كالعدة الجماعة والعصبة منقوص واوىّ جمعه عزين، وقيل: معناه قعود، عن اميرالمؤمنين (ع) فى ذكر حال المنافقين: ومازال رسول الله (ص) يتألّفهم ويقرّبهم و يجلسهم عن يمينه و شماله حتّى اذن الله له فى ابعادهم بقوله: واهجرهم هجراً

جميلاً، و بقوله: فما الّذين كفروا قبلك مهطعين (الآيات) [اَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِءٍ مِنْهُمْ اَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ] قيل: هوانكار لقولهم: لوصحّ ما يقوله لنكون فيها افضل حظّاً منهم كما فى الدّنيا [كَلّا] ردع لهم عن هذا الطّمع [اِنّا خَلَقْناهُمْ مِمّا يَعْلَمُونَ] اى من نطفة قذرة لائقة للمزابل لا لجنّات النّعيم وانّما يدخل الجنّات اذا بدّل مادّته بمادّة شريفة لطيفة قابلة للجنان الاخرويّة، ولايكون ذلك الّا بالايمان بعلىّ (ع) فانّه الماء الّذى كلّما دخل فيه واتّصل به صار من سنخه و جنسه [فَلا اُقْسِمُ] لفظة لا قد مضى مكرّراً انّها شائع دخولها فى القسم ، و تكون زائدة للتّأكيد [بِرَبِّ الْمَشارِقِ وَالْمَغارِبِ] مشارق عالم الطّبع ومغاربه فانّ للشّمس فى كلّ يوم بل فى كلّ آن مشرقاً و مغرباً غير ماكان له فى الآن السّابق ، ومشارق العوالم العالية ومغاربها ، فانّ كلّ عالم مشرق بوجه ومغرب بوجه ، وله مشرق بوجه و مغرب بوجه [اِنّا لَقادِرُونَ عَلى اَنْ نُبَدِّلَ خَيْراً مِنْهُمْ] بان نذهبهم و نجعل بدلهم جمعاً يكونون خيراً منهم [وَما نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ] بمغلوبين ان اردنا ذلك يعنى نقدر على ذلك ولامانع لنا و لكنّا اهملناهم لحكمة ومصلحة [فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا] فى اباطيلهم [وَيَلْعَبُوا حَتّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذى يُوعَدُونَ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْاَجْداثِ] اى القبور [سِراعًا] مسرعين [كَاَنَّهُمْ اِلى نُصُبٍ] النّصب بالفتح والسّكون وقرئ به و بالتّحريك العلم المنصوب، و بالضّمّتين كلّما جعل علماً وكلّما عبد من دون الله وقرئ به، والنّصب بالضّمّ والسّكون كلّما عبد من دون الله [يُوفِضُونَ] اى يسرعون، قال القمّىّ: الى الدّاعى يبادرون [خاشِعَةً اَبْصارُهُمْ] للخوف و الدّهشة [تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذلِكَ الْيَوْمُ] العظيم [الَّذى كانُوا يُوعَدُونَ] فى الدّنيا وكانوا ينكرونها و يقولون استهزاءً : لوكان ما يقولون حقّاً لكنّا خيراً منهم فيها.

سورة نوح

مكّيّة ، ثمان وعشرون آيةً .

بسم الله الرّحمن الرّحيم

[اِنّا اَرْسَلْنا نُوحًا اِلى قَوْمِهِ اَنْ اَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ اَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذابٌ اَليمٌ] فى الدّنيا ، اوفى الآخرة، او بين الدّنيا والآخرة حين الاحتضار، اوفى البرازخ [قالَ] امتثالاً لامرنا وتبادراً الى تبليغ رسالته [ياقَوْمِ اِنّى لَكُمْ نَذيرٌ مُبينٌ] ظاهر الصّدق، اومظهر لصدقى، اومظهر لماانذر به، اومظهر للامر بعبادة الله [اَنِ اعْبُدُوا اللهَ] ان تفسيريّة و تفسير لنذيرٌ او لمبينٌ، اومصدريّة بتقدير اللّام ، اومصدريّة مفعولٌ به لمبين [وَاتَّقُوهُ وَاَطيعُونِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ] بعض ذنوبكم فانّ الكلّ لايغفر الّا بعد الفناء التّامّ وهوالفناء عن الفناء [وَيُؤَخِّرْكُمْ اِلى اَجَلٍ مُسَمًّى] هوآخر مدّة اعمارهم وهوالاجل المعيّن الّذى سمّى فى الالواح العالية [اِنَّ اَجَلَ اللهِ اِذا جاءَ] اذا قدّر مجيئه او اذا قرب مجيئه [لا يُؤَخَّرُ] فاعملوا لما بعده فى زمان الامهال [لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ] لامتنعتم ممّا

انتم عليه اوليتكم كنتم تعلمون عقوبة افعالكم ، اوليتكم كنتم من اهل العلم [قَالَ] بعدَ ما دعاهم ولم يجيبوه اظهاراً لامتثاله وتشكياً من عدم اجابتهم [رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا] عنّى وعن الايمان بك وعن تصديقى [وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ] اليك والى الايمان بك [لِتَغْفِرَ لَهُمْ] مساويهم الّلازمة لذواتهم وشنائع اعمالهم [جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ] لئلّا يسمعوا قولى [وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ] لئلّا يرونى ادعوهم اليك، لجاجاً وتنفراً عن الحقّ [وَأَصَرُّوا] على الامتناع [وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا] عظيماً عن انقيادى وسماع قولى [ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا] تفصيل لدعائه ليلاً ونهاراً ولذلك عطف بثمّ، وجهاراً مفعول مطلق نوعىّ من غير لفظ الفعل [ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا] يعنى دعوتهم اوّلاً جهاراً فلمّا رأيت انّه لا ينفع فيهم لفقت الجهر والاسرار بالنّسبة الى كلّ، اواعلنت لبعض واسررت لبعض آخر لانّ بعضهم كانوا يتأنّفون عن قبول الدّعاء جهاراً [فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ] بيانٌ لكيفيّة دعائه يعنى انّى دعوتهم و وعدتهم على مقتضى اهويتهم ليكون دعائى سبباً لميلهم الى المدعوّ لاسبباً لنفرتهم [إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا] لمن يستغفره [يُرْسِلِ السَّمَاءَ] اى السّحاب [عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا] كثير الدّرّ والمطر [وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا] فى الدّنيا والآخرة [مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا] هو من قول نوح (ع)، اوابتداء كلام من الله خطاباً معهم، والوقار الرّزانة والعظمة ، والرّجاء ضدّ اليأس، وقد يستعمل فى الخوف، والمعنى اىّ حالٍ لكم؟ اسفهاء انتم ام مجانين ؟ لانّكم لاترجون لله وقاراً فتستعجلونه بالعذاب ، او اىّ نفعٍ لكم فى حال كونكم لاترجون لله وقاراً وعظمةً، اوما حالكم؟- امجانين انتم ام سكارى؟! لانّكم لا تخافون عظمة الله ، او اىّ نفعٍ لكم فى ذلك؟ [وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا] نطفةً قذرةً وعلقةً ومضغةً وعظماً ولحماً ونفساً ناقصةً وكاملةً، اوخلقكم متطوّرين فى احوالكم من الرّضا والسّخط والبسط والقبض والغنى والفقر والعزّة و الذّلّة من غير تصرّفٍ لكم فيها ومن دون ارادةٍ واختيارٍ، فمالكم لاترجون رزانته و قد شاهدتموها فى تطوّراتكم الخلقيّة ، اومالكم لاتخافون عظمته وقد شاهدتموها فى تطوّراتكم فى احوالكم [أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا] هذه ايضاً من كلام نوحٍ (ع) استشهاداً على عظمته ، او من كلام الله تعالى [وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا] مثّل الشّمس بالسّراج فى مقابل القمر للاشعار بانّ نورها من ذاتها كالسّراج دون القمر ، وللاشارة الى انّها بضوئها تزيل ظلمة اللّيل كالسّراج [وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا] انشأكم منها من غير مداخلة اختياركم فيه [ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا] بجعل ابدانكم واوائل موادّكم جزءً منها وقد كنتم متّحدين معها مدّة حياتكم ، اوالله انبتكم بحسب نفوسكم من ارض ابدانكم ونطفكم نباتاً منكوراً لاتعرفونها، ثمّ يعيدكم فيها بعد اختياركم بتوجّهكم الى ابدانكم بلوازم معاشكم [وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا] يعنى بوقع ذلك بكم مكرّراً ، او يخرجكم بالموت اخراجاً ، او يخرجكم من ابدانكم البرزخيّة اخراجاً منكوراً لكم [وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا] واسعات، ومن يفعل ذلك ينبغى ان يرجى له الرّزانة اويخاف منه العظمة [قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا] اى الرّؤساء الّذين ابطرهم كثرة اموالهم و اولادهم [وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا] كبيراً غاية الكبارة [وَقَالُوا] فيما بينهم [لَا تَذَرُنَّ

آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا] يعنى لاتذرنّ هؤلاء مخصوصاً، قيل: كان هذه اسماء قوم صالحين كانوا بين آدم و نوح (ع) فنشأ قوم بعدهم يأخذون اخذهم فى العبادة فقال لهم ابليس: لوصوّرتم صُورهم كان انشط لكم و اشوق الى العبادة ، ففعلوا فنشأ بعدهم قومٌ فقال لهم ابليس : انّ الّذين كانوا قبلكم كانوا يعبدونهم ، فعبدوهم ، فصارعبادة الاوثان سيرة من ذلك الزّمان ، وقيل: كان نوح (ع) يحرس جسد آدم (ع) على جبلٍ بالهند و يحول بينه و بين الكفّار لئلّا يطوفوا بقبره فقال لهم ابليس: انّ هؤلاء يفخرون عليكم ويزعمون انّهم بنوآدم دونكم وانّما هو جسد واناا صوّر لكم مثله تطوفون به فنحت خمسة اصنام وحملهم على عبادتها وهى ودّ وسواع و يعوق و يغوث ونسر، فلمّا كان ايّام الطّوفان دفن تلك الاصنام وطمّها التّراب فأخرجها الشّيطان لمشركى العرب ، وقيل: صارت اوثان قوم نوحٍ (ع) الى العرب فكانت ودّ لقضاعة، و يغوث لبطنان من طىّ، و يعوق صارالى همدان، ونسر لخثعم، وسواع لآل ذى الكلاع ، واللّات لثقيفٍ ، والعزّى لسليم، ومناة لقديدٍ، واساف ونائلة وهبل لاهل مكّة ، وقيل: كان ودّ على صورة الرّجل، وسواع على صورة امراةٍ ، و يغوث على صورة اسدٍ ، و يعوق على صورة فرس، ونسر على صورة النّسر [وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا] اى اضلّ عابدوا تلك الا لهة كثيراً من النّاس، اواضلّ هؤلاء الا لهة كثيراً بماظهر من الشّيطان على هياكلها [وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا] لمّا كان دعاء الانبياء (ع) على وفق الواقع و التّكوين وقد شاهد نوح (ع) من قومه انّهم فى ازدياد الضّلال والبعد عن طريق الانسان ورأى انّهم قطعوا الانسانيّة و الفطرة ويئس من صلاحهم وخيرهم دعا بذلك ، اولمّا بالغوا فى العتوّ والنّفار واخذه البغض فى الله واشتدّ غضبه لله دعا بذلك [مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ] اى من اجل خطاياهم و ذنوبهم [أُغْرِقُوا] بالطّوفان [فَأُدْخِلُوا نَارًا] بسبب الاغراق فانّهم ماتوا وخرجت انفسهم بالموت الى النّار [فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا] يدفعون عنهم العذاب [وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا] وهذا دليل على انّه علم انّهم قطعوا الفطرة بحيث لايبقى فيهم استعداد تولّد المؤمن منهم ، روى عن الباقر (ع) انّه سئل: ماكان علم نوح (ع) حين دعا على قومه انّهم لايلدون الّا فاجراً كفّاراً ؟ـ فقال : اما سمعت قول الله تعالى لنوح (ع): انّه لن يؤمن لك من قومك الّا من قدآمن [رَبِّ اغْفِرْ لِي] بعد ما دعا على قومه لشدّة غضبه لله تضرّع على الله واستغفر من غضبه لله فانّ الحبّ فى الله اولى من البغض فى الله [وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا] عن الصّادق (ع) يعنى الولاية، من دخل فى الولاية دخل فى بيت الانبياء (ع) [وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ] اى المسلمين والمسلمات الّذين قبلوا الدّعوة العامّة ولم يقبلوا الدّعوة الخاصّة ، او المراد بهم المؤمنون والمؤمنات بالولاية بالبيعة الخاصّة الولويّة لكنّ المراد بمن دخل بيته من باع البيعة الخاصّة على يده، و بالمؤمنين والمؤمنات من باع البيعة الخاصّة على يده وعلى ايدى غيره من الانبياء والاولياء (ع) [وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا] بعد دعائه للمؤمنين كرّر دعاءه على الظّالمين لجمعه بين الحبّ فى الله والبغض فيه ، وهذا هو الكمال التّامّ للانسان حيث لايذهب بغضه فى الله حبّه فى الله، ولاحبّه فى الله بغضه فى الله كما اشار تعالى الى هذا الكمال بقوله : محمّد (ص) رسول الله و الّذين معه اشدّاء على الكفّار رحماء بينهم ، قيل: دعا نوح (ع) دعوتين ، دعوة على الكفّار ودعوة للمؤمنين ، فاستجاب الله دعوته على الكافرين فأهلك من كان منهم على وجه الارض، ونرجو ان يستجيب ايضاً دعوته للمؤمنين فيغفر لهم .

سورة الجن

مكّيّة ثمانٍ وعشرون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

[قُلْ] لاهل مكّة [اُوحِيَ اِلَيَّ اَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقالُوا اِنّا سَمِعْنا قُرْآناً عَجَباً يَهْدى اِلَى الرُّشْدِ فَآمَنّا بِهِ وَ لَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنا اَحَداً] قد سبق فى سورة الاحقاف نزول الآية وقصّة الجنّ [وَ اَنَّهُ تَعالى جَدُّ رَبِّنا] الجدّ بمعنى البخت، و روى عن الباقر(ع): انّما هو شيءٌ قالته الجنّ بجهالة فحكى الله عنهم، او هو مستعارٌ للعظمة، وقرئ انّه بكسر الهمزة على انّه محكيّ بقول الجنّ، وقرئ بفتحها على انّه معطوف على الضّمير المجرور فى قوله: فآمنّا به، او على انّه معطوف على انّه استمع، وهكذا الحال فى اختلاف القراءة وفى العطف فيما بعد الّا انّ بعض الفقرات لايمكن ان يكون معطوفاً على انّه استمع [مَا اتَّخَذَ صاحِبَةً وَلا وَلَداً] كما يقول بعض الانس [وَ اَنَّهُ كانَ يَقُولُ سَفِيهُنا] اى من كان منحرفاً منّا عن الدّين [عَلَى اللهِ شَطَطاً] قولا بعيداً عن الحقّ مجاوزاً عن الحدّ، اوهو بمعنى الظّلم، والمراد بالسّفيه الشّيطان، اومطلق المنحرفين عن الحقّ [وَ اَنّا ظَنَنّا اَنْ لَنْ تَقُولَ الْاِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللهِ كَذِباً] يعنى ان كنّا نتّبع السّفيه فذلك كان من ذلك الظّنّ يعنى كان تصديقنا و اتّباعنا لمن قال لله تعالى بالشّريك والصّاحبة والولد لذلك حتّى سمعنا القرآن وايقنّا انّهم يقولون كذباً [وَ اَنَّهُ كانَ رِجالٌ مِنَ الْاِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجالٍ مِنَ الْجِنِّ] من فى من الجنّ تبعيضيّة، اوتعليليّة، روى عن الباقر(ع) فى هذه الآية: انّه كان الرّجل ينطلق الى الكاهن الّذى يوحى اليه الشّيطان فيقول: قل لشيطانك: فلان قد عاذبك، وقيل: كان الرّجل من العرب اذا نزل وادياً فى سفره ليلاً قال: اعوذ بعزيز هذا الوادى من شرّ سفهاء قومه، وقيل: كان رجال من الانس يعوذون برجال من الانس من اجل شرّ الجنّ [فَزادُوهُمْ رَهَقاً] الرّهق محرّكةً السّفه و الخفّة و ركوب الشّرّ والظّلم، وغشيان المحارم، وحمل الانسان على ما لايطيقه، والكذب، والعجلة، وضمير فاعل زادوهم للرّجال من الانس، اوللرّجال من الجنّ، و المفعول بعكس ذلك، اوهو للرّجال العائذين او للمعوّذ بهم اوللجنّ، والمفعول ايضاً يحتمل الكلّ [وَ اَنَّهُمْ ظَنُّوا كَما ظَنَنْتُمْ اَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللهُ اَحَداً] هذا من قول مؤمنى الجنّ لكفّارهم يعنى انّ هؤلاء الرّجال العائذين لضعف حالهم وسوء عقيدتهم عاذوا بالجنّ او بالاناسىّ، فانّهم ظنّوا كما ظننتم ايّها الجنّ ان لن يبعث الله احداً رسولاً الى بنى آدم، او لن يبعث الله احداً فى القيامة اوهو معترض من الله والمعنى انّهم اى الجنّ ظنّوا كما ظننتم ايّها الانس ان لن يبعث الله احداً [وَ اَنّا لَمَسْنَا السَّماءَ] اى قربناها، اوصعدنا اليها، اوطلبنا الصّعود اليها [فَوَجَدْناها مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً] الحرس جمع الحارس و تذكير الشّديد لاجراء الفعيل بمعنى الفاعل مجرى الفعيل بمعنى المفعول فى استواء التّذكير والتّأنيث فيه اى حفظة اقوياء لايمكن الاستراق معهم [وَشُهُباً] جمع الشّهاب [وَ اَنّا كُنّا نَقْعُدُ مِنْها مَقاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهاباً رَصَداً] يترصّده

للرّمى له وقد مضى فى سورة الحجر بيان لهذه الآية ولاستماع الجنّ وردعهم بالشّهب [وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ] فانّ تغيير اوضاع السّماء يدلّ على حدوث حادثٍ عظيمٍ [أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا] خيراً وصلاحاً [وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا] قوم [دُونَ ذَٰلِكَ] فى الصّلاح اودون ذلك بانّ بعضهم فى غاية الشّرارة و بعضهم لايكون فى غاية الشّرارة يعنى منّا غير صالحين [كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا] اى ذوى طرائق مختلفة متفرّقة، اوكنّا بانفسنا طرائق متفرّقة، او الطّرائق بمعنى الاماثل [وَأَنَّا ظَنَنَّا] اى علمنا، والاتيان بالظّنّ لما سبق مكرّراً انّ علوم النّفوس شأنها شأن الظّنّ فى مغايرتها لمعلوماتها وجواز انفكاك معلوماتها عنها [أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ] اينما كنّا فيها [وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا] حال اوتميز اومفعول مطلق لمحذوف حالٍ يعنى ظنّنا انّا لن نعجزه اذا هربنا منه الى السّماء [وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ] اى القرآن او الرّسالة او الولاية [آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ] الفاء للسّببيّة [فَلَا يَخَافُ بَخْسًا] نقصاً اوظلماً او مشاحّة فى الحساب اوفقاً لعينه [وَلَا رَهَقًا] قد مضى الرّهق قبيل ذلك، عن الكاظم (ع) انّه قال: الهدى الولاية، آمنّا بمولانا فمن آمن بولاية مولاه فلايخاف بخساً ولا رهقاً، قيل: تنزيل؟- قال: لا، تأويل [وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ] اى الخارجون عن الحقّ [فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا] عن الباقر (ع) اى الّذين اقرّوا بولايتنا [وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا] يعنى يحرقون به او يوقد الجحيم بهم [وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا] ان هذه مخفّفة من الثّقيلة والمجموع معطوف على قوله انّه استمع نفرٌ، او ان زائدة فى الكلام والجملة ابتداء كلام من الله [عَلَى الطَّرِيقَةِ] اى الولاية او الطّريقة المعهودة المأخوذة من الآباء وهى طريقة الكفر، ونظير الوجهين قوله تعالى: لو انّ اهل القرى آمنوا و اتّقوا لفتحنا عليهم بركاتٍ من السّماء والارض وقوله تعالى: لولا ان يكون النّاس امّةً واحدةً لجعلنا لمن يكفر بالرّحمن لبيوتهم سقفاً من فضّةٍ [لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا] اى كثيراً، لمّا كان الماء عزيز الوجود فى ملك العرب وكان جلّ الخيرات منوطاً به كنّى به عن كثرة الخيرات، وعن الصّادق (ع): لافدناهم علماً كثيراً يتعلّمونه من الائمّة (ع)، وعن الباقر (ع) يعنى لواستقاموا على ولاية اميرالمؤمنين (ع) علىٍّ (ع) والاوصياء (ع) من ولده وقبلوا طاعتهم فى امرهم و نهيهم لاسقيناهم ماءً غدقاً يقول: لاشربنا قلوبهم الايمان [لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ] لنختبرهم فى ذلك الماء، او لنعذّبهم بسببه [وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ] اى عن ذكره لربّه اوذكر ربّه له، اوعمّا به ذكر ربّه، واصل مابه ذكر الرّبّ علىٌّ (ع) وولايته كماروى عن ابن عبّاس انّه قال: ذكر ربّه ولاية علىّ بن ابى طالب (ع) [يَسْلُكْهُ] اى يدخله [عَذَابًا صَعَدًا] صاعداً كلّ العذاب اوغالباً وغالباً على المعذّب [وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ] اى مختصّة به [فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا] فيها، اوالمعنى فلاتدعوا مع مظاهر الله الّتى هى المساجد احداً، وقد فسّر المساجد ههنا بالوجه واليدين والرّكبتين والابهامين، وعن الكاظم (ع) انّ المساجد هم الاوصياء (ع) وقد سبق فى سورة البقرة عند قوله تعالى: و من أظلم ممّن منع مساجد الله (الآية) بيانٌ للمساجد [وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ] يعنى محمّداً (ص) [يَدْعُوهُ] اى يعبده، او يدعوه بلسانه، او يقول: لا آله الّا الله او يقرأ القرآن، او يدعو اليه و هو من جملة ما اوحى اليه (ص)، او هو من قول الجنّ بعضهم لبعضٍ [كَادُوا] يعنى الجنّ لاستماع دعائه او اصحابه لاستماع القرآن و احاديثه، او قريشاً لمنعه و ردعه [يَكُونُونَ

عَلَيْهِ لِبَدًا] اللّبدة بالكسرة والسّكون و بالضمّ والسّكون الصّوف المتراكم بعضه على بعض، واللّبد بالكسر او الضمّ والفتح، وقرئ بهما جمع لهما، وقرئ لبّداً بالضمّ والتّشديد جمع لابد ولبداً بالضمّتين [قُلْ اِنَّما اَدْعُوا] وقرئ قال: انّما ادعوا [رَبّى وَلا اُشْرِكُ بِهِ اَحَدًا] سواء رضيتم عنّى اوسخطتم [قُلْ اِنّى لا اَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا] حتّى آتى بما تستعجلون من العذاب اوآتى بما تقترحون من الآيات، وروى عن الكاظم (ع) انّ رسول الله (ص) دعا النّاس الى ولاية علىّ (ع) فاجتمعت اليه قريش فقالوا: يامحمّد(ص) اعفنا من هذا، فقال لهم رسول الله(ص): هذا الى الله ليس الىّ، فاتّهموه وخرجوا من عنده فأنزل الله عزّوجلّ: قل لا املك (الآية) [قُلْ اِنّى لَنْ يُجيرَنى مِنَ اللّهِ اَحَدٌ وَلَنْ اَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا] ملتجأ اومنحرفاً وهو تعريض بهم حيث اعتمدوا على الاوثان او على رؤساء الضّلالة [اِلّا بَلاغًا مِنَ اللّهِ وَرِسالاتِهِ] اى تبليغاً من جانب الله او بلوغ الوحى من الله الىّ و هو استثناء من ملتحداً او من احداً و ضرّاً اورشداً، روى عن الكاظم (ع) انّه قال الّا بلاغاً من الله و رسالاته فى علىّ (ع)، قيل: هذا تنزيل؟- قال: نعم [وَمَنْ يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ] فى ولاية علىّ (ع) كما عن الكاظم (ع) [فَاِنَّ لَهُ نارَ جَهَنَّمَ خالِدينَ فيها اَبَدًا حَتّى اِذا رَاَوْا ما يُوعَدُونَ] من العذاب او من الحساب او من كون علىّ (ع) قسيم الجنّة والنّار، اومن الموت، اوالقائم (ع) وانصاره، اوعلىّ (ع) فى الرّجعة [فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ اَضْعَفُ ناصِرًا وَاَقَلُّ عَدَدًا] كما يقولون: نحن اقوياء و اكثر عدداً من علىّ (ع) [قُلْ اِنْ اَدْرى اَقَريبٌ ما تُوعَدُونَ] ممّا ذكر [اَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبّى اَمَدًا] اى مدّة و هو كناية عن البعد، قال القمّىّ: لمّا اخبرهم رسول الله(ص) بما يكون من الرّجعة قالوا: متى يكون هذا؟- قال الله: قل يامحمّد(ص) ان ادرى (الآية) [عالِمُ الْغَيْبِ] اى عالم عالم الغيب اوعالم ما هوالغيب عن الابصار والاسماع [فَلا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ اَحَدًا اِلّا مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسُولٍ] عن الرّضا (ع) فرسول الله (ص) عندالله مرتضى، ونحن ورثة ذلك الرّسول (ص) الّذى اطلعه الله على من يشاء من غيبه، فعلمنا ما كان وما يكون الى يوم القيامة، وقد مضى وجه عدم المنافاة بين هذه الآية و بين قوله تعالى: قل لا يعلم من فى السّموات و الارض الغيب الّا الله، وانّ المطّلعين على الغيب ليس اطّلاعهم الّا بلطيفة آلهيّة [فَاِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا] سلكت زيداً المكان وفى المكان، وسلكت زيد عمراً لازم ومتعدّ، واسم انّ راجع الى الرّسول (ص)، او الى الله، وهكذا فاعل يسلكك وهولازم اومتعدّ، و رصداً مصدر، اوجمع للرّاصد والمعنى انّ الله لايظهر على غيبه احداً الّا من ارتضاه من رسول بشرىّ او ملكىّ لانّ الرّسول (ص) يسلك من بين يدى نفسه اى الآخرة ومن خلفه اى الدّنيا مترقّباً لامورهما، اوللاطّلاع على اسرارهما، اوهومفعول مطلق نوعىّ او يجعل رصّاداً ومترقّبين من بين يديه ومن خلفه من قواه الدّرّاكة والملائكة الموكّلة عليه حتّى يعلّموه اخبار الدّنيا واسرار الآخرة، او يسلك الله بمظاهره الّذين هم ملائكته الموكّلة على الرّسول مترقّباً للاخبار واعلام الرّسول (ص) او يجعل الله رصّاداً له لاعلامه [لِيَعْلَمَ] الله [اَنْ قَدْ اَبْلَغُوا] اى الرّسل الّذين هم الملائكة اوالرّسل البشريّون [رِسالاتِ رَبِّهِمْ] والمعنى ليظهر علمه بذلك اوليعلم الرّسول (ص) ان قد ابلغ الملائكة اوابلغ الرّسل الماضون رسالات ربّهم [وَاَحاطَ بِما لَدَيْهِمْ] عطف على عالم الغيب ورفع لتوهّم ان يكون لله علم حادث كما يتوهّم من قوله ليعلم [وَاَحْصى كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًا] تأكيد وتعميم بعد تخصيص.

سورة المزّمّل

مكّيّة كلّها، وقيل: مدنيّة، وقيل: بعضها مدنىٌّ وبعضها مكّىٌّ، وهى عشرون آيةً فى المشهور

بسم الله الرّحمن الرّحيم

[يا اَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ] تزمّل تلفّف بالثّياب اوالّلحاف اوامثال ذلك اواختفى، والخطاب خاصّ بالنّبىّ (ص) او عامّ وكان النّبىّ (ص) يتلفّف بثيابه اولحافه و ينام اوكان متلفّفاً باحكام الرّسالة وكان يختفى من النّاس تأنّفاً من المقابلة مع امثالهم، والمعنى يا من تلحّفت باللّحاف او بثيابك او بأحكام الرّسالة، اوالمعنى يا من اختفى ممّا يرى من مدّعى الرّياسة و يرى انّ معاداتهم كانت شيناً عن العاقل [قُمِ اللَّيْلَ] لصلوة اللّيل فانّه ليس لك ان تنام كلّ اللّيل، اوقم فى عالم الكثرة واهدعباد الله الى الوحدة، اوقم فى عالم الطّبع وانظر الى العوالم العالية، اوقم عن الاشتغال بالكثرات بحكم الرّسالة وتوجّه الى الوحدة، اوقم عن الاختفاء واظهر امرك واصدع بما تؤمر، ونعم ماقال المولوىّ رحمه الله:

احمقان سرور شدستند و زبيم عاقلان سرها كشيده در گليم
خواند مزّمّل نبى را زان سبب كه برون آ از گليم اى بوالهرب
سر مكش اندر گليم و رو مپوش كه جهان جسمى است سرگردان تو هوش
هين مشو پنهان ز ننگ مدّعى كه تو دارى نور وحى شعشعى
هين قم اللّيل كه شمعى اى همام شمع دايم شب بود اندر قيام
خيز و بنگر كاروان ره زده غول كشتيبان اين بحر آمده
خضر وقتى غوث هر كشتى توئى همچو روح الله مكن تنها روى

[اِلّا قَليلاً] من اللّيل [نِصْفَهُ] بدل من المستثنى اوالمستثنى منه، وايّاً ماكان فالمعنى واحد [اَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَليلاً اَوْ زِدْ عَلَيْهِ] قليلاً، او المعنى يا من تلفّف بثياب طبعه من افراد البشر قم فى ليل طبعك وظلمة نفسك، اوعن ليل طبعك و اهوية نفسك للسّلوك الى ربّك الّا قليلاً من اللّيل فانّ ضروريّات البدن تحصل فى قليل من اللّيل فى نصفه اواكثر اوانقص، فانّ الوقت ينبغى ان يكون اثلاثاً او ارباعاً لطلب المعيشة وتلذّذات النّفوس وطلب المعاد، او طلب المعاش وتلذّذات النّفوس والرّاحة وطلب المعاد، يعنى ان كنت قويّاً فاجعل نصف اوقاتك للسّلوك الى الله، و ان كنت اقوى فاجعل اكثر اوقاتك للسّلوك، و ان كنت ضعيفاً فاجعل قليلاً من اوقاتك للسّلوك [وَرَتِّلِ الْقُرْاٰنَ تَرْتيلاً] ترتيل القرآن بحسب لفظه ان تقرأه قراءةً متوسّطة بين السّرعة المفرطة والبطوء المفرّط وابانة حروفه وحفظ وقوفه، فانّ ترتيل الكلام ان تحسن تأليفه و تترسّل فيه كما عن الصّادق (ع) انّه قال: قال اميرالمؤمنين (ع) فى بيان الآية: بيّنه تبييناً ولاتهذّه هذّ الشّعر ولاتنثره نثر الرّمل ولكن افزعوا قلوبكم القاسية ولايكن همّ احدكم آخر السّورة، وفى خبرٍ آخر: هوحفظ الوقوف و بيان الحروف، وفى خبرٍ: هو ان تمكث وتحسن به صوتك، اوالمعنى فصّل المعانى المجتمعة المندرجة فى وجودك بعد القيام من رقدتك وغفلتك، واخرج ماكان فيك بالقوّة الى الفعليّة بالنّظر والمراقبة الّتى هى من لوازم سلوكك، وانظر الى خطرات نفسك انّها من اىّ الخطرات شيطانيّةٌ هى ام رحمانيّة و انظر الى

تجلّيات ربّك وجذباته، ولعلّه للاشارة الى هذا الوجه من التّأويل قال امير المؤمنين (ع): ولكن افزعوا قلوبكم القاسية ولايكن همّ احدكم آخر السّورة [إِنّا سَنُلْقِي] جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: لم امرت بقيام اللّيل وترتيل القرآن الّذى هو تفصيل المعانى المجملة فى الوجود فى العالم الكبير او العالم الصّغير؟ - فقال: لانّا سنلقى [عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا] لايتحمّله من كان ضعيفاً فى قوّته العمّالة والعلّامة، وقيام اللّيل يقوّى القوّة العمّالة و يعدّ القوّة العلّامة لادراك دقائق الامور وترتيل القرآن يعنى تفصيل المعانى المجملة فى العقول الكلّيّة والنّفوس الكلّيّة فى الكثرات الكونيّة، وتفصيلها فى الصّغير يقوّى القوّة العلّامة و ينشط القوّة العمّالة، والمراد بالقول الثّقيل القرآن فانّه كان من ثقله اذا نزل يأخذ النّبىّ (ص) شبه الغشى، وكان فى بعض الاحيان يرى سرّة دابّته كأنّها تمسّ الارض، اوآثار الولاية فانّها لثقلها لم يكن موسى (ع) يطيق الصّبر على مايرى من الخضر (ع)، اوالمراد نصب علىّ (ع) بالخلافة فانّها لثقلها لم يكن يظهره النّبىّ (ص) حتّى عوتبه فى ذلك ونزل عليه فان لم تفعل فما بلّغت رسالتك، اوالمراد مصائب اهل بيته بعده فانّها لثقلها كادت لايمكن ان تسمع، اوالمراد هو السّكينة الّتى لم تكن تنزل الّا ومعها جنود لم تروها ولم تكن تنزل حتّى يطهّر القلب من الاغيار، ولم يطهّر الّا باستنارة القوّة العلّامة ونشاط القوّة العمّالة، ولايكون ذلك الّا بقيام اللّيل وترتيل القرآن [إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً] جوابٌ لسؤالٍ ناشٍ من مجموع ما تقدّم كأنّه قيل: لم امرت بقيام اللّيل وترتيل القرآن لاجل القاء القول الثّقيل؟ - فقال: انّ ناشئة اللّيل اى النّفس المربّاة فى اللّيل او النّفس المتجاوزة حدّ البلوغ او الجماعة النّاشئة باللّيل، او النّاشئة مصدر بمعنى الفاعل اى الشّخص النّامى باللّيل اشدّ وطأً اى اخذاً او ضغطاً او قدماً و المقصود الثّبات والقوّة فى القوّة العمّالة [وَأَقْوَمُ قِيلًا] اى اعدل قولاً، ولمّا كان القول مسبّباً عمّا فى الضّمير من العلوم كما قال امير المؤمنين (ع): المرء مخبوء تحت لسانه، كان هذا اشارةً الى اعتدال القوّة العلّامة وقوّتها، و يجوز ان يكون المعنى كما اشير اليه فى الخبر انّ قيام الرّجل فى اللّيل عن فراشه هو اشدّ وطأً، و يكون نسبة اشدّ وطأً الى ناشئة اللّيل بمعنى القيام فى اللّيل مجازاً عقلياً [إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا] هذا ايضاً جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ تقديره اذا امرتنا بقيام اللّيل فمتى ننام؟ - و اذا ننام فى النّهار فمتى نصلح معيشتنا؟ - فقال: انّ لك فى النّهار سبحاً طويلاً، والسّبح الفراغ والتّصرّف فى المعاش والنّوم والسّكون والتّقلّب فى الانتشار فى الارض والابعاد فى السّير، والكلّ مناسب ههنا، اوالمعنى لاتطلب فى ليل طبعك وظلمة نفسك سبحاً فى آثار الله فانّ لك بعد الخلاص من الطّبع والدّخول فى نهار الرّوح سبحاً طويلاً [وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ] يعنى انّ المقصود من قيام اللّيل ذكر اسم الرّبّ [وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا] اى التجِ بالانقطاع عن الخلق الى الله [رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ] التّوصيف للاشعار بوجه الحكم [لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ] فاذا كان كذلك [فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ] فى الله اوفيك اوفى ابن عمّك [وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا] بان تكون فى الباطن مجانباً مبايناً متباعداً منهم وفى الظّاهر مخالطاً مدارياً بهم [وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ] بالله او بك او بوصيّك، وعن الكاظم (ع) والمكذّبين بوصيّك، قيل: هذا تنزيلٌ؟ - قال: نعم [أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ] ولا تعاجلهم بالعقوبة من عندك او بطلب العقوبة من عندالله [قَلِيلًا إِنَّ لَدَيْنَا] تعليل [أَنْكَالًا] جمع النّكل بالكسر القيد الشّديد، او القيد من النّار، اوضرب من اللّجم [وَجَحِيمًا وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ] ينشب فى الحلق ولايسيغ [وَعَذَابًا أَلِيمًا يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ] تضطرب اوتخسف كما قال القمّىّ [وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا] الكثيب التّلّ من الرّمل، وهال عليه التّراب والتّراب مهيل

[اِنّـآ اَرْسَلْنـآ] جوابُ سؤال مقدّر كأنّه قيل بعد ما هدّدهم بقوله : فذرنى و المكذّبين : مافعلت بنا ؟ وما تفعل بعد بنا ؟ - فقال : انّا ارسلنا [اِلَيْكُمْ رَسُولًا شاهِدًا] يشهد [عَلَيْكُمْ] يوم القيامة بالرّدّ والقبول والاقرار والنّكول [كَما اَرْسَلْنا اِلى فِرْعَوْنَ رَسُولًا] نكّر الرّسول لعدم تعلّق الغرض بتعيين الرّسول [فَعَصى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَاَخَذْناهُ اَخْذًا وَبيلًا] ثقيلاً فاحذروا انتم عن مثل فعله حتّى لا نأخذكم مثلهم [فَكَيْفَ تَتَّقُونَ اِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدانَ شيبًا] لطوله اولشدّة هوله و يوماً مفعول تتّقون و هو اليق لتوصيفه بما ينبغى ان يتّقى منه اوظرف لتتّقون والمفعول محذوفٌ [اَلسَّماءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ] اى فيه او بسببه اى بسبب شدّة البلاء والهول فيه [كانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا اِنَّ هذِهِ] المذكورات من الوعد والوعيد [تَذْكِرَةٌ] للنّفوس المتيقّظة [فَمَنْ شاءَ اتَّخَذَ اِلى رَبِّهِ] فى الولاية [سَبيلًا] هو قبول ولايته بالبيعة معه و اتّباع اوامره و نواهيه او الى ربّه المطلق و السّبيل الى الرّبّ المطلق هو صاحب الولاية وقبول ولايته بالبيعة معه واتّباعه [اِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ اَنَّكَ تَقُومُ اَدْنى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ] اى الزّيادة على النّصف [وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطائِفَةٌ مِنَ الَّذينَ مَعَكَ وَاللهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ] بحسب ساعاتهما واثلاثهما وار باعهما وانصافهما لا انتم [عَلِمَ اَنْ لَنْ تُحْصُوهُ] انتم اى لن تحصوا قدرهما اولن تحصوا كلّاً من اللّيل والنّهار [فَتابَ عَلَيْكُمْ] عن تكليفه لكم بالقيام فى نصف اللّيل او ازيد اوانقص من النّصف بقليل فرفع هذا الحكم عنكم ولذلك ورد انّها نسخت هذه الآية الآية الاولى [فَاقْرَؤُا ما تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ] يعنى فى الصّلوة فى اللّيل بقرينة المقام ، وفى خبر عن الباقر (ع) : واعلموا انّه لم يأت نبىٌّ قطّ الّا خلا بصلوة اللّيل، ولا جاء نبىٌّ قطّ بصلوة اللّيل فى اوّل اللّيل [عَلِمَ اَنْ سَيَكُونُ] جوابُ سؤالٍ و وجه آخر للتّرخيص [مِنْكُمْ مَرْضى] لايقدرون على قيام اللّيل [وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى الْاَرْضِ] فيكون القيام شاقّاً عليهم [يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللهِ] الصّورىّ كالمسافرين للتّجارة او المعنوىّ كالمسافرين لطلب الدّين والعلم [وَآخَرُونَ يُقاتِلُونَ فى سَبيلِ اللهِ فَاقْرَؤُا ما تَيَسَّرَ مِنْهُ] لمّا كان بعض النّفوس مولعةً بالعبادة و قيام اللّيل والامر بترك العبادة خصوصاً ما كان منها موظّفاً عليها كان ثقيلاً عليها كرّر الامر بقراءة ما تيسّر من القرآن والصّلوة وكان الاوّل مترتّباً على عدم الاحصاء والثّانى على المرض والضّرب فى الارض ، و روى عن الرّضا (ع) انّه قال : ما تيسّر منه لكم فيه خشوع القلب و صفاء السّرّ [وَاَقيمُوا الصَّلوةَ وَآتُوا الزَّكوةَ] قد مضى بيان الصّلوة و الزّكوة ومراتبهما واقامة الصّلوة و ايتاء الزّكوة [وَاَقْرِضُوا اللهَ] من اصل مالكم او هو بيان لايتاء الزّكوة وترغيب فيه واشعارٌ بان من آتى الزّكوة آتاه الله عوضه فى الدّنيا او فى الآخرة اوفيهما [قَرْضًا حَسَنًا وَما تُقَدِّمُوا لِاَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ] تعميم بعد تخصيصٍ او بيان وتعميم للقرض [تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ هُوَ خَيْرًا وَاَعْظَمَ اَجْرًا] اى تجدوه بعينه خيراً منه حين آتيتموه و تجدوا اجره ايضاً عظيماً ، اوتجدوه بما هو اجره خيراً من نفسه واعظم [وَاسْتَغْفِرُوا اللهَ] حين الصّلوة والزّكوة حتّى يستر عليكم دواعى نفوسكم فى ذلك، واستغفروه فى جميع احوالكم فانّه ما منكم احدٌ الّا وله مساوٍ لا تليق بشأنه [اِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحيمٌ] .

سورة المدّثر

مكيّة، ستّ وخمسون آيةً .

بسم الله الرّحمن الرّحيم

[يا اَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ] تدثّر تلفّف بثيابه ، روى عن الرّسول (ص) انّه قال: جاورت شهراً بحراء فلمّا قضيت جوارى نزلت فاستبطنت(١) الوادى فنوديتُ ، فنظرت امامى وخلفى وعن يمينى وشمالى فلم اراحداً ، ثمّ نوديت فرفعت رأسى فاذا هو على العرش فى الهواء يعنى جبرئيل فقلت : دثّرونى دثّرونى فصبّوا علىّ ماءً فأنزل الله عزّوجل: يا ايّها المدّثّر، وفى خبرٍ: فرعبت ورجعت الى خديجة فقلت: دثّرونى ، فنزل جبرئيل يا ايّها المدّثّر [قُمْ] عن نومك او عن التحافك اوعن الكثرات اوعن طبعك [فَأَنْذِرْ] العباد عن الشّيطان وعن مساوى النّفس وعن رذائلها وعن سخط الله وعقوباته ، و لمّا كان ينبغى ان يكون الرّسول (ص) واقعاً بين الوحدة و الكثرة جامعاً لهما بحيث لايستر جهة الوحدة ولايتدنّس بعلائق الكثرة حين الاشتغال بالكثرة ولايغفل عن الكثرة حين الاستغراق فى الوحدة قال تعالى: قم عن الاشتغال بالكثرات وتوجّه الى جهة الوحدة وانذر بعد ذلك حتّى لايذهب انذارك جهة الوحدة عنك [وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ] اى لكن ربّك فكبّر حتّى لاترى شيئاً الّا ورأيت الله محيطاً به ، وقدّم الرّبّ لشرافته ولارادة الحصر، والفاء زائدة للتّأكيد، او لتقدير امّا اوتوهّمه [وَثِيابَكَ فَطَهِّرْ] كناية عن تطهير القلب من ادناس الكثرات فانّه كثيراً يكنّى بتلوّث الثّياب عن تلوّث القلب وتعلّقاته، وعن الصّادق (ع) فى خبرٍ انّه قال: شمّر، وفى خبرٍ: ارفعها ولاتجرّها، وفى خبرٍ عنه: وثيابك فقصّر [وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ] الرّجز بالضّمّ والكسروقرئ بهما القذروعبادة الاوثان والعذاب والشّرك، والكلّ مناسب، وقيل: المعنى اهجر الاصنام، وقيل: اجتنب المعاصى، وقيل: اجتنب الفعل القبيح والخلق الذّميم ، وقيل: اجتنب حبّ الدّنيا لأنّه رأس كلّ خطيئةٍ [وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ] اى لاتعط طلباً لاكثر ممّا اعطيت ، اولاتمنن على العباد عادّاً لعطائك كثيراً ، اولاتمنن بحسناتك على الله مستكثراً لها ، اولاتمنن ما اعطاك من النّبوّة اوالقرآن اوالدّين على النّاس مستكثراً به الاجر من العباد،وقيل: هو نهى عن الرّبا المحرّم [وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ] على مشاقّ التّكليف واثقال النّبوّة ، اوفاصبر على اذى القوم، اوعلى محاربة العرب والعجم، اوعلى الطّاعات والمصائب وعن المعاصى [فَاِذا نُقِرَ] الفاء سببيّة يعنى لانّه اذا نقر [فِى النّاقُورِ] اى نفخ فى الصّور فى النّفخة الاولى اوالثّانية اوحين ظهور القائم (ع) [فَذلِكَ] اليوم [يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ عَلَى الْكافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ] على الكافرين متعلّق بعسير او بيسير، وهذا التّقييد يدلّ على سهولته و يسره على المؤمنين، وعن الصّادق (ع) فى هذه الآية: انّ منّا اماماً مظفّراً مستتراً فاذا اراد الله اظهاره نكت فى قلبه نكتةً فظهر فقام بأمر الله [ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً] الوحيد بمعنى المتوحّد وهو حال عن فاعل خلقت ، اوعن من ، اوعائده المحذوف ، اوالمراد به الوليد بن المغيرة فانّه كان يسمّى وحيداً فى قومه فيكون بدلاً من من، او لانّه كان لايعرف له ابٌ ، والوحيد من لايعرف له ابٌ ، وحينئذٍ يكون حالاً عن من [وَجَعَلْتُ لَهُ مالاً مَمْدُوداً] اى كثيراً اومتّصلاً منافعه لايقطع فى فصلٍ ، ولايكون كسائر الضّياع وسائر الاموال ، اوممدوداً مابين مكّة الى الطّائف

(١) اى وصلت الى بطنها .

من الابل والخيل والنّعم والجوارى والعبيد والمستغلّات الّتى لاتنقطع غلّتها فانّه كان له اموال كذلك ، ومائة الف دينار وعشرة بنين او ثلاثة عشر بنين [وَبَنِينَ شُهُودًا] حاضرين معه بمكّة لايسافرون لطلب المعيشة لعدم حاجتهم الى السّفر لغنائهم [وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا] بسطت له فى العيش بحيث لايحتاج الى شيء الّا كان له ، او بسطت له فى الرّياسة والجاه بحيث لم يكن احد ينازعه فى ذلك وكان يلقّب ريحانة قريش ووحيداً [ثُمَّ يَطْمَعُ اَنْ اَزِيدَ كَلّا] ردع له عن ذلك الطّمع اوردع لمن ظنّ له ذلك [اِنَّهُ كانَ لِاٰياتِنا] الآفاقيّة والانفسيّة وخصوصاً الآيات العظمى [عَنِيدًا] اى جاحداً راداً فانّ معنى عنده ردّه عارفاً بحقّه فهو عنيد وعاند [سَاُرْهِقُهُ صَعُودًا] الارهاق ان يحمل الانسان على ما لايطيقه والصّعود بفتح الصّاد مصدر ضدّ الهبوط او العقبة الشّاقّة او جبل فى جهنّم والمعنى ساحمله على صعود لايمكنه تعريفه ولايحتمله الانسان، اوساحمله على الجبل المعروف فى جهنّم ، اوعلى عقبة عظيمة ، وقيل: هو جبل من صخرة ملساء فى النّار يكلّف ان يصعدها حتّى اذابلغ اعلاها اُحدر الى اسفلها،ثمّ يكلّف ايضاً ان يصعدها، فذلك دأبه ابداً يجذب من امامه بسلاسل الحديد ويضرب من خلفه بمقامع الحديد فيصعدها فى اربعين سنة [اِنَّهُ فَكَّرَ] فى القرآن وفيما اراد ان يقول فى ردّه وطعنه [وَقَدَّرَ] فى نفسه ما اراد ان يقول، روى انّ النّبىّ (ص) لمّا انزل عليه حٰم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذّنب وقابل التّوب شديد العقاب قام الى المسجد والوليد بن مغيرة قريبٌ منه يسمع قراءته، فلمّا فطن النّبىّ (ص) لاستماعه لقراءته اعاد قراءة الآية فانطلق الوليد حتّى اتى مجلس قومه بنى مخزوم فقال: والله لقد سمعت من محمّد (ص) آنفاً كلاماً ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجنّ وانّ له لحلاوةً وانّ عليه لطلاوةً[1] وانّ اعلاه لمثمر وانّ اسفله لمغدق[2] وانّه ليعلو ومايعلى، ثمّ انصرف الى منزله فقال قريشٌ: صبأ[3] والله الوليد والله لتصبأنّ قريش كلّهم وكان يقال للوليد ريحانة قريش فقال لهم ابوجهل: انا اكفيكموه، فانطلق فقعد الى جنب الوليد حزيناً فقال: مالى اراك حزيناً ياابن اخى؟ـ قال: هذه قريش يعيبونك على كبر سنّك ويزعمون انّك زيّنت كلام محمّد (ص) فقام مع ابى جهل حتّى أتى مجلس قومه فقال: اتزعمون انّ محمّداً (ص) مجنون ؟ـ فهل رأيتموه يجنّ قطّ ؟ـ فقالوا : اللّهمّ لا ، قال: اتزعمون انّه كاهن؟ فهل رأيتم عليه شيئاً من ذلك؟ـ قالوا: اللّهمّ لا، قال: اتزعمون انّه شاعرٌ؟ فهل رأيتموه انّه ينطق بشعر قطّ؟ـ قالوا: اللّهمّ لا، قال: اتزعمون انّه كذّاب؟ فهل جرّبتم عليه شيئاً من الكذب؟ـ فقالوا: اللّهمّ لا، وكان يسمّى الصّادق الامين قبل النّبوّة من صدقه، فقالت قريش للوليد: فما هو؟ـ فتفكّر فى نفسه ثمّ نظر وعبس فقال: ماهو الّا ساحرٌ اما رأيتموه يفرّق بين الرّجل واهله وولده ومواليه فهو ساحر وما يقوله سحر يؤثر، فكان لايلقى بعد ذلك احد منهم النّبىّ (ص) الّا قال: ياساحر، واشتدّ عليه ذلك فأنزل تعالى: يا ايّها المدّثّر (الى قوله) الّا قول البشر [فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ] تأكيد للاوّل والجملتان دعائيّتان [ثُمَّ نَظَرَ] عطف على فكّر وقدّر [ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ] تأكيدٌ للاوّل اوالاوّل بمعنى كلح الوجه ، والثّانى بمعنى نظر بالكراهة [ثُمَّ اَدْبَرَ] عن الحقّ [وَاسْتَكْبَرَ] عن الانقياد [فَقالَ اِنْ هٰذا] الّذى يقرءه محمّد (ص) [اِلّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ] يروى او يتعلّم ويؤخذ، او يختار من بين افنان السّحر [اِنْ هٰذا اِلّا قَوْلُ الْبَشَرِ] وليس كمايقول محمّد (ص) قول الله [سَاُصْلِيهِ سَقَرَ] جوابٌ لسؤال مقدّر [وَما اَدْريٰكَ] يا محمّد (ص) اويا من شأنه السّماع والادراك [ما سَقَرُ لاتُبْقِى] شيئاً لاتأخذه [وَلا تَذَرُ] بعدما اخذته، اولاتبقى شيئاً من المأخوذ بعدما أخذته ولاتذر شيئاً لم تأخذه، اولاتبقى شيئاً من العذاب بل تعذّب المعذّب بجميع انواع العذاب ولاتذر احداً من المستحقّين للعذاب [لَوّاحَةٌ]

(١) الحسن والقبول والبهجة (٢) الغدق = المطر الكبار القطر والمغدق مفعل منه = الماء الغدق الكثير (٣) صبأ كمنع وكرم = خرج من دين الى آخر .

اى مغيّرة غاية التّغيير اومسوّدة [لِلْبَشَرِ] روى عن الباقر(ع) انّ فى جهنّم جبلاً يقال له : صعود ، و انّ فى صعود لوادياً يقال له: سقر ، وانّ فى سقر لجُبّاً يقال له هبهب كلّما كشف غطاء ذلك الجبّ ضجّ اهل النّار من حرّه وذلك منازل الجبّارين [عَلَيْهٰا تِسْعَةَ عَشَرَ] ملكاً اوصنفاً من الملائكة لجميع الثّقلين اولكلّ واحد منهم، قيل فى وجه هذا العدد : انّ المنصرف عن الانسانيّة يحكم عليه المادّة والطّبيعة الجسمانيّة والطّبائع العنصريّة و الصّورة الجماديّة والنّفس النّباتيّة والنّفس الحيوانيّة والمدارك العشرة الحيوانيّة والقوى الثّلاثة الشّيطانيّة و البهيميّة و السّبعيّة ، وقيل فيه : هى الملكوت الارضيّة الّتى تلازم المادّة من روحانيّات الكواكب السّبعة والبروج الاثنى عشر الموكّلة بتدبير العالم السّفلىّ المؤثّرة فيه تقمعهم بسياط التّأثير وتردّهم الى مهاويها ، وقيل غير ذلك ، وكلّ ذلك من قبيل الاستحسانات والتّخمينات، فانّ علم امثال ذلك موكول الى الله والى من كان علمه علم الله ولاحظّ لغيرهم فيه ولذلك لم يرد من المعصومين(ع) فى بيان ذلك شيءٌ، قيل: لمّا نزلت هذه الآية قال ابوجهل لقريش : ثكلتكم امّهاتكم اتسمعون ابن ابى كبشة يخبركم انّ خزنة النّار تسعة عشر وانتم الدّهم[1] الشّجعان افيعجز كلّ عشرةٍ منكم ان يبطشوا برجل من خزنة جهنّم؟ ! فقال رجل منهم : انا اكفيكم سبعة عشر عشرة على ظهرى وسبعة على بطنى فاكفونى انتم اثنين، فنزلت هذه الآية [وَمٰا جَعَلْنٰا اَصْحٰابَ النّٰارِ اِلاّٰ مَلاٰئِكَةً] يعنى لايقوم تمام اهل الدّنيا بواحد منهم [وَمٰا جَعَلْنٰا عِدَّتَهُمْ اِلاّٰ فِتْنَةً لِلَّذينَ كَفَرُوا] الفتنة بالكسر الاختبار والضّلال والاثم والكفر والفضيحة والعذاب و الاضلال والجنون والمحنة واختلاف النّاس فى الآراء، والكلّ مناسب ههنا لانّ خزنة النّار وان كانوا فى الآخرة لكن بمضمون و انّ جهنّم لمحيطة بالكافرين يكون من كلّ انموذجٍ فى الدّنيا ويكون موكّلاً بانموذجه على الكافر فى الدّنيا كما انّه فى الآخرة بنفسه يكون موكّلاً عليه، وقيل: سبب افتتانهم بهذا العدد استهزاؤهم واستبعادهم ان يتولّى هذا العدد القليل تعذيب اكثر الثّقلين [لِيَسْتَيْقِنَ] قيل تعليل لمحذوف اى قلنا ذلك ليستيقن [الَّذينَ اُوتُوا الْكِتٰابَ] من اليهود و النّصارى بنبوّة محمّدٍ (ص) لمّا رأوا الخبر موافقاً لما فى كتبهم [وَ يَزْدٰادَ الَّذينَ اٰمَنُوا] اى اسلموا بمحمّد(ص) [اِيمٰانًا] لمّا اخبرهم اهل الكتاب بموافقته لما فى كتبهم [وَلاٰ يَرْتٰابَ الَّذينَ اُوتُوا الْكِتٰابَ وَالْمُؤْمِنُونَ] هذا ما فسّروه بحسب الظّاهر به ولكن نقول ايتاء الكتاب كناية عن قبول النّبوّة ايّة نبوّة كانت ولا اختصاص باليهود والنّصارى بل كلّ من قبل نبوّة محمّد(ص) بالبيعة على يده وقبول احكام نبوّته والانقياد تحت حكمه وقبول دعوته الظّاهرة كان ممّن اوتى الكتاب والايمان، وان كان يستعمل فى الاسلام وقبول الدّعوة الظّاهرة بالبيعة العامّة مجازاً او على سبيل الاشتراك، لكنّ المراد به ههنا الايمان الحقيقىّ الحاصل بالبيعة الخاصّة وقبول الدّعوة الباطنة والدّخول تحت احكام الولاية، والى هذين اشار تعالى بقوله: لمن كان له قلب او القى السّمع و هو شهيد فانّ الاوّل اشارة الى المؤمن المحقّق والثّانى الى المسلم المقلّد، وقد ذكرنا انّ كلّما يكون فى الآخرة يكون انموذجه فى الدّنيا فانّ الدّنيا بوجهٍ مادّة الآخرة و بوجهٍ صورة الجحيم اوانموذجها، فالمعنى عليها تسعة عشر صنفاً اوشخصاً من الملائكة ليكونوا سائقين للكفّار الى النّار وللمؤمنين الى الجنّة، ومن قبل النّبوّة لمّا لم يكن يدرك بالذّوق و الوجدان امور الآخرة لم يكن يستيقن بمحض تلك البيعة لامور الآخرة ، ولمّا كان هؤلاء الملائكة فى الدّنيا سائقين لهم الى الآخرة كانوا بذلك السّوق يدركون بالوجدان امور الآخرة فيستيقنونها، ولمّا كان المؤمنون موقنين فسوقهم يصير سبباً لازديادايقانهم، ويجوز ان يكون تعليلاً لقوله : و ماجعلنا اصحاب النّار الاملائكة، اولقوله وماجعلنا عدّتهم الا فتنة ،ويجوز ان يكون تعليلاً للكلّ على سبيل التّنازع

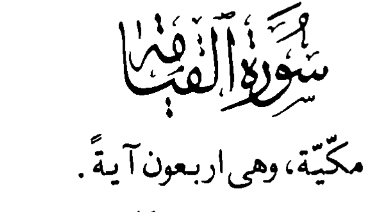
(١) الدّهم = العدد الكثير .

[وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ] ممّن قبل الدّعوة الظّاهرة اى من فى قلبه نفاق [وَالْكَافِرُونَ] اى الّذين لم يقبلوا الاسلام [مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا] العدد او بهذا القول او بجعل عدّتهم فتنة او بجعل اصحاب النّار ملائكة [مَثَلًا] تميز عن هذا اوحال عنه اى حالكونه مستغرباً غرابة المثل اوحالكونه جارياً على الالسن جريان المثل، واللّام للعاقبة مثل قوله تعالى ليكون لهم عدوّاً و حزناً ، اوللغاية على ما بيّنا يعنى ماجعلنا اصحاب النّار الّاملائكة ليكونوا فى الدّنيا سائقين لاهل النّار الى النّار وموصلين لاهل الجنّة الى الجنّة [كَذَٰلِكَ] الاضلال باظهار ما ليس فى وسعهم ادراكه [يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ] من الملائكة والجنّ وجميع الموجودات فانّ الكلّ من جنوده [إِلَّا هُوَ] فليس قلّة عدد اصحاب النّار لقلّة جنوده بل لعدم الحاجة الى ازيد من ذلك [وَمَا هِيَ] اى المعهودة المطلقة الّتى هى ولاية علىّ بن ابى طالب (ع)، وقيل : ما السّقر اوعدّة الخزنة او السّورة ، وقد ورد عن الكاظم (ع) تفسيرها بالولاية [إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ] والتّذكرة الحقيقيّة هى الولاية و ان كانت سقر و عدّة الخزنة و السّورة ايضاً تذكرة [كَلَّا] ردع لمن لايعظّم الولاية اولايعتنى بسقر اوالخزنة [وَالْقَمَرِ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ] قرئ اذ بسكون الذّال و ادبر من الادبار وهذه هى القراءة الصّحيحة فانّ اللّيل الّذى هو عالم الكون وجوده على الادبار فهو مدبر ابداً بخلاف صبح الملكوت فانّه يسفر بعد بالنّسبة الى اهل عالم الملك، وقرئ اذا بالالف و دبر من الثّلاثىّ المجرّد [وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ] يعنى الولاية او سقر اوخزنة جهنّم او السّورة احدى الآيات اوالنّقم والبلايا الكبر [نَذِيرًا لِلْبَشَرِ] حال اومفعول له اومفعول مطلق لمحذوف [لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ] بدل من قوله للبشر [أَنْ يَتَقَدَّمَ] الى الولاية [أَوْ يَتَأَخَّرَ] عن سقر، فى الخبر: من تقدّم الى ولايتنا اخّر عن سقر، ومن تاخّر عن ولايتنا تقدّم الى سقر [كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ] جوابٌ لسؤال مقدّر كأنّه قيل: كيف يكون الولاية احدى الآيات الكبر؟- فقال : لانّ كلّ نفسٍ بما كسبت رهينة الّا من تمسّك بها والمعنى كلّ نفسٍ بما كسبت من خيرٍ اوشرٍّ فانّه مفاد الاطلاق مرهونة فانّ كلّ ماعملت الانفس بانانيّاتها سواء كانت بحسب الصّورة خيراً او شرّاً كانت و بالاً عليها و قيداً لها ، وكانت الانفس مرهونةً مقيّدةً بها الّا من تولّى عليّاً (ع) لانّ الولاية هى المبدّلة للسّيّئات بالحسنات و يجزى الله الّذين تولّوا عليّاً (ع) بازاء جملة اعمالهم باحسن ما كانوا يعملون ولذلك قال [إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ] فانّ اليمين امير المؤمنين (ع) واصحاب اليمين شيعته [فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ] يعنى يتساءلون بينهم او يسألون غيرهم عن حال المجرمين او يتساءلون هم والمجرمون عن حال المجرمين [مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ] وهذا الخطاب والسّؤال دليل على انّ اصحاب اليمين يسألون المجرمين عن حالهم [قَالُوا] فى الجواب [لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ] اى من المتولّين عليّاً (ع) فانّ الصّلوة الحقيقيّة لاتكون الّا بالولاية بل الولاية هى الصّلوة حقيقةً ولذلك قال علىٌّ (ع) : انا الصّلوة، اولم نكن من اتباع السّابقين فانّهم يسمّون الّذى يلى السّابق فى الحلبة[1] مصلّياً، اولم نكن من اتباع وصىّ محمّدٍ (ص) ولم نصل عليهم، والى الكلّ اشير فى الخبر، اولم نك من المصلّين صلوة القالب المقرّرة فى الشّريعة ، واليه ايضاً اشير فى خبرٍ عن علىٍّ (ع) [وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ] من الحقوق الواجبة او المستحبّة، اولم نكن نعطى حقوق آل محمّد (ص) من الخمس [وَكُنَّا نَخُوضُ] فى الآيات بالرّدّ والقدح والطّعن

---

(١) الحلبة كحلقة = خيل تجمع للسّباق من كلّ اوب ، كما يقول للقوم اذاجاؤا من كلّ اوب للنّصرة قداحلبوا .

والاستهزاء [مَعَ الْخائِضِينَ] فى ذلك [وَكُنّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ حَتّى أَتينَا الْيَقِينُ] بالموت وكشف الحجب [فَما تَنْفَعُهُمْ شَفاعَةُ الشّافِعِينَ] لقطعهم الفطرة الّتى هى الولاية التّكوينيّة الّتى هى سبب للولاية التّكليفيّة ولذلك قيل: «مردود شيخى را اگر تمام مشايخ عالم جمع شوند وخواهند اصلاح نمايند نتوانند» لانّ المردود لايصير مردوداً الّا بعد قطع الفطرة والولاية التّكوينيّة وهو الّذى يسمّى بالمرتدّ الفطرى الّذى لايقبل توبته لاظاهراً ولاباطناً، وقد سبق بيان الارتداد والمرتدّ الملّىّ والفطرىّ فى سورة آل عمران عند قوله تعالى: ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه [فَما لَهُمْ] يعنى اذا كان الولاية ذكرى للبشر وكانت هى احدى الكبر فمالهم [عَنْ] هذه [التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ] اى عن الولاية [كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ] بالغة فى النّفار [فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ] من اسد، والتّوصيف لزيادة المبالغة [بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِىءٍ مِنْهُمْ اَنْ يُؤْتى صُحُفاً مُنَشَّرَةً] ناطقة بصدق محمّد (ص) فى نبوّته او فى ولاية علىّ (ع) وهو اضراب من الادنى الى الاعلى، يعنى بل مالهم لايكتفون بالاعراض ويدّعون ما لايليق بشأنهم، وقيل: المعنى يريدون صحفاً من الله بالبراءة من العقوبة واسباغ النّعمة حتّى يؤمنوا، وقيل: يريد كلّ منهم ان يكون رسولاً يوحى اليه وينزّل عليه كتاب مثل القرآن، وقيل: المراد معنى قوله تعالى: لن نؤمن لرقيّك حتّى تنزّل علينا كتاباً نقرؤه [كَلّا] ردع عن هذه الارادة اوعن ظنّ انّهم يريدون ذلك واقعاً [بَلْ لا يَخافُونَ الْآخِرَةَ] اى ليس اقتراحهم لطلب الدّين بل لا يخافون الآخرة فيعاندون ويريدون اظهار عجز الرّسول (ص) عن مقترحهم [كَلّا] ردع عن ذلك الاعراض وتلك الارادة [إِنَّهُ] اى قرآن ولاية علىّ (ع) اوعلياً (ع) بنفسه [تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شاءَ ذَكَرَهُ وَما يَذْكُرُونَ إِلّا اَنْ يَشاءَ اللّهُ] يعنى انّ مشيّتكم وذكركم وجميع افعالكم مسبوقة بمشيّة الله التّكوينيّة سواء كانت مرضيّة لله او مبغوضة فانّ مشيّته الّتى هى عبارة عن رحمته الرّحمانيّة سابقة على رضاه وغضبه وبمنزلة المادّة لهما [هُوَ اَهْلُ التَّقْوى] حقيق بان يتّقى منه [وَاَهْلُ الْمَغْفِرَةِ] فانّ مغفرته غير مشوبة بغرض وغاية بخلاف غيره لعدم خلوص مغفرته عن شوب غرض وغاية.



سورة القيامة

مكّيّة، وهى اربعون آيةً.

بسم الله الرّحمن الرّحيم

[لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيامَةِ وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوّامَةِ] لفظة لا مزيدة للتّأكيد او جواب ونفى لاعتقادهم لعدم البعث، اونفى للقسم والمعنى لااقسم بيوم القيامة لانّكم لاتعتقدونه، ولااقسم بالنّفس اللّوّامة لعدم اعتقادكم لها.

اعلم، انّ النّفس ذات انواع واصناف كثيرة وكلّ فرد منها ذات مراتب ودرجات عديدة، والنّفس الانسانيّة ذات مراتب، فمرتبة منها تسمّى بالامّارة وهى الّتى تكون محكومةً وخادمةً للشّيطنة والغضب والشّهوة ولا تكون الّا امّارةً بالسّوء، ومرتبة منها تسمّى باللّوّامة وهى الّتى تلوم نفسها فى جميع فعالها فى سيّئاتها لسوئتها وفى خيراتها

لقصورها وتقصيرها و نسبتها الى نفسها ، ومرتبة منها تسمّى بالمطمئنّة لاطمينانها عن كدّ الطّلب لخروجها من قوّتها الى الفعليّات [اَيَحْسَبُ الْاِنْسانُ] هذه قرينة جواب القسم المحذوف [اَلَّنْ نَجْمَعَ عِظامَهُ] قيل: نزلت فى عدىّ بن ربيعة سأل رسول الله (ص) عن امر القيامة فأخبره به فقال: لو عاينت ذلك اليوم لم اصدّقك اَوَ يجمع الله هذه العظام ؟ [بَلى] نجمعها [قادِرينَ عَلى اَنْ نُسَوِّىَ بَنانَهُ] الّتى فيها دقائق الصّنع وصغار المفاصل والاوتار، وقيل: المعنى على ان نسوّى بنانه فنجعلها كالخفّ والحافر ولكن هذا المعنى غير مناسب ههنا [بَلْ يُريدُ الْاِنْسانُ] يعنى ليس انكاره البعث لالتفاته الى الآخرة وانجرار دليله الى الانكار بل لاقامته على الفجور وعدم نزوعه عنه وعدم التفاته الى البعث و الآخرة [لِيَفْجُرَ اَمامَهُ] اى فى مستقبل امره [يَسْئَلُ اَيّانَ يَوْمُ الْقِيمَةِ] استهزاء وهولا يدرى انّه فى الذّهاب الى القيامة وانّ القيامة لاتكون فى الزّمان بل هى خارجة عن حدّ الزّمان [فَاِذا بَرِقَ الْبَصَرُ] كناية عن شخوص البصر وعدم القدرة على تحريك الجفن ، وهذه كناية شائعة عن ذلك فى العرب والعجم [وَخَسَفَ الْقَمَرُ] ذهب ضوؤه [وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ] وهذه امارات الموت وامارات القيامة الصّغرى وامارات ظهور القائم (ع) [يَقُولُ الْاِنْسانُ يَوْمَئِذٍ اَيْنَ الْمَفَرُّ] يعنى لامفرّ [كَلّا] ردع عن تمنّى المفرّ [لا وَزَرَ] لاملجأ ولامعتصم [اِلى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ] لااستقرار لاحد الى احد الّا الى ربّك المضاف وهو الرّبّ فى الولاية وهو علىّ (ع) [يُنَبَّؤُ الْاِنْسانُ يَوْمَئِذٍ بِما قَدَّمَ وَاَخَّرَ] بما عمل وماترك من خير وشرّ ، او بما عمل فى حياته وما سنّ من سنّة يعمل بها بعد مماته ، او بما قدّم من ماله فى حياته لنفسه وماترك لورثته [بَلِ الْاِنْسانُ عَلى نَفْسِهِ بَصيرَةٌ] البصيرة للقلب كالبصر للجسد ، و تستعمل بمعنى الحجّة وتكون مؤنّث البصير، فاذا كانت مؤنّث البصير يكون التّقدير عين بصيرة ، اوالمراد انّ الانسان بجوارحه بصير على نفسه فانّث الخبر لاقامة الانسان مقام الجوارح، اوالتّاء ليست للتّأنيث بل للمبالغة [وَلَوْ اَلْقى مَعاذيرَهُ] ولو اعتذر الى النّاس بكلّ ما يعتذر به فانّ القاء الاعذار وان كان يخفى الشّرّ على الاغيار لكنّه لايستره على نفسه يعنى يعلم ماصنع وان اعتذر، عن الصّادق (ع) : مايصنع احدكم ان يُظهر حسناً و يستر سيّئاً اليس اذا رجع الى نفسه يعلم انّه ليس كذلك والله عزّ وجلّ يقول: بل الانسان على نفسه بصيرة انّ السّريرة اذا اصلحت قويت العلانية، وفى خبر من اسرّ سريرةً البسه الله رداءها ، ان خيراً فخير وان شرّاً فشرّ [لاتُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ] الخطاب لمحمّد (ص) والمعنى لاتحرّك بالقرآن لسانك قبل ان يتمّ وحيه لتأخذه على عجلة مخافة ان ينفلت منك ، روى انّه كان النّبىّ (ص) اذ انزل عليه القرآن عجّل بتحريك لسانه لحبّه ايّاه وحرصه على اخذه مخافة ان ينساه، اوالمعنى لاتحرّك بما اردت اظهاره من البراءة من معاوية كماسيأتى، وقيل: الخطاب عامّ والمقصود تقريع المسيئين يوم القيامة بهذا الخطاب فانّه اذا اوتى العباد يوم القيامة كُتب اعمالهم و ينظر الانسان الّذى هو على نفسه بصيرة و يرى سيّئاته ضجر فيقال له توبيخاً: لاتعجل بقراءة كتابك [اِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَقُرْانَهُ] اى تأليفه وتنظيمه [فَاِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْانَهُ] روى انّه كان النّبىّ (ص) بعد هذا اذا نزل عليه جبرئيل اطرق فاذا ذهب قرأ [ثُمَّ اِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ] اى اظهار حقائقه عليك لتتحقّق بها [كَلّا] قيل: ردع عن القاء المعاذير وما بينهما اعتراض ، وكونه ردعاً عن التّعجيل والتّحريك اولى [بَلْ تُحِبُّونَ الْعاجِلَةَ] يعنى ليس القاء المعاذير لاصلاح النّفوس اولجهل نقائص النّفس بل لحبّ الدّنيا واصلاحها [وَتَذَرُونَ الْاخِرَةَ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ] جوابُ سؤالٍ مقدّرٍ عن حال الآخرة

[إِلىٰ رَبِّهٰا نٰاظِرَةٌ] اى الى ربّها المضاف لظهور الولاية وصاحبها فى ذلك اليوم، اوالى ربّها المطلق لظهور آثاره اى الى آثاره ناظرة ، اومنتظرة الى ثواب ربّها ، روى عن اميرالمؤمنين (ع) فى حديث : ينتهى اولياءالله بعد ما يفرغ من الحساب الى نهر يسمّى الحيوان فيغتسلون فيه و يشربون منه فتبيضّ وجوههم اشراقاً فيذهب كلّ قذىً و وَعَثٍ [١] ثمّ يؤمرون بدخول الجنّة ، فمن هذا المقام ينظرون الى ربّهم كيف يثيبهم؟ـ قال : فذلك قوله تعالى : الى ربّها ناظرة وانّما يعنى بالنّظر اليه النّظر الى ثوابه تبارك وتعالى ، و فى الخبر و النّاظرة فى بعض اللّغة هى المنتظرة الم تسمع الى قوله : فناظرة بم يرجع المرسلون اى منتظرة و [وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بٰاسِرَةٌ] عابسة اوشديدة العبوس [تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهٰا فٰاقِرَةٌ] الفاقرة الدّاهية ولعلّها كانت فى الاصل بمعنى الكاسرة لفقرات الظّهر ثمّ غلب على الدّاهية لكسرها فقرات الظّهر المعنوىّ [كَلّٰا] ردع عن اختيار الدّنيا اوردع عن ظنّ النّجاة بصاحبى تلك الوجوه [إِذٰا بَلَغَتِ] النّفس [التَّرٰاقِيَ وَقِيلَ مَنْ رٰاقٍ] رافع لك عن هذه المهالك ؟ قيل : ذلك على سبيل التّحسّر ، او يقول الملائكة : من يرفعه بروحه، ملائكة الرّحمة اوملائكة العذاب؟ اومن يشفيه بأسماءالله تعالى من الرّقية وهوطلب الشّفاء بأسماءالله تعالى [وَظَنَّ] اى علم لكن لمّا كان علوم النّفس فى حكم الظّنون لمغايرتها لمعلوماتها وجواز انفكاك المعلومات عنها عبّر عنها بالظّنون كماذكرناسابقاً مكرّراً [أَنَّهُ الْفِرٰاقُ] من الدّنيا [وَالْتَفَّتِ السّٰاقُ بِالسّٰاقِ] كناية عن انتزاع الرّوح فانّه يلتفّ فى كثير السّاقان حينئذ ، ولمّا كان آخر الدّنيا بمنزلة السّاق لها واوّل الآخرة ايضاً بمنزلة السّاق لها جاز ان يقال : التفّت الدّنيا بالآخرة ، ولمّا كانوا يكنّون عن شدّة الامر بالسّاق جاز ان يقال : التفّت شدّة هول الدّنيا بشدّة هول الآخرة [إِلىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسٰاقُ] هذه الجملة جواب اذا بتقدير الفاء ، او الجواب محذوف بقرينة المقام [فَلٰا صَدَّقَ] يجوز ان يكون هذه الجملة جواباً و يكون المعنى اذا بلغت التّراقى لايكون له راحة لانّه لاصدّق [وَلٰا صَلّٰى] اى لاصدّق الانبياء والاولياء(ع) ولاصلّى [وَلٰكِنْ كَذَّبَ] الانبياء والاولياء(ع) [وَتَوَلّٰى] عن طاعة الله و طاعة خلفائه [ثُمَّ ذَهَبَ إِلىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطّٰى] يتبختر سواء كان اصله التّمطّى بالياء او التّمطّط بالطّاء [أَوْلىٰ لَكَ فَأَوْلىٰ] اولى فعل ماض اصله اولاك الله ماتكرهه ، اواولاك الله البعد من الخير اوالهلاك ، بمعنى ولّاك الله فحذف الفاعل والمفعول الثّانى وادخل اللّام الزّائدة على المفعول الاوّل للتّأكيد ، او بمعنى قرّب الله منك الهلاك او قرب منك الهلاك ، او بمعنى ارجعك الله الى الهلاك من،آل يؤل مقلوباً ، او بمعنى اهلكك الله من الويل اوهوافعل التّفضيل بمعنى احرى اى احرى لك النّار اوالهلاك اواللّعن او بمعنى اقرب فحذف المبتدء اوهو افعل من الويل بعد القلب بمعنى ويل لك اوشدّة الويل لك ، اوهوفعلى من آل يؤل بمعنى مرجعك النّار وعلى اىّ تقدير هو كلمة تهديد صار كالامثال لا يغيّر ولايذكر المحذوف المقدّر ، قيل : اخذ رسول الله(ص) بيد ابى جهل ثمّ قال له ذلك فقال : باىّ شيء تهدّدنى؟ لاتستطيع انت ولاربّك ان تفعلا بى شيئاً وانّى لاعزّ اهل هذا الوادى فأنزل الله سبحانه كما قال له رسول الله(ص)، وقال القمّىّ: انّ رسول الله(ص) دعا الى بيعة علىّ (ع) يوم غدير خمّ فلمّا بلّغ واخبرهم فى علىّ (ع) ما اراد ان يخبرهم رجعوا النّاس فاتّكى معاوية على مغيرة بن شعبة وابى موسى الاشعرى ثمّ اقبل يتمطّى نحو اهله و يقول : ما نقرّ لعلىّ (ع) بالولاية ابداً ولا نصدّق محمّداً (ص) مقالته فأنزل الله عزّوجلّ : فلاصدّق و لاصلّى (الآيات)

---

(١) الوَعَث المشقّة ، و وعْثاء السفر مشقّته ، والوعث، المكان السّهل الذى تعيث فيه الاقدام و يشقّ على من يمشى فيه، واوعث القوم اى وقفوا فى الوعث .

[ثُمَّ اَوْلٰى لَكَ فَاَوْلٰى] التّكرير لمحض التّأكيد اوالاوّل وتأكيده للدّنيا ، والثّاني وتأكيده للآخرة [اَيَحْسَبُ الْاِنْسَانُ اَنْ يُتْرَكَ سُدًى] مهملاً [اَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنٰى] استفهام تقريريّ في مقام التّعليل لانكار هذا الحسبان [ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوّٰى] اى فسوّاه ذكراً بالغاً وانثى بالغةً ، او فسوّاه بحسب اعضائه بمعنى فكسونا العظام لحماً [فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْاُنْثٰى] يعني انّ الله جعل لهذا البنيان ولمادّة الانسان تبدّلات من اخسّ الاحوال الى اشرفها ، فاذا صار انساناً بالغاً ذكراً او انثى لايهمله بل اذا استكمل في جهة روحانيّته بالموت الاختياريّ اوالاضطراريّ صار اشدّ اهتماماً به من حاله الخسيسة الّتي كان فيها نطفةً قذرةً او علقةً اومضغةً اوجنيناً [اَلَيْسَ ذٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلٰى اَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتٰى] و الحال انّ الموت هو سبب حياته الحقيقيّة ، عن الرّضا(ع) : انّه اذا قرأ هذه السّورة قال عندفراغها: سبحانك اللّهمّ بلى .

سورة الدّهر

وتسمّى سورة الانسان وسورة الابرار وسورة هل أتى، مكّيّة كلّها،وقيل: مدنيّة كلّها،وقيل: مدنيّة الّاقوله : ولاتطع منهم آثمًا اوكفورًا ، وقيل : انّ قوله : انّا نحن نزّلنا القرآن تنزيلًا (الى آخر السّورة)مكّيٌّ والباقي مدنيّ احدى وثلاثون آيةً

بسم الله الرّحمن الرّحيم

[هَلْ اَتٰى عَلَى الْاِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ] استفهام تقريريّ والمعنى قد أتى ولذا فسّر به [لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا] في الخلق يعني كان مقدّراً مقدوراً ولم يكن مكوّناً مخلوقاً [اِنَّا خَلَقْنَا الْاِنْسَانَ] جوابُ سؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: فكيف خلق الانسان؟- فقال: انّاخلقناه [مِنْ نُطْفَةٍ اَمْشَاجٍ] مشج من باب نصر خلط وشيءٌ مشيج كقتيل وسبب وكتف مخلوط ، والجمع امشاج ،كون النّطفة امشاجاً امّا لاختلاط الاخلاط اوالعناصر اواستعدادات الاعضاء والقوى فيها ، اولاختلاط المائين ماء الرّجل وماء المرأة [نَبْتَلِيهِ] نستخلصه من الفضول وممّا لايليق به ونعطيه ونتفضّل عليه بما يليق بشأنه [فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا] يعني على اشرف احوال الحيوان [اِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ] جوابُ سؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: مافعلت به بعدذلك؟ وما تفعل به؟- فقال: انّاهديناه السّبيل بحسب فطرته فانّ الكلّ بحسب الفطرة يعرف الخير و الشّرّ الانسانيّين وبحسب التّكليف بتوسّط الانبياء و الاولياء(ع) [اِمَّا شَاكِرًا] اى عاملاً بما عرفناه [وَاِمَّا كَفُورًا] تاركاً لماعرفناه [اِنَّا اَعْتَدْنَا] جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ عن حال الكفور [لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ] بها يقادون عنفاً [وَ اَغْلَالًا] بها يقيّدون [وَسَعِيرًا] بها يحترقون [اِنَّ الْاَبْرَارَ يَشْرَبُونَ] جوابٌ لسؤال مقدّرٍ عن حال الشّاكرين [مِنْ كَأْسٍ] من خمرٍ او من كأسٍ فيها خمر [كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا] اى منها [عِبَادُ اللّٰهِ يُفَجِّرُونَهَا] يجرونها باىّ نحوٍ والى اىّ مكانٍ شاؤا ، اويخرجون

ماؤها من ایّ مكان شاؤا [تَفْجِيراً] لايعرف لعظمته.

اعلم ، انّ للانسان حالات ومراتب و درجات فانّه فی اولی مراتبه جمادٌ فی تطوّراته، وفی ثانية مراتبه نبات فی تفنّناته ، و فی ثالثة مراتبه حيوانٌ فی تبدّلاته و تقلّباته ، و فی رابعة مراتبه انسانٌ فی كثرة نشآته ، و لتلك المراتب ميولٌ واقتضاءات وشهوات وغضبات ومحبّات واشتياقات وعزمات وارادات وحركات وسكنات ، فاذا بلغ الانسان مبلغ الرّجال والنّساء فامّا ان تكون حركاته وسكناته بحكم ميوله الجمادیّة اواقتضاءاته النّباتيّة اوشهواته وغضباته الحيوانيّة ، او ادراكاته وحيله الشّيطانيّة ، وامّا ان تكون بحكم عقله الانسانیّ فان كانت من القسم الاوّل كانت جملة حركاته وسكناته وعزماته واراداته من حيث انجرارها الی العمل السّیّء والاسوء سلاسل تجرّه فی الدّنيا الی اسفل النّفس الّتی هی صورة جحيم الآخرة والی العمل القبيح الّذی هو من آثار لهبات الجحيم ، وتلك السّلاسل فی الدّنيا مستورة عن الانظار الحسّيّة وان كانت مشهودة بالانظار الملكوتيّة لاهلها، لكن فی الآخرة تصير مشهودة ظاهرة بناءً علی تجسّم الاعمال وموجبة لسلاسل اخری اخرويّة بناءً علی جزاء الاعمال فی الآخرة بالجزاء المناسب لها ، وكانت كلّها من حيث اكتساب النّفس منها سوأة وثقلاً اغلالاً لها مستورة عن الانظار الدّنيويّة مشهودة للانظار الاخرويّة ، وان كانت من القسم الاخير صارت سبباً لاطلاقه من الاغلال وخلاصه من السّلاسل وسبباً لخروجه من هاوية النّفس وعروجه علی مراقی الانسانيّة الی اعلی علّيّين و قرب ربّه ربّ العالمين **و بعبارة اخری كلّما** يفعله الانسان بعد بلوغه امّا ان يكون بامر آمرٍ الٰهیّ من غير شراكة لنفسه وامرها فيه او يكون بشراكة لنفسه فيه وامّا ان يكون بامر نفسه من غير شراكة لربّه وامر ربّه فيه ، فان كان من القسم الاوّل صار سبباً لاطلاقه ونجاته ويكون ممّا يتقرّب به قرب الفرائض ، وان كان من القسم الثّانی فامّا ان يكون شراكة النّفس فی الفعل لامر الله من حيث توجّهها الی الله و اعانتها لامتثال امر الله و قربها من الله ، اومن حيث انصرافها من الله وتوجّهها الی حظوظها ومآربها ، والاوّل كالاوّل فی صيرورته سبباً لاطلاق النّفس ونجاتها ويكون ممّا يتقرّب به قرب النّوافل، والثّانی يكون ممّا يكون العامل فيه مشركاً فی العبادة ويكون مردوداً اليه وممّا يتركه الله تعالی لشريكه لكونه اغنی الشّركاء ويترك لشريكه كلّ عمل يعمل بشراكة غيره ، ويكون سلسلةً وغلّاً لنفسه، وان كان من القسم الثّالث لايكون الّا غلّاً وسلسلةً واليها اشار تعالی شأنه بقوله : كُلُّ نَفسٍ بِما كَسَبَت رَهينَةٌ اِلّا اَصحابَ اليَمينِ فانّ اصحاب اليمين ای الّذين قبلوا ولاية علیّ (ع) بالبيعة الخاصّة الولويّة هم الّذين توجّهوا الی الله وابتغوا مرضاته ولقائه، فان كانوا فی حال الحضور وكان ولیّ امرهم ظاهراً عليهم وفاعلاً فعلهم بآلات اعضائهم من دون مدخليّة لانفسهم فی فعلهم كان فعلهم من القسم الاوّل، وان لم يكن لهم حالة الحضور لكن كان حبّهم لربّهم ولولیّ امرهم بحيث لم يبق لهم التفاتٌ الی انفسهم وحظوظها كان فعلهم ايضاً من القسم الاوّل، وان لم يبلغ حبّهم الی مرتبة لم يبق لهم التفات الی انفسهم وحظوظها بل كانت انفسهم ايضاً باعثة علی اعمالهم ولكن كانت حظوظ انفسهم فی امتثال امر الله وابتغاء مرضاته كان من القسم الثّانی الملحق بالاوّل، وان كانوا فی افعالهم غافلين من ربّهم وامره مبتغين لحظوظ انفسهم حظوظها السّفليّة لم يكونوا حينئذ من اصحاب اليمين فی تلك الافعال فانّ قيد الحيثيّة معتبرة فی امثال المقام ، وكانوا مرهونين باعمالهم مثل سائر النّاس ولم يكونوا ينتفعون ببيعتهم فی تلك الاعمال لكن اذا لم يقطعوا حبل الولاية ولم يفسدوا بذر الايمان انتفعوا ببيعتهم عند الموت وبعده ، وقد اشار المولویّ قدّس سرّه الی السّلاسل والاغلال المستورة بقوله :

خلق ديوانند شهوت سلسله	ميكشد شان سوی دكّان و غله
هست اين زنجير از خوف و وله	تو مبين اين خلق را بی سلسله
ميكشاندشان بسوی نيک و بد	گفت حق فی جيدها حبل المسد
قد جعلنا الحبل فی اعناقهم	و اتخذنا الحبل من اخلاقهم

و اعلم ، ايضاً انّ الشّار بين للخمر الخبيثة المحرّمة لهم حالاتٌ و بحسب اختلافهم في الحالات يختلف شر بهم للخمر الصّوريّة فانّه قديغلب الحرارة على مزاجهم، وقد يغلب البرودة، وقديعتدل امزجتهم، و بحسب اختلاف تلك الاحوال قديمزجون بشرابهم الكافور وقديمزجون الزّنجبيل وقديشر بونها خالصاً وقديشر بون شراباً خالصاً ليذهب باذى الخمر وكسالة سكره، و يسمّى بالطّهور والغسّال، وللسّالكين الى الله ايضاً انواع من الشّراب المعنويّ الرّوحانيّ فانّه قد يغلب عليهم برد السّلوك فيسقيهم ربّهم شراباً زنجبيليّاً يسخّنهم ويزيد في حرارة شوقهم وطلبهم ، وقد يغلب عليهم حرارة الشّوق فيسقيهم ربّهم شراباً كافوريّاً ليعتدل سخونة اشتياقهم ببرد كافور السّلوك ، و قد يسقيهم شراباً خالصاً غير ممزوج اذا كانوا في السّلوك والجذب معتدلين، وقد يسقيهم شراباً طهوراً يغسّلهم من نسبة الاموال والافعال والصّفات الى انفسهم بل من انانيّاتهم وهذه الاحوال تطروعليهم في الآخرة وفي الجنّات [يُوفُونَ بِالنَّذْرِ] النّذر ما اوجبه الانسان على نفسه بشرطٍ او بغير شرطٍ ، والمراد به العهد الّذي كان في ضمن البيعة العامّة او الخاصّة والوفاء بهذا النّذر يستلزم الوفاء بجميع العهود والشّروط [وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا] اى متفرّقاً غاية التّفرّق وفي الخبر كلوحاً عابساً، وقيل: عظيماً [وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا] بل اطعمناكم ابتغاءً لمرضاة الله [إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا] كريهاً يعبس فيه الوجوه [قَمْطَرِيرًا] شديد العبوس قدروى كثيراً من العامّة والخاصّة انّ الآيات الى قوله: وكان سعيكم مشكوراً نزلت في عليٍّ (ع) وفاطمة (ع) والحسن (ع) والحسين (ع) وجارية لهم تسمّى فضّة، والاخبار الواردة مختلفة بحسب الالفاظ مجمل مضمون اكثرها واشهرها انّه مرض الحسن (ع) والحسين (ع) فنذرهو وفاطمة (ع) وفضّة صوم ثلاثة ايّام ان شفاهما الله فبرئا واستقرض عليّ (ع) ثلاثة اصوع من الشّعير من يهوديّ اوآجر نفسه يهوديّاً ليغزل له صوفاً واخذ ثلاثة اصوع من الشّعير فصاموا وطحنت فاطمة (ع) صاعاً منها واختبزته وصلّى عليّ (ع) المغرب وقرّبته اليهم فاتاهم مسكينٌ يدعو لهم وسألهم ، فأعطوه ولم يذوقوا الّا الماء ، فلمّا كان اليوم الثّاني اختبزت صاعاً آخر منها وقرّبته وقت الافطار اليهم ، فاذاً يتيمٌ بالباب يستطعم ، فأعطوه ولم يذوقوا الّا الماء ، فلمّا كان اليوم الثّالث جاء اسير يستطعم، فاعطوه ولم يذوقوا الّا الماء ، فلمّا كان اليوم الرّابع وقدقضوا نذورهم اتى عليّ (ع) ومعه الحسن (ع) والحسين (ع) الى النّبيّ (ص) و بهما ضعف فبكى رسول الله (ص) و نزل جبرئيل بسورة هل أتى ، وفي بعض الاخبار فرءاهم النّبيّ (ص) جياعاً فنزل جبرئيل ومعه صحفةٌ من الذّهب مرصّعة بالدّرّ والياقوت مملوّة من الثّريد وعُراق[1] يفوح منها رائحة المسك والكافور فجلسوا واكلوا حتّى شبعوا ولم ينقص منها لقمة واحدة، وخرج الحسن (ع) والحسين (ع) ومع الحسين قطعة عراق فنادته يهوديّة: يا اهل البيت الجوع من أين لكم هذه؟ اطعمنيها، فمدّ يده الحسين (ع) ليطعمها فهبط جبرئيل و اخذها من يده و رفع الصحفة الى السّماء ، فقال (ص) : لولا ما اراد الحسين (ع) من اطعام الجارية تلك القطعة لتركت تلك الصحفة في اهل بيتي يأكلون منها الى يوم القيامة [فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً] في الوجوه [وَسُرُورًا] في القلوب [وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ] الاريكة السّرير في حجلة وكلّ ما يتّكأ عليه من سريرٍ وغيره ، اوسريرٍ منجّدٍ في قبّةٍ او بيت [لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا] يعني لايرون حرّاً ولابرداً بل يكونون في هواءٍ معتدلٍ [وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا] اى قريبة منهم افياؤها اودائمةً عليهم افياؤها ، ومعنى دنوّ الظّلال دنوّ المظلّة منهم ، اوالظّلال ههنا جمع الظّلّة بالضّمّ

(١) العَرق العظم الّذي اخذ عنه اللحم، والجمع عُراق بالضّمّ .

بمعنى المظلّة [وَذُلِّلَتْ] اى سهلت [قُطُوفُهٰا] للجنىّ [تَذْلِيلًا] فانّ ثمارها كأنّها باختيار الجانى بجنبها متى شاء وكيف شاء وعلى ایّ حال شاء [وَيُطٰافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوٰابٍ] جمع الكوب وهو كوز لاعروة له ولاخرطوم [كٰانَتْ قَوٰارِيرًا قَوٰارِيرَ] قرئ فيهما بالتّنوين للمناسبة ، وقرئ فى الاوّل فقط بالتّنوين [مِنْ فِضَّةٍ] يعنى كانت الاكواب مثل القوارير فى الصّفاء والشّفيف ، اوكانت القوارير مأخوذة من الفضّة لامن سائر الاحجار مثل قوارير الدّنيا [قَدَّرُوهٰا تَقْدِيرًا] صفة للاكواب اوللآنية والاكواب والمعنى اكواب كان المؤمنون يقدّرون قدرها فى انفسهم ، اوكانوا يتمنّونها ، اوكان الغلمان المديرون يقدّرونها بقدر ميل المؤمنين ، وقرئ قدّروها على البناء للمفعول [وَيُسْقَوْنَ فِيهٰا كَأْسًا كٰانَ مِزٰاجُهٰا زَنْجَبِيلًا] الكأس تطلق على الخمر ولذلك تؤنّث ، ولمّا كان السّالك الباقى عليه من نفسه بقايا لابدّ له من حرارة الطّلب واشتياق السّير فى عالم الصّفات الّتى لانهاية لها كان قد يسقى من الشّراب الزّنجبيلىّ الّذى به يشتدّ حرارة طلبه والتذاذ سيره ووجده [عَيْنًا فِيهٰا تُسَمّٰى سَلْسَبِيلًا] بدل من كأساً بدل الاشتمال ، والسّلسبيل الشّراب السّهل الدّخول فى الحلق ، اللّذيذ فى المذاق يقال : شرابٌ سلسلٌ وسلسالٌ وسلسبيلٌ كذا فى المجمع [وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدٰانٌ] جمع الوليد بمعنى الغلام [مُخَلَّدُونَ] دائمون فى الجنّة ، اومخلّدون على حال الغلمان [إِذٰا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا] فى الصّفاء والحسن والتّلألؤ [مَنْثُورًا] متفرّقاً غير منظوم فى الكثرة اوفى الخدمة [وَإِذٰا رَأَيْتَ] شيئاً [ثَمَّ] فى الجنّة حذف المفعول للاشارة الى انّ كلّما كان مرئيّاً هناك كان مشتملاً على جميع ما يكون فى المملكة الكبيرة [رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا] واسعاً جدّاً فانّ ادناهم منزلة ينظر فى ملكه من مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه ، وقيل : هو القدرة على ما يتمنّى ونفاذ الامر ، وقيل : هو استيذان الملائكة ورسل الله (ع) على المؤمنين [عٰالِيَهُمْ ثِيٰابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ] اى مارقّ من الحرير وما غلظ [وَحُلُّوا أَسٰاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقٰاهُمْ رَبُّهُمْ شَرٰابًا طَهُورًا] يطهّرهم من كلّ ماكان منسوباً اليهم من الاموال والافعال والاوصاف والذّوات حتّى لايبقى فيهم سوى محبوبهم فيصير لذّتهم خالصةً غير مشوبة وغير محجوبة ، فى خبرٍ : يطهّرهم من الحسد ويسقط عن ابشارهم الشّعر ، وفى خبر : يطهّرهم من كلّ شيءٍ سوى الله [إِنَّ هٰذٰا كٰانَ لَكُمْ جَزٰاءً] خطاب من الله لعباده فى الدّنيا اومنه اومن الملائكة لعباده فى الآخرة [وَكٰانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا إِنّٰا نَحْنُ نَزَّلْنٰا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا] يعنى انّ قرآن ولاية علىّ (ع) ليس الّا من عندنا فما لك تخشى عن النّاس وتخفيه عنهم وتخاف عن ردّهم اوارتدادهم اوصرف علىّ (ع) عن حقّه [فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ] ولاتحزن على ما يقولون فى حقّ علىّ (ع) ولاتغيّر ما نزّلناه عليك [وَلاٰ تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا] عاصياً لك فى علىّ (ع) [أَوْ كَفُورًا] ساتراً لولايته اوساتراً لنبوّتك فبينهما عموم من وجهٍ [وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ] اسم الرّبّ هو اللّطيفة الانسانيّة الّتى هى الولاية التّكوينيّة وتتقوّى بالولاية التّكليفيّة ثمّ صاحب الولاية والرّسالة ثمّ كلّ من قبل الولاية ثمّ كلّ وجودٍ عينىٌ امكانىّ ثمّ الالفاظ والحروف الموضوعة ثمّ النّقوش المكتوبة ، وذكر الكلّ من حيث كونها اسماء الرّبّ مأمور به ونافع للانسان ومورث لنجاته من المهاوى والنّيران [بُكْرَةً وَأَصِيلًا] دائماً اوفى هذين الوقتين مخصوصاً لشرافتهما [وَمِنَ اللَّيْلِ] الّذى هو مظهر عالم الطّبع ومظهر ظلمة النّفس وانانيّاتها [فَاسْجُدْ لَهُ] بكسر

انانيّة النّفس [وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا] اى بعضاً طويلاً من اللّيل، اوليل الطّبع الّذى طوله بقدر العمر، عن الرّضا (ع): انّ هذا التّسبيح هو صلوة اللّيل وقد فسّر قوله: بكرةً و اصيلاً، بصلوة الغداة والظّهرين وقوله و من اللّيل فاسجدله، بالعشائين ، وقوله : وسبّحه ليلاً طويلاً ، بالتّهجّد فى طائفة طويلة من اللّيل [إِنَّ هٰؤُلَاءِ] المشركين او المنافقين الممتنعين من ولاية علىّ (ع) [يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ] ولذلك لا يأتمرون بأمر الله ولا بأمر نبيّه (ص) ولا ينقادون لنبيّه (ص) ولا وصيّه [وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا] يعنى امامهم لكنّه تعالى عبّر بورائهم للاشعار بانّهم منكوسون مقبلون على الدّنيا الّتى هى مدبرة عنهم ومدبرون عن الآخرة الّتى هى مقبلة عليهم، والمراد بثقله ثقل حسابه وثقل شدائده وثقل حسّابه [نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ] اى خلقهم او مفاصلهم بالاعصاب و الاوتار او الياف المعدة و المثانة حتّى صارتا باختيار صاحبهما [وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ] باذهابهم و جعل اولادهم اخلافهم ، أتى باذا لتحقّق وقوعه [تَبْدِيلًا إِنَّ هٰذِهِ] اى ولاية علىّ (ع)، اوقرآن ولايته، اوهذه السّورة الّتى فيها ذكر الولاية [تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا وَمَا تَشَاؤُنَ] لمّا اوهم قوله تعالى فمن شاء استقلالهم بالمشيّة رفع ذلك فقال وما تشاؤن [إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ] .

اعلم ، انّه لا يكون شيء من المكوّنات ومن افعال العباد واخلاقهم وارادا تهم ومشيّاتهم الّا بمباد سبعة ، بمشيّة من الله ، وارادة منه ، وقدر منه سبحانه وقضاء واذن واجل وكتاب وانّ المشيّة هى اضافته الاشراقيّة الّتى هى فعله وكلمته ، وانّ كلّ شيء من المبدعات والمنشئات والمخترعات والمكوّنات قوام وجوده مشيّة الله ، وانّ مشيّة الله غير محبّته و رضاه ، وانّ الرّضا و السّخط بمنزلة صورة للمشيّة ، و المشيّة كالمادّة و انّ مشيّة العباد هى مشيّة الله بضميمة خصوصيّة الاضافة الى العباد فمعنى ما تشاؤن الّا ان يشاء الله الّا فى حال ان يشاء الله ، او بسبب ان يشاء الله، اولان يشاء الله ، و امّا جعل ان يشاء الله مفعولاً لتشاؤن فبعيد بحسب الظّاهر وان كان له معنى صحيح بحسب دقيق النّظر، لانّ كلّ ما يشاؤه العباد فهو متقوّم بمشيّة الله بل هو عين مشيّة الله الّتى صارت بحسب الاضافة محدودة بحدود الممكنات ، وقد مضى بيان وافٍ لكون مشيّة الله وارادته عين مشيّة العباد واراداتهم من غير لزوم جبر وتسخير عند قوله تعالى: ولٰكنّ الله يفعل ما يريد ، من سورة البقرة [إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا] فبعلمه بدقائق الصّنع و مصالح المصنوع جعل مشيّته عين مشيّة العباد [حَكِيمًا] بحيث لطف فى هذا الصّنع لطفاً لا يدركه احدٌ بل يتوهّمون ضدّه ويقولون: انّ الله فوّض امور العباد وافعالهم اليهم [يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ] اى من يحبّ ويرضاه [وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا] .

سُورَةُ الْمُرْسَلَاتِ

مكّيّة، خمسون آيةً .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

[وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا] قد فسّرت بالملائكة المرسلة المتابعة لتعذيب اهل الدّنيا وجحيم النّفس اوالملائكة

المرسلة للمعروف والاحسان الى العباد بتعذيب اهل الشّرّ والفساد [فَالْعٰاصِفٰاتِ عَصْفًا] من قبيل عطف الصّفات المتعدّدة لذاتٍ واحدةٍ ، و تخلّل الفاء للاشعار بانّ هذه الصّفة اى شدّة الهبوب و المرور فى مقام التّعذيب ابلغ من الارسال ، وفسّرتا بالرّياح المرسلة لتعذيب اهل الدّنيا بافساد زراعاتهم واهلاك مواشيهم [وَ النّٰاشِرٰاتِ نَشْرًا] فسّرت بملائكة الرّحمة الّذين ينشرون العلوم فى قلوب الانبياء وسائر العباد، والّذين يأتون بالسّحاب ، وفسّرت برياح الرّحمة الّتى تنشر السّحاب، وفسّرت بالامطار الّتى تنشر النّبات من الارض وفسّرت بنفوس الانبياء(ع) الّذين ينشرون العلوم والاحكام فى العباد [فَالْفٰارِقٰاتِ فَرْقًا] فسّر هذه بموافقة سابقتها [فَالْمُلْقِيٰاتِ ذِكْرًا] اى الملائكة والرّياح اوالسّحب اوالامطار اوالانبياء (ع) فانّ كلاًّ منها يذكّر الانسان قدرة الله وحكمته فى صنعه ، و يستفاد من بيان الفقرات وجه اختلاف العطف بالفاء و الواو [عُذْرًا اَوْ نُذْرًا] اى يلقين الذّكر عذراً اى سبباً لنجاتهم ، او نذراً اى تخويفاً فيكونان بمعنى ارجاءً وتخويفاً وهما بدلان من ذكراً ، اومفعولان له ، اوحالان وقد فسّرت الفقرات بالواردات الالهيّة فى العالم الصّغير الانسانىّ من الالهامات والقبضات و البسطات و المنامات المنذرات و المبشّرات و البلايا الواردات، وجبرانها بالالطاف الالهيّات والخطرات والخيالات والسّطوات و الرّأفات والملائكة المرسلات بالنّبوّات والرّسالات [اِنَّمٰا تُوعَدُونَ لَوٰاقِعٌ] جوابٌ للقسم والمراد بما يوعدون البعث و الحساب ، او الثّواب و العقاب [فَاِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ] اى محقت اومحى نورها، وجواب اذا محذوف بقرينة السّابق اى كان ماتوعدون، او بقرينة اللّاحق اى اهلكناهم ، اوالجواب قوله لاىّ يومٍ اجّلت بتقدير القول [وَاِذَا السَّمٰاءُ فُرِجَتْ] صدعت [وَاِذَا الْجِبٰالُ نُسِفَتْ] نسف البناء قلعها ونسف الجبال دكّها [وَاِذَا الرُّسُلُ اُقِّتَتْ] وقرئ وقتت على الاصل اى عيّنت يعنى وقت حضورها للشّهادة او للبشارة والتّخويف او بلغ وقت ظهورها حين ظهور القائم اوالقيامة [لِاَىِّ يَوْمٍ اُجِّلَتْ] استفهامٌ للتّعجيب والتّفخيم وجوابٌ لاذا بتقدير القول ، اوحال عن الرّسل (ع) بتقدير القول ، اواستينافٌ بتقدير استفهام كأنّه تعالى: قال اندرى لاىّ يوم اجّلت؟ [لِيَوْمِ الْفَصْلِ] اجّلت جواب من الله تعالى [وَمٰا اَدْرٰيكَ مٰا يَوْمُ الْفَصْلِ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ] جوابٌ للاستفهام بتقدير القول اوجوابٌ لسؤالٍ مقدّر بتقدير القول اى يقال فيه : ويلٌ يومئذ للمكذّبين ، او جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ بدون تقدير القول كأنّه قيل: ما حال النّاس فيه ؟ـ فقال: ويلٌ يومئذٍ للمكذّبين [اَلَمْ نُهْلِكِ الْاَوَّلِينَ] جوابُ سؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: ما تفعل بهم فى الدّنيا ؟ـ فقال: نفعل بهم ما فعلنا بالاوّلين الم نهلك الاوّلين كقوم نوحٍ وعادٍ وثمود وغيرهم [ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْاٰخِرِينَ] من المجرمين قرئ برفع نتبعهم عطفاً على الم نهلك ، وقرئ بالجزم عطفاً على نهلك و المعنى الم نهلك الاوّلين من قوم نوحٍ وعادٍ وثمود ، ثمّ لم نتبعهم الآخرين من قوم لوطٍ وشعيبٍ وفرعون [كَذٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ] من قومك يا محمّد (ص) [وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ] لمّا كان التّكرير و التّأكيد و التّهديد و التّغليظ مطلوباً فى مقام السّخط كرّر هذه الكلمة [اَلَمْ نَخْلُقْكُمْ] تعدادٌ للنّعم الّتى تدلّ على كمال الاهتمام بهم وعدم اهمالهم من غير ثوابٍ وعقابٍ [مِنْ مٰاءٍ مَهِينٍ] قذرٍ [فَجَعَلْنٰاهُ فِى قَرٰارٍ مَكِينٍ اِلٰى قَدَرٍ مَعْلُومٍ فَقَدَّرْنٰا] فسوّيناكم [فَنِعْمَ الْقٰادِرُونَ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ اَلَمْ نَجْعَلِ الْاَرْضَ كِفٰاتًا] كفته يكفته صرفه عن وجهه ، وكفت الشّيء

ضمّه وقبضه ، والكفات الموضع الّذى يكفت فيه الشّيء اى يضمّ اوهو مصدر ، اوجمع لكافت ، اوجمع كفت بمعنى الوعاء وهو مفعول ثان لنجعل ، اوحال ، اوالمفعول الثّانى قوله تعالى [أَحْيٰاءً وَأَمْوٰاتاً] وعلى الاوّل فاحياء وامواتاً حالان من ذى حال محذوف اى للنّاس ، اوحالان من الارض وكون الارض احياء وامواتاً باعتبار صلاحها للنّبات والزّراعات وعدم صلاحها لها ، او باعتبار وقت انباتها للنّبات و وقت عدم انباتها كالخريف و الشّتاء ، او مفعولان لكفاتاً ، وتنكيرهما حينئذ للتّفخيم ، اولانّ احياء الانس وامواتهم بعض الاحياء والاموات [وَجَعَلْنٰا فِيهٰا رَوٰاسِيَ شٰامِخٰاتٍ] جبالاً ثوابت طوالاً [وَأَسْقَيْنٰاكُمْ مٰاءً فُرٰاتاً] هذان الفعلان معطوفان على مجموع الم نجعل الارض فانّه فى معنى جعلنا الارض البتّة كفاتاً [وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ اِنْطَلِقُوا] حال اوجواب لسؤال مقدّر بتقدير القول اى يقال لهم: انطلقوا [اِلىٰ مٰا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ] من العذاب [اِنْطَلِقُوا] قرئ هذا امراً ، وقرئ على الاخبار جواباً لسؤال مقدّر [اِلىٰ ظِلٍّ] اى ظلّ دخان جهنّم بقرينة ما يأتى [ذِى ثَلاٰثِ شُعَبٍ] .

اعلم ، انّ النّفس الانسانيّة الامّارة مظهر لجهنّم ، وكلّما لها من الاوصاف الرّذيلة شعبة وشعلة من لهبها، وهى سبب لدخولها ، وانّ اصل جميع الرّذائل هى القوى الثّلاث البهيميّة و السّبعيّة والشّيطانيّة ، وانّها لهبات من الجحيم وادخنة منها تحترق الانسانيّة بها، ومادام الانسان فى الدّنيا وكان اسيراً للنّفس الامّارة لايستشعر بحرقته فاذا مات تمثّل له ماكان مخفيّاً عنه فى الدّنيا فيظهر عليه اللّهبات الثّلاث وادخنتها وظلال ادخنتها فيقال له : انطلق الى هذا الظّلّ ، استهزاءً ، فينطلق الى ظلّها لانّه كان فى الدّنيا مسخّراً لها و يكون ذلك الظّلّ غير ذى برودة ولذلك قال [لاٰ ظَلِيلٍ] لانّه ظلّ الدّخان فيكون حارّاً لاباردا وهذا ردّ لما اوهم لفظ الظّنّ [وَلاٰ يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ] اى من حرّ اللّهب كسائر الظّلال المغنية من حرّ الشّمس [اِنَّهٰا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ] قرئ بسكون الصّاد بمعنى المنزل الرّفيع ،وقرئ بالتّحريك بمعنى اصول النّخل والشّجر و بقاياه واعناق النّاس والابل ،والكلّ مناسب، فانّ القوى الثّلاث فى الدّنيا ترمى بخطرات وآمال وانانيّات ، و فى الآخرة تتمثّل تلك بشرر عظام [كَأَنَّهُ] اى كأنّ القصر او الشّرر فانّه جنس للشّررة [جِمٰالَةٌ صُفْرٌ] جمع الجمل ، وقرئ جمالات بكسر الجيم وضمّها جمع الجمالة بكسر الجيم وضمّها جمع الجمل فانّ الجمالة والجمالات مثلّثتى الجيم جمع للجمل [وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ هٰذٰا يَوْمُ لاٰ يَنْطِقُونَ] اعلم انّ ايّام الآخرة كثيرة ففى بعضها ينطق النّاس و يسألون و يتضرّعون، وفى بعضها لاينطقون فلا ينافى ذلك سائر الآيات والاخبار الدّالّة على تنطّقهم واستنطاقهم [وَلاٰ يُؤْذَنُ لَهُمْ] فى النّطق اوفى الاعتذار [فَيَعْتَذِرُونَ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ هٰذٰا يَوْمُ الْفَصْلِ] بين المحقّ والمبطل، اوالمؤمن والكافر، اواهل الجنّة واهل النّار، او يوم القضاء والحكم [جَمَعْنٰاكُمْ] فيه [وَالْأَوَّلِينَ] حال او استيناف [فَإِنْ كٰانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ] كما كنتم تكيدوننى فى الدّنيا بالكيد مع خلفائى وهذا على التّعجيز والتّهكّم [وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ اِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلاٰلٍ وَعُيُونٍ] جواب سؤال مقدّر كأنّه قيل : هذا حال المكذّبين فما حال المتّقين عن تكذيب الرّسل اوالحشر؟ [وَفَوٰاكِهَ مِمّٰا يَشْتَهُونَ كُلُوا وَاشْرَبُوا] استيناف بتقدير القول [هَنِيئاً بِمٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ اِنّٰا كَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ] لمّا كان السّورة لتهديد المكذّبين كرّرههنا هذه الكلمة و ثنّى ذكر المكذّبين واضرب عن المتّقين مع انّه كان المناسب ان يقول : طوبى يومئذ للمتّقين [كُلُوا] استيناف اوحال

بتقدير القول [وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا] يعنى فى الدّنيا [إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ] تعليلٌ للتّهديد المستفاد من قوله تعالى: كلوا و تمتّعوا [وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ] عطف على مجرمون، او حال و التفات من الخطاب [ارْكَعُوا] اى صلّوا كما قيل: انّها نزلت فى ثقيف حين امرهم رسول الله (ص) بالصّلوة فقالوا: لا ننحنى فانّ ذلك سبّة(۱) علينا، اوتواضعوا وانقادوا [لَا يَرْكَعُونَ] او المعنى اذا قيل لهم اسجدوا فى القيامة لايقدرون على السّجود كما قال تعالى: و يدعون الى السّجود فلا يستطيعون [وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ] اى بأىّ حديثٍ بعد القرآن او بعد ما حدّثتك به من امر الآخرة والحشر و الحساب و الثّواب و العقاب · او بعد حديث الولاية ، او بعد هذا اليوم يؤمنون ؟!

[الجزء الثّلاثون]

سورة النّبأ

و يسمّى سورة عمّ وسورة المعصرات وسورة التّساؤل مكّيّة كلّها، احدى واربعون آيةً .

بسم الله الرّحمن الرّحيم

[عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ] استفهام لتفخيم المسؤل عنه كانوا يتساءلون بينهم عن المبدء و صفاته و عن القيامة وعلاماته ، وعن البعث و ثوابه و عقابه ، اوكانوا يتساءلون عن الولاية بعد ما اشار الرّسول (ص) اليها فانّها النّبأ العظيم الّذى يقع الاختلاف فيه ، وانّها النّبأ الّذى ينبغى ان يهدّد النّاس فى تركها لانّها الفارقة بين اهل الجنّة والنّار فانّ القابل لها اذا وصل بها الى الآخرة يدخل الجنّة من غير ريبٍ ، والخارج منها اذا خرج بالخروج منها الى الآخرة يدخل النّار، فانّه لو عبدالله عبدٌ سبعين خريفاً تحت الميزاب قائماً ليله صائماً نهاره ولم يكن له ولاية علىّ بن ابى طالب (ع) لأكبّه الله على منخريه فى النّار وانّ الله لا يستحيى ان يعذّب امّةً دانت بامامة امامٍ جائرٍ، وان كانت الامّة فى اعمالها بررة، وانّ الله ليستحيى ان يعذّب امّةً دانت بامامة امامٍ عادلٍ وان كانت الامّة فى اعمالها فجرة ، وسئل الباقر (ع) عن تفسير عمّ يتساءلون فقال: هى فى امير المؤمنين (ع)، و بهذا المضمون اخبار كثيرة منهم (ع) [عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ] بدل عن عمّ بتقدير حرف الاستفهام ، او متعلّق بمحذوفٍ وجواب من الله او متعلّق بيتساءلون و عمّ متعلّق بمحذوفٍ يفسّره المذكور [الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ كَلَّا] عن الاختلاف ، فانّه امر لاينبغى ان يختلف فيه ، اوعن الانكار المستفاد من الاختلاف ، فانّ الاختلاف لايكون الّا بالاقرار والانكار [سَيَعْلَمُونَ] حين رفع الحجب عن الابصار عند الموت او القيامة الكبرى [ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ] تأكيدٌ للاوّل، وتخلّل ثمّ للمبالغة فى التّأكيد [أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا] جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل : الم يجعل الله دليلاً لعباده على الولاية ؟ او على الحشر و الحساب والثّواب والعقاب ؟ـ اوقال: الم يجعل لهم وليّاً ؟ اوالم يكن لهم حشر وحساب ؟ـ فقال : كيف لم نجعل لهم دليلاً على

(۱) اى عارٌ

ذلكَ،اوكيف اهملناهم ولم نجعل لهم رئيساً واماماً بعدالرّسول (ص) ؟ ! اوكيف نهملهم ولانبعثهم والحال انّاما اهملناهم حين لم يكونوا شيئاً مذكور اوجعلنا لهم جميع اسباب وجودهم و اسباب بقائهم [وَالْجِبالَ اَوْتاداً وَ خَلَقْناكُمْ اَزْواجاً] ذكراً وانثى حتّى يستأنس بعضكم ببعض وليسكن و يمكن التّناسل ، اوجعلناكم اصنافاً لتعارفوا ، وليرفع بعضكم حاجة بعضٍ [وَجَعَلْنا نَوْمَكُمْ سُباتاً] اى راحةً اوقطعاً عن الاعمال والمتاعب [وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِباساً] اى ساتراً يستر كلّ عورة [وَجَعَلْنَا النَّهارَ مَعاشاً] وقت تمتّعكم او سبب ابتغاء معاشكم [وَبَنَيْنا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِداداً] لايقبل الانثلام و ببنائها وجعل الكواكب فيها يكون بقاؤكم وتعيّشكم [وَجَعَلْنا] اى خلقنا [سِراجاً وَهّاجاً] لايمكن وجودكم ولابقاؤكم بدونه [وَأَنْزَلْنا مِنَ الْمُعْصِراتِ] اى السّحائب الّتى صارت معصورة اى متراكمةً بالبرد والرّيح اوالرّيح الّتى تكون معصرة للسّحاب ، او الرّياح الّتى تكون ذوات الاعاصير الى الاغبرة فانّ الرّياح تكون اسباب نزول المطر، وقد قرئ انزلنا بالمعصرات و هو يؤيّد المعنى الاخير [ماءً ثَجّاجاً] سيّالاً الى مواضع زراعاتكم و روضاتكم و به يكون حياتكم [لِنُخْرِجَ بِهِ حَبّاً] لارزاقكم و ارزاق دوابّكم [وَ نَباتاً] كذلك [وَجَنّاتٍ اَلْفافاً] الالفاف الاشجار الملتفّة واحدها لفّ بالكسر والفتح او بالضّمّ وهو جمع لفّاء فيكون الالفاف حينئذٍ جمع جمعٍ [اِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كانَ مِيقاتاً] جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: اذالم تهملهم بلاحسابٍ وثوابٍ وعقابٍ فهل لهم موعد لذلك؟- او اذا لم تهملهم بلاولىٍّ و رئيسٍ فهل لظهور ذلك الولىّ موعد؟-فقال: انّ يوم الفصل كان موعداً لهم ، والمراد بيوم الفصل يوم خروج الرّوح عن البدن، او يوم فصل المحقّ عن المبطل والنّاجى من الهالك [يَوْمَ يُنْفَخُ فِى الصُّورِ] النّفخة الاولى اوالنّفخة الثّانية [فَتَأْتُونَ اَفْواجاً وَفُتِحَتِ السَّماءُ فَكانَتْ اَبْواباً] أتى بالماضى امّا لتحقّق وقوعه او للاشعار بانّ السّماء كانت من اوّل خلقته منفتحةً منشقّة يتراءى بحسب الانظار الظّاهرة انّها غير منفرجة فانّ كلّ ممكنٍ زوج تركيبىٌّ منشقّ الى مهيّةٍ ووجودٍ ووجوبٍ وامكانٍ ، ومعنى كونها ابواباً انّها ابواب للملكوت كما انّ سماوات عالم الارواح ابواب للغيب و فعله الّذى هو عالم المشيّة [وَسُيِّرَتِ الْجِبالُ فَكانَتْ سَراباً] يعنى انّ الجبال تحسبها ثابتة وهى تمرّ مرّ السّحاب باقتضاء التّجدّد الجوهرىّ ، وكونها سراباً من جهة انّها تتراءى جبالاً عظيمةً ثابتة جامدة وليست كذلك ، وهكذا حال جبال الانّيّات للاشياء فانّها ترى اشياء مستقلّة فى الوجود لهانفسيّات وليست كذلك، وقدفسّر الافواج فى خبرٍ عن النّبىّ (ص) باصنافٍ من المعاقبين من اصناف المسيئين [اِنَّ جَهَنَّمَ كانَتْ مِرْصاداً] رصده رقبه والمرصاد الطّريق اوالمكان يرصد فيه العدوّ كأنّ الخزنة يرصدون فى جهنّم اعداء اولياء الله والجملة جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: ما يفعل بهم بعد اتيانهم افواجاً ؟- [لِلطّاغِينَ مَآباً] طغى كرضى طغياً و طغياناً بالضّمّ و الكسر فيهما جاوز القدر وارتفع و غلافى الكفر و اسرف فى المعاصى والظّلم ،وطغا يطغو طغواً وطغواناً بضمّهما [لابِثِينَ فِيها اَحْقاباً] جمع الحقب بالضّمّ والضّمّتين وهى ثمانون سنةً اواكثر ، والدّهر والسّنة اوالسّنون ، و قيل: المراد باللّبث احقاباً انّه كلّما مضى حقب جاء بعده حقب آخر ، وقدفسّر الحقب بثمانين سنةً من سنى الآخرة، وقيل: انّ الاحقاب ثلاثة وار بعون حقباً كلّ حقب سبعون خر يفاً، كلّ خريف سبعمائة سنةٍ ،كلّ سنة ثلثمائة و ستّون يوماً ،كلّ يوم الف سنةٍ ، وقيل المعنى لابثين فيها احقاباً موصوفة بانّهم لايذوقون فيها برداً ولا شراباً ، ثمّ يلبثون فيها يذوقون غير الحميم والغسّاق من انواع العذاب فهذا توقيت لانواع

العذاب لالمكثهم فى النّار [لَايَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا] يعنى برداً ينفعهم من حرّ النّار ولاشراباً ينفعهم من عطشهم ، اوالمراد بالبرد النّوم كما قيل [إِلَّا حَمِيمًا] اى الماء الحارّ الشّديد الحرارة [وَغَسَّاقًا] الغسّاق صديد اهل النّار ، او ماء يخرج من صديد اهل النّار [جَزَاءً وِفَاقًا] مفعول له او وصف لحميماً وغسّاقاً ، او مفعول مطلق لمحذوف اى يجازون جزاءً ، او يجزيهم الله جزاءً موافقاً لاعمالهم [إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا] اى لايعتقدون حشراً وحساباً ، اولا يخافون حساباً كما قيل [وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا] من حيث انّها آيات و اعظمها علىّ(ع) [كِذَّابًا وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ] ومن الاشياء الّتى احصيناه اعمالهم الّتى عملوها [كِتَابًا] اى فى كتاب او حالكونه مكتوباً عندنا [فَذُوقُوا] بتقدير القول [فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا] جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: هذا حال المكذّبين بالنّبأ العظيم فما حال المصدّقين بالولاية ؟- والمفاز الفوز والنّجاة ، اومحلّ الفوز ، ويستعمل فى الهلاك والمهلك [حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا] بساتين واثمارها لكن خصّص الاعناب بالذّكر لامتيازها من بين الاثمار [وَكَوَاعِبَ] اى جوارى ثديّهنّ كاعبات [أَتْرَابًا] مستويات فى السّنّ يعنى كلّهن فى اوّل البلوغ [وَكَأْسًا دِهَاقًا] ممتلئة اومتتابعة [لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا] قرئ بتشديد الذّال بمعنى التّكذيب وبتخفيف الذّال بمعنى المكاذبة [جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ] لتشريفهم اصناف الجزاء ههنا الى الرّبّ [عَطَاءً حِسَابًا] كافياً اوعلى قدر اعمالهم [رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَٰنِ] قرئ ربّ السّماوات، والرّحمن بالجرّ والرّفع [لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا] منه حال من خطاباً او ظرف لغو متعلّق بلا يملكون اى لايملكون مخاطبته اولا يملكون من اذنه مخاطبةً ولا يقدرون ولا يؤذنون فيها [يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ] ظرف لواحد من الافعال السّابقة اولقوله : لا يتكلّمون ، والرّوح ههنا عبارة عن ربّ النّوع الانسانىّ الّذى هواعظم من جميع الملائكة ومقامه فوق مقام جميع الملائكة بل فوق عالم الامكان لم يكن مع احدٍ من الانبياء(ع) ، وكان مع محمّد(ص) و بعده مع اوصيائه (ع) ويعبّر عنه بروح القدس [وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا] فى صفّ اوحالكونهم مصطفّين [لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ] فى الدّنيا [صَوَابًا] اوقال عند الله صواباً [ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا] اى من شاء اتّخذ الى ربّه المضاف الى علىّ (ع) مآباً ، اومن شاء اتّخذ الى ربّه المطلق مآباً ، والمآب حينئذٍ هوالولاية واتّباع علىٍّ (ع) [إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ] جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: ان كان ذلك اليوم الحقّ فمافعلت بهم لاجل ذلك اليوم ؟- فقال: انّا انذرناكم [عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ] بدل من عذاباً نحو بدل الاشتمال اوحال من عذاباً [مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ] من خيرٍ اوشرٍّ وهو يوم الموت او يوم القيامة الكبرى [وَيَقُولُ الْكَافِرُ] بالولاية [يَا لَيْتَنِي] اى ياقوم ليتنى [كُنْتُ تُرَابًا] فى الدّنيا فلم يكن لى حشر و نشر وحساب وعقاب، اوليتنى كنت تراباً فى هذا اليوم فلم يكن لى حسابٌ ، اوليتنى كنت تراباً قابلاً لخلق الاشياء الأُخر منّى فانّ الكافر بسبب الفعليّات السّيّئة الحاصلة فيه لايكون قابلاً لفعليّاتٍ أُخر منه فيتمنّى ان يكون تراباً مستعدّاً لان يخلق فيه صور اخرى ، وقيل بعد مايحشر الخلائق فى صعيدٍ واحد و يقتصّ من الظّالم للمظلوم حتّى للجمّاء من القرناء يقول الرّبّ لغير الثّقلين : انّا خلقناكم وسخّرناكم لبنى آدم وكنتم مطيعين لهم ايّام حياتكم فارجعوا الى الّذى كنتم كونوا تراباً ، فاذاً التفت الكافر الى ماصار

تراباً يقول: ياليتني كنت على صورة شيءٍ منها وكنت اليوم تراباً، وقيل: المراد بالكافر ابليس اذا رأى كرامة آدم وولده وقد عابه على كونه من طينٍ يتمنّى ان يكون اصله تراباً، اوالمراد بالكافر الكافر بالولاية فانّه يتمنّى ان يكون من شيعة عليّ (ع) فانّه روى عن ابن عبّاس انّه سئل: لم كنّى رسول الله (ص) عليّاً (ع) ابا تراب؟ـ قال: لانّه صاحب الارض وحجّة الله على اهلها بعده وله بقاؤها واليه سكونها قال: ولقد سمعت رسول الله (ص) يقول: انّه اذا كان يوم القيامة ورأى الكافر ما اعدّ الله تبارك وتعالى لشيعة عليٍّ (ع) من الثّواب والزّلفى والكرامة قال: ياليتني كنت تراباً اى من شيعة عليّ (ع) وذلك قول الله عزّوجلّ: ويقول الكافر ياليتني كنت تراباً.

سورة النّازعات

ستّ واربعون آيةً، مكّيّ كلّها

بسم الله الرّحمن الرّحيم

[وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا] اقسم تعالى شأنه بالنّفوس المشتاقة الى اوطانها الحقيقيّة من نزع نزوعاً اشتاق، او بالنّفوس المرتدعة عن النّفس وعلائقها من قولهم: نزع من الامر انتهى، الّتي تغرق في الاهتمام بالسّير الى الله، او في بحار حبّه، اوفي بحار صفاته، اوفي بحر الاحديّة [وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا] اى النّفوس النّاشطات الطّيّبات في السّير الى الله، اوالنّاشطات في الخروج من دار النّفس، اوالخارجات من دار النّفس الى دار القلب، اوالمراد بالنّازعات ملائكة العذاب تنزع ارواح الكفّار، وبالنّاشطات ملائكة الرّحمة تخرج ارواح المؤمنين برفقٍ، اوالمراد بالنّازعات النّجوم تنزع من مطالعها وتغرق في مغاربها، والنّاشطات النّجوم الّتي تخرج من برجٍ الى برجٍ، اوالمراد بالنّازعات القسيّ تنزع بالسّهم، والمراد بالنّاشطات الخيل السمينة في الجهاد، اوالمراد بالنّازعات النّفوس المشتاقة الى الله، وبالنّاشطات النّفوس المسرعة في الخروج عندالموت [وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا] النّفوس السّابحة في بحار اوصافه تعالى، اوالجارية المسرعة الى الله، او الملائكة الّذين يسرعون في امر الله من غير تأمّلٍ وتوانٍ كالسّابح في الماء، او الملائكة الّذين يسبحون ارواح المؤمنين يسلّونهاسلّاً رفيقاً ثمّ يدعونها حتّى تستريح كالسّابح بالشّيء في الماء، اوالملائكة الّذين ينزلون من السّماء الى الارض باسراعٍ كما يقال للفرس الجواد سابحٌ، اوالنّجوم الّتي تسبح في فلكها، اوخيل الغزاة تسبح في عدوها [فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا] الملائكة الّذين سبقوا ابن آدم بالخير، اوسبقوا الشّيطان في حفظ ابن آدم منه، اوسبقوا الشّيطان بالوحي الى الانبياء (ع)، اوالّذين سبقوا بأرواح المؤمنين الى الجنّة، اوالنّفوس البشريّة الّتي تسبق سائر النّفوس في الذّهاب الى الله اوالقرب منه، اوالّتي تسبق الملائكة في المرتبة، اوالّتي تسبق ملك الموت في الخروج الى الله شوقاً اليه، اوالنّجوم الّتي يسبق بعضها بعضاً في السّير، اوخيل الغزاة يسبق بعضها بعضاً [فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا] اى الملائكة المدبّرة امر اهل الارض، او الرّؤساء من الغزاة يدبّرون امر الجنود والجهاد، اوالنّفوس الكاملة الرّاجعة من السّير الى الله في السّير الى العباد لتكميلهم، او النّفوس السّالكة المدبّرة امر السّير الى الله دون المجذوب ةاليه من غير سلوكٍ، اوالنّجوم المدبّرة امر العالم، وعطف الاخيرين بالفاء للاشعار بشرافة الصّفّتين اوالصّنفين، وجواب القسم محذوف بقرينة الاتي كأنّه قال: لتبعثنّ [يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ] ظرف للمدبّرات

امراً، اولمحذوف هوجواب القسم اى لتبعثنّ يوم ترجف الرّاجفة ، اولقوله تعالى: تتبعهاالرّادفة ، اولقوله تعالى : واجفة ، و يكون يومئذ تأكيداً له اولاذكر اوذكّر مقدّراً و رجف بمعنى حرّك وتحرّك واضطرب شديداً ، و رجفت الارض زلزلت، والمراد بالرّاجفةالنّفخة الاولى [تَتْبَعُهَاالرَّادِفَةُ] اى النّفخة الثّانية و الجملة استيناف جوابٌ لسؤال مقدّرسواء جعل يوم ترجف الرّاجفة متعلّقاً به ، اولم يجعل اوحال [قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ واجِفَةٌ] مضطربة [اَبْصارُها] اى ابصارالقلوب [خاشِعَةٌ] وفى اضافة الابصار الى القلوب اشعار بانّ ابصار الابدان تصير فى ذلك اليوم متعطّلة [يَقُولُونَ] جوابٌ لسؤال مقدّركأنّه قيل : ما يقولون فى حقّ هذا اليوم ؟ ـ فقال : ينكرونها ويقولون [اَئِنّا لَمَرْدُودُونَ فِى الْحافِرَةِ] اى فى اوّل حالنا يعنى فى الحياة الثّانية المشابهة للحياة الاولى ، و الحافرة الخلقة الاولى ، والعود فى الشّيء حتّى يردّ آخره على اوّله [ءَاِذا كُنّا عِظاماً نَخِرَةً] بالية متفتّتة [قالُوا تِلْكَ] الكرّة [اِذاً كَرَّةٌ خاسِرَةٌ] يعنى خاسر اهلها يعنى قالوا ذلك على سبيل الاستهزاء ، اوعلى سبيل الفرض و الشّكّ [فَاِنَّما هِيَ] اى الكرّة او الرّجعة [زَجْرَةٌ واحِدَةٌ] اى صيحة واحدة لانّ الزّاجر للشّيء فى الاغلب يكون زجرة بصياحة وللاشارة الى سهولتها عليه تعالى وسرعة خروجهم من القبور بالصّيحة اطلق الصّيحة الى الرّجعة ووصفها بالواحدة [فَاِذاهُمْ] من القبور [بِالسّاهِرَةِ] اى على وجه الارض، وقيل: السّاهرة موضع بالشّام [هَلْ اَتيكَ حَديثُ مُوسى] جوابٌ لسؤال مقدّركأنّه قال: ما افعل بهؤلاء المنكرين المكذّبين ؟ـ وما تفعل انت بهم ؟ ـ فقال : افعل بهم ما فعل موسى (ع) بفرعون وقومه ، ونفعل بهم مافعلنا بفرعون وقومه، فلاتكن فى ضيق ممّا يمكرون فانّ لك عليهم سلطاناً كما لموسى (ع) على قوم فرعون [اِذْناديهُ رَبُّهُ بِالْوادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً اِذْهَبْ] حال بتقدير القول او مستأنف جوابٌ لسؤال مقدّر بتقدير القول [اِلى فِرْعَوْنَ اِنَّهُ طَغى فَقُلْ هَلْ لَكَ] ميل [اِلى اَنْ تَزَكّى] اى تتطهّر ممّا انت فيه من الشّرك والذّنوب او تتنعّم ، او تنمو فيما انت فيه من العزّ والسّلطنة ، وهذا تعليم لموسى(ع) كيف يتكلّم له بالقول اللّيّن [وَ أَهْدِيَكَ اِلى رَبِّكَ فَتَخْشى] فحصل لك مقام الخشية الّتى هى للعالم بالله [فَأَريهُ] اى فأتاه و دعاه بالملاينة معه فأريه [الْأيَةَ الْكُبْرى] الّتى هى الثّعبان او اليد البيضاء [فَكَذَّبَ وَعَصى] فى حضوره [ثُمَّ أَدْبَرَ] عنه طلباً لمايكسر به آيته ظنّاً منه انّ آيته سحر [يَسْعى] يجهد فى طلب مايكسر به حجّته، او يسعى فى الافساد فى الارض [فَحَشَرَ] قومه وجنوده واهل مملكته [فَنادى فَقالَ اَنَا رَبُّكُمُ الْاَعْلى] عطف على نادى عطف التّفصيل على الاجمال وكان مقصوده من هذا التّمويه على العوامّ وانكار ان يكون فوقه ربّ سواه ، وقيل : كان مقصوده انّ الاصنام اربابٌ لكم و انا ربّكم و ربّ الاصنام [فَأَخَذَهُ اللهُ نَكالَ الْاخِرَةِ وَالْأُولى] نكال مفعول مطلق من غير لفظ الفعل ، اومنصوب بنزع الخافض اى اخذه الله بنقمة لائقة لكلمته الآخرة الّتى هى قوله : أنا ربّكم الاعلى، والاولى الّتى هى قوله : ماعلمت لكم من آله غيرى فانّ الكبرياء والانانيّة كانت رداءه تعالى فمن نازعه فى ردائه اخذه اخذاً شديداً ، وكان بين الكلمتين كما عن ابى جعفر(ع) اربعون سنة [اِنَّ فى ذلِكَ لَعِبْرَةً] واتّعاظاً [لِمَنْ يَخْشى] الله تعالى بالغيب وكان فى مقام العلم وقد خرج من مقام الظّنّ الّذى كان لاصحاب النّفوس ولم يصل الى مقام الشّهود [ءَاَنْتُمْ اَشَدُّ خَلْقاً] عظماً واتقاناً وادامةً [اَمِ السَّماءُ] يعنى انّ

خلقكم ابتداءً اضعف من خلق السّماء وقد خلقكم وخلق السّماء فكيف يكون عاجزاً عن خلقكم ثانياً [بَنٰاهٰا] جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ اوحال [رَفَعَ سَمْكَهٰا] اى جهتها المرتفعة [فَسَوّٰيهٰا] اى اتمّها بجميع ما فيها و جميع ما فيه مصالح العباد [وَاَغْطَشَ لَيْلَهٰا] اى جعل ليلها مظلماً [وَاَخْرَجَ] من اللّيل او اظهر [ضُحٰيهٰا] و نسبة اللّيل والضّحى الى السّماء لكونها مبدأهما وهذه الجمل تفصيل لسوّيها فانّ تتميمها يكون بماذكر بعدها [وَالْاَرْضَ بَعْدَ ذٰلِكَ دَحٰيهٰا] اى بعد بناء السّماء و رفع سمكها واظلام ليلها واخراج ضحيها، ودحوالارض عبارة عن بسطها.

اعلم، انّه لاتقدّم لسماء العالم الكبير على ارضها، وما ورد فى الآيات والاخبار مشعراً بتقدّم خلق الارض على السّماء اوتقدّم السّماء على الارض فمؤوّل لانّه ليس بين الارض والسّماء عليّة لعدم جواز العليّة بين الاجسام كما قرّر فى محلّه ولذلك قيل : المراد بقوله تعالى بعد ذلك مع ذلك اى الارض مع بناء السّماء دحاها فليكن المراد بدحوالارض بسطها بتوليد مواليدها، فانّ مرتبة المواليد فى الخلقة بعد مرتبة العناصر والسّماوات، اوليكن بعد بمعنى مع كماقيل، اوليكن المقصود من الارض والسّماء مافى العالم الصّغير فانّ سماءه بوجهٍ مقدّمة على ارضه و بوجهٍ مؤخّرة [اَخْرَجَ مِنْهٰا مٰاءَهٰا وَمَرْعٰيهٰا وَالْجِبٰالَ اَرْسٰيهٰا] اى اثبتها فى اوساط الارض لتوليد المعادن فيها وانبات النّبات والاشجار الّتى لاتنبت الّا فيها وسهولة اجراء المياه من تحتها والعيون على سفحها [مَتٰاعاً لَكُمْ وَلِاَنْعٰامِكُمْ] اى حال كونها اشياء تتمتّعون بهافى معاشكم اولتمتّعكم وتمتّع انعامكم فقوله متاعاً حال اومنصوب بنزع الخافض وليس مفعولاً له لعدم اتّحادمرفوعه مع مرفوع عامله، اوهومفعول مطلق لفعلٍ محذوفٍ [فَاِذٰا جٰاءَتِ الطّٰامَّةُ الْكُبْرٰى] يعنى اذاكان خلق السّماء اشدّ من خلقكم ابتداء، وخلقكم ثانياً اسهل من خلقكم ابتداءً فلا مانع من خلقكم ثانياً و قد اخبركم به فهومحقّق لامحاله فاذا جاءت القيامة، سمّيت بالطّامّة لانّ الطّامة الدّاهية الّتى تغلب ماسواها والقيامة داهية تغلب جميع الدّواهى [يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْاِنْسٰانُ مٰا سَعٰى] اى ما عمله فانّ يوم القيامة يوم الذّكر و دار الآخرة دار الذّكر فيتذكّر الانسان فيها جميع ماعمله بمعنى انّه يرى آثاره على نفسه ويشاهدها و يشاهد جزاءها [وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرٰى] اى لمن يراها اى لمن كان من شأنه رؤيتها فانّ منهم من لايراها اصلاً و ليس من شأنه رؤيتها [فَاَمّٰا مَنْ طَغٰى] طغى يطغو من باب نصر وطغى يطغى من باب منع خرج من الطّاعة [وَاٰثَرَ الْحَيٰوةَ الدُّنْيٰا] على الحياة الآخرة [فَاِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوٰى] اى مأواه [وَاَمّٰا مَنْ خٰافَ مَقٰامَ رَبِّهِ] عن مقامه عند ربّه او قيام ربّه للحساب، اومحلّ قيام ربّه للحساب، اوتمكّن ربّه وقدرته عندالحساب [وَنَهَى النَّفْسَ] اى نفسه [عَنِ الْهَوٰى] اى هواها [فَاِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوٰى يَسْئَلُونَكَ عَنِ السّٰاعَةِ] جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ كانّه قيل بعد ما سجّل عليهم قيام السّاعة: ما يقولون فيها ؟ - فقال : يسألونك عن وقتها، او استفهام بتقدير حرف الاستفهام [اَيّٰانَ مُرْسٰيهٰا] اى متى يكون ثباتها [فِيمَ اَنْتَ مِنْ ذِكْرٰيهٰا] تفخيم لامرها ونفى لعلمه (ص) بها تأكيداً فى اخفائها [اِلٰى رَبِّكَ مُنْتَهٰيهٰا] يعنى انّ السّاعة منتهاها الرّبّ فان كنت تقدر على معرفة الرّبّ تقدر على معرفتها، او المعنى الى ربّك المضاف و ظهوره منتهى وقت السّاعة يعنى انّ السّاعة اى وقت القيام عندالله من اوّل الموت الى ظهور ربّك عليك، وحين ظهور الرّبّ يكون تمام القيام عندالله سواء كان الموت اختيارياً اواضطرارياً و لذلك فسّرت

السّاعة تارةً بظهور القائم (ع) وتارةً بالقيامة وتارةً بالرّجعة وتارةً بالموت، فانّ الكلّ بعد طىّ البرازخ اختياراً او اضطراراً ينتهى الى علىٍّ (ع) فانّ آيات الخلق اليه وحسابهم عليه و رجوعهم اليه (ع) وهو قيامتهم وهو رجعتهم سواء جعل المراد بالرّجعة الرّجعة الى الصّحو بعد المحو، اوالى القوى والجنود بعد الفناء عنها، اوالرّجعة الى الآخرة وهو ظاهر ، او الرّجعة الى الدّنيا فانّه بعد رجوعهم الى امامهم كان اوّل رجعتهم الى الدّنيا والى المراتب الدّانية الّتى كانوا مدبرين معرضين عنها، و بعد ما نفى علمه بالسّاعة حصر شأنه فى الانذار تأكيداً لنفى علمه بالسّاعة فقال [إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشٰيهٰا] يعنى محصور شأنك فى انذار من كان عالماً بها و باهوالها لاينفع انذارك لغيرهم ولا شأن لك سوى ذلك الانذار [كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهٰا لَمْ يَلْبَثُوا اِلَّا عَشِيَّةً اَوْ ضُحٰيهٰا] وهذا جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: فما كان حالهم فى السّاعة؟ـ فقال: كانوا حين يرونها كأنّهم لم يلبثوا فى السّاعة الّا آخر النّهار اواوّله حتّى اخرجوا الى النّار، اوكأنّهم لم يلبثوا فى الدّنيا لصغر الدّنيا فى اعينهم اولشدّة اهوالهم الّا ساعة من النّهار .

سورة عبس

مكّيّة كلّها، ثنتان واربعون اواحدى واربعون آيةً .

بسم الله الرّحمن الرّحيم

[عَبَسَ وَتَوَلّٰى] قيل: نزلت الآية فى عبدالله بن امّ مكتوم كان اعمى وذلك انّه جاء الى رسول الله (ص) وعنده جمع من صناديد قريش يدعوهم الى الاسلام وفى روايةٍ كان عنده عتبة بن ربيعة وابوجهل والعبّاس و أبىّ وامّية ابنا خلف يدعوهم الى الله و يرجوا سلامهم فقال: يارسول الله (ص) اقرأنى وعلّمنى ممّا علّمك الله فجعل يناديه و يكرّر النّداء ولايدرى انّه مشتغل بغيره، فظهرت الكراهة فى وجه رسول الله (ص) و يقول فى نفسه : يقول هؤلاء الصّناديد انّما اتباعه العميان والعبيد فأعرض عنه و أقبل على القوم وكان رسول الله (ص) بعد ذلك يكرمه ويقول : مرحباً بمن عاتبنى فيه ربّى ، و روى عن الصّادق (ع) : انّ المراد كان رجلاً من بنى اميّة كان عند النّبىّ (ص) فجاء ابن امّ مكتوم فلمّا رآه تقذّر[1] منه وجمع نفسه واعرض عنه فحكى الله سبحانه ذلك وأنكره عليه، وعن القمّىّ انّها فى عثمان وابن امّ مكتومٍ وكان مؤذّناً لرسول الله (ص) وجاء الى رسول الله (ص) فقدّمه رسول الله (ص) على عثمان فعبس عثمان وجهه وتولّى عنه [اَنْ جٰاءَهُ الْاَعْمٰى وَمٰا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكّٰى] يتطهّر او يصلح فى اعماله كمال الصّلاح او ينمو فى دينه و ايمانه [اَوْ يَذَّكَّرُ] اى يتذكّر ان لم يكن يتزكّى [فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرٰى] حتّى يسلم بعد او ينتفع بها حين موته [اَمّٰا مَنِ اسْتَغْنٰى] فى ماله اواستغنى عن الاسلام [فَاَنْتَ لَهُ تَصَدّٰى] تتعرّض [وَ مٰا عَلَيْكَ اَلّٰا يَزَّكّٰى] ولا بأس عليك فى ان لايتطهّر ذلك الغنىّ او ايّ شيءٍ يرد عليك فى ان لايتزكّى ، او ليس عدم تزكيته و بالاً عليك ، وقال القمّىّ: المعنى لاتبالى ازكيّاً كان اوغير زكىٍّ اذا كان غنيّاً [وَاَمّٰا مَنْ جٰاءَكَ يَسْعٰى] فى طلب الدّين وازدياد ايمانه [وَهُوَ يَخْشٰى] ربّه بالغيب [فَاَنْتَ عَنْهُ تَلَهّٰى] وقد استبعد بعض العلماء كون الآيات فى رسول الله (ص) لبعد مقامه عن العبوس والتّولّى عن الاعمى، وعلوّ رتبته عن ان يصير معاتباً بمثل هذا العتاب، **اقول:** لو كانت الآيات فيه (ص) والعتاب له لم يكن فيه نقص لشأنه ولم يكن منافياً لما قاله تعالى فى حقّه من قوله: انّك لعلى خلقٍ عظيمٍ فانّ اقباله (ص)

---

(١) اى تنفّر .

و اذباره وعبوسه واستبشاره كان لله فانّ عبوسه ان كان لمنع الاعمى عن نشر دين الله و استماع كلماته لاعداء الله و اعداء دينه و تقريبهم الى دينه لم يكن فيه نقص فيه وفى خلقه ، وامّا امثال العتاب له (ص) فانّها تدلّ على تفخيمه والاعتداد به فانّ كلّها كانت باياك اعنى واسمعي ياجارة فالخطاب والعتاب يكون لغيره لا له، وكذا زريه[1] تعالى له (ص) بالعبوس والتّولّى يكون متوجّهاً الى غيره فى الحقيقة [كَلَّا] ردع له عن مثله [إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ] اى القرآن ، و تأنيث الضّمير لمطابقة المسند اوالرّسالة تذكرة فليس لك ان تكون حريصاً على قبولهم اوولاية علىّ (ع) تذكرة [فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ] اى القرآن او شأن الرّسالة اوالولاية [فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ] حال اوخبر بعد خبره، و يجوز ان يكون ظرفاً لغواً متعلّقاً بقوله تعالى ذكره ، والمراد بالصّحف المكرّمة الالواح العالية، اوالاقلام العالية، الّتى هى العقول الطّوليّة اوالعرضيّة اوصحف قلوب الانبياء (ع) ونفوسهم [مَرْفُوعَةٍ] عن نيل الايدى النّاقصة [مُطَهَّرَةٍ] عن نقائص المادّة و سوءاتها [بِأَيْدِي سَفَرَةٍ] جمع السّافر بمعنى الكاتب، اوالمراد الملائكة الّذين كانوا سفراء بينه و بين انبيائه (ع) [كِرَامٍ بَرَرَةٍ] بارّين الى الانبياء (ع) ، او الى الخلائق ، اومحسنين فى انفسهم مطيعين لامر ربّهم [قُتِلَ الْإِنْسَانُ] دعاء على الانسان المطلق بسبب شأنه الّذى اودعه الله فيه من كفران النّعمة ، اوالكفر بالله ، اوالرّسول (ص) او الولاية ، وجوابٌ لسؤال مقدّر كأنّه قيل: ما حال الانسان مع ما جعلته تذكرة من القرآن اوشأن الرّسالة اوالولاية ؟ ـ فقال : قتل الانسان [مَا أَكْفَرَهُ] يعنى حاله شدّة الكفران اوالكفر، والصّيغة للتّعجّب اومركّبة من لفظة ما الاستفهاميّة والفعل الماضى من باب الافعال ، و يجوزان يكون المقصود من قوله ما اكفره ما اكفره بعلىّ (ع) [مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ] جوابٌ لسؤال مقدّر كأنّه قيل: هل له ما يدلّه على الآلهة اوالرّسالة او الولاية اوالبعث؟ـ فقال: من اىّ شيء خلقه حتّى يعلم انّ ذلك حقّ فالاستفهام للتّقرير [مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ] يعنى خلقه من نطفة ضعيفة الوجود لاتحفظ صورته بنفسه آنين قذرة منتنة ادلّ دليل على المبدء و الرّسالة والولاية والبعث [فَقَدَّرَهُ] بحسب اعضائه و اجزائه و مقدار طوله وعرضه قدراً يليق بشأنه و بتمشّى منه الافعال المترقّبة منه بسهولة [ثُمَّ السَّبِيلَ] اى سبيل الخروج من بطن امّه ، او سبيل السّلوك لطلب معيشة ، اوسبيل السّلوك الى الله وطلب معاده، اوسبيل السّلوك من الدّنيا الى الآخرة بالموت الاضطرارىّ [يَسَّرَهُ ثُمَّ أَمَاتَهُ] عن صورة وفعليّة ينبغى ان تطرح [فَأَقْبَرَهُ] فى صورة اخرى الى ان اماته عن جميع الصّور بالموت الاختيارىّ اوالاضطرارىّ فأقبره فى القبر التّرابىّ وفى الصّور البرزخيّة والمثاليّة [ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ] من قبره [كَلَّا] ردع للانسان عن ترقّب رؤية ما ذكره من النّشر [لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ] اى لمّا يقض ذلك الانسان ما امره الله من اخلاص العبادة و اتمام العبوديّة حتّى يشاهد ما يتمنّى شهوده من النّشر و الحساب والعقاب ، اولمّا يقض الانسان ما امره الله تعالى به من الاوامر الشّرعيّة القالبيّة حتّى يشاهد آثار الالهة او الرّسالة او الولاية ، اويشاهد نشر العباد وحسابهم من طريق باطنه ، اولمّا يقض الله ما امره وقدّره من حشر الخلائق ونشرهم وحسابهم و ثوابهم وعقابهم حتّى يشاهدوا ما نقول من نشر الخلائق [فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ] الى الاسباب و المسبّبات و يشاهد كيفيّة ترقّيها و ترتّبها ووصولها الى غاياتها ومسبّباتها حتّى يعلم بعلم اليقين انّ لها آلهاً وانّ له رسولاً واماماً ، وانّ الانسان ينتهى فى تقلّباته الى ان خرج من قشره وقالبه ، ووصل الى لبّه وقلبه ، والى حسابه و ربّه فلينظر من جملة الاسباب والمسبّبات [إِلَىٰ طَعَامِهِ] الصّورىّ والمعنوىّ [أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ] من السّحب [صَبًّا] عجيباً يكون بقدر الحاجة وليس كثيراً بحيث يستضرّون به ولا فى غير وقت الحاجة [ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا] بانبات النّبات والاشجار [فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا]

---

(١) نسبة الله تعالى عيب العبوس والتّولى اليه (ص) .

نباتاً ذاحبّ [وَعِنَبًا] خصّه من بين الفواكه لكثرة منافعه [وَقَضْبًا] القضب جمع القضبة وهى ما اكل من النّبات المقتضب غضاً [وَزَيْتُونًا] شجر الزّيتون [وَنَخْلًا] تخصيصهما من بين الاشجار بالذّكر لكثرة منافعهما كالعنب [وَحَدَائِقَ غُلْبًا] جمع الغلباء الحديقة المتكاثفة [وَفَاكِهَةً] و سائر انواع الفواكه [وَأَبًّا] الكلأ والمرعى وما انبتت الارض [مَتَاعًا] هو بمعنى التّمتيع او بمعنى التّمتّع مفعول له اومنصوب بنزع الخافض اومفعول مطلق لمحذوف هو حال ، او بمعنى ما يتمتّع به فيكون حينئذٍ حالاً [لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ] فكيف نهملكم بعد ما بلّغناكم من ادنى مراتب وجودكم وهومقام كونكم نطفةً قذرةً الى اعلى مقاماتكم وهومقام روحانيّتكم ومشاركتكم للملائكة بل نبعثكم الى عالم اعلى من عالمكم [فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ] الصّخّ الضّرب بشيءٍ صلب على مصمت، والصّاخّة صيحة تصمّ الاسماع لشدّتها والقيامة والدّاهية ، والكلّ مناسب ههنا [يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ] يوم الموت او يوم القيامة الكبرى [وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ] تأكيد ليوم يفرّ المرء من اخيه وهو متعلّق بيغنيه او يوم يفرّ المرء من اخيه ظرف لجاءت او لمحذوفٍ اى اذكر و يومئذٍ متعلّق بيغنيه [شَأْنٌ يُغْنِيهِ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ] مشرقة [ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ] لما رأته ممّا اعدّ الله لها [وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ] الغبرة محرّكة الغبار [تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ] تغشيها كدرة وسواد من هول القيامة والقتر والقترة محرّكتين والقترة بالفتح والسّكون الغبار او التّلطخ بالغبار، وقيل: الغبرة ما انحطّ من السّماء الى الارض، والقتره ما ارتفعت من الارض الى السّماء، وهذا مناسب لتأدية اللّفظين بقوله: عليها غبرة ترهقها قترة [أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ] فى علومهم [الْفَجَرَةُ] فى اعمالهم فهم النّاقصون فى قوّتيهم العلّامة والعمّالة .

سورة التّكوير

مكّيّة كلّها، تسع وعشرون آيةً .

بسم الله الرّحمن الرّحيم

[إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ] التّكوير التّلفيف على التّدوير والصّرع ، كوّره صرعه ، وكوّر المتاع جمعه وشدّه ، والتّكوّر التّقطّر و التّشمّر و السّقوط ، و الكلّ مناسب ههنا ، و المراد بوقت تكوير الشّمس وقت الموت وظهور آثار الآخرة ، او وقت القيامة الكبرى [وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ] بذهاب ضوئها [وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ] باندكاكها وانتثارها او بسيرها فى الاصقاع فانّك ترى الجبال تحسبها جامدةً وهى تمرّ مرّ السّحاب بتجدّدها فى جوهرها، وهكذا حال جبال الانيّات [وَإِذَا الْعِشَارُ] جمع العشراء وهى النّاقة الّتى اتت عليها من حملها عشرة اشهرٍ، وتسمّى بهذا الاسم بعد وضعها وهى انفس مالٍ عند العرب [عُطِّلَتْ] واهملت بلا راعٍ [وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ] اى وحوش العالم الصّغير عند الموت و وحوش العالم الكبير فى القيامة [وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ] سجّر التّنوّر احماه ، والنّهر ملأه و الماء فى حلقه صبّه ، و المسجور البحر ، وتسجير الماء تفجيره ، فقيل : المعنى اذا البحار ارسل مالحها

على عذبها ، وعذبها على مالحها حتّى امتلأت، وقيل: فجّر بعضٌ فى بعضٍ فصارت البحور بحراً واحداً ، وقيل: اوقدت فصارت المياه نيراناً ، وقيل: يبست وذهب ماؤها فلم يبق فيها قطرة ، وقيل: ملأت من القيح والصّديد الّذى يسيل من ابدان اهل النّار فى النّار [وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ] كلّ مع سنخه من الاناسىّ والشّياطين ، اومع الملك والحور العين والجنّة والشّياطين ، اوكلّ مع بدنه المناسب له ، اوكلّ مع جزاء عمله فى الآخرة [وَإِذَا الْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ] المؤودة الجارية المدفونة حيّاً ، كانوا يدفنون البنات حيّاً خوفاً من لحوق العار ، كانوا يقولون: انّها يُسبين فيتزوّجن فى غير اهلهنّ ، اوخوفاً من العيلة، وقيل: كانت المرأة اذاحان وقت ولادتها حفرت حفرةً وقعدت على رأسها ، فان ولدت بنتاً رمت بها فى الحفرة [بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ] والمقصود انّه يسئل عن المؤودة نفسها او يسئل القاتلون عن حالها [وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ] اى صحف الاعمال نشرت للحساب والجزاء [وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ] ازيلت عن موضعها [وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ] اوقدت حتّى ازدادت شدّة على شدّةٍ [وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ] قربت من اهلها للدّخول فيها او قربت ليشاهدها المؤمنون فيزداد سرورهم [عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ] النّفس فى معنى الجنس الحاصل فى عموم الافراد مثل قولهم تمرةٌ خير من جرادةٍ ، وما استفهاميّة معلّق عنها الفعل اوموصولة ، اوالمراد بنفس فرد عظيم فى النّكارة لايمكن ان يعرّف وهو نفس الثّانى [فَلَا أُقْسِمُ] لا زائدة اوجوابيّة او نافية ، والمعنى لااقسم لعدم الحاجة الى القسم لوضوح المقسم عليه [بِالْخُنَّسِ] الخنّس الكواكب كلّها اوالسّيّارة ، اوالنّجوم الخمسة السّيّارة غير النّيّرين، وخنوسها عبارة عن غيبوبتها تحت الافق اوتحت ضوء الشّمس [الْجَوَارِ] السّيّارات كجريان السّفن فى البحار [الْكُنَّسِ] اى المتواريات فى البروج، وقيل: خنوسها اختفاءها بالنّهار تحت ضوء الشّمس، وكنوسها انّها تغيب فى الافق وقت غروبها [وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ] اى اذا ادبر اواقبل، فانّ العسعسة من الاضداد تستعمل فى الادبار والاقبال [وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ] شبّه امتداد الشّفق بتنفّس الانسان [إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ] اى القرآن ليس من عند نفس محمّدٍ(ص) بل هو قول جبرئيل او قرآن ولاية علىّ(ع)، او نصبه بالخلافة والولاية قول جبرئيل الّذى هو رسول من الله الى الانبياء(ع) وله الكرامة عندالله [ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ] فى الملائكة او فى جملة المخلوقات لانّه فى العالم الكبير بمنزلة النّفس الانسانيّة فى العالم الصّغير [ثَمَّ أَمِينٍ] على وحى الله ومدائن علمه ، و روى عن الصّادق(ع) فى قوله ذى قوّةٍ عند ذى العرش مكينٍ انّه قال يعنى جبرئيل قيل: قوله مطاعٍ ثمّ امينٍ قال يعنى رسول الله(ص) هو المطاع عند ربّه الامين يوم القيامة [وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ] عن الصّادق(ع) يعنى النّبىّ(ص) فى نصبه امير المؤمنين(ع) علماً للنّاس [وَلَقَدْ رَآهُ] اى رأى القرآن او قرآن ولاية علىٍّ(ع) اوجبرئيل او علياً(ع) [بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ] و هو افق عالم الغيب [وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ] اى بخيلٍ حتّى يكتمه ولايظهره عليكم، وقرئ بالظّاء المؤلّف بمعنى المتّهم من الظّنّة بالكسر بمعنى التّهمة ، وروى عن الصّادق(ع) انّه قال : وما هو تبارك وتعالى على نبيّه(ص) بغيبه بضنينٍ عليه [وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ] عن علىٍّ(ع) [إِنْ هُوَ] اى القرآن اوعلىّ(ع) [إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ] وعن الصّادق(ع) انّه قال: أين تذهبون فى علىٍّ ان هوالّاذكرٌ للعالمين لمن اخذالله ميثاقه على ولايته [لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ]

بدل من قوله للعالمين بدل البعض من الكلّ [أَنْ يَسْتَقِيمَ] فى طاعة علىّ (ع) والائمّة من بعده كما عن الصّادق (ع)، او يستقيم فى افعاله واقواله واحواله واخلاقه اى يتمكّن على الصّدق فيها [وَمَا تَشَاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ] روى عن الكاظم (ع) انّ الله جعل قلوب الائمّة مورداً لارادته فاذا اراد الله شيئاً شاؤه وهو قوله تعالى: وما تشاؤن الّا ان يشاء الله ربّ العالمين وقد مضى بيان هذه العبارة فى سورة الدّهر بطريق الاجمال.

سورة الانفطار

مكّيّة كلّها، تسع عشر آية.

بسم الله الرّحمن الرّحيم

[إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ] انشقّت مثل قوله تعالى: يوم تشقّق السّماء بالغمام [وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ] تفرّقت بالتّساقط عن محلّها [وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ] انفجر الماء وتفجّر سال، وفجره من الثّلاثىّ المجرّد وفجّره من التّفعيل اساله، والمراد سيلان البحار بعضها فى بعضها، او سيلان مائها بحيث لم يبق فيها ماءٌ [وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ] بعثر نظر وفتّش، وبعثر الشّيء فرّقه وقلّب بعضه على بعض واستخرجه وكشفه وأثار مافيه، وبعثر الحوض هدمه وجعل اسفله اعلاه، والمراد وقت الموت اووقت البعث [عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ] قد سبق هذه العبارة فى اوّل سورة التّكوير وقد سبق معنى التّقديم والتّأخير فى سورة القيامة عند قوله تعالى: ينبّؤا الانسان يومئذ بما قدّم وأخّر [يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ] التّوصيف بالكرم تهكّم به حيث يقول المغترّون به تعالى: انّ الله كريم فيقول تبارك وتعالى: انّ الله كريم لكنّك ماعملت مااستحققت به كرمه، اوالمنظور تلقينه حجّة غروره كأنّه قال: ماغرّك بربّك غير كرمه والمقصود انّك مافعلت فعلاً لائقا لكرمه حتّى يعمّك كرمه [الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ] بخلق جميع ما تحتاج اليه فى معاشك ومعادك [فَعَدَلَكَ] جعلك معتدلاً فى بدنك ونفسك لم يجعل قامتك طويلةً بحيث لايمكنك تحصيل مأكولها ومشروبها وملبوسها ومسكونها، ولاقصيرة بحيث لايتمشّى منها بعض الافعال المترقّبة منها، وجعل اعضاءك متوافقةً كلاً مع الآخر والكلّ مع البدن والنّفس [فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ] اىّ شرطيّة وما زائدة لتأكيد الابهام، وشاء فعل الشّرط وركّبك جزاء الشّرط، او اىّ شرطيّة وما شرطيّة بدل منها او فى اىّ صورة استفهام تفخيمىّ وماشاء ركّبك جملة شرطيّة، او اىّ استفهاميّة للتّفخيم وما زائدة لتأكيد الابهام والتّفخيم، وشاء صفة صورة بتقدير العائد وركّبك مستأنفة متعلّقة للظّرف والمراد بالصّورة المركوبة الصّورة البدنيّة من الحسن والقبيح، والطّويل والقصير، والذّكر والانثى، والابيض والاسود، اوالصّورة النّفسيّة والاخلاق الباطنيّة، اوالصّورة الّتى هى الفعليّة الاخيرة من الفعليّات العلويّة الملكوتيّة اوالسّفليّة الملكوتيّة [كَلَّا] ردع عن الاغترار بالكرم [بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ] اضراب عن الاغترار بكرمه وبيان لاغترارهم بأمانيّهم وتكذيبهم بالدّين اى الجزاء او ولاية علىّ (ع) او شريعة محمّد (ص) [وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ] حال

عن الدّين وقيد للّذين المكذّب به فيكون هو ايضاً مكذّباً به اوحال عن الفاعل وقيد للتّكذيب [كِرَامًا كَاتِبِينَ] [يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ] توصيفٌ للحافظين تفخيماً لامر الجزاء والحساب والعقاب فاذا كانوا يعلمون ما تفعلون فلاتجترؤا على معصية الله [إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ] جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: اذا كان علينا حافظون فما حالنا في الآخرة؟- فقال: انّ الابرار لفي نعيمٍ [وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ يَصْلَوْنَهَا] يتقاسون حرّها [يَوْمَ الدِّينِ] اى يوم الجزاء [وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ] يعنى انّهم حاضرون فيها فى هذه الدّنيا وان كانت هى غائبة عنهم فيها، اوالمعنى ماهم فى الآخرة عن الجحيم بغائبين حتّى يفوتونها، اوالمعنى ماهم عنها فى الآخرة غائبون زماناً ما بل يكونون ابداً فيها [وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ] تفخيم لشأن ذلك اليوم وانّه لايمكنك معرفته [ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ] تأكيد لذلك التّفخيم [يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا] قرئ برفع يوم لا تملك على انّه بدل من يوم الدّين او خبرٌ لمحذوفٍ اومبتدءٌ لمحذوفٍ [وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ] لاامر لاحدٍ لا فى نفس الامر ولا بحسب الظّنّ والتّخمين كما فى الدّنيا، اوالمعنى يظهر انّ الامر يومئذٍ لله.

سُورَةُ التَّطْفِيفِ

مكّيّة كلّها، وقيل: مدنيّة كلّها، وقيل: مدنيّة الّا ثمانى آياتٍ وهى: انّ الّذين اجرموا (الى آخر السّورة) وهى ستّ وثلاثون آيةً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ] الطّفيف القليل والنّاقص من الشّيء، والمطفّف كما فسّرته الآية هو الّذى يعطى اقلّ من الوزن او الكيل الّذى وقع البيع عليه ويأخذ بأكثر ممّا وقع البيع عليه، فانّه ايضاً تقليل فى الثّمن فالتّطفيف لايكون الّا فى المعاملات، والمعاملات تكون بين الشّخص وبين الله، او بينه وبين من فوقه فى الدّين مثل امامه واخوانه الّذين سبقوه بالايمان، او تكون بين الشّخص ومن تحت يده من اهله واولاده وخادمه وخادمته، او بينه وبين من كان مساوياً له فى الدّين اوفى الدّنيا كسائر المؤمنين من عشائره وغيرهم، او بينه وبين من كان ادون منه كسائر فرق المسلمين، وجميع انواع الكفّار، وايضاً تكون المعاملات امّا فى الاموال والاعراض الدّنيويّة او فى الافعال والآداب البدنيّة، او فى الاحوال والاغراض والاخلاق النّفسيّة، او فى العلوم والعقائد القلبيّة ولكلٍّ من العباد وسائر افراد الحيوان حقٌّ عليك لابدّ ان تؤدّيه وافياً ولك على كلّ حقٍّ لابدّ ان يؤدّوه وافياً، فان كنت لاتوفّى الحقّ الّذى عليك كنت مطفّفاً، وان كنت تطلب منهم اكثر من حقّك الّذى عليهم كنت مطفّفاً فانظر الى حالك مع ربّك ومع خلقه حتّى لاتكون مطفّفاً، **هيهات هيهات**! كيف نخرج من التّطفيف ونطلب من الله مالانقدر على اداء شكر عشرٍ من اعشار ما اعطاناه! ونطلب عن الخلق الثّناء على مالانفعل ونغضب ان ذمّونا على ما لنا من المعايب والنّقائص! فما لم نخرج من الانانيّات ولم نصر عبداً لله فانياً فيه لم نخرج من التّطفيف فلنطلب العفو من الله والمغفرة منه لتطفيفاتنا [الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ] بان اكتالوا اجناس النّاس لانفسهم [يَسْتَوْفُونَ] لم يقل او وزنوا لانّ المطفّف فى الكيل مطفّف

فى الميزان ، ولانّ اكثر المعاملات كانت بالمكيال مثل هذا الزّمان فى بعض البلدان [وَاِذٰا كٰالُوهُمْ] اى كالوا لهم من اجناسهم ، وامّا جعل الضّمير تأكيداً للمرفوع فبعيد لفظاً ومعنىً لعدم اثبات الالف فى الخطّ وعدم كون المقصود كالوا بانفسهم ولكون المقصود كالوا اجناسهم للنّاس بقرينة المقابلة [اَوْوَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ] فى الاتيان بالاكتيال والكيل فى القرينتين اشعار بتعمّلهم فى الكيل حين الاكتيال على النّاس والمسامحة فى الكيل حين الكيل للنّاس، قيل: لمّا قدم رسول الله (ص) المدينة كانوا من اخبث النّاس فى الكيل والوزن فانزل الله عزّ وجلّ : ويل للمطفّفين، فأحسنوا الكيل بعد ذلك ، وقيل : الصّلوة مكيال فمن وفى لله وفى الله له ، ومن طفّف فقد سمعتم ما قال الله فى المطفّفين [اَلٰا يَظُنُّ اُولٰئِكَ اَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ] استفهام للتّعجيب [يَوْمَ يَقُومُ النّٰاسُ لِرَبِّ الْعٰالَمِينَ كَلّٰا] ردع عن عدم ظنّ البعث [اِنَّ كِتٰابَ الْفُجّٰارِ لَفِي سِجِّينٍ] قدّم بيان احوال الفجّار لفى سجّين لانّ الكلام فيهم ولان يختم الآية بالابرار واحوالهم ، والسّجين الدّائم والشّديد وهو مبالغة فى السّجن فانّه عبارة عن الملكوت السّفلى الّتى هى دار الجنّة والشّياطين وفيها الجحيم ونيرانها وعقاربها وحيّاتها ، وهى والملكوت العليا مكتنفتان بالانسان ، فان كان اعماله من حيث انقياده تحت حكم العالم وتقليده له كان كلّما عمل منها حصل له منها صورة فى نفسه من حيث جهتها العليا وكان يكتب الكتبة اعماله فى الكتب الّتى هى من العالم العلوىّ ويعبّر عنه بالعلّيّين مبالغة فى العلوّ، وان لم يكن بتقليد العالم كان كلّما عمل من الاعمال حصل له منها صورة فى نفسه من حيث جهتها السّفلى وكان يكتب الكتبة اعماله فى الكتب الّتى هى من العالم السّفلى ويعبّر عنه بالسّجّين مبالغة فى السّجن فانّه اضيق سجن للنّفوس الانسانيّة ، ولمّا كان كلّ عالم كتاباً من الحقّ تعالى مرقوماً بصوره ونفوسه على صفحات موادّ ذلك العالم فسّر السّجّين بقوله كتاب [وَمٰا اَدْرٰيكَ مٰا سِجِّينٌ] تفخيم وتهويل لشأن ذلك العالم [كِتٰابٌ مَرْقُومٌ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ] من ذلك السّجن السّجّين [اَلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ وَمٰا يُكَذِّبُ بِهِ اِلّٰا كُلُّ مُعْتَدٍ] متجاوز عن الحقّ الّذى هو طريق القلب وهو طريق الولاية [اَثِيمٍ] بالغ فى الاثم فانّ يوم الدّين ان كان الانسان ناظراً الى وجوده واطوار وجوده كان مشهوداً له لم يكن له حاجة الى الآخرة وامّا المتجاوز عن طريق القلب التّابع لاهوية نفسه فهو اعمى من مشهوداته الّتى لاحاجة له الى تعمّل فى النّظر اليها، فكيف بما كان محتاجاً الى التّعمّل فى النّظر اليه! [اِذٰا تُتْلٰى عَلَيْهِ اٰيٰاتُنٰا] التّدوينيّة فى بيان الاحكام الشّرعيّة ، اوفى المواعظ والنّصائح ، او فى بيان آياتنا التّكوينيّة الحاصلة فى الآفاق او الانفس وخصوصاً الآيات العظمى الّذين هم الانبياء والاوصياء (ع) ، او فى بيان آيتنا العظمى الّذى هو علىّ (ع) وولايته [قٰالَ اَسٰاطِيرُ الْاَوَّلِينَ كَلّٰا] ردع له عن هذا القول [بَلْ رٰانَ عَلٰى قُلُوبِهِمْ] اى ليس آياتنا من الاساطير بل ران، والرّين الطّبع والدّنس، وران ذنبه على قلبه غلب [مٰا كٰانُوا يَكْسِبُونَ] فانّ ما كانوا يكسبون لم يكن الّا فعليّة جهة النّفس السّفلى وهى ختم لجهتها العليا وكدرة لها وسدّ لروزنتها الى الملكوت العليا ، وروى عن الباقر (ع) : مامن عبد مؤمن الّا وفى قلبه نكتة بيضاء فاذا اذنب ذنباً خرج فى تلك النّكتة نكتة سوداء، فان تاب ذهب ذلك السّواد وان تمارى فى الذّنوب زاد ذلك السّواد حتّى يغطّى البياض، فاذا غطّى البياض لم يرجع صاحبه الى خير ابداً وهو قول الله عزّ وجلّ : بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون [كَلّٰا] ردع لهم عن توقّع الخير وشهود جماله تعالى فى الآخرة [اِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ثُمَّ اِنَّهُمْ لَصٰالُوا الْجَحِيمِ ثُمَّ يُقٰالُ هٰذَا الَّذِى كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ] عن الكاظم (ع) قال يعنى اميرالمؤمنين (ع) قيل: تنزيل؟ـ قال: نعم، وعلى

هذاالمعنى انّهم عن علىّ (ع) لمحجوبون ثمّ يقال: هذا علىّ (ع) الّذى كنتم به تكذّبون [كَلّا اِنَّ كِتابَ الْاَبْرارِ لَفى عِلِّيّينَ] قد مضى بيانه عند قوله كتاب الفجّار لفى سجّين [وَما اَدْريكَ ما عِلِّيُّونَ كِتابٌ مَرْقُومٌ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ] من الملائكة فانّ عالم المثال العلوىّ مشهود لجميع الملائكة المقرّبين، اومن الانبياء والمرسلين (ع) والاولياء المقرّبين فانّهم بانظارهم الملكوتيّة يشهدون اعمال الخلائق وصحائف اعمالهم [اِنَّ الْاَبْرارَ لَفى نَعيمٍ] جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ [عَلَى الْاَرائِكِ] جمع الاريكة السّرير فى حجلة وكلّ ما يتّكأ عليه من سريرٍ ومنصّة وفراشٍ اوسرير منجدٌ مزيّن فى قبّة او بيت [يَنْظُرُونَ تَعْرِفُ فى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعيمِ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحيقٍ] الرّحيق الخمر او اطيبها اوافضلها اوالخالص اوالصّافى، وضرب من الطّيب [مَخْتُومٍ] مطبوع بحيث لا يمسّه يد غير يد ساقيه [خِتامُهُ] اى الطّين الّذى يختم به [مِسْكٌ وَفى ذلِكَ فَلْيَتَنافَسِ الْمُتَنافِسُونَ] اى فليرغب الرّاغبون اوفليتنازع المتنازعون لافى مثل مهويّات الانفس الفانيات الزّائلات المستعقبات للحسرة والنّدامة [وَمِزاجُهُ مِنْ تَسْنيمٍ] علم لعين فى الجنّة من ارفع عيون الجنّة، اوشرابها من اعلى اقسام شراب الجنّة، اوتأتى اهل الجنّة من فوقهم ولذلك سمّيت بتسنيمٍ [عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا] اى منها [الْمُقَرَّبُونَ] خالصة يعنى انّ المقرّبين يشربون منها خالصة غير ممزوجة وامّا غير المقرّبين فيشربون منها ممزوجةً، اوهو كناية عن كون الابرار كلّهم مقرّبين [اِنَّ الَّذينَ اَجْرَمُوا كانُوا مِنَ الَّذينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ] جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ [وَاِذا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغامَزُونَ] اي يشير بعضهم الى بعضٍ بالاعين والحواجب استهزاءً، ورد من طريق العامّة والخاصّة: انّ الآية نزلت فى علىّ (ع) ومنافقى قريشٍ [وَاِذَا انْقَلَبُوا اِلى اَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهينَ] الفكه المتلذّذ باغتياب النّاس واعراضهم وبالسّخريّة منهم [وَاِذا رَاَوْهُمْ قالُوا اِنَّ هؤُلاءِ لَضالُّونَ] حيث رأوهم غير متنعّمين فى الدّنيا ثابتين على ماهم عليه من ولاية علىّ (ع) مع كمال الضّيق ورثاثة الحال [وَما اُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حافِظينَ] لاعمالهم اوحافظين لهم عن الضّلال حتّى ينكروا عليهم ما رأوه منهم مخالفاً لما هم عليه [فَالْيَوْمَ] اى يوم القيامة سواء جعل الّلام للعهد الحضورىّ فانّ يوم القيامة مشهودٌ لله وللرّسول المخاطب (ص)، اوللعهد الذّهنىّ اوللعهد الذّكرىّ فانّه مذكور بالالتزام عند قوله: انّ الابرار لفى نعيمٍ [اَلَّذينَ آمَنُوا] يعنى عليّاً (ع) واتباعه على ما سبق من تفسير الآيات [مِنَ الْكُفّارِ يَضْحَكُونَ] قيل انّه يفتح للكفّار بابٌ الى الجنّة ويقال لهم: اخرجوا اليها فاذا وصلوا اليها اغلق دونهم، يفعل ذلك بهم مراراً فيضحك منهم المؤمنون، وقيل: يضحكون لمّا رأوا الكفّار فى العذاب وانفسهم فى النّعيم، ويجوز ان يقال: انّ المؤمنين فى الجنّة مسرورون من قبل الكافرين، لانّهم كانوا فى الدّنيا يصبرون على اذاهم واستهزائهم فصار ذلك سبباً لتنعّمهم فى الجنّة وسرورهم فيها لا انّهم ينظرون اليهم ويتعجّبون من عذابهم ويضحكون منه لانّ ذلك يستلزم الحقد وتشفّى النّفس، والمؤمنون مطهّرون منهما فى الجنّة [عَلَى الْاَرائِكِ يَنْظُرُونَ] تكرار لسابقه وهو ممدوحٌ فى مقام المدح [هَلْ ثُوِّبَ الْكُفّارُ ما كانُوا يَفْعَلُونَ] يعنى هل جوزىَ الكفّار عين ما كانوا يفعلون، على تجسّم الاعمال، اوجزاء ما كانوا يفعلون، والجملة حاليّة اومستأنفة جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ بتقدير القول اى على الارائك ينظرون حال كونهم يقال لهم: هل ثوّب الكفّار ما كانوا يفعلون، اومستأنفة منقطعة عن سابقها من دون كونها جواباً لسؤال

مقدّرٍ بل تكون ابتداء خطاب مع محمّدٍ (ص) كأنّه قال بعد ما ذكر جزاءهم: هل يثوّب الكفّار ماكانوا يفعلون ؟ والاتيان بالماضي لتحقّق وقوعه، اولانّ محمّداً (ص) كان مجازاة اهل النّار في النّار واهل الجنّة في الجنّة مشهودةً له واقعة بالنّسبة اليه ، و يجوزان تكون متعلّقة بينظرون معلّقاً عنها العامل، يعني على الارائك ينظرون الى الكفّار هل جوّزوا ماكانوا يفعلون ام لا ؟

سُورَةُ الْانْشِقَاقِ

مكّيّة كلّها، ثلاث وعشرون آيةً .

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

[إِذَا السَّمٰاءُ انْشَقَّتْ] اعلم انّ الانسان حين الموت ينشقّ سماء روحه الحيوانيّة بخروج الرّوح الانسانيّة منها وتنتثر كواكب قواه وتنكدر وتتناثر وتندكّ جبال اعضائه وجبال انيّاته ، وتنبسط ارض بدنه واعضائه، وتخرج جميع القوى الانسانيّة والحيوانيّة الّتي هي اثقالها وتتخلّى منها ، ولمّا كان العالم الصّغير انموذجاً من الكبير كان كلّما وقع فيه وقع في الكبير ايضاً فيظهر انشقاق سماء العالم الكبير و انكدار كواكبها و انتثارها و اندكاك الجبال و غير ذلك [وَاَذِنَتْ لِرَبِّهٰا] اى سمعت وانقادت [وَحُقَّتْ] بالاستماع والانقياد لانّها مفطورة على ذلك حقّ لك ان تفعل كذا وحققت ان تفعل كذا، مبنيّاً للفاعل ومبنيّاً للمفعول بمعنىً فانّه لازم ومتعدٍّ اى حقّت بان تنقاد [وَاِذَا الْاَرْضُ مُدَّتْ] اى بسطت بخروج ما به جمعها وقبضها من الرّوح الانسانيّة و باندكاك جبال العالم الكبير و تسطيح آكامها و تلالها و وهادها [وَاَلْقَتْ مٰافِيهٰا] من القوى الموجودة المشهودة والمكمونة في الكبير و الصّغير [وَتَخَلَّتْ] من جميعها فانّ المتّصل بالملكوت يرى الملك خالياً من جميع مايراه المحجوب في الارض الصّغيرة والكبيرة [وَاَذِنَتْ لِرَبِّهٰا] في ذلك [وَحُقَّتْ] وجواب اذا محذوف اى يلقى الانسان ربّه اوعمله [يٰا اَيُّهَا الْاِنْسٰانُ] اتى بالنّداء ههنا تنبيهاً للانسان عن غفلته فانّ الكدح محسوس له ومشهود ان لم يكن غافلاً والجملة مع النّداء جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: هل ينتهي بالانسان الى ماذكر؟ـ فقال: انت غافل عن نفسك وحركاتها فتنبّه حتّى تعلم [اِنَّكَ كٰادِحٌ] اى ساعٍ بالجهد والجدّ [اِلٰى رَبِّكَ] او انّك كادحٌ بالجدّ الى انشقاق السّماء و تخلّي الارض ذاهبٌ الى ربّك مجاوزاً عن ذلك [كَدْحاً فَمُلاٰقِيهِ فَاَمّٰا مَنْ اُوتِيَ] تفصيل لكيفيّة ملاقاته [كِتٰابَهُ بِيَمِينِهِ] بان يكون فعليّته فعليّة آلهيّة و يكون نفسه وقواها و بدنه ومافيه بتصرّف فعليّته الآلهيّة فانّه يعبّر عن فعليّته الالهيّة الاخيرة باليمنى [فَسَوْفَ يُحٰاسَبُ حِسٰاباً يَسِيراً] لفظة سوف للتّأكيد او للتّسويف فانّ مقام المحاسبة بعد مقام ايتاء الكتاب فانّ اوّل ايتاء الكتاب يكون في الدّنيا ثمّ عند الموت ثمّ في البرازخ ثمّ في الاعراف والقيامة [وَيَنْقَلِبُ اِلٰى اَهْلِهِ] اى الى من ينبغي ان يكون اهلاً له [مَسْرُوراً وَاَمّٰا مَنْ اُوتِيَ كِتٰابَهُ وَرٰاءَ ظَهْرِهِ] بيده الّتي هي فعليّته الشّيطانيّة او الحيوانيّة السّبعيّة اوالبهيميّة فانّه قد يعبّر عن تلك الفعليّة بخلف الانسان و ورائه لانّها خلف الانسانيّة فانّ الانسانيّة هي اللّطيفة المقبلة على الله المدبرة عن الشّيطنة والحيوانيّة وقد يعبّر عنها بالشّمال كما يعبّر عن فعليّته الالهيّة باليمين

[فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا] بقوله: ياثبوراه ، ياهلاكاه ائت فانّه قد حضر وقتك [وَيَصْلٰى] اى يدخل [سَعِيرًا] يتقاسى حرّها [اِنَّهُ كانَ فِي اَهْلِهِ مَسْرُورًا] فى الدّنيا من غير غمٍّ لآخرته ومن غير حزنٍ على العمل لاجلها [اِنَّهُ ظَنَّ اَنْ لَنْ يَحُورَ] هذه وسابقتها جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ فى مقام التّعليل يعنى كان مسروراً لانّه كان يظنّ ان لايرجع الى الله اوالى الآخرة [بَلٰى] ردّ له عن اعتقادعدم الرّجوع اى بلى يرجع [اِنَّ رَبَّهُ كانَ بِهِ بَصِيرًا] جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ فى مقام التّعليل او فى مقام بيان حالهم ، او بيانٌ و تفصيلٌ للاجمال المستفاد من بلى [فَلا اُقْسِمُ بِالشَّفَقِ] قد مضى بيانٌ للا اقسم ، والشّفق الحمرة فى الافق من الغروب الى العشاء الآخرة، اوالمراد به النّور يّة الباقية من النّفس لانسانيّة بعدغروبها فى البدن،اوفى المرتبة الحيوانيّة [وَاللَّيْلِ وَما وَسَقَ] اى ما جمع فانّ النّهار كان سبباً للنّشور واللّيل للجمع والسّكون ، وكذلك ليل بدن الانسان يجمع المتضادّات و يؤلّف المتخالفات [وَالْقَمَرِ اِذَا اتَّسَقَ] انتظم وتكامل فى نوره ، وهكذا قمر القلب اذا تكامل [لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ] اى مرتبةً مجاوزةً عن مرتبةٍ اى بعد مرتبةٍ من مراتب الآخرة يعنى انتم فى ركوب المراتب الاخرويّة فى الدّنيا ولكنّكم غافلون منه ، اوحالاً بعد حالٍ لورود الاحوال المختلفة عليكم ، او لتركبنّ سنن من كان قبلكم مطابقين لهم بعد جمعٍ آخر مطابقين لهم، او بعد حالٍ اخرى مطابقةٍ لحالهم كما فى كثيرٍ من الاخبار ، و فى بعضها : لتسلكنّ سبيل من كان قبلكم من الامم فى الغدر فى الاوصياء بعد الانبياء(ع) وفى بعضها ، اولم تركب هذه الامّة بعد نبيّها(ص) طبقاً عن طبق فى امر المنافقين ، و الطّبق محرّكة غطاء كلّ شيءٍ ومن كلّ شيءٍ ما ساواه ، ومن النّاس والجراد الكثير او الجماعة منهم، و بمعنى الحال ، [فَما لَهُمْ] اى اىّ نفع لهم؟ او اىّ مانعٍ لهم؟ او اىّ حالٍ لهم؟ ألهم الجنون ؟ اوالعقل ؟ [لا يُؤْمِنُونَ] جملة حاليّة او مستأنفة جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ فى مقام التّعليل ، او فى مقام بيان حالهم ، او لفظة ما نافية و المعنى فليس لهم شيءٌ من المنافع ، او ليس لهم مانع ، وجملة لا يؤمنون مثل السّابق والمراد بعدم الايمان عدم الايمان بالله او بالرّسالة او بالولاية [وَاِذا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لا يَسْجُدُونَ] لايخضعون لله، روى انّ النّبىّ (ص) قرأ ذات يوم و اسجد و اقترب،فسجد هو ومن معه من المؤمنين، وقريش تصفق فوق رؤسهم وتصفر فنزلت [بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ وَاللهُ اَعْلَمُ بِما يُوعُونَ] اى بما يضمرون فى قلوبهم او بما يجمعون فى نفوسهم من نتائج اعمالهم [فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ اَلِيمٍ اِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا] استثناءٌ منقطع اومتّصل والمعنى الّا الّذين آمنوا بعد منهم فيكون الماضى بعد الموصول بمعنى المضارع [وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ لَهُمْ اَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ] اى غير مقطوعٍ اوغير ممنونٍ به عليهم .

سورة البروج

مكّيّة، اثنتان وعشرون آيةً .

بسم الله الرّحمن الرّحيم

[وَالسَّماءِ ذاتِ الْبُرُوجِ] الاثنى عشر ، او المراد سماء روح الانسان الّتى هى ذات مراتب و درجاتٍ

[وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ] الّذى هوالقيامة الكبرى للرّوح الانسانيّة الّتى لاتكونا ّلا بالفناء التّام ّ [وَشَاهِدٍوَمَشْهُودٍ] نكّرهما للاشعار بان ّ الشّاهد لمقام الاحديّة لا يمكن معرفته، والمشهود الّذى هومقام الاحديّة ايضاً لا يعرف وقدفسّر الشّاهد بيوم الجمعة و المشهود بيوم عرفة ، او بيوم القيامة ، و فسّر الشّاهد بمحمّدٍ (ص) والمشهود بيوم القيامة وفسّرا بالنّبىّ (ص) واميرالمؤمنين (ع) ، و بالملك و يوم القيامة ، و بنبىّ كل ّ زمانٍ وامّته ، و بمحمّدٍ (ص) وجميع الخلق، و بهذه الامّة وسائر الامم، و باعضاء بنى آدم وانفسهم، و بالحجر الاسود والحجّاج، و بالايّام و بنى آدم، و بالانبياء ومحمّدٍ (ص)، و بالله ولا اله ا ّلا الله، و بالخلق والحق ّ [قُتِلَ اَصْحَابُ الْأُخْدُودِ] جواب للقسم اوجملة دعائيّة معترضة بين القسم وجوابه اوخبريّة معترضة واخبارعن حال الكفّار الّذين احرقوا المؤمنين اواخبارعن حال المؤمنين الّذين اُحرقوا فى الاخدود .

ذكرحكاية اصحاب الاخدود

وذكرحكاية اصحاب الاخدود فى روايات الخاصّة والعامّة باختلاف؛ فانّه روى عن رسول الله (ص) انّه كان ملك وكان له ساحر فلمّا مرض السّاحر قال: ادفع الى ّ غلاماً اعلّمه السّحر، فدفع اليه غلاماً وكان بينه و بين السّاحر راهب فمر ّ الغلام بالرّاهب فافتتن به فبينما هوكذلك قدحبس النّاس حيّة، فقال: اليوم اعلم امرالسّاحر والرّاهب فأخذ حجراً فقال: اللّهم ّ ان كان امرالرّاهب احب ّ اليك فاقتل هذه الحيّة فقتلها ومضى النّاس فأخبر بذلك الرّاهب، فقال: يابنى ّ انّك ستبتلى فلاتدل ّ على ّ، وجعل يداوى النّاس و يبرء الاكمه والابرص فعمى جليس الملك فاتاه وحمل اليه مالا ً كثيراً فقال: اشفنى و لك ماهينا ، فقال: ان ّ الله يشفى فان امنت بالله دعوت الله فآمن فدعا الله فشفاه ، فجلس الى الملك فقال: من شفاك ؟- قال: ربّى ، قال : انا ؟- قال : لا ، ربّى و ربّك الله ، فأخذه ولم يزل به حتّى دلّه على الغلام ، فأخذه فلم يزل به حتّى دلّه على الرّاهب ، فوضع المنشار عليه فنشره شقّين و قال للغلام : ارجع عن دينك ، فأبى ، فأمر ان يصعدوا به الى جبل كذا فان رجع و ا ّلا يد هدهوه ، ففعل به ، فلمّا صعدوا به الجبل قال: اللّهم ّ اكفنيهم ، فكفاه الله واهلكهم ، فرجع الى الملك و قال : كفانيهم الله، فقال : اذهبوا به فأغرقوه فى البحر، فكفاه الله تعالى واغرقهم، فجاء الى الملك وقال: كفانيهم الله ، وقال: انّك لست بقاتلى حتّى تفعل بى ما آمرك، اجمع النّاس ثم ّ اصلبنى على جذعٍ ثم ّ خذ سهماً من كنانتى ثم ّ ضعه على كبد القوس ، ثم ّ قل: باسم رب ّ الغلام فانّك ستقتلنى ، ففعل به ما قال فوقع السّهم فى صدغه و مات ، فقال النّاس : آمنّا برب ّ الغلام ، فقيل له : أرأيت ماكنت تخاف قد نزل بك : آمن النّاس برب ّ الغلام فأمر بالاخدود فخدّت على افواه السّكك ثم ّ اضرمها ناراً فقال: من رجع عن دينه فدعوه، ومن ابى فأقحموه فيها ، وجاءت امرأة بابنٍ لها فقال لها يا امّه اصبرى فانّك على الحق ّ، فلمّا رأى النّاس ذلك اشتد ّ ثبات المؤمنين وشوق سائر النّاس الى دين الغلام . ونسب الى اميرالمؤمنين (ع) ان ّ ملكاً سكر فوقع على ابنته اوقال على اخته ، فلمّا افاق قال لها: كيف المخرج ممّا وقعت فيه ؟- قالت: تجمع اهل مملكتك وتخبرهم انّك ترى نكاح البنات وتأمرهم ان يحلّوه، فجمعهم فأخبرهم، فأبوا ان يتابعوه فخد ّ لهم اخدوداً فى الارض واوقد فيه النّيران وعرضهم عليها، فمن أبى قذفه فى النّار ومن اجاب خلّى سبيله، ونسب الى اميرالمؤمنين (ع) ان ّ الله بعث رجلا ً حبشيّاً نبيّاً فكذّبوه قومه فقاتلهم فقتلوا اصحابه واسروه ثم ّ بنوا له حيّزاً ثم ّ ملاؤه ناراً ثم ّ جمعوا النّاس وقالوا : من كان على ديننا وامرنا فليعتزل ، و من كان على دين هؤلاء فليرم نفسه فى النّار معه ، فجعل اصحابه يتهافتون فى النّار فجاءت امرأة ومعها صبى ّ ابن شهرٍ فتكلّم الصّبى ّ كماسبق، و روى عن على ّ (ع) ايضاً : ان ّ اصحاب الاخدود كانوا عشرة وعلى مثالهم عشرة يقتلون فى هذا السّوق يعنى سوق الكوفة ، وقيل ان ّ يوسف بن ذى نواس الحميرى ّ سمع ان ّ بنجران اليمن جمعاً على دين عيسى (ع) فسار اليهم وحملهم على التّهوّد فأبوا فخد ّ لهم فى الارض و اوقد وعرضهم عليها، فمن رجع عن دين عيسى سلم ومن لم يرجع كان يلقى فى النّار، واذاً امرأة جاءت مع ابنٍ لها فتكلّم الصّبى ّ

كما سبق ، واصحاب الاخدودعلى التأويل من دخل فى اخاديد الطّبع وابتلى بنار شهوات النّفس وغضباتها واهلكت عن الفطرة الانسانيّة [اَلنّارِ] بدل من الاخدود بدل الاشتمال [ذاتِ الْوَقُودِ] التّوصيف بذات الوقود اشارة الى كثرة الحطب وادامة ايقادها [اِذْهُمْ] اى الملك واصحابه [عَلَيْها قُعُودٌ] قيل: كانوا على كراسيّ حول النّار ويعذّبون المؤمنين [وَهُمْ عَلى ما يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ] حاضرون على تعذيبهم [وَما نَقَمُوا مِنْهُمْ] اى ما كافؤا منهم او ما انكروا اوما كرهوا [اِلّا اَنْ يُؤْمِنُوا بِاللهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ] وقد مضى نظير الآية فى سورة المائدة والتّوبة [الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمواتِ وَالْاَرْضِ] اى مملكة السّماوات والارض اوملكهما الّذى يكون فى الانظار مستقلاً بالوجود ومتأبّياً عن المملوكيّة فكيف بملكوتهما [وَاللهُ عَلى كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ] فضلاً عن مالكيّته وشهوده على كلّ شيء نحو شهود النّفس على صورها الادراكيّة فيكون مالكيّته ايضاً نحو مالكيّة النّفس لصورها الذّهنيّة [اِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ] بالايذاء من غير استحقاق او بالايذاء مطلقاً [ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذابُ جَهَنَّمَ] اعاذنا الله منه [وَلَهُمْ عَذابُ الْحَرِيقِ] الحريق اسم للاحتراق بمعنى انّ لهم عذاباً مسبّباً عن الاحتراق ، اوعذاباً هو الاحتراق والمقصود انّ لهم فى جهنّم عذاب الحيّات و العقارب و الحميم و الزّقّوم ، ولهم عذاب الاحتراق ، او المراد بالّذين فتنوا المؤمنين و المؤمنات اصحاب الاخدود والمراد بعذاب الحريق احتراقهم بنار الاخدود، فانّه كما نقل بعد ما القوا المؤمنين فى النّار كان المؤمنون يدخلون الجنّة من غير احساس الم النّار و انقلبت النّار على الكفّار فأحرقتهم [اِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ] جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ عن حال المؤمنين [لَهُمْ جَنّاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهارُ] قد مضى بيان جريان الانهار من تحت الجنّات فى آخر سورة آل عمران عند قوله فالّذين هاجروا واخرجوا [ذلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ اِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ] يا محمّد(ص) اومن يتأتّى منه الخطاب [لَشَدِيدٌ] الجملة فى مقام التّعليل لعذاب الكافرين ونعيم المؤمنين ، والاتيان بالبطش والحكم عليه بالشّدّة اشعار بشدّة العذاب فانّ البطش هو الاخذ بالعنف والسّطوة [اِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ] تعليل لشدّة بطشه فانّ البطش ممّن بيده اعادة الشّيء وابداؤه يكون شديداً بالنّسبة اليه [وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ] لاغفور الّا هو ، ولاودود الّا هو، فيكون مغفرته و وداده بالنّسبة الى مستحقّيهما فوق ما يتصوّر، جمع بين القهر و اللّطف و الوعيد والوعد كما هو ديدنه وديدن خلفائه [ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ] قرئ بالرّفع و بالجرّ ، والعرش جميع ما سواه فله العظمة و المالكيّة لجميع ما سواه فله اعطاء ما يريد [فَعّالٌ لِما يُرِيدُ] من غير مانعٍ وعجزٍ وقد مضى فى سورة البقرة عند قوله: ولكنّ الله يفعل ما يريد بيانٌ تامٌ لقوله: فعّال لما يريد [هَلْ اَتيكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ] استفهام للتّقرير وجوابٌ لسؤالٍ مقدّر كأنّه قيل: هل على وعده و وعيده دليل ممّا مضى ؟ـ فقال: الدّليل على ذلك حكايات الجنود الّذين تجنّدوا على انبيائهم فيما سلف وقد سمعت حكاياتهم وما فعل بالكفّار منهم وما اكرم به المؤمنين منهم [فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ] اطلق اسم الرّئيس على الجماعة مجازاً او قدّر جنود فرعون و ثمود يعنى قد سمعت ذلك فانظر ماذا فعل بالكفّار منهم و ماذا فعل بالمؤمنين حتّى تكون على يقينٍ بوعيده و وعده [بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِى تَكْذِيبٍ] يعنى ليسوا لم يسمعوا حكايات الجنود بل لاشأن لهم سوى شأن التّكذيب، ومن كان كذلك لورأوا جميع مافعل بالكفّار الماضين والمؤمنين ما اقرّوا ولاصدّقوا لعدم شأنٍ لهم سوى التّكذيب، لانّهم محجوبون عن دار العلم و التّصديق و لذلك يكذّبونك و يكذّبون كتابك

[وَاللّٰهُ مِنْ وَرٰائِهِمْ مُحِيطٌ] اى من خلفهم فانّهم ناكسون رؤسهم ومدبرون عن الله ولمّا كان احاطة الله من ورائهم لم يكونوا يشاهدونه و يشاهدون احاطته، ولمّا استفيد من قوله بل الّذين كفروا فى تكذيب تكذيبهم لمحمّد (ص) و رسالته وكتابه قال: ليس تكذيبهم لك ولكتابك عن برهان وفى محلّه لانّ كتابك ليس بكاذب [بَلْ هُوَ قُرْآنٌ] مجموعٌ فى بساطته ووحدته [مَجِيدٌ] ذو مجد وشأن [فِى لَوْحٍ مَحْفُوظٍ] عن ايدى المحجوبين، اوعن التّغيّر والتّبدّل، اوعن مسيس الشّياطين، اوعن اختلاق المختلقين، وقرئ محفوظٌ بالرّفع والجرّ والمعنى واحدٌ والمراد باللّوح المحفوظ النّفوس الكلّيّة او العقول الكلّيّة فانّها بوجه كتب والواحٌ اوصدور الرّاسخين فى العلم من صدر محمّد (ص) واوصيائه (ع)، وهذا اللّوح هو امّ الكتاب ومنه نسخ جميع الكتب.

سُورَةُ الطّٰارِقِ

سبع عشرة آيةً، مكّيّةٌ.

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

[وَالسَّمٰاءِ وَالطّٰارِقِ] اقسم بالسّماء و بالكواكب او بكوكب الصّبح وعظّم شأن الكوكب فقال: [وَمٰا أَدْرٰيكَ مَا الطّٰارِقُ] واجاب بعد تفخيمه بالاستفهام التّعجيبىّ فقال [النَّجْمُ الثّٰاقِبُ] اى المضيء اوالثّاقب للأفلاك بضوئه، روى عن الصّادق (ع) انّه قال لرجل من اهل اليمن: ما زحل عندكم فى النّجوم؟- فقال: اليمانىّ نجم نحس، فقال (ع): لاتقولنّ هذا فانّه نجم امير المؤمنين (ع) وهو نجم الاوصياء (ع) و هو النّجم الثّاقب الّذى فى كتابه فقال له اليمانىّ: فمايعنى بالثّاقب؟- قال: لانّ مطلعه فى السّماء السّابعة وانّه ثقب بضوئه حتّى اضاء فى السّماء الدّنيا، فمن ثمّ سمّاه الله النّجم الثّاقب [إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمّٰا عَلَيْهٰا حٰافِظٌ] قرئ لما بالتّخفيف فان مخفّفة من الثّقيلة و اللّام فارقة و ما مزيدة، وقرئ لمّا بالتّشديد فان نافية ولمّا استثنائيّة و يحتمل وجوه اخر ضعيفة ممّا مضى فى سورة هود فى بيان قوله تعالى: وان كلّا لمّا ليوفّينّهم ربّك اعمالهم فلينظر اى اذا كان على كلّ نفس حافظ من الله يحفظ عليه اعماله [فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسٰانُ مِمَّ خُلِقَ] اى فلينظر الى مادّته و انّها كانت اضعف موجود واخسّه حتّى يعلم انّ له خالقاً قادراً عليماً حكيماً، و يعلم انّ خالقه يقدر على اعادته فيعمل لحال اعادته [خُلِقَ مِنْ مٰاءٍ دٰافِقٍ] دفق الماء صبّه بقوّة فالدّافق بمعنى المدفوق، اوالمعنى ماء دافع بقوّة الرّطوبات البلّيّة البدنيّة بالتّبخير والتّعريق، وقيل: استعمل دفق الماء لازماً فيكون الدّافق بمعنى المنصبّ بقوّة [يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرٰائِبِ] الصّلب بالضّمّ و الصّلب بالتّحريك العظم الّذى من لدن الكاهل الى العجب، و التّرائب عظام الصّدر او ما ولى التّرقوتين منه، او ما بين الثّديين والتّرقوتين، او اربع اضلاع من يمنة الصّدر واربع من يسرته، او اليدان والرّجلان والعينان، اوموضع القلادة.

اعلم، انّ التّحقيق كما عليه معظم الحكماء انّ النّطفة فضلة الهضم الرّابع وهى تفضل فى جميع البدن وتنزل الى البيضتين فهى تخرج من جميع اجزاء البدن لا اختصاص لها بالصّلب والتّرائب، لكن لمّا كان الكليتان ادخل فى

اصلاح النّطفة فى الرّجل والثّديان فى المرأة قال يخرج من بين صلب الرّجل و بين ترائب المرأة، اوالمقصود انّ النّطفة تخرج من اجواف الرّجل والمرأة وهى محلّ كثافات البدن ، اوالمنظور انّ الصّلب والتّرائب فى الرّجل والمرأة ادخل فى اصلاح النّطفة فكأنّه تخرج النّطفة من بين صلب الرّجل ومن بين ترائبه ، و من بين صلب المرأة و من بين ترائبها [اِنَّهُ عَلٰى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ] جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: اذا كان خلقه من ماءٍ ضعيفٍ قذرٍ فهل يقدر على رجوعه؟- فقال: انّه على رجعه لقادر [يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ] اى تختبر كلّ سريرةٍ هل هى خالصة اومغشوشة ؟ والمراد بالسّرائر امّا الاعمال القالبيّة فانّها سرائر من حيث الخلوص والشّوب ، ومن حيث المبادى والغايات ، اوالفعليّات الحاصلة للنّفس منها ، اوالنّيّات ، اومكمونات النّفوس الّتى لايعلمها صاحبوا النّفوس ، والظّرف متعلّق بقادر دون رجعه للفصل بينه و بينه بالاجنبىّ، اومتعلّق بمحذوفٍ بقرينة قوله [فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ] يعنى لم يكن له فى ذلك اليوم قوّة يدفع بها عن نفسه العذاب ، ولا ناصر ينصره من بأس الله [وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ] اى ذات الرّجوع الى وصفه الاوّل فانّها ليست فى وضعٍ الّا وترجع اليه فى ثانى الحال، اوذات المطر، اوذات الشّمس والقمر والنّجوم فانّها فى الرّجع دائماً او ذات الخير الدّائم فانّها ترجع به على الاتّصال على اهل العالم [وَالْاَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ] بالنّبات والاشجار [اِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ] اى القرآن اوامر الرّسالة اوامر الولاية اوالرّسول (ص) اوعلىّ (ع) قولٌ فاصلٌ بين الحقّ والباطل، اوالمحقّ والمبطل، اوالقول بالبعث والجزاء قولٌ مقطوع به [وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ] اى هوجدّ وليس مزاحاً [اِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا] عظيماً و الجملة جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل : فما يفعل هؤلاء بالنّسبة الى هذا القول ؟- [وَاَكِيدُ كَيْدًا] عظيماً فاذا كنت اكيد كيداً عظيماً بهم [فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ] وضع الظّاهر موضع المضمر لتفضيحهم [اَمْهِلْهُمْ] تأكيد لمهّل ، والاتيان بمهّل وتأكيده بأمهل للاشعار بتعمّله (ص) فى امهالهم [رُوَيْدًا] مفعولٌ مطلقٌ نوعىّ من غير لفظ الفعل والمعنى امهلهم امهالاً يسيراً.

سورة الاعلى

مكّيّة، وقيل: مدنيّة ، تسع عشرة آيةً .



[سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْاَعْلَى] الاعلى صفة للاسم اولربّك ، والرّبّ تطلق على النّفس الانسانيّة الّتى تربّى البدن ، وعلى العقل الّذى يربّى النّفس والبدن ، وعلى ولىّ الامر الّذى يربّى النّاس بحسب الظّاهر اوالباطن، وهوالرّبّ فى الولاية ، وعلى ربّ الارباب وليس المراد باسم الرّبّ اسمه اللّفظىّ بل اسمه العينىّ واسماؤه العينيّة ذات مراتب من مراتب اللّطيفة الانسانيّة ومراتب الانبياء والاوصياء (ع) ، ومن مراتب العقول والنّفوس وسائر الموجودات واعلى اسمائه الاسم الجامع الّذى يعبّر عنه بالمشيّة، واعلى اربابه المطلق هو ربّ الارباب، واعلى اربابه المضاف سائر مراتب اربابه ، وقد سبق مكرّراً انّ المراد بالتّسبيح سواء كان متعلّقاً بالله او بالرّبّ او باسم الرّبّ تنزيه اللّطيفة الانسانيّة عن التّدنّس بالادناس الحيوانيّة والشّيطانيّة فانّها ربٌّ بوجهٍ ومظهر لله فكانت هى الله بوجهٍ واسماً لله وللرّبّ بوجهٍ [الَّذِى خَلَقَ] صفة للرّبّ اولاسم الرّبّ فانّ اسماءه العينيّة وسائط خلقه وخالقون باذنه [فَسَوّٰى] فجعل

جميع اعضائه و اجزائه على ماينبغى [وَالَّذى قَدَّرَ] لكل شيء كمالاً خاصاً و غاية مخصوصة [فَهَدىٰ] اى هداه الى ذلك الكمال وتلك الغاية هداية تكوينيّة فى جميع الاشياء وهداية اختياريّة تكليفيّة فى الانسان و بنى الجانّ [وَالَّذى اَخْرَجَ الْمَرْعىٰ] فى العالم الكبير والصّغير يعنى بعد ما هدى الاشياء الى كمالاتها وغاياتها هيّأ لها اسباب بلوغها الى ذلك باخراج المرعى اى الاشجار والنّباتات الّتى بها يتعيّش الانسان وسائر الحيوان واخراج جميع القوى والاهوية المكمونة فى الانسان [فَجَعَلَهُ غُثاءً] اى هشيماً كالغثاء الّذى تراه فوق السّيل، والغثاء كغراب القمش والزّبد والبالى من ورق الشّجر المخالط زبد السّيل [اَحْوىٰ] اسود لانّ الكلأ يسودّ اذا يبس فى الاغلب، وهذا تمثيل للحيوة الدّنيا واخراج القوى والمدارك و الاهوية و يبسها بالموت الاختيارىّ اوالاضطرارىّ ولذلك قال تعالى خطاباً لمحمّد(ص) ولمن يتأتّى منه الخطاب بعد ذكر جفاف المرعى [سَنُقْرِئُكَ] يعنى بعد جفاف مرعى القوى والمدارك بالموت الاختيارى البتّة نقرئك اوعن قريب نقرئك آيات الاحكام القالبيّة والحكم القلبيّة [فَلاتَنْسىٰ] بعده لانّ الباعث للنّسيان الخروج من دار الذّكر، وسبب الخروج من دار الذّكر ليس الّا القوى والمدارك ومشتهياتها، واذا جعلناها يابسة حواء لم يكن باعث للخروج من دار الذّكر فلم يكن نسيان [اِلّا ما شاءَ اللّٰهُ] استثناء مفرّغ من قوله سنقرئك، او من قوله فلا تنسى اى سنقرئك جميع مايمكن ان نقرئك الّا ماشاءالله اوفلاتنسى شيئاً منها الّا ماشاءالله فانّك بحسب بشريّتك ومرتبة منك واقع فى دار النّسيان فيقع منك نسيان ما بمشيّة الله [اِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَما يَخْفىٰ] جواب لسؤال مقدّر وتعليل لقوله: سبّح يعنى سبّح اسم ربّك بقولك المجهور و المخفىّ او بأعمالك الظّاهرة والباطنة لانّ الله يعلم الجهر والمخفىّ، اوجواب لسؤال مقدّر ناش عن قوله فلا تنسى الّا ماشاء الله كأنّه قيل: هل يعلم الله تذكّر العباد ونسيانهم؟ـ فقال: انّه يعلم المذكور الّذى كان ظاهراً على الخيال والمنسىّ الّذى كان مخفياً عنه، او يعلم مطلق الظّاهر والمخفىّ ومنهما المذكور والمنسىّ، اوجواب سؤال ناش من قوله: والّذى اخرج المرعى بناءً على تعميم المرعى للقوى والمدارك والاهوية الانسانيّة كأنّه قيل: هل يعلم الله مخفيّات الانسان ومكموناته حتّى يخرجها ؟ـ فقال: انّه يعلم الظّاهر من اقواله وافعاله واحواله واخلاقه والمخفىّ منها، ولكون هذا جواباً لسؤال مقدّر عدل عن التّكلّم الى الغيبة [وَنُيَسِّرُكَ] اى نليّنك ونسهّل حالتك [لِ] لجهة [الْيُسْرىٰ] وهى جهة الكثرات فانّك كنت منزجراً عن الكثرات فارّاً منها منقبضاً عنها، و بعد اخراج مرعى وجودك وجعله غثاء تأنس بالكثرات نحو انسك بالله فانّك تراها مظاهر لله تعالى فيسهل عليك التّوجّه اليها والمحادثة معها، وقيل فيه غير ذلك فاذا صرت ليّن الجانب بالنّسبة الى الكثرات [فَذَكِّرْ] الخلق بالله و باحكامه و بالمعاد وجنّته وناره لتكميلهم [اِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرىٰ] قيل: شرط للتّذكير يعنى ان لم تنفع فلا تذكّر، وهذا مناف لتعميم دعوته، وقيل: المعنى ان نفعت الذّكرى و ان لم تنفع، وقيل: ان بمعنى قد، وقيل: قال تعالى ذلك بعد ما عمّهم بالتّذكير و لزمت الحجّة، وقيل: استبعاد لنفعهم بالذّكرى [سَيَذَّكَّرُ] بالله وجنّته و ناره [مَنْ يَخْشىٰ] من كان فيه حالة العلم وحالة الخشية [وَيَتَجَنَّبُهَا الْاَشْقىٰ] اى اشقى الكفّار او اشقى العصاة فانّ للكفر والعصيان درجات، والاشقى منهم يبالغ فى اجتناب الذّكرى بخلاف غيره فانّه يسمع قليلا ويجتنب ولذلك قال [اَلَّذى يَصْلَى النّارَ الْكُبْرىٰ] فانّ غيره يصلى النّار الوسطى و الصّغرى [ثُمَّ لايَمُوتُ فيها] فيستريح [وَلايَحْيىٰ] حياة ينتفع بها فيتعيّش فيها [قَدْ اَفْلَحَ] جواب لسؤال

مقدّر [مَنْ تَزَكّٰى] اى تطهّر اونما ، اوادىّ زكوة ماله [وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ] اى اجرى على لسانه اسم ربّه المضاف وهو ربّه فى الولاية و هوالرّسول اوخليفته [فَصَلّٰى] عليه اى قال اللّهمّ صلّ عليه ، او قال صلوات الله عليه ، او تذكّر اسم ربّه المطلق اسمه النّقشىّ القلبىّ ، اواسمه المثالىّ الخيالىّ ، اواسمه العينىّ، فصلّى عليه اوصلّى الصّلوة الفريضة ، اوصلّى الصّلوة المطلقة ، اوتوجّه الى جهة الغيب واستكمل بذلك ، اوذكر اسم ربّه بالتّكبيرات الواردة قبل صلوة العيدين فصلّى صلوة العيدين ، اوذكر اسم ربّه فى التّكبيرة الافتتاحيّة فعقد صلوته بها ، اوذكر اسم ربّه بان جعل امامه نصب عينه فصلّى كما ورد وقت تكبيرة الاحرام: تذكّر رسول الله (ص) واجعل واحداً من الائمّة نصب عينك [بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيٰوةَ الدُّنْيٰا] يعنى لكنّكم لاتفعلون ذلك بل تؤثرون الحيوة الدّنيا و تدعون الفلاح و الصّلوة [وَالْاٰخِرَةُ خَيْرٌ] من الدّنيا يعنى على زعمكم انّ الدّنيا لها حسن او بحسب الواقع فانّ الدّنيا باعتبار انّها مزرعة الآخرة كان لها محاسن عديدة [وَأَبْقٰى إِنَّ هٰذٰا] اى فلاح من تزكّى و ذكر اسم ربّه فصلّى ، او كون الآخرة خيراً وأبقى [لَفِى الصُّحُفِ الْاُولٰى صُحُفِ إِبْرٰهِيمَ وَمُوسٰى] عن ابى ذرّ رحمه الله انّه سأل رسول الله (ص) كم انزل الله من كتاب ؟- قال: مائة كتاب واربعة كتب ، فأنزل الله على شيث خمسين صحيفةً ، وعلى ادريس ثلاثين صحيفةً ، وعلى ابراهيم عشرين صحيفةً ، فانزل التّوراة والانجيل والزّبور والفرقان، قال: قلت: يارسول الله (ص) وما كان صحف ابراهيم (ع)؟- قال: كانت امثالاً كلّها ، وكان فيها : ايّها الملك المبتلى المغرور انّى لم ابعثك لتجمع الدّنيا بعضها الى بعضٍ ولكنّى بعثتك لتردّ عنّى دعوة المظلوم فانّى لا اردّها وان كانت من كافرٍ، وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً ان يكون له ثلاث ساعاتٍ ، ساعة يناجى ربّه ، وساعة يحاسب فيها نفسه ،وساعة يتفكّر فيما صنع الله عزّوجلّ اليه، وساعة يخلو فيها بحظّ نفسه من الحلال فانّ هذه السّاعة عون لتلك السّاعات ، واستجمامٌ للقلوب وتوديع لها،وعلى العاقل ان يكون بصيراً بزمانه مقبلاً على شانه ، حافظاً للسانه ، فانّ من حسب كلامه من عمله قلّ كلامه الّا فيما يعنيه ، وعلى العاقل ان يكون طالباً لثلاثٍ ، مرمّةٍ لمعاش، وتزوّدٍ لمعادٍ، وتلذّذٍ فى غير محرّمٍ (الى ان قال) قلت: فهل فى ايدينا ممّا انزل الله عليك شيءٌ ممّا كان فى صحف ابراهيم (ع) وموسى (ع)؟ - قال : يا اباذرّ اقرء: قد افلح من تزكّى الى آخر السّورة .

سورة الغاشية

ستّ وعشرون آيةً مكّيّة كلّها



[هَلْ أَتٰيكَ حَدِيثُ الْغٰاشِيَةِ] الاستفهام للتّقرير و الخطاب له (ص) والمقصود تذكير غيره و الغاشية الدّاهية الّتى تعمّ افراد النّاس ، اوتعمّ جميع اعضاء الانسان واجزائه ، والمراد بها شدائد القيامة اونفس يوم القيامة او شدائد جهنّم [وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خٰاشِعَةٌ] ذليلة من العذاب [عٰامِلَةٌ نٰاصِبَةٌ] صفتان لوجوهٍ ، اوهما خبران بعد خبرٍ والمراد بالوجوه وجوه الابدان اواشراف النّاس ، والمعنى وجوه كانت فى الدّنيا عاملة اعمالاً يحسبون انّها حسنات لها وكانت ناصبةً فى اعمالها يومئذٍ خاشعة ذليلة لاينفعها عملها ونصبها فى عملها، لانّهم كانوا اصحاب آراءٍ واهواءٍ ،

او المعنى وجوه يومئذ خاشعة عاملة فى جهنّم فانّهم يكلّفون ارتقاء جبل من حديد، اوالمعنى عاملة فى الدّنيا ناصبة فى الآخرة [تَصْلىٰ نٰاراً حٰامِيَةً] فى غاية الحرارة بالنّسبة الى نار الدّنيا [تُسْقىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ] بالغة فى الحرارة غايتها [لَيْسَ لَهُمْ طَعٰامٌ إِلاّٰ مِنْ ضَرِيعٍ لاٰ يُسْمِنُ وَلاٰ يُغْنِي مِنْ جُوعٍ] والضّريع شيء فى جهنّم امرّ من الصّبر وانتن من الجيفة واحرّ من النّار، والضّريع فى اللّغة نوع من الشّوك يقال له الشّبرق وهو اخبث طعام وابشعه لا ترعاه دابّة، ونقل انّ الضّريع عرق اهل النّار وما يخرج من فروج الزّوانى، و عن النّبىّ (ص) عن جبرئيل: لو انّ قطرة من الضّريع قطرت فى شراب اهل الدّنيا لمات اهلها من نتنها، وقال القمّىّ: هم الّذين خالفوا دين الله و صلّوا و صاموا و نصبوا لامير المؤمنين (ع) عملوا ونصبوا فلا يقبل شيء منهم من افعالهم وتصلى وجوههم ناراً حامية، وفى رواية: كلّ من خالفكم وان تعبّد واجتهد فمنسوب الى هذه الآية: عاملة ناصبة (الآية) وفى حديث فى بيان قوله تعالى: هل أتاك حديث الغاشية يغشاهم القائم (ع) بالسّيف خاشعة قال: لا تطيق الامتناع، عاملة قال: عملت بغير ما انزل الله، ناصبة قال: نصبت غير ولاة امر الله، تصلى ناراً حامية قال: تصلى نار الحرب فى الدّنيا على عهد القائم (ع)، وفى الآخرة نار جهنّم، وفى رواية اخرى: الغاشية الّذين يغشون الامام لا يسمن و لا يغنى من جوع قال: لا ينفعهم الدّخول ولا يغنيهم القعود [وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نٰاعِمَةٌ] وهم اتباع امير المؤمنين (ع) [لِسَعْيِهٰا رٰاضِيَةٌ فِي جَنَّةٍ عٰالِيَةٍ لاٰ تَسْمَعُ فِيهٰا لاٰغِيَةً] اللّغو واللاّغية السّقط ومالا يعتدّ به من كلام وغيره، وكلمة لاغية فاحشة [فِيهٰا عَيْنٌ جٰارِيَةٌ] العين الجارية احسن وابهى، وماؤها اشهى من العين الواقفة، وليس جريان عيون الجنّة فى الاخاديد بل هى بارادة مالكها كلّما اراد اجراها على اىّ مكان شاء [فِيهٰا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ] قيل: انّها مرتفعة ما لم يجئ اهلها، فاذا جاؤا تواضعت لهم حتّى يجلسوا عليها، فاذا جلسوا ارتفعت كما كانت [وَأَكْوٰابٌ مَوْضُوعَةٌ] على حافّات العيون الجارية، والكوب قدمرّ انّه كوز لا عروة له ولا خرطوم [وَنَمٰارِقُ] جمع النّمرق والنّمرقة مثلّثة النّون الوسادة الصّغيرة [مَصْفُوفَةٌ] متّصلة بعضها ببعض على هيئة مجالس الملوك [وَزَرٰابِيُّ] جمع الزّربىّ بالكسر وقد يضمّ النّمارق والبسط اوكلّ ما بسط واتّكئ عليه [مَبْثُوثَةٌ] مبسوطة [أَفَلاٰ يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ] لمّا وصف الله تعالى الجنّة وما فيها كان ينبغى ان يشتاق النّفوس اليها و يسأل عمّا دلّ عليها وعلى بقاء النّفوس فيها، فقال تعالى جواباً عن هذا السّؤال: ينبغى ان ينظروا الى الابل وعجائب خلقتها، فانّ الله تعالى خلقها عظيمة الجثّة بحيث تحمل احمالاً ثقيلة، تبرك للحمل، وتنهض بالحمل، تتحمّل الجوع والعطش حتّى تقوى على قطع المفاوز البعيدة، منقادة للاطفال مع عظم جثّتها، طويلة العنق حتّى يتأتّى لها ان ترعى النّبات قائمة من غير حاجة الى البروك ترعى كلّما تنبت من الارض حتّى يتأتّى لها البقاء فى كلّ صقع من الارض [وَإِلَى السَّمٰاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ] وفى رفعتها توليد المواليد وتعيّشها و بقاؤها فانّ الكلّ منوط بتأثير الكواكب وتأثير اشعّتها، ولولا تلك الرّفعة لما اثّرت تلك التّأثيرات [وَإِلَى الْجِبٰالِ كَيْفَ نُصِبَتْ] و فى نصبها تهيّة اسباب معاشكم من توليد المعادن فيها، وتسفيح سفحها، وتكوّن المياه تحتها وسهولة جريان العيون والقنوات منها [وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ] وفى تسطيحها سهولة توليد المواليد وسهولة تعيّشكم [فَذَكِّرْ] يعنى اذا كان حال الكفّار كذا وحال المؤمنين كذا والادلّة على ذلك كثيرة فذكّر المؤمنين ترغيباً فيما اعدّ الله لهم والكافرين تحذيراً ممّا يبتلون به بسوء اعمالهم [إِنَّمٰا أَنْتَ مُذَكِّرٌ] يعنى شأنك بحسب رسالتك التّذكير سمعوا ام لم يسمعوا [لَسْتَ عَلَيْهِمْ

بِمُصَيْطِرٍ] المسيطر بالسّين والصّاد الرّقيب والحافظ المتسلّط، وقرئ بهما [إِلَّا مَنْ تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ] استثناء مفرّغ من قوله ذكّر او من قوله انّما انت مذكّر، او استثناء متّصل فى كلام تامّ من قوله: لست عليهم بمصيطر اى لست متسلّطاً عليهم الّا على من تولّى وكفر يعنى لست مسلّطاً عليهم لا بحسب ابدانهم فتقتلهم وتجبرهم على القبول ولا بحسب ارواحهم فتتصرّف فيهم بحسب مرتبة رسالتك وتغيّرهم عمّا هم عليه الّا من تولّى فانّك بحسب رسالتك مسلّط عليه بحسب بدنه، فتقتله وتجبره على قبول التّذكير، او استثناء منقطع كأنّه قال: لكن من تولّى وكفر [فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ] اى عذاب القتل والاسر والنّهب على يدك فى الدّنيا ولا عذاب اكبر منه، او يعذّبه الله فى الآخرة العذاب الاكبر وهو العذاب فى النّار [إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ] جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ عن حالهم فى الآخرة على المعنى الاوّل وفى مقام التّعليل على المعنى الثّانى [ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ] عن الباقر(ع): اذا كان يوم القيامة وجمع الله الاوّلين والآخرين لفصل الخطاب دُعى رسول الله(ص) ودُعى امير المؤمنين(ع) فيُكسى رسول الله(ص) حلّة خضراء تضيء ما بين المشرق والمغرب، ويكسى علىّ(ع) مثلها، ويكسى رسول الله(ص) حلّة وردية ويكسى علىّ(ع) مثلها، ثمّ يصعد ان عندها ثمّ يدعى بنا فيدفع الينا حساب النّاس، فنحن والله ندخل اهل الجنّة الجنّة واهل النّار النّار، وعن الكاظم(ع): الينا اياب هذا الخلق وعلينا حسابهم، فما كان لهم من ذنبٍ بينهم وبين الله عزّ وجلّ حتمنا على الله فى تركه لنا فأجابنا الى ذلك، وما كان بينهم وبين النّاس استوهبناه منهم واجابوا الى ذلك وعوّضهم الله عزّ وجلّ، وعن الصّادق(ع): اذا كان يوم القيامة وكّلنا الله بحساب شيعتنا، فما كان لله سألنا الله ان يهبه لنا فهو لهم، وما كان لنا فهو لهم، ورزقنا الله ذلك.



سورة والفجر

مكّيّة كلّها، اثنتان وثلاثون او ثلاثون او تسع وعشرون آيةً



بسم الله الرّحمن الرّحيم

[وَالْفَجْرِ] اقسم الله بالفجر وهو بياض الصّبح، او صلوة الصّبح مطلقاً، او فجر ذى الحجّة او صلوته، او فجر يوم النّحر او صلوته، او اراد بالفجر النّهار كلّه مطلقا، او نهار الايّام المذكورة [وَلَيَالٍ عَشْرٍ] اى عشر ذى الحجّة، وقيل: هى العشر من آخر رمضان، وقيل: هى العشر الّتى اتمّ موسى(ع) بها ثلاثين [وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ] يعنى الزّوج والفرد من العدد والمعدود كلّها، وقيل: الزّوج الخلق لانّ كلّاً من الخلق زوج تركيبىٌّ، والوتر الله، وقيل: الشّفع والوتر الرّكعتان من صلوة اللّيل، والرّكعة الواحدة منها، وقيل: الشّفع يوم النّحر لانّه يشفع بيوم النّفر الاوّل، والوتر يوم عرفة لانّه ينفرد بالموقف، وقيل: الشّفع يوم التّروية، والوتر يوم عرفة، وقيل: الشّفع يوم النّفر الاوّل، والوتر يوم النّفر الثّانى، وقيل: الشّفع علىّ(ع) وفاطمة(ع)، والوتر محمّد(ص)، وقيل: الشّفع الرّوح الانسانيّة المنضمّة الى البدن، والوتر الرّوح المجرّدة عن البدن [وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ] قرئ بحذف الياء وصلاً ووقفاً اجراءً للوصل مجرى الوقف وتوفيقاً للّفظ والمعنى، فانّ السّير فى الاغلب لا يتمّ فى اللّيل بل يمتدّ الى النّهار، وقرئ باثبات الياء على الاصل، وقرئ بالتّنوين المبدل من حرف المدّ، ونسبة السّير الى اللّيل مجاز عقلىّ والمعنى اذا يسرى فيه، او المراد القسم باللّيل اذا ادبر مثل واللّيل اذ ادبر، او المراد القسم باللّيل اذا اقبل علينا، ولذلك عدل عن اذ الى اذا، وعن الماضى

الى المستقبل، والمراد باللّيل مطلق اللّيل اوليل المزدلفة فانّه يسير الحاجّ فى اوّله من عرفات الى المزدلفة وفى آخره واوّل نهاره من المزدلفة الى منى [هَلْ فِي ذٰلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ] استفهام تقريرىّ يعنى فى تلك الاقسام قسمٌ كافٍ لذى عقلٍ حقيرٍ اولذى عقلٍ عظيم يعنى انّ صاحب العقل يعلم انّ هذه الاشياء الّتى اقسم بهاالله اشياء عظيمة شريفة فيها دلالاتٌ بوجوه عديدة على علمه وحكمته وقدرته وعنايته تعالى بخلقه وان كان غير ذى الحجر لايرى هذه الاقسام شيئاً [أَلَمْ تَرَ] هذاالخطاب لمحمّدٍ (ص) اوعامٌ وهذاقرينة جواب القسم والتّقدير لنهلكنّ الّذين افسدوا فى الارض الم تر [كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ] عاد اسم لقوم هود سُمّوا باسم ابيهم فانّ عاداً كان عادين ، عاداً الاولى ، وعاداً الاخرى وقوله تعالى [إِرَمَ] كعنب اسم آخرلعاد، اوهواسم جدّعادٍ، اوهواسم سام بن نوح،فانّ عاداً كان ابن عوص بن آدم بن سام بن نوح (ع)،وقوم هود كانوا اولاد عاد سُمّوا باسم جدّهم وابيهم،اوهواسم لقبيلة هود ، وقيل: هواسم لقبيلةٍ من قوم هود كان الملك فيهم، وقيل: هو اسم بلدٍ، وقيل: هودمشق، وقيل: هومدينة الاسكندريّة ، وقيل: هواسم لجنّة شدّادٍ ، وعلى اىّ تقديرٍ فهو بدل من عادٍ امّا بدل الكلّ من الكلّ ، او بدل الاشتمال ، فانّه اذاكان اسماً للبلد فان اريد به اهله كان بدل الكلّ من الكلّ ، وان اريد به نفس البلد كان بدل الاشتمال [ذَاتِ الْعِمَادِ] العماد بالكسر الشّجعان من العسكر والابنية الرّفيعة والعمود والاخبية ، واهل العماد اهل الاخبية ، وقيل : سمّاهم الله ذات العماد لانّهم كانوا اهل الاخبية وكانوا سيّارين لرعى مواشيهم ، وقيل: معناه ذات الطّول والشّدّة ، اوكانوا اهل القصور الرّفيعة ، اوكان فيه شجعان قويّة .

وصف ارم ذات العماد

قيل :خرج رجلٌ يقال له عبدالله بن قلابة فى طلب ابلٍ له شردت، فبيناهوفى صحارى عدنٍ اذهو قدوقع على مدينةٍ عليهاحصن فلمّا دنى منها ظنّ انّ فيها احداً يسأله عن ابله فنزل عن دابّته وعقلها وسلّ سيفه ودخل الحصن ، فاذاهو ببابين عظمين لم يراعظم منهما مرصّعين بالياقوت الابيض والاحمرفدهش ، وفتح احد البابين فاذاهوبمدينةٍ لم يراحدمثلها، فيهاقصورفوقهاغرف وفوق الغرف غرف مبنيّة بالذّهب والفضّة واللّؤلؤ والياقوت ،ومصاريع تلك الغرف مثل مصراع المدينة مفروشة كلّها باللّئالى و بنادق من مسك وزعفران، فلمّا لم يرفيها احداً هاله ذلك ونظرفرأى اشجاراً فى ازقّتها مثمرةً وتحت الاشجار انهار جارية من قنوات من فضّة،فظنّ الرّجل انّها هى الجنّة الموصوفة فى القرآن فحمل معه من لؤلؤها ومن بنادق المسك والزّعفران ، ولم يستطع ان يقلع من زبرجدها وياقوتها وخرج ورجع الى اليمن واخبر النّاس فانتشر الخبر حتّى بلغ معاوية خبره،فأرسل اليه فقصّ عليه القصّة فأرسل معاوية الى كعب الاحبار فلمّا أتاه سأله عن ذلك فقال : اخبرك بتلك المدينة و بمن بناها ، بناها شدّادبن عادٍ و المدينة ارم ذات العماد الّتى وصفهاالله تعالى انّ عاداً الاولى اباقوم هودٍكان له ابنان شدّاد وشديدفهلك عادٌ و بقيا وقهرا البلاد، فهلك شديد و بقى شدّاد مالكاً لجميع ملوك الارض ، فدعته نفسه الى ان بنى مثل الجنّة الّتى وصفها الله لانبيائه (ع) فأمر ببناء تلك المدينة وامّر على صنعتها مائة قهرمانٍ مع كلّ قهرمانٍ الف من الاعوان، وكتب الى ملوك الدّنيا ان يجمعوا له ما فى بلادهم من الجواهر واقاموا فى بنائها مدّة طويلة ثمّ سار الملك اليها فى جنده ووزرائه فلمّا كان منها على مسيرة يوم بعث الله عليه وعلى من معه صيحةً من السّماء فأهلكتهم جميعاً ، وسيدخلها فى زمانك رجلٌ من المسلمين احمر اشقر قصيرٌ على حاجبه خالٌ وعلى عنقه خالٌ يخرج فى طلب ابلٍ له وكان الرّجل عند معاوية فالتفت اليه وقال: هذاوالله ذلك الرّجل [الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ] اى حفروا الصّخر وقطعوها لبناء البيوت [بِالْوَادِ] اى وادى القرى [وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ] قد مضى فى سورة ص بيان كونه ذاالاوتاد [الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ] السّوط الخلط وهوان تخلط

شيئين فى انائك ثمّ تضر بهما بيدك حتّى يختلطا ، والمقرعة والنّصيب والشّدة والضرب بالسوط ، واستعمال الصّبّ للاشعار بكثرة العذاب وشدّته [إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ] المرصاد الطّريق والمكان الّذى يرصد و يترقّب فيه العدوّ والمعنى انّه تعالى فى محلٍّ يرصد فيه جميع افعالهم و اقوالهم و احوالهم فلا يفوته شيءٌ منها فيجازيهم عليها ، و عن الصّادق (ع) : المرصاد قنطرة على الصّراط لايجوزها عبدٌ بمظلمة عبدٍ [فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ] كأنّه قال : هذا حال الرّحمن فامّا الانسان اذا ما ابتلاه ربّه [فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ] بيانٌ لا كرامه [فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ] هذا خبر الانسان ولذلك ادخل الفاء الّتى تكون عقيب امّا عليه ، وقوله : اذا ما ابتليه على تقدير التّأخير يعنى يفرح بالنّعمة و يحسب انّ النّعمة كرامة من الله له والحال انّها قد تكون استدراجاً ونقمةً [وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ] لانّه لايحسب النّعمة فى غير النّعم الصّوريّة و يحسب انّ الكرامة والنّعمة والعزّة انّما هى فى النّعم الصّوريّة [كَلَّا] ردع له عن هذا الحسبان وتعليق للتّوسعة والتّقتير على فعل الانسان يعنى ليس التّوسعة والتّقتير على ماتزعمون [بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ وَلَا تَحَاضُّونَ] اى لا تحاثّون، والحضّ والحثّ لازمان ومتعدّيان [عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا] التّراث من الارث بمعنى ما يورث ، ولمّا كان جميع الدّنيا ممّا اورث من السّابقين او يورث للّاحقين يصدق عليها التّراث ، فقيل: كانوا لايورّثون الايتام والنّساء وكانوا يأكلون انصبائهم ، وقيل: المعنى يأكلون الميراث ولايخرجون حقوقه الواجبة والمندوبة لكنّ الحقّ عدم التّخصيص بل المراد انّهم يأكلون ما يؤكل ، و يجمعون ما يجمع ، و يدّخرون ما يدّخر، و ينكحون ما ينكح، و يركبون مايركب، و يلبسون ما يلبس ، و يدركون ما يدرك ، و يتخيّلون مايتخيّل ، اكلاً جامعاً بين صحيحها وفاسدها ، حلالها وحرامها، مأمورها و منهيّها ، وجامعاً بين جهتى الهيّتها ونفسانيّتها ، ولمّا امّا اصله لمّاً بالتّنوين ، اجرى الوصل على الوقف ، او اصله لمّا بالالف المقصورة امّا وهو مصدر للمّ بمعنى جمع ، وحينئذ تكون مفعولاً مطلقاً لفعلٍ محذوفٍ ، اوصفة لاكلاً ، اوهو بمعنى جميعاً و تأكيدٌ للتّراث [وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا] الجمّ الكثير من كلّ شيءٍ اوهو مصدر جمّ بمعنى كثر وهو امّا صفة لحبّاً اومفعولٌ مطلقٌ لفعل محذوف هو حال [كَلَّا] ردع لهم عن ذلك [إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا] الدّكّ الدّقّ والهدم وتسوية صعود الارض و هبوطها ، و اندكّ المكان استوى ، وكنس التّراب وتسويته [وَجَاءَ رَبُّكَ] المضاف الّذى هو القائم فى وجودك وقد سمّاه الصّوفيّة بالفكر والحضور والسّكينة و هو ملكوت ولىّ الامر ، ولا يظهر على السّالك الّا بعد موته الاختيارىّ ، واذا ظهر ظهر جميع آثار القيامة فى عالمه الصّغير وجميع ماورد من علائم ظهور القائم (ع) وآثاره فى الاخبار وكان مؤيّداً بالملائكة و يظهر الملك على السّالك حين ظهوره و بعده ولذلك قال تعالى [وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا] المراد بالملك الجنس ولذلك قال صفّاً صفّاً فانّ الواحد لايكون صفّاً صفّاً والمراد انّ الملائكة يجيؤن فى صفوفٍ عديدةٍ بحسب مراتبهم فى القرب والبعد [وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ] فانّ الظّاهر عليه ولىّ امره ينفتح بصيرته الاخرويّة فيرى ما لايراه غيره فيرى جهنّم وانواع عقباتها وعقوباتها ، ويرى الجنان ايضاً و انواع نعيمها ، عن الرّسول (ص) انّه قال : انّ روح الامين اخبرنى انّ الله لا آله الّا هو اذا برز الخلائق وجمع الاوّلين والآخرين اتى بجهنّم تقاد بالف زمامٍ اخذ بكلّ زمامٍ مائة الف يقودها من الغلاظ الشّداد ، لها حدّةٌ وغضبٌ وزفيرٌ وشهيقٌ وانّها لتزفر الزّفرة ، فلو لا انّ الله اخّرهم للحساب لاهلكت الجميع ثمّ يخرج منها عنق فيحيط بالخلائق البرّ منهم والفاجر ماخلق الله عبداً من عباد الله ملكاً ولانبيّاً الّا ينادى: ربّ نفسى ! . نفسى ! . وانت يانبىّ الله تنادى

امّتي امّتي ! . ثمّ يوضع عليها الصّراط ادقّ من الشّعر واحدّ من حدّ السّيف عليه ثلاث قناطر، فامّا واحدة فعليها الامانة والرّحم، والثّانية فعليها الصّلوة، والثّالثة فعليها ربّ العالمين لا آله غيره فيكلّفون الممرّ عليها فيحبسهم الرّحم والامانة، فان نجوا منها حبستهم الصّلوة، فان نجوا منها كان المنتهى الى ربّ العالمين وهوقوله : انّ ربّك لبا لمرصاد، والنّاس على الصّراط، متعلّق بيد، وتزلّ قدم، و يستمسك بقدم والملائكة حولها ينادون: ياحليم اعف واصفح وعد بفضلك وسلّم سلّم، والنّاس يتهافتون فى النّار كالفراش فاذا نجا ناجٍ برحمة الله مرّ بها، فقال: الحمدلله و بنعمته تتمّ الصّالحات وتزكو الحسنات والحمدلله الّذى نجّانى منك بعد أياس عنه وفضله، انّ ربّنا لغفور شكور [يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ] هذه جواب اذا او هذه مستأنفة وجواب اذا محذوف اوجوابها قوله تعالى : يقول ياليتنى قدّمت، او قوله: فيومئذٍ لا يعذّب عذابه احدٌ والمقصود انّ الانسان فى ذلك اليوم يتذكّر خيره وشرّه، وانّ ايّ الاعمال كان نافعاً وايّها كان ضارّاً لكن لا ينفعه ذلك التّذكّر و لذلك قال [وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى] اى الذّكرى النّافعة [يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي] اى ليتنى قدّمت لانتفاعى فى حيوتى فى الآخرة، اوليتنى قدّمت فى حيوتى الدّنيا [فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ] قرئ يعذّب بالبناء للفاعل و بالبناء للمفعول وعلى القرائتين فضمير عذابه لله او للانسان و عذابه مفعول مطلق نوعىّ و هذه اوصاف الانسان الغافل الكافر [أَحَدٌ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ] حال او جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ عن حال الانسان المؤمن ناشٍ عن ذكر الانسان الكافر واحكامه وكلا الوجهين بتقدير القول، ونفس الانسان ذات مراتب ودرجاتٍ عديدةٍ وامّهات مراتبها بحسب تمكّن الشّيطان منه وتمكّنه فى دار الرّحمن و توسّطه منهما ثلاث؛ وتسمّى الاولى بالامّارة وهى الّتى تأمر بالسّوء اى بما تهواه سواء كان فى صورة الخير اوالشّرّ، ولا ترتدع ولا تندم عليه، والثّانية باللّوّامة وهى الّتى تلوم نفسها فى كلّ ما تأتى خيراً كان اوشرّاً وتحزن على مافعل من حيث شرّيّته، اومن حيث نقصانه عن درجة الكمال، اومن حيث نسبته الى نفسها، والثّالثة بالمطمئنّة لاطمينانها الى ربّها وخروجها عن انانيّتها الّتى هى سبب اضطرابها [ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ] المضاف الّذى هو ولىّ امرك وهو على الاطلاق علىّ (ع) او الى ربّ الارباب بالرّجوع الى مظاهره ودار كرامته وضيافته [رَاضِيَةً] بما فعل ربّك بك [مَرْضِيَّةً] عند ربّك وخلفائه [فَادْخُلِي فِي عِبَادِي] لخروجك عن انانيّتك و دخولك فى العبوديّة بالخروج من الانانيّة [وَادْخُلِي جَنَّتِي] المضاف الى نفسى المعدّة لاوليائى.

اعلم، انّه لا يحصل الاطمينان للسّلّاك الى الله الّا بنزول السّكينة الّتى تسمّى فى اصطلاح الصّوفيّة بالفكر والحضور، وهو ان يتمثّل ملكوت ولىّ الامر فى صدر السّالك، وحصول صورة ولىّ الامر امّا يكون بنحو المباينة اوبنحو الاتّصال او بنحو الاتّحاد او بنحو الوحدة ، ولا يحصل الاطمينان التّامّ الّا فى المرتبة الاخيرة وان كان يحصل اطمينان ما فى المراتب الاُخر ايضاً، وفيما روى عن الصّادق (ع) دلالة على ماذكروه وانّه سئل هل يكره المؤمن على قبض روحه؟- قال: لا والله انّه اذا اتاه ملك الموت لقبض روحه جزع عند ذلك فيقول له ملك الموت: يا ولىّ الله لا تجزع فوالّذى بعث محمّداً (ص) لانا أبرّ بك وأشفق من والدٍ رحيمٍ لوحضرك، افتح عينيك فانظر، قال: ويتمثّل له رسول الله (ص) واميرالمؤمنين (ع) وفاطمة (ع) والحسن (ع) والحسين (ع) والائمّة (ع) من ذرّيّتهم فيقال له : هذا رسول الله (ص) واميرالمؤمنين (ع) وفاطمة (ع) والحسن (ع) والحسين (ع) و الائمّة (ع) رفقاؤك فيفتح فينظر فينادى روحه منادٍ من قبل ربّ العزّة فيقول : ياايّتها النّفس المطمئنّة اى الى آل محمّد (ص) واهل بيته ارجع الى ربّك راضيةً بالولاية

مرضيّةً بالثّواب فادخلی فی عبادی یعنی محمّداً(ص) واهل بيته و ادخلی جنّتی فمامن شيء احبّ اليه من استلال[1] روحه واللّحوق بالمنادی وفسّر الآية بالحسين بن علیّ(ع) ولذلک سمّيت السّورة بسورة الحسين بن علیّ (ع).

سورة البلد

مكّيّة، عشرون آيةً

بسم الله الرّحمن الرّحيم

[لا اُقْسِمُ بِهٰذَا الْبَلَدِ] ای بلد مكّة وهو البلد الحرام وقد مضى بيان لا اقسم وانّ لا زائدةٌ لتأكيد القسم او نافية، ونفى لمعتقدهم، اونافية ونفى للقسم [وَاَنْتَ حِلٌّ بِهٰذَا الْبَلَدِ] ای انت حلال هتكک ومالک ودمک، او انت حلال لک ما تفعله بهذا البلد وان كان فی وقتٍ وهو عام الفتح، اوحالٌ ومقيم بهذا البلد، والتّقييد تعظيم له(ص) واشارة الى انّ فخامة المكان تكون بالمكين [وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ] ای آدم(ع) وماولد، او ابراهيم(ع) و ما ولد، او علیّ(ع) وما ولد من الائمّة(ع) كما روی، والتّنكير للتّفخيم والاتيان بما فی مقام من للتّعجيب، اوالمراد كلّ والدٍ وما ولد بحسب الولادة الجسمانيّة فانّ التّوالد بالكيفيّة المخصوصة فی النّزو، وقرار النّطفة فی مقرٍّ مخصوص وخروج الجنين منه و نموّه و بلوغه مبلغ والده امر عجيب يقسم به، او المراد كلّ والد و ما ولد بحسب الولادة الرّوحانيّة فانّ الولادة الرّوحانيّة اعجب من الولادة الجسمانيّة، او المراد والد الكلّ بالولادة الرّوحانيّة و هو محمّد(ص) و بعده علیّ(ع) [لَقَدْ خَلَقْنَا الْاِنْسَانَ فِی كَبَدٍ] ای فی شدّة ومشقّة فی الدّنيا او فی الرّحم اومن اوّل خلقته او مستقيماً منتصباً بخلاف سائر الدّوابّ، وعن الصّادق(ع) انّه قيل له: انّا نرى الدّوابّ فی بطون ايديها الرّقعتين مثل الكیّ فمن ایّ شيءٍ ذلک؟-قال: موضع منخريه فی بطن امّه وابن آدم منتصب فی بطن امّه، وذلک قول الله عزّوجلّ: لقد خلقنا الانسان فی كبد، وما سوى ابن آدم فرأسه فی دبره و يداه بين يديه [اَيَحْسَبُ اَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ اَحَدٌ] ضمير يحسب راجعٌ الى الانسان و المراد به مطلق الانسان، او المراد به الانسان المخصوص يعنی يحسب ان لن يقدر عليه احدٌ فی قتله ابنة النّبیّ(ص)، وقيل: هو ابو الاسد بن كلدة كان قويّاً شديد الخلق [يَقُولُ اَهْلَكْتُ مَالاً لُبَدًا] اللّبد كصرد وسكرٍ واللّابد المال الكثير يعنی يقول انفقت مالاً كثيراً فی عداوة محمّد(ص) مفتخراً به، او اهلكت مالاً كثيراً فی نصرته مغتمّاً به، او اهلكت مالاً كثيراً بامره فی الكفّارات وغيرها اظهاراً للغرامة والنّدامة، وقيل: هو الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف و ذلک انّه اذنب ذنباً فاستفتى رسول الله (ص) فأمره ان يكفّر فقال: لقد ذهب مالی فی الكفّارات والنّفقات منذ دخلت فی دين محمّد(ص)، وفی خبرٍ يعنی الّذی جهّز به النّبیّ(ص) فی جيش[2] العسرة، وفی خبرٍ هو عمرو بن عبدودّ حين عرض عليه علیّ بن ابی طالب(ع) الاسلام يوم الخندق قال: فاين ما انفقت فيكم مالاً لبداً وكان انفق مالاً فی الصّدّ عن سبيل الله [اَيَحْسَبُ اَنْ لَمْ يَرَهُ اَحَدٌ] ای انّه لم يره احد فی اعماله وافعاله واقواله فيطالبه بذلک و يسأله عنه والمقصود انّه يظنّ ان لم يره الله تعالى فی ذلک و بئس الظّنّ ذلک لاينبغی ان يظنّ ذلک كيف لم يره احدٌ ولم نره وقد خلقناه وجعلنا فيه دقائق القوى والمدارک والاعضاء ومن جعل له هذه الامور الدّقيقة كيف لايراه؟! [اَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ] مشتملتين على عشرة اجزاء بحيث جعلنا فيها نوراً يبصر به الاشياء [وَلِسَانًا] مركّباً

(١) خروج السّيف من الغلاف . (٢) والمراد بها غزوة تبوک .

من اللّحم والعصب والشّرائين والاوردة والاوتار والعظم مفهّماً به ما فى ضميره مدركاً به طعم الطّعوم [وَشَفَتَيْنِ] تكونان حافظتين للّسان وسائر ما فى الفم محسنتين للصّورة معينتين على التّكلّم [وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ] عطف على مجموع الم نجعل فانّه بمعنى جعلنا له عينين اوعلى مدخول النّفى ، والمراد بالنّجدين سبيل الخير و الشّرّ كما فى الاخبار ، وقيل: المراد بهما الثّديان ، قيل لاميرالمؤمنين (ع) : انّ اناساً يقولون فى قوله : وهديناه النّجدين: انّهما الثّديان، فقال: لا ، هما الخير والشّرّ [فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ] قحّمته فى الامر تقحيماً رميته فيه فجأة بلا رويّة فانقحم واقتحم، وقحم فى الامر قحوماً رمى بنفسه فيه فجأة بلا رويّة ، و اقتحم بالغ فيه والعقبة المرقى الصّعب من الجبال ، والمراد بها عقبات النّفس الّتى هى الرّذائل الّتى لامرقى اصعب منها فانّ العبور عنها وتخلية النّفس منها والتّرقّى منها الى الخصائل اصعب كلّ شيءٍ ولذلك اتى بالاستفهام التّعجيبىّ لتفخيمها و فسّرها بالعبور عن الرّذائل و الدّخول فى الخصائل بالاشارة الى امّهاتها فقال: [وَمَا اَدْرٰيكَ مَا الْعَقَبَةُ فَكُّ رَقَبَةٍ] .

شرح فى القوى الاربع للانسان

اعلم ، انّ الانسان له قوىً اربع وكلّ من الاربع لها اعتدال وتوسّط بين الافراط و التّفريط فى الآثار، والتّوسّط والاعتدال منها ممدوح ومطلوب ، والافراط والتّفريط مذموم وقبيح، و القوى الاربع هى العلّامة و العمّالة و الشّهويّة و الغضبيّة ، فالعلّامة كسلطان البلد يأمر وينهى و يدبّر ، والعمّالة كالوزير الّذى يمضى فى امر الملك ، والشّهويّة كالنّاظر الوكيل لخرج الجنود ، والغضبيّة كامير الجنود ، واعتدال العلّامة بتمييز ها بين الحقّ والباطل والمحقّ والمبطل والخير والشّرّ كما هى ، و يسمّى ذلك التّميز بالحكمة العلميّة ، ولمّا كان الحكمة العلميّة هى التّميز بين الذّوات والاقوال والافعال والاحوال والاخلاق والعلوم و الوجدانات والخطرات والخيالات والمشاهدات والتفاتات القلب من حيث ارتباطها و رجوعها الى الآخرة ، وكان فى ازديادها ازدياد كمال النّفس و فى نقصانها نقصانه لم يكن لها طرفا افراط و تفريط ، بل كانت الجربزة الّتى عدّوها افراط القوّة العلّامة النّفسانيّة تفريطاً وقصوراً للنّفس عن البلوغ الى درجة الحكمة ، لانّ الجربزة هى التّصرّف بحسب العلم الوهمىّ فى الامور الدّنيويّة زائداً على ماينبغى وليس ذلك الّا من نقصان ادراك الامور الاخرويّة ، فالجربزة والبلادة اللّتان عدّوهما طرفى افراط العلّامة وتفريطها معدود ان من قسم البلادة ولذلك فسّروا الاحمق والسّفيه بمن لايعرف الحقّ سواء كان بحسب الدّنيا سفيهاً اولم يكن ، مثل معاوية فانّه كان بحيث سمّاه اهل زمانه باعقل زمانه ، ولاجل عدم طرف الافراط المذموم للحكمة قالوا: الرّذائل بحسب الامّهات سبع ، والخصائل بحسب الامّهات اربع ، واعتدال العمّالة بان تكون تحت حكم العاقلة العلّامة وان تقدر على الاتيان بما يأمرها العاقلة و يسمّى بالعدل الّذى هو وضع كلّ شيءٍ فى محلّه ولايمكن ذلك الّا باستخدام الشّهويّة والغضبيّة، وطرفا افراطه وتفريطه يسمّيان بالظّلم والانظلام ، واعتدال القوّة الشّهويّة ان تكون مطيعةً للعمّالة المنقادة للعاقلة العلّامة ويسمّى اعتدالها بالعفّة ، وطرفا افراطها وتفريطها يسمّيان بالشّره والخمود ، واعتدال الغضبيّة يسمّى بالشّجاعة وطرفا افراطها و تفريطها يسمّيان بالتّهوّر والجبن ، وقد يقال : انّ القوى الاربع فى الانسان هى البهيميّة و السّبعيّة والشّيطنة الّتى هى العلّامة النّفسانيّة الوهميّة ، والعاقلة الّتى هى العلّامة العقلانيّة ويجعل العمّالة خادمة للقوى الاربع ويجعل العدل المتوسّط بين الظّلم و الانظلام من شعب الشّجاعة ، ويجعل الحكمة الّتى هى التّوسّط بين البلادة والجربزة من مقتضيات العلّامة النّفسانيّة ، ويجعل مقتضى العلّامة العقلانيّة تعديل القوى الثّلاث وتعديل العمّالة بحيث لايخرج شيءٌ منها من حكم العاقلة و يسمّى بالعدالة وتلك العدالة ليس لها طرفا افراط وتفريط بل لها التّفريط فقط وتفريطها هو قصور العاقلة عن تسخير القوى الثّلاث وهو ظلم من القوى وانظلام للعاقلة وكأنّه اراد العلّامة النّفسانيّة من العمّالة من جعل العمّالة منشأً لبعض الخصال للتّلازم الواقع بينهما فقوله تعالى: فكّ رقبةٍ ان كان المراد به فكّ

رقبة نفسه عن التّقيّد بقيود النّفس كان المراد به اصل الخصال و روحها الّذی يعبّر عنه بالفناء عن نسبة الافعال والصّفات الى نفسه بل عن نسبة الذّات الى نفسه ولذلك قدّمه على الجميع ، و ان كان المراد به فكّ رقاب النّاس عن رقيّة انفسهم وعن النّار كان اشارة الى اشرف اقسام العدل ، و ان كان المراد به فكّ رقاب العبيد الصّوريّة عن الرّقبة كان اشارة الى اعلى اقسام السّخاوة الّتى هى اشرف انواع العفّة [اَوْاِطْعامٌ فى يَوْمٍ ذى مَسْغَبَةٍ] اى ذى مجاعة اشارة الى السّخاوة على المعانى الثّلاثة الاوّل لقوله فكّ رقبة والى صنف آخر من السّخاوة على الاخير [يَتيماً ذا مَقْرَبَةٍ اَوْمِسْكيناً ذا مَتْرَبَةٍ] ذافقر من ترب ترباً ومترباً ومتربةً بمعنى افتقر [ثُمَّ كانَ مِنَ الَّذينَ آمَنُوا] عطف على اطعام من قبيل عطف الفعل على الاسم الخالص بتأويل المصدر بتقدير ان ، وحينئذٍ يكون فكّ رقبةٍ اشارة الى الفناء الّذى هو اصل جملة الخصال ، و يكون لفظة او للتّرديد بينه و بين الخصال الّتى تحصل بالبقاء بالله بعد الفناء فى الله ، ويكون الاطعام اشارة الى العفّة ، و الكون من الّذين آمنوا ، اشارة الى افضل انواع الحكمة ، ويكون قوله تعالى [وَتَواصَوْا بِالصَّبْرِ] اشارة الى الشّجاعة فانّ حبس النّفس عن الجزع عند المصيبة ، وعن المعصية عند اقتضاء القوى النّفسانيّة ، وعلى الطّاعة من قوّة القلب الّتى هى الشّجاعة ، وقوله تعالى [وَتَواصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ] اشارة الى العدالة فانّ العدل الّذى هو وضع كلّ شيءٍ فى محلّه لايتأتّى الّا بالمرحمة ، والتّواصى بها شعبة من العدالة ، اوقوله كان من الّذين آمنوا عطف على قوله تعالى اقتحم العقبة و العطف بثمّ للتّفاوت بين المرتبتين [اُولٰئِكَ] هم [اَصْحابُ الْمَيْمَنَةِ] جواب لسؤالٍ مقدّرٍ وقدمضى انّ اصحاب اليمين شيعة اميرالمؤمنين (ع) [وَالَّذينَ كَفَرُوا بِآياتِنا هُمْ اَصْحابُ الْمَشْئَمَةِ عَلَيْهِمْ نارٌ مُؤْصَدَةٌ] اوصد اتّخذ حظيرةً لابله ، و اوصد الكلب اغراه ، والباب اطبقه واغلقه .

سورة والشّمس

مكّيّة، كلّها ستّ عشرة آيةً .

بسم الله الرّحمن الرّحيم

[وَالشَّمْسِ وَضُحيٰها] اقسم بالشّمس الصّوريّة ، او بالشّمس الحقيقيّة ، او بالرّوح الانسانيّة [وَالْقَمَرِ اِذا تَليٰها] اى خلّفها فى الاضاءة ، او تبعها فى الطّلوع اوتلاها عند غروبها بان طلع حين غروبها و هو فى اواسط الشّهر ، اواقسم بقمر النّفس الانسانيّة اذاتلى وتبع الرّوح فى العروج الى الله [وَالنَّهارِ اِذا جَلّيٰها] اى جلّى الشّمس وابرزها بكمال الظّهور وهو اوقات اواسط النّهار ، اوالمراد بالشّمس الامام و بالنّهار الصّدر المنشرح بالاسلام اذا ابرز الامام و استشرق بنور الامام ، وهو وقت نزول السّكينة على السّالك بظهور الامام بملكوته عليه [وَاللَّيْلِ اِذا يَغْشيٰها] اقسم باللّيل و وقت احاطة ظلمته نور الشّمس فانّ بقاء المواليد وتوليدها لايكون الّا بظهور الشّمس وغشيان اللّيل [وَالسَّماءِ وَما بَنيٰها] اى و الّذى بناها ، أتى بما ليكون موافقاً لاعتقاد جميع الفرق ، اولفظة ما مصدريّة

[وَالْاَرْضِ وَمٰا طَحیٰهٰا] طحى كسعى بسط وانبسط واضطجع ، وطحى يطحو بعُد وهلك، والقى انساناً على وجهه [وَنَفْسٍ] كان اللّائق بسياق الكلام ان يقول والنّفس بلام الجنس لكنّه عدل عنه امّا لتفخيم النّفس بالنّسبة الى السّابق، اولارادة نفس مخصوصة مفخّمة بحيث لايمكن تعريفه وهى النّفس الكلّيّة اونفس النّبىّ (ص) اوالولىّ (ع) اونفس محمّد (ص) اوعلىّ (ع)، اولارادة نوع مخصوص منها عظيم وهونوع نفس الانسان [وَمٰا سَوّٰيهٰا فَأَلْهَمَهٰا فُجُورَهٰا وَتَقْوٰيهٰا] يعنى القى فى خاطرها فعل فجورها او الهمها معرفة فجورها حتّى تجتنب ومعرفة تقويها حتّى ترتكب [قَدْ اَفْلَحَ مَنْ زَكّٰيهٰا] انميها واصلحها اوطهّرها [وَقَدْ خٰابَ] خسر ، اوكفر ، اوافتقر ، اوجاع [مَنْ دَسّٰيهٰا] دسا يدسو نقيض زكى و بمعنى استخفى ، ودسى مثل سعى من اليائىّ ضدّ زكا ايضاً ، و دسّاه من التّفعيل اغواه وافسده ، وقيل: قدخاب من دسّى نفسه فى اهل الخير اى اخفيها فيهم وليس منهم [كَذَّبَتْ ثَمُودُ] جواب سؤال مقدّر واستشهاد على خيبة من دسّى نفسه [بِطَغْوٰيهٰا] الباء للسّببيّة، والطّغوى بمعنى الطّغيان والعصيان ، وقيل: الباء صلة كذّبت والطّغوى اسم للعذاب الّذى نزل بهم [اِذِ انْبَعَثَ] اى نهض لعقر النّاقة [اَشْقٰيهٰا] اى اشقى ثمود واسمه قدار كهمام وكان اسم ابيه سالفاً قال رسول الله (ص) لعلىّ بن ابى طالب (ع) : من اشقى الاوّلين؟-قال: عاقر النّاقة ، قال : صدقت ، فمن اشقى الآخرين؟- قال: قلت: لااعلم يا رسول الله (ص) ، قال: الّذى يضرب بك على هذه، واشار الى يافوخه[1] [فَقٰالَ لَهُمْ] الاولى ان يكون الفاء للسّببيّة الخالصة [رَسُولُ اللّٰهِ] اى صالح (ع) [نٰاقَةَ اللّٰهِ وَسُقْيٰاهٰا] منصوب من باب التّحذير اوالاغراء، اومنصوب بفعل محذوف من غير باب التّحذير والاغراء اى اتركوا ، و المراد بسقيها نوبة شربها او الماء الّذى كانت تشربها بالنّوبة [فَكَذَّبُوهُ] فى رسالته ، او فى التّحذير والاغراء ، او فى نزول العذاب [فَعَقَرُوهٰا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ] دمّه طلاه ، والبيت جصّصه ، والسّفينة قيّرها، والارض سوّاها ، وفلاناً عذّبه عذاباً تامّاً وشدخ رأسه وشجّه وضربه ، والقوم طحنهم فأهلكهم كدمدمهم ودمدم عليهم [فَسَوّٰيهٰا] اى سوّى الدمدمة عليهم وعمّهم بها ، اوسوّى ثمود فى الدّمدمة بان عمّهم بها ، او بان سوّى بعضهم ببعضهم بان جعل كبيرهم على مقدار صغيرهم [وَلٰا يَخٰافُ عُقْبٰيهٰا] اى لايخاف الله عقبى الدّمدمة ، اوعقبى التّسوية لانّه لايردّ عليه شيءٌ من فعله لانّه لايعارضه احدٌ ولاينتقم منه احدٌ او لايخاف العاقر عقبى فعلته ، اولايخاف صالحٌ عقبى العقوبات الّتى خوّفهم بها لكونه على ثقة من ربّه فى نجاته ، اولايخاف عقبى دعوته على القوم وتبعتها، لانّ دعوته على القوم كانت باذن من الله واستحقاق منهم.

سورة واللّيل

مكّيّة ، احدى وعشرون آيةً .

بسم الله الرّحمن الرّحيم

[وَاللَّيْلِ اِذٰا يَغْشٰى] بظلمته نور الشّمس والابصار ، و ببرودته المدارك والرّوح الحيوانيّة والنّفسانيّة حتّى تجتمعا فى الباطن ، او يغشى النّاس بالنّوم ، اواقسم بليل الطّبع او النّفس او البلايا ، او ليل القدر اذا يغشى اهله

(١) اليافوخ = الموضع الّذى يتحرّك من رأس الطّفل .

[وَالنَّهارِ إِذا تَجَلّى] وقت الضّحى الى الآصال اونهار الرّوح اونهار السّرور اونهار عالم المثال اذا تجلّى لاهله [وَما خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثى] لفظة ما مصدريّة اوموصولة بمعنى من، والتّأدية بما لتوافق اعتقاد الجميع والمراد بالذّكر والانثى جنسهما ، او آدم وحوّاء او علىّ(ع) وفاطمة(ع) ، و قرئ وخلق الذّكر والانثى بدون ما [إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتّى] اى متفرّق، اعلم انّ السّعي عبارة عن حركات الاعضاء ، ولمّا كان الحركات الاراديّة لابدّ لها من مبدء ارادىّ والمبدأ الارادىّ لايكون الّا العلّة الغائيّة الّتى هى مبدأ فاعليّة الفاعل بحسب التّصوّر و غاية الفعل بحسب الوجود ، وكان الانسان ذاقوىً كثيرة بحسب شعب القوى الشّهويّة والغضبيّة والشّيطنة والعاقلة منفردةً اومركّبةً، ولكلّ قوّة مبادٍ وغاياتٌ عديدةٌ مثل شهوة النّساء مثلاً فانّ المشتهى لهنّ قد يكون الدّاعى فى سعيه النّظر فقط ، وقد يكون مع ذلك اللّمس ، وقد يكون التّقبيل والتّعانق والتّحادث ، وقد يكون الالتحاف معهنّ ، وقد يكون السّفاد كان سعيه مع اختلافه بحسب الصّورة مختلفاً فى المبدء والغاية [فَأَمّا مَنْ أَعْطى] من ماله لله ، ومن جاهه وعرضه ، ومن قوّة قواه وحركات اعضائه ، ومن قوّته المتخيّلة والعاقلة [وَاتَّقى] من البخل ومن الاعطاء فى غير طلب رضا الله ، وهذا اشارة الى الكمال العملىّ [وَصَدَّقَ] تقليداً بان استمع من صادقٍ وصدّق، اوتحقيقاً بان وجد انموذج ما استمع فى نفسه [بِالْحُسْنى] اى العاقبة اوالمثوبة اوالخصلة اوالفضيلة اوالكلمة الحسنى ، و روى عن الصّادق(ع) انّ المراد بها الولاية فانّه لاحسنى احسن منها ، وقيل: المراد بها السّير فى الله وهو ايضاً آخر مقامات الولاية وهذا اشارة الى الكمال العلمىّ [فَسَنُيَسِّرُهُ] بحسب العمل [لِلْيُسْرى] اى الخصلة اليسرى الّتى هى ايسر شيءٍ على انسانيّة الانسان وهى الجدّ فى طلب مرضاة الله فانّه بعد ما كان الانسان مصدّقاً خصوصاً اذا كان تصديقه تحقيقيّاً كان الطّاعة ايسر شيءٍ والذّ شيءٍ عنده فقوله تعالى: من أعطى ، اشارة الى العمل التّقليدىّ، وصدّق اشارة الى انتهاء العمل الى التّحقيق ، و قوله تعالى: فسنيسّره لليسرى اشارة الى العمل التّحقيقىّ ، اوالمراد باليسرى السّير فى الله فانّه الخصلة اليسرى على الاطلاق فانّ السّير فى الله لايكون الّا بعد الخروج عن انانيّات النّفس والفناء الذّاتىّ ، وكلّ عملٍ يكون مع بقاء انانيّةٍ للنّفس يكون له عسرة ما على النّفس ، اوالمراد باليسرى ضدّ اليمنى ، و يسرى النّفس الانسانيّة هى الكثرات يعنى سنيسّره للاشتغال بالكثرات بحيث يكون فى نهاية اليسر عليه بعد ما كان عسيراً عليه [وَأَمّا مَنْ بَخِلَ] بحسب العمل التّقليدىّ [وَاسْتَغْنى] عن موائد الآخرة بترك العمل لها وهذا اشارة الى النّقصان العملىّ والعلمىّ [وَكَذَّبَ بِالْحُسْنى] اشارة الى النّقصان العلمىّ [فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرى] اى الطّريقة العسرى وهى طريق النّفس الى الملكوت السّفلى ، ولا اعسر على الانسانيّة منها [وَما يُغْنِي عَنْهُ مالُهُ إِذا تَرَدّى] اى سقط فى الهاوية من: تردّى فى البئر اذا سقط فيها ، قال القمّىّ: نزلت فى رجلٍ من الانصار كانت له نخلة فى دار رجلٍ وكان يدخل عليه بغير اذنٍ فشكا ذلك الى رسول الله(ص) وفى المجمع كان لرجلٍ نخلة فى دار رجلٍ فقير ذى عيال وكان الرّجل اذا جاء فدخل الدّار وصعد النّخل ليأخذ منها التّمر فربّما سقطت التّمرة فيأخذها صبيان الفقير فينزل الرّجل من النّخلة حتّى يأخذ التّمر من ايديهم ، وان وجدها فى فىّ احدهم ادخل اصبعه حتّى يأخذ التّمرة من فيه، فشكا ذلك الى النّبىّ(ص) واخبره بما يلقى من صاحب النّخلة فقال النّبىّ(ص) لصاحب النّخلة، تعطينى نخلتك المائلة الّتى فرعها فى دار فلانٍ ولك بها نخلة فى الجنّة؟- فأبى ، فقال (ص) بعنيها بحديقة فى الجنّة؟ فأبى ، وانصرف ، فمضى اليه ابوالدّحداح واشتراها منه بأربعين نخلةً، واتى الى النّبىّ(ص) فقال: يارسول الله(ص) خذها واجعل لى فى الجنّة الحديقة الّتى قلت لهذا ، فلم يقبله ، فقال رسول الله(ص) لك فى الجنّة حدائق وحدائق وحدائق ، فأنزل الله الآيات ، وعن الباقر(ع) فأمّا من أعطى ممّا آتاه الله و اتّقى وصدّق بالحسنى اى بانّ الله يعطى

بالواحد عشرا الى مائة الف فمازاد فسنيّسره للميسرى لايريد شيئاً من الخيرا ّلا يسّرله، [وَمٰا يُغْنِي عَنْهُ مٰالُهُ إِذٰا تَرَدّٰى] قال: والله ماتردّى من جبل ولا من حائط ولا فى بئر ولكن تردّى فى نار جهنّم، وعنه (ع) فامّا من أعطى و اتّقى وآثر بقوته، و صام حتّى وفى بنذره، وتصدّق بخاتمه وهو راكع، وآثر المقداد بالدّينار على نفسه، و صدّق بالحسنى وهى الجنّة والثّواب من الله فسنيسّره لذلك بان جعله اماماً فى الخير وقدوة وأباً للائمّة يسّره الله لليسرى [إِنَّ عَلَيْنٰا لَلْهُدٰى] جوابٌ لسؤال مقدّرٍ كأنّه قيل: اليس لله صنع فى الاعطاء والبخل حتّى نسب تلك الافعال الى العباد بالاستقلال؟ـ فقال: ليس علينا ا ّلا الهدى واراءة طريق الخير والشّرّ [وَإِنَّ لَنٰا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولٰى] مبدءً وغايةً وملكاً فنعطى منهما مانشاء لمن نشاء [فَأَنْذَرْتُكُمْ نٰاراً تَلَظّٰى لاٰ يَصْلاٰهٰا إِلاَّ الْأَشْقَى الَّذِى كَذَّبَ] بالولاية [وَتَوَلّٰى] عنها، اوكذّب بالآخرة، او بالرّسالة [وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى] اى سيجعل منها على جانب او بُعد [اَلَّذِى يُؤْتِى مٰالَهُ يَتَزَكّٰى وَمٰا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزىٰ إِلاَّ ابْتِغٰاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلىٰ] استثناء منقطعٌ او استثناء متّصل من محذوفٍ جوابٌ لسؤال مقدّرٍ اى لايؤتى ماله ا ّلا ابتغاء وجه ربّه الاعلى [وَلَسَوْفَ يَرْضىٰ] ان كانت الآيات نزلت فى رجل خاصّ فالمعنى عامٌ والاصل فى من أعطى و اتّقى علىٌّ (ع)، وفى من بخل و استغنى هوعدوّه، وقيل: المراد بمن أعطى ابو بكرٍ حيث اشترى بلالاً فى جماعة من المشركين كانوا يؤذونه فأعتقه، والمراد بالاشقى ابوجهل وامية بن خلف.

سورة والضّحى

احدى عشرة آيةً، مكّيّة

بسم الله الرّحمن الرّحيم

[وَالضُّحىٰ] وقت ارتفاع الشّمس او النّهار تماماً بقرينة قوله تعالى [وَاللَّيْلِ إِذٰا سَجىٰ] اوضوء النّهار وقدّم الضّحى ههنا لانّ الخطاب ههنا لمحمّدٍ (ص) والمقدّم فى نظره ضحى عالم الارواح بخلاف السّورة السّابقة فانّ المخاطب فيها من كان سعيهم شتّى والغالب عليهم التّقيّد بعالم الطّبع الظّلمانىّ وسجى سجواً سكن اهله اوركد ظلامه [مٰا وَدَّعَكَ] قرئ بالتّشديد و بالتّخفيف اى ما تركك [رَبُّكَ وَمٰا قَلىٰ] اى ما ابغضك، عن الباقر (ع) انّ جبرئيل ابطأ على رسول الله (ص) وانّه كانت اوّل سورة نزلت: اقرء باسم ربّك الّذى خلق ثمّ ابطأ عليه فقالت خديجة: لعلّ ربّك قد تركك فلايرسل اليك؟! فأنزل الله تبارك وتعالى: ما ودّعك ربّك و ماقلى، وفى حديث: انّ الوحى قد احتبس عنه ايّاماً فقال المشركون: انّ محمّداً (ص) ودّعه ربّه، وقيل: انّ اليهود سألوا محمّداً (ص) عن ذى القرنين واصحاب الكهف فقال (ص): اخبركم غداً ولم يستثن فاحتبس الوحى و اغتمّ لشماتة الاعداء، فنزلت تسليةً [وَلَلْآخِرَةُ] اى الدّار الآخرة [خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولىٰ] اى الدّنيا او الكرّة الآخرة من جبرئيل فى الوحى عليك خير لك من المرّة الاولى [وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضىٰ] اى سوف يعطيك فى الدّنيا او فى الآخرة ما يحصل لك به مقام الرّضا او ما يحصل لك الرّضا به، وقد فسّر المعطى بالشّفاعة الكبرى و لذلك ورد انّ هذه

الآية ارجى آية في كتاب الله ، وعن الصّادق (ع) رضا جدّى (ص) ان لايبقى فى النّار موحّدٌ [أَلَمْ يَجِدْكَ] استفهام انكاريٌّ و استشهاد على اعطاء ما يرضاه كأنّه قيل : ما الدّليل على صدق هذا الوعد ؟ - فقال : الدّليل عليه انّه وجدك [يَتِيمًا] عن الاب والامّ [فَـَٔاوَىٰ] اى آواك اليه اووجدك يتيماً بلانظير فآوى النّاس اليك كما فى الخبر [وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ] عطف على الم يجدك فانّه فى معنى و جدك يتيماً اى وجدك قاصراً عن مرتبة الكمال المطلق فهداك اليه ، او وجدك متحيّراً فى امر معاشك فهداك الى تدبير معيشتك فانّه يقال للمتحيّر فى مكسبه : انّه ضالّ ، اووجدك لاتعرف ماالكتاب ولاالايمان فهديك اليهما ، وقيل : المعنى وجدك ضالّاً فى شعاب مكّة فهداك الى جدّك عبدالمطّلب لانّه روى انّه ضلّ فى شعاب مكّة وهوصغير فرآه ابوجهل وردّه الى جدّه ، وقيل : انّ حليمة الّتى كانت ترضعه ارادت ان تردّه الى جدّه بعداتمام رضاعه وجاءت به الى جدّه فضلّ فى الطّريق فطلبته جزعةً فرأت شيخاً متّكأً على عصاه فسألها عن حالها فاخبرته بذلك فقال : لاتجزعى انا ادلّك عليه فجاء الى هبل فقال : هذه السّعديّة ضلّ عنها رضيعها وجئت اليك لتردّ محمّداً (ص) عليها فلمّا تفوّه باسم محمّد (ص) تساقطت الاصنام وسمع صوتاً انّ هلاكنا على يدى محمّد (ص) فخرج واسنانه تصطكّ فأخبرت عبدالمطّلب (ع) فطاف بالبيت فدعا فأشعر بمكانه فأقبل عبدالمطّلب فى طلبه فاذاً هو تحت شجرةٍ يلعب باوراقها ، وقيل : انّه خرج مع عمّه ابى طالب (ع) فى قافلة ميسرة غلام خديجة فبينما هو راكبٌ ذات ليلةٍ جاء ابليس فأخذ بزمام ناقته فعدل به عن الطّريق فجاء جبرئيل وردّه الى القافلة ، اوالمعنى وجدك ضالّاً عن قومك بمعنى انّ قومك كانوا لايعرفون مرتبتك فهدى قومك الى معرفتك [وَوَجَدَكَ عَآئِلًا] اى فقيراً [فَأَغْنَىٰ] يعنى وجدك محتاجاً فى المال فأغناك بمال خديجة ، او بالقناعة اوفى العلم فأغناك بالوحى ، اووجدك ذاعيالٍ فأغناك ، او وجدك تمون قومك بارزاقهم المعنويّة فأغناك بالوحى ، روى عن الرّضا (ع) انّه قال : فرداً لامثل لك فى المخلوقين فآوى النّاس اليك ، و وجدك ضالّاً اى ضالّة فى قوم لايعرفون فضلك فهداهم اليك ، ووجدك عائلاً تعول اقواماً بالعلم فأغناهم بك [فَأَمَّا الْيَتِيمَ] عن الاب الصّورىّ او عن الامام بان لايكون له امام او بان انقطع عن امامه بغيبته او بموته او بعدم الحضور الملكوتىّ عنده وان كان حاضراً عنده بالحضور الملكىّ ، او اليتيم عن العلم [فَلَا تَقْهَرْ] اى لاتقهره على ماله فتذهب بحقّه او لاتحتقره ، روى انّ رسول الله (ص) قال : من مسح على رأس يتيمٍ كان له بكلّ شعرة تمرّ على يده نور يوم القيامة ، وفى خبرٍ : لايلى احدكم يتيماً فيحسن ولايته و وضع يده على رأسه الّا كتب الله له بكلّ شعرةٍ حسنةً ، ومحا عنه بكلّ شعرةٍ سيّئةً ، و رفع له بكلّ شعرة درجةً ، وفى خبرٍ : انا وكافل اليتيم كهاتين فى الجنّة اذااتّقى الله عزّوجلّ ، واشار بالسّبّابة والوسطى [وَأَمَّا السَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ] اى لاتزجر ، والمراد بالسّائل من يسأل من اعراض الدّنيا ، اومن يلتمس امراً من امور الآخرة ، روى عن رسول الله (ص) : اذا اتاك سائل على فرس باسط كفّيه فقد وجب الحقّ ولو بشقّ تمرةٍ [وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ] النّعمة كمامرّ مراراً ليست الّا الولاية ، او ما كان لاهل الولاية من حيث انّهم اهل الولاية سواء كان من لوازم الحياة الدّنيا و طواريها ، اومن لوازم الحياة الآخرة وغاياتها ، وسواء كان بصورة النّعمة او بصورة البلاء ، والتّحديث اعمّ من ان يكون بالفعل او بالقول او بالكتابة او بالاشارة بل التّحديث بالفعال احبّ الى الله من التّحديث بالمقال ، فاذا انعم الله على عبد بنعمة من النّعم الصّوريّة الدّنيويّة او الاخرويّة المعنويّة احبّ ان يرى من المنعم عليه ان يظهرها بلسانه او بفعاله ، فلوكتمها من غير مرجّحٍ الٓهىّ كان كافراً لانعم الله ، ولمّا كان الخطاب يعمّ الرّسول (ص) واتباعه كان الامر بالتّحديث مختلفاً بحسب اختلاف الاشخاص والاحوال ، فانّه اذاكان الخطاب لمحمّدٍ (ص) كان الامر بتحديث الولاية والنّبوّة والرّسالة والقرآن واحكام الولاية

والنّبوّة والرّسالة ونزول الوحى والملك عليه والنّعم الصّوريّة جميعاً، وان كان الخطاب لخلفائه كان الامر بتحديث جميع ذلك لكن فى النّبوّة والرّسالة القرآن بنحو الخلافة لا الاصالة، وان كان الخطاب للمؤمنين كان الامر بتحديث الولاية الّتى قبلوها بالبيعة الخاصّة والرّسالة الّتى قبلوها بالبيعة العامّة و بتحديث احكامهما و بتحديث النّعم الصّوريّة، وان كان الخطاب للمسلمين كان الامر بتحديث الرّسالة الّتى قبلوها بالبيعة العامّة و بتحديث احكامها و بتحديث سائر النّعم، وعن الصّادق (ع) انّه قال: اذا انعم الله على عبده بنعمةٍ فظهرت عليه سمّى حبيب الله محدّثاً بنعمة الله، و اذا انعم الله على عبده بنعمةٍ فلم تظهر عليه سمّى بغيض الله مكذّباً بنعمة الله، وعن امير المؤمنين (ع) فى حديث منعه لعاصم بن زيادٍ عن لبس العباء وترك الملأ: لابتذال نعم الله بالفعال احبّ اليه من ابتذاله لها بالمقال وقد قال الله تعالى: وامّا بنعمة ربّك فحدّث والاخبار فى اظهار العلم والدّين وسائر النّعم اذا لم يكن مانع من ذلك كثيرة.

سورة الم نشرح

ثمان آياتٍ، مكّيّة

بسم الله الرّحمن الرّحيم

[أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ] لمّا كان اوّل هذه السّورة على سياق السّورة السّابقة و تعداد النّعمة تعالى على محمّدٍ (ص) ورد فى بعض الاخبار انّه لا يقرأ فى الفريضة احديهما بدون الاخرى، وافتى بعض العلماء لذلك انّهما سورة واحدة، وشرح كمنع كشف وقطع كشرّح من التّشريح وفتح وشرح الشّيء بمعنى جعله وسيعاً، وشرح الصّدر توسعته بحيث لا يضيق عن ملائمٍ ولا عن غير ملائم، وشرح صدر محمّدٍ (ص) كان عبارة عن عدم ضيقه عن الجمع بين الكثرات والوحدة، ودعوة الخلق وعبادة الحقّ، روى انّه سئل النّبىّ (ص) فقيل: يارسول الله (ص) اينشرح الصّدر؟- قال: نعم، قال: يارسول الله (ص) وهل لذلك علامة يعرف بها؟- قال: نعم، التّجافى عن دار الغرور، والانابة الى دار الخلود، والاعداد للموت قبل نزول الموت [وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ الَّذِى أَنْقَضَ ظَهْرَكَ] اى حملك الثّقيل الّذى صوّت، اواثقل، اوكسر ظهرك، والمراد ثقل دعوة الخلق اومعاشرتهم، اوثقل استماع الوحى و رؤية الملك فانّه (ص) فى اوّل نزول الوحى صار محموماً وقال: دثّرونى كما سبق، اوثقل اظهار النّبوّة واظهار الصّلوة وغيرها، اوثقل اذى الكفّار والغموم الّتى تلحقه منهم، اوثقل اصلاح المسلمين واقامتهم على الدّين [وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ] بعد ما كنت خامداً مختفياً فى شعب عمّك مدّة مديدة، فانّه رفع ذكره حتّى سمع به فى حياته العرب والعجم وسمع به بعد وفاته جميع البلاد، ورفع ذكره بحيث قرنه بذكره تعالى فى الاذان الاعلامىّ وفى اذان الصّلوة واقامتها، و رفع ذكره بحيث يذكره الخطّاب والوعّاظ فى خطبهم ومواعظهم ومنابرهم، و رفع ذكره بحيث كلّ من سمع به صلّى عليه، و رفع ذكره بان شقّ اسمه من اسمه [فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا] الفاء للسّببيّة والمعنى سهّلنا لك امورك بعد ما كان صعباً اليك بسبب انّا جعلنا ان يكون لكلّ عسرٍ يسرين فهو تعليل لسابقه و وعد له (ص) بيسرٍ آخر، والمراد بالعسر الفقر اوتألّمه (ص) عن عدم ايمان قومه وعن ايذاء المشركين له (ص) وللمؤمنين، اوضيق صدره عن المعاشرة مع الخلق ودعوتهم واقامة عوجهم [إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا] تكرير للاوّل وتأكيد له ولذلك لم يأت باداة الوصل، والمكرّر اذا كان معرّفاً باللّام كان عين الاوّل اذا لم يكن قرينة، واذا كان منكّراً كان غيره اذا لم يكن قرينة على خلافه، ولذلك ورد فى الاخبار انّه: لا يغلب

عسرٌ يسرين، فعن النّبيّ (ص) انّه خرج مسروراً فرحاً وهو يضحكك ويقول: لن يغلب عسرٌ يسرين فانّ مع العسر يسراً، انّ مع العسر يسراً [فَإِذا فَرَغْتَ فَانْصَبْ وَإِلىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ] نصب من باب علم بمعنى اعيى واتعب، وعيش ناصبٌ ذو كدّ وجهد، ونصب من باب ضرب بمعنى رفع ووضع من الاضداد، ونصب له من باب ضرب بمعنى عاداه، والنّاصبيّ من كان معادياً لعليٍّ (ع) مبالغةً في النّاصب، اومنسوب الى من ابدع المعاداة له (ص) اوّلاً، والمعنى كلّما فرغت ممّا عليك من مرمّة معاشك ومن دعوة الخلق وجهادهم وممّا افترض الله عليك من امور دينك فاجهد واتعب في ابتغاء وجه الله ومرضاته، وقيل: اذا فرغت من عبادة فعقّبها باخرى ولا تخل وقتاً من اوقاتك فارغاً لم تشغله بعبادة، وعن الصّادقين (ع): فاذا فرغت من الصّلوة المكتوبة فانصب الى ربّك في الدّعاء وارغب اليه في المسئلة يعطك، وعن الصّادق (ع): هو دعاء في دبر الصّلوة وانت جالس، وقيل: اذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام اللّيل، وقيل: اذا فرغت من دنياك فانصب في عبادة ربّك، وقيل: اذا فرغت من الجهاد فانصب في العبادة، او فانصب في جهاد نفسك، وقيل: اذا فرغت من العبادة فانصب لطلب الشّفاعة، وقيل: اذا صححت وفرغت من المرض فانصب في العبادة، وقيل: اذا فرغت ممّا يهمّك فانصب في الفرار من النّار، وعن الصّادق (ع): اذا فرغت من نبوّتك فانصب عليّاً (ع)، والى ربّك فارغب، وعنه انّه قال: يقول: فاذا فرغت فانصب علمك واعلن وصيّك فأعلمهم فضله علانيةً فقال: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، الحديث، قال: وذلك حين اُعلم بموته ونُعيت اليه نفسه، وظاهر هذين الخبرين انّه (ع) قرئ: انصب بكسر الصّاد، ويمكن استفادة هذا المعنى من القراءة المشهورة لجواز ان يكون المعنى اذا فرغت من تبليغ الرّسالة وتبليغ جميع الاحكام، اومن حجّة الوداع فجدّوا تعب في خلافة عليٍّ (ع) فيكون بمعنى اعي، او بمعنى ارفع خليفتك واعلنه، او بمعنى ارفع خليفتك عليهم، قال الزّمخشريّ: ومن البدع ما روي عن بعض الرّافضة انّه قرئ فانصب بكسر الصّاد اي فانصب عليّاً (ع) للامامة، ولو صحّ هذا للرّافضيّ لصحّ للنّاصبيّ ان يقرأه هكذا ويجعله آمراً بالنّصب الّذي هو بغض عليٍّ (ع) **اقول**: ليس في القراءات المشهورة ولا في الشّاذّة قراءة انصب بكسر الصّاد، ولا دلالة فيما ذكرناه من الرّوايتين على القراءة المذكورة، وقوله تعالى بعد ذلك: والى ربّك فارغب، يدلّ على انّه امر بنصب الخليفة فانّ ظاهره يدلّ على نعي نفسه (ص)، والمناسب لنعي نفسه تعيين الوصيّ لنفسه ونصب خليفة للنّاس لئلّا ينفصم نظامهم.

سورة والتّين

مكّيّة، وقيل: مدنيّة، ثمان آياتٍ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

[وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ] التّين فاكهة معروفة وهو غذاء وادام وفاكهة كثير الغذاء قليل الفضول لا نوى له ولا قشر نافع لكثيرٍ من الامراض واسم جبل بالشّام ومسجد بها، وجبل بقطفان، واسم دمشق، ومسجد، وطور تيناء بفتح التّاء والمدّ او القصر بمعنى طور سيناء، والزّيتون شجرة الزّيت اوثمرتها وهو ايضاً كثير المنافع يعصر منه دهنٌ يكون اداماً وجزءً لاكثر الادام في بلادهم، ومسجد دمشق، اوجبال الشّام، وبلد بالصّين، وقرية بالصّعيد، ويجوز لله تعالى القسم بكلٍّ منهما، ولكن لمّا كان قوله: وطور سينين، وهذا البلد الامين معطوفاً عليهما فالاوفق ان يكون المراد بهما احد الامكنة

بحسب الظّاهر، و الاوفق بحسب التّأويل ان يكون المراد بالتّين جهة النّفس العمّالة الآلهيّة، و بالزّيتون جهتها العلّامة فانّهما مسجدان فى العالم الصّغير [وَطُورِ سِينِينَ] سينين وسينا بالمدّ مكسورة السّين ومفتوحتها، وسينىٰ بفتح السّين و القصر يضاف اليها الطّور، و قد مضى فى سورة المؤمنون بيانٌ لها [وَهٰذَا الْبَلَدِ الْاَمِينِ] اى مكّة، وكونها اميناً لجعلها مأمناً بالمواضعة ومأمناً بمحض مشيّة الله حيث ابتلى بعض من اراد التّعرّض لها كأصحاب الفيل، وطورسينين بحسب التّأويل فى العالم الصّغير اشارة الى الجهة العليا من النّفس الّتى يناجى الصّاعد عليها ربّه و يشاهد حضرته، وهذا البلد الامين الى مقام القلب ونواحيه، وعن الكاظم (ع) انّه قال: قال رسول الله (ص) انّ الله تبارك وتعالى اختار من البلد ان اربعةً فقال تعالى: والتّين والزّيتون و طور سينين وهذا البلد الامين فالتّين المدينة، و الزّيتون بيت المقدس، وطورسينين الكوفة، وهذا البلد الامين مكّة، وقال القمّىّ: التّين رسول الله (ص)، والزّيتون امير المؤمنين (ع)، و طور سينين الحسن (ع) والحسين (ع)، و هذا البلد الامين الائمّة، وعن الكاظم (ع) التّين والزّيتون الحسن (ع) والحسين (ع)، وطور سيناء علىّ بن ابى طالب (ع)، وهذا البلد الامين محمّد (ص)، وهذه الاخبار اشارة الى بعض وجوه التّأويل [لَقَدْ خَلَقْنَا الْاِنْسَانَ فِى اَحْسَنِ تَقْوِيمٍ] قوّمه جعله معتدلاً، وقوّمه ازال عوجه، وكون الانسان فى احسن تقويم بحسب الصّورة والمعنى مشهود ومحسوسٌ فانّه جُعل جميع اجزائه واعضائه مناسباً وموافقاً له، وجعل جميع مراتبه العالية ايضاً مناسباً وموافقاً، واذا لوحظ مع كلّ مولودٍ من النّبات و الحيوان كان احسن تعديلاً منه [ثُمَّ رَدَدْنَاهُ اَسْفَلَ سَافِلِينَ] نكّر السّافلين للاشارة الى انّهم من فظاعة حالهم ونكارة تسفّلهم لايمكن تعريفهم فانّهم يجعلهم اخسّ واسفل من النّسوان والاطفال والمجانين، اوجعلناه من اهل اسفل دركات الجحيم، وقد فسّر الانسان بمنافقى الامّة فى الاخبار فيكون الاستثناء منقطعاً، وان كان المراد مطلق الانسان وهو الاوفق كان الاستثناء متّصلاً وكان المعنى لقد خلقنا هذا الجنس فى ضمن جميع الافراد فى احسن تقويم بحسب صورته و باطنه، ثمّ رددناه اسفل سافلين بحسب صورته و بحسب باطنه حيث انزلناه الى اسفل دركات الجحيم [اِلَّا الَّذِينَ اٰمَنُوا] بالبيعة العامّة او بالبيعة الخاصّة [وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ] قد مضى مكرّراً بيان هذه العبارة يعنى لانردّهم اسفل سافلين [فَلَهُمْ اَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ] يعنى بسبب انّ لهم اجراً غير مقطوعٍ اوغير ممنون به عليهم فانّ المؤمنين كمايكونون من اوّل الصّبا فى النّمو بحسب الصّورة يكونون فى النّموّ بحسب الباطن الى آخر العمر ليس ينقص زيادة العمر من ايمانهم شيئاً، وكمايكونون بحسب الباطن فى النّموّ يكون اكثرهم بحسب الظّاهر فى ازدياد البهاء والنّضرة الى آخر العمر [فَمَا يُكَذِّبُكَ] كذّب بالامر من باب التّفعيل انكره، وكذّبه حمله على الكذب وجعله كاذباً وعدّه كاذباً والمعنى اىّ شيءٍ يحملك او يجعلك او يعدّك كاذباً [بَعْدُ] اى بعد هذا الدّليل المشهود المحسوس على الحشر [بِالدِّينِ] بالحشر والجزاء، او بسبب هذا الدّين الّذى انت عليه، او بولاية علىّ (ع) او بعلىّ (ع)، والخطاب خاصّ بمحمّد (ص) على التّعريض اوعامّ [اَلَيْسَ اللّٰهُ بِاَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ] اى احسن الحاكمين فى حكمه اواشدّ المتقنين فى اتقان صنعه يعنى انّك اذا نظرت الى صورة الانسان وسيرته ايقنت بانّه احسن حكماً واتقن صنعاً من كلّ صانعٍ، ومن كان كذلك لايهمل صنعه الّذى عمل فيه دقائق الصّنع الّتى تحيّر فيها اولوا الالباب ولا يبطله بلاغايةٍ، فانّ ادنى صانعٍ اذا كان عاقلاً لايبطل صنعه من غير فائدةٍ.

سورة العلق

مكّيّة، عشرون آيةً، وقيل: تسع عشر آيةً

بسم الله الرّحمن الرّحيم

[اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ] فى اكثر الاخبار من طرق العامّة والخاصّة انّ هذه السّورة اوّل سورة نزلت عليه (ص) وكانت هذه السّورة فى اوّل يوم نزل جبرئيل على رسول الله (ص) واوّل ما نزل كان خمس آيات من اوّلها، وقيل: اوّل ما نزل سورة المدّثّر، وقيل: فاتحة الكتاب، ولفظة الباء فى باسم ربّك للسّببيّة او للاستعانة، والمعنى انّك كنت قبل ذلك تقرأ بنفسك، وبعد ما فنيت من نفسك وابقيت بعد الفناء وارجعت الى الخلق صرت مشاهداً للحقّ فى الخلق وفاعلاً وقائلاً وقارياً بالحقّ لا بنفسك، فاقرء مكتوبات الله فى الواح الطّبائع والمثال ومقروّات ملائكته عليك ومسموعاتك من وسائط الحقّ تعالى بعد ما رجعت الى الخلق باسم ربّك لا بنفسك، وقيل: لفظة الباء زائدة، والمعنى اقرء اسم ربّك والمعنى انّك كنت تقرأ قبل الفناء اسماء الاشياء، وبعد البقاء ينبغى ان تقرأ اسم ربّك لانّك لاترى بعد ذلك الّا اسماء الله لا اسماء الاشياء [اَلَّذى خَلَقَ] يعنى بعد الرّجوع لاترى الاشياء الّا مخلوقين من حيث انّهم مخلوقون، ولمّا كان قوام المخلوق من حيث انّه مخلوق بالخالق بل ليس للمخلوق من تلك الحيثيّة شيئيّة وانانيّة الّا شيئيّة الخالق وانانيّته فلم يكن فى نظرك الّا اسم الله الخالق، ولمّا كان ظهور خالقيّته واتقان صنعه ودقائق حكمته وحسن صانعيّته بخلق الانسان والسّير من مقام كماله فى خلقه او فى امره وخلقه الى اخسّ موادّه بطريق السّير المعكوس قال تعالى [خَلَقَ الْاِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ] العلق محرّكةً الدّم عامّةً، او الشّديد الحمرة، او الغليظ، او الجامد منه، والطّين الّذى يعلق باليد، والكلّ مناسب [اِقْرَأْ] خلق الانسان بدل من خلق نحو بدل البعض من الكلّ، اونحو بدل الكلّ من الكلّ، او تأكيد له او مستأنف وتفسير له، جوابٌ لسؤال مقدّرٍ او مفعول لاقرء الثّانى وهو جوابٌ لسؤال مقدّرٍ كأنّه قيل: ما اقرء؟- فقال: اقرء خلق الانسان من علقٍ [وَرَبُّكَ الْاَكْرَمُ] الكريم السّخىّ الحيىّ الّذى يعطى بلاعوضٍ ولاغرضٍ، ويتحمّل من غير عجزٍ، ولايظهر اساءة المسيء فى وجهه، والاكرم البالغ فى ذلك، وهو خبر ربّك او وصفه [اَلَّذى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ] اى علّم الانسان الخطّ بالقلم، او علّم جميع ما دون الاقلام العالية جميع ما يحتاجون اليه تعليماً وجوديّاً او تعليماً شعوريّاً بتوسّط الاقلام العالية، او اشعر الانسان بالقلم الطّبيعىّ حتّى حصّل انواع الخطوط بتوسّطه، او اشعر الانسان بالاقلام العالية وانّها اوائل علله حتّى يطلب التّشبّه بها والوصول اليها [عَلَّمَ الْاِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ] بدل او تأكيد او مستأنف جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ والمراد من التّعليم بالقلم التّعليم الوجودىّ وبتعليم ما لم يعلم التّعليم الشّعورىّ يعنى علّم الانسان بالتّعليم الشّعورىّ ما لم يعلم بالتّعليم الوجودىّ او كلاهما عامّ [كَلّا] ردع وجوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: ان كان الرّبّ الاكرم الّذى علّم الانسان ما لم يعلم فما له لم يعلم جميع الاناسىّ من اوّل اعمارهم جميع ما لم يعلموا حتّى يستغنوا من اوّل الامر بحسب العلم؟- فقال: كفّ عن هذا السّؤال وهذا التّمنّى [اِنَّ الْاِنْسانَ لَيَطْغى اَنْ رَآهُ اسْتَغْنى اِنَّ اِلى رَبِّكَ الرُّجْعى] خطاب لمحمّدٍ (ص) او للانسان، وجوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه (ص) قال: فما له بعد هذا الطّغيان؟- او كأنّ الانسان قال: فما لنا بعد الطّغيان؟- قال:

انّ الی ربّک الرّجعی [اَرَأَیْتَ الَّذی یَنْهی عَبْدًا اِذا صَلّی] نزلت فی ابی جهل فانّه قال: لو رأیت محمّداً (ص) یعفّر لوطئت عنقه، فقیل: هو یسجد، فجاءه ثمّ رجع علی عقبه وکان یتّقی بیدیه، فقیل له فی ذلک، فقال: انّ بینی و بینه خندقاً من النّار و هولاً واجنحة [اَرَأَیْتَ اِنْ کانَ] المصلّی [عَلَی الْهُدی اَوْ اَمَرَ بِالتَّقْوی] ای وامر بالتّقوی لکنّه أتی بلفظة او للاشعار بانّ کلاّ من الوصفین یکفی فی سوء حال النّاهی عن الصّلوة، وجواب الشّرط محذوف [اَرَأَیْتَ] هذه وسابقتها تکریرٌ و تأکیدٌ للاولی فانّ المقام مقام الذّمّ والسّخط، والتّکریر مطلوبٌ [اِنْ کَذَّبَ وَتَوَلّی] متعلّق کذّب و تولّی یجوز ان یکون الله او الرّسول او الصّلوة [اَلَمْ یَعْلَمْ بِاَنَّ اللّهَ یَری] یعنی ان کان یعلم فهو ملوم مستحقّ للعذاب مرّتین، وان کان لا یعلم فهو ملوم ومستحقّ للعذاب مرّة واحدة [کَلاّ] ردع للانسان عن فعله [لَئِنْ لَمْ یَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنّاصِیَةِ] سفعه لطمه وضربه، وسفع الشّیء وسمه، وسفع السّموم وجهه لفحه لفحاً یسیراً، وسفع بناصیته قبض علیها فاجتذبها، ویجوز ان یکون السّفع ههنا من کلّ من هذه ای لنقبضنّ علی ناصیته ونجرّنّه الی النّار، اولنسوّدنّ وجهه، والاختصاص بالنّاصیة لانّه اشرف اجزاء الوجه وما به ظهوره اوّلاً، او لنعلمنّه[1] اولنذلّنّه، او لنضربنّه، وقد مضی فی سورة هود تحقیق الاخذ بناصیة کلّ دابّة عند قوله تعالی: ما من دابّة الاّ هو آخذ بناصیتها [ناصِیَةٍ کاذِبَةٍ خاطِئَةٍ] نسبة الکذب والخطیئة الی النّاصیة مجاز [فَلْیَدْعُ نادِیَهُ] ای اهل نادیه، قیل: انّ اباجهل قال: اتهدّدنی وانا اکثر اهل الوادی نادیاً؟! فنزلت [سَنَدْعُ الزَّبانِیَةَ] جمع الزّبنیة کشرذمة متمرّد الجنّ والانس والشّدید منهما، والشّرطیّ، اوالزّبانیة جمع الزبنیّ بکسر الزّاء والنّون وتشدید الیاء بمعنی الشّرطیّ، یعنی سندعوا الزّبانیة لاخذه فلیدع نادیه لدفع العذاب ومدافعتنا [کَلاّ] ردع لمحمّد (ص) عن انثلام عزیمته فی طاعة ربّه، اوالخطاب عامّ وکلاّ ردعٌ لمن اراد اتّباع ابی جهل فی غوایته [لا تُطِعْهُ] فی النّهی عن الصّلوة او فی تکذیبه لمحمّد (ص) [وَاسْجُدْ][2] ولا تکترث بنهیه ای صلّ واسجد فی صلوتک اوتذلّل لربّک [وَاقْتَرِبْ] بسجدتک الی ربّک فانّ اقرب ما یکون العبد الی ربّه وهو ساجد، والسّجود ههنا فرض، فعن ابی عبدالله (ع): العزائم آلم تنزیل، وحم السّجدة، والنّجم اذا هوی، و اقرء باسم ربّک، وما عداها فی جمیع القرآن مسنون ولیس بمفروض، وفرض السّجدة علی الامّة ان کان الخطاب خاصّاً بمحمّد (ص) کان بتبعیّته وفرض السّجدة لقراءة امثال هذه الآیة اواستحبابه لما ذکرنا مکرّراً انّ القاری ینبغی ان یکون حین القراءة فانیاً عن نسبة الافعال الی نفسه ویکون لسانه لسان الله لا لسان نفسه حتّی لا یکون فی زمرة من قال الله تعالی: یلوون السنتهم بالکتاب لتحسبوه من الکتاب وما هو من الکتاب فاذا صار لسان القاری لسان الله ینبغی ان یستمع الامر بالسّجدة من الله فیسجد لسماع الامر بالسّجدة امتثالاً لامر الله المسموع من لسانه الّذی صار لسان الله.



سورة القدر

مکّیّة، وقیل: مدنیّة، ستّ آیاتٍ

(۱) من العلامة. (۲) سجدةٌ واجبةٌ.

بسم الله الرّحمن الرّحيم

[إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ] اى القرآن ، ابهمه من دون ذكر له تفخيماً له بادّعاء انّه معيّن من غير تعيين كما انّ نسبة الانزال الى ضمير المتكلّم و تعيين الظّرف تفخيم له و قد انزل القرآن بصورته [فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ] الّتى هى صدر محمّد (ص) ، وفى ليلة القدر الّتى هى النّقوش المداديّة والالفاظ الّذى يختفى المعانى تحتها.

اعلم، انّه يعبّر عن مراتب العالم باعتبار امد بقائها ، وعن مراتب الانسان باعتبار النّزول باللّيالى و باعتبار الصّعود بالايّام لانّ الصّاعد يخرج من ظلمات المراتب الدّانية الى انوار المراتب العالية ، و النّازل يدخل من انوار المراتب العالية فى ظلمات المراتب النّازلة كما انّه يعبّر عنها باعتبار سرعة مرور الواصلين اليها و بطوء مرورهم بالسّاعات و الايّام والشّهور و الاعوام ، و ايضاً يعبّر عنها باعتبار الاجمال فيها بالسّاعات و الايّام و باعتبار التّفصيل بالشّهور والاعوام، وانّ المراتب العالية كلّها ليال ذووالاقدار وانّ عالم المثال يقدّر قدر الاشياء تماماً فيه و يقدّر ارزاقها وآجالها ومالها و ما عليها فيه ، وهوذوقدر وخطر ، وهكذا الانسان الصّغير وليالى عالم الطّبع كلّها مظاهر لتلك اللّيالى العالية ، فانّها بمنزلة الارواح لليالى عالم الطّبع و بها تحصّلها و بقاؤها لكن لبعض منها خصوصيّة ، بتلك الخصوصيّة تكون تلك اللّيالى العالية اشدّ ظهوراً فى ذلك البعض ولذلك ورد بالاختلاف و بطريق الابهام والشّكّ: انّ ليلة القدر ليلة النّصف من شعبان، اوالتّاسع عشر اوالحادى والعشرون، اوالثّالث والعشرون ، اوالسّابع والعشرون، اواللّيلة الاخيرة من شهر رمضان وغير ذلك من اللّيالى ، وعالم الطّبع وكذلك عالم الشّياطين والجنّ بمراتبها ليس بليلة القدر،وهذان العالمان عالما بنى اميّة وليس فيهما ليلة القدر ، والاشهر المنسوبة الى بنى اميّة الّتى ليس فيها ليلة القدر كناية عن مراتب ذينك العالمين [وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ] الاتيان بالاستفهامين لتفخيم تلك اللّيلة ، ولمّا لم يمكن بيان حقيقة تلك اللّيلة قال تعالى [لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ] ليس فيها ليلة القدر ، فى اخبار كثيرة عن طريق الخاصّة: انّ رسول الله (ص) رأى فى منامه انّ بنى اميّة يصعدون على منبره من بعده و يضلّون النّاس عن الصّراط القهقهرى فأصبح كئيباً حزيناً فهبط عليه جبرئيل فقال : يارسول الله (ص) مالى اراك كئيباً حزيناً؟- قال: ياجبرئيل انّى رأيت بنى اميّة فى ليلتى هذه يصعدون منبرى من بعدى يضلّون النّاس عن الصّراط القهقرى ، فقال : والّذى بعثك بالحقّ نبيّاً انّى ما اطّلعت عليه فعرج الى السّماء فلم يلبث ان نزل عليه بآى من القرآن يونسه بها ، قال: افرأيت ان متّعناهم سنين ثمّ جاءهم ماكانوا يوعدون ما اغنى عنهم ماكانوا يمتّعون وانزل عليه: انّا انزلناه فى ليلة القدر وما ادريك ماليلة القدر ليلة القدر خيرٌ من الف شهر ، جعل الله ليلة القدر لنبيّه (ص) خيراً من الف شهر ملك بنى اميّة ، روى انّه ذكر لرسول الله (ص) رجلٌ من بنى اسرائيل انّه حمل السّلاح على عاتقه فى سبيل الله الف شهر فعجب من ذلك عجباً شديداً وتمنّى ان يكون ذلك فى امّته فقال : يا ربّ جعلت امّتى اقصر الامم اعماراً واقلّها اعمالاً فأعطاه الله ليلة القدروقال: ليلة القدر خيرٌ من الف شهر الّذى حمل الاسرائيلىّ السّلاح فى سبيل الله لك ولامّتك من بعدك الى يوم القيامة فى كلّ رمضان [تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ] تنزّل نزل فى مهلة ومضى فى سورة بنى اسرائيل بيان الرّوح وانّه اعظم من جميع الملائكة وانّه ربّ النّوع الانسانىّ [فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ] بعلمه او اباحته [مِنْ كُلِّ أَمْرٍ] لاجل كلّ امر قدّر فى تلك اللّيلة وقرئ من كلّ امرء بهمزة فى آخره يعنى من اجل كلّ انسان من حيث خيره او شرّه ، وقيل: من كلّ امر متعلّق بقوله تعالى [سَلَامٌ هِيَ] و الظّاهر انّه متعلّق بتنزّل و معنى سلامٌ هى [حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ] انّ تلك اللّيلة

سلامة من كل شرّ وآفة ، اوهى تحيّة على طريق المجاز كما ورد عن السّجاد (ع) يقول: يسلّم عليك يامحمّد(ص) ملائكتى وروحى سلامى من اوّل مايهبطون الى مطلع الفجر ، وقال القمّىّ: تحيّة يحيّى بها الامام الى ان يطلع الفجر، و فى خبر انّ علامة ليلة القدر ان يطيب ريحها ان كانت فى برد دفئت ، وان كانت فى حرّ بردت ، وفى رواية : لاحارّة ولا باردة تطلع الشّمس فى صبيحتها ليس لها شعاع .

سورة البيّنة

مدنيّة ، وقيل : مكّيّة ، ثمان آيات

بسم الله الرّحمن الرّحيم

[لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ اَهْلِ الْكِتابِ] اى اليهود والنّصارى فانّهم كانوا معروفين بهذا الاسم [وَالْمُشْرِكِينَ] عبدة الاصنام اوعبدة الاصنام وغيرهم من اصناف المشركين ، وسمّى اهل الكتاب كافرين لانّهم ستروا الدّين و الطّريق الى الله ، و ستروا الحقّ بحسب صفاته و ان كانوا اقرّوا بالتّوحيد [مُنْفَكِّينَ] اى لم يكونوا متفرّقين بان يكون بعضهم على الحقّ و بعضهم على الباطل بل كان جميعهم على الباطل مجتمعين فيه اومنفكّين عن دينهم اوعن الوعد باتّباع الحقّ اذاجاءهم محمّد (ص) اوعن الاقرار بمحمّد (ص) ورسالته اوعن الحجج والبراهين [حَتّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ] المراد بالبيّنة الرّسول (ص) اورسالته اومعجزاته، واستقبال تأتيهم بالنّسبة الى قوله لم يكن والّا فهو على المضىّ [رَسُولٌ مِنَ اللهِ] بدل من البيّنة بدل الكلّ او بدل الاشتمال او رسوله خبر مبتدء محذوف او مبتدء خبر محذوف او مبتدء خبره قوله تعالى [يَتْلُو] عليهم [صُحُفاً مُطَهَّرَةً] و المراد بالصّحف الالواح العالية و الاقلام الرّفيعة، اوالصّدور المستنيرة و القلوب المضيئة ، اوالكتب الماضية السّماويّة من كتب الانبياء الماضين والكلّ مطهّر من التّغيير و التّبديل والمادّة ونقائصها وانقلاباتها ومن مسّ ايدى الاشرار ومن اتيان البطلان اليها [فِيها كُتُبٌ قَيِّمَةٌ] اى مكتوبات مستقيمة لاعوج فيها اصلاً ، او مقيمة تقيم كلّ من اتّصل بها ، او معتدلة لا انحراف فيها، اوكافية يكفى جميع امور من توسّل بها ، اوالمراد بالصّحف المطهّرة القرآن وفيها جميع العلوم القلبيّة والقالبيّة الكافية لمن تدبّرها وتوسّل بها [وَما تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ] فيما ذكر سابقاً [اِلّا مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ] يعنى لم يكونوا منفكّين عن دينهم اواجتماعهم اوتصديق محمّد (ص) وما تفرّقوا الّا بعد الرّسول (ص) بان صدّق بعضهم وكذّب بعضهم و بقى بعضهم على دينه وترك بعضهم دينه [وَما أُمِرُوا] اى والحال انّهم ما امروا بشىء [اِلّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفاءَ] الحنيف الصّحيح الميل الى الاسلام الثّابت عليه و كلّ من حجّ اوكان على دين ابراهيم [وَيُقِيمُوا الصَّلٰوةَ وَيُؤْتُوا الزَّكٰوةَ] قد مضى فى اوّل البقرة بيان لاقامة الصّلوة وايتاء الزّكوة يعنى انّ اهل الكتاب ما امروا على لسان انبيائهم (ع) وفى كتبهم الّا بتوحيد العبادة المستلزم لتوحيد الواجب والمبدء ، و باقامة الصّلوة الّتى هى عماد الدّين و جالب الخصائل ، وايتاء الزّكوة الّذى هو تطهير من كلّ رذيلة ، و ما تأمرهم انت ايضاً الّا بذلك ، فما لهم اختلفوا فى تصديقك و تكذيبك؟! [وَذٰلِكَ] اى توحيد العبادة و توحيد المبدء و اقامة الصّلوة

و ايتاء الزّكوة [دِينُ الْقَيِّمَةِ] اى دين الكتب القيّمة ، و قيل : القيّمة جمع القائم اى دين القوم القائمين بأمرالله [إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا] بالرّسول (ص) او بكتابه او بأمرالله تعالى فى رسوله (ص) او بالولاية و الجملة جوابٌ لسؤال مقدّرٍ عن حال المختلفين [مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ] عطف على الّذين كفروا اوعلى اهل الكتاب [فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا] من اهل الكتاب والمشركين اومن اىّ فرقةٍ كانوا [وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ] ومقام الرّضا آخر مقامات النّفس الانسانيّة كما انّ جنّة الرّضوان آخر الجنان [ذٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ] قد مضى مكرّراً انّ الخشية حالة حاصلة من امتزاج الخوف والحبّ ولاتكون الّا بعد العلم بالمخشىّ منه الّذى كان له محبوبيّة ولذلك قال تعالى : انّما يخشى الله من عباده العلماء يعنى من لم يعلم بالله لم يخشه لعدم حصول المحبّة له .

سورة الزّلزال

تسع آياتٍ مدنيّة ، وقيل: مكّيّة

بسم الله الرّحمن الرّحيم

[إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا] المعهود وهو زلزال القيامة الصّغرى اوالكبرى اوالزّلزال الّلائق بحالها وهوالزّلزال المحيط بها وهوالزّلزال العامّ الّذى ليس الّا فى القيامة ، فانّ ارض البدن عندالاحتضار يتزلزل تزلزلاً عظيماً [وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا] اثقال الارض عبارة عن القوى والارواح وعن القوى والاستعدادات المكمونة فى ارض العالم الكبير او فى الابدان فانّ ارض البدن عندالموت تخرج بالموت جميع مافيها من الفعليّات الموجودة والاستعدادات المكمونة و تظهر حينئذٍ جميع المكمونات فى العالم الكبير [وَقَالَ الْإِنْسَانُ] الواقع فى الزّلزال او النّاظر الى الزّلزال تعجّباً من ذلك الزّلزال [مَا لَهَا يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا] روى عن الباقر (ع) انّ اميرالمؤمنين (ع) قال: انا الانسان وايّاى تحدّث اخبارها ، وروى عن النّبىّ (ص) انّه قال: اتدرون ما اخبارها؟ـ قالوا: الله ورسوله اعلم، قال : اخبارها ان تشهد على كلّ عبدٍ وامةٍ بما عمله على ظهرها ، تقول: عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا ، فهذه اخبارها [بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا] ان تحدّث وحى الهامٍ اووحياً بتوسّط الملك [يَوْمَئِذٍ] اى يوم القيامة الصّغرى [يَصْدُرُ النَّاسُ] اى القوى و المدارك الانسانيّة فى العالم الصّغير من مرافدها و محالّها او يوم القيامة الكبرى يصدر افراد النّاس من مراقدهم ومواقفهم [أَشْتَاتًا] متفرّقين فى صفوفٍ عديدةٍ بحسب مراتبهم ودرجاتهم فى السّعادة والشّقاوة [لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ] قرئ بفتح الياء وضمّها، وقد مضى مكرّراً انّ العامل يحصل من عمله فعليّة فى نفسه و يراه العامل بعدالموت بصورةٍ مناسبة لذلك العمل وهذا العامل، و يرى صورةً اخرى موافقةً لتلك الصّورة فى الآخرة فيرى أعماله بانفسها و بصورها الّلائقة بها المعبّر عن تلك الصّور بجزاء الاعمال [فَمَنْ يَعْمَلْ] من المؤمنين [مِثْقَالَ ذَرَّةٍ]

اى مقدارذرّة [خَيْراً يَرَهُ] يعنى لايعزب عن نظرالمؤمنين شيء يسيرٌ من اعماله و يرى اعماله بصورها و بجزائها ، واما شرورالمؤمن فاما ممحوّة اومغفورة اومبدلة، فلايراها،اوالمعنى فمن يعمل من المؤمن والكافر مثقال ذرّة خيراً يره لكنّ المؤمن يراه فى ميزان نفسه والكافر يراه فى ميزان المؤمن،فيزدادتحسّره [وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ] يعنى من يعمل من الكافر فانّ خيرات الكافر تحبط ، وشرورالمؤمن قدذكرانّه لايراها، اومن الكافروالمؤمن فانّ المؤمن يرى شروره فى ميزان الكافر.

سورة والعاديات

احدى عشرة آيةً ،مدنيّة، وقيل: مكّيّة

بسم الله الرحمن الرحيم

[وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا] اقسم بالخيل العاديات فى الجهاد ، والضّبح صوت انفاس الخيل وهومفعول مطلق للعاديات فانّها مستلزمة للضّبح ، اولفعله المحذوف ، او حال بمعنى ضابحات [فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا] ورى الزّند خرجت ناره ، واوريت الزّند اخرجت ناره ، وقدح بالزّند رام اخراج ناره، عبّرعن خروج النّارمن ملاقات حوافرالخيل والاحجار بالايراءوالقدح [فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا] اى وقت صبح ،واغار بمعنى عجّل فى المشى واغارعلى القوم غارةً واغارةً، واغارالفرس اشتدّعدوه فى الغارة [فَأَثَرْنَ بِهِ] اى بالصّبح او بالعدو [نَقْعًا] اى غباراً [فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ] الكنودكافر النّعم ، و الكافر واللّوّام لربّه تعالى ، والبخيل ، والعاصى ، و من يأكل وحده ويمنع رفده و يضرب عبده ، والمراد بالانسان مطلق الانسان ، فانّها كما روى نزلت فى غزاة علىّ (ع) لاهل الوادى اليابس كانوا اثنى عشرالفاً قد استعدّوا وتعاهدوا وتعاقدوا على ان يقتلوا محمّداً(ص) وعلىّ بن ابى طالب (ع) فأرسل النّبىّ (ص) اليهم ابابكرفلمّا وصل اليهم ورأى عدّتهم وكثرتهم جبّن وجبن اصحابه ورجع الى رسول الله (ص) فقال الرّسول (ص): خالفت قولى وعصيت الله وعصيتنى ، ثمّ ارسل اليهم عمر ، ففعل مثل ما فعل صاحبه ، ثمّ ارسل اليهم علياً (ع) واخبر انّه سيفتح الله على يديه ، فسار علىّ (ع) اليهم فى اربعة آلافٍ من المهاجرين و الانصار وساربهم غير مسير صاحبيه فانّهما كانايسير ان برفقٍ وسارعلىّ (ع) واتعب القوم حتّى وصل الى مكانٍ يرونهم فلمّا سمع اهل الوادى اليابس بمقدم علىّ (ع) اخرجوا اليه منهم فأتى رجل شاكى السّلاح وخرج علىّ (ع) مع نفرٍمن اصحابه فقالوا لهم: من انتم؟- ومن اين اقبلتم؟- قال: انا علىّ بن ابى طالب جئنا اليكم لنعرض عليكم الاسلام فان تقبّلوا والّا قتلناكم ، فقالوا : انّا قاتلوك و قاتلوا اصحابك ، و الموعود بيننا و بينك وقت الضّحوة من غدٍ ، فانصرفوا و انصرف علىّ (ع) ، فلمّا جنّه اللّيل امر اصحابه ان يحسنوا الى دوابّهم فلمّا انشقّ عمود الصّبح صلّى بالنّاس بغلس ثمّ غار عليهم بأصحابه ، فلم يعلموا حتّى وطئتهم الخيل فما أدرك آخراصحابه حتّى قتل مقاتليهم ، وسبى ذراريهم ، واستباح اموالهم ، وخرّب دبارهم ، واقبل بالاسارى والاموال معه، فصعدالرّسول (ص) المنبرقبل وصول علىّ (ع) واخبرالنّاس بما فتح الله على المسلمين واعلمهم انّه لم يفلت منهم الّا رجلان ، ونزل، فخرج يستقبل علياً (ع) فى جميع اهل المدينة حتّى لقيه على ثلاثة اميال من المدينة ،فلمّا رآه علىّ (ع) مقبلاً نزل عن دابّته ونزل النّبىّ (ص) حتّى التزمه وقبّل مابين

عينيه ، وعن جعفر بن محمّد (ع): ما غنم المسلمون مثلها قطّ الّا ان يكون من خيبر فانّها مثل خيبر فانزل الله تبارك فى ذلك اليوم هذه السّورة [وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ] يعنى انّ الانسان يشهد و يعلم انّه كنود ، اوالله يشهد على انّه كنود [وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ] اى بخيل اوقوىّ، والمراد بالخير المال اوالحياة اوكلّ ماكان ملائماً للانسان [أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ] اى بعث [مَا فِي الْقُبُورِ] اى قبور التّراب من الاموات، وقبور الابدان من القوى والفعليّات، والقوى والاستعدادات المكمونات [وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ] من النّيّات والارادات والخيالات والاعتقادات [إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ] الجملة مفعول يعلم معلّق عنها العامل يعنى انّه ينبغى ان يعلم ذلك فيرتدع من خلاف قول رسوله (ص) وضمير بهم راجع الى الانسان لانّه امّا فى معنى الجنس ، او راجع الى مافى القبور، والتّعبير بما لانّ ما فى القبور مادام فى القبور فى حكم غير ذى الشّعور ، واذا بعث من القبور صار فى حكم ذى الشّعور.

سُورَةُ الْقَارِعَةِ

مكّيّة، احدى عشرة آيةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ] وضع الظّاهر موضع المضمر وتكرير الاستفهام ونفى دراية محمّد (ص) اودراية من له شأن الدّراية تعظيم وتهويل للقارعة والمراد بالقارعة امّا القيامة فانّها تقرع كلّ من كان له فى الدّنيا انانيّة بما فيها من الاهوال ، او المراد بها الدّاهية الّتى تكون فى القيامة [يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ] الّذى يتهافت على السّراج ولا يكون لحركته وطيرانه نظام ، شبّه النّاس فى القيامة به لشدّة تحيّرهم وعدم انتظام حركاتهم مثل قوله تعالى: كأنّهم جرادٌ منتشرٌ و يوم منصوب بالقارعة ، او باعنى محذوفاً ، او بيكون محذوفاً [وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ] العهن الصّوف اوالمصبوغ منه الواناً ، والمنفوش المنتشر والمعنى تكون الجبال كالصّوف المصبوغ المندوف [فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ] اى ذات رضا ، او الوصف بحال المتعلّق اى فى عيشة راضٍ صاحبها بها [وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ] الامّ ههنا بمعنى المسكن او الخادم ، او المعنى امّ رأسه ساقطة فى النّار، لكنّ الاوّل اولى ليوافق ظاهره التّفسير الّذى فى قوله تعالى [وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ نَارٌ حَامِيَةٌ] شديد الحرارة.

سُورَةُ التَّكَاثُرِ

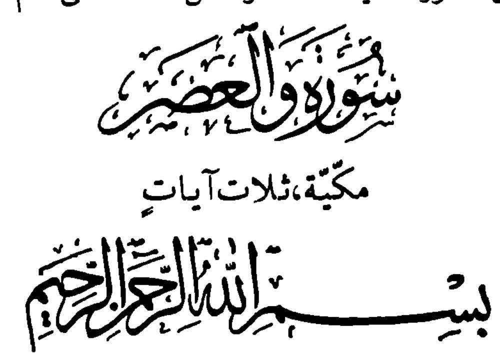
مدنيّة، وقيل: مكّيّة ثمان آياتٍ

بسم الله الرّحمن الرّحيم

[اَلْهيكُمُ التَّكاثُرُ] اى التّفاخر والتّغالب بكثرة المال والاولاد ، او بكثرة العشائر والقبائل، اوالاهتمام فى تكثير الاموال والاولاد ، والى كلٍّ اشير فى الاخبار [حَتّى زُرْتُمُ الْمَقابِرَ] يعنى ماقنعتم بالتّكاثر بالاحياء حتّى عددتم الاموات والحال انّ الاعتبار بالاموات كان اولى من الافتخار بهم، اوالهاكم التّفاخر اوطلب الكثرة حتّى متّم ودخلتم المقابر ، والى كلٍّ اشير فى الاخبار [كَلّا] ردع عنه اى انتهوا عن ذلك [سَوْفَ تَعْلَمُونَ] انّ الاشتغال عن الآخرة بالتّكاثر سبب دخول الجحيم بل هو دخول فى الجحيم لكن لمّا كان مداركُكم خدرة وابصاركم فى غشاوة فى الدّنيا لم تحسّوا بألمها ولم تبصروا نارها وانواع عذابها ، اوالمعنى سوف تصيرون من اهل العلم واذا صرتم عالمين رأيتم الجحيم ولم يك ينفعكم علمكم حينئذٍ [ثُمَّ كَلّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ] تأكيد للاوّل وتخلّل ثمّ للمبالغة فى التّأكيد، اوالاوّل فى القيامة الصّغرى والثّانى فى القيامة الكبرى [كَلّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقينِ لَتَرَوُنَّ] فى الدّنيا [الْجَحيمَ] كما انّكم فى الآخرة تصيرون عالمين فترونّ الجحيم وقد مضى مكرّراً انّ علوم النّفوس لكونها غير المعلومات وجواز انفكاك المعلومات عنها اذا كانت النّفوس مدبرة عن دار العلم سمّيت ظنوناً فى الكتاب والاخبار بخلاف ما اذا كانت مقبلةً على دار العلم ، فانّ ظنونها تصير علوماً بل اشرف من العلوم حينئذٍ ، ومراتب اليقين ثلاثٌ ؛ علم اليقين وهو ادراك الشّيء بصورته الحاصلة عند النّفس بشهود آثار ذلك الشّيء او وجدانها فى وجوده ، وعين اليقين وهو مشاهدة عين ذلك الشّيء ، وحقّ اليقين وهو التّحقّق بذلك الشّيء ، والمعنى لو تعلمون فى الدّنيا علم اليقين لادّى بكم الى رؤية الجحيم فى الدّنيا فانّ الظّنّ يؤدّى الى العلم ، والعلم الى الرّؤية ، والرّؤية الى المعاينة ، والمعاينة الى التّحقّق، ولقد مرّ تفصيل تامّ لمراتب الظّنّ والعلم واليقين ، والفرق بين العلم الاخروىّ والعلم الدّنيوىّ فى سورة البقرة عند قوله تعالى: ولبئس ماشروا به انفسهم لو كانوا يعلمون [ثُمَّ لَتَرَوُنَّها عَيْنَ الْيَقينِ] .

اعلم، انّ للرّؤية مراتب ؛ فاولى مراتبها المشاهدة بدرجاتها مثل ان يشاهد الشّيء عن بعدٍ من غير تميز جميع معيّناته وجميع دقائق شخصه وصورته، وثانية مراتبها المعاينة بدرجاتها مثل ان يشاهد الشّيء بجميع مشخّصاته ودقائق وجوده ، و ثالثة مراتبها التّحقّق بالمرئىّ بدرجاتها [ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ] الاتيان بثمّ للاشارة الى انّ هذا السّؤال بعد ما علموا انّهم اشتغلوا بما لافائدة لهم فيه ، او للتّرتيب فى الاخبار [يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعيمِ] قد ذكر فى اخبارٍ كثيرةٍ من جملة النّعيم المسؤل عنه ملائمات القوى الحيوانيّة والملاذّ الدّنيويّة كالطّعام واللّباس والرّطب والماء البارد ، وفى اخبارٍ اخر انكار ان يكون النّعيم المسؤل ذلك وانّ السّؤال والامتنان بالنّعمة وصف الجاهل اللّئيم، وانّ الله نهى عن ذلك وانّ الله لايوصف بمالايرضاه لعباده ، وانّ النّعيم المسؤل عنه محمّد (ص) وعلىّ (ع)، اوحبّنا اهل البيت، اوولايتنا اهل البيت ، والتّحقيق فى هذا المقام والتّوفيق بين الاخبار انّ النّعمة كمامرّ مراراً ليست الّا الولاية وكلّ ما اتّصل بالولاية سواء كان من ملائمات الحيوانيّة اومن موذيات القوى الحيوانيّة ، و بعبارةٍ اخرى سواء عدّ من النّعم الدّنيويّة اومن النّقم الدّنيويّة كان نعمة ، وكلّ ما انقطع عن الولاية كان نقمةً وان كان بصورة النّعمة ، وكلّ من اتّصل بالولاية كان ضيفاً لله وكان جميع نعمه الصّوريّة والمعنويّة مباحة له وكان مأموراً بالتّصرّف فيها بمنطوق قوله تعالى: ياايّها الّذين آمنوا كلوا من طيّبات مارزقناكم ولايسأل الله تعالى عن شيءٍ منها ولو سأل كان سؤاله مثل السّؤال

عن الضّيف وانّه كيف أكل؟ ولِمَ أكل؟ وعلى ايّ مقدارٍ أكل؟ ولِمَ لم يعمل لى على قدرما أكل ؟ وكان قبيحاً عن البشر فكيف بخالق البشر ، و من انقطع عن الولاية كان جميع نعمه الصّوريّة مغصوبة فى يده و للحاكم و المالك ان يسألا الغاصب عن تصرّفاته فى العين المغصوبة ، ولاقبح فى ذلك السّؤال ، ولمّا كان الخطاب للمحجو بين المنقطعين عن الولاية كان المراد بالنّعيم الولاية ثمّ جميع الملائمات الحيوانيّة والانسانيّة وكان السّؤال عن اداء شكرها وصرفها فى مصرفها اوغير مصرفها ، اوالمعنى اذا رفع حجاب الخيال والوهم عن بصائركم ووصلتم الى دار العلم وشاهدتم الجحيم وآلامها والجنّات ولذّاتها وعاينتم انّ النّعيم الصّوريّ صار سبباً لدخول الجحيم ، وايقنتم انّ النّعيم الصّوريّ كان نقمة فى الحقيقة ، وانّ النّعيم كان الولاية و لوازمها الّتى هى الجنّة ونعيمها تسألون اكان ماكنتم فيه من الملاذّ الحيوانيّة نعيماً ام ما عليه المؤمنون توبيخاً لكم ؟ اوالمعنى انّكم اذا وصلتم الى مقام المعاينة تسألون عن مقام حقّ اليقين ماهو؟ لانّكم بالمعاينة تجدون ذوق الحقيقة وجاز لكم السّؤال والجواب عنها ، وما روى عن الرّسول (ص) يؤيّد ما وفّقنا به بين الاخبار فانّه قال: كلّ نعيمٍ مسؤل عنه صاحبه الّا ماكان فى غزو اوحجّ، فانّ السّالك القابل للولاية فى غزوٍ وحجّ شعر به ام لا ، وكذلك ما روى عن الصّادق (ع) انّه قال: من ذكر اسم الله على الطّعام لم يسأل عن نعيم ذلك فانّ الذّاكر لاسم الله ليس الّا من قبل الولاية بالبيعة الخاصّة الولويّة فانّ غيره بمضمون : من لم يكن له شيخ تمكّن الشّيطان من عنقه، قد تمكّن الشّيطان منه، و يكون كلّ افعاله واقواله واحواله بتصرّف الشّيطان فاذا قال ، بسم الله : يتصرّف الشّيطان فيه و يخلّى اللّفظ من معناه و يجعل نفسه فى الله فيصير بسم الله فى الحقيقة بسم الشّيطان كمامرّ تحقيقه فى اوّل فاتحة الكتاب ، و يؤيّد ذلك التّوفيق السّورة الآتية فانّ السّؤال عن النّعمة الّتى انعم الله بها على عباده خسرانٌ بوجهٍ .



[وَالْعَصْرِ] المراد بالعصر وقت صلوة العصر، اقسم به كما اقسم بالضّحى ، اوالمراد به الدّهر مطلقا ، او عصر النّبىّ (ص) على ان يكون الّلام لتعريف العهد ، اوصلوة العصر ، اوالملكوت فانّها بعدها يختفى شمس الحقيقة فى عالم الطّبع وانّها بمثالها الصّاعد معصورة عالم الطّبع كما انّها بمثالها الهابط معصورة الجبروت ، اوالمراد بالعصر مطلق عالم الطّبع لكونه عصير الملكوت [إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ] خسر كفرح و ضرب ضلّ ، و الخسر بالضّمّ و بالضّمّتين مصدره ، وخسر وضع فى تجارته عن رأس ماله ، والانسانُ ما لم يؤمن بالبيعة الخاصّة الولويّة لم يكن على الطّريق فانّ الطّريق علىّ (ع) وولايته ، ولم ينفتح باب قلبه وما لم ينفتح باب قلبه بالولاية التّكليفيّة الّتى هى حبل من النّاس كان كلّما فعل حصل له فعليّة فى جهة نفسه الجهة السّفليّة وكلّما حصل للنّفس من جهتها السّفليّة فعليّة اختفى تحت تلك الفعليّة انسانيّته الّتى هى الولاية التّكوينيّة الّتى هى الحبل من الله و بضاعته انسانيّته و اختفاؤها خسران بضاعته ولايخلوا الانسان آناًما من فعل وفعليّةٍ ، فجميع افراد الانسان فى خسرٍ على الاستمرار [إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا] بالبيعة العامّة [وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ] بالبيعة الخاصّة اوالّا الّذين آمنوا بالبيعة الخاصّة وعملوا الصّالحات بالوفاء بشروط البيعة [وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ] التّواصى اعمّ من ان يكون بالقال او بالحال او بالفعال او بالدّعاء و الالتماس

من الله فى الحضور او بظهرا لغيب ، فانّه قد مرّ فى سورة البقرة عند قوله تعالى : اولئك يدعون الى النّار والله يدعو الى الجنّة بيان انّ المؤمن بوجوده يدعو الى الجنّة وان لم يكن له دعوة قالاً ، والمراد بالحقّ الولاية فانّها حقة بحقيقة الحقيّة ، وان كان المراد به الحقّ المطلق كان المراد منه ايضاً الولاية لانّ ظهور الحقّ المطلق لايكون الّا بالحقّ المضاف الّذى هو الولاية ويراد كلّ امر ثابت وكلّ امر غير باطل بارادة الولاية فانّ الكلّ من شعب الولاية [وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ] على الحقّ او بالصّبر مطلقا فان جميع انواع الصّبر الّتى امّهاتها ثلاث ؛ الصّبر على المصائب، والصّبر عن المعاصى، والصّبر على الطّاعات، راجعة الى الصّبر على الحقّ فانّ المنظور من الصّبر على المصائب ان لايجزع عند المصيبة لانّ الجزع لايكون الّا بالغفلة عن الولاية ، والمنظور من الصّبر عن المعاصى عدم خروج النّفس عن انقياد العقل فى ادامة الحقّ ، والخروج عن الانقياد لايكون الّا بالغفلة عن الولاية ، والصّبر على الطّاعة ليس الّا الصّبر على الولاية الّتى هى روح كلّ طاعة ، ولاشكّ انّ المؤمنين اذا التقيا حصّل لكلّ بملاقاة الآخر صبر وزيادة توجّه واشتداد ترقّب لوجهته الولويّة ، وليجد المؤمن ذلك من وجوده .

سورة الهمزة

مكّيّة، تسع آيات

بسم الله الرّحمن الرّحيم

[وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ] الهمز الغمز، والضّغط والنّخس والدّفع والضّرب والعضّ والكسر، والكلّ من باب نصر وضرب، واللّمز العيب والاشارة بالعين ونحوها، والضّرب والدّفع والفعل من البابين ، قيل: المراد بالهمزة الطّعّان، و باللّمزة المغتاب، وقيل: العكس ، وقيل: الهمزة الّذى يطعن فى وجهك و اللّمزة الّذى يطعن فى غيابك، والصّيغتان تستعملان فيما صار عادة وسجيّة ، والرّذيلتان حاصلتان فى تركيب الشّيطنة والسّبعيّة والبهيميّة فانّ صاحبهما بشيطنته يتكبّر على النّاس ويحقّرهم و بغضبه يدفع فضل من يتفضّل عليه ، و بشهوته يريد ان يكون ممدوحاً فى النّاس ، ذا فضيلة عندهم محبوباً لهم ، واذا اجتمع هذه الخصال يغتاب و يغمز ويطعن فى النّاس لرؤية نفسه واستكباره على الخلق وتحقيرهم ، وارادة كونه محبوباً فيهم بظهور النّقص فيهم وعدم ظهوره فيه، فهما اخسّ الرّذائل [الَّذِى جَمَعَ مَالًا] بحرصه الّذى هو نتيجة قوّته الشّهويّة [وَعَدَّدَهُ] اى عدّه مرّة بعد اخرى لحبّه ايّاه او اعدّه لنوائبه، والاعداد للنّوائب نتيجة القوى الثّلاث؛ فانّه بشيطنته يريد الاستكبار على الخلق ويدبّر لذلك ويهيّئ اسبابه ، وبشهوته يحبّ المال ويدّخره ، و بغضبه يريد دفع ما يرد عليه بما ليس ملائماً له ويدفع من اراد ان يدفعه عمّا هو عليه فيهيّئ لذلك اسبابه [يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ] هو على الاخبار ، او على الاستخبار بتقدير الاستفهام [كَلَّا] ردعٌ له عن هذا الحسبان، ليموتنّ و [لَيُنْبَذَنَّ فِى الْحُطَمَةِ] الحطم الكسر او خاصّ باليابس ، والحطمة كالهمزة النّار الشّديدة واسم لجهنّم او بابٌ لها [وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ نَارُ اللّهِ الْمُوقَدَةُ الَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ] يعنى انّها ليست مثل نيران الدّنيا لاتتجاوز عن الاجسام بل هى تتجاوز عن الاجسام وتصل الى القلب بل الى عليا مرتبة القلب الّتى تلى الرّوح وهى الفؤاد، وانموذج ذلك فى الدّنيا انّ الموصوف بالرّذيلتين المقهور تحت حكم القوى الثّلاث تحترق نفسه الانسانيّة

وقلبه وتنحطم بحيث كأنّه لم يكن له انسانيّة وقلب واذا نظرت حقّ النّظر رأيته لم يكن فيه شيءٌ من صفات الانسان [إِنَّهَا] اى الحطمة اوالنّار [عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ] اى مطبقة اى يطبق ابوابها عليهم، او ينطبق النّار عليهم بحيث لا تدع منهم شيئاً [فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ] العمد بالتّحريك والعمد بالضّمّتين ، وقرئ بهما جمع العمود ، والظّرف حال عن الضّمير المجرور بعلى يعني انّهم موثّقون على الاعمدة الطّويلة ، اوحال عن الضّمير المنصوب اى انّ النّار بابوابها مطبقة عليهم حالكونها فى مسامير من الحديد المحمى يعني انّ الابواب تطبق عليهم ثمّ تشدّ بمسامير من الحديد ، وقيل: المراد عمد السّرادق الّتى فى قوله تعالى: احاط بهم سرادقها ، وقيل: المراد بالعمد الاغلال الّتى يقيّدون بها .

سُورَةُ الْفِيلِ

مكّيّة، خمس آياتٍ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

[اَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِاَصْحَابِ الْفِيلِ] الخطاب عامّ اوخاصّ بمحمّدٍ (ص) يعنى انّ قضيّتهم مشهورة بحيث تكادترى لكلّ راءٍ وان كان قد مضى زمانها ، ومحمّد (ص) فتح الله بصيرته بحيث صار الماضى والآتى فى نظره كالحاضر [اَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ] لخراب البيت [فِي تَضْلِيلٍ] فى الافناء و الاهلاك او فى عدم الاهتداء الى المقصد ، قداجمع الرّواة انّ الّذى قصد بالفيل الكعبة هو ملك اليمن، وقيل: كان من قبل النّجاشىّ ملك الحبشة على اليمن وكان حركته الى مكّة بأمره ، والنّجاشىّ هذا كان جدّ النّجاشىّ الّذى كان فى زمن النّبىّ (ص) وأقربه ، وكان اسم ملك اليمن ابرهة بن الصّباح الاشرم وكنيته ابو يكسوم بنى كعبة باليمن وامر النّاس ان يحجّوا اليها، وانّ رجلاً من بنى كنانة خرج حتّى قدم اليمن ثمّ نظر اليها فقعد فيها لقضاء حاجته فغضب ابرهة لذلك واحلف ان يهدم البيت ، ثمّ خرج بجنوده ونزل على ستّة اميال من مكّة فبعث مقدّمته واصاب مقدّمته مأتى بعير لعبد المطّلب فلمّا بلغه خرج حتّى أتى القوم فاستأذن على ابرهة فأذن له بعد ما عرفوه انّه رئيس القوم فدخل عليه وهو على سريره فعظّمه ونزل من سريره وجلس معه ثمّ قال: ما حاجتك ؟ـ قال: حاجتى مأتا بعير اصابتها مقدّمتك ، قال: اعجبتنى رؤيتك وزهّدنى فيك كلامك، قال: ولم ايّها الملك؟ـ قال: لأنّى جئت لاهدم بيت عزّكم وشرفكم وجئت تسألنى حاجتك ولا تسأل عن انصرافى عن بيتكم ؟! فقال: انا ربّ الابل و للبيت ربّ يمنعك منه ، فأمر ابو يكسوم بردّ ابله فخرج فلمّا اصبحوا بعثوا فيلهم فلم ينبعث ، وقيل: كان معهم فيل واحد اسمه محمودٌ، وقيل : ثمانية افيال ، وقيل : اثناعشر، فظهر عليهم طير من قبل البحر مع كلّ ثلاثة احجارٍ حجر فى منقاره وحجران فى رجليه ، وكانت ترفرف على رؤسهم وترمى فى دماغهم فيدخل الحجر فى دماغهم و يخرج من ادبارهم و ينتقض ابدانهم فصاروا كما قال تعالى كعصفٍ مأكولٍ ، ولم يبق منهم الّا رجل واحد هرب فجعل يحدّث النّاس بما رأى اذ طلع عليه طائر منها بعد ما وصل الى اليمن فرفع رأسه فقال: هذا منها وجاء الطّير حتّى حاذى رأسه ثمّ القى الحجر عليه فخرج من دبره فمات ، وكان ذلك فى العام الّذى ولد فيه رسول الله (ص) ،وقيل: كان قبل مولده بثلاثٍ وعشرين سنة ،وقيل: باربعين سنةً [وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا اَبَابِيلَ] ابابيل جمعٌ بلا واحدٍ يقال: ابّل ابابيل اى فرقٍ، اوهو جمع الابّالة بكسر الهمزة وتشديد الباء، اوجمع الابّيل كسكّيتٍ بمعنى القطعة من الطّير ، والابل والمتتابعة منها ، وكان الطّير هذه الطّير المعروفة بابابيل ، وفى خبرٍ عن الباقر (ع) : كان

رؤسها كامثال رؤس السّباع وأظفارها كأظفار السّباع ولا رأوا قبل ذلك مثلها ولابعدها [تَرْمِيهِمْ بِحِجارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ] معرّب «سنگ گل» [فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ] كورق زرع اكله الدّود، اوكزرع اكل حبّه فبقى بلاحبّ اوكتبن اكلته الدّوابّ فدفعته .

سورة قريش

اربع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

[لِإِيلافِ قُرَيْشٍ إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتاءِ وَالصَّيْفِ] قرئ ليلاف قريش بدون الهمزة، الافهم من دون ياء، و قرئ ليلاف قريش مثل القراءة الاولى ايلافهم بهمزة وياء بعدها وقرئ لايلاف قريش ايلافهم فى كليهما بهمزة و ياء بعدها، والجارّ والمجرور متعلّق بقوله تعالى: جعلهم كعصف مأكول، او بقوله: فعل ربّك باصحاب الفيل لانّ السّورة الاولى كانت فى مقام الامتنان على قريش بجعل بيتهم ومسكنهم مأمناً، اومتعلّق بقوله تعالى [فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هٰذَا الْبَيْتِ] يعنى لان جعل الله قريشاً ذات الفة بملوك النّواحى مثل ملك الفارس والشّام والحبشة واليمن بواسطة كونهم اهل مكّة وصاحبى بيت الله فليعبدوا ربّه قيل: كان هاشم يألف الى الشّام وعبد شمس الى الحبشة، والمطّلب الى اليمن، ونوفل الى فارس، وكان تجّار قريش يختلفون الى هذه الامصار بسبب هذه الاخوّة والفتهم لملوك تلك النّواحى، وقيل: انّما كانت قريش تعيش بالتّجارة وكانت لهم رحلتان فى كلّ سنة، رحلة فى الشّتاء الى اليمن لانّها بلاد حامية، ورحلة فى الصّيف الى الشّام لانّها باردة، فلمّا قصد اصحاب الفيل مكّة اهلكهم الله لتألّف قريش هاتين الرّحلتين وكانت لايتعرّض لهم احد بسوء وكانوا يقولون: قريش سكّان حرم الله وولاة بيته، و يجوز ان يكون اللّام للتعجّب والعامل محذوفاً [اَلَّذِى اَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ] اخرجهم بالاطعام من جوع [وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ] .

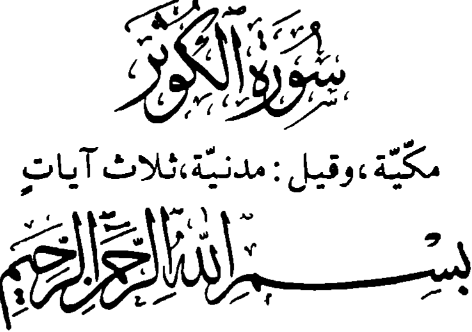
سورة الماعون

مكّيّة، وقيل: مدنيّة، وقيل: بعضها مكّىّ، وبعضها مدنىّ

بسم الله الرحمن الرحيم

[اَرَأَيْتَ الَّذِى يُكَذِّبُ بِالدِّينِ] قرئ ارأيت على الاصل، واريت بلا همز وارايتك بكاف الخطاب اوالخطاب خاصّ بمحمّد (ص) اوعامّ، وتكذيب الدّين للجهل المركّب الّذى هوداء عياء وهواصل جميع الشّرور يعنى ارأيت يامحمّد (ص) الّذى جمع بين رذائل القوى الثّلاث العلّامة والسّبعيّة والبهيميّة، ولمّا كان الجهل اصل جملة الشّرور عطف على تكذيب الدّين الرّذائل الاُخر بالفاء فقال [فَذٰلِكَ الَّذِى يَدُعُّ] اى يدفع [اَلْيَتِيمَ]

بعنف، قيل : نزلت فى العاص بن وائل، وقيل : فى الوليدبن المغيرة، وقيل : فى ابى سفيان كان ينحر فى كلّ اسبوع جزورين فأتاه يتيم فسأله شيئاً فقرعه بعصاه ، وقيل : نزلت فى رجل من المنافقين ، وقيل : نزلت فى ابى جهل كان وصيّاً ليتيم فأتاه عرياناً وسأله اللّباس عن مال نفسه فضر به ودفع اليتيم وضر به رذيلة الغضبيّة بل اردأ رذائلها لانّ تحقير الحقير الضّعيف ومن شأنه ان يرحم عليه وضر به ودفعه والاستكبار عليه اردأ من الاستكبار على القوىّ المنيع [وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ] وهو رذيلة الشّهويّة لانّ عدم الحضّ على طعام المسكين من حبّ المال [فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ] اى لهم ولذلك عطف بالفاء لكنّه أتى بالظّاهر مقام المضمر للاشعار بانّهم ان صلّوا لم يكن صلوتهم صلوةً بل كانت وبالاً عليهم ومعصيةً [الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ] اضاف الصّلوة اليهم للاشعار بانّ لكلّ انسان صلوةً خاصّةً به يكون تلك الصّلوة القالبيّة تذكرةً لها ، والمصلّى بالصّلوة القالبيّة لابدّ وان يكون متذكّراً لصلوته الخاصّة به والّا كان مستحقّاً بصلوته للويل الّذى ليس الّا للكفّار والصّلوة المخصوصة بكلّ انسان ، امّا ولايته التّكوينيّة او التّكليفيّة اوذكره المأخوذ من ولىّ امره اوصورة ولىّ امره الّتى دخلت فى قلبه مختفية فيه اوظاهرة، اوالتّوجّه الى الله، ويجوزان يكون المعنى ويل للمصلّين الّذين يتهاونون بصلوتهم القالبيّة بعدم حفظ حدودها او بعدم حفظ مواقيتها، او بتأخيرها من اوّل اوقاتها ولكن قوله تعالى: [الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ] النّاس، يؤيّد المعانى الاول، فانّ المرائى يأتى بها ويتمّ حدودها ويحفظ اوقاتها والّا لم يتأتّ له المراياة، وهذه من رذائل العلّامة والشّهويّة [وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ] الماعون المعروف والماء وكلّ ما انتفعت به اوكلّ ما يستعار ، والزّكوة ، وهذه من رذائل الشّهويّة، عن الصّادق (ع) : هو القرض تقرضه والمعروف تصنعه ، ومتاع البيت تعيره ، ومنه الزّكوة ، قيل: انّ لنا جيراناً اذا اعرناهم متاعاً كسروه وافسدوه فعلينا جناح ان نمنعهم ؟- فقال: ليس عليكم جناح ان تمنعوهم اذا كانوا كذلك .



سورة الكوثر

مكّيّة ، وقيل : مدنيّة ، ثلاث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

[إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ] قد فسّر الكوثر بنهر فى الجنّة وهو حوض النّبىّ (ص) عليه آنية عدد نجوم السّماء يذود[1] محمّد (ص) وعلىّ (ع) عنه اعداءهما ويسقيان شيعة علىّ (ع) عنه، والكوثر فى اللّغة الكثير من كلّ شىء والكثير الملتفّ من الغبار، والاسلام، والنّبوّة ، والرّجل الخيّر المعطاء كالكثير مثل الصّقيل، والسّيّد ، ومطلق النّهر ونهر فى الجنّة يتفجّر منه جميع انهارها .

اعلم ، انّ الولاية هى الكوثر باكثر معانيه وهى الّتى اعطاها بتمام حقيقتها محمّداً (ص) و بسببها اعطاه النّبوّة والرّسالة والعلم والحكم والاتباع الكثير والاولاد الكثيرين والقرآن ودين الاسلام والصّيت والسّلطنة والخير الكثير فى الدّنيا والآخرة، وهى الّتى تكون بصورة النّهر والحوض فى الآخرة وهى الّتى تصوّرت بصورة علىّ (ع) فى الدّنيا ، وقد اعطاه الله محمّداً (ص) ومنّ به عليه [فَصَلِّ لِرَبِّكَ] اى اذا كان الله اعطاك الكوثر فتوجّه و تضرّع عليه و ادعه شكراً لهذه النّعمة، اوصلّ الغداة من العيد بجمع [وَانْحَرْ] بمنى، اوصلّ صلوة العيد وانحر اضحيّتك ، قيل: كان

(١) ذاده ، ذوداً ـ دفعه وطرده .

يسحر النّبىّ(ص) قبل ان يصلّى فامر ان يصلّى ثمّ ينحر، وقيل: كان اقوام يصلّون لغيرالله و ينحرون لغيرالله فأمره ان يصلّى لله و ينحر لله ، وقيل: صلّ الصّلوة المكتوبة واستقبل القبلة بنحرك فانّه يقول العرب : منازلنا تتناحر يعنى بعضها يستقبل بعضاً ، وفى خبر قال ابوعبدالله (ع) فى قوله: فصلّ لربّك وانحر هو رفع يديك حذاء وجهك ، وفى خبر قال النّبىّ(ص) لجبرئيل: ما هذه النّحيرة الّتى امرنى بها ربّى؟- قال: ليست بنحيرة ولكنّه يأمرك اذا تحرّمت للصّلوة ان ترفع يديك اذا كبّرت ،واذا ركعت،واذا رفعت رأسك من الرّكوع ، واذاسجدت؛ فانّه صلوتنا وصلوة الملائكة فى السّماوات السّبع [اِنَّ شانِئَكَ] اى مبغضك [هُوَ الْاَبْتَرُ] اى المنقطع عن الخير اوعن الولد اوعن الصّيت فى النّاس اوعن الدّين، قيل: انّ العاص بن وائل التقى رسول الله (ص) عند باب المسجد وتحدّثا واناس من قريش جلوس فى المسجد فلمّا دخل العاص قالوا: من الّذى كنت تتحدّث معه؟- قال: ذلك الابتر فسمّاه ابتر لانّه كان له ولد اسمه عبدالله وكان من خديجة فمات ولم يكن له ابن غيره ، وكانوا يسمّون من لم يكن له ولد ابتر.

سورة الكافرون

مكّيّة، وقيل : مدنيّة ستّ آيات

بسم الله الرّحمن الرّحيم

[قُلْ يا اَيُّهَا الْكافِرُونَ] روى انّ نفراً من قريش اعترضوا لرسول الله (ص) فقالوا: يا محمّد(ص) هلمّ نعبد ماتعبد وتعبد مانعبد فنشرك نحن وانت فى الامر؟ فقال: معاذالله ان اشرك به غيره، قالوا: فاستلم بعض آلهتنا نصدّقك ونعبد آلهك، فقال: حتّى انظر، فنزلت السّورة فأيس قريش من محمّد (ص) وتصديقه، وقد مضى فى الفصل السّادس من فصول اوّل الكتاب انّ القارى ينبغى ان يجاهد حتّى يشاهد او يتّحد مع خلفاء الله اومع فعل الله فيصير لسانه لسان الله اولسان خلفائه، فيصير حين قراءة امثال هذه السّورة عن مخاطبات الله آمراً من الله بل يصير امره امر الله ؛ فاعلم انّ الانسان لكونه مختصراً من جميع العوالم وفيه لطائف جميع العوالم ولطائف جميع مقامات الانبياء والاولياء (ع) ينبغى ان يجاهد وقت قراءته حتّى يصير لسانه لسان الله اولسان وسائط الوحى و يصير سمعه سمع اللّطيفة النّبويّة فاذا قال: قل، يصير ذلك القول امراً من الله باللّسان المنسوب الى الله او الى الملك المبلّغ من الله و يصير المستمع لطيفته النّبويّة فيتمثّل الامر و يخاطب كفّار وجوده من القوى البهيميّة والسّبعيّة والشّيطانيّة بعد اباثهم عن اتّباعه واصرارهم على كفرهم وعبادتهم اصنامهم الّتى هى اهويتهم و بعد دعوتهم نبيّهم الّذى هو لطيفته النّبويّة الى موافقتهم فيقول: يا ايّها الكافرون [لا اَعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ] اى لا اعبد فى المستقبل لانّ لا لا تستعمل فى الحال [وَلا اَنْتُمْ عابِدُونَ] فى المستقبل فانّ الصّيغة و ان كانت مشتركة بين الازمنة الثّلاثة لكنّها مخصّصة بالاستقبال بقرينة ما قبلها [ما اَعْبُدُ] فى الحال اوفى الحال والاستقبال [وَلا اَنَا عابِدٌ] فى الماضى بقرينة مابعده، اوفى الماضى والحال اومطلقا [ما عَبَدْتُمْ] فى الماضى [وَلا اَنْتُمْ عابِدُونَ ما اَعْبُدُ] واشار بتغيير الصّيغة فى جانب الكفّار الى انّهم كانوا عابدين لاهويتهم بعبادة الاصنام واهويتهم غير ثابتة بل هى متغيّرة متبدّلة فكان معبودهم فى الامس غير معبودهم فى الحال والمستقبل ، و بتوافق الصّيغة فى جانب محمّد (ص) الى انّ معبوده كان فى الماضى والحال و الآتى واحداً غير متعدّد ولا مختلف ولا يحصل تلك

اللّطيفة الّا بالتّكرار، والوجه الاخر للتّكرار انّ السّورة فى مقام التّبرّى واظهار السّخط والمغايرة، والتّكرار مناسب لهذا المقام، ويجوز ان يكون لفظة ما مصدريّة فى المواضع الاربعة اوفى الموضعين الاخيرين، والاتيان بما فى قوله تعالى: ما اعبد، على تقدير كون ما موصولةً دون من للمشاكلة لقوله: ما تعبدون و لانّ المناسب لمقام التّبرّى والسّخط و المحاجّة الاتيان باللّفظ العامّ دون الخاصّ وليطابق اعتقادهم لتصوّرهم انّ ربّ السّماوات والارض يكون مثل اربابهم، نقل انّه سأل ابوشاكر الدّيصانىّ اباجعفر الاحول عن وجه التّكرار وقال: هل يتكلّم الحكيم بمثل هذا القول ويكرّر مرّةً بعد مرّةٍ؟! فلم يكن عند الاحول فى ذلك جواب فدخل المدينة فسأل الصّادق(ع) عن ذلك فقال: كان سبب نزولها وتكرارها انّ قريشاً قالت لرسول الله(ص) تعبداً لهنا سنةً ونعبدا لهك سنةً؛ فأجابهم الله بمثل ما قالوا [لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ] ليس هذه متاركة واباحة حتّى يقال: انّها منسوخة بآية القتال بل هى ايضاً تهديد بليغ لهم مثل قوله تعالى: افعلوا ما شئتم.

سورة النّصر

مدنيّة: ثلاث آيات

بسم الله الرّحمن الرّحيم

[إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ] قيل هذه آخرة سورة نزلت عليه(ص) كما انّ اقرء باسم ربّك كانت اولى سورة نزلت عليه، وقيل: نزلت فى حجّة الوداع بمنى، وقيل: عاش(ص) بعدها سنتين، وقيل: مات من سنته، وقال(ص) بعد نزول السّورة: نعيت الىّ نفسى، وروى انّه بكى العبّاس بعد نزولها فقال: مايبكيك يا عمّ؟- قال: نعيت اليك نفسك، قال: انّه لكما تقول، واستفادة نعى نفسه(ص) من السّورة تكون من القرائن المنضمّة والحاليّة الّتى تكون بين المتخاطبين وان لم يكن فى اللّفظ مايدلّ صريحاً عليه، واعلم انّ النّصر والفتح يطلقان بمعناهما المصدرىّ و يراد بهما النّصرة على الاعداء وفتح البلاد، واستعمال المجيء فيهما من باب الاستعارة وتشبيه النّصرة والفتح بالجائى، و يطلقان على نصرة الانسان على اعدائه الباطنة وعلى فتح باب القلب، و يطلقان على معنى حقيقىّ هو الملك النّازل على صدر النّبىّ(ص)، وصورة ولىّ الامر النّازلة على صدر السّالك، وكما تكون نصراً من الله على الاعداء الظّاهرة والباطنة تكون فتحاً من الله، و بها تكون الفتح الظّاهر والباطن و يطلقان على النّصر المطلق الّذى لانصر بعده وهو النّصر فى الخروج من جميع قيود الامكان، والفتح المطلق الّذى هو فتح الغيب المطلق وهو الخروج من مقام الامكان والعروج من مقام الواحديّة الى الاحديّة وهو مقام القدس والتّقديس، ولمّا كان النّصر مضافاً الى الله والفتح مطلقاً كان المراد هذا النّصر وذلك الفتح وقد يستنبط نعى نفسه(ص) من هذا فانّ النّصر المطلق والفتح بهذا المعنى قلّما يكون بدون وقت الارتحال [وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا] لمّا فتح الله تعالى مكّة صار جميع الاعراب فى الاطراف ذليلاً منقاداً لمحمّدٍ(ص) وكانوا يدخلون فى الاسلام من دون مقاتلةٍ ودعوةٍ، والدّين كما يطلق على الملّة وعلى الولاية الّتى هى الطّريق الى الله بحسب التّكليف والاختيار يطلق على مطلق الطّريق الى الله تكويناً اوتكليفاً لذوى الشّعور او غير ذوى الشّعور، واذا ارتفع القيود والحدود عن نظر الكامل يرى الكلّ داخلين فى دين الله يعنى فى طريق السّلوك الى الله بل يرى الكلّ عقلاء علماء عرفاء ساعين الى الله والى مظاهره اللّطفيّة والقهريّة ولايرى شيئاً من الموجودات

خارجاً من دين الله فانّه اذا جاء الفتح المطلق للسّالك يرى جميع الحدود والتّعيّنات مرتفعة كما قيل :

صورت خود را شكستى سوختى صورت كلّ را شكست آموختى

واذا انقلب البصر ورأى السّالك ذلك كان زمان ارتحاله الكلّىّ ونقلته العظمى قريباً فيستنبط من هذا ايضاً نعى نفسه [فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ] اى نزّه ربّك اولطيفتك الانسانيّة عمّا لا يليق بشأنه تعالى وشأنها وليكن تنزيهك بالجمع بين صفات الجلال والجمال ولا تكن كموسى (ع) ناظراً الى المظاهر ولا كعيسى (ع) ناظراً الى الظّاهر، وكن ناظراً الى المظاهر والظّاهر من دون رجحان احد النّظرين الى الآخر، فانّ هذا معنى التّسبيح بالحمد يعنى اذا جاء نصر الله المطلق والفتح المطلق بحيث ترى الكلّ يدخلون فى دين الله افواجاً فجاهد حتّى لا يختفى الكثرات عن نظرك ولا تشتغل بالتّوحيد عن حضورك ، والكلّ جنودك بل تكون جامعاً بين الوحدة والكثرة والحقّ والخلق [وَاسْتَغْفِرْهُ] واطلب منه ستر الحدود حتّى لا يغلب رؤية الحدود على رؤية الحقّ الاوّل تعالى فى المظاهر [إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا] كثير المراجعة على العباد ، اواستغفره لجنودك ما ترى عليهم من الحدود والنّقائص انّه كان توّاباً على جميع خلقه .

سورة تبّت

مكّيّة خمس آيات

بسم الله الرّحمن الرّحيم

[تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ] تبّ تبّا و تبباً وتباباً و تبيباً نقص وخسر، وتبّ الشّيء قطعه ، ونسبة التّبّ الى يديه لاجل قطعه حياته الابديّة ووصلته الاخرويّة بيديه ، ولكون اعماله الّتى هى سبب الخسران والهلاك ظاهرةً على يديه فى الاغلب ، والجملة الاولى دعائيّة والثّانية خبريّة اوكلتاهما دعائيّة اوخبريّة ، ويكون الاولى بالنّسبة الى الدّنيا والاخرى بالنّسبة الى الآخرة، او بملاحظة انّ الاولى بالنّسبة الى نفسه والثّانية بالنّسبة الى الاغناء بالمال، وابولهب هذا عمّ رسول الله (ص) واسمه عبد العزّى وكنّوه بتلك الكنية لبريق وجنتيه ، وأتى بكنيته دون اسمه لمراعاة الجناس مع قوله : ذات لهبٍ ، وكان شديد المعاداة لمحمّدٍ (ص) : قيل: رأيت فى سوق ذى المجاز شابّاً يقول : ايّها النّاس قولوا: لا اله الّا الله تفلحوا ، واذاً برجل خلفه يرميه قد ادمى ساقيه ، ويقول: ايّها النّاس انّه كذّاب فلا تصدّقوه، فقلت: من هذا ؟ فقالوا : هومحمّد (ص) يزعم انّه نبىٌّ وهذا عمّه ابولهب: يزعم انّه كذّاب [مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ] لفظة ما موصولة وهى فاعل تبّ اى تبّ الاغناء الّذى اغنى عنه ماله اومصدريّة وهى مع صلتها فاعل تبّ ، اوفاعل تبّ ابولهب، وما نافية والجملة خبريّة اودعائيّة اولفظة ما استفهاميّة [وَمَا كَسَبَ] ما موصولة اومصدريّة او نافية او استفهاميّة ومعطوفة على ما اغنى اومصدريّة اوموصولة ومعطوفة على ماله والمقصود ممّا كسب ما كسبه بماله من الارباح والعرض والجاه والخدم والحشم ، اوالمقصود ممّا كسب اولاده ، اوالمجموع ، وهذا اخبار منه (ص) بما سيقع وقد وقع الامر كما اخبر فانّه لمّا انذره النّبىّ (ص) بالنّار قال : ان كان ماتقول حقّاً افتد بمالى وولدى، فافترسه اسدٌ فى طريق الشّام وقد احدق به العير ولم يغن عنه ماله ولا ولده ، ومات بالعدسة بعد وقعة بدرٍ بايّامٍ معدودة وترك ثلاثاً حتّى انتن ثمّ استأجروا بعض السّودان حتّى دفنوه [سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ] اى سيقاسى حرّها [وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ

الْحَطَبِ] قرئ حمّالة الحطب بالرّفع وحينئذٍ يجوز ان يكون امر أته عطفاً على المستتر في يصلى وان يكون عطفاً على ما اغنى على ان يكون فاعل تبّ اوعلى يدا ابى لهبٍ ويكون حمّالة الحطب على التّقادير خبر مبتدءٍ محذوفٍ اوصفة لامر أته اذاجعل معرفة بالاضافة ، ويجوز ان يكون امرأته مبتدءً وحمّالة الحطب خبره اوصفته ، والجملة معطوفة على واحدةٍ من الجمل السّابقة ، وقرئ حمّالة الحطب بالنّصب حالاً اومفعولاً لمحذوفٍ اومنصوباً على الاختصاص ، وامرأته على الوجوه السّابقة الّا انّه اذاكان مبتدءً يكون خبره بعده وسمّيت حمّالة الحطب لانّها كانت تحمل الاوزار الّتى هى وقود جهنّم بمعاداة الرّسول (ص) ، اوتحمل النّاس وتحمل زوجها على معاداة الرّسول وتجرّهم الى جهنّم بالصّدّ عن رسول الله (ص) والحمل على معاداته ، اولانّها كانت تمشي بالنّميمة بين النّاس فيوقد نار العداوة بينهم وتسمّى النّميمة حطباً لذلك ، اولانّها كانت تحمل حزمة الشّوك والحسك فتنشرها فى طريق الرّسول (ص) [فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ] المسد بالسّكون الفتل ، و بالتّحريك المحور من حديدٍ ، وحبل من ليف اوليف المقل اومن اىّ شيءٍ كان ، اوالمفتول المحكم الفتل من اىّ شيءٍ كان ، وقيل : هو حبل يكون له خشونة اللّيف وحرارة النّار وثقل الحديد يجعل فى عنقها زيادةً فى عذابها ، وقيل : فى عنقها سلسلة من حديد طولها سبعون ذراعاً تدخل من فيها وتخرج من دبرها وتدار على عنقها فى النّار ، وقيل : كانت قلادة فى عنقها فاخرة من الجواهر فقالت : لانفقنّها فى عداوة محمّد (ص) فيكون عذاباً لها يوم القيامة ، وزوجة ابى لهب كانت بنت حربٍ واخت ابى سفيان وكنيتها امّ جميل و لقبها العوراء . ولمّا نزلت السّورة اقبلت و لها ولولة وهى تذمّ رسول الله (ص) فقال ابو بكر : يا رسول الله (ص) قد اقبلت امّ جميل وانّى اخاف عليك ، فقال رسول الله (ص) : انّها لاترانى فجاءت و رأت ابابكرٍ ولم تر محمّداً (ص) .

سُورَةُ الإِخْلَاصِ

مكّيّة ، وقيل : مدنيّة ، اربع أياتٍ ، وقيل : خمس أياتٍ ، سمّيت سورة الاخلاص ، لانّ من قرأها واعتقد بها صار خالصاً من جميع انواع الشّرك ، وسمّيت سورة التّوحيد لدلالتها على التّوحيد ذاتاً ووصفاً ، ولانّ من قرأها على مانزلت صار موحّداً ، وسمّيت سورة الصّمد ، وسورة قل هو الله ، وسورة نسبة الرّبّ ، وسورة الولاية كما تسمّى فاتحة الكتاب بسورة النّبوّة .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

[قُلْ هُوَ اللهُ اَحَدٌ اَللهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا اَحَدٌ] نزلت السّورة حين سأل المشركون رسول الله (ص) فقالوا : انسب لنا ربّك ، اوحين أتى رجلان منهم فقالا ذلك ، اوحين جاء اناس من احبار اليهود فسألوه ذلك ، اوحين انطلق عبدالله بن سلام اليه فسأل ذلك وقد نقل كلّ ذلك فى نزوله ، وقرئ احد الله الصّمد بالوصل وتحريك التّنوين بالكسر ، وقرئ احدالله الصّمد بالوصل و اسقاط التّنوين تشبيهاً للتّنوين بحرف اللّين ، وقرئ بالوقف باسقاط التّنوين ، وقرئ كفواً مضمومة الفاء و بالواو وقرئ كفْؤاً ساكنة الفاء مهموزة ، وقرئ كفؤاً مضمومة الفاء مهموزة .

واعلم ، انّ الانبياء(ع) لهم حالات بالنّسبة الى الله والى عالم الغيب وتختلف مناجاتهم لله و مخاطبات الله لهم ومخاطباتهم للخلق بحسب اختلاف احوالهم ، فانّه اذا انسلخ النّبىّ(ص) من جميع ماله من نسبة الافعال والاوصاف والذّات ولم يبق فى وجوده الّا فاعليّة الله تعالى يكون مخاطبات الله له بلسانه الّذى صار لسان الله فيصير كلام الله كلاماً آلهيّاً بشريّاً و يسمّى حديثاً قدسيّاً ، واذا تنزّل عن ذلك المقام باقياً ببقاء الله متوجّهاً الى كثرات وجوده وهذا التّوجّه والالتفات يسمّى بالنّبوّة اوخلافة النّبوّة ، اومتوجّهاً الى كثرات العالم وهذا التّوجّه يسمّى بالرّسالة اوخلافة الرّسالة ، فكلّما تلقّى من الله بطريق القذف والالهام وكلّما شاهد فى عالم المثال فى هذه الحال اوقبل النّزول الى ذلك المقام وكلّما وجد انموذجة من مدركاته وكلّما القى اليه الملك من العلم والحكم لابنحو الوساطة من الله كان حديثاً نبويّاً ، واذا تنزّل الى مقام البشريّة فكلّما تكلّم به من حيث تدبير الحياة الدّنيويّة من غير اظهار لحاظ الجهة الآلهيّة يكون كلاماً بشريّاً ، و اذا كان خطاب الله فى تلك الاحوال بتوسّط الملك المرسل من الله لتبليغ خطابه كان كلاماً آلهيّاً وكتاباً سماويّاً ، فان كان النّبىّ(ص) فى مقام الانسلاخ كان الخطاب من مقام الغيب واحديّة الذّات ، وان كان فى مقام النّبوّة والرّسالة كان الخطاب من مقام الظّهور والواحديّة وهو مقام الولاية ، وكان الكلام فى المقام الاوّل مشتملاً على التّنزيه ونفى النّسب والاضافات ، وفى المقام الثّانى مشتملاً على الاضافات واحكام الكثرات : ولذلك سمّيت السّورة بسورة التّوحيد ، و سورة الاخلاص ، وسورة الولاية ، لانّ المخاطب بها خوطب بها حين خلوصه من شوب الكثرات وحصول مقام الوحدة له وظهوره بشأن الولاية ، وسمّيت الفاتحة بسورة النّبوّة لانّ المخاطب بها خوطب بها حين ظهوره بشأن النّبوّة فقوله تعالى : **قل هو الله احدٌ** خطاب من مقام الاحديّة ولذلك أتى باسمه الخالص من شوب الصّفات اوّلاً وهو لفظ **هو** بخلاف قوله تعالى : **قل اعوذ بربّ الفلق** ، و **قل اعوذ بربّ النّاس** ، وامثال هذين .

اعراب سورة الاخلاص

واعراب السّورة المباركة بحسب الوجوه المحتملة كثيرة : **فأقول** ، لفظ **هو** ضمير الشّأن اوضمير يشار به الى مقام الغيب لتعيّنه فى الاذهان او ادّعاء تعيّنه اوهو علم واسم لمقام الغيب ، وعلى الاخيرين فالله بدل منه اوعطف بيان اوخبر اومبتدءٌ ثانٍ ، و احد خبره والجملة خبر **هو** واكتفى عن العائد بتكرار المبتدء بالمعنى ، و احد خبر اوخبر بعد خبر و الله الصّمد مبتدء وخبر ، اوصفة وموصوف وخبر بعد خبر اومبتدءٌ وخبره لم يلد ، وعلى تقدير كونه مبتدءً فالجملة خبر بعد خبرٍ اوحاليّة اومستأنفة جوابٌ لسؤالٍ عن حاله تعالى فى نفسه اوعن علّة الحكم ولم يلد خبرٌ اوخبرٌ بعد خبرٍ اوحال اومستأنفة جوابٌ لسؤالٍ عن حاله تعالى مع غيره اوعن علّة الحكم ، واذا كان **هو** ضمير الشّأن فالله احد خبره و الله الصّمد مبتدء وخبرٌ وخبر بعد خبر لهو اوخبر بعد خبرٍ لله اوحال اومستأنفة فى مقام السّؤال عن الحال اوعن علّة الحكم او الله الصّمد موصوف وصفةٍ وخبر بعد خبر لله ، اومبتدء ولم يلد خبره والجملة خبر بعد خبرٍ لهو او لله اوحال اومستأنفة .

معنى الاحد

واحد يقال بمعنى الواحد سواء جعل مهموزاً فى الاصل او واويّاً و يوم من الايّام ، و يقال للامر المتفاقم احدىّ الاحد ، و يقال : فلان احد الاحدين وواحد الاحدين و واحد الاحاد واحدىّ الاحد لامثل له ، وقد يستعمل الاحد خاصّاً بالله والوجه انّ فى الاحد مبالغةً فى الوحدة والبالغ فى الوحدة ان لا يكون فيه شوب كثرةٍ بوجهٍ من الوجوه لا كثرة العدد ولا كثرة الاجزاء المقداريّة ولا كثرة الاجزاء الخارجيّة من المادّة والصّورة ولا كثرة الاجزاء العقليّة من الجنس والفصل اومن المهيّة والوجود ، و بهذا المعنى لا يوصف به الّا الله ، و لهذه المبالغة خصّص الاحد فى اصطلاحهم بمقام الغيب الّذى ليس فيه كثرة ولا لحاظ كثرةٍ وقالوا : الاحد اسم لمقام الغيب الّذى

لااسم له ولارسم ولاصفة له ولاخبرعنه ، والواحد اسم لمقام ظهوره تعالى بأسمائه وصفاته ففي مقام الواحديّة هو متكثّر بكثرة الاسماء والصّفات بحيث لاينثلم وحدته بها، وفي مقام الاحديّة لاكثرة فيه لافي الواقع ولا في العقل ولا في الاعتبار.

معنى الصّمد والصّمد بالتّحريك السّيّد لانّ الصّمد بالسّكون بمعنى القصد والسّيّد من شأنه ان يقصد، والدّائم والرّفيع والمصمت الّذى لاجوف له ، والرّجل الّذى لايعطش ولايجوع في الحرب، خاطب الله سبحانه نبيّه (ص) في مقام انسلاخه عن جميع الكثرات وجميع الاعتبارات بقوله : قل يامحمّد(ص) في ذلك المقام مشيراً الى الذّات بدون اعتبار صفة من الصّفات .

تفسير السّورة هو ،فانّ لفظ هو اسم له تعالى مجرّداً عن جميع الاعتبارات حتّى عن اعتبار التّعيّن ، الله يعني انّ الذّات المجرّدة عن اعتبار الصّفات عين الذّات المعتبرة باعتبار جميع الاسماء والصّفات لامغايرة بينهما الّا بالاعتبار، فانّ الله اسمٌ للذّات باعتبار جملة الصّفات ولذلك قيل: انّه امام الائمّة وقد مضى بيان لفظ الله في اوّل الفاتحة ، احد يعني انّه في عين استجماعه لجملة الصّفات منزّه عن جميع الكثرات لايشوبه كثرة من كثرة الصّفات ، الله الصّمد اى السّيّد المصمود الّذى يصمده كلّ موجودٍ وانتهى سؤدده ومصموديّته فانّه يستفاد الانتهاء في ذلك من الحصر المستفاد من تعريف المسند ، والدّائم الّذى لايأكل ولايشرب ولاينام ، والمرتفع الّذى لارفيع فوقه، والقائم بنفسه الغنيّ عن غيره ، لم يلد بانفصال شيءٍ منه سواء كان المنفصل ولداً مماثلاً له اوشيئاً غير مماثلٍ له فانّه لامباين له حتّى يكون منفصلاً منه اوغير منفصلٍ ، ولم يولد ولم ينفصل هو من شيءٍ من الاشياء فانّه لاشيء غيره حتّى يكون هومنفصلاً منه ومبايناً له ، ولم يكن له كفواً احد تقديم الظّرف لشرافته ، وتقديم الخبر للاهتمام بنفي الكفاءة ولمراعاة رؤس الاى ، وقدورد في بعض الاخبار مايدلّ على اعتبار الحروف في الاسماء ، وما يدلّ على انّ دلالة الاسماء على المسمّيات ليست بمحض المواضعة بل يعتبر المناسبات الذّاتيّة بين الاسماء وحروفها وبين المسمّيات فانّه ورد عن الباقر(ع) انّه قال: قل اى اظهر ما اوحينا اليك ونبّأناك به لتأليف الحروف الّتي قرأناها لك ليهتدى بها من القى السّمع وهوشهيد ، وهو اسم مكنّى مشار به الى غائب، فالهاء تنبيهٌ على معنىً ثابتٍ، والواو اشارةٌ الى الغائب عن الحواسّ كما انّ قولك هذا اشارة الى الشّاهد عند الحواسّ وذلك انّ الكفّار نبّهوا عن آلهتهم بحرف اشارة الشّاهد المدرك . فقالوا : هذه آلهتنا المحسوسة المدركة بالابصار فأشرانت يامحمّد(ص) الى آلهك الّذى تدعو اليه حتّى نراه وندركه ولانأله فيه، فأنزل الله تبارك وتعالى: قل هو فالهاء تثبيت للثّابت ، والواو اشارة الى الغائب عن درك الابصار ولمس الحواسّ وانّه تعالى عن ذلك بل هو مدرك الابصار ومبدع الحواسّ ، قال(ع) : الله معناه المعبود الّذى أله الخلق عن درك مائيّته والاحاطة بكيفيّته ، ويقول العرب : أله الرّجل اذا تحيّر في الشّيء فلم يحط به علماً، ووله اذا فزع الى شيء ممّا يحذره ويخافه ، والاله هوالمستور عن حواسّ الخلق ، قال (ع) : الاحد الفرد المتفرّد ، والاحد والواحد بمعنىً واحدٍ وهوالمتفرّد الّذى لانظير له ، والتّوحيد الاقرار بالوحدة وهوالانفراد ، والواحد المتباين الّذى لاينبعث من شيءٍ ولايتّحد بشيءٍ ومن ثمّ قالوا: انّ بناء العدد من الواحد وليس الواحد من العدد لانّ العدد لايقع على الواحد بل يقع على الاثنين فمعنى قوله : الله احدٌ اى المعبود الّذى يأله الخلق عن ادراكه والاحاطة بكيفيّته فرد بآلهيّته متعالٍ عن صفات خلقه ، قال (ع) : وحدّثني ابى زين العابدين (ع) عن ابيه الحسين بن عليّ (ع) انّه قال : الصّمد الّذى لاجوف له والصّمد الّذى قدانتهى سؤدده ، والصّمد الّذى لايأكل ولايشرب ، والصّمد الّذى لاينام، والصّمد الدّائم الّذى لم يزل ولايزال ، قال (ع) : كان محمّد بن الحنفيّة يقول : الصّمد القائم بنفسه والغنيّ عن غيره، وقال غيره : الصّمد المتعالى عن الكون والفساد ، والصّمد الّذى لايوصف بالتّغاير قال (ع) : الصّمد السّيّد المطاع

الّذى ليس فوقه آمرٌ ولاناهٍ ، قال(ع) : وسئل علىّ بن الحسين(ع) عن الصّمد فقال : الصّمد الّذى لاشريك له ولايؤده حفظ شيءٍ ولايعزب عنه شيءٌ، وروى عن زيدبن علىّ(ع) انّه قال : الصّمد الّذى اذا اراد شيئاً قال له : كن فيكون، والصّمد الّذى ابدع الاشياء فخلقها اضداداً و اشكالاً و ازواجاً ، وتفرّد بالوحدة بلاضدّ ولا شكلٍ ولامثلٍ ولاندّ ، وعن الصّادق(ع) عن ابيه(ع) انّ اهل البصرة كتبوا الى الحسين بن علىّ(ع) يسألونه عن الصّمد فقال: كتب اليهم بسم الله الرّحمن الرّحيم امّا بعد فلا تخوضوا فى القرآن ولاتجادلوا فيه ولا تتكلّموا فيه بغير علمٍ فقد سمعت جدّى رسول الله(ص) يقول : من قال فى القرآن بغير علمٍ فليتبوّء مقعده من النّار ، وانّ الله سبحانه قد فسّر الصّمد فقال الله : قل هو الله احد الله الصّمد ثمّ فسّره فقال : لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد، لم يلد يخرج منه شيءٌ كثيفٌ كالولد وسائر الاشياء الكثيفة الّتى تخرج من المخلوقين، ولاشيءٌ لطيف كالنّفس ولاتنشعب منه البدوات كالسّنة والنّوم والخطرة و الهمّ والحزن والضّحك والبكاء والخوف والرّجاء والرّغبة والسّأمة والجوع و الشّبع ، تعالى عن ان يخرج منه شيءٌ وان يتولّد منه شيءٌ كثيف اولطيف ، ولم يولد ولم يتولّد من شيءٍ ولم يخرج من شيءٍ كما يخرج الاشياء الكثيفة من عناصرها كالشّيء من الشّيء والدّابّة من الدّابّة والنّبات من الارض والماء من الينابيع والثّمار من الاشجار ، ولا كما يخرج الاشياء اللّطيفة من مراكزها كالبصر من العين والسّمع من الاذن ، والشّمّ من الانف، والذّوق من الفم ، والكلام من اللّسان، والمعرفة والتّميز من القلب ، وكالنّار من الحجر، لا بل هو الله الصّمد الّذى لامن شيءٍ ولا فى شيءٍ ولاعلى شيءٍ مبدء الاشياء وخالقها ، ومنشئ الاشياء بقدرته ، يتلاشى ما خلق للفناء بمشيّته ويبقى ما خلق للبقاء بعلمه ، فذلكم الله الصّمد الّذى لم يلد ولم يولد عالم الغيب والشّهادة الكبير المتعال ، ولم يكن له كفواً احد ، وعن الصّادق(ع) انّه قدم وفدٌ من فلسطين على الباقر(ع) فسألوه من مسائل، فأجابهم ، ثمّ سألوه عن الصّمد فقال : تفسيره فيه، الصّمد خمسة احرف، فالالف دليل على انيّته وهو قوله عزّوجلّ : شهد الله انّه لا آله الّا هو وذلك تنبيه واشارة الى الغائب عن درك الحواسّ، واللّام دليل على الٰهيّته بانّه هو الله ، والالف واللّام مدغمان ولا يظهر ان على اللّسان ولايقعان فى السّمع ويظهر ان فى الكتابة دليلان على انّ آلهيّته بلطفه خافية لاتدرك بالحواسّ ولاتقع فى لسان واصفٍ ولااذن سامعٍ لانّ تفسير الاٰله هو الّذى أله الخلق عن درك ماثيّته وكيفيّته بحسٍّ اوبوهمٍ لابل هو مبدع الاوهام وخالق الحواسّ وانّما يظهر ذلك عند الكتابة فهو دليل على انّ الله تعالى اظهر ربوبيّته فى ابداع الخلق وتركيب ارواحهم اللّطيفة فى اجسادهم الكثيفة فاذا نظر عبد الى نفسه لم ير روحه كما انّ لام الصّمد لايتبيّن ولايدخل فى حاسّةٍ من حواسّه الخمس فاذا نظر الى الكتابة ظهر له ماخفى ولطف ، فمتى تفكّر العبد فى ماثيّة البارى وكيفيّته أله فيه وتحيّر ولم تحط فكرته بشيءٍ يتصوّر له لانّه عزّوجلّ خالق الصّور فاذا نظر الى خلقه ثبت له انّه عزّوجلّ خالقهم ومركّب ارواحهم فى اجسادهم ، وامّا الصّاد فدليل على انّه عزّوجلّ صادق، وقوله صدق ، وكلامه صدق، ودعاعباده الى اتّباعه الصّدق بالصّدق ، ووعد بالصّدق دار الصّدق ، وامّا الميم فدليل على ملكه وانّه الملك الحقّ لم يزل ولايزول ملكه ، وامّا الدّال فدليل على دوام ملكه وانّه عزّوجلّ دائم تعالى عن الكون والزّوال بل هو عزّوجلّ مكوّن الكائنات الّذى كان بتكوينه كلّ كائنٍ ثمّ قال(ع) : لو وجدت لعلمى الّذى اتانى الله عزّوجلّ حملة لنشرت التّوحيد والاسلام والايمان والدّين والشّرائع من الصّمد وكيف لى بذلك ولم يجد جدّى امير المؤمنين(ع) حملةً لعلمه حتّى كان يتنفّس الصّعداء ويقول على المنبر: سلونى قبل ان تفقدونى ، فانّ بين الجوانح منّى علماً جمّاً هاه هاه الا لااجد من يحمله الا وانّى عليكم من الله الحجّة البالغة فلا تتولّوا قوماً غضب الله عليهم قد يئسوا من الاخرة كما يئس الكفّار من اصحاب القبور، وعن الصّادق(ع) انّه سأله سائل عن التّوحيد فقال : انّ الله عزّوجلّ علم انّه يكون فى آخر الزّمان اقوام متعمّقون فأنزل الله

قل هو الله احدٌ والآيات من سورة الحديد الى قوله : عليم بذات الصّدو ر فمن رام وراء ذلك فقد هلك ، والمراد بالآيات من سورة الحديد آيات اوّلها الى قوله عليم بذات الصّدور فانّ الله تعالى ادرج فيها دقائق التّوحيد الّذى لا يصل اليها ادراك المتعمّقين في التّوحيد فكيف بغيرهم ! . وسئل الرّضا (ع) عن التّوحيد فقال : كلّ من قرأ قل هو الله احد وآمن بها فقد عرف التّوحيد ، قيل : كيف يقرؤها ؟ ـ قال : كما يقرؤها النّاس وزاد فيها كذلك الله ربّى مرّتين ، ولمّا كان السّورة مشتملة على توحيده تعالى واضافاته وكان القارى كأنّه يقرأ بلسان الله ويأمر بلسان الله نفسه بالتّوحيد وبكيفيّة اضافاته وردعنهم بعد تمامه : كذلك الله ربّى ، مرّتين ، اشارة الى امتثال امره واقراراً بتوحيده واضافاته ، ولمّا كان السّورة مشتملة على توحيده واضافاته وسلوبه روى عن الفضيل بن يسار ، انّ ابا جعفر امرنى ان اقرأ قل هو الله احد واقول اذا فرغت منها : كذلك الله ربّى ، ثلاثاً ، اشارة الى الامتثال بالاقرار بالتّوحيد واضافاته وسلوبه ، ولمّا كان العلوم ثلاثة بمضمون ما ورد عن النّبىّ (ص) من قوله : انّما العلم ثلاثة : آية محكمة ، اوفريضة عادلة ، اوسنّة قائمة ، وتمام القرآن لبيان هذه الثّلاثة ، وهذه السّورة مشتملة بايجازها على تمام الآيات المحكمات وردعنهم : انّ من قرأها كان كمن قرء ثلث القرآن ، والوجه الآخر فى ذلك انّ السّالك الى الله لا يحصل له السّلوك الّا بالجذب والانسلاخ من الكثرات وبالتّوجّه الى الكثرات ، والتّوجّه الى الكثرات امّا لمرمّة المعاش اوتزوّد المعاد ، وتمام القرآن لبيان كيفيّة هذه الثّلاثة والسّورة المباركة فى مقام الجذب والانسلاخ ، والوجه الآخر انّ القرآن لاثبات الرّبّ و توحيده واثبات الخلق و تكثيرهم ، واثبات الوسائط بين الرّبّ والخلق ، والوجه الآخر انّ القرآن لبيان اضافة الحقّ الى الخلق واضافة الخلق الى الرّبّ وبيان الوسائط بين الاضافتين ، ولمّا لم يكن يتمّ سلوك السّالك الّا بطروّ حال الجذب والانسلاخ عليه فانّه لولم يكن للسّالك حرارة الجذب جملةً ولم يتحرّك الى الله ورد عن الصّادق (ع) : من مضى به يوم واحد فصلّى فيه خمس صلوات ولم يقرء فيه بقل هو الله احد قيل له : يا عبدالله لست من المصلّين ، وليس المراد بقراءة قل هو الله لقلقة اللّسان فقط فانّها ربّما تصير وبالاً على القارى ، بل المراد توفيق الحال للقال حتّى ذاق القارى ووجد فى وجوده انموذج الانسلاخ ولهذا الوجه ورد عنه (ع) : من مضت له جمعة ولم يقرء بقل هو الله احد ثمّ مات مات على دين ابى لهب لانّ ابالهب كان فارغاً من حرارة الجذب الفطرىّ ، وقد ورد فى حقّ هذه السّورة فضائل كثيرة عنهم (ع) ولفضلها لا يجوز العدول عنها فى الفريضة الى غيرها اذا شرع المصلّى فيها ، واذا صلّى ولم يقرء فى صلوته بقل هو الله احد كان صلوته ناقصة كما فى الاخبار ، وقد روى عن النّبىّ (ص) انّه قال : من قرأ قل هو الله احد مرّةً بورك عليه ، فان قرأها مرّتين بورك عليه وعلى اهله ، فان قرأها ثلاث مرّات بورك عليه وعلى اهله وعلى جميع جيرانه ، فان قرأها اثنتى عشره مرّة بنى له اثناعشر قصراً فى الجنّة ؛ فتقول الحفظة : انطلقوا بنا ننظر الى قصر اخينا ! فان قرأها مأة مرّة كفّر عنه ذنوب خمس وعشرين سنة ما خلا الدّماء والاموال ، فان قرأها اربعماة كفّر عنه ذنوب اربعمائة سنة ، فان قرأها الف مرّة لم يمت حتّى يرى مكانه من الجنّة اويرى له ، والاخبار فى انّها تعدل ثلث القرآن وانّ من قرأها ثلاث مرّات كان كمن قرأ القرآن كلّه كثيرة ، وروى انّه جاء رجل الى النّبىّ (ص) فشكى اليه الفقر وضيق المعاش فقال له رسول الله (ص) : اذا دخلت بيتك فسلّم ان كان فيه احدٌ وان لم يكن فيه احدٌ فسلّم واقرأ قل هو الله احد مرّةً واحدةً ، ففعل الرّجل فافاض الله عليه رزقاً حتّى افاض على جيرانه ، وعن الصّادق (ع) انّه قال : من اصابه مرض اوشدّة فلم يقرأ فى مرضه اوشدّته بقل هو الله احد ثمّ مات فى مرضه وفى تلك الشّدّة الّتى نزلت به فهو من اهل النّار ، وسبب ذلك انّ هذا المبتلى لوكان بقى فطرته الّتى بها ينجذب الى عالم الآخرة والى الله يصبر مرضه وشدّته لا محالة سبباً لانسلاخه وتوجّهه الى الله ، وهذا الانسلاخ هو قراءة قل هو الله قرأ اولم يقرء ، واذا لم ينسلخ علم انّه لم يبق فيه الفطرة فكان من اهل النّار لانّ من لم يبق

فيه فطرة الانسانيّة كان مرتدّاً فطريّاً غيرمقبول التّوبة ، وعنه (ع) انّه قال: من يؤمن بالله واليوم الآخر فلايدع ان يقرأ فی دَبْرالفريضة بقل هو الله احدٌ فانّه من قرأها جمع له خيرالدّنيا والآخرة وغفرالله له ولوالديه وما ولد، او وجهه يستنبط ممّا ذكرنا ، فانّ الفريضة عبارة عن التّوجّه الی الله والی الآخرة ، فاذا كان من صلّی الفريضة كما هومأمور بها لابدّ وان تنتهی به الی حالة الانسلاخ والدّخول فی دارالقلب الّتی هی دارالتّوحيد وفی ذلك الانسلاخ وهذا الدّخول خيرالدّنيا والآخرة وغفران الذّنوب له ولمن اتّصل به ؛ فجاهدوا اخوانی حتّی يكون صلوتنا باعثة لانسلاخنا من انفسنا واهويتها ومورثة لدخولنا فی دارالقلب او توجّهنا اليها ، ولانكون ممّن يصلّی والصّلوة تلعنه ، وعن ابی الحسن (ع) انّه يقول: من قدّم قل هوالله احد بينه و بين كلّ جبّارٍ منعه الله منه ، يقرأها بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله، فاذا فعل ذلك رزقه الله خيره ومنعه شرّه ، وسرّ ذلك ما ذكرنا .

سُورَةُ الفَلَقِ

مدنيّة، وقيل : مكّيّة ، خمس آياتٍ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

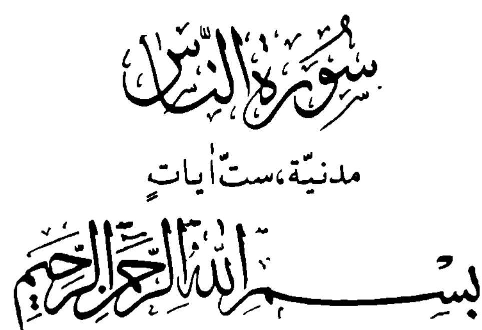
[قُلْ اَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ] يعنی قل يا محمّد (ص) اذا تنزّلت الی مقام بشريّتك وصرت بحال تتأثّر ممّا يرد عليك اذا لم يكن ملائماً لك ويؤثّر فيك تصرّفات الخلق وسحرهم اعوذ بربّ الفلق يعنی أنشیٔ العوذ بهذه الكلمة او اخبر من عوذی بهذه الكلمة حتّی تكون بذلك العوذ محفوظاً من شرّ الاشرار ، والفلق محرّكة الصّبح، او ما انفلق من عموده ، اوالفجر ، اوالخلق كلّهم اوجهنّم اوجب فيها، والمناسب ان يكون الاستعاذة فی حال نزوله (ص) الی مقام البشريّة الی ربّ الصّبح منتظراً لطلوعه و ذهاب ظلمة ليلة بشريّته [مِنْ شَرِّ مٰا خَلَقَ] أتی بلفظ ما دون من للتّعميم وأتی بلفظ خلق للاشارة الی انّ المبدعات والمنشآت والمخترعات العلويّة لاشرّيّة فيها ، وامّا المخترعات السّفليّة فهی داخلة فی الخلق [وَمِنْ شَرِّ غٰاسِقٍ اِذٰا وَقَبَ] الغاسق اللّيل اذا غاب الشّفق والقمر وكلّ هاجم بضرره والمعنی اعوذ من شرّ اللّيل اذا دخل لانّ كلّ ذی شرّ فی الاغلب يظهر شرّه فی اللّيل اكثر من النّهار، اومن شرّ كلّ ما يهجم بشرّه ، وقيل: المعنی من شرّ الثّريّا اذا سقطت لكثرة الاسقام عند سقوطها ، وقيل: المعنی من شرّ الذّكر اذا قام؛ و الغسق محرّكة ظلمة اوّل اللّيل وشیءٌ من قماش الطّعام كالزّوان(۱) ونحوه ، وغسقت عينه كضرب وسمع اظلمت او دمعت، وغسق الجرح سال منه ماء اصفر، وغسق اللّيل واغسق اشتدّت ظلمته [وَمِنْ شَرِّ النَّفّٰاثٰاتِ فِی الْعُقَدِ] ای من شرّ النّفوس الّلاتی يعقدن علی الشّعور والخيوط و ينفثن فيها و يسحرن النّاس بها، اوالنّساء الّلاتی يفعلن ذلك [وَمِنْ شَرِّ حٰاسِدٍ اِذٰا حَسَدَ] ای من شرّ من له قوّة الحسد اذا ظهر حسده فانّ الحسد المكمون لايضرّ المحسود ولايضرّ الحاسد الّا انّه نقصانٌ فی وجود الحاسد، خصّ هذه الثّلاث بالذّكر بعد تعميم الاستعاذة من شرّ جميع ذوی الشّرور للاهتمام بالاستعاذة منها ، لانّ ضرّ هذه الثّلاث وشرّها خفیّ لايمكن التّحرّز منها فينبغی ان يتعوّذ منها بالله العليم بالخفيّات القدير علی الحفظ منها ، روی انّ لبيد بن الاعصم اليهودیّ سحر رسول الله (ص) ثمّ دسّ ذلك فی بئرٍ

(۱) الزّوان بكسر المعجمة وقد تضمّ حبّ يخالط البرّ .

لبني زريق، فمرض رسول الله (ص) فبيناهو نائم اذ اتاه ملكان فقعد احدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فأخبراه بذلك وانّه في بئر كذا، فانتبه رسول الله (ص) و بعث علياً والزّبير وعمّاراً، فنزحوا ماء تلك البئر ثمّ رفعوا الصّخرة الّتي كانت في قعر البئر فاذاً فيه مشّاطة رأس وأسنان من مشطة واذاً فيه معقّد فيه اثناعشر عقد مفروزة بالابر، فنزلت هاتان السّورتان فجعل كلّما يقرأ آية انحلّت عقدة و وجد رسول الله (ص) خفّة فقام فكأنّما انشط من عقال ، و روى قصّة نزول السّورتين بغير هذا الطّريق مع اختلاف في اللّفظ و المعنى ، و لمّا كان المقصود من الامر بالقراءة ان يصير القارى بحال يكون لسانه لسان الله اولسان الملك النّازل من الله لالسان نفسه و يصير سمعه سمع اللّطيفة النّبويّة فيصير في امثال هذه المخاطبات آمراً من الله للطيفته النّبويّة و يجعل عالمه الصّغير انموذجاً للعالم الكبير، جاز ان ينظر القارى حين قراءة السّورة الى عالمه واستعاذ من اهل مملكته من اعضائه وقواها ونفسه وجنودها فيقول امتثالاً لامر الله: اعوذ بربّ الفلق اى بربّ المواليد المنفلق من بدني ونفسي ، او بربّ الصّبح المنفلق اوالفالق لظلمة ليل طبعي ونفسي من شرّ ماخلق في مملكتي من القوى البهيميّة والسّبعيّة والشّيطانيّة ، ومن الاعضاء والآلات البدنيّة اومن شرّ الاحتجاب بالخلق عن الحقّ فانّ شرّ الكلّ من اهل العالم الكبير اوالصّغير راجع الى الاحتجاب بهم عن الحقّ ، و من شرّ غاسق اى البدن وظلماته اذا دخل ظلمته في عالم الرّوح وجعل الرّوح مظلماً بظلمانيّته ، اومن شرّ امراض البدن اذا دخلت و اثّرت في الرّوح ، او من شرّ القبض اوالنّفس و اهويتها اذا اثّرت في الرّوح ، و من شرّ النّفّاثات اى القوى العلّامة والعمّالة الّتي تعقد في طريق السّالك وتنفث بحيلها فيها حتّى لايمكن للرّوح حلّها والتّجاوز عنها فانّ العلّامة الشّيطانيّة تحمل العمّالة على امر باطل لاحقيقة له فيجعله العلّامة بتمويهاتها بحيث لايمكن الانسان ان يتجاوز عنها ولا ان يتركها فتهوى بالانسانيّة من عالمها الى شبكة ذلك الامر فتهلكها ، و من شرّ حاسد من النّفس وقواها الّتي تتمنّى مداماً زوال النّعمة عن الانسانيّة وعدم ترقّيها الى مقام القلب ومقام الشّهود والغنى، وتتمنّى ان تكون الانسانيّة في الحجاب والبعد والعذاب مثلها اذا حسد الانسانيّة والقاها في شبائكها .

سورة النّاس

مدنيّة، ستّ آيات



[قُلْ اَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ] لمّا كان الله تعالى شأنه امر نبيّه (ص) بالاستعاذة من الوسواس الصّادر من شياطين الجنّ والانس، وكان ذلك الوسواس لايتعلّق بغير الانسان النّاسي لذكر الله اضاف الرّبّ الى النّاس و عبّر بالنّاس للاشارة الى انّ ذلك الوسواس لايكون الّا للنّاسي، و ربّ النّاس هو ربّ الارباب لكن باسمه المحيط بكلّ الاسماء المسخّر لكلّ الارباب وهو ربّ النّوع الانسانيّ، وهو المعبّر عنه بالرّوح وهو اعظم من جبرئيل وميكائيل ولم يكن مع احد من الانبياء (ع) وكان مع محمّد (ص) ومرتبته فوق الامكان وتحت الوجوب وهي مقام علويّة عليّ (ع) والمعنى يا محمّد (ص) اخبر عن استعاذتك بالله وانشئها بلسان قالك و بلسان حالك ، ولمّا كان استعاذتك من شرّ الوسواس وليس يظهر ذلك الّا في مظهر النّاس سواء كان بلسان النّاس او بلسان الجنّ في صدر النّاس كان ينبغي لك الاستعاذة بربّ النّاس مخصوصاً بخلاف استعاذتك في السّورة السّابقة ، و لمّا كان يظهر اوّل الامر آثار ربوبيّته للسّالك بالتّنقيص والتّكميل والخذلان و الجبران بالغفران امر نبيّه (ص) بان يعبّر عنه اوّلاً بعنوان الرّبوبيّة وابدل عنه قوله

[مَلِكِ النّٰاسِ] اُشعاراً بانّه تعالى فى ثانى الاحوال يظهر على السّالك ملكيّته ومالكيّته لكلّ الاشياء ، وذلك بعد الفناء التّام ّ والتّقوى التّامّة وابدل عنه آخراً قوله [اِلٰهِ النّٰاسِ] للاشارة الى انّه تعالى بعد فناء العبد و بقائه بعد الفناء يصير معبوداً للعبد ، وامّا قبل ذلك فمعبوده يكون اسماً من اسمائه واظهر النّاس مع انّ المقام كان مقام الاضمار اشعاراً بذمّه على نسيانه بفطرته مع انّه لاينبغى ان يكون ناسياً لربّه الموصوف بتلك الاوصاف الثّلاثة [مِنْ شَرِّ الْوَسْوٰاسِ] الوسواس بكسر الواو مصدر وسوس و الوسواس بالفتح اسمٌ للمصدر و هو على معناه المصدرىّ فيكون قوله تعالى [الْخَنّٰاسِ] بدلاً منه بدل الاشتمال او هو بمعنى الموسوس فيكون الخنّاس صفة له ، وسمّى الموسوس بالوسواس للمبالغة ، والخنوس التّأخّر او الغيبة ، ولمّا كان الشّيطان الموسوس من عادته التّأخّر عن الانسان او الغيبة عنه حين ذكر الله سمّى خنّاساً [اَلَّذى يُوَسْوِسُ فى صُدُورِ النّٰاسِ] والوسوسة حديث النّفس وحديث الشّيطان بما لا خير فيه ولانفع ، ووسوس له واليه [مِنَ الْجِنَّةِ وَالنّٰاسِ] من تبعيضيّته او بيانيّة ، والظّرف حال من الوسواس على ان يكون الوسواس بمعنى الموسوس ، اوابتدائيّة والظّرف ايضاً حال على ان يكون بمعنى المصدر ، اوابتدائيّة والظّرف متعلّق بيوسوس اى يوسوس من جهة الجنّة والنّاس .

قد تمّ الكتاب بتوفيق الملك الوهّاب على يد مؤلّفه **سلطانمحمّد** بن حيدر محمّدبن سلطانمحمّد بن دوست محمّدبن نور محمّدبن الحاجّ محمّدبن الحاج قاسمعلى البيدختىّ الجنابذىّ الخراسانىّ بشّرهم الله بما بشّر به عباده المؤمنين فى الرّابع عشر من شهر صفر المظفّر من شهور السّنة الحادية عشرة بعد الثّلاثمائة بعد الالف من الهجرة النّبويّة على هاجرها آلاف التّحيّة .

والحمدلله على توفيقه للتّدبّر فى كتابه والتّفكّر فى احاديث خلفائه ، والصّلوة والسّلام على جميع خلفائه ، ولاسيّما على محمّد واهل بيته الطّاهرين خصوصاً على ابن عمّه و خليفته بلا فصلٍ و وصيّه وصهره علىّ بن ابى طالب عليهما الصّلوة والسّلام ١٤ شهر صفر المظفّر ١٣١١ .

تمّ طبع الكتاب بعون الله الملك الوهّاب

وكان اختتام طبعه سابع رمضان المبارك من شهور السّنة السّادسة والثّمانين بعد ثلاثمائة والف من الهجرة النّبويّة على مهاجرها وآله الف سلام وتحيّة ، وهذا من حسن الاتّفاق لانّه هو الشّهر الّذى نزل فيه القرآن فالحمدلله على ذلك وكان افتتاح طبعه فى شوال المكرّم من شهور سنة اربع و ثمانين وثلثمائة بعد الف من الهجرة .

اللّهمّ لك الحمد على ماانعمت به علينا بهذا التّوفيق فصلّ على نبيّك و آله واجعل هذا الامر منا خالصاً لوجهك الكريم وتقبّله بقبول حسن وأنفعنا به يوم لاينفع مال ولا بنون الّا من أتى الله بقلب سليم والسّلام على من اتّبع الهدى .

وكان ذلك سابع رمضان المبارك ١٣٨٦ الهجرية

و يطابقه(٢٩/٩/٥)١٣٤٥ الهجرية الشّمسية)

فهرست السّور والمطالب